

مطبوعات
مكتبة الملك فهد الوطنية

أهل مدين

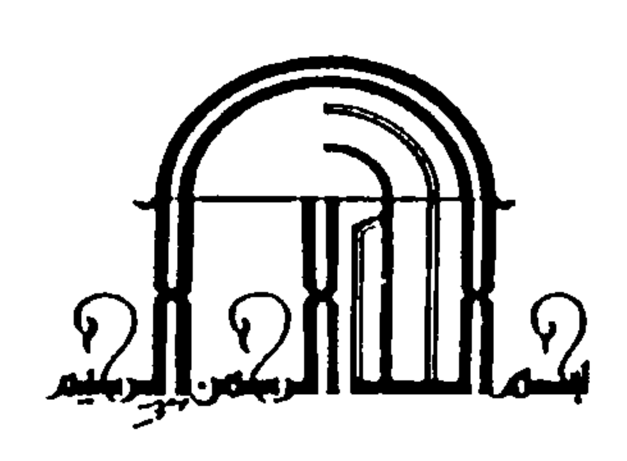
دراسة للخصائص والعلاقات

١٣٥٠ - ١١٠٠ ق.م.

د. عواطف بنت أديب بن علي سلامة

الرياض
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م





أهل مدين

دراسة للخصائص والعلاقات

١٣٥٠ - ١١٠٠ ق.م.

أهل مدين

دراسة للخصائص والعلاقات

١٣٥٠ - ١١٠٠ ق.م.

د. عواطف بنت أديب بن علي سلامة

الرياض

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

ⓒ مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

سلامة ، عواطف اديب

أهل مدين دراسة للخصائص والعلاقات / عواطف اديب سلامة .- الرياض

٧٣٤ ص ؛ ٢٤ سم .- (السلسلة الرابعة : خارج السلاسل)

ردمك : ٤ –١٦٤– ٠٠ – ٩٩٦٠

ردمد : ×٢٩٩ – ١٣١٩

١- مدين (السعودية) – تاريخ ٢- الجزيرة العربية – تاريخ

أ – العنوان ب- السلسلة

ديوي ٩٣٩,٤ ٢٢/١٧٩٩

رقم الإيداع : ٢٢/١٧٩٩

ردمك : ٤ –١٦٤– ٠٠ – ٩٩٦٠

ردمد : ×٢٩٩ – ١٣١٩

ص ب : ٧٥٧٢

الرياض : ١١٤٧٢ المملكة العربية السعودية

هاتف : ٤٦٢٤٨٨٨

فاكس : ٤٦٤٥٣٤١

فهرس المحتويات

الفصل الأول : دراسة أسماء الأعلام والمواقع المديانية

الفصل الثاني : خصائص الحياة الاجتماعية

الفصل الثالث : خصائص الحياة الاقتصادية

الفصل الرابع : الشواهد الأثريـة

الفصل الخامس : العلاقات (علاقات أهل مدين بجيرانهم)

الفصل السادس : العلاقات المديانية علاقة أهل مدين ببني إسرائيل

قائمة المختصرات

ت	:	توفي.
تح.	:	تحقيق.
تر.	:	ترجمة.
تصح.	:	تصحيح.
تعر.	:	تعريب.
ج	:	جزء.
د.ت	:	بدون تاريخ.
ط	:	طبعة.
ع	:	عدد.
ق	:	قسم.
ق.م.	:	قبل الميلاد.
م	:	مجلد.

Periodicals Abbreviations

AASOR	:	Annual of the American Schools of Oriental Research.
BASOR	:	Bulletin of the American Schools of Orientat Research.
Ency.	:	Brit., Mac and Mic : Encyclopeadia Britannic, Macropeadia and Micropeadia.
HB. Dic	:	Harpers' Bibel Dictionary.
IEJR	:	Israel Exploration Joumal Research.
JOAS	:	Journal of American Oriental Society.
JONES	:	Journal of Near Eastern Studies.
JSOT	:	Journal for Study of Old Testament.
PEQ	:	Palestine Exploration Quarterly.
ZMDG	:	Zeifschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft.

General Abbreviations

BK	:	Book.
Dic	:	Dictionary.
Ed	:	Edited.
Ency	:	Encyclopeadia.
Para	:	Paragraph.
PI	:	Plate
Pub	:	Published.
Trans	:	Translation.
T & H	:	Thomas and Hidson.
Univ	:	University.

قائمة الخرائط والأشكال والصور

المقدمة

يحتل تاريخ الجزيرة العربية القديم مكانة بارزة لدى المؤرخين والدارسين عامة. وقد تزايد الاهتمام به منذ منتصف القرن الماضي بتأثير المكتشفات في أرجاء الجزيرة ومواقعها التي تزخر بتراث مادي وكتابي، مما يشكل ثروة من المعلومات تكتب فصولاً تاريخية مهمة من تاريخ وحضارة العرب. وتجيب على تساؤلات تشغل فكر الإنسان في كل مكان. وتنبثق أهمية هذا البحث من الحقائق التالية :

أولاً :

١ – موقع شبه الجزيرة العربية الإستراتيجي في قلب العالم القديم، حيث قامت مراكز الحضارات الإنسانية الأولى في وادي السند، وبلاد الرافدين، وبلاد الشام، وبلاد وادي النيل، وبلاد الإغريق والرومان.

٢ – دور شبه الجزيرة العربية في اقتصاد العالم القديم فقد كانت مركزًا مهمًا لعدد من المواد الخام، والثروات الطبيعية المتنوعة، ومعبرًا مهمًا لطرق التجارة الدولية برية وبحرية.

٣ – تعد شبه جزيرة العرب موطنًا لحضارات عريقة أثبتت البحوث الحديثة والمكتشفات الآثارية غنى مخلفاتها وعمق جذورها، ومعاصرتها لحضارة المراكز المجاورة. فتبادلت معها علاقات وفق مبدأ التأثير والتأثر، بنسب مختلفة مع معظمها.

٤ – تتميز شبه الجزيرة العربية بأنها كانت وما زالت موطنًا للعرب، مثلما ظلت خلال قرون طويلة مسرحًا رئيسًا لأحداث تاريخية، ومهدًا لمنجزات حضارتهم وتفاعلاتهم وأنشطتهم البشرية. وتفتحت فيها أفكار الوحدانية التي تتوجت برسالة العقيدة الإسلامية.

٥ – يعد أهل مدين من أوائل أقوام شبه الجزيرة العربية، الذين تكرر ورود ذكرهم وأخبارهم في الكتب المقدسة. وذكروا بأنهم "أهل مدين" و"أصحابها" في القرآن الكريم. وهم "المديانيون". وأرضهم "أرض مدين" في كتاب التوراة. استوطنوا المنطقة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية - بوابة طريق القوافل المهم المتجه إلى بلاد الشام ومصر. وامتدت مستوطناتهم في المنطقة الشمالية بين جنوب البحر الميت، وخليج العقبة، وصحراء النقب؛ بل إلى صحراء سيناء. وقد نال أهل مدين أهمية خاصة في التاريخ القديم بالاستناد إلى الحقائق التالية :

أ – ذكر القرآن الكريم وفصل بعض أخبارهم في مجالات التجارة، والدعوة الدينية.

ب – سيطرة أهل مدين على جانب من فعاليات القوافل التجارية، وامتلاكهم مصادر المواد الخام، وممارستهم أعمال التجارة، والزراعة، والرعي، وتربية المواشي، والجمال.

ج – وبسبب توافر المواد الخام في بلاد مدين وفي مقدمتها معدن النحاس المعدن الرئيس في عصور البرونز - قامت بين أهل مدين وبين الدولة المصرية الفرعونية - أواصر التعاون، وربما المشاركة لاستخراج النحاس وتعدينه.

د – بعث الله النبي شعيبًا (س) إلى أهل مدين لكونهم أمة ذات كيان، وأهمية بين ذويهم وجيرانهم. وكان لهم دورهم أيضًا في التأثير على من حولهم.

هـ – معاصرة أهل مدين لدعوة الوحدانية التي نادى النبي موسى (س) بها. وكان لهم علاقات متعددة الجوانب بصاحب الدعوة وأتباعه.

و – قيـــام علاقات تعاون بين أهل مدين وبني إسرائيل تحولت فيما بعد إلى علاقـــات عدائية في مرحلة تالية. نتج عنها هزيمة أهل مدين، وفقدان أراضـــيهم وممتلكاتهم وهويتهم، وبسبب هذه العلاقة مع بني إسرائيل حفظت عن هذا الشعب المدياني مرويات تاريخية في كتاب التوراة.

ز – حقق أهل مدين رصيدًا حضاريًا متميزًا :

١ – فـــي مضمار العمران شمل المدن ومبانيها، وتنظيمات الري فيها، والأســـوار والحصون. وأقاموا تنظيمًا اجتماعيًا ربط بين عناصر ثنائيتهم الاجتماعية المؤلفة من بدو وحضر.

٢ – في مضمار الحرف والفنون أتقنوا صنع الحلي الذهبية، والأدوات، وصناعة أواني الطعام والشراب الفخارية على نطاق واسع.

ثانيًا :

نظرًا لأن البحار تحيط بشبه الجزيرة العربية من جهاتها الثلاث يبرز دور بوابـــتها الـــبرية الشـــمالية، وأهميتها عبر عصور التاريخ، فهي المنفذ البري المباشـــر، الذي يصل مراكز الإنتاج في أقصى جنوب بلاد العرب إلى مراكز الحضـــارات المجـــاورة (كالهلال الخصيب)؛ حيث توجد الأسواق أو مراكز الاســـتهلاك ؛ إلا أنـــــه بفعـــل اتســـاع الرقعـــة التي تشغلها صحراء النفود، عـــلاوة على أن الصحارى تشكـــل مناطق طـــرد بشـــري – يتهيب الناس من اختراقها. ا نحصرت طرق المواصلات في المحور الشمالي الجنوبي، أي الطريق البري الشمالي الجنوبي الموازي للساحل في المنطقتين الشرقية والغربية من شبه الجزيـــرة العـــربية، وحيـــث تـــتوافر هناك أيضًا مصادر المياه وتشكل واحاتها مســـتوطنات ســـكنية ومحطات للقوافل التجارية. وقد حتمت هذه العوامل مجتمعة مـــرور قوافل التجـــارة عبر طـــرق هاتين المنطقتين الشرقية والغربية ؛ إلا أن

المـــنطقة الشـــمالية الغربية أي "أرض مدين وسكانها" تفردوا بمزايا عديدة كان أهمها :

أ – أنهـــا مركـــز اتصــــال مهم بمنطقة شمال أفريقيا عبر صحراء النقب وصحراء سيناء، أي أنها كانت مركز اتصال قاري.

ب – أنها مركز اتصال أيضًا بعالم البحر الأبيض المتوسط عبر بلاد الشام ومرافــئها المهمـــة (صيدا وصور وجبيل) وهي منافذ إلى الاتصال القاري إلى أوربـــا، ومن المحتمل أن أهل مدين مارسوا الوساطة بين بلاد مصر وكنعان، وبين هذه البلاد وبلاد العرب أيضًا.

توافـــرت فـــي أرض مدين ثروات طبيعية كان في مقدمتها معدنا النحاس والذهـــب. وتدل الآثار المتبقية فيها أن الإنسان قام باستغلال مناجم النحاس تلك مـــنذ عصـــور مـــبكرة. وتعود بدايات استثمار النحاس إلى العصر الحجري - النحاسي - علاوة على ذلك مارس أهل مدين أنفسهم استخراج النحاس وتصنيعه إلى جانب ممارسة التجارة وتربية الإبل واهتمامهم بها.

ج – لـــم يكن أهل مدين أول شعب استوطن هذه المنطقة الإستراتيجية من بلاد العرب. فتشير الشواهد الأثرية المستمدة من موقع "كلوة" وغيره إلى توطن الإنسان في المنطقة منذ "العصر الحجري القديم". كما تشير إلى استمرار سكناها عـــبر العصـــور التالية بما في ذلك عصر أهل مدين. وتدل الرسوم الصخرية الوفيـــرة على الانتقال من حياة الصيد إلى حياة الزراعة والرعي، بما في ذلك رعي الإبل. وتشهد الآثار المتبقية عن فعاليات استخراج معدن النحاس وتصنيعه فـــي مواقع عديدة أهمها: تمنع، وقرية، ومقنا، وتيماء، وغيرها... تشهد جميعها عـــلى فعاليـــات وأنشطة مهمة استمرت هناك عبر العصور إلى عصر اليونان والرومان، وعصر الإسلام.

وتشير الشواهد اللغوية المتصلة بأهل مدين إلى أن لغتهم ومسمياتهم تعود إلى أصـــول عـــربية. ويمكـــن استنتاج تراث مدين الحضاري بالاستناد إلى العلاقات التي ربطت بينهم وبين جيرانهم من مصريين وكنعانيين وفلسطينيين وعـــبرانيين، وشعوب شبه الجزيرة العربية. ويتمثل تراث مدين في خصائص ماديـــة وفكـــرية، يضاف إليها خصائص روحية واجتماعية نستمد بعضها من دعـــوة النـــبي شـــعيب (س) إلى الوحدانية ومطالبته بتحقيق العدل في مجتمع مديـــن. ونرجح تأثير هذه الخصائص على الشعوب المجاورة بتفاوت يتناسب مع طبيعة العلاقات.

ولم يقتصر دور أهل مدين على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي؛ بل تعداه بالضـــرورة إلى الـــنطاق السياســـي وذلك بفعل قيام علاقات سلمية (اتفاقات تحالفـــات) وعدائية (حروب وغزوات) بينهم وبين الشعوب الأخرى. لقد قامت هـــذه العلاقـــات خلال فترة حاسمة من تاريخ الشرق الأدنى القديم. وهي نهاية عصور البرونز وبداية عصر الحديد.

د – أخيـــرًا وليـــس آخرًا يقدم واقع تراث أهل مدين أحد المبررات الكثيرة الـــتي دفعتـــني إلى الاهـــتمام ببحث يشمل تاريخهم. فقد تعرض تراثهم المادي بخاصة لعمليات إبادة وطمس، وتشويه من قبل أعدائهم وأسهمت عوامل الطبيعة فيه أيضًا، وأصاب تاريخهم الإهمال من قبل خلفائهم وبني قومهم.

وفـــي الحقيقة إن ما تكشف عنه أعمال التنقيب الأثري الحديثة، والدراسات الـــتاريخية واللغوية يقدم للباحثين ثروة من المعلومات والشواهد المهمة، وكلها تشكل حافزًا قويًا لي لتحمل أعباء هذه المهمة.

يتضـــح مما تقدم أن أهل مدين أدوا دورًا تاريخيًا مهمًّا في فترة حاسمة من تـــاريخ الشرق الأدنى القديم بعامة، وفي تاريخ منطقة شمال غرب شبه الجزيرة

العـربية بخاصـة في نهاية الألف الثانية ق. م. ولقد غطت فعاليات أهل مدين ونشاطهم مدة تقارب ثلاثة قرون من الزمن حفلت بأحداث مهمة.

أ - فعاليات داخلية :

اسـتقرار حضـري تبلور في كيان سياسي محوره دولة المدينة. وممارسة فعاليـات التجارة والزراعة والتعدين، والحرف اليدوية. ومما لا ريب فيه يتوقع المـؤرخ وجود نشاط فكري قد يشمل الأدب القصصي والتراث الديني وفق ما نجده لدى مجتمعات قريبة ومعاصرة بالمجتمع الكنعاني (مدينة أوجاريت).

ب - فعاليات خارجية :

إقامـة علاقات مع شعوب مجاورة في مجالات الاقتصاد والسياسة والدين. نتج عن بعضها احتكاك ثم تصادم مرده طمع الآخرين بأرض مدين ذات الموقع الإستراتيجي، وبثرواتها الطبيعية والتجارية.

بعض مصادر ومراجع البحث ونقدها :

ورد ذكـر مديـن وأهلها في مصادر قديمة، وفي طليعتها الكتب المقدسة الـتي ذكرتهم وتحدثت عنهم. فجاء أقدم ذكر عن مدين في كتاب العهد القديم (الـتوراة) بالـنظر إلى أسبقيتها الزمنية. والتوراة كلمة عبرية أصلها آرامي، وتعني التعليم والشريعة، ولكنها إضافة إلى ذلك فهي تشتمل على أخبار قبائل بني إسرائيل، وغيرهم من الأمم والشعوب التي احتكوا بها. كتب هذه الأخبار أحـبار اليهـود على مراحل بين القرن السادس ق. م. والقرن الرابع ق. م. واشـتملت نصوص هذا الكتاب الذي دونه الأحبار على الكثير من المعلومات المتناقضة والمبالغات، وقلب الحقائق فوفقًا لما ذكره ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل عن التوراة "بأنها ليست من عند الله تعالى ولا من أخبار نبي".

وجاء في تفسير سورة البقرة لدى ابن كثير أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أباح أقاويل أهل الكتاب حيث قال: "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، وتذكر المرويات الإسرائيلية للاستشهاد.

وبالنظر إلى حاجتي في هذا البحث إلى مصادر تاريخية مدونة ومعاصرة للأحداث، وبسبب عدم توافر مصادر كتابية أخرى معاصرة: هيروغليفية، مسمارية، أو أبجدية.. حتى الآن؛ فإن محاولتي رصد فعاليات أهل مدين في المكان والزمان تعتمد بالضرورة على المعلومات الواردة في كتاب التوراة ، وقرنها ومقابلتها بالشواهد الأثرية، مع الأخذ بجانب الحيطة والحذر تجاه أخبار التوراة التي تتسم بطابع المبالغة في الوصف سواء بالتضخيم أو التقليل أحياناً، وبالغموض أحياناً أخرى نتيجة لإغفال بعض الحقائق أو خلطها.

وتتبع أهمية المعلومات التوراتية من أنها باكرة حيث تتعرض التوراة لأحداث تتصل بأهل مدين، فسفر التكوين فصل حادثة بيع النبي يوسف عليه السلام ثم في سفر الخروج حادثة لجوء النبي موسى عليه السلام إلى أرض مدين، ومصاهرته لأهلها، وإقامته بينهم إلى آخره.

ويجري سرد أخبار هذه الموضوعات وذكر مدين وإخوته، وأبنائه في بعض إصحاحات الأسفار التالية: التكوين، الخروج، العدد، والقضاة، ثم تكرر بعض هذه الموضوعات في سفري أخبار الأيام. وهنالك إشارات أخرى عن الموضوعات نفسها في أسفار: يشوع، الأناشيد، المزامير، وإشعيا.

ونلاحظ اختلاف صيغة الخبر ما بين سفر وآخر، واختلاف بعض الأسماء أيضًا. فنجد أن "كاهن مدين" يشار إليه بأسماء وصفات متعددة، من سفر لآخر فيذكر في سفر الخروج مرة بأنه "يثرون" ومرة بأنه "رعوئيل" ونحو ذلك، مما يشير إلى تعدد الروايات والمصادر.

لن أتعرض هنا لنقد أخبار التوراة بشكل عام لأنه مجال واسع مارسه قبلي مختصون في التاريخ والآثار واللغات، ولهم بحوث وفيرة، ومقارنات مهمة بين المعلومات الكتابية الواردة في الأسفار وما يقابلها من حقائق أثرية اكتشفت في مواقع كثيرة.

وأركز جهدي على تحليل ونقد ما يتصل بأهل مدين من روايات ومعلومات. وألخص ذلك فيما يلي :

١ - اهتم كتاب التوراة بذكر مدين في سياق احتكاكهم ببني إسرائيل فقط، باستثناء ذكرهم في سفر التكوين حيث ورد اسم مدين مع إخوته أبناء إبراهيم الخليل عليه السلام.

٢ - أغفلت معلومات التوراة التفصيل المباشر عن أهل مدين وأوضاعهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية. واقتصرت على ذكر أسماء بعض الملوك والأمراء. وأبرزت بالمقابل نتائج انتصار بني إسرائيل على أهل مدين سواء على صعيد الغنائم المادية أو الخسائر البشرية. وليس الهدف من هذا الأسلوب في العرض الموضوعية التاريخية؛ بل التباهي، وتأكيد الذات.

وجدنا تلك المعلومات المقتضبة عن أهل مدين في نصوص التوراة، ولكنها نقاط استناد مفيدة في المسعى لاستعادة تاريخ أمة شهد أعداؤها في معرض التنديد بها بقوة شأنها، بالإضافة إلى ما يمكن للمؤرخ أن يستنتجه من قراءة المعلومات من بين سطور النصوص التوراتية.

وذكر القرآن الكريم شذرات من أخبار أهل مدين في موضوع إرسال النبي شعيب عليه السلام إليهم، وقيامه بالدعوة إلى توحيد الله، وعبادته، وتصحيح انحرافاتهم التجارية والخلقية. وجاء ذكر مدين أيضًا في موضوع

النبي موسى عليه السلام وبصدد لجوئه إلى أرض مدين أيضًا. وقد قررت آيات الذكر الحكيم أنهم كانوا أهل تجارة وثراء وغنى، مما أغفلت ذكره أخبار التوراة صـــراحة، وفصله القرآن. وأغفلت التوراة ذكر اسم الفرعون المعاصر لموسى عليه السلام، وكذلك القرآن لم يذكره. وقد جاءت قصص القرآن الكريم لإعطاء العظة والعبرة وخاصة فيما يتعلق بمصائر الأمم السابقة وأبرزهم أهل مدين.

لم يرد في النصوص المسمارية الآشورية أو الكلدانية ذكر العلاقات مباشرة مـــع أهـــل مدين، وذلك بالنظر لعدم معاصرتهم لهم، باستثناء ما ورد عن قبيلة عيفة بن مدين في نص الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م).

وردت معـــلومات وإشـــارات عن بلاد العرب عامة في كتب الكلاسيكيين (اليونـــان والـــرومان) مثل: المؤرخ "هيرودوت" والجغرافي "سترابو" والمؤرخ "بليني" أورد هؤلاء ما رأوه، أو ما عاصروه من أحداث، وبالطبع لم يتعمقوا في أحـــداث تاريخية سبقت زمنهم بقرون ولم تخل المعلومات القليلة التي أوردوها مـــن نقـــد (مثلاً ما كتبه هيرودوت عن مصادر اللبان)، (وما كتبه استرابو عن حملة اليوس جاليوس).

وتحـــدث الكـــتّاب العرب المسلمون من مؤرخين وجغرافيين ومفسرين عن مديـــن وأهـــلها مثل: المؤرخ "ابن جرير الطبري في تاريخه"، و"ابن الأثير في كـــتابه الكامل"، و"ابن خلدون في ديوان المبتدأ والخبر"، و"الحموي في معجمه". وذكر مفسرو القرآن أهل مدين في تفاسيرهم بلا استثناء، وذلك في إطار تفسير السور القرآنية التي ورد ذكر مدين فيها.

وهكذا لفتت التوراة والكتب الكلاسيكية أنظار المؤرخين، والرحالة الغربيين الحديـــثين، والكتاب المهتمين بالتأريخ إلى بلاد العرب. ونذكر في طليعة الرواد منهم الذين زاروا منطقة مدين، وكتبوا عنها :

١ – زار ر. بيرتون R. Burton في عام ١٨٧٨م مدين وكتب عنها العديد من المؤلفات من كتب ومقالات نشرت في دوريات متنوعة في بريطانيا. وقد استفدنا منها في هذا البحث. وتم إدراج عناوينها في ثبت المصادر والمراجع، وبالرغم من أن دافع بيرتون إلى موضوع مدين المغامرة والبحث عن الذهب بالدرجة الأولى، نراه يغني الموضوع بوصف المنطقة، والتأريخ لها، وتدوين مشاهداته وملاحظاته الوفيرة في ثنايا كتبه ومقالاته.

وقد اطلعت على قصص أدبية نادرة محفوظة في قسم الكتب النادرة في جامعة متشجان بالولايات المتحدة الأمريكية عن موضوع علاقة مدين مع بني إسرائيل مشار إليها في موضعين ، وهما: Maid of Midian, 1833; Triumph Over Midian, 1870.

٢ – ثم أدى تقدم البحث الأثري، وتزايد عدد الباحثين من آثاريين ولغويين ومؤرخين في النصف الثاني من القرن العشرين حول موضوعات من تاريخ شبه جزيرة العرب قبل الإسلام. فزار أ. موسل A. Musil منطقة شمال الحجاز وكتب عنها وعن مدين. وقدم تعريفًا جغرافيًا شاملاً تضمن دراسة سطح الأرض، وتحديد هوية المواقع بالاستناد إلى الربط بين القرائن اللغوية والتاريخية والأثرية، وتحدث عن سكانها.

٣ – زار سانت ج. فيلبي St. J. Philby المنطقة وكتب بحثًا عن أرض مدين وغيرها من مناطق شمال غرب بلاد العرب بعنوان: "أرض مدين The Land of Midian"، ولكنه ترجم في العربية بعنوان: "أرض الأنبياء ومدائن صالح" أي ترجمة غير حرفية. وعني فيلبي بمسح المنطقة وتعريف مدنها وقراها، وأوديتها، مما أفدنا منه بصورة جيدة، وإن أعوزته الخرائط التوضيحية.

٤ – زار كـــل مـــن: ب. P. Parr، ج. هاردنج G. Harding، ج. دايتون J. Dayton عـــام ١٩٦٨م وقـــاموا بمسح أثري للمنطقة الشمالية الغربية من شبه الجزيــرة العــربية (شمال غرب المملكة العربية السعودية) نتج عنه بحث قيّم تضـــمن نـــتائج المسح في موقعي "قرية" و"تيماء". وكان من أهم النتائج التي توصـــلوا إليها تأكيد هوية فخـــار مدين، وانتشـــاره في المنطقة وتأريخه في فـــترة زمنية تتراوح بين (١٤٠٠ - ١٢٠٠ق.م.) كما أشاروا إلى العثور على آثـــار بقايـــا معمارية متنوعة من الفترة نفسها. ويعود الفضل إليهم وإلى ب. روثنـــبرج B. Rothenberg و ج. جلاس J. Glass في إجراء دراسة بتروجغرافية لفخار مدين. ساعدت على تحديد هوية صلصاله، والتعرف على موطن توافره فـــي "قـــرية". وتم بالتالي اعتبار "قرية" المركز الرئيس لإنتاج هذا الصلصال والأواني الفخارية، واعتبارها أيضًا مدينة رئيسة بين مدن مدين.

٥ – قام ب. روثنبرج B. Rothenberg بزيارة منطقة تمنع (وادي المنيعية) في وادي عـــربة. وقدم في سنة ١٩٧٢م دراسة أثرية في كتابه المعنون بـــ "تمنع" Timna تميز عمله بأنه دراسة وعرض للمكتشفات الأثرية، ولنتائج التنقيبات في تمـــنع، وتقديم المادة الأثرية بأسلوب علمي. وحدد تسلسلها التراصفي والزمني، كمـــا حدد خصائصها بشكل دقيق. وهكذا تحققت الأهداف من هذا البحث، نظرًا لطبيعـــته الأثـــرية ولكنها بالطبع لم تسمح له بالتصدي إلى دراسة الموضوعات التاريخية الخاصة بأهل مدين، والتي آمل أن أكون قد استوفيت جوانب منها في هذا الكتاب.

٦ – قدم د. رشيد الناضوري بحثًا في ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية (الكـــتاب الـــثاني) بعنوان: "حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي الباكر". وكان بحثه عرضًا موجزًا ومختصرًا لآراء سابقة، ونظريات حـــول حدود أرض مدين، ودور أهلها التاريخي، ولكن البحث لم يحدد موقفًا لا

عن تحديد الأرض، ولا عن الدور التاريخي لشعب لقي الكثير من عدم الاهتمام على الصعيدين العربي والغربي.

٧ - أمـــا الدراسات اللغوية فقد تميزت الدراسة التي قدمها ج. مندن هول G.Mendenhall في ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية (الكتاب الثاني) بعنوان: "قـــرية والمديـــانيون" ونـــالت أهميـــة خاصة. فقد تناول الباحث أسماء الأعلام والمواقـــع المديانية بالدراسة التحليلية المقارنة بغرض استخلاص الهوية اللغوية لأصـــحابها. وقـــدم كذلك عرضًا مكثفًا للصورة التاريخية الحضارية التي يمكن استنتاجها من المرويات التاريخية، ومن المادة الأثرية بالاستعانة ببعض الوثائق مـــن الحضـــارات المجـــاورة. ونأخذ عليه ظاهرة إبعاد أصول أسماء الأعلام والمواقـــع في مدين عن أصولها العربية، ومحاولة ردها إلى أصول أناضولية. وقـــد ثـــبت فـــي هذا الكتاب أن أغلب أصول أسماء الأعلام والمواقع تعود إلى "جذور سامية غربية" قد تكون جذورًا للعربية في أبكر صورها المعروفة.

٨ - وعـــالج الكتّاب العرب المسلمون موضوع مدين وفق أسلوبهم الخاص المتـــبع فـــي معالجة موضوعات التاريخ القديم، والذي لا يعتمد على المصادر الكـــتابية ولا الوثائق الأثرية، إضافة إلى قلة معرفة لغات الشعوب السابقة التي تصدوا لذكرها، أو أخذوا عنها.

٩ - وعـــالج الموضـــوع الكـــتّاب العرب المحدثون، والغربيون المهتمون بدراســـة الحضـــارات القديمة والتأريخ للأمم والشعوب السابقة بأسلوب تقليدي ومختصـــر جـــدًا، واكتفوا بنقل الموضوعات نفسها حينًا، أو الإشارة إليها فقط أحيانًا أخرى.

١٠ - ودرس الكـــتاب الغـــربيون وخاصـــة المهتمون بالدراسات المتعلقة "بالـــتوراة" وأرخوا لبني إسرائيل، ومنطقة الحدث التوراتي وسكانها بعناية بالغة

وإســـهاب؛ ولكن لم يهتموا بعلاقات بني إسرائيل وحروبهم خاصة منذ خروجهم من مصر إلا لممًا. ونذكر كمثال على ذلك الكاتب اليهودي يوسيفوس الذي كتب عــن بــني إسرائيل وخصهم بأعماله فقد استخدم وثائق مزيفة لغرض الدعاية، ولذلك أصبحت رواياته موضع شك ونقد.

١١ - أما الكتّاب الغربيون المعاصرون ومنهم الكاتب م. نوث M.Noth الذي كــتب مؤلفًا عن تاريخ إسرائيل History of Israel فصل عن تاريخ بني إسرائيل، وأصــلهم وقبائــلهم، وكل شيء ما عدا حروبهم مع سكان وشعوب بلاد كنعان وغيــرهم فلم يذكر شيئًا عنها إلا لممًا. وحازت مدين على الذكر والإشارة إليها فــي ثــلاث صــفحات فقط من بين ٤٣٠ صفحة هي مجمل صفحات الكتاب. وانحصرت المعلومات الخاصة بمدين في موضوع تعريف موقع الجزء السينائي مــن صــحراء شــبه جزيرة سيناء بأنه أرض الرعاة المديانيين، أما مساكنهم فحددهــا فــي شرق خليج العقبة. ويقتصر أمر العلاقة على لقاء بين أهل مدين وبني إسرائيل تم هناك، ويشير إلى نصوص التوراة التي ذكرته.

أمــا الموضــوع الآخــر الذي ذكره فهو عن غزو المديانيين القادمين من الشــرق لأراضــي غرب الأردن. ووصف هؤلاء المديانيين بأنهم كانوا قبائل منتشــرة فــي الصــحراء إلى شرق وجنوب فلسطين. ويعترف بأن المديانيين بجمــالهم قــد هددوا المدن، بل بلغوا الساحل في موسم الحصاد. وتركوا إبلهم تــرعى هــناك ونهبوا كل محصول الأرض وخاصة في السهول، وأهمها سهل يزرعيل (في فلسطين). وأشار إلى أن ذلك قد تكرر منهم سنويًا. وينتقل بعد ذلك إلى الإنجاز الكبير الذي حققه "جدعون بن يوآش" ألا وهو محاربة أهل مدين في يوم عرف باسم "يوم مدين" هكذا فقط. أي أنه اكتفى باستعارة المعلومات الواردة فــي التوراة دون ممارسة التحليل والنقد التاريخي المتوقعين من مؤرخ، إضافة إلى إغفال بعض الوقائع التاريخية الأخرى في الموضوع نفسه.

١٢ - وقـام الدكـتور خير ياسين بإعداد وتعريب كتاب بعنوان: "الجمل: ثورة في عالم المواصلات في تاريخ العرب القديم" ومؤلفه هو هـ. كينث بيب H.Keinth Beeb بعـنوان: The Dromedary Revoluation, 1990. وقد أغفل تمامًا ذكر أهـل مديـن، ودورهـم فـي موضوع تربية الجمل واستخداماته. وأورد ذكر المديـانيين في صفحة واحدة ضمن مجموعة الشعوب التي أشرفت، وسيطرت عـلى الطـرق الـتجارية في موضوع: التجارة ورفاهية بلدان البحر الأبيض المتوسط. مما أثار انتباهي، ولفت نظري. ويذكر المؤلف أو المعرب - لأنني لم أطـلع على نسخة الكتاب بلغته الأصلية - أنه لم يذكر الجمل في وثائق عصر المـلك تجلات بلاسر الأول رغم ذكر بعض الحيوانات الأخرى في تلك الوثائق؛ بـل يـرد ذكر الجمل ضمن الحيوانات النادرة في وثائق الملك آشور بعل كالا (١٠٧٤- ١٠٥٧ق.م.)، وهـو ابـن تجلات بلاسر. ثم ينتقل المؤلف مباشرة إلى عصر الآراميين، ويرى أن سبب قوتهم يعود إلى استعمال الجمل في حروبهم ضد المـلك الآشـوري شلمناصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م.) في معركة قرقر (٨٥٣ ق.م.) ويذكـر مشـاركة "جـندب" العربي في هذه المعركة ومعه راكبو الجمال ويسـميهم الجندوبيين. وقد أغفل ذكر معلومات نصوص التوراة عن الجمل لدى أهل مدين، وغيرهم من شعوب بلاد العرب في هذه الحقبة التاريخية. وكان لأهل مديـن دور كـبير في تربية الجمل، وتطوير استعمالاته، عندما حاربوا من فوق ظهور جمالهم، فاستخدموها في الحرب وفي التجارة.

١٣ - والباحث ر. بولييت R. Bulliet يذكر في مؤلفه عن الجمل The Camel and the Wheel ظهـور الجمـل مقترنًا بأهل مدين حوالي ١١٠٠-١٠٠٠ ق.م. وصفهم بأنهم "راكبو الجمال أعداء جدعون". وأن أهل مدين غزوا بجمالهم بني إسرائيل، حتى أخضعهم جدعون فيما بعد.

وهكـــذا رأيـــنا إهمال بعض الباحثين إيضاح تاريخ هذا الشعب المدياني، ودوره في تربية الإبل أو تطوير استخدامها. وأشـــار بعض الباحثين الآخـــرين إلى أهـــل مدين إشـــارات عابـــرة. أدى كل ذلك إلى بقـــاء المعلومات الواردة في التوراة المرجع الوحيد المتوافر حول هذا الموضوع.

ولاحظـــنا كذلـــك غيـــاب ذكر مدين حتى الآن من نصوص كتابات المسند المكتشـــفة فـــي شمال وجنوب بلاد العرب، باستثناء نصوص المسند التي ذكرت "أحنكت" ضمن أسماء وأنساب. وتم ربط اسم أحنكت باسم "حنوك بن مدين" ويبقى الأمل في احتمال العثور على نصوص جديدة تكتشف لاحقًا في المستقبل القريب.

وفي الختام آمل أن أكون قد وُفّقْت في الكشف عن جوانب مهمة من تاريخ أهـــل مديـــن، بواسطة تحليل المعلومات التاريخية التي توافرت لي. وأكون قد استكملت أجزاء الصورة التاريخية لدور هذا الشعب المدياني القاطن في منطقة شـــمال الحجـــاز. هذه المنطقة المهمة التي تشكل البوابة الغربية لشبه الجزيرة العربية وشريانها الاقتصادي.

وقد عمدت إلى تقسيم موضوع البحث إلى ستة فصول كالتالي:

الفصل الأول: دراسة أسماء الأعلام والمواقع المديانية.

الفصل الثاني: خصائص الحياة الاجتماعية.

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية.

الفصل الرابع: الحرف والفنون (الشواهد الأثرية).

الفصل الخامس: علاقات أهل مدين بجيرانهم.

الفصل السادس: العلاقات المديانية الإسرائيلية.

وأود أن أشير إلى أني استعملت في البحث صيغة "مدياني" في حالة النسبة إلى "مدين" وإن كان اسم "مدين" أعجميًا مثل جعفر، ولكن قد يوزن (مدين على مفعــل). فجــاءت النســبة عــندي عــلى صيغة "مدياني" قياسًا على ظبياني، وصــنعاني، وشــهراني،...إلخ. للتسهيل لفظًا وكتابة عن الصيغة المستعملة في المــراجع العــربية وهي: "مَدْيَني"، مما يلزمنا بتشكيل الكلمة بحركات الإعراب للــتفريق بيــنها وبيــن "مديني - مدني" أي من أهل المدينة والجمع مدينيون، ومدنيــون ويقــال مداينة أيضًا في النسبة إلى المدينة. واستعملت بالنسبة لمدين صــيغة الجمــع "مديانيون مديانيين" هكذا تسهيلاً في الكتابة وضبطًا للقراءة، ولعدم ورود أي خلط، وتخففًا من استعمال حركات الإعراب.

كمــا أنــني كتــبت أســماء الأعــلام والمواقع باللغات العربية، العبرية، والإنجــليزية خاصة الأسماء التي ذكرتها التوراة، وأما الأسماء الأخرى التي لم تذكــرها الــتوراة فقــد كتبتها باللغتين العربية والإنجليزية وذلك لضبط لفظها وتهجئتها كتابة، لتحري الدقة والضبط في أسماء الأعلام والمواقع، وبالله التوفيق والسداد.

الباحثة

د. عواطف أديب علي سلامة

الفصل الأول

دراسة أسماء الأعلام والمواقع المديانية

أ - الشواهد اللغوية المتصلة بتسمية مدين وأهلها :

١- مدين في القرآن الكريم.

٢- مدين في التوراة.

٣- عرض لبعض ماكتب عن مدين وأبنائه.

٤- تحليلات لغوية.

٥- تحليل لغوي لأسماء مديانية.

ب - الجغرافيا التاريخية لأرض مدين :

١- أرض مدين.

٢- جغرافيتها.

٣- تخوم مدين.

٤- أهم مدن مدين.

أ - دراسة للشواهد اللغوية المتصلة بتسمية مدين وأهلها Onomastic Evidences :

١- مدين في القرآن الكريم :

القـــرآن الكريم كتابنا، ولقداسة وأهمية إشاراته وقصصه عن الأمم السابقة لـــبيان العبرة والعظة؛ نورد بعض آيات من الذكر الحكيم تشير إلى مدين سواء مباشرة؛ أي بالاسم الصريح لمدين أو بصورة غير مباشرة بالتلميح أو باستعمال أسماء أخرى مرادفة لمدين أو مناطق تابعة لها. وخاصة التعبير عن أهل مدين باسم نبيهم. فقد ورد ذكر مدين ونبيها، وأهلها، وأرضها ومائها في عدة مواضع في القرآن الكريم، ضمن إحدى عشرة سورة [(١)].

والآيات هي :

قـــال تعـــالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا

---

(١) سـورة الأعـراف – سورة التوبة – سورة هود – سورة الحجر – سورة طه – سورة الحج – سورة الشعراء – سورة القصص – سورة العنكبوت – سورة ص – صورة ق .

ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (٢).

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا

---

(١) سورة الأعراف، الآيات : ٨٥ – ٩٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٠ .

رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِى أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٣).

قال تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٤).

قـال تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (٥).

---

(١) سورة هود، الآيات : ٨٤ – ٩٥.
(٢) سورة الحجر، الآية : ٧٨.
(٣) سورة طه، الآية : ٤٠ .
(٤) سورة الحج، الآيات : ٤٢ – ٤٤.
(٥) سورة الشعراء، الآيات : ١٧٦ – ١٩٠.

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّى أَن يَهْدِيَنِى سَوَاء ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظّلّ فَقَالَ رَبّ إِنّى لِمَا أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يأَبَتِ ٱسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلامِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِى إِن شَاء ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلاْجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١).

قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِى أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ ءايَـٰتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَـٰهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلاْخِرَ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى ٱلاْرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٣).

قال تعالى : ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لـئَيْكَةِ أُولَـئِكَ ٱلاْحْزَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ (٤).

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَـٰبُ ٱلاْيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ ﴿١٤﴾ (٥).

---

(١) سورة القصص، الآيات : ٢٢ – ٢٨ .

(٢) سورة القصص، الآية : ٤٥ .

(٣) سورة العنكبوت، الآيات : ٣٦ – ٣٧ .

(٤) سورة ص، الآية : ١٣ .

(٥) سورة ق، الآية : ١٤.

ونلخص فيما يلي أهم الأفكار والحقائق التي أوردتها الآيات القرآنية عن أهل مدين. وقد بينت الآيات :

١- حالتهم الاجتماعية.

٢- أوضاعهم الاقتصادية - تجارتهم - انحرافهم بالغش والتطفيف في الكيل.

٣- أظهرت ثراءهم وكثرتهم العددية.

٤- ذكرت انحرافهم عقائديا وخلقيا.

٥- مقارنتهم بأمم سابقة.

٦- إرسال النبي شعيب (ﷺ) إليهم.

٧- عقاب كفارهم وهلاكهم. نجاة النبي شعيب (ﷺ) والذين آمنوا معه.

٨- صلتهم بصاحب الدعوة الوحدانية النبي موسى (ﷺ).

٢- مدين في التوراة :

ورد أقدم ذكر عن مدين في نصوص مدونة أي وثائق مكتوبة؛ في بعض أسفار كتاب العهد القديم Old Testament - التوراة - فقد ورد اسم مدين مفردًا - مجردًا بصيغة مديان (مدين) ثم يرد بصيغ أخرى أيضًا. فالمفرد مديان מדין Midian[١]. وبصيغة الجمع المديانيون מדינים Midianites[٢].

وجاء بصيغة المضاف إليه أرض مدين - ארץ מדין وكاهن مدين. כהן מדין[٣]. وذكرت التوراة أبناء النبي إبراهيم (ﷺ) من قطورة: (وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا)[٤]. ويتكرر ذكر مدين في التوراة عدة مرات بلغ

---

(١) تكوين، ٢٥ : ٢ .

(٢) تكوين، ٣٧ : ٢٨.

(٣) خروج، ٢ : ١٥ - ١٦.

(٤) تكوين، ٢٥ : ١ - ٢.

مجموعها خمس عشرة مرة، وكانت محصورة في موضوع علاقة النبي موسى بالنبي شعيب (عليه السلام) ويشمل علاقة المصاهرة بينهما والعلاقة العدائية - الحربية التي قامت بينهما.

ومما تجدر ملاحظته عن التوراة وهي أقدم المصادر المكتوبة بالنسبة لذكر مدين - حتى الآن - أنها تستعمل اسم مدين فقط دون أن تتعرض إلى ذكر توضيحات عن مدين مثلاً أو مناطق مدين الأخرى. ولم تذكر أصحاب الأيكة مثلاً وفق ماورد في القرآن الكريم عنهم. ولا تصف التوراة طبيعة قوم مدين أو سلوكهم أو أوضاعهم سواء الاجتماعية أو السياسية.

أما عند الإشارة إلى يثرون - יתרו - Jethro كاهن مدين[1] فإن التوراة لاتتحدث عنه أيضًا ولا عن ديانته، ولا عن الدعوة التي نادى بها، واعتنقها بعض أهل مدين. أما القرآن فنجده بالمقابل يوضح مبدأ دعوة النبي شعيب (عليه السلام) [2] (يثرون). وتوحيد الله وعبادته وحده دون سواه. وإصلاح الفساد الاجتماعي، والاقتصادي[3].

وينحصر تعرض التوراة إلى مدين بشيء من التفصيل في أربعة مواضع :

أولاً : في سفر التكوين :

في إطار سرد أسماء الأمم والقبائل[4].

ثانيًا : في سفر الخروج :

وصف علاقة النبي موسى (عليه السلام) بمدين وبكاهنها[5].

---

(١) خروج، ٢ : ١٦، ٣ : ١.

(٢) انظر : هذا الكتاب، ص ٣٧ .

(٣) سورة هود، الآية : ٨٣ وما بعدها - سبق إيراد الآيات، انظر موضوع شعيب فيما يلي من هذا الكتاب، ص ١٥٤.

(٤) تكوين، ٢٥ : ١ - ٢.

(٥) خروج، ٢:١٦ وما بعده.

ثالثًا ورابعًا : في سفر العدد وفي سفر القضاة، تفصيل عن الحرب الأولى والثانية :

ذكر الصراع الذي قام بين أهل مدين وبني إسرائيل في عهد النبي موسى (عليه السلام)، والذي تجدد مرة أخرى في عهد جدعون(١).

ويلاحـــظ مع ذلك أن بعض ما كتب عن مدين مما وصل إلينا إلى الآن تنقصه الشمولية التاريخية من حيث إنه ليس تاريخًا واضحًا كاملاً عن مدين الأمة، ولا حتى تاريخًا أو سيرة عن النبي شعيب (عليه السلام)، الذي أرسله الله إلى أهل مدين وغيرهم. ولا عن دعوة التوحيد التي نادى بها. وهي التي نادى النبي موسى (عليه السلام) بها أيضًا.

والجديـــر بالذكر أن الآيات القرآنية التي تناولت معالم الحياة في مدين من جوانـــب مـــتعددة قد أغنت الصورة التاريخية عن هذا المجتمع، بصورة أكبر، وأشـــمل، لأنها حددت بإيجاز أهم النواحي التي تبين لنا بعض ما غمض وخفي ذكره في التوراة. ولم تهتـــم التوراة بذكر مدين إلا في مواضع علاقتهم بالنبي موســـى (عليه السلام)، وبـــني إســـرائيل من بعده. ثمّ تصمت بعد ذلك عن ذكر مدين تمامًا، ويرد ذكر مدين عابرًا في مواضع أخرى(٢).

٣- عرض لبعض ما كُتِب عن مدين وأبنائه :

جاء ت بعض المصـــادر التاريخية القديمة بإشارات عن مدين بن إبراهيم وإخوتـــــه. فذكـــر المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس Falvius Josephus – (القـــرن الأول م) أبـــناء النبي إبراهيم (عليه السلام) من زوجته قطورة ووضع ابنه مديـــن في المرتبة الرابعة بين أبنائه الستة. ثم ذكر أحفاد النبي إبراهيم ومن ضمنهم أبناء مدين (وعددهم خمسة)(٣).

---

(١) عدد، الإصحاح ٣١، قضاة الإصحاحات ٦ – ٨.
(٢) أخبار الأيام الأول، ١:٣٤، ٤٦؛ إشعيا ٤:٩، ٦:٦٠.
(٣) Josephus F.,"**The Works**" , Trans. By W. Winston , London , N.D. , Vol . , 1, Book 1 : 15: 68 .

وأورد ف. يوسيفـوس أيضًا اسم مدينة مدين؛ وهي التي فرّ النبي موسى (عليه السلام) إليهـا. وفي تعريفه بها قال : إنها تقع على البحر الأحمر، وأنها تحمل اسم أحد أبناء النبي إبراهيم (عليه السلام) من زوجته قطورة [١].

وجاءت أسماء بني إبراهيم لدى ف. يوسيفوس محرفة عما وردت عليه في التوراة كالتالي :

زمـبران Zambran ، يزار Jazar ، ومدان Madan ، مديان Madian ، يسباق Josobak وسـوس Sous. (ومن المعروف أن لفظ وكتابة الأسماء العربية وكلمات أخرى يطرأ عليها التغيير وقلب حرف السين إلى شين عند كتابتها باللغة العبرية).

وذكر ف. يوسيفوس أولاد مدين بأسمائهم نفسها دون تحريف أو تغيير وهم: عيفـة Ephas، وعفرن Ophren، وحنوك Anoch (فهل يقصد عنوك أو عناق)، وأبيـداع Ebidas ، وإلدعة Eldas[٢] ، ويلاحظ الاختلاف في اسم عفر فقد حوله إلى عفرن. وحنوك إلى أنوك أو عنوك.

وذكر المؤرخون المسلمون موضوع زواج النبي إبراهيم (عليه السلام) من قطورة نقلاً عن التوراة والإسرائيليات القديمة وعن بعضهم البعض. فذكر المؤرخ ابن جرير الطبري أبناء إبراهيم من قطورة (قطوراء) أو قنطورة بنت يقطن؛ امرأة مـن الكـنعانيين. وأحصى أسماء الأبناء الستة كما وردت: يقسان (يقشان) بن إبـراهيم، وزمران بن إبراهيم، ومدين بن إبراهيم، ويسبق (يشباق) بن إبراهيم، وسـوح (شـوح) بن إبراهيم، وبسر بن إبراهيم ثم ذكر الطبري أنه ولد لمدين أبـناء؛ هم : أهل مدين قوم شعيب بن ميكائيل النبي (عليه السلام). وأوضح أن شعيب وقومه من نسل النبي إبراهيم (عليه السلام) [٣].

---

(١) Ibid, Vol.1, BK 2 : 11 : 108.

(٢) Ibid, Vol. 1, BK. 2:15:68.

(٣) الطـبري، أبو جعفر محمد بن جرير. "تاريخ الأمم والملوك".ـ بيروت، د.ت، ج١، ص ١٥٩. ابن الأثير، أبو الحسـن علي الملقب بعز الدين. "الكامل في التاريخ".ـ بيروت، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م، ج١، ص ٧٠.

وجـــاءت أســـماء أبناء إبراهيم في التوراة كالتالي : زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا كما سبق ذكره. ويلاحظ بعض الاختلاف الطفيف على الأســـماء، كما يلاحظ عدم وجود اسم مدان فهو غير مذكور لدى الطبري وذكر بدلاً منه بسر بن إبراهيم.

أمـــــا أبـــنـــاء مدين بن النبي إبراهيم (عليه السلام) فهم : عِيفَـــه وعِفْر وحنوك وأبيـــداع وإلدعـــة [1] .

وذكــــر المـــؤرخ ابن خلدون أبناء إبراهيم من قطورة بنت يقطان وقيل: إن اســـمها (قـــنطورة) فأورد أسماء هم مع بعض التحريف وهم: زمران ويقشان ومـــدان ومديـــن وأشـــبق وشوخ. وأورد كذلك أسماء أبناء مدين وهم: عيفا، وعيفيـــن، وحـــنوخ، وأفيداع، وإلزاع[2]. مع ملاحظة الاختلافات البسيطة على صيغة الأسماء.

وتجـــدر الإشـــارة إلى أن هنالك اتفاقاً وإجماعاً على عدد أبناء إبراهيم من قطـــورة. وكذلـــك الأمـــر بالنســـبة إلى عـــدد أبناء مدين. وإن ظهرت بعض الاخـــتلافات فـــي أسمائهم من مصدر إلى آخر، ولكن لا يتغير الاسم كلية أبدًا حيـــث تضـــمن التشابه والمحافظة على أصل الاسم وجذره ما، عدا اسم مدان وبسر فهُما مختلفان تمامًا.

وقد جاء أقدم ذكر للعرب في الحوليات الآشورية منذ عهد الملك شلمناصر الـــثالث (٨٥٨- ٨٢٤ ق. م.) في معركة قرقر - Karkara ٨٥٣ ق. م.- حيث

---

(١) تكوين، ٢٥ : ١ - ٤.

(٢) ابـــن خـــلدون، عـــبدالرحمن بن محمد، "تاريخ ابن خلدون" المسمى "بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخـــبر فـــي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".- بيروت، ١٣٩١هـــ، ١٩٧١م، ج ٢، ص ص ٣٨، ٤٣.

ذكر أن جنديبو العربي Gindibu شارك بألف جمل ربما مع راكبيها – من جنود جنديبو العربي[١] .

أمـــا أقـــدم ذكـــر لبعض أبناء مدين وأحفاده فقد جاء في وثائق تاريخية آشـــورية أيضًا. حيث ورد في نص وثيقـــة من عهد الملك الأشوري تجلات بـــلازر الـــثالث (٧٤٤- ٧٢٧ ق.م). أن هذا الملك الآشوري أخذ الضرائب وجمعهـــا مـــن مـــلوك ومـــلكات بلاد غزاها وانتصر عليها. وسرد النص أسماءهم. وكان من ضمنهم ملوك مدن وشيوخ قبائل؛ فذكر قبيلة ماسا (مسا) ومـــن تيماء Masa of Tema ، وسكان سبأ Saba وهيافا (هيابا) Haippa – أي هـــا إيفـــا- (وتجاوزًا سنقرأها ونكتبها عيفة) – ، وبدانا Badana وهاتي أو خـــاتي (حاتي) Hatti. وذلك للتشابه بين مخارج حروف الحاء والخاء والهاء وقبيلة Idiba' lean – أي الأدبئيليين[٢] . ويقلب الباحث ألويس موسل Alios Musil حـــرف الباء إلى ميم في اسم بدانا حيث تصبح مدانا أو مدان ويقصد بها قبيلة مدان أخي مدين[٣] .

وقـــد اســـتعرض أ٠ موسل في مؤلفه الخاص بشمال الحجاز أغلب ماكتبه

---

(١) شن الملك الآشوري شلمناصر الثالث حملته هذه على بلاد الشام وحاصر دمشق وغيرها من مدن بـــلاد الشام وتحاربوا في موقع قرقر علي نهر العاصي ثم واصل إلى فلسطين وأخذ من الحكام الإتـــاوات والأسرى ، باقر ، طه – "**مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة**" . ـــ ط٢. ـــ بغداد ، ١٩٨٦م، ص ٥٠٦.

Pritchard, J.," **Ancient Near Eastern Texts Relating to The old Testament.** " , 2nd Ed., Princeton, 1955, pp. 276-279.

(٢) Pritchard, **Ancient Near Eastern Texts**, p. 383.

(٣) موسل، أ. ، "**شـــمال الحجاز**"، تر٠ عبدالمحسن الحسيني. ـــ الإسكندرية ، ١٩٥٢ ص ص ٨٥ – ٨٦ ، ٨٩ – ٩٠ .

الكـــتاب العرب من مؤرخين وجغرافيين وكذلك ماكتبه الكتاب الأجانب. وكتبوا عن مدين القبيلة ومدين المنطقة (الأرض) وماء مدين(١).

وقام من الكتاب الأوربيين الباحث ريتشارد بيرتون Richard Burton بالكتابة عن مدين بعد أن زار المنطقة بنفسه في القرن التاسع عشر م. منقبًا عن آثارها وباحثًا عن مناجم الذهب فيها(٢).

ونـــرجح بأن ماكتبه المؤرخون والباحثون عن مدين كان كثيرًا جدًا وأكثر ممـــا بين أيدينا؛ الآن لأهمية مدين. ولكن نظن أن الكثير من المدونات قد إندثر ولم يصل إلينا. ومابقي لنا سوى إشارات ، ونبذات متفرقة ومكررة لأنها منقولة عن بعضها وترتكز أهمية مدين على ما يلي :

أولاً : تعد مدين موقعًا جغرافيًا مهمًا.

ثانيًـــا : أن مديـــن كـــانت مركزًا اقتصاديًا كبيرًا بالنظر إلى الموقع والموارد الطبيعية فيها.

ثالـــثًا : كان لمدين دور تاريخي مهم بالنسبة للناحية الدينية لأن دعوة نبيهم شعيب (عليه السلام) إلى الوحدانية باكرة جدًا زمنيًا.

رابعًـــا : كـــان لدعـــوة نبيهم أهداف اجتماعية تدعو إلى الإصلاح وإرساء مبادىء الأخلاق.

وبالمقـــابل حظيـــت مـــنطقة مدين بالذكر في الكتابات الجغرافية وبصورة مســـتمرة. وتعـــد الكـــتابات الجغرافية أوفر من غيرها وإن كانت عبارة عن إشارات أو نبذات مقتضبة جاء ت في بعض كتب التاريخ.

---

(١) موسل، المرجع السابق، ص ٦٩ وما بعدها.

(٢) Burton, R., "**The Gold Mines of Midian and The Ruined Midianite Cities**" , England, 1979, p. VII-XXVII.

تحـــدث الجغرافي كلاديوس بطليموس Claudius Ptolemy (القرن الثاني م.) عن موقع بلاد العرب السعيدة Arabia Felix. فجعل حدها الشمالي بمحاذاة حدود بلاد العرب الصخرية Arabia Petraea، وبلاد العرب الصحراويةArabia Deserta. ثـــم وصف الشاطىء الساحلي الذي يبدأ من رأس الخليج العربي (البحر الأحمر) عـــند الخليج اللحياني Elanite Bay. وسرد أسماء بعض المدن المطلة عليه. فبدأ بذكـــر أُمـــن Omen وأورد بعدها مباشرة مدينة موديانا Modiana. وغيرها من المـــدن الأخـــرى الـــتي لامجال لذكرها هنا. ثم ذكر أن الثموديين سكنوا على الشاطىء الأعلى لهذا الخليج[١].

وأكـــد الـــباحث شـــارلز فورستر Charles Forster أن بطلميوس قصد بالخـــليج اللحياني مايعرف اليوم باسم خليج العقبة الذي يمثل رأس البحر الأحمر[٢].

وتـــابع بطـــليموس أن السكينتي Scenitae (أي سكان الخيام) كانوا يسكنون في الداخـــل شـــمالاً. كما أورد عددًا آخر من المدن التي عدها في الداخل ومنها: مقنا Macna (كـــذا) ثم ذكر مدياما Madiama وذكر ضمن المدن أيضًا بدايس Badias[٣]. فهل يقصد البدع أو هي بدا أو مشتقة من أبيداع (أبيدا - عبيدة) Abida[٤].

ثـــم اتضـــح موقع سكان مساوتيما والسبئيين، وسكان Haiapa (عيفة) وبدانا (مـــدان) وهـــاتي، والأدبئيـــليين Idiba'leans من إقليم الغرب. وأشار النص في

---

(١) Ptolemy, C., "**Geography of Claudius Potlemy** " , Trans. And Ed. By Edward Luther Stevenson, New York, 1932, Book 6, 7 : 137.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب وآخرون. "مواقع أثرية وصور من حضارة العرب".ـــ الرياض ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص ص ٨ - ٩ .

(٢) Forster, Ch., "**Historical Geography of Arabia**" , London, 1984, Vol. 1, p. 337.

(٣) Ptolemy, Op. Cit., BK. 6 : 7 : 138-139.

(٤) Forster, Op. Cit., vol. 1, p. 348.

الوثيقـــة الآشـــورية إلى أنها البلاد البعيدة ، ثم كرر النص ذكر الضرائب التي أخذها الملك واشتملت على كل أنواع التوابل. وذكر أنهم قبلوا أقدام الملك.

وذكـــر المـــلك سرجون الثاني الآشوري (٧٢٢- ٧٠٥ ق.م.) أنه ببركة آشور سيده تمكن من سحق قبائل تامود Tamud ، وإباديدي Ibadidi ، ومرسمانو – Marsimanu ، وعيفة – Haiapa ثم يشرح عن ظروفهم وأحوالهم ويعرف بهم؛ بـــأنهم العرب الذين يعيشون بعيدًا في الصحراء، وهم الذين لايعرفون مشرفين ولا موظفين. والمهم أنهم تمردوا، ولم يدفعوا ضرائب لأي ملك من قبل[١].

ونستخلص من تلك الوثائق الآشورية المشار إليها أعلاه، أسماء بعض أحفاد مديـــن ومـــنهم عيفـــة ومدان (بدانا) أو كما يذكرها المؤرخ جواد علي Hajapa، Hayapa باعتـــبار أن حـــرف – J – يقابل حرف الياء كما في اللغة العبرية. مع ملاحظة ورود ذلك في بعض لهجات أهل جنوب وشرق بلاد العرب، ولكنه عندما يعـــربها – أي يحولهـــا فـــي اللغة العربية إلى خيابة. ويذكر أن بعض الباحثين يفترضـــون بأنها عيفة المذكورة في التوراة أي عيفة بن مدين[٢]. وهذا الأصوب كمـــا يرجح فترجمتها إلى إيفا أو عيفة باعتبار أن الهاء للتعريف. وحرف الألف يقابل حرف العين. وحرف ب P اللاتيني نلفظه في اللغة العربية فاء.

أمـــا أباديدي فيظن أنها عباديدي[٣]، ولكن الأرجح أنها أبيداع وقد اعتراها شيء من التحريف.

---

(١) Pritchard, Ancient Near Eastern Texts, pp. 284 – 286, Noldeke, "Th., Midian, Ency Biblica"., ed. T.U. Cheyne and J.S. Black, London, 1906, Vol. 3, p. 3080.

ويشـــير نولدكة بأنه يجب لفظ الاسم عيافة Haiapa أو عيافا. وفي حديثه عن عيفر يذكر بأنها هي قبيلة غفار والتي كانت تسكن قرب يثرب في عصر النبي – ﷺ – انظر المقالة نفسها.

(٢) جواد علي، "**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**". ــ ط٢ . ــ بيروت، ١٩٧٦م، ج١، ص ص٥٨١ – ٥٨٢، ٥٨٥.

(٣) جواد، علي، المرجع نفسه، ج١، ص ٥٨٦.

كمـــا نلاحـــظ تحديـــد هوية تلك القبائل المذكورة في النص بصفة خاصة، وتسميتهم باسم (عرب)، وتعد هذه الوثائق الآشورية أقدم وأول وثائق ورد فيها اســـم العـــرب وأسماء من مدين• إضافة إلى ماورد في التوراة عن ملوك بلاد العرب الذين قدموا الذهب إلى الملك سليمان (س) [(١)].

والملاحظـــة الأخـــرى التي يجدر أن يشار إليها أن هنالك تبادلاً في إطلاق الاســـم على الموقع (المدينة) والقبيلة. حيث يتم إطلاق التسمية تارة على المدينة وتارة أخرى على القبيلة. وفي نص الملك تجلات بلازر الثالث ٧٤٤ – ٧٢٧ق.م يرد ذكر عيفة وبدنا وهاتي مع قبيلة أدبئيل• وفي النص الثاني من حوليات الملك نفســـه يذكـــر : مســـا Mas'ai، وتيمـــا Tema، والسبئيين Sabaeans، وسكان عيفة Haiappa، وبدنا Badana، وهاتي Hattia، والأدبئيليين Idiba'leans .

وجـــاء في نص حولية الملك سرجون الثاني أنه انتصر على قبائل العرب وهـــم: تـــامودي Tamudi، وأبـــاديدي Ibadidi، ومرسماني Marsimanu، وعيفة Haiapa[(٢)].

وقد أفاض الباحثون في تحليل أسماء هذه القبائل ويهمنا منها أباديدي ولعلها أبيداع، ومرسماني التي ذكر ش• فورستر بأنها زمران بن إبراهيم وهيافا، وهي بلاريـــب عيفـــة[(٣)]. وتعـــني كـــلمة إياف أو جياف في اللغة العبرية – طويل اللحية[(٤)].

---

(١)« وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ست مئة وستا وستين وزنة ذهب ماعدا الذي من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض »، انظر : الملوك الأول ١٠ : ١٤ – ١٥.

(٢) Prichard, Ancient Near Eastern Texts, p. 28.

(٣) Forster, Op. Cit., Vol. 1, p. 321, p. 343.

(٤) Knauf. E., Midian., Wiesbadan, 1988, p. 79.

٤- تحليلات لغوية :

أمـــا مديـــن في اللغة العربية فيذكر صاحب تاج العروس بأنها اشتقاق من الجـــذر مـــدن، ومعـــناه أقام بالمكان• وهو فعل ممات، وتشتق منه كلمة (مدن المدائن تمدينا) أي مصَّرها•

ومديـــن كجعفر اسم أعجمي، وإن جاء مشتقا فالياء زائدة. وقد يكون على وزن مفعلا وهو أظهر.

ومديـــن أيضـــا هي قرية النبي شعيب (عليه السلام) وقد نسبت إلى مدين بن النبي إبـــراهيم (عليه السلام) والنســـبة إليهـــا مَدْيَنى ثم ينتقل إلى ذكر مدينة النبي ﷺ ومدائن كسرى••• الخ[1].

ويســـتنتج مـــن ذلـــك أن مدين بن النبي إبراهيم (عليه السلام) هو الذي مدن تلك المـــنطقة أي أقـــام فيهـــا ومصَّرها فهي مدينته. أسسها وأقام فيها ونسبت إليه وحملت اسمه.

ويضـــيف صاحب القاموس المحيط بأن مدن أقام في المكان. ومنه المدينة للحصـــن يبـــنى فـــي أصطمة أرض. والمدان كسحاب وهو صنم[2]. عبد في الجاهـــلية فهـــل يمكـــن الاستنتاج بأن صنم المدان منسوب إلى مدان بن النبي إبراهيم (عليه السلام) أخي مدين.

وهـــل نجد رابطا بين مدين والمدينة المنورة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقديما عرفت باسم يثرب.

ولا يذكـــر صـــاحب لسان العرب، ولا مختار الصحاح شيئاً عن مدين قوم النبي شعيب (عليه السلام). وإنما يقتصران على التحليل اللغوي اشتقاقا من الجذرين –

---

(١)الزبيدي، محمد مرتضى، "**تاج العروس من جواهر القاموس**" . ـــ بيروت، د•ت، ج٩، ص ٣٤٣.

(٢)الفيروزأبادي، مجد الدين بن محمد بن يعقوب، "**القاموس المحيط**"، دار الجيل، د• ت، ج٤، ص٢٧٢ .

مـــدن ودان. ويـــرد اســـم الديَّان كأحد أسماء الله الحسنى - بمعنى القاضي - والديان من مشتقات الجذر دان[1].

فهـــل يمكن إيجاد الصلة بين مدين (مديان) ومدان، ودين، وديان، ومدِين. مما قد يقدم الارتباط العملي بين الاسم والمهنة، فيبرر الاشتقاق اللفظي اللغوي اشتغال أهل مدين بالتجارة.

وتعـــني كـــلمة ديـــن في سبأ (أرض سقي). ومدين في اللغة العربية تعني الاتســـاع والامتداد، ويفترض أن كلمة مدين عربية قديمة كانت سائدة في اللغة السامية الجنوبية أيضًا[2].

٥- تحليل لغوي لأسماء مديانية :

وقياسًا على ماتقدم هل يمكن أن نقول أن زمران على وزن مفعال (مدين - مديان) وجذرها زمر بمعنى ضرب أو نفث في المزمار - آلة عزف - وجمعها مزاميـــر - مزاميـــر داود - أو بمعـــنى نصر، والزُمَر الجماعات[3]. والزَّمِر: الحَسَـــن، وبـــنو زمير بطن[4]. وتعني زمران، تيسًا جبليًّا وقد تسمى به القوم واتخذوا هذا الحيوان طوطما لهم.

أمـــا يقشان فقيل إنه تحريف للاسم يقطان وقيل بل نسبة إلى موضع يدعى وقش أو يقش ويقع في اليمن.

ويشباق أو يسبق، وشوحا أو سوحا أو سوخ فقد تباينت الآراء حول معاني هذيـــن الاسمين ومواضعهما. وذكر اسم موضعين في سورية كما جاء في نص

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، "**لسان العرب**"؛ إعداد يوسف خياط. ــ بيـــروت، د.ت، ج١، ص ١٠٤٣. الرازي، محمد بن أبي بكر عبدالقادر، "**مختار الصحاح**"، مصحح سميرة خلف المواكي.ــ بيروت، د.ت، ص ٤٥١.

(٢) Knauf, Midian. PP. 77-79.

(٣) الرازي، المرجع نفسه، ص ٢٠٨.

(٤) ابن منظور، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٤٥.

شلمنصر الثاني وتجلات بلازر الأول (١١٦ – ١٠٩٠ق.م)، وورد سوخ كاسم لموقع قرب الفرات في ٦٦٨ – ٦٣٣ ق.م نص آشور بانيبال. وذكرت التوراة بلدد الشوحي صديق النبي أيوب (عليه السلام) [١]. ورأى بعض الباحثين أن شوح محرف من شُبك؛ وهو موضع على السكة الرومانية الموصلة إلى العقبة [٢].

وأنجب إخوة مدين العديد من الأبناء. فتكاثروا وكونوا شعوبًا وقبائل وعمارات، ولكن اسم مدين أصبح علما على جميع إخوته بني أبيه؛ أي أبناء النبي إبراهيم (عليه السلام) من زوجته قطورة فأصبح مدين علما عامًا جامعًا[٣]. والمعروف أن أصل أهل مدين من شبه جزيرة العرب لأنهم من سكان الحجاز استوطنوا فيه بأرض مدين[٤].

على ضوء الشواهد السابقة هل يمكن أن نستنتج أن أهل مدين استقروا في الحجاز أولاً شأن إخوتهم الإسماعيليين. ثم اتجهوا شمالاً ليستقروا في منطقة شمال غرب الحجاز أي أرض مدين؟ أم أنهم انتشروا في منطقة الحجاز بكاملها.

أما بالنسبة لتحليل أسماء أبناء مدين فإنه يتم من جهة عن طريق تتبع مناطق معيشتهم وانتشارهم ، ومن جهة أخرى عن طريق الاستفادة من الشواهد اللغوية واشتقاقات أسماء الأعلام من أبناء مدين ونأمل أن نوفق في إتيان مصادرها.

ونجد بعض الأمثلة والنظائر لتلك الأسماء – فمثلاً إذا اعتبرنا اسم أبيداع اسما مركبا من العنصر أب يدع (أو يداع) فنجد أن هذا الاسم من نمط الأسماء

---

(١) جواد علي، **المفصل**، ج١، ص ص ٤٥١، ٤٥٦ – ٤٥٧. أيوب، ٨ : ١.

(٢) Forster, Op. Cit., Vol. 1, pp. 352-353.

(٣) Ibid, Vol. 2, p. 16 .

(٤) جواد علي، **المفصل**، ج١، ص ٥٧٤.

العربية الجنوبية مثل أبيثع• وبمثل ذلك نتعامل مع اسم إلدعة. فنرى أنه مركب أيضًـا من العنصر إيل (إل) اسم الذات الإلهية واللاحقة (دعة) وربما دعا. كما جاء في أسماء ملوك جنوب بلاد العرب مثل (إليدع باين)، و(إلشرح)، و(المقه)؛ ونرى أن (المقه مركب من إيل بصيغة الجمع إيلم وكلمة وقي أو وقه). فنجد أن أسـماء الأعلام هذه تحمل اسم المعبود (إيل) والذي قد يدل على اسم الرب المعبود. ولكنه في الأصل جذر ثنائي (إل) سامي كغيره من الجذور الثنائية.

واحتواء أسماء الأعلام المركبة على اسم الرب (المعبود) ظاهرة شائعة في بلاد العـرب• وقـد تأتي كبادئة للاسم كما مرّ بنا• وقد تأتى لاحقة في نهاية الاسم مثل أعلام أخرى: إسماعيل (سمع – إيل) وإسرائيل (أسر – إيل)، ورفائيل (رفا – إيل) وجـبرائيل (جـبر – إيـل)• ويمكن أن يقال أبيدع (أب – يدعو أو يدعو – أب)، وإلدعه (إيل – دعا أو دعا – إيل) [1]. ويظهر عنصر اسم الرب في اللغة العربية، وفي اللغة العبرية كعنصر مشترك بين اللغتين.

ومن جهة أخرى فالعنصر (عم) و (أب) استعملا في أسماء الأعلام كنظائر لاسم الرب – إيل، لأن عم وأب كانا من معبودات جنوب بلاد العرب. ويبدو أن هذا الأسلوب إرث واضح ومباشر في تراث بلاد العرب. وجدناه مستعملا أيضًا فـي الأسـماء التوراتية. ويظهر كبادئه أو لاحقه في بعض أسماء الأعلام مثل عمرم (عم – رم) **עם רם** ، ورحبعام (رحب – عم) **רחב עם** ، ويربعام (يـرب – عـم) **ירב עם** . ويبدو من هذه الشواهد أنه لايوجد سبب كافٍ لـرفض اقتـباس هذا الإرث السامي العربي، حيث تحتوي النقوش العربية الجنوبية على اسمي (عم) و(أب) في بعض أسماء الأعلام• الأمر الذي يسر

---

(١) يذكر جواد علي ضمن الملوك العرب الذين حاربهم الملك الآشوري أسرحدون ٦٨١ق•م•: الملك ليـلى Laili (ليـلة Laiale – ربمـا ليـنيل) مـلك (ياديء – ياديا – يدع Jadi' , Iadi^c^) • وقد وقعـوا فـي أسـره لكن ملك يدع تمكن من النجاة من الأسر وهرب ثم ذهب إلى نينوى وطلب الصفح من الملك أسرحدون فقبل منه. وذكر منطقة أخرى باسم (بداء – بدع انظر: المفصل ج١، ص ٥٩٥. وربمـا أن مـنطقة يدع، وبدع من أرض مدين، فيدع منسوبة إلى الدعة، وبدع واحة مديانية معروفة.

إعطـــاء تفســـير وتعـــليـــل واضحيـــن لتلك الأسمـــاء الواردة في نصوص الـــتوراة [1]. وهكـــذا نجد تعليلاً واضحًا لبعض أسماء الأعلام العبرية بين أصل منشئها، مما وضح معانيها الحقيقية ولكن هذا التعليل موجود في اللغة العـــربية، وليـــس مـــن اللغة العبرية، مثلا في أسماء أخرى العنصر صدق צדק فـــي اسم (יהוה צדק يهوى صدق) معناه مأخوذ من اللغة العربية (من الصدق) والبادئة اسم المعبود يهوه وهكذا[2].

أما اسم عيفة بن مدين فإضافة إلى ماتقدم ذكره فنجد أنه مشتق من العيف؛ وهـــو كراهية الشيء، ومنه عائف، وعيفانا، وعيوف. ومنها عافت البقر الماء والإبـــل كذلك، وتعوف الطير على الماء وعلى الجيفة أي تحوم عليه أو حوله. والعيافة: زجر الطير، والعائف الذي يزجرها[3].

وعيفر بن مدين أو عِفر أو عفرون، فللكلمة معانٍ عديدة منها: عَفْر – عَفَر: أي ظاهر التراب وعُفر: البياض. واليعفور هو الظبي. وكان اسما لحمار النبي (ﷺ). وقد شبه بالظبي أو اليعفور لسرعة سيره. وقيل اليعفور الجزء من الليل أو الأيـــام ٧– ٨– ٩ من الشهر وذلك لبياض القمر، ورجل عفر: خبيث منكر داهٍ. قال الخليل "شيطان عفرية" وعفريت والجمع العفارية، والعفاريت. والعفر: الشـــجاع الجـــلد، والشـــديد القوي والجمع أعفار وعفار. والعفر تلقيح النخيل، والعفـــار: شجر يتخذ منه الزناد. وقيل في الأمثال (أقدح بعفار أو مرخ ثم أشدد أو أرخ) والمعافر برود يمانية نسبة إلى معافر اليمن[4].

وآخر أو أصغر بني مدين هو حنوك أو عنوق، ومن معاني حنوك (هنوك) أن الحـــنك: بـــاطن أعلى الفم من الداخل للإنسان والدابة. والتحنيك: دلك حنك

---

(١) Margolioth, D., "**The Relations Between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam**", London, 1924, p. 17.

(٢) Ibid, p. 14-15.

(٣) ابن منظور، المرجع السابق، ج٢، ص ص ٩٤٣ – ٩٤٤.

(٤) ابن منظور، المرجع السابق، ج٢، ص ص ٨٢٠ – ٨٢٢.

المولـــود بعســـل أو تمر. والحنكة: السن والتجربة والبصر بالأمور، والمحتنك الرجل المتناهي عقله وسنه. والحنك: العقلاء جمع حنيك وهو الشيخ. يقال رجل محـــنوك وحـــنيك ومحتنك والقلب من الياء في حنيك إلى الواو وارد في بعض الكلمات كما في حنوك[1].

وتوجـــد مديـــنة باســـم "حنك" في اللغة العبرية. وكانت المدينة معروفة في القـــرن الثالث عشر والثاني عشر ق. م. كما ورد هذا الاسم لشخص في الكتابة الصفوية عدة مرات. وجاء اسم حنيك وبنو حانك في المناطق اليمنية الساحلية، ويمكـــن الـــربط بين بني حانك و(حنكتن) و(حانوكال) التي وردت في النقوش الســـبئية العـــائدة إلى القـــرن الأول ق. م. وجاء اسم إحدى نساء القبيلة وهي (أحيـــات بنت توبان الحانكتينية) ورفيقتها (سامنات بنت بناعل) وقدمت أحيات الحانكتينية نقوشا تطلب فيها الغفران. وجاء في النقوش أيضًا اسم حانيكتين الذي كان يعمل في خدمة ملكة سبأ.

ويظهـــر لـــنا الأصل العربي الشمالي لهذه القبيلة بشكل واضح من شاهدي قبري امرأتين من جنوب بلاد العرب أيضًا. ونظرا لظهور أسماء نساء كثيرات فـــإن ذلـــك يشير إلى الدور القوي الذي كانت تؤديه النساء والمكانة العالية التي كانت لهن. وبدأ كلا النقشين بكلمة "نفس وكبر" وهي عبارة منتشرة في المناطق الشمالية من بلاد العرب بالإضافة إلى وجودها في الكتابة الأحسائية. واستمرت فـــي اللحيانية وورد في النقش الآخر أداة التعريف (أل) الموجودة إلى اليوم في الـــلغة العربية الفصحى وجاءت في كلا النقشين (ذ ت - أل - أحنيكات) ومن خلال ذلك نجد أن الحانكيين قد تحدثوا باللغة العربية[2].

وإذا كانوا تجار قوافل الجمال في المنطقة العربية الشمالية واستوطنوا مدنا كـــثيرة منتشرة في شمال وجنوب بلاد العرب ، وكانوا يتمتعون بقسط وافر من

---

(١) ابن منظور : المرجع السابق ، ج١، ص ص٧٤٠ - ٧٤١.

(٢) Knauf, Midian, pp. 81-82.

الـــثراء والـــنفوذ السياســـي ، فمن المحتمل جدا أن تكون هذه القبيلة أو السلالة مـــنحدرة مـــن قبيلة حنوك المديانية• نظرًا لأن المديانيين كانوا مهتمين بتربية الجمال ومن أكبر تجار قوافل بلاد العرب(١).

أما إذا كان الاسم عنوق – Anock (عنوك) كما ذكر ف. يوسيفوس. فيخرج إلى معانٍ أخرى لن نفصل فيها. لأن أغلب المراجع ذكرت الاسم بصيغة حنوك Hanock وليس عنوق أو عنوك.

وقـــام الباحث ج. مندن هول – G. Mendenhall بدراسة أسماء أعلام مديانية وفـــق مجيـــئها فـــي النصوص التوراتية؛ فأرجع العديد من أسماء الأعلام في فلســطين، وشرق الأردن، ومدين إلى أصل أناضولي. رغم وجود نظائرها في اللغات السامية وقد برر ذلك بأن بعض أسماء الأعلام وجدت منفردة ومقتصرة عـــلى حالات فردية، غير متكررة. فربط مثلاً بين اسم مدين Midian ومادي Madai والميدييـــن Medes• ويـــرى أن نصف أسماء الأعلام في مدينة أوجاريت مشـــتقة مـــن أحـــد الفروع المتعددة للغات السامية؛ التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، وكان يحدث مثل ذلك في مدن الجنوب الأكثر بعدًا، ولكن بدرجة أقل(٢).

فإذا كان نصف أسماء الأعلام في مدينة أوجاريت الواقعة شمالا مشتقة من أحـــد فـــروع الـــلغات السامية المنتشرة آنذاك كما يزعم. فكيف يتعين أن تكون

---

(١) Knauf, Midian, pp. 81-82.

(٢) Mendehall, G., "**The Tenth Generation**", London, 1973, pp. 167, 171, "The Bronze **Age Roots of Pre Islamic Arabic.**", "**Qurayya And The Midianites**". Studies in History of Arabia, Riyadh, 1404, Vol. 1-2, pp. 95, 137-138.

وذكرت موسوعة التاريخ القديم أن بيروس (المؤرخ الكلداني أو البابلي) ذكر ماداي وهم من بني يافث وتســـموا الإيـــرانيين وعاشـــوا حوالي ٢٣٠٠ ق. م. فأسسوا لهم دولة مادية• ثم بادت آثارهم• أما المـــاديون فهم أمة قديمة أيضًا ولكنهم ظهروا في القرن التاسع ق. م. انظر بورتر، هارفي، "**موسوعة مختصـــر الـــتاريخ القديـــم**". ــ ط١. ــ القاهرة، ١٤١١هــ / ١٩٩١م، ص ٨٤• ويتضح الفارق الزمني الكبير والمنحدر المختلف فهم من بلاد إيران.

أسماء الأعلام الفلسطينية، والمديانية ذات أصول أو معانٍ أناضولية مع ملاحظة أنها أبعد موقعًا باعتبارهما في الجنوب. والأرجح أن الأصول الأناضولية تشكل قـلة في المجموع العام لتلك الأسماء في فلسطين ومدين، خاصة إذا نظرنا بعين الاعتـبار إلى وجـود فـروع أخـرى مثل اللغات الهندية والإيرانية والحثية؛ بالإضافة إلى الأناضولية وهي من مجموعة اللغات الهندو أوربية. فلماذا يزعم أن أصول تلك الأسماء أناضولية فقط ويهمل الإيرانية مثلاً أو الهندية.

ويقسـم ج. مـندن هول الأسماء المديانية إلى مجموعتين منتظمتين معتمدًا على رأيه المتقدم أعلاه كالتالي:

١- المجموعـة الأولى : تـتركب من أسماء يمكن مطابقتها مع المرويات الإسـمية فقـط فـي مدينة ماري Mari [(١)] وبلاد آمورو Amurru [(٢)] وتتكرر بعد حوالي خمسمائة سنة في المصادر الأوجاريتية.

٢- المجموعـة الـثانية : لـم تظهر أبدًا في اللغات السامية خلال عصر الـبرونز. ولكن ربما - وإن لم يكن مؤكدًا. أنها سابقة في لغات بلاد الأناضول العديدة مثل: الحورية، والحثية، واللوفية[(٣)].

ونخـتار مـن قائمته بعض الأسماء المديانية لنتعرف على طريقة تحليلها وتأريخها وإيجاد نظائرها في لغات أخرى :

---

(١) موقـع سـوري، يقـع على بعد ٥ر٢ كم من مجرى نهر الفرات الأوسط وعلى بعد ١١ كم من الشمال الغربي لموقع (أبو كمال) على الحدود بين سوريا والعراق. قامت بها دولة ماري. وتأتي أهـم الشواهد التاريخية من الطبقات الست لمعبد الإلهة عشتار الموجودة فيها من (A - F) ومن ملوك دولة مدينة ماري: لمجي - ماري Lamgi Mari وزمري ليم Zimri lim انظر :

"**The Cambridge Ancient History**". London, 1978, Vol. 1, Part 2 A, p. 291 ff.

(٢) وهـم الآموريون من الشعوب السامية عرفوا في اللغة الأكادية باسم آمورو وفي اللغة السومرية باسم مارتو Martu استقروا في سوريا. انظر: البحث فصل العلاقات ، ص ٤٢٥.

The Cambridge Ancient History، Vol. I، Part 2 A، p. 562 ff.

(٣) Mendenhall، Qurayya And. The Midianites، Vol. 2 ، p. 139.

١- صفورة : زوجة النبي موسى (عليه السلام) وابنة كاهن مدين.

اللغة الآمورية : صا - فور - سا - ليم؛ صو - أف رى راه.

اللغة الأوجاريتية : صفر - صفرن -؛ صو - فا - را نو.

اللغة العربية: صفرة - ظفر - ظفرون - زفر. وحديثًا ظفار. ولايظهر اسم صفورة إلا في اسم صفور أبو بالاق ملك مؤاب.

٢- يترو : حمو النبي موسى (عليه السلام) - من الجذر وتر.

الآمورية : يا - تار. والنقل بين الواو والألف شائع في اللغة الآمورية.

الأوجاريتية : يا - تار.

العربية : يتر في الصفويه والثمودية. انتقلت عن طريق الكنعانيين. وهي أصلا في السامية وتر، شائعة في العربية الشمالية والجنوبية.

٣- رعوئيل : حسب مرويات مختلفة فهو حمو النبي موسى (عليه السلام).

الآمورية : إ- لا - را - حي - يا. (نظام كلمات معكوس).

الأوجاريتية : ر - ع ى.

العربية : (صفوية) ر - ع - ى، و ر - ع - ى إ - ل.

٤- حوباب : اسم آخر لحمو النبي موسى (عليه السلام) "القيني" لم يرد في الآمورية. وجاء مرة في الأوجاريتية ولم يستعمل في كنعان فمن المحتمل أنه من أصل أجنبي.

الحورية : حوباب، حومباب. عنصر شائع.

العربية : حبب، حبب. ومما لاشك فيه متوافقة مع جذور عربية شائعة.

٥ - قينى : ليس في الآمورية . جاء مرة في الأوجاريتية وغير مستعمل في الكنعانية . وقد ورد في المصادر التوراتية اسما لأحد أبناء آدم (عليه السلام).

وهــو توبال قايين[1] وارتبط هكذا توبال بالأرض الأناضولية حيث يوجد الحديــد بالإضــافة إلى ارتباطه بالتعدين . ربما أنه أناضولي قديم ، هندو أوربي ؟ ويعني جذره عدَّن.

العربية : قين.

٦- مديــن : قبيلة يثرو. لايوجد لا في الآمورية، ولا الأوجاريتية ولا الكنعانية ماعدا عند الإشارة إلى المديانيين.

أناضولي: الجذر – ماد – شائع تماما ويحتمل اتصاله بمادي – وميدي.

العــربية: مــدى – حســب ما أورده "هاردنج" أنه يطلق على الميدين في "الصفوية"[2].

تحليل أسماء الملوك الخمسة للمديانيين :

٧- أوى : لم يبرهن عليه ماعدا في الفينيقية المتأخرة في شمال أفريقيا.

الحورية : أوى (تى) وتعنى أسد.

العربية : (صفوية) أوى، أويت.

٨- راقــم : لــم يثبت كاسم شخص في السامية الباكرة وهنالك موقع فلسطيني جــنوب غــرب القــدس واسم المدينة التي دعاها الإغريق "بترا" في شرق الأردن. وليــس له أصــل سامي مقبول. ومن الممكن مشابهته لأصل كلمة صخر في الإنجليزية كترجمة من السامية "صر"، والاغريقية "بترا".

العربية: (ثمودية) رقم.

٩ – حــور : ســامي شــائع تمامــا فــي مقطعية جبيل وإيبلا، والآمورية، والأوجاريتية والكنعانية. ويحتمل أن له أكثر من جذر كما تدل على ذلك الصفوية.

---

(١) تكوين، ٤ : ٢٢.

(٢) Mendenhall، Qurayya And The Midianites، Vol. 2 ، pp. 139 - 146.

العربية : حر ، حور ، وعر.

وفـــي تحـــليل اســـم مدين بالذات نجد تجاهل ج. مندن هول للجذر العربي ومعانيه واشتقاقاته كما أوردناها، ص ٢٨ من البحث.

١٠- صور: شائع، ساميٍ قديم جدًا.

١١- رابع : ليس له سلف ساميٍ.

الحوريـــة : ار - بى - عى٠ فـــي كل من نوزي وأوجاريت يحتمل صلته بالاسم القديم لحبرون "قرية أربع".

العربية : تكوينات متعددة في كل لهجات ماقبل الإسلام.

أسماء أخرى في شرق الأردن:

١٢- كـــزبى : ابنة صور؛ الذي عرف بأنه رئيس مدياني للأمة. ليس له سلف ساميٍ ويفهم أنه يقابل الجذر "كذب".

الشرقية : كونزوم - بيا، الذي سمعه الإغريق مؤخرًا وكتبوه "كوزاب".

العـــربية : (متبايـــنة) كدبت، والتي يربطها هاردنج بـــ "كدب" وهو الاسم الوحيد الذي لم يظهر في شمال بلاد العرب(١).

وننتقل في قائمة ج. مندن هول إلى الاسمين القينيين وهما :

١- حابر : زوج ياعيل. لا يوجد في السامية الباكرة.

العربية : حبر (ثمودي وسبئي).

٢- يـــاعيل : المـــرأة الـــتي قتلت سيسرا، رئيس جيش ملك حاصور في شمال فلسطين.

الآمورية : يا - عي - لا. وتعني وعل (أيل).

الأوجاريتية : يعل.

---

(١) Mendenhall، Qurayya And The Midianites، Vol. 2، p. 140.

العـــربية : يعـــل (صـــفوية ولحيانية). وهنالك اسم آخر ترجمته المصادر السـورية الفلسـطينية وعـل (فـي الصفوية والسبئية) حيث إن الواو الأصلية محفوظة[١].

وبالمقـابل يمكن التأكيد أن أسماء مديانية كانت ذات أصول عربية واستمر استعمالها في النقوش الصفوية. وأن الكثير من هذه الأسماء المديانية يمكن تتبع أصولها في عصر البرونز.

وعــلى كــل أنـــه لا يتوجب أن نبت في تحديد أصول أسماء الأعلام المديانيـة حـتى يتم البحث عن هوية اللغة التي تحدث بها أهل مدين: هل كـانت لغة خاصة بهم؟ أم هل كانت لغة سامية عربية؟ وهو الأرجح ، مع احـتمال أنها آمورية أو كنعانية من فروع اللغة السامية، وبذلك تبتعد عن الـلغات الهـندو أوربيـة. وقـد يكون هنالك تأثيرات أناضولية مع بعض الأسـماء عامـة وليـس في مدين فقط. وقد وجدنا أصولاً ومعاني لبعض أسـماء الأعـلام المديانية في اللغة العربية سواء الشمالية أو الجنوبية كما تقدم[٢].

---

(١) Meudenhall, Qurayya And The Midlanite. , Vol. 2, p. 141.

(٢) انظر : هذا الكتاب، ص ١٥٠ وما بعدها.

قائمة بأسماء محددة بأنها مديانية أو معتبرة كأنها مديانية أو مرتبطة بشكل وثيق بالمديانيين صنفت مع أسلافها العائدة لعصر البرونز وسليلاتها في عربية ما قبل الإسلام(١) .

م	المديانية	الإنجليزية	الآمورية	الأوجانية	الأناضولية	العربية	
						جنوبية	شمالية
١-	صفورة	Sipporah	x	x			x
٢-	صفور	Sippor	x	x			x
٣-	يثرو	Yitro	x	x		x	x
٤-	رعوئيل	Re'u'il	x	x			x
٥-	حور	Hur	x	x		x	x
٦-	صور	Sur	x	x		x	x
٧-	ياعيل	Ya'il	x	x			x
٨-	حوباب	Hobab			x		
٩-	قين	Qayn			x		x
١٠-	مدين	Madyan			x		x
١١-	أوى	Ewi			x		x
١٢-	راقم	Reqem			(X)		x
١٣-	رابع	Reba			x	x	x
١٤-	بالع	Bela'			x	x	x
١٥-	بلعام	Bil'am			x	x	x
١٦-	بيعور	Pe'or			x	x	x
١٧-	كوزبى	Kozbi			x	x	x
١٨-	غراب	'Oreb					x
١٩-	ذئب	Ze b					x
٢٠-	حابر	Heber				x	x

(١) القائمة مأخوذة عن : Mendenhall Qurayya And The Midianites, Vol. 2, p. 145, Fig 39.
ويلاحظ هنا أن مندن هول أغفل تحليل اسمي الأميرين غراب وذئب مع أنه أشار إليهما في هذه القائمة وأغفل تمامًا اسمي زبح وصلمناع من ملوك مدين أيضًا. ويرجح أنه تعمد ذلك لوضوح أصول تلك الأسماء في اللغة العربية حتى لا تكثر الأصول العربية في القائمة، لأنه يهدف إلى إثبات فرضيته الأناضولية.

ب – الجغرافيا التاريخية لأرض مدين :

١– أرض مدين :

غـــابت مـــنطقة مدين من كتابات معظم الكتاب الإغريق، فمثلا لم يرد لدى الكاتـــبين هيرودوتس Herodotus (القرن الخامس ق. م.)، وديودورس الصقلي Diodorus Siculus (القـــرن الأول ق. م.) قـــد أغفـــلا ذكـــرها، أو ذكر دورها الـــتاريخي والحضـــاري. وبالـــتالي انعكـــس ذلـــك سلبًا في المصادر اليونانية والـــرومانية التالية. وعلاوة على ذلك نسب معظم الكتاب اليونان والرومان كل الـــبلاد أي منطقة مدين إلى مصطلح معاصر لليونان وإلى أمة عرفوها واحتكوا بها وهم الأنباط. فنسبوا كل آثار المنطقة وتاريخها إلى هؤلاء القوم[١].

ويجـــدر هـــنا التســـاؤل فيما إذا كان الأنباط هم ورثة أهل مدين جغرافيا وحضـــاريًا، أو أن الأنـــباط فعـــلاً بقايـــا مدين . ويبرر ذلك عدة أسباب منها: وجودهـــم فـــي المـــناطق المديانية، وممارستهم لدور تجاري مماثل ومزاولتهم لحرف مماثلة أهمها التعدين.

قســـم رسامو خرائط المؤرخ ف. يوسيفوس، ومنهم الرسام سانت بول St. Paul إقليم مدين إلى منطقتين مديانيتين (مَدْينيتين) [٢].

أمـــا المؤرخون المسلمون فذكروا مدين كإقليم محدود نوعا ما كما أشاروا إلى مدين كمحطة على درب الحاج الشامي، ودرب الحاج المصري، ولكن أهمل

---

(١) لأن الكتاب الإغريق لم يتوصلوا إلى مصادر كتابية ولا روايات شفوية تتحدث عن أهل مدين، جواد عـــلي ، المفصـــل، ج ١، ص ص ٥٧ – ٥٨؛ Burton, R.," Midian and The Midianites" , **Journal of Royal Society of Arts**, London, 1878, Now., Vol. 27, p. 16.

(٢) Burton, Midian and The Midianites, p. 16.

شأنها الحضاري، ودورها التاريخي[١]. ولم يضع أ. كريكتون Andrew Crichton (تاريخ بلاد العرب ١٨٣٤م) ، في خارطته إقليم مدين واكتفى باسم مفرد وضعه على الخارطة هو : المويلح.

وقـــام بروفســـور بالمر Palmer في كتابه (صحراء الخروج) بتعريف مدين باســـم خرائب مدين، وأنها محطة على درب الحج بين دمشق ومكة على مسيرة ثلاثة أيام من مكة [٢].

وذكر رشيد الناضوري أن هناك من أوجد صلة بين اسم مدين والموقع المصري (كومضو). ويعرف باسم (المدامود)[٣] . ولا ندري ما هو الهدف من إيجاد هذه الصلة أو هـــذا الـــربط. إضافة إلى أن الوثائق المصرية لا تعطي حقائق واضحة عن قبائل الســـاميين، غيـــر مـــا تردد بأن قبائل البدو الساميين كانوا في حالة وثوب دائم على أراضـــي شرق الدلتا، ولا يقدم الباحثون دراسة تشتمل على حقائق ومعلومات وافية. وتقـــدم المعـــلومات عـــن الساميين دائمًا مشوبة بالغموض والتشكيك. رغم أنه كان للســـاميين دور بـــارز في التاريخ المصري سياسيًا واقتصاديًا، واجتماعيًا نتيجة تلك الصلات والعلاقات. وقد تكرر وجود الساميين وأدوا دورهم عبر مراحل مختلفة :

أولاً : حُكم الهكسوس (ملوك الرعاة) ذوي الأغلبية السامية لمصر. وقد دام لمدة قرن ونصف من الزمن خلال النصف الأول من الألف الثانية ق.م[٤] .

---

(١) ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر ، **الأعـــلاق النفيسة**.- ليدن، ١٨٩١م، مجلد ٧، ص ١٨٣، ابن خرداذبة أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله ، **المسالك والممالك**.- ليدن، ١٩٦٧م، ص ١٤٩، الحميري، محمـــد بن عبدالمنعم ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**؛ تح. إحسان عباس.ـــ بيروت : ١٩٧٥م، ص ص ٥٢٥ – ٥٢٦.

(٢) Burton, Midian And The Midianites, p. 16.

(٣) الناضـــوري، رشـــيد سالم ، "حول تحديد أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المـــبكر"، ندوة تاريخ الجزيرة. ـــ الرياض، ١٤٠٤هـــ / ١٩٨٤م، الكتاب الثاني، ص ٧١، معبد المدامود El Madamud يقع في نواحي إقليم طيبة في صعيد مصر وبه أنصاب منقوشة.. انظر : "The Cambridge Ancient History ", 1978, vol. 2, Part. 1, pp. 45-48.

(٤) فخري، أحمد ، **مصر الفرعونية** . ـــ القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٢٤١ وما بعدها.

ثانيًا : تعيين النبي يوسف (عليه السلام) أمينًا على خزائن مصر وتنظيم اقتصادها والتحكم فيه حتى أنه أصبح (رئيسًا للوزارة في مصر) أي عزيز مصر. فصار الشخصية الثانية بعد الملك. وقد عمل النبي يوسف (عليه السلام) على نشر دعوته إلى التوحيد في مصر حتى عندما كان في السجن. وكان له أتباع آمنوا برسالته وناصروه[1] . ثم عندما توطد نفوذه في أرض مصر جلب أهله من البدو وأسكنهم في أرض جاسان؛ لأنها كانت مناطق رعوية تناسب بيئتهم وصالحة لمزاولة حرفتهم فيها؛ أي الرعي[2].

ثالثًا : دور النبي موسى (عليه السلام) في قصر فرعون، ونشأته بين أفراد الأسرة الحاكمة في مصر ثم دعوته للفرعون وأهل مصر إلى التوحيد. ودوره في مصر قبل أن يبعث بالرسالة وبعدها وقصته في مدين[3].

وقد أطلق القرآن الكريم اسم مدين على القبيلة والأرض في الآيات السابق ذكرها. فقد ورد اسم مدين علمًا على القوم :﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾الآية[4]. وجاء علمًا على الأرض : ﴿ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ ﴾ الآية [5] ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ

---

(١) انظر : قصة النبي يوسف (عليه السلام) كما وردت في القرآن الكريم في سورة يوسف.
مسعود، جمال عبدالهادي، وفاء محمد رفعت جمعة، **ذرية إبراهيم عليهم السلام والمسجد الأقصى**، ط١. ــ مصر، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، ص ٧٨ وما بعدها، الطبري، تاريخ، ج١، ص ١٦٩. الحليسي، نواف بن صالح، **المنهج الاقتصادي لنبي الله يوسف**. ــ ط٣. ــ الرياض، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص ص ١٧١، ١٨٩ .

(٢) Talec, p., "**The Patriarchs and Moses**" , Minnesota, 1981, Para. 31.
الحليسي، المرجع نفسه، ص ص ١٨١ – ١٨٣ .

(٣) مسعود، المرجع السابق، ص ١٠٥ وما بعدها.

(٤) سورة الأعراف، الآية : ٨٥، سورة هود، الآية : ٨٤. سورة العنكبوت، الآية : ٣٦، الصابوني، محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**ـ، ط١.ـ بيروت ١٣٩٩هـ، ج٢، ص ٣٥.

(٥) سورة التوبة، الآية : ٧٠، سورة الحج، الآية : ٤٤.

مَدْيَــنَ ﴾ الآية، ﴿ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ الآية[١]، ويحتمل هنا أن يكون الاسم علمًا على الشخص والمكان.

وتوجد فئة أخرى قد تكون من ضمن أهل مدين ولكن عرف أصحابها باسم أصـــحاب الأيكة فقد ورد ذكرهم في أربع سور قرآنية[٢]. وسنبحث أولاً موقع أرض مدين ثم يليه موقع الأيكة.

اختلفت آراء المؤرخين والباحثين حول تحديد اسم مدين فجعله البعض اسمًا للقبيلة، واعتبره البعض الآخر إقليمًا، أو أرضًا، أو مدينة فقط.

فهل نقول إن مدين الإقليم أو البلد يطلق على المدينة أو العاصمة أو العكس. كمـــا هـــو شـــائع في عصرنا الحاضر. فنقول الشام ونعني بذلك القطر أو نعني العاصـــمة دمشق أيضًا. ويقال مصر ويقصد بها القطر والعاصمة (القاهرة)[٣]. حيث يطلق أهل مصر الاسم على القاهرة أيضا ومثل ذلك تونس والكويت وهكذا.

إذًا اســـم مدين علم عام على المنطقة التي أشرنا إلى أنها منسوبة إلى مدين ابن النبي إبراهيم (عليه السلام).

وجـــاء في التوراة : "أعطى إبراهيم إسحق كل ماكان له وأما بنو السراري الـــلواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق ابنه شرقا إلى أرض المشـــرق وهـــو بعـــد حي"[٤]. ويأتي هذا النص بعد ذكر أبناء النبي إبراهيم (عليه السلام) من قطورة وأحفاده من بني مدين وإخوته الآخرين.

ونســـتخلص مـــن ذلك حقيقتين : أولاهما : أن النبي إبراهيم (عليه السلام) قسم إرثـــه بين أبنائه فأعطى إسحاق كل ماكان يملكه إبراهيم. وأعطى الآخرين

---

(١) سورة القصص، الآيتان : ٢٢، ٤٥.

(٢) ســـورة الحجـــر، الآية : ٧٨، سورة الشعراء. الآية : ١٧٦. سورة ص، الآية : ١٣. سورة ق، الآية : ١٤ .

(٣) الناضوري : المرجع السابق، ج٢، ص ٧١.

(٤) تكوين، ٢٥ : ٥ – ٦.

عطايـــا محدودة جدًا. ثانيهما : أن النبي إبراهيم (عليه السلام) صرفهم إلى المشرق أي إلى الشـــرق من المنطقة التي كان يسكنها ومن المعلوم أن إبراهيم كان ســـاكنًا فـــي بلاد كنعان عند موت سارة زوجته، حيث اشترى أرضًا ليدفنها فيهـــا؛ فـــي مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا؛ وهي حبرون في أرض كنعان. وكان حكامها بني حِث[1].

ونـــرى أنه بعد زواج النبي إبراهيم من قطورة؛ المرأة الكنعانية؛ دفع بنيها شـــرقا ليعيشـــوا هـــنالك• وقيل إن بني قطورة سكنوا في الحجاز مع إسماعيل واستعربوا. وأصبحت أعظم قبائلهم (قبيلة مدين) وقد انتشروا من تخوم فلسطين إلى الحجاز. وسكنـــوا جانبا من شبه جزيرة سيناء وبعد وفـــاة النبي إسماعيـــل (عليه السلام) سلم سدانة الكعبة إلى ابنه نابت (نبايوت). ثم غلبت جرهم بني إسماعيل فخضع نابت وسلم سدانة الكعبة إلى كبيرهم ويدعى مضاض بن جرهم• ثم وقع خـــلاف بيـــن جرهم ومدين وانضم نابت إلى جرهم وطردوا مدين فخرجوا[2]. فاســـتقر مدين ابن النبي إبراهيم (عليه السلام) في شمال الحجاز أي شمال غرب بلاد العـــرب وأصـــبحت منطقـــته، وله زعامة إخوته في أرضه التي عرفت باسمه وانتســـبت إليـــه أي أرض مديـــن• وتقـــع في شمال غرب بلاد العرب (شمال الحجـــاز). وهي منطقة مهمة حيوية (إستراتيجية) لأنها تقع على مشارف التقاء الهـــلال الخصيب بشبه جزيرة سيناء، ومنها إلى وادي النيل، ويشترك في نقطة الالـــتقاء هـــذا الجزء الشمالي الغربي لشبه جزيرة العرب. وهذه منطقة اتصال أكبر قارات العالم القديم آسيا وأفريقيا[3].

---

(١) تكوين، ٢٣ : ١٩ بني حث نسبة إلى الحثيين وهم شعب هندو أوربي نزح من الأناضول واستقر في شمال بلاد الشام ••• انظر :

"**Harper's Bible Dictionary**", Ed.P. Achtemeir, Cambridge, 1971, p. 399.

(٢) بورتر : المرجع السابق، ص ١١٤.

(٣) الناضوري : المرجع السابق، ج٢، ص ٧١.

ويحتل موقع مدين منطقة شمال الحجاز، وعرف باسم منطقة مدين، أو أرض مدين على مر العصور وتبدل الحقب التاريخية(١).

وذكر القرآن أرض مدين كما سبق ذكره، وأشارت التوراة أيضا إلى أرض مدين: "فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر"(٢).

ويرى أ. موسل A. Musil استنادًا إلى إشارات التوراة أن أرض مدين تقع فيما وراء أخدود العربة (وادي عربة). بل إنه يرى أن الموقع يجب أن يكون إلى الشرق والجنوب الشرقي من موقع العقبة الحالية؛ وهي إيلات (أيلة) قديما. ويمر في هذه المنطقة الطريق التجاري المهم جدًا. بل أهم الطرق والمعروف باسم "درب البخور" صاعدًا من جنوب بلاد العرب إلى شمالها تسلكه قوافل التجارة تحت حماية وحراسة أهل الجنوب الذين أسسوا حاميات لهذا الغرض؛ وأقاموا مركزهم الرئيس في العلا "ددان" في الألف الأولى ق.م.(٣) أما قبل ذلك فالأرجح أنه كان تحت إشراف وحماية أهل مدين أي حوالي النصف الثاني من الألف الثانية ق. م.

٢- جغرافيتها:

" وهي بين جبال شامخة متكائدة وبقرب مدين البئر التي استسقى منها النبي موسى (عليه السلام) قد بنى على أسها بيتًا من صخر فيه قناديل معلقة، وبها كهف شعيب كان يؤي إليه غنمه، وفي الجبال التي هناك بيوت منقورة في صخر أصم. وفي البيوت قبور،... وبقرب هذه البيوت تلال تراب عظيمة قيل

---

(١) إنجراهام، م. ، وآخرون ، " برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية – تقرير مبدئي عن مسح استكشافي للمنطقة الشمالية "، **حولية أطلال**. ـ الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، عدد ٥، ص ٥٩.

(٢) خروج، ٢ : ١٥.

(٣) موسل: المرجع السابق، ص ٨٤؛ الانصاري. **مواقع أثرية وصور من حضارة العرب**، ص ص ٣- ٧.

إنهـا كـانت مواضعهم عامرة فخسف بها... ومن هناك لاتزال تسير والجبال تيامنك والبحر بيسارك حتى تفضي إلى أيلة"[1].

وتنتشـر فـي المـنطقة من مدين إلى بدا واحات عدة غزيرة المياه تملؤها الخضـرة. وهذه الواحات كلها لأهل مدين، ولذلك يربطها ابن منظور بالأيكة. وتعـليله لهذا الربط؛ بأن الأيكة تعني الشجر الملتف أو الغيضة[2]. كما وترتبط بكلمة ليكة اليونانية Leuke [3].

أشرنا إلى أن مدين تقع في شمال غرب الحجاز وتعرف هذه المنطقة أيضا باسـم الحجـاز الشـمالي أو منطقة مدين، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام هي: (انظر: الخريطة رقم ١) .

أولاً - القسم الجبلي: ويقع في الداخل تحده أرض الحسمة من الشرق.

ثانيا - الأودية : مثلث وادي عفال جنوب البدع وغيره من الأودية التي تجري بين جبال المنطقة وتصب في البحر الأحمر.

ثالـثًا - السهل الساحلي : يبدأ من رأس خليج العقبة بمحاذاة البحر الأحمر إلى المويلح (النبك) وهي الحد الجنوبي لمنطقة مدين[4]، كما يظن.

ونتعرف على طبيعة كل قسم منها بصورة موجزة فيما يلي :

أولاً - القسم الجبلي :

يمـتد الإقـليم الغربي أو الدرع العربي The Arabian Sheild من خليج العقبة شـمالاً إلى اليمـن جنوبًا. ومن سهول ساحل البحر الأحمر غربًا إلى الحافات

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٢٦.

(٢) موسل، المرجع السابق، ص ٧٢، ابن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ١٤٤.

(٣) موسل، المرجع نفسه، ص٧٢.

(٤) إنجـراهـام ، المـرجع السـابق، عدد ٥، ص ٥٨. غبان، علي بن إبراهيم ، **بحوث في التاريخ والآثار**. ـ ط١. ـ الرياض، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ١، ص ١٠٢.

الصخرية عند بداية جبل طويق. وتتكون صخور هذا الإقليم أي صخور الدرع العربي من الصخور النارية، والصخور المتحولة، والصخور البركانية، مع وجود بعض التكوينات الجيرية (الكلسية) والرملية أيضًا[١].

وربما لهذا السبب أسماه الجغرافي البكري "الحجاز الأسود" في معجمه. فقد قسم الحجاز إلى حجازين هما: الحجاز الأسود، وحجاز المدينة. وجعل بداية حدود الحجاز في منطقة مدين عند شغب وبدا[٢].

ويشمل الدرع العربي بالإضافة إلى مرتفعات السراة الأودية الطولية والعرضية والحرات التي تكونت من مصهورات اللافا Lava على سفوح المرتفعات البركانية. أما الصخور الرسوبية فهي محدودة جدًا نظرًا لأنها متغيرة دائمًا بتأثير عوامل التعرية[٣].

ومن أهم وأشهر جبال المنطقة الشمالية جبل اللوز ويبلغ ارتفاعه (٢٥٨٠م) وجبل شار وارتفاعه (١٩٩٠م) ويقع إلى الشرق من المويلح على بعد ٢٠ كم وجبل الدبغ أو جبل دباغ ويرتفع نحو (٢٣٥٠م) وجبل عريق اليسري في وادي شرمة، وهو موقع من العصر الحجري الحديث Neolithic. وهناك جبل في منطقة مقنا ويعد موقعًا أثريًا مهمًا، بالإضافة إلى موقع أثري آخر بين مقنا وبين ممر طيب الاسم. وعموما فإن أغلب مواقع المنطقة الأثرية مغمورة تحت مياه البحر الأحمر[٤]. وجبال الشراة التي تشكل النصف الجنوبي من المنطقة الجبلية،

---

(١) أبو العلا، محمود طه، **جغرافية شبه جزيرة العرب**. ــ ط ٥ . ــ القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج٢ ، ص ص ٢٥- ٢٦.

(٢) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**.ــ ط٣.ــ تح. مصطفى السقا.ــ بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج١، ص ص ١٠- ١٣ . الوهيبي، عبدالله، الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب ، **مجلة كلية الآداب**، جامعة الرياض ١٩٧٠م، السنة الأولى، م ١، ص ص ٦٩ – ٧٠ .

(٣) أبو العلا: المرجع السابق، ج٢، ص ٢٧.

(٤) إنجراهام : المرجع السابق، عدد ٥، ص ص ٥٧ – ٥٨ .

وتطـــلق التوراة عليها اسم جبل سعير[١]. وتعد جبال الشراة أو سعير التوراتي الحد الجنوبي لمملكة إدوم وتقع بينها وبين مدين، وإن مدين تقع إلى جنوب إدوم وجـــنوبها الشرقي[٢]. ويقع جبل حوريب (جبل الرب) في صحراء مدين ويعد أحد جبال الشراة أو جبال سعير[٣].

ومـــن حـــرار مـــنطقة شـــمال بلاد العرب حرة خيبر، وحرة فدك وحرة العويرض، وحرة الرحا، وحرة النار[٤].

ثانيا – الأودية :

تجـــري أودية المنطقة بين الجبال الوعرة والشديدة الانحدار. وتختلف هذه الأوديـــة في تضاريسها، فتتنوع بين أودية ضيقة ذات جوانب منحدرة، وأخرى فســيحة وذات مجـــار واســـعة. تشكل شبكات الأودية هذه مناطق معروفة لدى الســـكان. وتعبرها طرق رئيسة منذ أقدم العصور، حيث يمر فيها الطريق القديم لتجارة البخور، والتوابل وغير ذلك من سلع أخرى.

كما يمر عبرها طريق الحج من مصر والشام إلى المدينة المنورة وإلى مكة المكرمة قبل الإسلام وبعده.

تصـــب معظم هذه الأودية في البحر الأحمر. وتمتد خلالها مساحات واسعة من السهـــول الغرينية، والرملية، والحصباء، بالإضافة إلى وجود المياه الجوفية

---

(١) موسل ، المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) موسل ، المرجع نفسه، ص ص ٨٢ – ٨٤.

(٣) جبل حوريب أو جبل سيناء، ويقع ضـــمن أراضي مدين في شبه جزيرة سيناء، وهو الجبل الذي فجر موسى الماء عنده، انظر: موسل، المرجع نفسه، ص ص ٥٠ – ٥١ .

(٤) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله ، **بلاد العرب**؛ تح. حمد الجاسر، صالح العلي.ـــ ط١، ١٣٨٨هـــ / ١٩٦٨م.ـــ الـــرياض، ص ١٥ ، ٧٦ ، ٤١٣، الجاسر، حمد ، **في شمال غرب الجزيرة**.ـــ ط٢.ـــ الـــرياض ١٤٠١هـــــ / ١٩٨١م ، ص ص ٢٢٢ – ٢٢٣ ، ٢٧٠ ، ٥١٢ ، أبو العلا ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ص ٢٦، ٤٤.

بوفــرة فـــي الأجـــزاء المنخفضـــة، كما توجد مسطحات من السباخ تمتد لعدة كيلومـــترات. وتشكل الأودية أكبر مصرف للمياه في هذه المناطق التي تمتد من جبال الشعيطية إلى الخريبة.

تكـــون مثلث وادي عفال بفعل التصدعات والتشققات التي صاحبت حركة توســـع أخـــدود البحر الأحمر وخليج العقبة في العصور الجيولوجية القديمة[١]. ويجـــري وادي عفال موازيًا لخليج العقبة، ويصب قرب فتحة الخليج نفسه[٢]. وهو من أهم أودية المنطقة ويجري جنوب مدينة البدع.

ومـــن أهـــم الأودية في المنطقة وادي الحمض الذي يتجه من الجنوب إلى الشـــمال ثم ينحرف إلى الغرب فيصب في البحر الأحمر. وعثر فيه على رقائق من الأدوات الحجرية، ونصل ومصنوعات من نماذج الثقافة الموستيرية[٣]. كما عـــثر على أدوات مماثلة في مواقع : برما، وادي عينونة، وادي صرما، وادي شـــرما، وادي صدر، وادي الجزل. مما يؤكد استقرار الإنسان في هذه المنطقة منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ.

ومـــن الأودية أيضًا وادي أظلم (ظلم). وكان محجرًا قديمًا يقتطع منه حجر الصوان. ويعد موقعًا من العصر النيوليثي "الحجري الحديث" وبه مواد أثرية من العصـــر الكالكوليـــثي "العصر الحجري النحاسي" ومن عصر الحديد أيضًا. ثم وادي أفضـــلا على بعد (٦١ كم) جنوب غرب العلا. ووادي السر شمال غرب المويلح. ووادي تريم.

---

(١) إنجراهام : المرجع السابق، عدد ٥، ص ص ٥٦ – ٥٨.

(٢) أبو العلا : المرجع السابق، ج٢، ص ١١٤.

(٣) تعـــود الـــثقافة الموستيرية إلى العصر الباليوليتي «الحجري القديم»، وتنسب إلى نماذجها الأولى المكتشـــفة فـــي موضـــع موستير في فرنسا.. انظر : رياض، محمد ، **الإنسان، دراسة في النوع والحضارة**.ـــ ط٢.ـــ بيروت، ١٩٧٤م، ص ص ١١٣ – ١١٤.

وكمـــا أشـــرنا سابقًا أن بعض الأودية تنتهي إلى ممرات ضيقة أيضًا عند مصـــباتها فـــي البحر الأحمر. ويعرف منها الممر المعروف باسم (ممر طيب الاسم) : وهو ممر ضيق يعرف باسم (السيق) أيضًا. ويتراوح طوله بين (٤ – ٥ كم) وارتفاع جوانبه بين (١٠٠ – ٤٠٠م) ويبلغ عرضه (٥٠م) فقط(١).

والمـــنطقة غـــنية بالمياه الجوفية. فتكثر الآبار والعيون فيها. ومن أهم آبار المـــنطقة "بئر موسى". وينسب اسمها إلى النبي موسى (عليه السلام) بعد واقعة استقائه المـــاء لغـــنم ابنـــتي النبي شعيب (عليه السلام). وتبعد البئر عن مدين بمسيرة نصف يـــوم(٢). وبـــئر مرشـــة، وبـــئر معرش، وبئر هداج، وبئر ابن هرماس، وبئر الصـــعاليك، وبئر العلائي وبئر البارود(٣)، بالإضافة إلى وجود العيون والينابيع في منطقة خيبر(٤).

ثالثًا – السهل الساحلي :

تمـــتد تهامـــة الحجاز من تهامة عسير جنوبًا بمحاذاة ساحل البحر الأحمر وحـــتى نهايته عند رأس خليج العقبة شمالاً؛ لذلك يعد السهل الساحلي المدياني، أو ســـهل منطقة مدين جزءًا من سهل تهامة الحجاز. وقد يجوز لنا تسميته باسم "تهامة مدين" لأن المنطقة تسمى أرض مدين أو منطقة مدين أيضًا.

والسهل الساحلي عموما ضيق لكثرة المرتفعات، ثم يتسع من المويلح وإلى

---

(١) إنجـــراهام، المرجع السابق، عدد ٥، ص ص ٥٨ – ٦١. والسيق هو الوادي الضيق المحصور بين الجبال أي الطريق مثل سيق البتراء. انظر : الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٦٨.

(٢) الجاســـر، حمـــد، **المعجـــم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة**.ـ الرياض، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، ق٣، ص ١٢٤٦.

(٣) الجاســـر: فـــي شـــمال غرب الجزيرة، ص ٥٧٢، ٣٢٥، ٥٢، الجاسر، حمد، **ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي**.ـ ط٢.ـ الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ص ٦٢ – ٦٣.

(٤) البكري: **معجم ما استعجم**، ج٢، ص ص ٥٢١ – ٥٢٢.

الشمــال حيث توجــد غابات وواحــات عديدة مثل : واحــة البــدع، وواحــة صرما[١].

وكــان من أهم موانئ المنطقة : ميناء أملج (أم لج) وميناء الوجه، وميناء ضــباء، وميــناء المويلح (النبك) [٢]. وتنمو الشجيرات الملحية في سهل تهامة حيث يصل ارتفاعها إلى حوالي عشرة أقدام. أما في الأودية فتنمو الحلفا الكثيفة المتشــابكة، وأشــجار الأثــل، وأشجار السمر، وأشجار السلم، وأشجار السدر، وأشجار الأراك، والأعشاب الرعوية[٣].

ويتصــف الســاحل بأنــه كثير الخلجان، وتمتد الشعاب المرجانية محاذية للساحل، وباتجاه الداخل. وهنالك بعض الجزر مثل: جزيرة النعمان جنوب ضبا، وجزيــرة الحســاني فــي مواجهــة ميناء أملج، ثم جزيرة صنافير عند مدخل العقبة[٤]. وجزيرة تيران، وجزر فرعون[٥].

وتوجد بعض السباخ قرب الموانىء وقرى المنطقة التي يستخرج السكان مــنها مــادة المــلح "ملح الطعام". حيث كانوا يعملون حفرًا صغيرة مستطيلة الشــكل فــي الأرض المنخفضــة "السهلية" فتتجمع فيها المياه المالحة ونتيجة لتعرضــها للشمس يتبخر الماء، ويتبقى الملح في الحفر فيتم جمعه على هيئة أكــوام صــغيرة، وخاصة قرب قرية إثرة ، وقريات الملح ، التي تتكون من مجموعــة قرى صغيرة أشهرها كاف، ومنوة، والقرقر، والعين وإثرة والنبك الغربي[٦].

---

(١) أبو العلا، المرجع السابق، ج٢، ص ص ٦٥ – ٦٨.
(٢) أبو العلا، المرجع نفسه، ج٢، ص١٣٦، غبان: المرجع السابق، ج١، ص١٠٢.
(٣) أبو العلا، المرجع نفسه، ج٢، ص١٣٦، غبان: المرجع السابق، ج١، ص١٠٢.
(٤) أبو العلا، المرجع نفسه، ج٢، ص١٧.
(٥) موسل، المرجع السابق، ص ص ١١٢– ١١٦.
(٦) Winnett, F. W. Reed. , "**Ancient Records From North Arabia**" , Toronto, 1970, p.59.
الجاسر، **في شمال غرب الجزيرة**، ص٥٧٨.

٣- تخوم مدين :

عند معالجة موضوع تسميات مدين يجب الاعتراف بضرورة قبول التعامل مع مختلف التسميات والتحديدات بوصفها أمرًا واقعًا، قد لاتتوافر فيه الحدود الواضحة في مرحلة من المراحل التاريخية. ولكن كل تلك الأجزاء، والمسميات تشير إلى الأصل وهو (كيان مدين).

ورد اسم مدين كمحطة على درب الحج الذي وصفته كتب رحلات الرحالة المسلمين عند التعرض لذكر محطات الطريق المتجهة من الشام أو من مصر إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة :

"مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك ... طولها إحدى وستون درجة وثلث (٦١,٣٣) وعرضها تسع وعشرون درجة (٢٩). وأن حيزها من كورة مصر القبلية.." [١]. وهنا تجدر الملاحظة بأن النص يصف تخوم مدين بأنها تبدأ من كورة مصر القبلية أي الشرقية؛ وبالتالي يتبادر للباحث أن أرض مدين تمتد إلى شبه جزيرة سيناء.

وأما الشيخ الحميري فيجعل مدين من أرض بلاد الشام على ساحل بحر القلزم. وكغيره من الكتاب يقول إنها أكبر من تبوك، وبينهما ست مراحل. ومن مدين إلى أيلة توجد خمس مراحل[٢].

---

(١) الحموي، ياقوت ، **معجم البلدان**.- بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٥، ص٧٧، أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل ، **تقويم البلدان** .- باريس، ١٨١٥م، ص ص ٨٦-٨٧. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ابن الفاسي/ **مسالك الممالك** .- ليدن، ١٩٢٧، ص ص ١٢- ١٣.
أما بالنسبة للمسافات فنحسبها كالتالي: المرحلة = حوالي ٣. كم، فتكون المسافة بين مدين وتبوك١٨. كم وبين مدين وأيلة ١٥. كم. باعتبار أن ٦ × ٣ = ١٨. كم ٥ × ٣٠. = ١٥٠كم، المسافة من العقبة إلى البدع ،١٣٧ انظر: القثامي، حمود بن ضاوي، **شمال الحجاز**.- بيروت ١٤١٢هـ، ج١ ص ٢٥٩.

(٢) الحميري، **الروض المعطار**، ص ص ٥٢٥ – ٥٢٦.

ويقــول الــبكري الجغرافي، « مدين بلد بالشام معلوم تلقاء غزة ... ومدين منازل جذام »[1].

وقيل أن جذاماً قبيلة شعيب فنسبها متصل به، ومصدر الاسم (جذم - بمعنى قطــع). وجذام أهل شعيب وأصهار النبي موسى (عليه السلام)[2]. وقيل إن جذاماً من ولــد يعفــر ابن النبي إبراهيم (عليه السلام). والشاهد ماروأه محمد بن السائب أنه وفد على رسول الله ﷺ وفد من جذام، فقال : مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى[3].

والجــذام مــرض[4] فهــل لأصل الاسم صلة بالانحرافات الجنسية التي ذكرتها التوراة[5].

ويضيف البغدادي عند تحديد مدين: « وقيل مدين هي كفر مندة من أعمال طــبرية"، وفي تعريف كفر مندة يقول: " كفر مندة قرية بين عكا وطبرية بها قبور يقال إنها قبر صفورة امرأة موسى، وأشير، ونفتالي ابني يعقوب "ويذكر صفورية بأنها" "كورة بلدة من نواحي الأردن بالشام قرب طبرية" [6].

ويحــتمل أن يكــون اسم بلدة صفورية منسوب إلى صفورة المديانية، ابنة

---

(١) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٤، ص ١٢٠١.

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **الخطــط المقريزية - المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثــار (الخطــط المقريزية)**، د.ت.ــ القاهرة، ج١، ص ١٨٧، البكري: **معجم ما استعجم**، ج٤، ص١٢٠١.

(٣) القلقشــندي، أبــو العباس أحمد بن علي. **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**؛ تح إبراهيم الأنباري. ــ ط٢. ــ القاهرة، بيروت، ١٤٠٢هــ / ١٩٨٢م، ص ٥٥.

(٤) الرازي، **مختار الصحاح**، ص ٨٢.

(٥) «وأقام إسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤاب»، وجاء أيضا «وقدم المديانية إلى إخوته» ، عدد، ٢٥: ١ ، ٦.

(٦) الــبغدادي، صــفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، وهو مختصــر معجــم البــلدان لياقوت**؛ تح. علي محمد البجاوي.ــ ط. مختلفة ١٣٧٣- ١٣٧٤هــ / ١٩٥٤ - ١٩٥٥م، دار إحياء الكتب العربية، ج٣ ، ص ٨٤٥ ، ١١٧١، ١٢٤٦.

النـــبي شعيب وزوجة النبي موسى (عليه السلام). (فهل وصل شعيب بأسرته إلى هناك واستقر قرب طبرية ؟).

ويضـــم الجغـــرافي ابن خرداذبة مدين إلى أعراض المدينة المنورة. فقد جعـــلها فـــي جغرافيـــته التاريخية كغيره من كتاب المسلمين الذين كتبوا في الجغـــرافيا الـــتاريخية من أعراض المدينة المنورة(١)، لأن مدين في عصره كانت كذلك.

ونميـــل إلى تعـــليل ذلك التباين والاختلاف في تحديد مدين بأنه ناشيء عن اختلاف الأوضاع السياسية في مدين، والحجاز عامة عبر الحقب التاريخية. أما الحـــدود الطـــبيعية فثابتة لاينالها التغيير. ومن جهة أخرى لانجد تحديدًا قاطعًا لامـــتداد أرض مديـــن، ولذلـــك فحدودها متغيرة، ومتبدلة تبعًا لقوتها، ودورها التاريخي عبر العصور.

ويشـــير أ. موســـل مســـتندا إلى ياقوت: "إن مدين تقع بين وادي القرى والشام: فهي إذن من أعمال الحجاز.. ولكن الحدود الجغرافية لا ينالها التغيير". ثـــم يضـــيف بـــأن مدين تقع في شراة الشام، وأنها تقع في الحجاز قريبا من الحدود الشمالية(٢).

أما ر. بيرتون فيحدد أن تهامة مدين تبدأ من العقبة في الشمال. وتنتهي عند المويلح في الجنوب(٣). ويقسم مدين نفسها إلى قسمين :

مديـــن الشـــمالية : وتـــبدأ من قلعة العقبة عند الدرجة ٢٩ ، ٢٨ إلى قلعة المويلح ٢٧، ٤٠ أي بامتداد مئة وثمانية (١٠٨) أميال .

---

(١) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله ، **المسالك والممالك**ــ ليدن، ١٩٦٧م، ص ٢٤٨.

(٢) موسل ، المرجع السابق، ص ٢٦.

(٣) Burton، R. , "The Gold Mines of Midian and The Ruined Cities", London , new ed. 1979, p. 67.

ومدين الجنوبية : تبدأ من قلعة المويلح إلى نهاية وادي الحمض عند الدرجة ٢٥ ، ٥٥ بامتداد مائة وخمسة (١٠٥) أميال. وهكذا يصبح امتداد مدين حوالي مئـتين وثلاثـة عشـر (٢١٣) ميلاً، وقد تمتد إلى أكثر من ذلك فتبلغ حوالي ثلاثمائة (٣٠٠) ميل[١].

ويذكر ابن كثير في تفسيره أن مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة، والتي هي بقرب معان من طريق الحجاز وتعد معان حاليا من شرق الأردن[٢].

وإذا اقتنعنا بأن الحد الجنوبي لأرض مدين يقوم عند المويلح فأين يبدأ حدها الشـمالي؟ هـل من طبرية في فلسطين، أم من معان في الأردن؟ أم من رأس خـليج العقـبة في شمال البحر الأحمر فقط؟ والأرجح أن أرض مدين قد تكون ممـتدة في عصر ما - (ربما عصر قوة)[٣] - إلى بلاد الشام، ومتقلصة أحيانا أخرى.

ونطـرح بالمثل تساؤلاً آخرًا: أين يبدأ الحد الشرقي لأرض مدين؟ هل كان يشمل مدينة تيماء وتبوك. (قيل إنها الأيكة)[٤].

كذلـك إن جاز لنا أن نتساءل عمّا إذا كانت يثرب (المدينة المنورة) يوما من أعراض مدين وأراضيها في عصر قديم مثلما ستصبح مدين فيما بعد من

---

(١) Burton, R. "Remains of Buildings in Midian", ransactions of The Royal Institute of British Architects, London، 1878, vol.3, p.61

(٢) الصابوني: **مختصر تفسير ابن كثير**، ج٢، ص ٣٥.

(٣) نقصـد بعصـر القوة عندما كونت مدين دويلات مدن وفي فترة عهد قضاة بني إسرائيل حكمت مدين بني إسرائيل لفترة زمنية قصيرة. انظر : البحث في الفصلين الثاني والسادس. ففي الحقيقة قد تعبر هذه الاحتمالات المتعددة عن واقع مفاده أن أرض مدين كانت ممتدة في فترة ما إلى بلاد الشام، ومتقلصة أحيانًا أخرى.

(٤) عن الأيكة وتبوك، انظر: هذا الكتاب ؛ ص ٨٢، ٨٩.

أعراض المدينة في العصرين: الجاهلي والإسلامي. أخيرًا نتساءل هل شملت أرض مدين منطقة العيص التي توازي ميناء المويلح الواقع على البحر الأحمر؟[1] فتكون العيص الظهير البري لهذا الميناء الذي يعد الحد الجنوبي لمدين. وقد يجيب البحث مستقبلا عن كل هذه التساؤلات والافتراضات المطروحة.

وفي الحقيقة يشكل الساحل الشرقي لبحر القلزم (الخليج العربي - كما عرف قديما) أو البحر الأحمر حاليا، الحد الغربي لأرض مدين إذ أنه الحد الجغرافي الطبيعي لها. ولابد هنا من التنويه بأن جزيرة أو أكثر من جزر البحر الأحمر المقابلة لشاطىء مدين: كجزيرة فرعون أو جزيرة صنافير وجزيرة النعمان كانت تابعة لمدين أي من ضمن أراضيها أو خاضعة لنفوذها.

٤- أهم مدن مدين:

عظم نفوذ مدين واتسعت البلاد مما ترك أثره في الكتابات التاريخية التالية لها. فقد ذكر المقريزي أنه في عام ٨٤٥ ق هـ كان لمدين أربعون (٤٠) مدينة عامرة عدّ منها: مدينة الخلصة ومدينة السنيطة وكانتا من أعظم مدن مدين. وهنالك مدينة المدرة ومدينة المنية، ومدينة الأعوج، ومدينة الخويرق ومدينة البثرين، ومدينة المائين، ومدينة السبع ومدينة المعلق، ومدينة الأيكة.

---

(١) جواد علي، **المفصل**، ج٧ ص ٣٥٦. وعن العيص انظر : السناني، معتاد بن عبيد، **العيص، هذه بلادنا**، رقم ـ ط١ـ الرياض، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص ص ١٥ - ١٦. وقيل إن موسى (عليه السلام) نزل بأرض أولاد العيص في فترة خروج بني إسرائيل. انظر : المقريزي : **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٦، وهي حتمًا منطقة غير هذه المنطقة، لأن منطقة أولاد العيص لابد أنها أرض أدوم.

ومـــن مدائن مدين بناحية القلزم مدينة فاران ومدينة الطور، ومدينة الرقة، ومدينة القلزم، ومدينة أيلة، ومدينة مدين[1].

واعتبرنا جميع المناطق المذكورة مدنًا مديانية، أو مناطق نفوذ مدياني بدليل العثور على الفخار المدياني فيها وما شابه ذلك من الآثار الأخرى.

وذكـــرت مدينة أو ميناء مقنا من مدن مدين أيضًا [2]. ومدينة مقهيلوت أو (مقحيـــلوت أو قحلاتـــا) [3]. وتذكرها التوراة باسم مقهيلوت : "ثم ارتحلوا من حرادة ونزلوا في مقهيلوت. ثم ارتحلوا من مقهيلوت ونزلوا في تاحت" [4].

ونتحدث عن مدن مدين كما ذكرتها المصادر وترد فيما يلي حسب الأحرف الأبجدية بأسماء تلك المدن، أي نتبع الترتيب الأبجدي.

مدينة الأعوج : Al- A'wag

مـــن مدن مدين، بها قلعة فيها جب بلغ عمقه حوالي مئة ذراع. وجد في قـــاع جـــب (بئر) في عام بضع وستين وسبعمائة هجرية (في القرن الثامن الهجـــري) عـــدة أسفار بلغ طول أحدها حوالي ذراعين، مغلف بلوحين من الخشب ومكتوب بخط المسند. طول حرفي الألف واللام حوالي شبر (٢٠سم

---

(١) المقريـــزي، **الخطـط المقريزية** ، ج١، ص ١٨٨. وقد ذكر المقريزي أربعين مدينة كرقم مستدير مـــن الأرقام المدورة«، لأنه لم يستطع أن يعد إلا ١٧ مدينة فقط. وقد يكون الرقم منقولا إليه عن روايـــة شفوية عن محطات درب الحج. والمدن التي ذكر أسماءها حدد أنها بناحية القلزم. انظر: الخريطة رقم (٢).

(٢) Burton، The Gold Mines of Midian، p. 317 ff.

(٣) كونيك، جان، "هل طور سيناء في شبه جزيرة سيناء أم في شبه جزيرة العرب"، **أضـــواء جديدة على تاريخ بلاد الشام**؛ ترجمة قاسم طوير.ـــ دمشق ١٩٨٩م، ص ١٥٣.

(٤) عدد، ٣٣ : ٢٥ – ٢٦.

تقريبًا). وقد وجدوا في مدينة الكرك من استطاع أن يقرأ الخط المسند. وعرف منه أن هذا السفر يتحدث عن خروج النبي موسى (ﷺ) من أرض مصر إلى أرض مدين، وملوك بني مدين مذكورون فيما بعد شعيب أيضًا[1]. تبدو المبالغة في ثنايا الخبر من حيث حجم الأحرف، والخط المسند الذي استعمل لكتابة السفر.

الأيكة : (مدينة لئيكة) : Al- Aykah

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ ﴾[2]، وذكرت الأيكة مرة أخرى في سورة "ق"[3]. وجاء اسمها في سورتين أخريين أيضًا، ولكن بصورة هجائية مختلفة في كتابتها ولفظها. فقد وردت في سورتي: "الشعراء" و"ص" بصورة (لئيكة) [4].

والأيك لغة : الأيكة، الشجر الكثير الملتف. وقيل أي الغيضة، وشجرها السدر والأراك من ناعم الشجر. وقيل هي منبت الأثل على وجه الخصوص. وقد تكون الأيكة الجماعة من كل الشجر حتى من النخل.

---

(١) المقريزي: **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٨. ويفترض الباحث عبدالمنعم عبدالحليم سيد أن الخط المسند متطور عن الأبجدية السينائية البدائية Proto - Sinatic ، والتي تتكون من ١٤ حرفا اخترعها سكان سيناء. وقد انتقلت إلى الجنوب (اليمن وحضرموت) عبر منطقة مدين عبر الطريق التجاري الذي يخترق بلاد العرب من الشمال إلى الجنوب. ويثبت ذلك الشاهد، وجود حروف مبكرة من الخط المسند في منطقة مدين. ثم وجود حروف من الأبجدية البروتوسينائية في جنوب بلاد العرب. انظر: سيد، عبدالمنعم عبدالحليم، **البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة.**- الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ص ٢١٢ - ٢١٣. ويحتمل أن أهل مدين هم من قام بنقل هذه الكتابة إلى الجنوب العربي ونشرها في شمال بلاد العرب أيضًا.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٧٨ .

(٣) سورة ق، الآية : ١٤.

(٤) سورة الشعراء، الأية : ١٧٦. سورة ص ، الأية : ١٣.

والجمـــع أَيْــكٌ، والأيــك المـــثمر من شجره الدوم[١]. أو (المقل الذي هو الكندر). والأيكة لغة هي العيكة[٢].

مـــا تقـــدم تفسير لمعنى كلمة الأيكة أو لئيكة كما وردت في القرآن الكريم، ولغويـــا الأيكة اسم عام مطلق على عموم الأيك أما ليكة فهو اسم القرية. وجاء فـــي التفســـير أيضـــا أن شجرهم كان الدوم، وأصحاب الأيكة أو لئيكة هم أهل الغيضـــة، أو أيكـــة الـــنخل أو الدوم أي المقل. وهي مزروعات المنطقة عامة ومـــنطقة مدين أيضا. ولايزال اسم الأيكة يطلق على وادٍ من روافد وادي عفال في منطقة مدين[٣].

وجاء في اللغة أن اسم لئيكة اسم للقرية أو المدينة مثل مكة وبكة[٤] . فهل المقصود بذلك مدينة بعينها أي على وجه التخصيص، أم أن الاسم مطلق للعموم أي اسم لأي مدينة أو قرية أو غيضة.

ونتســـاء ل هـــل ســـكان أصحاب لئيكة أو الأيكة من أهل مدين وكانوا في منطقة معلومة تدعى كذلك، فهي مثلا مدينة أو قرية لئيكة أو ميناء لئيكة. حيث نتعرف فيما بعد على مدينة "لويكة كومة".

نعرف من أخبار حملة الرومان على شبه جزيرة العرب بقيادة والي مصر مـــن قبل روما إليوس جالوس – Aelius Gallus حوالي سنة ٢٦– ٢٤ ق.م. وأن جيـــوش الحمـــلة المـــنقولة من ميناء أرسينوي (السويس). أرست مراكبها على

---

(١) ابن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ١٤٤، وقيل من قرأ «أصحاب الأيكة» فهي الغيضة ومن قرأ «أصحاب ليكة» فهي اسم القرية مثل مكة وبكة. انظر : الرازي : **مختار الصحاح**، ص ٣٤.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٧.

(٣) جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ٩٠.

(٤) ابـــن مـــنظور، المـــرجع السابق، ج١، ص١٤٤. المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٧. الـــرازي، المرجع نفسه، ص ٣٤ ، الجاسر، **في شمال غرب الجزيرة**، ص ٤٨٣ ، الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ق٣ ، ص ١١٦٦.

شـــاطيء بلاد العرب. ونزل جنودها في الميناء الذي ذكره الكتاب الكلاسيكيون وأبرزهم الجغرافي سترابون – Strabo (٦٣ ق. م. – ٢٠م) (صديق قائد الحملة ومـــرافقها) أي في ميناء لويكة كومة (ليوقا – قومة – لايكاكومه) Leuke Kome أي المدينة البيضاء[١].

ويقع هذا الميناء لويكة كومة إلى الشمال من ينبع ويظن أنه ينبع أو الحوراء أو المويلح أو عينونا، أو الخريبة[٢].

ورجّـــح ش. فورســـتر أن اســـم لويكة كومة بالإغريقية يعني الحوراء أي الميـــناء الأبيـــض نسبة إلى صخوره البيضاء التي أعطت للميناء صفة مميزة أصبحت علما عليه. والحور أو الحوراء يعني في اللغة العربية البياض. ومعنى Leuke- Leuce أبيـــض أو بيضـــاء. وتعني كلمة Kome قرية أو مدينة صغيرة[٣]. فيكون مرفأ نزول جنود الحملة الرومانية هو "المدينة البيضاء"[٤].

وقـــد ســـبقت الإشارة إلى أن الحوراء تقع ضمن أرض مدين لذا نميل إلى الأخذ بأن الحوراء أي لويكة كومة هي ميناء مدين الجنوبي.

وربمـــا أنهـــا هي الأيكة أو لئيكة (مع ملاحظة تشابه لفظي: لئيكة ولويكة، وإمكانيـــة الإبدال بين حرف الهمزة والياء) – فهي المكان الثاني الذي أمر الله شـــعيبًا بالـــتوجه إليه ودعوة أصحابه إلى الإيمان. كما ورد في القرآن الكريم.

---

(١) جواد علي، **المفصل**، ج٢، ص ص ٢٧- ٢٩ ، ٤٤- ٤٧.

(٢) موســـل، المـــرجع السابق، ص ص ٧١- ٧٢. وقد كان الهدف أن يلتقي الجيش بحلفائه الأنباط حسب الاتفاق مع القائد صالح Syllaeus وقد باءت بالفشل لأن صالحاً قد غش رجال الحملة كما زعـــم ســـترابون، انظر : جواد علي، المرجع نفسه، ج٢ ، ص ص ٤٤- ٤٥. غبان: المرجع السابق، ج١، ص ص ١٤٣ – ١٤٤.

(٣) جـــواد عـــلي ، المفصل، ج٢، ص ٢٨؛ غبان، المرجع السابق، ج١، ص ١٤٤؛ Forster, Op. Cit., vol. 1., p. 220.

(٤) الرازي، **مختار الصحاح**، ص ١٢٦، Forster, Ibid., vol.1, pp 220,233.

ومما يدعم هذه الفرضية ظهور الاسم في القرآن بصورتين مختلفتين. فقد ورد الاسم في المرتين محلى بأل التعريف (الأيكة) [١] وجاء في السورتين الأخريين مجردًا من الألف وبصيغة مختلفة (لئيكة) [٢].

ويعد قلب حرف الهمزة إلى ياء للتخفيف ظاهرة شائعة في اللغة العربية مثل بئر – بير، ذئب – ذيب ونحوه. وقد تكرر ذكر الصيغتين في سورتين كما تقدم.

والأرجح أن المقصود من ذلك ذكر الاسم بصورتيه لتعريفه، وتثبيته في الأذهان بواسطة تكرار وترادف المعنى. أما إن كان اسم الأيكة لاينطبق على اسم لئيكة أي هما مختلفان فنرجح أن الأيكة أي الغيضة ولئيكة اسم قرية أو مدينة مشتق من لويكة – ليكة أي الكلمة الإغريقية[٣]. وقد تكون الغيضة موجودة في مدينة لئيكة أي أنه كان لأصحاب لئيكة غيضة في مدينتهم.

وقيل إن الأيكة المذكورة في القرآن الكريم مقصود بها أيكة أو غيضة مدينة أيلة الواقعة على رأس خليج العقبة. وقيل بل هي تبوك – وهي بين مدينة الحجر وأول بلاد الشام – وتقع مدينة تبوك على طرف الشمال الغربي لشبه جزيرة العرب على درب القوافل العاملة خلال الألف الأولى ق.م[٤].

والأرجح أن لئيكةً هي الحوراء أو فيما حولها لتقارب الاسم ولتطابق الموقع من الميناء الذي نزل جنود الحملة به لقربه من الميناء المصري ولأن تبوك

(١) سورة الحجر، الآية : ٧٨. سورة ق ، الآية : ١٤.

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ١٧٦ ، سورة ص ، الآية : ١٣ .

(٣) أغلب الظن أن الصيغتين الواردتين في القرآن تعكسان واقعًا كان موجودًا ودارجًا عند لفظ اسم المدينة، والقاسم المشترك بينهما هو تعريب الأصل الإغريقي.

(٤) الحموي، **معجم** ، ج٢، ص ص ١٤ – ١٥.

خاصة مدينة داخلية. ولابد أن الجيش نزل أولاً في ميناء على الساحل. أما أيلة فهي بعيدة أيضًا.

مدينة أيلة : ELOTH

وهـــي من مدن مدين بناحية القلزم، وسميت بأيلة نسبة إلى أيلة ابنة مدين ابن النبي إبراهيم (ﷺ)، وتقع في أول الحجاز، وبها تجارة رائجة. كان أهلها مـــن أجناس مختلفة. وقيل بأنها القرية التي كانت حاضرة البحر المذكورة في القرآن الكريم.

وادعى يهودها أن بحوزتهم بردة النبي ﷺ ، وهي رداء عدني. أعطاهم إياها النبي محمد ﷺ أمانًا لهم. وأصبحت أيلة في عصر الإسلام منزلاً لبني أمية. وذكر أن عصيون جابر Eziongeber مدينة كبيرة إلىجانب أيلة [١] . وقيل إنها تل الخليفة[٢].

ويـــدل وجود كسر فخار مدياني في تل الخليفة على أنه كان مرتبطاً بفعاليات التعدين (فعاليات التعدين في تمنع بين القرنين ١٣ – ١٢ ق.م.) ويقدم هذا الشاهد دلـــيلاً ماديًّـــا على أن عصيون جابر كانت معروفة منذ خروج بني إسرائيل من مصـر. وكانت معثورات تل الخليفة مشابهة تمامًا لما في قلعة النقب. ولكن إيلات وعصـــيون جابر كيانان منفصلان وذكرتهما التوراة. ويفترض أن شاطىء إيلات

---

(١) المقريـــزي ، **الخطـط المقريزية**، ج١، ص ١٨٤. قال تعالى : ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِـرَةَ ٱلْـبَحْرِ إِذْ يَعْـدُونَ فِـى ٱلسَّبْتِ ﴿١٦٣﴾ ﴾، سورة الأعراف، الآية : ١٦٣. انظر : الســيوطي، جــلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، وجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، **تفسـير الإمامـين الجلالين**، ـــ بيروت : ١٤٠٧هـــ / ١٩٨٧م، ص ٢١٨. وقد يكون اسم أيلة مؤنث اسم إيل ومشتق منه، وإيل كبير آلهة الكنعانيين.

(٢) Meshel, Z., "On The Problem of Tell El-Kheleifeh, Elath And Ezion-Geber" **Eretz-Israel**, Jerusalem, 1975, Vol. 12, p. 120.

كـــان صـــالحًا لرسو السفن دون حاجة إلى بناء ميناء. وكان دور عصيون جابر تقديم الحماية للبضائع الثمينة المجلوبة من أوفير(١).

وهـــناك من يرى أن عبرونه Ebronah موجودة في تل الخليفة(٢). وقيل إن أيلة هي العقبة، أما إيلات فهي موقع آخر يعرف باسم أم الرشراش(٣).

منطقة البدع : bad'

تقـــع في وادي الأبيض (وادي عفال) في الجهة المقابلة لسهل عينونة وإلى الشـــمال مـــنها. وتـــتحكم في السهل الخصب الواقع تحتها. كما تحرس الطريق الشمالي الجنوبي. وتوجد في هذه الواحة "مغاير شعيب". وتدعى المقابر النبطية وهـــي محفورة في صخر الجبل. ويوجد العديد من أنقاض المباني في المنطقة. وقـــد زارهـــا كثير من الرحالة الغربيين مثل ربل Ruppell ، وبيرتون، Burton وموسل Musil ، وفيلبي Philby (٤).

ويبدو أن واحة البدع كانت محطة مهمة على درب التجارة الذي يسير من جـــنوب بـــلاد العرب إلى مناطق الشمال، وتعد من المراكز المديانية المهمة إذ عثر فيها على الكثير من الآثار المديانية(٥). انظر: الخريطة رقم (٣).

---

(١) Meshel، Op. cit.، vol. 12، p. 12.

« ثم ارتحلوا من عبرونة ونزلوا في عصيون جابر ثم ارتحلوا من عصيون جابر... » عدد ٣٣ : ٣٥ – ٣٦.

« فعـــبرنا عن إخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير على طريق العربة وعلى أيلة وعلى عصيون جابر ... » تثنية، ٢ : ٨.

(٢) عبرونة من محطات طريق الخروج. انظر:

Mazar, B. , "Ezion - Geber And Ebronah", **Eretz Israel** , Jerusalem، 1975, vol. 12 , p. 119.

(٣) القثامي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٥.

(٤) Parr, P., Harding, G. and Dayton, J., "Preliminary Survey in N. W. Arabia, 1968" . **BIA**. London, 1977, vol. 10, p. 31.

(٥) انظر: هذا الكتاب، فخار مدين والمشخصات ، ص ص ٣١٧ – ٤٠٠.

وتعـد واحـــة البدع حديثا من قرى شمال المملكة العربية السعودية، تابعة لإمارة مـــنطقة تبوك، ولازالت الواحة عامرة وتجود بخيراتها؛ لذلك شملها التطور والعمران الحديـــث، حيث ترتبط بمدينة تبوك بطريق مسفلت للسيارات، قسم الواحة إلى قسمين حيـــث يمـــر الخط بين "مغاير شعيب"[١] في الجبال وبين البساتين في الوادي وتلال متوسطة الارتفاع تسمى تلال "متنة المالحة" وأنشأت الشركات الحديثة مزارع واسعة لإنتاج الخضروات الموسمية وخاصة "الطماطم" فإنتاجها وفير وكذلك الفواكه. ولازالت أيكـــة الدوم موجودة في البدع. وهي من أشجار المنطقة، وارتفع العمران الحديث فيها. فشـــاهدنا المباني الجديدة على امتداد الطريق، ويعد الشارع الرئيس في الواحة. فترتفع عـــلى جانـــبيه منشآت، ومرافق من عمارات سكنية، ومحلات تجارية ومجمع قروي تابع للإمارة ونحو ذلك مما أخفى وأزال كل معالم المباني القديمة؛ بل ليس هنالك أثر لأطـــلال أو أنقـــاض. مـــاعدا "مغاير شعيب" فقد زرتها وتجولت فيها. ولمست تشابه واجهاتهـــا مع الواجهات في مدائن صالح، مع ملاحظة فوارق كبيرة في الزخارف، وفـــي أسلوب العمل وتنفيذه فتبدو واجهات مغاير شعيب أقل تطورا، أو أكثر بدائية. ويلاحظ التشابه الواضح من الداخل، من حيث تقسيمات أرض الحجرة الداخلية إلى مقابـــر (حفـــر) مستطيلة. وقد لاحظت أن إحدى الحجرات مقسمة إلى أربعة أقسام بعرض متر واحد تقريبًا وبطول ٢ متر أو يزيد، ممتدة في الجدار إلى الداخل. وبقية أرض الحجرة خالية من أية حفر أو أنها لم تحفر بعد[٢].

---

(١) منطقة مغاير شعيب مسيجة بسياج من الأسلاك ولها حارس. ومحفوظة جيدًا ونظيفة نوعًا ما إلا من بعض القاذورات (مثل علب عصير فارغة – أكياس نايلون ولفائف ونحوه)، فحبذا لو أزيلت وبقيت نظيفة. مثل مدائن صالح فقد كانت نظيفة جدًا عندما زرتها. ولم أشاهد أية قاذورات لا في الداخـــل ولا فـــي الخـــارج. عن مدائن صالح انظر: الأنصاري، **مواقع أثرية**، ص ١٧، والمقابر النبطية، ص ١٨.

(٢) زرنـــا الـــبدع والمغاير صباح يوم الأربعاء ١٤١٤/٦/١٨هـــ الموافق ١٩٩٣/١٢/١م. حيث وصلنا إلى تبوك جوًا مســـاء يوم الثلاثاء ١٤١٤/٦/١٧هـــ ثم انتقلنـــا من تبوك إلى البـــدع =

تشير الزخارف الظاهرة على المغاير أنها من طراز متأخر جدًا عن عصر مدين.

مدينة البئرين : Al- Bi'rain

ذكـــرها المقريـــزي مـــن مدن مدين[١]. ولم يشرح عنها وليس هنالك أية تفصيلات، كما لم تذكرها مصادر أخرى.

مدينة تبوك : Tabuk

قد تكون هي الأيكة، فقيل إن أصحاب الأيكة هم سكانها، الذين بعث الله إليهم النبي شعيب (ﷺ) ويرجح أنها كانت من مدن مدين، وتبعد عنها بست مراحل.

تقع تبوك بين وادي القرى والشام، أي بين الحجر وأول الشام. وسميت تبوك لقول الرسول ﷺ لأصحابه: "مازلتم تبوكونها بعد"، أي تخرجون ماء ها. وعندما كان الرسول ﷺ في تبوك أرسل خالد بن الوليد منها إلى دومة الجندل[٢].

== بالســيارة . وقــد شــاهدت الزراعة الواحية الجيدة ومشاريع الاستثمارات الزراعية في المنطقة. وشعرت بالتقدير والإكبار لاهتمام المملكة العربية السعودية بمرافق البلاد وشبكات الطرق المعبدة التي تربط مناطق المملكة ببعضها وتيسر الانتقال.

وقدرت بكل إجلال وإكبار جهود إدارة الآثار في وزارة المعارف وأعمالها الملموسة. واهتمامها بالمــناطق الأثــرية بصــيانتها وحمايتها. حيث سيجت كل منطقة أثرية بشبك أسلاك ذي بوابات مقفولــة، وعينت المشرفين والحراس لهذه الآثار. وهو جهد كبير ومشكور لصيانة وحفظ التراث الأثري – التاريخي. أسجله هنا اعترافا وتقديرا لكل مسئول في إدارة الآثار بالمملكة.

ولكــن أطمــع أن تكــون أكثر حرصا في التعامل مع المناطق الأثرية حيث لاحظت أن المباني الحديثة والطرق المسفلتة أزالت كثيرا من أنقاض أثرية قديمة، وخاصة في منطقة البدع، فحدسي يقول إن تلك الآثار قد درستها عجلات التراكتورات، وحفارات البلدوزرات.

(١) المقريزي ، **الخطط**، ج ١ ، ص ١٨٨.

(٢) الــبكري ، **معجم ما استعجم**، ج١، ص ٣٠٣. الحموي ، **معجم البلدان**، ج٢، ص ص ١٤ – ١٥، وحــوض تبوك غني بالمياه الجوفية، انظر : أبو العلا، المرجع السابق، ج٢، ص ١٢١، انظر : الخريطة رقم (٤).

وتتوسط تبوك مدن شمال غرب بلاد العرب، تقع تيماء إلى الشرق منها. قريات الملح وحالة عمار في الشمال منها. حقل والبدع ومقنا والمويلح وضباء في الغرب، والعلا ومدائن صالح وغيرها في الجنوب[١] . وقيل أن بطلميوس ذكرها باسم Thapaua أي تباوا [٢].

مدينة تيماء : תימא Tayma - Tema - Teima -

كانت من أمهات القرى، بدليل كثرة الطرق والدروب التي تمر بها. وقيل إن بها بحيرة، وكان بها نهر جار. وهي واحة كبيرة، ولها سور[٣]. وقد أثبتت الشواهد الأثرية والكتابية أنها كانت موجودة منذ العصر الآشوري، ومعاصرة للدولة الآشورية الحديثة (٩٠٩ – ٦١٢ ق.م.) [٤].

وكانت الآشورين القوافل منتظمة بين تيماء وشوحا، وبين تيماء ونينوى. حيث بدأ الاتصال الآشوري بعرب الشمال منذ عهد الملك تجلات بلازر الثالث (٧٤٤- ٧٢٧ق.م.) وفقاً للنقش المؤرخ في عام ٧٣٣ ق. م. واستمرت الصلات في عهد الملكين الآشوريين سنحريب، وأسرحدون. ويحمل "حجر تيماء" تأثيرات

---

(١) القثامي، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨٥.

(٢) موسل، المرجع السابق، ص ١٤. وقيل إن تاريخها القديم لازال مجهولا. مع أنها مدينة قديمة وحديث الرسول ﷺ عن تسميتها لايثبته علماء الحديث. انظر: الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ص ٤٨٨ – ٤٨٩.

(٣) البكري، **معجم ما استعجم**، ج١، ص ص ٣٢٩ – ٣٣٠، الجاسر، **في شمال غرب الجزيرة**، ص ص ٤٩٠ – ٤٩١.

ورد ذكر تيماء كاسم لأحد أبناء إسماعيل بن إبراهيم ، انظر تكوين ٢٥ : ١٥ أخبار الأيام الأول، ١: ٣٠، وورد اسم تيماء مقترنة مع ددان، انظر: إشعيا، ٢١: ١٣ – ١٤.

(٤) أوبنهايم، ليو، **بلاد مابين النهرين**؛ تر. سعد فيضي عبدالرزاق ــ بغداد ، ١٩٨٦م ، ص ٢٠٨، ومابعدها عن الدولة الآشورية. أبو درك، حامد ، **مقدمة عن آثار تيماء**.ــ الرياض، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ص ٤ – ٥ .

آشــورية. هذا بالإضافة إلى انتقــال الملك البابلي (الكــلداني) نابونيد – نابونيدوس Nabonidus (٥٥٦ – ٥٣٩ ق.م)، مــن عاصمته بابل للإقامة في تيماء لمدة عشر سـنوات (من ٥٥٣ – ٥٤٣ ق. م.) بعد أن قتل أميرها وبعض أهلها. واستقر فيها وبنى قصره بها (قصر الحمراء).

ويرجح أن لتيماء تاريخًا مبكرًا جدًا، يسبق ما افترضه بيتر بار P. Parr فقد حدد تاريخهــا بالقرن السادس ق.م. فقط. كما يبدو أن تيماء لم تكن مستوطنة رعوية؛ بل مركــز استيطان منتظم، ومستمر. بدليل بقايا أواني الفخار الوفيرة التي وجدت فيها وتشمل أواني مدهونة ومزخرفة[١]. ويبدو أنها مستوطنة منذ عهد مدين؛ بل أنها من المــدن المديانيــة بســبب العــثور على الفخار المدياني فيها. علاوة على ذلك أن الدراسات الحديثة تميل إلى الاستنتاج بأن حدود مدين امتدت لتشمل مدينة تيماء في فــترة من تاريخها[٢]. ويؤكد الباحث أ. جرومان A. Grohman أنها كانت إحدى مدن مديــن[٣]. وربمــا كانت دولة مدينة تابعة لمدين. وذكر أيضًا أن تيماء كانت إحدى عواصم العمالقة وأنهم هم أول من نزلها[٤].

ونســتخلص مــن "حجر تيماء" بعض الأفكار الدينية المتطورة والسمات الثقافية. ونعرف أن إله تيماء الرئيس ومعبودها "الإله صلم"[٥]. والمفروض

---

(١) Potts, D., "Tayma And The Assyrian Empire", **Arabian Archaeology and Epigraphy**., Ed. D. Potts, Copenhagen , 1991, vol, 2, No. 1, p.18 ; Beaulieu, p., "The **Reign of Nabonidus, King of Babylon 556- 539 B.C**". , New Haven, 1989, pp.149, 178.

(٢) Bawden، G., "Painted Pottery of Tayma and Problems of Cultural Chronology in Northwest Arabia", JSOT.، Sheffield, 1993, Sup. Series 24, pp. 47- 49.

(٣) Koenig، J., "**Le Site De Al- Jaw Dans L'ancient Pays De Madian**, Paris, 1971, p.13.

(٤) القثامي ، شمال الحجاز ، ج١، ص ١٢٢.

(٥) Winnett , F., A. "Reconsideration of Some of The Inscriptions From The Tayma Area", **Studies in History of Arabia**, Riyadh, 1399H، vol. 1. , p. 69.

"حجــر تيماء" قطعة من الحجر الرملي الرمادي مكعبة تحمل رموزًا دينية منقوشة عليه وكتابة آرامية. انظر: أبو درك ، مقدمة عن آثار تيماء، ص ٥٤ ومابعدها.

أنه يمثل الإله سين (القمر) [١].

ومن أهم آثار تيماء: سور المدينة، وقصر الحمراء وقصر الرضم، وقصر الأبلق، والأبراج، وبئر هداج، والمقابر الركامية، وجبل غنيم، وغيران الحمام، بالإضـــافة إلى الفخـــار ومعـــثورات أخـــرى، والكـــتابات التي سميت بالكتابة التيمائية[٢].

وقـــد شـــاهدت آثار تيماء، السور وقصري الرضم والحمراء والأبراج[٣]، وبئر هداج[٤].

مدينة الخلصة : Al- Khalsah

كـــانت من أعظم مدن مدين[٥] ولانجد عنها أية معلومة، سوى ماذكر عن الصـــنم المعروف باسم "ذو الخلصة" وله بيت أي معبد. و"خلص" وادٍ من أودية خيبر. وهنالك موضع آخر "الخلصاء" في ديار بني يشكر[٦]. وقد تكون الخلصاء

---

(١) Beaulieu, Op. Cit., p. 175.

(٢) أبو درك ، **مقدمـــة عن آثار تيمـــاء**، ص ص ص ٨- ٩، ٦٢، الجاسر، **في شـــمال غرب الجزيرة**، ص ٣٥٠؛ التيمائي، محمد حمد، تيماء، هذه بلادنا (٣)ـــ الرياض، ١٤١١هـــ/١٩٩١م. ص ٦٩.

(٣) الحمـــوي، **معجـــم البلدان**، ج٢، ص ٦٧؛ البكري، **معجم ما استعجم**، ج١، ص ص ٣٢٩- ٣٣ الجاسر، المرجع السابق، ص٣٩١، التيمائي، المرجع السابق، ص ٨٠.

(٤) بـــئر عظيمة، **ينبع ماؤها من أسفل البئر**، ويظن أنها كانت نهرًا جاريا. انظر: الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ٤١٢.

زرنـــا تيماء صباح يوم الخميس ١٨/٦/١٤١٤هـــ فزرنا المتحف أولاً. ورأينا الفخار المدياني الذي عثر عليه في تيماء معروضًا في متحفها ضمن المعروضات الأخرى تجولنا بمحاذاة السور.

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١ ص ١٨٨.

(٦) والخلصة نبت طيب الرائحة. وكان بيت أصنام لخثعم، وبجيلة وقيل هو الكعبة اليمانية. وقيل إن ممـــن عبده بنو هلال، وهو بين مكة واليمن بالعبلاء. انظر : الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٣٨٣. الـــبكري ، **معجم ما استعجم**، ج٢، ص ص ٥٠٧- ٥٠٨. ابن الكلبي، هشام بن محمد بن الســـائب، **كتاب الأصنام** ؛ تح أحمد زكي باشا.ـــ القاهرة، ١٩٢٤م، ص ٣٦ ؛ الجاسر، **في شمال غرب الجزيرة**، ص ٤٨٢.

هــي الخلصة (بتخفيف المد). وربما تكون صيغة مؤنثة من "خلص" لأنها اسم مدينة.

مدينة الخويرق : Al - Khowairiq

من مدن مدين(١). ولم نجد أية معلومات عنها في مصادر أخرى.

مدينة الرقة : Al- Riqqa

الــرقة هـــي أرض بجانب واد ينبسط الماء عليها وقت المد أو الفيضان. ثم يــزول الماء عنها، فتكون مكرمة للنبات فهي: رقة. وهنالك مدينة الرقة بأرض العراق والشام(٢). أما الرقة التي نعني بها فهي من مدن مدين بناحية القلزم(٣).

مدينة السبع: באר שבע Al- Sab

يـــدل عـــلى لفظ الواحد من السباع. وتقع في فلسطين من بلاد الشام. وهي قرية عمرو بن العاص، وبعض أهله بها(٤).

كانت من مدن مدين(٥). فهل هي مدينة بئر سبع תל באר שבע المعروفة. وتقع شمال صحراء النقب (٦). وتقع مدينة بئر سبع في وادي حبرون أي وادي الخـــليل ووادي الســـبع، على تلة مرتفعة حوالي (٣٠٧م) عن سطح البحر بما

---

(١) المقريزي، المرجع السابق، ج١، ص ١٨٨.

(٢) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٢، ص ٦٦٦.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١ ، ص ١٨٨.

(٤) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٣، ص ٧١٧.

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١ ، ص ١٨٨.

(٦) HB. Dic., Op. Cit., p. 62.

يعـــادل ١٠ أمـــتار عما حولها. وأما اسم بئر سبع فهو محفوظ بصيغته العربية. وكـــانت مســـتوطنة منذ العصر الحجري النحاسي حيث عثر على كسر فخارية منسوبة إلى تلك الحقبة. ويبدو أنها هجرت في عصر البرونز الحديث، حيث لم يعثر على أية آثار أو بقايا من ذلك العصر. ثم أعيد استيطانها منذ عصر الحديد. وأرخـــت الكسر الموجودة فيها بحوالي القرن الثاني عشر ق.م. وعثر على أوانٍ فخاريـــة مـــن حقـــب مختـــلفة وتشـــتمل على طاسات، وقدور طهي، وجرار تخزين[١]. ويرجح أن بئر السبع كانت من مستوطنات عصر البرونز الباكر ثم هجـــرت[٢]. ونتســـاءل هـــل وصـــل انتشار أهل مدين في فترة تاريخية إلى فلسطين؟.

مدينة السنيطة : Al- Sonaitah

وكـــانت مـــن أعظم مدن مدين أيضًا. وتؤخذ الأحجار منها إلى مدينة غزة لاســـتعمالها في البناء[٣]. فهي محجر جيد ولابد أنها تقع قرب غزة في جنوب غرب فلسطين.

والسنيطة تصغير السنطة ــ أو السنط وهو قرظ ينبت ويستخرج منه أجود الحطب ويمتاز بكثرة ناره وقلة رماده. ويستعمل للدباغة[٤].

---

(١) Aharoni, Y. , "**Beer- Sheba**", 1969-1971, Tell Aviv University Institute of Archaeol ogy, 1973, pp., 4 - 5.

تكويـــن، ٢١: ٢٥ ، ٣٢ عـــن ســـبب تسمية البئر بهذا الاسم. ومجمل القصة أن إبرهيم (عليه السلام) اشترى المنطقة بسبع نعاج من أبيمالك وحفر البئر فيها فلذلك سميت بئر سبع.

Odelain, O. and S guineau, R., "**Dictionary of Proper Names and Places in The Bible**", Trans. by Matthew J. O'Connell, London, 1991, p.62.

(٢) ياسين، خير نمر، **جنوبي بلاد الشام تاريخه وآثاره**.ــ عمان ، ١٩٩١م، ص ٦٩.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٨.

(٤) ابن منظور، المرجع السابق، ج٢ ، ص ٢١٨.

مدينة الطور: Al - Tor

مدينة مديانية بناحية الطــور[1] ، في سيناء. وأقسم الله تعالى بالطور: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ [2]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ ﴾[3]. وقال تعالى ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ۝٢٠ ﴾[5]. وتكرر الطور في القرآن الكريم عشر مرات[6]. وقيل إن النسبة تعود إلى طور بن إسماعيل بن إبراهيم (س) وإنه اسم يشمل جبل بيت المقدس وهو اسم عام للجبال الممتدة بين مصر وأيلة[7]. أي كل الجبال الموجودة في المنطقة. وطور كلمة آرامية وسريانية وهي تعني جبل[8].

ميناء عينونة : "عين أُنا" 'Aynunah

يعــد ميــناء عينونة مع محطة شرما وترِيام من محطات درب الحج. ولكن عينونة هي الميناء لأنها مطلة على البحر الأحمر. وتقع بين العقبة والمويلح وقد

---

(١) المقريزي، المرجع السابق، ج١ ، ص ١٨٨.

(٢) سورة التين، الآيتان : ١،٢.

(٣) سورة الطور، الآيتان : ١،٢.

(٤) سورة مريم ، الآية : ٥٢.

(٥) سورة المؤمنون ، الآية : ٢٠.

(٦) ســورة الــبقرة ، الآيـــة: ٢ والآية : ٩٣؛ سورة النساء، الآية : ١٥٤ ؛ سورة طه، الآية : ٨٠؛ سورة القصص الآية: ٢٩ والآية: ٤٦؛ سورة الطور، الآية: ١.

(٧) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٣، ص٨٩٧، وقيل إنه اسم عام أي الجبل وقيل إنه الجبل الذي بمدين الذي كلم الله تعالى النبي موسى (عليه السلام) عليه تكليما. انظر: ابن منظور، المرجع السابق، ج٢، ص٦٢٤.

(٨) أحمد، محمود عبدالحميد ، **الهجرات العربية القديمة**.ـــ دمشق ١٩٨٨م ، ص ٤٧.

ذكــرها بلــني .Pliny ووجد بها بقايا نظام ري جيد البناء. تمثل في بقايا سدود وقنوات مائية مبنية بالأحجار، ومملطة من الداخل بإتقان.

والميــناء عبارة عن منطقة صناعة تعدينية، وصناعة قوارب وأدوات صيد وما إلى ذلك ممـا له علاقة بالأعمال البحرية والملاحة[١].

وقيــل إن عينونة أصلاً من عين أُنا. أي "عين" وادي "أُنا" ويقع بين الصلا ومدين وقيل بين مدين والعلا ويرجح الآن أن عينونة هي لويكة كومة[٢].

مدينة فاران: פארן Paran

فــاران على وزن فاعال. تقع في منازل بني سليم، وبها معدن الحديد، أي المقصود أن بها منجم حديد. سكنها بنو الأختم بن عوف من سليم، وعرفوا باسم "القيون". قال خُفاف بن عمير السلمي :

متى كان للقينين قين طمية

وقين بلى معدنان بفاران[٣]

كــانت مــن مــدن مديــن بناحية القلزم[٤]. ومذكورة في التوراة في عدة مواضــع، فهــي برية فاران. وهنالك جبل فاران أيضًا[٥]. وكان يسكنها بعض الإسماعيليين وهي قاعدة من قواعد مدين[٦].

ويحــتمل أنهــا من مدن مدين التي سكنها (القينيون) ومارسوا التعدين فيها. ولكن هل من عناهم الشاعر من نسل القينيين أم نسبة إلى الحرفة فقط ؟. (انظر الخريطة رقم ٥).

---

(١) Burton, Remains of Buildings In Midian, Vol.3, p.69.

(٢) الجاســر ، المعجم الجغرافي، ق ٣، ص ص ٩٦٣ – ٩٦٥، غبان ، المرجع السابق، ج١، ص ص ١٤٣ – ١٤٤.

(٣) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٣، ص ١٠١٣.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٨.

(٥) عدد، ١٠ : ١٢ ؛ ١٢ : ١٦؛ ١٣ : ٣، ٢٦؛ تثنية ١ : ١ ؛ ٣٣ : ٢.

(٦) Forster, Op. Cot., Vol. 1, pp. 179, 205, 345.

مدينة قُرية : Qurayya

تقع على بعد ٧٠كم شمال غرب تبوك، وعلى بعد ٢٦ كم إلى الغرب من الجـنوب الغـربي لبـئر ابن هرماس؛ وهي قرب محطة جمارك سكة حديد الحجاز، ويعد موقع قرية مهمًا من جميع النواحي. ولاتبعد عن محطة المدورة على الحدود الأردنية السعودية إلا بحوالي ٦. كم فقط. وتقرب من خط تبوك – حقل – العقبة. وتقع في منطقة ضيقة تعرف باسم « الليخ ». تشكل حافة على طـول الطرف الغربي لحوض تبوك. ويقع وادي المحططب بينه وبين هضبة الحسمى.

والليخ عبارة عن مساحة من الحجر الرملي المكسور وتلال الطين الصفحي – Shale وهـو صـخر متشكل من صلصال أو طين يتميز بسهولة انفلاقه إلى طبقات. وتجري أودية عديدة في المنطقة ولكنها جافة معظم أوقات السنة. تجري ميـاه السـيول فيهـا في فصل الشتاء وأول الصيف. وتصب في حوض تبوك فتمتـلىء الآبار والينابيع هناك. ولكن يستفاد من مياه السيول هذه بإقامة السدود، والأحـواض لخزن المياه فيها. ومن ثمة تتوزع عبر قنوات مائية لري أراضي الحقول الزراعية. وقد عثر على بقايا أنظمة الري في موقع قرية. مما يدل على حسن استفادة سكانها من مياه السيول[١].

ويرجح أن أهل جنوب بلاد العرب قد اقتبسوا أنظمة الري؛ كإنشاء السدود، وقـنوات توزيع المياه من قرية وغيرها من مواقع شمال بلاد العرب، حيث تم تنفيذها بعد ذلك في جنوب بلاد العرب في الألف الأولى ق.م[٢].

---

(١) انظر: الخريطة رقم (٥) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit.، vol. 8 – 9, p. 219.

(٢) الصـفدي، هشام، وآخرون، "**الدليل الأثري الحضاري لمنطقة الخليج العربي**".ـ بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، ص ٢٥٥.

قُمنا بزيارة موقع قرية يوم الأربعاء ١٤١٤/٦/١٨هـ ويتفرع طريقها من الطريق المسفلت نفسـه =

مدينة القُلزم : Al- Kolzum

مـــن مـــدن مدين بناحية بحر القلزم[١]، أي البحر الأحمر. ولم نجد لدى المقريزي تحديد موقعهـــا أو وصفـًـــا لهـــا. ولا ندري هـــل هـــي القلـــزم المعـــروفـــة اليـــوم باســـم "السويس" [٢] التي تقع على خليج السويس على الـــرأس الغـــربي للبحـــر الأحمر. ممـــا يعطـــي بعـــدًا جديدًا عن اتســـاع مدين عبـــر شبـــه جزيـــرة سينـــاء.

مدينة المائين : Al- Ma'ain

مديـــنة مديانية[٣]. ولايعرف موقعها. وهنالك موقع معروف باسم "الماوان"

== بيـــن مدينة تبوك وقرية البدع. على بعد ٧. كم تقريبا من تبوك. ولكنها تبعد عن طريق الأسفلت بحوالي ١٨ كم؛ وهي طريق غير معبدة، ولا ممهدة، والأرض صخرية وصلبة. وقطعنا الطريق فـــي حوالي ساعة كاملة في قطعها بالسيارة بين صعود وهبوط وارتطام فقد كانت ساعة أعقبتها ساعة العودة مما أجهدنا ، المهم أنه يوجد في بداية الطريق مستوطنة من العصر الحجري مسيجة بوصفها من المناطق الأثرية المحمية. ووصلنا إلى موقع قرية وهو مسيج كذلك. وخال تمامًا فلا عمـــران ولا سكان حوله. ولسوء الحظ بعد ذلك العناء لم نجد الحارس المكلف بحراسة المنطقة والـــباب مغلق. فلم نتمكن من دخول الموقع وزيارته (فطفنا حول الحمى). وشاهدنا سور المدينة وتلالها وأخبرني السيد سليمان الشامان أن منطقة أفران الفخار محفوظة جيدا. ومما أثار دهشتي أنـــني وجـــدت الكـــثير من الأصداف البحرية متناثرة فوق سطح الأرض. وكذلك كسرًا فخارية بكميات كبيرة. عن آثار قرية، انظر: القثامي، **شمال الحجاز** ، ج١، ص ٢٧١ ومابعدها.

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٨.

(٢) غـــبان، المـــرجع الســـابق ، ج١ ، ص ١٠٢ والقـــلزمة: ابتلاع الشيء، وسمي هذا البحر كذلك لابتلاعه من ركبه، وخاصة المكان الذي غرق فيه الفرعون. وقيل قلزم مدينة على الساحل قرب أيلة والطور ومدين، وإلى هذه المدينة نسب البحر وهناك جبل القلزم ويوجد فيه المغناطيس وبين مديـــنة القـــلزم ومصر ثلاثة أيام. وهي اليوم خراب وقامت قربها مدينة السويس. وقلزم فرضة الحجاز. انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص ص ٣٨٧- ٣٨٨.

(٣) المقريزي، المرجع السابق، ج١، ص ١٨٨.

غيـــر مهموز وهو اسم ماء. بالإضافة إلى الموقع الآخر "ذو ماوان" في طريق مكة بين الربذة، والنقرة، وهو من منازل بني عبس[١].

مدينة المدرة : Al- Madrah

مدينة مديانية أيضًا[٢]. وذكرت ثنية المداران (مدران) وتعرف باسم المدرا (المــدرة) وتقـــع عند أطلال قصير التمرة وتعد من تبوك. والمدرا واد يتحد مع وادي الأثيلي على مسافة ٢ كم جنوب تبوك[٣].

وهــنالك صــــنم يعرف باسم "الدوار". وقيل إنهم كانوا يطوفون حوله تشبها بطواف الكعبة[٤].

مدينة مدين : מדין Midian

كانت من مدن مدين[٥]. وقد تكون عاصمة مدين أو قاعدة كبيرة وذلك لأن المقريــزي تحدث عن تاريخ مدين تحت عنوان حمل اسم هذه المدينة أي "مدينة مديــن" وذكر مدن مدين الأخرى وذكر ملوك مدين. ونبيّها النبي شعيب (ﷺ). وقـــال: "مديـــن اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة سميت باسم أبيها مدين ويقال له مديان بن إبراهيم...".

وعدّهـــم من القبائل العربية - ومن العرب البائدة، وذكر ملوك مدين أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت. وأن أسماء هم على أحرف الجمل التي

---

(١) البكري، **معجــم ما استعجم**، ج٤ ، ص ص ١١٧٧- ١١٧٨ الجاسر، **في شمال غرب الجزيرة**، ص ٥٥٤.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٨.

(٣) موسل، المرجع السابق، ص ١٤١ ؛ الجاسر، المرجع السابق، ص ص ٤٤٤، ٤٩٤.

(٤) ابن الكلبي، **الأصنام**، ص ص ١٠٨ – ١٠٩.

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٦.

هـــي ٢٢ حرفًا. وقال : "كان أبجد ملك مكة ومايليها من الحجاز وهوز وحطي ملكان ببلاد وج وهي الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد. وكلمن وسعفص وقرشـــت مــلوك بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك مدين، ... وأن عذاب الظلة كان في ملك كلمن". بعد أن دعاهم النبي شعيب (ﷺ) فكذبوه وأنجاه الله ومن آمن معه إلى الموضع المعروف بأيلة؛ وهي غيضة نحو مدين[١].

مدينة المعلق : Al - Ma' laq

مديـــنة مديانيـــة[٢]. ويجيء اسم "معلق" أي بدون "أل" التعريف. وهو اسم حَسْيٍ أي ماء في موضع زهمان[٣].

مدينة مقنا: Makna

كـــانت مديـــنة مقـــنا ميناءً لمدين الشمالية، وهي التي ذكرها بطلميوس [٤] ويطـــلق اسم مدين عليها أيضا. تقع إلى الغرب من منطقة البدع وبقربها مغاير النبي شعيب (ﷺ) على بعد ٥٠ كم تقريبًا. ويوجد بها مصلى موسى، أو مسجد النـــبي موسى (ﷺ). وبئر موسى بها أيضا، وهي البئر التي تقرن باستقاء النبي موسى (ﷺ) لغنم الفتاتين المديانيتين.

وتتمتع مقنا بوفرة المياه والنباتات الخضراء، وبفيض من الخضرة الكثيفة. فيـــنمـــو نخيـــل التمر فيها وشجـــر الدوم وأشجار أخرى[٥]. وهنالك جدول

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية** ، ج١، ص ١٨٧.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٨.

(٣) الحموي، **معجم البلدان**، ج٥ ، ص ١٥٨ ، ج٢، ص ١٦٢.

(٤) انظر: هذا ا لكتاب، ص ٤٨.

(٥) Burton, Remains of Buildings In Midian, Vol. 3, p.64, "**The Land of Midian**" London, 1879. vol. 1, pp.173 -179, The Gold Mines of Midian, p.192, p.2.7, Philby, H. St J., "The Land of Midian"، London, 1957, p. 226

مائي دائم طـوال أيام السنة تغذيه بعض الينابيع ويجري بطول كيلومتر واحد تقريبًا(١).

وميـناء مقـنا خـليج صـغير ينفتح باتجاه الغرب. وتحف به من الشمال والجـنوب سلسلتان من الحيد البحري مؤلفة من الشعب المرجانية، ثم تنفرجان وتؤلفان حاجزين أو مرفأين طبيعيين وبسيطين.

وتوجد هنالك أطلال مبان على قمة المرتفع ، فلا بد أنها كانت مساكن سادة مقـنا فـي العصـور القديمـة . بالإضافة إلى بقايا مبانٍ أخرى حول "قلعة العواشـة" – وهي من العصور الوسطى – وتبدو هذه المباني أنها لطبقة غير طـبقة السادة لأنها متواضعة وصغيرة. وربما أنها كانت مساكن للحرس والخدم والعبيد(٢).

مدينة مقهيلوت: מקהלת Makheloth -

ذكرت في التوراة : "ثم ارتحلوا من حرادة ونزلوا في مقهيلوت ثم ارتحلوا من مقهيلوت ونزلوا في تاحت"(٣). ويفترض أنها من المواقع المديانية في سيناء. وتقـع بيـن سـيناء وقادش. ويعني اسمها التجمع(٤). وربما أن موقعي حرادة وتاحت مديانيان أيضًا.

والتحـليل الأرجح أن اسم مقهيلوت اسم مركب من "مقه" "إيلوت" أو إيلات. وهما اسمان لإلهين أي "المقه" إله القمر عند عرب الجنوب. وإيلات أو أيلة وهو اسم الإلهة المؤنثة المشتق من "إيل" كبير آلهة الكنعانيين.

---

(١) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit., vol. 1., p. 35.

(٢) Burton, The Gold Mines of Midian, p. 2.5, Remains of Buildings In Midian, Vol. 3، p.64. ، Philby، Op. Cit.، p.226.

(٣) عدد ، ٣٣ : ٢٥ – ٢٦ . (مواقع مذكورة من محطات طريق الخروج).
Odelain and Séguineau، op. cit.، p.25.

(٤) Ibid, op. cit., p. 150, p. 364.

مدينة المنية : Al- Miniah

مــن مــدن مديــن لدى المقريزي أيضًا(١). ولم نجدها في مصادر أخرى. ووجــدت "قــرية مِنْوة" من قرى الشمال مذكورة مع إثرة وكاف ضمن قريات الملح. ومنوة غنية بمياه جوفية غير عذبة، وبها آبار ارتوازية عديدة وتقع شرق بلدة النبك على بعد ٣٠ كم(٢).

والإبدال بين حرفي الواو والياء وارد في اللغة. فربما تكون مِنْوة هي ذاتها مدينة المنية المديانية.

تلخيصًــا لمــا تقــدم نــرى تأكيد ذكر مدين الأرض، ومدين القوم في نصــوص آيــات القرآن الكريم، وأسفار التوراة وفي نصوص وثائق بعض مــلوك الدولة الآشورية في بلاد الرافدين. واهتم بذكرها بعد ذلك بطلميوس وكــتب عــن مدين أيضًا الكُتَّاب والمؤرخون والمفسرون العرب. واهتم بها الكــتاب الغــربيون أيضًــا مــن مؤرخين وآثاريين مما أبرز أهميتها، التي ارتكزت على النقاط التالية :

١- تعد مدين موقعًا جغرافيًا مهمًا.

٢- مركــز مديــن الاقتصــادي الكبير نظرًا لموقعها، ولمواردها الطبيعية وثرواتها.

٣- كــان لمدين دور تاريخي مهم في مجال الدعوة الدينية. واعتبار دعوة النــبي شعيب (عليه السلام) إلى الوحدانية باكرة جدًا. نادى شعيب إلى تصحيح العقيدة، وتصحيح السلوك الاجتماعي والتعامل التجاري.

---

(١) الخطط المقريزية، ج١، ص ١٨٨.

(٢) الجاسر، **في شمال غرب الجزيرة** ، ص ص ٣٥ - ٣٦ ، ٤٧٤ ، ٥٧٨ ، ٥٩٨

٤- كــان لمدين أهمية تاريخية واقتصادية بالنسبة لبلاد العرب عامة (شبه الجزيرة العربية) باعتبار مدين قبيلة كبيرة. استقرت وكونت حضارتها، وكيانها السياسي، منتمية إلى العروبة أصلاً، وتكويناً اجتماعيًا، عقائديًا وفكريًا ثبت ذلك من تاريخها، وحضارتها، وتحليل أسماء أعلامها التي تعود جذورها إلى أصول واشتقاقات عربية اللفظ والمعنى.

اســتقر مديــن بــن إبــراهيم في شمال غرب شبه جزيرة العرب في فترة تاريخيــة حوالــي منتصف القرن السابع عشر (١٦٥٠ – ١٦٠٠ق.م.) فنشأت قبيلــته فــي هــذه المنطقة، وعرفت باسمه. وامتدت مساكن هذه القبيلة، فانتشر أبــناؤها في المنطقة شمالاً وجنوبًا وغربًا. فاتسعت رقعة أرض مدين داخل شبه الجزيــرة العربية وخارجها. ثم انتشرت الفروع المديانية (أبناء مدين وإخوته). وسـكنــوا مــناطق جديدة، بلغت شبه جزيرة سيناء فأسسوا هناك مدنًا مديانية. وامــتد انتشــار أهل مدين إلى فلسطين أيضًا في فترة زمنية (عصر قضاة بني إسرائيل).

ذكــرنا ٢٤ مديــنة مديانية، أو منضوية تحت النفوذ، أو التأثير المدياني، بالاستناد إلى بعض الاعتبارات منها: قيام هذه المدن في المنطقة المديانية في بلاد العرب وفي سيناء، أو وجود آثار مديانية، وصلات وروابط تاريخية في الــبعض الآخــر. أمــا مدينة "تمنع" في وادي عربة فتعد موقعًا مديانيًا أيضًا، بالــنظر إلى وجــود الشواهد الأثرية المتعددة فيها مثل: وجود بقايا فخاريات مديانيــة بكميــات كــثيفة، وآثار أخرى مثل : بقايا مبان، ومجموعات حلي، ومعادن أخرى ونحو ذلك. وقد عثر على الفخاريات المديانية في مواقع أخرى كــثيرة فــي شــرق وغرب فلسطين مثلاً، وعلى طول الشريط الساحلي بين فلسطين، ومصر، ولكن هذا الفخار اعتبر دليلاً على قيام صلات تجارية فقط،

ولم يدل على استيطان مدياني هناك. استمرت مدين في المنطقة لفترة طويلة، تمارس فعالياتها المختلفة، فنجد أن فخار "تمنع" تحددت فترته بين القرنين ١٤ – ١٢ ق.م. ثـم تسـتمر مديـن إلى عصر قضاة بني إسرائيل حوالي القرن الحـادي عشر ق.م. عندما حاربهم "القاضي جدعون" ودمرهم. وقد تجدد ذكر أهـل مدين متمثلاً في الابن "عيفة بن مدين" الذي ذكرته النصوص الآشورية المؤرخـة فـي القرنين التاسع والثامن ق.م. كآخر إشارة في الوثائق عن أهل مدين. تم كشفها إلى الآن.

الفصل الثاني

خصائص الحياة الاجتماعية

أ – المجتمع :

١– القبيلة.

٢– نظام الحكم – الطور الملكي.

٣– مدين وإخوانه.

٤– انتشار قبائل مدين.

٥– أعلام مديانية.

– التاجر مالك.

– النبي شعيب (عليه السلام)

– صفورة بنت شعيب.

٦ – ملوك وأمراء.

أ – ملوك وأمراء مدين في عصر النبي موسى (عليه السلام).

ب – كزبى بنت صور.

ب – ملوك وأمراء مدين في عصر القضاة :

٧ – ملوك آخرون.

٨ – شيوخ مدين.

خصائص الحياة الاجتماعية

أ - المجتمع

١ - القبيلة :

يتألف المجتمع في بلاد العرب من طبقات اجتماعية، دونها المؤرخون في كتب الأنساب والتاريخ العربي، وتلك الطبقات الاجتماعية هي :

الطبقة الأولى: الشَّعب وتتشعب القبائل منه.

الطبقة الثانية : القبيلة، وسميت قبيلة لتقابل الأنساب، وأبناؤها بنو أب واحد.

الطبقة الثالثة : العمـــارة.

الطبقة الرابعة : البطـــن.

الطبقة الخامسة : الفخـــذ.

الطبقة السادسة : الفصيلـــة.

وجعـــلوا التسلســـل بيـــنها عـــلى الترتيب حتى تعلو الطبقات بعضها على الأخرى؛ مشروطًا ذلك بشرطين :

أ - قدم المولد. ب - كثرة الولد.

وآخـــر طـــبقة بعد الفصيلة الرجل وولده أي الأسرة أو العائلة أو العشيرة. وقيل إن العشيرة قبل الفصيلة وعشيرة الرجل رهطه الأدنون[١] .

---

(١) البغدادي، محمد أمين، "**سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**".ـ بيروت، د.ت، ص ص ٦- ٧ ، ٨ - ٩؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، " **قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان**".ـ ط٢. ـ القاهرة : ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ، ص ص ١٤- ١٥؛ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد " **الأحكام السلطانية**".ـ ط٢ ، مصر ، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م، ص ٣٦. الزبيدي، المرجع السابق، ج١، ص ٣١٨ ، ابن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ص ٣٢٠- ٣٢١ .

وتنضـــوي قبيلة مدين تحت هذا التقسيم لكونها قبيلة عربية سواء من حيث الأرومة أو من حيث موطن السكنى في بلاد العرب وللأسباب التالية :

إذ يقســم صـــاحب « سبائك الذهب » الأمة إلى عرب وعجم فقط، ويعني بالعجم كل الأمم الأخرى من الفرس والترك، والروم، والإفرنج وغيرهم. وبالمثل فإنـــه يجعل العرب سكان شبه جزيرة العرب (بلاد العرب) – في ابتداء الأمر – ويضرب الأمثلة على تسمية القبيلة باسم الأب كقبائل: عاد، وثمود، ومدين(١).

ويتبين مما تقدم أن موطن مدين ومساكنهم بشكل رئيس تقع في شمال غرب شبه جزيرة العرب. وتمتد أرضهم فيما وراء ذلك أيضًا(٢).

وعـــندما يقسم المؤرخون المسلمون الأمة العربية إلى عرب بائدة، وعرب باقية، يذكرون أن البائدة هم العرب الصرحاء، أي من كان نسبهم عربيًا خالصًا، ولكـــنهم بادوا، واندثرت آثارهم. ويضربون الأمثلة لأمم العرب وقبائلهم البائدة تلك كعاد وثمود وعماليق ومدين وغيرهم(٣).

نستنتج مما سبـــق أن مدين قبيلة منتسبة إلى الأب مدين بن إبراهيم الخليل (عليه السلام)، كســائر قبائل العرب في نظامها الأبوي ونسبها، وأنها قبيلة من القبائل الـــتي سكنت شبه جزيرة العرب. وأنها تنحدر من أصل عربي أي الانتساب إلى الجـــنس أو الأصل العربي، واكتسبت العروبة بسكناها في منطقة من مناطق شبه الجزيـــرة العربية. ولمبررات قوية يعدها المؤرخون والنسابون عربية، بالإضافة إلى الموطن، فهنالك اللغة والتنظيم الاجتماعي والعادات والتقاليد ونحو ذلك.

---

(١) البغدادي، سبائك الذهب ، ص ٩ ، القلقشندي، **قلائد الجمان** ، ص ٢٢.

(٢) انظر الفصل الأول من هذا الكتاب ، ص ٦٦.

(٣) الألوســـي، محمـــد شـــكري، "**بـــلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**" ؛ تصحيح. محمد بهجة الأثـــري.ـــ ط٢.ـــ بيروت، د.ت، ج١، ص ص ٨– ٩؛ مهران، محمد بيومي؛ "**تاريخ العرب القديم**" . ـــ إسكندرية، ١٩٨٩م، ص ص ١٥٥– ١٥٦ .

٢ - نظام الحكم - الطور الملكي :

تعـد منطقة الشرق الأدنى مهدًا لنشوء الحضارات في مراحلها الأولى عامة بعـد الانتقال من مرحلة جمع القوت Food Gathering والصيد ومطاردة الفرائس إلى مرحلة إنتاج القوت Food Producing، وبدأ الاستقرار والأخذ بأسباب التحضر والـتطور، ومحاولـة الزراعة وتأنيس النبات والحيوان. وقد ظهرت المجتمعات الـزراعية فـي القـرى ثم المدن، وعلى سفوح الجبال، وضفاف الأنهار، وفي الواحات في وسط الصحارى. ثم تكونت دول المدن وبدأ ظهور الكيانات السياسية الصغيرة. وتطورت إلى ممالك نتيجة الاجتماع والثراء والتحالفات السياسية(١) .

ونشـأت القبيـلة فـي المجتمع العربي، في بلاد العرب كوحدة تنظيمية ثم اسـتقرت بعض القبائل وأصبحت ذات ثنائية اجتماعية أي أنها تتألف من حضر وبـدو وتطورت إلى كيان اجتماعي سياسي؛ مستقر له أنظمته الخاصة وأعرافه إثر الاتحادات القبلية والأحلاف. وتضم القبيلة سُكّانًا مستقرين، وآخرين جوالين وهـم الرعاة أو البدو الرحل. ولكن قد تكون القبيلة كلها من البدو الرحل وغير مستقرة. وخير مثال على القبيلة ذات الثنائية الاجتماعية قبيلة مدين. وأهل مدين هـم نتيجة اتحاد إخوة مدين وانضوائهم تحت اسم مدين وسيادته على بني أبيه (إخوته)(٢).

وظهرت الحكومة المنتظمة مصحوبة بتقدم المجتمع في العهد الإقطاعي Fuedal بصـورة عامة في الشرق الأدنى قبل بداية الألف الثانية ق٠م٠ وبدأت

---

(١) نجـد أمثـلة على ماتقدم في ثقافات تل حلف والعُبيد من العصر الكالكوليتي٠ ثم دويلات المدن السـومرية فـي فجر التاريخ في بلاد الرافدين، انظر: باقر، طه، "**مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**"ـ ط٢ـ بغداد، ١٩٨٦م، ص ٢٠٩ وما بعدها.

(٢) ونستشـهد عـلى وجـود الـبدو والحضر في المدن نفسها « وماهي المدن التي هو ساكن فيها أمخيمات أم حصون »، عدد ، ١٣ : ١٩ .

المطالـبة بعدالة اجتماعية في ظل نظام ملكي، أبوي رحيم• يحمي المثل العليا والقيم لتحقيق المساواة الاجتماعية[١].

ظهـرت قبيـلة مديـن حوالي ١٦٠٠ ق•م، واستقرت في شمال غرب الحجـاز وانتشرت إلى الشرق من خليج العقبة وماحوله، أي في منطقة شملت جزءا من شبه الجزيرة العربية وجزءا من شبه جزيرة سيناء. وهي تتكون في بنيـتها الاجـتماعية من اتحاد قبلي، ذي ثنائية اجتماعية. فانتشر رعاتها في مـناطق أرض مدين المشار إليها؛ بل وصلوا إلى جنوب جلعاد في شمال بلاد الشـام[٢]. وجـابوا حول حدود مصر الشرقية ولايستبعد دخولهم إليها للرعي والتجارة.

وكـان من دأب القبائل عامة أن تقوم بالغزو وشن الغارات على الأراضي الـزراعية. وتغـزو كـل قبيلة الأراضي القريبة منها. وكانت قبائل شمال بلاد العـرب تشن هجماتها على أراضي بلاد الهلال الخصيب وماحولها في بلاد الشـام. خاصة إذا كانت القبيلة كبيرة، كثيرة العدد والعدة. ومستقرة في منطقة تحيط بالجزء الجنوبي من بلاد كنعان على شكل قوس كبير، يمثل أهل مدين في فترة ظهورهم أي في عصرهم (نفصل عنها فيما بعد).

وقـد سـاعد أهـل مدين على الانتشار والغزو، والتوغل في المناطق المجـاورة لمنطقتهم تأنيس الجمل، واستعماله ربما لأول مرة كوسيلة متفوقة فـي تقـنية الحرب. وماقدمه من سرعة الحركة. ونقصد في قطع المسافات وتجـاوز العقـبات الجغرافية وأصعبها الصحارى. فقد عمل أهل مدين في تـربية قطعـان الإبل. والمفترض أن تأنيس الجمل واستخدامه كدابة للحمل

---

(١) برستد ، جيمس هنري، "**فجر الضمير**"؛ تر. سليم حسن، مصر، ١٩٥٦م، ص ١٤٠ .

(٢) Payne, E., "Midianite Arc In Joshua and Judges", **JSOT**, Sheffield, 1983, Series, 24, p.163.

جلعاد، مدينة في شرق الأردن وهنالك مرتفعات جلعاد أيضا، انظر :

Payne, Ibid, Odelain and Seguineau, Op. Cit. p. 138.

والــترحال والحــرب قــد تم حوالي نهاية الألف الثانية ق٠م٠ أو قبل ذلك بقليل(١).

وسيثبت من خلال البحث أن تأنيس الجمل بدأ مع مطلع الألف الثانية ق٠م(٢). لأن قبيــلة مديــن بدأت كقبيلة رعوية واشتغلت في تجارة القوافل منذ بداية أمرها أيضًا(٣).

ويعرف المؤرخ ث. نولدكة المديانيين في الموسوعة التوراتية؛ بأنهم رعاة مسالمون، منهم التجار، ومنهم المحاربون المتجولون؛ الذين يبهجهم غزو مناطق الاستيطان الزراعية أي المستوطنات المجاورة(٤).

وكـــان لأهل مدين نظامهم القبلي الخاص. والذي لايخرج عن إطار النظام القبلي العام. فمثلاً مشيخة القبيلة التي تحكم مجتمع القبيلة وزعامتها، تتولى فض الخلافـــات، والمـــنازعات بين الأفراد. وتنظم توزيع الكلأ والماء بين رعيانها، وتقوم بعقد مواثيق الأحوال الشخصية من زواج أو طلاق. وتتولى تثبيت إرث، أو إثبات نسب، أو شهود وفاة أو مولد، وعتق رقيق أي تحريره، ونحو ذلك مما يــتوقع حدوثه في هذه المجتمعات. إضافة إلى ذلك تنظم مشيخة القبيلة العلاقات مـــع القـــبائل المجـــاورة، بل والدول الأخرى. وتعقد صفقات التجـــارة، وتنظم حركة القوافل المحملة بالبضائع والسلع، عند وصولها أو رحيلها. وتتولى توفير الحماية، وتعيين الأدلاء المرافقين للقوافل.

يتم كل ذلك في مقر شيخ القبيلة الذي يتولى الزعامة ويقوم بمهام المشيخة، يســاعده شــيوخ مجلس القبيلة وأعيانها من ذوي السن والخبرة والحنكة أو من

---

(١) Payne , Op. Cit., p. 163 ; Odelain and Sguineau, Op. Cit., p.138.

(٢) Bulliet, R., "**The Camel and The Wheel**", New York, 1990, p.56.,

(٣) "**Encyclopaedia. Britannica** ", Mic. , London , 1974, vol. 6, p. 876.

(٤) Noldeke , Op. Cit. , vol. 3, p. 3079.

ذوي الـثراء والجاه. والعرف القبلي والعادة هما قانون ودستور الحكم المتداول بالقياس على أوضاع القبائل الأخرى في بلاد العرب[1] .

وكنـتيجة للاتحـادات القبلية والأحلاف ضمت قبيلة مدين عدة قبائل متحدة مـندمجة تحـت اسـم عام جمع قبائل الأبناء الستة لإبراهيم (س) من قطورة. ومعهـم أبـناء مدين وهم خمسة أيضًا. وربما انضم إلى مدين غيرهم من قبائل مصاهرة لهم أو تعيش في الجوار. ويكونون أحلافا لهم مثل العمالقة[2]. وقد نما هـذا الاتحاد القبلي الكبير ليشكل وحدة سياسية اجتماعية، نشأ منها كيان ممالك مديـن السياسية، أي أن الشعب المدياني ازداد عدد أفراده وبالتالي اتسعت رقعة موطنه التي عرفت باسم « أرض مدين »[3].

عرضـنا فيمـا تقدم صورة الطور القبلي في مرحلة باكرة من تاريخ أهل مدين بالقياس على ماهو سائد عن التنظيمات القبلية. وننتقل إلى الطور الملكي لأهل مدين بوصفها مرحلة تاريخية تالية.

الطور الملكي :

ورد ذكر الملـوك الخمسة في مدين الذيـن عاصروا خروج النبي موسى

---

(١) جواد علي، المفصل ، ج٥، ص ٢٦٤ وما بعدها.

(٢) عـن اتحـاد مدين مع إخوته واعتبار اسم مدين علمًا عليهم جميعًا، انظر هذا الكتاب ص ١٣٠. وعن الأحلاف انظر فصل العلاقات ، ص ص ٤٨٤ ، ٥٠٤.

(٣) أعـطى النبي إبراهيم (عليه السلام) بنيه عطايا وصرفهم إلى المشرق والمقصود النبي إسماعيل (عليه السلام) والآخـرون هـم أبـناء قطورة (مدين وإخوته). « أعطى إبراهيم إسحق كل ماكان له وأما بنو السـراري الـلواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق ابنه شرقًا إلى أرض المشـرق وهـو بعد حي »، انظر تكوين، ٢٥ : ٥ . واتسعت أرض مدين لأنه باتحاد الإخوة أصبحت الأرض واحدة أيضا، انظر: حدود مدين، في هذا الكتاب ص ٧٦.

(٤) عدد ، ٣١ : ٠٨ ومن واقع المعلومات والحقائق التاريخية الواردة عن مدين بأنها مذكورة لدى المؤرخيـن العرب كقبيلة عربية، وحقائق ومعلومات التوراة عن ملوك مدين في عصر موسى (س) وفـي عصـر القضـاة. يثـبت مرور مدين في مراحلها التاريخية بالطور القبلي ثم أدى الاسـتقرار إلى التطور السياسي ثم إلى الاتحاد وظهور الكيانات السياسية في مدين مما مهد إلى الانتقال إلى الطور الملكي.

(عليه السلام) مع بني إسرائيل من مصر[1] فذكرت التوراة أسماء ملوك مدين عند عرض أخبار الصراع الدامي الذي نشب بين أهل مدين وبين بني إسرائيل في مرحلتين تاريخيتين أولاهما في عصر النبي موسى (عليه السلام) والأخرى في عصر القضاة. ووفق مرويات التوراة ذهب ضحية ذلك القتال العنيف وفي المرتين ألوف من الشعب المدياني مع ملوكهم. ونتج عنه تدمير كيانهم السياسي واحتلال أرضهم، وإبادة أو سبي من تبقى منهم ونجاة البعض الآخر.

وكان ملوك مدين في عصر النبي موسى (عليه السلام) خمسة ملوك، هم : الملك آوى ، والملك راقم، والملك صور، والملك حور، وأخيرا الملك رابع[1] . ولاتحدثنا التوراة عن هؤلاء الملوك بأية أخبار أو تفاصيل. واقتصر الأمر على تسميتهم كملوك مديانيين تم قتلهم في الحرب فقط، وعن سبي بني إسرائيل نساء مدين وأطفالهم. وأنهم نهبوا جميع مدنهم، وأخذوا مواشيهم وبهائمهم وكل أملاكهم. ثم أحرقوا المدن بمساكنها وجميع حصونها بالنار. وأخذوا كل الغنائم، وقتلوا « بلعام بن بعور» بالسيف وبعد ذلك قتلوا كل طفل ذكر، وكل امرأة متزوجة واستبقوا العذارى من النساء. وبلغ عدد الفتيات اثنين وثلاثين ألفا (٣٢٠٠٠) فتاة عذراء.[3] وهذا عدا الثروات والغنائم الأخرى من الذهب والفضة، والنحاس، والحديد، والقصدير والرصاص [4].

---

(١) عدد ، ٣١ : ٨ .

(٢) عدد ، السفر ٣١ وبلعام بن بعور . رائي من أحفاد لوط (عليه السلام)، انظر عدد ٢٢ : ٥ – ٨، انظر : هذا الكتاب، ص ١٦٠. وإذا حاولنا تقدير عدد أهل مدين من هذه الأرقام في هذه المعركة إذا قدرنا أن كل فتاتين من أسرة واحدة لأصبح لدينا عدد ١٦ ألف أسرة، ولو قدرنا أن كل أسرة تتكون من أم وأب وأطفال وجد وجدة وخدم أو عبيد بما يعادل ١٠ أشخاص في كل أسرة لأصبح لدينا عدد تقديري يبلغ حوالي ١٦٠ر٠٠٠ مئة وستين ألف شخص.

(٣) عدد ، ٣١ : ١ – ٥٣ .

وقد تكون هذه الأرقام مبالغًا فيها فتضخمت بهذه الصورة فوردت في التوراة على هيئة الأرقام المستديرة التي يحرص بنو إسرائيل على استعمالها. وقد انتقد ابن خلدون أسلوبهم هذا في تدوير وتضخيم الأرقام، راجع مقدمة ابن خلدون.ـ ط٧. ـ بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٠- ١١. ونستنتج من ذلك صورة عن تعداد سكاني جيد بالقياس إلى ذلك العصر.

ومما تجدر ملاحظته أيضًا أنه لايرد في إحصائية التوراة ذكر للإبل بين الغنائم التي حصل عليها بنو إسرائيل. هل كانت مرابي الإبل ومناطقها الرعوية بعيدة عن مدن ملوك مدين الخمسة؟ أم أن بني إسرائيل لم يأخذوا الإبل لقلة درايتهم وخبرتهم بهذا النوع من الدواب أو لخوفهم من الجمل كدابة غريبة عليهم، وكبيرة الحجم، إضافة إلى أنهم يحرمون أكل لحم الإبل.

ونجد في ضوء إحصائيات الغنائم، وإن اعترت أرقامها المبالغة والتضخيم كما هو جلي. أنه يمكن تصور تقدير تقريبي لعدد وحجم الغنائم في مدن ملوك مدين الخمسة، وأعداد السكان ومقدار الثروة والأملاك، والجيش المحارب، والحصون وما إلى ذلك من عدة المدن وعتادها(١).

ويحق للمؤرخ أن يتساءل عن نظام الحكم المطبق لدى ملوك مدين هل كان كل ملك منهم يحكم مدينة واحدة مستقلة باعتبارها« دولة مدينة » ؟ وهل كان لكل مدينة مايتبعها من مدن صغيرة وقرى، ومناطق ريفية ورعوية؟ وماهو حجم تلك الممالك إن كانت منفصلة (مستقلة) عن بعضها البعض؟ أم هل كانت متحدة تحت زعامة أحد أولئك الملوك بحلف سياسي، أو روابط اقتصادية تتصل بتجارة القوافل.

وهنالك تساؤلات عديدة لايتوافر للباحثة إجابات واضحة عليها في الوضع الراهن لقلة مصادر تاريخ أهل مدين، خاصة وأن أكثر المعلومات جاءت من

---

(١) لاويين ٤:١١؛ تثنية، ١٤: ٠٧ إذا أخذنا نصف الأرقام السابقة فنجد أن لدينا ثروة حيوانية كبيرة أيضًا. فنجد أن الأعداد ستصبح على النحو التالي: ٣٣٧٥٠٠ من الغنم، ٣٦٠٠٠ من البقر، ٣٠٥٠٠ من الحمير، وإذا اعتبرنا عدد الفتيات النصف أيضا فيصبح لدينا ١٦٠٠٠ فتاة مما يجعل عدد الأسر يتراوح بين ٨٠٠٠ - ١٠٠٠٠ أسرة. تشكل عددًا سكانيًا يقارب مئة ألف نسمة إذا وزعناها على خمسة مدن، إذ يوجد لدينا عدد خمسة ملوك باعتبار أن كل ملك حاكم « دولة مدينة » فيصبح عدد سكان المدينة حوالي عشرين ألف نسمة. وهو عدد ضخم جدا بالنسبة لذلك العصر التاريخي الباكر، مع ملاحظة عدم ذكرنا للمحاربين سواء كانوا من العناصر السكانية أو فرقًا مجندة، أو جنودًا مرتزقة.

طرف واحد أو جانب تاريخي واحد أي مرويات التوراة، لذلك لابد من المقارنة فـي سـبيل تكوين صورة عن هذه الكيانات السياسية المديانية التي أهمل كتاب الـتوراة التفصيل عنها. ولم يفرد المؤرخون التالون مجالا لذكرها في كتاباتهم، وبالاسـتناد إلى عدد الفتيات المديانيات اللواتي وقعن في سبي بني إسرائيل[1] ، أو مـن فـروا هـاربين ونجوا بأنفسهم من ذكور أو إناث. أو من لم يشترك في القـتال ونعـتقد أنهم الفئة التي آمنت مع النبي شعيب (عليه السلام)، فنستنتج أن عدد شـعب أولئك الملوك الخمسة كان يتراوح بين ١٦٠,٠٠٠- ٢٠٠,٠٠٠ نسمة تقريـبًا. بافـتراض أن كل فتاة كانت تنتمي إلى أسرة تتكون وسطا من خمسة أفـراد إلى عشرة أفراد مع أطفالها وشيوخها وعبيدها. وهذا أدنى تقدير بالنسبة للقـبائل العـربية التي تحرص على كثرة النسل؛ وخاصة من الذكور. ويتفاخر الرجل بكثرة نسله وتعدد أفراد أسرته.

وتجـدر الإشارة إلى أن ملوك مدين الخمسة لايمثلون بشعوبهم ومدنهم كل أهـل مدين. وإلا فنتيجة لهذه المجزرة لن تقوم لمدين قائمة بعد ذلك. ولكن هذا القسم من أهل مدين هو من عنيت التوراة بذكره نتيجة اصطدامهم ببني إسرائيل في عصر النبي موسى (عليه السلام) .

أما المؤرخون المسلمون فقد أوردوا بعض الروايات المبهمة والغامضة عن مدين وصراع فترة خروج بني إسرائيل والاكتفاء بالإشارة إلى الواقعة دون أية تفاصيل أو تحديد لمصدر معلوماتهم، قال ابن خلدون مثلاً: حارب بنو إسرائيل، مديـن وقتـلوا ملوكهم ودمروا مدنهم، لكنه لا يذكر أسماء هؤلاء الملوك ولا أسماء مدنهم، وحتى الجريمة البشعة التي ارتكبها بنو إسرائيل في حق الأميرة كزبى اكتفى ابن خلدون بالإشارة إلى ضحيتها بأنها المرأة المديانية[2].

---

(١) عدد ، السفر ٣١ ، ولايجب أن نتغافل عن مصير هؤلاء الفتيات حيث أنه لابد من إنصهارهن في مجـتمع إسرائيل وذلك مصير السبايا أن يصبحن زوجات وسرارى أي أمهات أبناء بني إسرائيل في تلك الفترة اللاحقة للخروج.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص ٨٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ١١٤ وما بعدها،==

وبالاستناد إلى معلومات سفر القضاة ينهض أهل مدين من كبوتهم مرة أخرى. فنرى أنه بعد عصر النبي موسى (عليه السلام) يقوى شأن أهل مدين - دون أن يشار إلى تفاصيل - ولكن يحتمل أن مدنا مديانية أخرى كانت بعيدة عن أحداث الصراع الأول، فيقوم أهل مدين في عصر قضاة بني إسرائيل وبدء استقرارهم في بلاد كنعان بدور حاسم في عصر جديد إن جازت تسميته « عصر نهضة مدين» ، لأنهم استعادوا قوتهم، وكونوا اتحادًا كبيرًا. فيشن أهل مدين هجوما كبيرا على بني إسرائيل • ثم يغزونهم، ويسيطرون عليهم، بل ويحكمونهم ويضطهدونهم لمدة سبع سنوات كما ذكرت التوراة : « فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين »[1] .

ويرد في رواية أخرى أن ملوك مدين حكموا بني إسرائيل لمدة تسع سنوات وثلاثة أشهر. وكان هؤلاء الملوك هم: عريب، وربيب، وبرسونا، ودارع، وصلنا[2]. وعددهم هنا خمسة ملوك ليس بينهم أميرمع تحريف ظاهر في أسمائهم، عن صيغتها الواردة في التوراة :

«وأمسكوا أميري المديانيين غرابا وذئبا». « وأنا ساع وراء زبح وصلمناع ملكي مديان»[3].

== الطبري، تاريخ، ج١، ص٢٢٦، « واسم المرأة المديانية المقتولة كزبى بنت صور، هو رئيس قبائل بيت أب في مديان »، عدد ٢٥: ١٥، ومنهم الطبري، وابن الأثير، وابن خلدون، ومن المؤرخين الأوائل ف. يوسيفوس.

(١) قضاة، ٦ : ١ والأرجح أن مدة الحكم كانت أكثر من ذلك بكثير فربما أنها كانت سبعين سنة، لأن للرقم سبعة خصوصية مستمدة من قداسة أو نحو ذلك لدى أغلب الأمم والشعوب ونجد مترادفات ذلك في كثير من الأمور الكونية والحياتية. بلاد كنعان Canaan بلد الأرجوان وتشمل الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وفلسطين أي جزء كبير من بلاد الشام ، Odelain and and Sguineau , Op. Cit. , p. 7.

(٢) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن ، "**مروج الذهب ومعادن الجوهر**". ــ بيروت، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ج١ ص ٦٦ .

(٣) قضاة : ٧ : ٢٥، ٨ : ٥.

ونتج التحريف لدى المسعودي لاعتماده على المرويات الإسرائيلية، وليس على نص التوراة المكتوب. أما زيادة العدد إلى خمسة فلا ندري مصدره، والتعميم بأنهم ملوك وعدم التمييز بين الملك والأمير فهو خلط ظاهر نتيجة تناقل الرواية شفاهيًّا.

ثم يقوم أحد قضاة بني إسرائيل المسمى جدعون فيوحد صفوف قومه ويحارب حكامهم المديانيين، مع الجموع المديانية، أو الحلف المدياني المكون من مدين والعمالقة وبني المشرق عامة بزعامة أو بقيادة الملك زبح، والملك صلمناع. وهما ملكان مديانيان، ومعهما أميران مديانيان أيضا، الأمير غراب والأمير ذئب[1] .

ويرد ذكر هذه الحروب الطاحنة لدى بعض المؤرخين الذين يختصرون الواقعة في سطرين مع إشارة عابرة : « ثم سلط عليهم قوم من نسل لوط كانت منازلهم في تخوم الحجاز فملكوهم سبع أو تسع سنين ۰ ثم ينقذهم رجل من ولد نفتالى بن يعقوب يقال له جدعون بن يوآش »[2].

ويرد ذكر اسمي ملكي مدين رابح وصلمناع (هكذا) والأميرين فيذكران بصفة قائدين للجند باسم غوديف وزديف [3].

هذه « أمة مدين الثانية » إذا جازت هذه التسمية التي عاصرت عهد

---

(١) جواد علي، **المفصل**، ج ١، ص ٤٥٥، مع ملاحظة استعمال أسماء الطيور الكاسرة والحيوانات للأشخاص وذلك يماثل المألوف في الأسماء العربية القديمة مثل صقر وكلب وضبع كما يلاحظ ظاهرة وجود أمراء إلى جانب الملوك في عهد مدين التالي لعصر النبي موسى (عليه السلام).

(٢) قضاة ، ٨ : ١٠- ١١۰ مع ملاحظة أن رقم مئة وعشرين ألف رقم مفضل لدى كتاب التوراة۰ وهو نفس الرقم الذي أعطي لبني إسرائيل عند الخروج۰ انظر ابن خلدون، **المقدمة** ، ص ص ١٠ – ١١ . الطبري ، **تاريخ** ، ج١، ص ٢٤١ ؛ ابن الأثير، **الكامل** ، ج٢ ، ص ص ١٢٠ – ١٢١ ؛ انظر الكتاب ص ٨٦ .

(٣) ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج٢، ص ٩٠ .

القاضـــي جدعــون[١] . وتذكر التوراة أولئك الملوك السبعة من ملوك مدين في عصـــرين مختلفين "عصر النبي موسى (عليه السلام) وعصر القضاة ". ونجهل الكثير عنهم فلا نعرف بداية حكمهم أو مدة ذلك أو بقايا أمتهم أو آثارهم. بالإضافة إلى الأمـــراء الذين لا نعلم عنهم شيئًا. ما خلا الأمير غريب، والأمير ذئب· فهنالك إشارتان عنهما·

نستنتج مما تقدم أن النظام السياسي الذي ساد في مدين في الطور الملكي أو عهد الملكية بأنه كان يتبع نظام دولة المدينة – City State أو Polis أي « دويلة » قياســا على القرائن التاريخية المشابهة السابقة والمعاصرة واللاحقة لعصر أهل مدين· ويعود النظام السياسي المتمثل في دولة المدينة في بلاد الرافدين مثلا إلى حقبة فجر التاريخ أو فجر السلالات، أي منذ منتصف الألف الرابعة ق·م· وقد عــرف هــذا النظام لاحقا في بلاد اليونان في إطار المدينة Polis أيضًا. أو كما عرفناه في اللغة الانجليزية City State [٢].

كذلــك وجــد نظــام سياســي ممــاثل في بلاد الشام في مدن الآموريين، والفينيقيين، والآراميين[٣].

---

(١) جدعــون بن يوآش גדעון בן יואש من المصدر الثلاثي جدع· وفي اللهجة المصــرية الجدع أي الفتى الشجاع والجدعنة أي الفتوة· نظام القضاة في بني إسرائيل كان يعتمد عــلى نــوع من الفتوة والشجاعة بالإضافة إلى الفصل في المنازعات، أي أنهم زعماء عسكريون وديـــنيون، انظر: ظاظا، حسن، " الفكر الديني اليهودي".ـــ ط٢.ـــ دمشق، ١٤٠٧هـــ / ١٩٨٧م، ص ص ٣٤- ٣٦· قضاة، ٦ : ١١ .

وقــد دعــا يهوه جدعون ليحرر بني إسرائيل من المديانيين فأجاب جدعون وقلب مذبح البعل وقطع النبــتة المقدسة ودعا القبائل لمساعدته، وبعد النصر رفض أن يصبح ملكا لإسرائيل وحكم قاضــيا لمدة ٤٠ سنة، انظر: قضاة ٦ : ١٧ – ٢٤.

(٢) باقــر، مقدمــة فــي تــاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص ٣٢٥ ويظن أن نظام دولة المدينة الســومرية قــام على أساس ديني ، أما لدى أهل كنعان فقد قام على أساس قبلي ، وكذلك الأمر لدى أهل مدين .

(٣) حــتى، فيـليب ، "**تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**"؛ تر. جورج حداد، وعبدالمنعم رافق. ـــ بيروت ١٩٥٨م، ص ٨٨؛ باقر : **مقدمة في تاريخ الحضارات** ، ج١، ص ٤٩٣ .

ومن أمثلة دويلات المدن لدينا المؤتفكة، وهي قرية لوط، وتتكون من خمس قــرى أو مدن هي: صبعة (صابورا)، وصعرة (صاعورا)، وعمرة (عمورا)، وأدمــة (أدموتــا)، وســدوم، وهــي القرية العظمى[1]. ويظن أن سدوماً كانت أكــبرها، ربما العاصمة. وقد ورد في التوراة أسماء ملوك هذه المدن٠ مما يدل عــلى أنها كانت ممالك مدن مماثلة لممالك مدين الخمسة بحسب أسماء الملوك الخمسة في عصر النبي موسى (عليه السلام). والمؤتفكة خمس مدن لها خمسة ملوك، كما جاء في التوراة : « وحدث في أيام أمرافل ملك شنعار وأريوك ملك ألاسار وكدرلعومــر مــلك عيلام وتدعال ملك جوييم أن هؤلاء صنعوا حربًا مع بارع مــلك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك أدمة وشمئبير ملك صبوييم وملك بــالع التي هي صوغر »« وأخذوا لوطا ابن أخي أبرام وأملاكه ومضوا إذ كان ساكنا في سدوم »[2]. ونجد هنا مثالا واضحًا عن دولة المدينة فتذكر التوراة كل ملك واسم مدينته معه أما عند ذكر ملوك مدين فتطلق التوراة التعميم باسم مدنهم وحصونهم٠ وقامت مدن المؤتفكة الخمسة كدويلات مدن في حقبة تاريخية سابقة لعهد مدين حيث كانت في عهد النبي إبراهيم (عليه السلام) أبي مدين، وفي منطقة بلاد الشام. فهي ليست بعيدة عن مدين لا زمانيًا ولا مكانيًا٠

وهنالك نماذج أخرى لنظــام دولة المدينة فنجد أن الكنعانيين سكان بلاد الشام وفلسطين قبل خروج بني إسرائيل من مصر – حوالي القرن الثالث عشر ق٠ م٠ وقبل غزوة شعوب البحر Sea People – حوالي القرن الثاني عشر ق٠م٠[3]. أقام أولئك الكنعانيون نظامهم السياسي وفق نظام الدويلة أو دولة المدينة City Stat،

(١) الطبري، **تاريخ**، ج١، ص ١٥٨؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج١، ص ٥٧. ونتساء ل عن دومة أو أدموتا هل هي واحة دومة الجندل الواقعة في شمال شبه جزيرة العرب.

(٢) تكوين ، ١٤ : ١ – ٣ ، ١٢ .

(٣) تكونت شعوب البحر من الفلست أو الفلستر Philister والوشيش والشردان والشكليش والجكر.==

كذلــك أنشـــأ الفلستر نظامهم السياسي على غرار الدويلات التي كانت قائمة في البلاد. وهكذا عرفنا أقطاب الفلسطينيين الخمسة في مدنهم الخمس(١).

وأنشـــأ الـــرومان في بلاد الشام حلف الديكابوليس Decapolis (العشر مدن). لتحصـــين حدود إمبراطوريتهم ، فتعتمد الحدود الجنوبية للديكابوليس على هذه القواعـــد والمراكز في مناطق الممالك القديمة مثل موآب وأدوم ومدين(٢). وهو دليل على أهمية المنطقة إستراتيجيًا.

ويـــبدو أن دول المدن في مدين كان لها بعض خصائص سياسية، نستشفها مـــن الآيـــة التالية، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ ﴾ (٣).

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ (٤).

= خمســـة شعوب هاجرت ربما من جزر بحر إيجة إلى بلاد الشرق الأدنى القديم ودخلت إلى بلاد الشـــام ومصر. أخرجهم المصريون واستقروا في بلاد الشام وكونوا دويلات في مدنهم الخمسة: غـــزة ، وجـــت وأشدود ، وعسقلان، وعكرون، انظر: ياسين، خير نمر، "**جـنوبي بلاد الشام**"، الأردن ، ١٩٩١ ص ص ١٨٧- ١٨٨؛ حـــتى ، تـــاريخ ســـوريا ولبنان وفلسطين، ص ١٩٦؛ اليوســـف، يوسف سامي، " **تاريخ فلسطين عبر العصور**".ـــ ط١، دمشق ١٩٨٩م، ص ٥٨؛ قضاة، ٣:٣؛ صموئيل الأول ٦: ١٧.

(١) Albright, F. , "**The Archaeology of Palestine** ", London, 1951, pp. 109, 114 - 118.

(٢) Glueck , N., "**Deities and Dolphins**", New York, 1965, p. 361.

حلف المدن العشر (الديكابوليس) الإغريقية الواقعة شرق نهر الأردن. تم إنشاء هذا الحلف بعد أن احـــتل الـــرومان المنطقة منذ ٦٤ق.م. على يد القائد الروماني بومبي. وكان لمدن الحلف عمـــلة خاصـــة ومحـــاكم وجيـــش. وتوسع الحلف فضم إليه عددًا من المدن الأخرى، انظر: اليوسف، " **تاريخ فلسطين**"، ص ١٠٢ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية: ٨٨ .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٩٠. ويدل مفهوم القرية قديما على المدينة التي يستقر فيها قبائل ذات روابط وصـــلات وليـــس كمـــا هو دارج في المفهوم الحديث أن القرية عبارة عن بلدة صغيرة ريفية في ضـــواحي المـــدن. فمثلا لدينا مكة في عهد قريش من أكبر مدن بلاد العرب وكانت تسمى القرية وتســـمى أم القـــرى أيضا، سورة الشورى، الآية : ٧ سورة الأنعام، الآية : ٩٢ ولابد أن الملأ هو مجـــلس حكومـــة المدينة. انظر: سلامة، عواطف، "**قـــريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني**".ـــ الرياض، ١٤١٤هـــ ، ١٩٩٤م. ص ١٤٣ ومابعدها، ص ص ١٤٣- ١٦٧.

ونتساءل عن « الملأ» هل كان طائفة (حزب) لها سلطة سياسية أو نحو ذلك على غرار حكومة الملأ من قريش في مكة ، في فترة تاريخية لاحقة فيما بعد. أم هو مصطلح سياسي مستعمل في واقع العصر الذي نزل فيه القرآن الكريم[1]. ويلاحظ استعمال القرآن لمصطلح « الملأ » في التعبير عن « ملأ مدين» الذين استكبروا أو الذين كفروا. وبالمثل « ملأ قريش » ، فهل كان مجلس الملأ في الحكومة دائمًا للتشاور في أمور وقضايا القرية أو المدينة، أي أنه إشارة إلى مجلس استشاري لكيان مدين السياسي. أم هو مجلس طارئ عقد خصيصًا للنظر في أمر النبي شعيب (عليه السلام) لمجابهة دعوته ومقاومتها. وكما يبدو كان لهذا الملأ نفوذ سياسي تنفيذي حيث هدد الملأ من الذين استكبروا النبي شعيبا (عليه السلام) بالطرد من قريتهم أو مدينتهم هو والذين آمنوا به. أما الملأ من الذين كفروا فقد اقتصروا على الوعظ والنصيحة، وبيان النتيجة السيئة التي سيصل أتباع شعيب إليها، ومصيرهم الخسران، أي ضياع مصالحهم. وقد يكون مصطلح الملأ يطلق على الفئة المنشقة أو الحزب المعارض لأية قضية جديدة على نظام المدينة.

ونستنتج مما تقدم بعض الحقائق التالية :

أولاً – نشأت مدين الأولى كاتحاد قبلي بفعل عوامل الاستقرار في واحات زراعية مما أدى إلى الأخذ بأسباب التطور والتحضر، والنمو السياسي والاقتصادي. وبنت كيانًا سياسيًا قام على نظام حكم ملكي سواء كان دويلات مدن (كيانات متعددة) أو مملكة واحدة ظهرت أولا ثم انقسمت إلى عدة ممالك بدليل الملوك الخمسة في عصر النبي موسى (عليه السلام). ثم الملكين في عصر القضاة. ولايتم الجزم في شأن نظام حكومة مدين ولكن الأرجح أنها كانت مملكة واحدة في عهد مدين بن النبي إبراهيم (عليه السلام) لأن الحقيقة الثابتة أن أهل

(١) سورة النمل، الآية : ٢٩؛ الأعراف، الآيتان، ٦٠، ٧٥.

مديــن كــانوا شعبا واحدًا من أصل واحد. ونشأوا على أرض مدين، حيث بدأ تاريخهم منذ حوالي منتصف الألف الثانية (١٥٠٠ق٠م٠) ثم انقسمت. بالإضافة إلى أن كيــان مديــن الأول تعــرض لحوادث بالغة الضرر، ونقصد الحادثتين الكبيرتين المتميزتين في تاريخ أهل مدين وهما :

أ - حـــرب بنــي إسرائيــل بأمر النبي موسى (عليه السلام) ضد أهل مدين حوالي القرن ١٣ق٠م٠ والتي كما يبدو أسفرت عن القضاء على أكبر كياناتهم السياسية [١].

ب - الرجفــة التي أخــذت أهل مدين نتيجة عصيانهم لدعوة نبيهم شعيب (عليه السلام)٠ وقــد تكون الرجفة التي أوقعها الله فيهم زلزالا مدمرًا أو ثوران بركان قضى عليهم وطمس معالم عمرانهم ومساكنهم في مدنهم٠

واندثــرت جميــع آثــارهم إلا أقل القليل، قال تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [٢].

ثانيا - مدين الثانية وكان أهلها من الفارين أو الناجين من القتل في المعركة المشــار إليهــا أعلاه، والذين لم يدخلوا الحرب مع النبي موسى (عليه السلام) لأسباب مختــلفة منها: بعد ديارهم عن أرض المعركة التي من الأرجح أنها وقعت في شمال خليج العقبة أو في شبه جزيرة سيناء[٣]. بالإضافة إلى المؤمنين من أتباع النبي شعيب (عليه السلام) الذين كتب الله لهم النجــاة من عذاب الرجفة، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ [٤]. والأرجح أن وقوع الرجفة على أهل مدين تم بعد الحرب مع النبي موسى (عليه السلام) لأن فيها إبادة لقسم كبير من مدين.

---

(١) عدد، ٣١ : ١ - ٥٣.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان : ٩١ - ٩٢.
(٣) انظر : الفصل الأول من هذا الكتاب.
(٤) سورة هود، الآيتان : ٩٤ - ٩٥.

والمؤمـــنون الـــناجون هم الذين قاموا بإعادة وتأسيس كيانات مدين السياسية الجديـــدة القويـــة. فحكمـــوا بني إسرائيل. هذه الفئة الثانية هي التي شاركت في الجولة الأخرى (معركة في عهد القضاة حوالي القرن الحادي عشر)، والتي نشبت بين بني إسرائيل بقيادة جدعون في عهد القضاة وبين بني المشرق، بزعامة ملكي مديـــن زبـــح وصلمناع وقائديهما الأميرين المديانيين غراب وذئب(١). ويبدو أن هذين الملكين ومعهما الأميران كان لهم النفوذ والزعامة أيضا على بني إسرائيل في أرض فلسطين. إذ أنهم مخصوصون بالذكر دون غيرهم.

وقـــد تـــم القضـــاء فـــي هذه المعركة على بني المشرق ومن ضمنهم أهل مدين(٢). وكانت هذه الحرب النهاية الواضحة لأهل مدين. فانفرط بعدها عقدهم وتفرق شملهم. فتبددوا ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك وتضاء ل ذكرهم حتى عدهم المؤرخـــون في عداد القبائل البائدة. وسكتت التوراة تماما عنهم إلا فيما ذكرته لممًـــا عن قوافل مدين وعيفة. ويضاف إلى ذلك ماذكرته الوثائق الآشورية عن عيفة وبدانا (مدان)(٣).

٣ - مدين وإخوانه :

أنجـــب النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) אברהם Abraham - أكبر أبنائه إسماعيل أولا ثم النبي إسحاق (عليه السلام) وهما من أمين مختلفتين هما السيدتان هاجر

---

(١) انظر: هذا الكتاب، ص ٨٩، وفصل العلاقات، ص ٥٣٣.
ولكن وجود ملكين لمدين في آن واحد بالمقارنة مع ما ورد في نصوص اللعن المصرية عن وجود شـــيخين أو مـــلكين لمدينة القدس (أورشليم). يكشف أصول تنظيمات قبلية بدوية انتقلت إلى المدن والحواضـــر، انظر: ولسون، جون، "**الحضارة المصرية**"؛ تر. أحمد فخري.ـــ القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢٦٢.
Pritchard, J. ," Ancient Near Eastern Texts ", 2nd. Ed. Prnceton, 1955, p. 329; Gray, Op. Cit. , p. 29

(٢) انظر: هذا الكتاب، ص ص ١٣١، ٥٦٢.
(٣) إشعيا، ٦٠ : ٦.

وســـارة عـــلى الترتيب، ثم تزوج إبراهيم من قطورة קְטוּרָה Keturah وهي قطورة بنت يقطن من الكنعانيين(١). ويرد اسمها في المصادر الإسلامية بصيغة مختـــلفة فهـــي قنطورة أو قطوراء(٢). وتعد الزوجة الثانية لإبراهيم فهي ليست سرية ولا محظية، وإنما اتخذها إبراهيم زوجًا له بعد موت زوجته الأولى سارة والدة إسحاق ، أما هاجر فمن المعلوم أنها سرية.

وقـــد ورد ذكـــر قطورة في التوراة على أنها محظية أو سرية لإبراهيم: «وأمـــا بـــنو قطورة سرية إبرهيم فإنها ولدت زمران ويقشان ومدان ومديان ويشـــباق وشـــوحا، وابـــنا يقشان شبا وددان وبنو مديان عيفة وعفر وحنوك وأبيـــداع وإلدعـــة»(٣). ولذلك حدث الخلط بينها وبين السيدة هاجر في كتاب المـــدراش، وفي الترجوم (التركوم) الفلسطيني أيضًا، ومعنى اسم قطورة في الـــلغة العـــبرية: « البخور »(٤). وله في اللغة العربية عدة اشتقاقات منها: تقطيـــر الشـــيء أي إسالته عام مطلق لكل مايسيل ويتقطر. ويدخل ضمن هذا المعـــنى الـــبخور أيضا، ولكن القِطر هو النحاس(٥). ونشر القطر هي رائحة العود، وقطوراء اسم نبات(٦).

ويلاحـــظ اقـــتران اســـمها بالبخور مما يشير إلى أصوله العربية، وأصل البخور من شبه جزيرة العرب،

---

(١) الطبري، **تاريخ** ، ج١ ، ص ١٥٨ .

(٢) المسعودي، **مروج الذهب** ، ج١ ، ص ٥٨ .

(٣) أخبار الأيام الأول ، ١ : ٣٢ .

(٤) **"Jewish Encyclopeadia"** , Italy, Leon, 1904, vol. 7, p.480.

(٥) ســـورة الكهف ، الآية : ٩٦ ، قال تعالى : ﴿ آتوني أفرغ عليه قطرًا ﴾. سورة سبأ، الآية : ١٢ قال تعالى : ﴿ وأسلنا له عين القطر﴾. السيوطي : تفسير الجلالين، ص ص ٣٩٤ ، ٥٦٤ .

(٦) ابن منظور، المرجع السابق، ج٣، ص ص ١١٤– ١١٥.

وأنجبت قطورة لإبراهيم (عليه السلام) ستة أبناء ذكور هم: زمران ويقشان ومدان ومديـن ويشباق وشوحا.(١) ثم أصبحت قطورة جدة لست عشرة قبيلة من نسلها وهم أبناؤها وأحفادها من أبناء مدين وأبناء إخوته(٢).

ويـرد ذكـر أسماء أبناء النبي إبراهيم (عليه السلام) بترتيب مخالف في مصادر عربية على النحو التالي : مدين ومدون ويقشـان وزمرون وأشبق وشح. وأمهم قـنطورا بـنت مقطـور من العاربة وذكر أن مدوناً وأشبق وشح خرجوا إلى خراسان وتناسلوا بها(٣).

١- زمران : זִמְרָן Zimran

أكـبر أبـناء النبي إبراهيم (عليه السلام) من قطورة ويرد اسمه دالا على عشيرة تعيـش فـي بلاد العرب بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى الغرب من مديـنة مكة. وقـد دعاها بطلميوس (القرن الثاني م٠) زابـرام Zabram (وربما أنهـا صابرام)(٤). ويربط أ٠ فورستر بين زمران وبين بني زومان وزماريـن، الذيـن ذكرهم المؤرخ بليني Pliny. واستنتج أنهم هم بنو شمر أي أنهم نفس هذه القبيلة (زماريني - سماريني) ولهم ثلاث مدن استقروا فيها (٥).

٢- يقشان : יָקְשָׁן Jokshan

ابن إبراهيـم من قطـورة ويأتـي الثـاني في الترتيب ونعـرف ابنيـه « شـبا وددان» (٦). وأنهم أمة من بلاد العرب، ورد ذكرهما في التوراة٠ وكتب

---

(١) تكوين ، ٢٥: ١ - ٢ ؛ Eph[c]al, I., "**The Ancient Arabs** ", Jerusalem, 1984, pp. 231-232.

(٢) Jewish Ency., Op. Cit., Vol. 7, p. 480.

(٣) ابـن حبيب ، أبو جعفر محمد ، "**المحبر**" ، رواية أبي سعيد الحسن العسكري؛ صحح. إيلزة ليختن شتيتر. ــ بيروت د٠ت٠ ص ٣٩٤ .

(٤) HB. Dic., Op. Cit., pp. 524, 1165.

(٥) Forster, Op. Cit. , vol. 1, p.323, vol. 2, p. 241.

(٦) تكوين ، ٢٥ : ٣ .

أ. فورستر الاسم بصورة يقطان – Joktan. (ولانعرف فيما إذا كانت مطابقة يقطان مع قحطان أو ترادفهما كاسم لمجموعة عربية مطابقة، لأنها تحتاج إلى دراسة مستقلة عن القبائل والأنساب). ويذكر أ. فورستر أن قتبان هم من بني قحطان (Beni Kahtan)[1] أو يقطان.

٣- مدان : מדן Madan - Medan

الابن الثالث لإبراهيم من قطورة. ومن المحتمل أن يصبح إسمًا علمًا على بعض سكان منطقة مدين[2]. ويوضح أ .فورستر خطأ الباحث م. دانفيي M. d'Anville حول إطلاق اسم « معداني » على سكان منطقة معدن النقرة. فقال دانفي بأنهم « قبيلة معداني » Maadeni والأصح في رأي أ. فورستر أن ذلك الخطأ يجب أن يصحح بأن يتم عكس ذلك فيجب أن تنسب منطقة معدن النقرة إلى « مدان » ويجعل سكانها من بني مدان بن إبراهيم. (وهذا هو الأرجح. والرأي صائب وأقرب إلى الواقع المقبول، حيث لانعرف قبيلة تدعى باسم «قبيلة معداني»). كما أن بعض الروابط اللغوية التي أوردها والاشتقاقات المختلفة بين مدان ومدائن، ومدن ومدينة تقوى فرضيته[3].

ويربط أ. موسل بين اسم بدنا Badanatha التي ذكرها المؤرخ بليني Pliny وبين اسم واحة البدع ، أو بدا. وذكر أن هنالك محلة باسم مدان ذكرها أ. جلازر A. Glazer[4] والإبدال بين حرفي الباء والميم وارد. وقد جاء في التوراة ذكر مدينة في البرية قرب بيت العربة باسم مدين מדין Middin وتليها مدينة سكاكة.[5] وهنالك وادي المدان وفيفاء مدان[6]. والمدان صنم له

---

(١) Forster, Op. Cit., Vol. 1, pp. 325, 350.
(٢) HB . Dic. , Op. Cit., p. 617.
(٣) Forster, Op. Cit., vol. 1, p.336.
(٤) موسل ، المرجع السابق ، ص ٩٠.
(٥) يشوع ، ١٥ : ٦١ .
(٦) فيفاء مدان نزل بها جيش زيد بن حارثة في غزوته إلى جذام، انظر: الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص ١٦٤ .

بيــت (للعــبادة)، وقد تسمى به قوم. فمنهم عبد المدان، وهو أبو قبيلة من بني بالحرث، وواحدهم المداني[1].

٤- مدين : 𐡌𐡃𐡉𐡍 Midian

هو مدين (مديان) بن إبراهيم الخليل (عليه السلام) أمه قطورة ويأتي ترتيبه الرابع بين إخوته[2]، وقد فاق إخوته وساد عليهم، وحمل بنوه اسمه من بعده فأصبح اســم مدين علما على بنيه وبني أبيه (إخوته) وأصبحت قبيلة مدين أمة كبيرة، ربمــا بســبب موقع أرضها وإشرافها على طرق التجارة، واشتغالهم بالتجارة وأمورها فنالوا الثراء الواسع.

تــزوج مدين بن إبرهيم ابنة لوط بن هاران، وهو لوط ابن أخي إبراهيم الخليل (عليه السلام)[3]. أي أن مدين تزوج ابنة ابن عمه، وأنجــب مدين خمسة أبناء

---

(١) وبنو عبد المدان أحد بيوتات العرب ومنهم : ١- بيت زرارة بن عدس في تميم، ٢- حذيفة ابن بدرة الفزاري. ٣- بيت عبد المدان من بني الحارث (واسم عبد المدان عمرو) ويسمى ابنه عــبد الحجر بن عبد المدان، ومنهم : علي بن الربيع بن عبدالله (لأن الرسول ﷺ غير اسمه من عــبد الحجــر إلى عبدالله) ابن عبد المدان الحارث المداني. تولى حكم صنعاء في عهد السفاح. وبــنو عبد المدان بطن ، وهم نسل عبد المدان (عمرو). واشتقاقه من دان، يدين، والدِّين الجزاء والطاعــة، وهو « كسحاب » أي على وزن فعال. ابن الكلبي، المرجع السابق ، ص ١١١؛ ابن دريد، أبوبكر بن الحسن، "الاشتقاق"، تح. عبدالسلام محمد هارون.ــ بغداد ١٣٩٩هــ / ١٩٧٩م ص ٣٩٨ – ٣٩٩؛ ابن هشام، أبومحمد عبدالملك، "السيرة النبوية"؛ تح. طه عبدالرؤوف سعد.ــ القاهــرة، ١٩٧٤م، ج٤، ص ٢٠٨، ابن منظور، المرجع السابق، ج٢، ص ١١٥٦؛ الزبيدي: **تاج العروس** ، ج٩ ، ص ص ٣٤٢- ٣٤٣ .

(٢) Forster , Op. Cit., vol. 1, p. 339.

(٣) الــبغدادي : **ســبائك** ، ص١٧. وذكــر أن لوطًا له ابنان هما عمون ومؤاب، سكن عمون وبنوه (العمونيون) في معان، وهي بلاد بأرض الشام، وسكن موآب وبنوه (الموآبيون) في موآب البلد المعــروف باسمه وهي من أرض البلقاء في بلاد الشام أيضًا. أي أن بني عمون وبني موآب من أخــوال أهل مدين (خؤولتهم)، انظر: ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد، "**جمهرة أنساب العرب**".ــ ط٤.ــ مصر ، ١٩٧٧م، ص ٥١٠.

هم : عيفة وعيفر وحنوك وأبيداع وإلدعة• وهذا تسلسل ترتيبهم في المصادر[١]، والأرجـــح أن يكـــون ذلـــك التسلسل وفق مولدهم• أما يمن بن مدين الذي ذكره الهمدانـــي في إكليله[٢]. فلا يرد تفصيل عنه• ولانعرف هل هو من أبناء مدين من الزوجة نفسها أو من غيرها.

عرفـــنا أن لمديـــن بن إبراهيم (عليه السلام) ابنة تدعى أيلة بنت مدين• وقد أطلق اسمها على مدينة إيلات (أيلة)، المطلة على خليج العقبة؛ الرأس الشرقي للبحر الأحمـــر. وقيل هي أيلة أو عصيون جابر• وذكرنا أنها مدينة مديانية أو إدومية. وأيلة هي القرية التي كانت حاضرة البحر المذكورة في القرآن الكريم بأنها مدينة اليهـــود الذين اعتدوا في السبت• وهي أول مدن الحجاز. وقيل أن معنى الاسم بيـــت الله [٣]. أو بيت إيل بصيغة المؤنث « أيلة » ويرجح أن الاسم تأنيث اسم الإله الكنعاني « إيل ». وقال تعالى عن القرية: ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِـــرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾[٤]. وأيلة بنت مدين الابنة الوحيدة التي ورد ذكـــرها فـــي نســـبة مدينة أيلة إليها فقط• ولانجد عنها أية معلومات كما لايوجـــد ذكـــر عن بنات أخريات لمدين أو غيره من إخوته• كذلك لانعرف إذا كان لمدين أخوات من قطورة وإبراهيم.

٥- يشباق יִשְׁבָּק Ishbak

يـــرد شـــبيهًا لاسم يشباق بن إبراهيم في اسم موقع مدينة قديمة، فيها قصر

---

(١) تكوين ، ٢٥ : ١-٤ ؛ Eph^cal, Op. Cit., p. 232; Forster , Op. Cit., Vol. 1, p. 342.

(٢) ا لهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب ، "**الإكليل**"؛ تح. نبـــيه أمني فارس ـــ بيروت ، د•ت• ، ج ٨، ص٧٣ .

(٣) الجزيـــري، عـــبدالقادر بـــن محمـــد، (ت. في القرن العاشر) / **الدرر الفرائد المنظمة**؛ أعده حمد الجاســـر ـــ الـــرياض، د.ت. ج٢، ص ١٣٣٤؛ الحميري ، الروض المعطار، ص٧٠، البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن (ت• ٧٣٩هـــ) ، "**مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**"؛ تح. علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، د•ت، ج١، ص ١٣٨ . HB. Dic. , Op. Cit., p. 292.

(٤) سورة الأعراف، الآية : ١٦٣.

يطـلق عليه اسم قصر « شوباك »، وتقع المدينة في وادٍ معروف باسم وادي نجد على خط الطريق الروماني إلى العقبة وعلى بعد عشرة أميال تقريبا شمال شرق إلدعة وفق رأي بوركهاردت Burckhardt (١).

ويتطابق اسم شوباك القصر مع يشباق Shobak أو Ishbak ويجاور هذا الموقع مستوطنات بني قطورة. وذكره بطلميوس باسم إسبوتا Esbuta (٢).

ومن الملاحظ أن اسم يشباق أو إشباق على صيغة إسحاق،

٦- شوحا : שׁוּחַ Shauh

يــربط فورستر بين شوحا وبين « بلدد الشوحي » صديق النبي أيوب(٣). ويؤكد بهذه الصلة وجود قبيلة عربية من نسل شوحا أصغر أبناء إبراهيم (عليه السلام) من قطورة، ويوجد مسكن بني شوحا في صحراء بلاد العرب في الإقليم الواقع على طول الطريق التجاري الآتي من ديدان مارا بإدوم إلى سوريا (٤).

ذكــرنا فيما تقدم أبناء إبراهيم (عليه السلام) من قطورة، ويؤكد الطبري أن أبناء إبــراهيم (عليه السلام) ثمانيـــة فقط وهم: إسماعيل وإسحاق، والستة المعروفون بأبناء قطورة (٥)، ثم يعود الطبري عن رأيه هذا، فيذكر أن إبراهيم (عليه السلام) اتخذ بعد

---

(١) Forster, Op. Cit.., vol. 1, pp. 352 - 353.
وإلدعـــة هــو الاسم نفسه الذي عرف باسم أودي أو لوديا المذكورة لدى بطلميوس والمذكور في التوراة كاسم علم لأخي مدين، وشوباك موضع له ذكر متكرر في تاريخ الحملات الصليبية وكان في حيازة مالكه الإقطاعي « رينود» Reinold أو « ريجنالد » الذي عرف عنه إزعاجه لقوافل الحجاج، وسرقتهم وتهديد المدينتين المقدستين مكة والمدينة في عصر القائد صلاح الدين الأيوبي، انظر: عاشور، سعيد عبدالفتاح، "**الحركة الصليبية**".ـ ط١ .ـ مصر، ١٩٦٣م، ج٢، ص ٧٦٨ .

(٢) Forster , Op. Cit., vol. 1, p. 353.

(٣) « أليفاز التيماني وبلدد الشوحي وصوفر النعماني،،» ، أيوب ، ٢ : ١١،

(٤) Forster, Op. Cit., Vol. 1, pp. 353 - 354.
موسل، "المرجع السابق"، ص ١٦،

(٥) الطبري، تاريخ ، ج١ ، ص ص ١٥٨ – ١٥٩ .

وفـــاة ســـارة زوجـــتين قطورة (قنطوراء) بنت يقطن، والأخرى هي حجور بنت أرهيـــر، فولدت له خمسة أبناء هم: كيسان، وشورخ، وأميم، ولوطان، ونافش [١]. وهكـــذا أصـــبح عـــدد أبناء إبراهيم (ﷺ) ثلاثة عشرة رجلا٠ ولم يورد أحد من المؤرخين ذكر إناث من نسل إبراهيم٠

ويذكر النسابـــة ابن حزم أن بني قطـــورة سكنـــوا مكة مع أخيهم إسماعيل (ﷺ)[٢] ٠

وفي روايـــة أخـــرى ورد أنه كان لإسماعيل بن إبراهيم (ﷺ) ابن يدعى « مديـــن » أيضًـــا٠ وأن مدين بن إسماعيل بن إبراهيم (ﷺ) انتقل إلى أرض مدين وعاش فيها [٣].

ولـــم يـــرد في التوراة ذكر لأحد أبناء إسماعيل باسم مدين٠ وقيل بل سكن مديـــن بـــن إبـــراهيم مع أخيه إسماعيل في مكة ثم خرج منها٠ فهل نعتبر هذه الـــروايات، أو هذا التمازج بين بني مدين وبين بني إسماعيل نوعًا من اختلاط الإخـــوة مـــع بعضهم البعض، وسكنى أحدهما مع الآخر في بلاد؛ مبررا للخلط الذي ورد في التوراة عن المديانيين والإسماعيليين٠ وتناقله الرواة والمؤرخون فيما بعد٠ وسنعود إلى موضوع الإسماعيليين والمديانيين [٤].

٤- انتشار قبائل مدين :

أصبح أهل مدين قبيلة كبيرة أو أمة كبيرة وقوية غلب عليهم اسم « مدين » فأصـــبح عـــلمًا عليهم٠ وانضوى تحت هذا الاسم إخوة مدين[٥]٠ وأبناؤه [٦].

---

(١) الطبري، **تاريخ** ، ج١ ، ص ص ١٥٩- ١٦٠ ؛ ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج٢ ، ص ص ٣٨ - ٣٩.
(٢) ابن حزم ، المرجع السابق، ص ٥١٠ .
(٣) الدينوري، أحمد بن داود ، "**الأخبار الطوال**" ؛ تح. عبدالمنعم عامر، بغداد، د٠ت٠ ، ص ٩ .
(٤) انظر فصل العلاقات من هذا الكتاب، ص ٥٠٤ .
(٥) إخوة مدين هم : زمران ويقشان ومدان و«مدين» ويشباق وشوحا. انظر هذا الكتاب، ص ١٢٥.
(٦) أبناء مدين هم : عيفة وعفر وحنوك وأبيداع وإلدعة. انظر ص ١٣٦ من هذا الكتاب.

فصـــاروا أمـــة مستقرة لها مستوطنات معروفة، وتفرعوا إلى شعوب وقبائل[1] ذات ثنائية اجتماعية.

كمـــا عرفت مجموعة قبائل مدين باسم «أهل مدين»، وباسم آخر أقل شهرة وهو: القبائل الإبراهيمية، والمقصود بهم أبناء إبراهيم وأحفاده عامة وقد يضم هذا الاسم أي «القبائل الإبراهيمية» إسماعيل (عليه السلام) وبنيه، وإسحاق (عليه السلام) وبنيه.

وكون أهل مدين اتحادًا عربيًا إبراهيميًا تحت قيادة مدين، عندما جمعوا جيشًا بلغ تعداده مئة وخمسة وثلاثين ألف مقاتل (١٣٥٠٠٠)[2]. وعرف الجميـــع باسم المديـــانيين أو قبيلـــة مدين. ثم باســـم أهل مدين في القرآن الكريم. كما عرفـــوا باســـم خـــاص بهم نسبـــوا به إلى أمهـــم ، فدعـــوا باســـم «بني قطورة» أو « القطوريون » على غرار اسم « بني هاجر» أو «الهاجـــريون »[3]. والملاحظ أن النســـبة كـــانت إلى الأم وفق التقاليد الشائعة عند العرب قبل الإسلام. حيث حمل الأبناء اسم الأم لقبًا لهم.

ســـكن بعـــض أهـــل مدين خلال الفترة المعاصرة للنبي موسى (عليه السلام) في المـــناطق المـــتاخمة لموآب بجوار جبل « هور»[4] في سيناء. وتذكر نصوص التوراة، التي تروي قصة خروج بني إسرائيل من مصر أن مساكن مدين كانت ممتدة في شبه جزيرة سيناء أيضًا [5].

ونتيجة لحروب مدين مع بني إسرائيل خبا ذكر أهل مدين في الألف الأولى ق.م. ولكـــن دورها التاريخي وبلوغها أوج الازدهار فيعود إلى النصف الثاني

---

(١) البغدادي: سبائك الذهب ، ص ١٧.

(٢) قضاة ، ٨ :١٠ ؛ Forster, Op. Cit., vol. 1, pp.317, 332, 339, 341, 345.

(٣) تكوين، ٢٥: ١-٢؛ Ibid, vol. 1, p.355.

(٤) مع ملاحظة أن كلمة جبل في اللغة العبرية هي: هور הר والجبل ההר وجمعه جبال הרים.وبذلك يتضح أن «هور» اسم عام لأي جبل وليس خاصا، انظر خروج، ٣ : ١.

(٥) خروج ، ٣ : ١ ؛ عدد، ١٠: ٢٩- ٣٠ ؛ Jewish Ency. , Op. Cit., vol. 8, p.547.

من الألف الثانية ق٠م٠ وذلك بسبب إشراف المديانيين على درب البخور، الذي كان يمر عبر وادي الأبيض ويتفرع باتجاه مصر ٠ ويمر الدرب في أرض أهل مديـــن (انظـــر: الخريطة رقم ٦). والمعروف أن الأمير الإدومي هدد »حدد« هــرب إلى مصــر عبر هذه الطريق أي عبر فاران ومدين[1]. وينسب الباحث بيــرتون إلى المديــانيين بعــض الخصائص البدوية؛ كالعظمة وصدق الإرادة المناسبة للجنس البدوي البطولي[2].

وتعرف أرض مدين أو أشهر واحات مدين باسم واحة البدع[3]٠ ولازالت كأشهر موقع في أرض أهل مدين، رغم كثرة واحاتهم ومدنهم وسعة انتشارهم. وعرفــنا بذلــك مــن الــنذر اليسير من المعلومات المتبقية عن مدين تاريخيا وجغــرافيا، والذي يمكن إعادة التعرف عليه بواسطة الحقائق الواردة عن أسماء المواقــع الجغــرافية٠ فــنجدها محفوظــة فــي التوراة، وفي كتب الجغرافيين الكلاسيكيين، والجغرافيين العرب[4].

ويــرى الباحث فورستر ضرورة فتح مجال للنقاش عن أصل وتاريخ هذا الجنس العربي، مع لزوم إبراز المناقب والمثالب وإخضاع الأمة المديانية للنقد٠ ويــتحدث عــنهم بأنهم منحدرون من قطورة شأنهم شأن ددان (ديدان Dedan) ٠ ومــن المعتاد عامة تعيين القبائل المتعددة المتفرعة من مدين (الابن الرابع بين أبناء قطورة) ولأن مدين كان أكثر ذرية[5].

وعــند معالجــة موضوع أهل مدين، يجدر أن لا يكون هدف الباحثة شرح تاريخ هذا الشعب فحسب؛ بل لابد أن يركز البحث على إيضاح دور المديانيين

---

(١) الملوك الأول ، ١١: ١٤- ١٨ Knauf, Midianites and Ishmailites, **JSOT**, p. 149.

(٢) Burton, The Gold Mines of Midian, p. 65.

(٣) موسل ، المرجع السابق، ص ٩٦.

(٤) انظر ، ص ٤٣ ومابعدها من هذا الكتاب.

(٥) موسل ، المرجع السابق، ص ص ٧٥، ٩٦؛ Forster, Op. Cit., vol. 1, p. 339.

الحضـــاري والاقتصادي، ومكانتهم بين الشعوب٠ ونستند في ذلك على ماورد من إشارات مهمة عن ثرواتهم الطبيعية، وأموالهم من التجارة[١]. والتي لم تكن مقتصــرة عــلى أهل مدين بل تتميز بها كل القبائل الإبراهيمية أيضًا، وأفرادها الذين أسسوا مستوطنات عديدة في بلاد العرب.

ورد فــي تاريخ بني إسرائيل عن هذه القبائل الإبراهيمية منذ الفترة الباكرة لاســتقرارهم فــي مناطقهم المختلفة أنهم حملوا اسم مدين وعرفوا به٠ وبذلك انتشــر اســم مديــن وسيكون مفتاح أبحاثنا عن كل الفروع العربية، من ذات العرق[٢].

ونــرى أن التجار العرب الذين بيع إليهم يوسف (عليه السلام) بواسطة إخوته٠ قد صنفوا بأنهم مديانيون أو إسماعيليون، بلا أي تفريق أو تمييز بينهم[٣].

وجــاء هــذا الدمــج أو الخلط بين المديانيين ، والإسماعيليين في سفري الــتكوين والقضــاة [٤]. وقد أدى هذا المزج بين هاتين الأمتين الشقيقتين (بني إسماعيل وبني مدين) إلى الخلط بين اسميهما٠ ولا يوجد تمييز بين إسماعيليين أو مديانيين في ذلك السياق٠ فعند وصف جمع المديانيين الذين هزمهم جدعون نقــرأ مــا يلي : « كان لهم أقراط ذهب لأنهم إسماعيليون »[٥] و «وكان وزن أقــراط الذهب ألفًا وسبع مئة شاقل ذهبا ماعدا الأهلة والحلق وأثواب الأرجوان التي على ملوك مديان ماعدا القلائد التي في أعناق جمالهم»[٦].

وقــد وصــف أحد كتاب التوراة هذا الحشد المدياني بأنه حشد إدومي كما

---

(١) انظر: سورة هود، الآية ٩٥ قضاة، ٨ : ٢٦.

(٢) Forster, Op. Cit., Vol., 1, p. 340.

(٣) Ibid, vol. 1, p.340.

(٤) تكوين، ٢٧: ٣٧ - ٢٨، قضاة، ٨ : ٢٥- ٢٦ .

(٥) قضاة ، ٨ : ٢٤ .

(٦) قضاة ، ٨ : ٢٥ - ٢٦،

وصف سابقًا بأنه إسماعيلي(١). وكانت جماعة جنود القبائل المديانية تتكون من « المديانيين والعماليق وكل بني المشرق ». وبكلمة أخرى فهو تحالف كبير من عرب القبائل الإبراهيمية تحت قيادة وسيطرة مدين التي كانت القوة الصاعدة في القرون الأخيرة لعصر البرونز الحديث (٢).

وتجلت قدرات وقوة هذا التحالف وأعلنت ثباتها واستعدادها عبر قوة وإمكانيات الجيش المدياني المحارب الذي بلغ عدده مئة وخمسة وثلاثين ألف مقاتل(٣).

كانت « بلاد مدين » كما ينبغي أن تدعى تقع بين حدود موآب، وحدود نبايوت وقيدار، وتشمل ضمن حدودها الجنوبية كل منطقة الرأس الشرقي من البحر الأحمر على الأقل.

وربما أن خصائص وتكوين هذا الجيش الذي هزم بني إسرائيل في مبدأ الأمر - في عصر جدعون - يهيئنا أن نتوقع العثور على آثار المديانيين بعيدًا فيما وراء حدود منطقة مدين في كلا الاتجاهين : جنوبًا باتجاه إخوتهم آل عسير Asyr ، وآل عمران ، Omran وأبيداع Abidae عرب اليمن، وشرقا باتجاه الديدانيين وسبأي الفرات(٤).

وصفتهم التوراة « وكان المديانيون والعمالقة وكل بني المشرق حالين في الوادي كالجراد في الكثرة وجمالهم لا عدد لها كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة »(٥).

وتصف فقرة التوراة السابقة حشدًا لاتحاد بدوي حضري يتكون من مدين وحلفائها العمالقة وبني المشرق (٦).

---

(١) Forster, Op. Cit., vol., 1, p.340 - 341.

(٢) قضاة ، ٦ : ٣٣ ؛ Ibid, vol. 1, p.341.

(٣) قضاة ، ٨ : ١٠ - ١١ .

(٤) Ibid . Cit., vol. 1, p. 341.

(٥) قضاة ، ٧ : ١٢ .

(٦) انظر: فصل العلاقات ، ص ٥١٦ هامش ٢ من هذا الكتاب.

ونستنتج أن العماليق هم قبيلة عيساو، وعموما سيتضح أن انتشارهم من أرض إدوم إلى الشرق عبر امتداد عنق شبه جزيرة العرب أي في الشمال منها. وأن أرضهم متناظرة مع مستوطنات بني إسماعيل «من شور حويلة» ويتضح جليا أن بني المشرق هم القبائل الإبراهيمية الأخرى أي سكان البلاد الشرقية[١].

وقد ورد في سفر إرميا وصف للقيداريين، وأنهم بصورة خاصة ومؤكدة هم « بنو المشرق » [٢]. ويسكنون جنوب مدين بمحاذاة الخليج العربي (البحر الأحمر) وإلى حدود اليمن.

ويظهر بوضوح من العرض التوراتي أن مدين قد عاشت ممتزجة أي مختلطة مع كل هذه السلالات المتعددة. ويتعين متابعة الآثار المحلية عن الامتداد البعيد أو الانتشار لهذه الشعوب أو الجماعات في كلا الاتجاهين شمالاً وجنوبًا، أو شرقًا وغربًا في بلاد العرب.

ونتحدث في معرض استكمال موضوع الامتداد السكاني والمكاني لقبيلة مدين عن أبناء مدين: (عيفة وعفر وحنوك وأبيداع وإلدعة). والعرف المألوف، أو التقليد المحلي الشائع لدى العرب إطلاق أسماء قبائلهم على أقاليمهم أو مدنهم التي يسكنونها. أو التي سكنوها قديمًا بما يثبت الاسم على الموقع ويعطي دلالة قوية.

ويعد ظهور أسماء الآباء الأوائل كأسماء للمواقع سواء قديما أو حديثا كافيا بحد ذاته كدليل تاريخي على نسبة الموقع والقبيلة إلى الجد الأعلى أو من يرثه من سلالته خاصة مثل مدين وأبنائه وأشهرهم عيفة بن مدين[٣].

---

(١) « وأما بنو السراري اللائي كنَّ لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق ابنه شرقا إلى أرض المشرق وهو بعد حي » . انظر : تكوين ٢٥: ٦.

(٢) « قوموا اصعدوا إلى قيدار أخربوا بني المشرق ». إرميا ٤٩ : ، ٢٨عنان، زيد بن علي، "حضارة اليمن القديم"، ط ١ ، مصر ١٣٩٦هـ ، ص ص ٤٧ – ٤٩.

(٣) إشعيا ٦٠ : ٦ – ٠٧ عند مخاطبته لمدينة صهيون.

١- عيفة بن مدين : עֵיפָה Ephah

هـو الابـن الأول فـي تعداد أبناء مدين، ذكرته التوراة : « تغطيك كثرة الجمـال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسامح الرب كل غنم قيدار تجتمع إليك كباش نبايوت » [١].

أثبـتت نبوءة إشعيا هذه وجود عيفة كقبيلة بدوية عربية. كما أنها تتضمن في الوقت نفسه دلالة مهمة تشير إلى موقعهم الجغرافي[٢].

عرفنا من الوثائق الآشورية أن مساكن عيفة أو خيابا (هيابا) تقع إلى الغرب من مدينة تيماء[٣].

كما اتضح أن نفوذ عيفة قد تعاظم بحيث تصدرت القائمة التوراتية[٤]. فلابـد أن عيفـة أحرز مجد أبيه (مدين) وورثـه. فتزعم إخوتـه (بني مدين).

ويستنتج من ذلك أن انتشار قبيلة عيفة واتساع نفوذها قد وضعاها في مرتبة عاليـة معادلة للكيان المدياني، ربما في المكانتين السياسية والاقتصادية وأيضًا مـن حيـث الجاه والثراء. وذلك وفقًا للقواعد المعروفة لضبط وشرح جغرافية التوراة؛ لأن ذكر عيفة مع مدين في النص التوراتي يثبت أنهما قبيلتان أو كيانان متكافـئان ومتجاوران بينما يشير هذا الترتيب إلى تحديد أدق، حيث يتضح أن عيفـة سـكنت جـنوب مدين أو أنها أكثر بعدًا عن مدينة القدس. وقد علمنا أن أرض مديـن امتدت إلى الجنوب من القدس، ويعد رأس خليج العقبة على الأقل

---

(١) Forster, Op. Cit., vol. 1, p. 343.

(٢) انظر : ص ص ٤٣، ٤٥ من هذا الكتاب.

(٣) موسل، المرجع السابق، ص ٩٦.

(٤) Knauf, Midianites and Ishmaeilites, p. 149.

كأقصـــى امتداد[1]. بينما نعلم تجاوز أرض مدين إلى أبعد من ذلك داخل أرض فلسطين[2].

وقــد حفــظ اســم عيفة كاسم علم لمحطة سقاية (ري) توجد على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ولازالت المحطة تحمل الاسم إلى اليوم أي محطة »مكر عيفــة« أو « آبار عيفة »[3]. ويدعم توافق الاسم مع الموقع الجغرافي وجود هــذه القبيــلة أو هذا الكيان وستقودنا محطة مكر عيفة، مع وصف نص إشعيا السابق إلى أن نتوقع وجود «عيفة» جنوب مدين. تمتد أرضها بين مدين وبين قيدار مما يؤكد الشواهد الواضحة المستمدة عن هذه المواقع.

ومــن الجديــر بالملاحظة أيضا أن عرب هذه المنطقة الواقعة شرق البحر الأحمــر مشهورون في تلك الحقبة (من عصر مدين) بتربية الإبل (ذات السنام الواحد).

ويــبدو أن هــذا الــنوع أو الجنس من الإبل موجود بصفة خاصة في هذه المنطقة، ويتفق ذلك مع وصف إشعيا عن كثرة الإبل (الجمال)[4] .

٢- عفر بن مدين : עֵפֶר - Epher

هو الابن الثاني في الترتيب بين أبناء مدين، ومع أنه ليس هنالك ذكر لهذه السلالة المديانيــة ولا إشارات أو ملاحظات حول قبيلة تحمل هذا الاسم . ولكن

---

(١) Forster, Op. Cit., vol. 1, p. 343.
أن د. ويل Dr. Well كانت له قاعدة في تثبيت المواقع الجغرافية المذكورة في التوراة. وبحسب رأيــه فيجب علينا أن نبحث عن عيفة فيما وراء حدود مدين على شاطيء البحر الأحمر باتجاه داخــل الحجــاز، وكذلك بحسب خريطة دانفيي D'Anville ظهر اسم عيفة على حدود الحجاز مباشــرة، شــمال اللســان العظيــم الــذي هو رأس إدوم. انظر: المرجع نفسه أعلاه والجزء والصفحة، وانظر: هذا الكتاب، الفصل الأول ، ص ٧٦.

(٢) انظر : ص ٧٨ من هذا الكتاب.

(٣) إشعيا ٦٠: ٦- ٧؛ Forster,Op. Cit., Vol. 1, p.34.

(٤) إشعيا ٦٠: ٦- ٧؛ Ibid, Vol. 1, p.343.

عالمًـــا ألمانيًـــا أورد ملاحظـــة عـــن تشابه الأسماء كدليل واضح لمقارنة الجغـــرافيا القديمـــة بالحديـــثة في قارة آسيا. فذكر بأن اسم عفر يظهر في اسم «شور عفار» shor Afar، كمدينة على ساحل مدين في منتصف الطريق بين مدين وأيـــلة عـــلى رأس الخليج(١). ونتمكن من معالم حدود هذا الموقع لمدينة شور عفار أو مدينة عفر أن نقتفي أثره في الخرائط الحديثة حتى يتسع أمامنا الامتداد الجغرافي لبلاد العرب القديمة.

وقد لاحظ بطلميوس وجود شعب أو قوم عند رأس الخليج الإيلاني (اللحياني) أو بحـــر العقـــبة، وذلك الشعب يدعى باسم فارانيتي Pharamitae. ويبدو أنهم كانوا ينتشـــرون إلى داخـــل شبه جزيرة سيناء، حيث نجد موقع مدينة «فاران» الجبلية (ربما الطور – رأس محمد)، وهو الاسم نفسه الذي تحمله برية فاران.

ومن المفترض أن اسم عفر Epher قد اختزل حرف منه أو تحور إلى « فار» Phar أو Aphar ثم تغير مرة أخرى إلى فاران Pharan. ربما بصيغة التثنية (فارانان اثـــنان). وعـــادة تظهر بعض التغيرات في أسماء أعلام بلاد العرب وغيرهم. ونظـــرًا لقبول اشتقاق الاسم فتضاف بعض الاعتبارات التالية : كان الفارانيتي يقيمـــون فـــي وسط أرض مدين مما يقودنا بطمأنينة إلى استنتاج أن هذا الاسم ربما كان مرادفًا تقليديًا لعفر أو ابنه.

ونعتمد على قابلية التبديل أو التعويض بين أسماء المديانيين والإسماعيليين فـــي التوراة كدليل على توضيح مهم انبثق عن امتزاج عرقين أو قبيلتين. ألقي الضـــوء عليهما في برية فاران Paran، والتي كانت إحدى قواعد أو مدن مدين، ومهدًا لنسل الإسماعيليين في ذلك الوقت(٢).

---

(١) Forster, Op. Cit., vol. 1, p. 344.
وربمـــا المقصـــود أن شـــور عفـــار تمتد إلى مقنا وأيلة لأن مقنا كان يطلق عليها مدين أيضًا باعتبارها ميناء رئيسا، انظر : ص ١٠٠ من هذا الكتاب.

(٢) Forster, Op. Cit., vol. 1, pp. 344 - 345.

ويفـترض أن مساكن عفر تمتد إلى داخل بلاد العرب في الوادي المعروف بالاســم نفســه أي وادي عفار أو وادي عفال والذي يجري في أرض مدين في منطقة البدع حديثًا، ويوجد في وادي عفال موقع طيب الاسم(١).

ويظهــر اســم عفر أيضًا في اسم مدينة جدعون وهي عفرة Ophrah(٢). إذ ربما أن اسمها من اسم عفر עפר. بل الأرجح أنها مدينة لعفر وأن مساكنهم كانت بها، أو أنها كانت قاعدة لعفر. وأن جدعون وقومه قد سكنوها مع سكانها المديانيين. ويظن أن جدعون نفسه كان من أهل مدين، بدليل أن والده كان سادنا لـلمذبح المديــاني الذي كان في عفرة(٣). فربما أن أسرة جدعون كانت مديانية الأصل ثم تهودت أي اعتنقت الدين اليهودي أو امتزجت مع اليهود فيما بعد.

وتجــدر الملاحظــة بــأن هــنالك تشابهًا وارتباطًا لفظيًّا بين عفرة وأوفير Ophir موقع مناجم الذهب الشهير، الذي ارتبط بأسطول أوفير منذ عهد النبي سليمان (عليه السلام)(٤).

أمـــا بالنسبة لقبيلة عفر فقد نجد بقايا هذه القبيلة في قبيلة معروفة إلى يومنا هــذا وهــي قبيلة « غفار » والتي تسكن منطقة شمال الحجاز من شبه جزيرة العرب كما ذكره نولدكة(٥). وتعني كلمة « أوفر أو أبر» في اللغة العبرية غفر فــي الــلغة العــربية مــع بعض الاختلاف فقط في إعراب الكلمة أو (تشكيلها بالحركات) ويرتبط ذلك في اللغة العربية باشتقاقات الكلمة غفر – غفار – إلخ.

---

(١) موسل ، المرجع السابق، ص ٩٦؛ knauf, Midian, p. 80.

(٢) « وأتى مــلاك الــرب وجلس تحت البطمة التي في عفرة التي ليوآش الأبيعزري. وابنه جدعون كان يخبط حنطه في المعصرة لكي يهربها من المديانيين »، قضاة ٦ : ١١. فصنع جدعون منها أفوذا وجعله في مدينته في عفرة، قضاة ٨ : ٢٧.

(٣) Payne, Op. Cit., Series 24, p. 165.

(٤) الملوك الأول، ٩ : ٢٦ – ٢٨ אוםדה – أوفير، أسطول الذهب.

(٥) انظر : ص ٤٩ هامش ١ من هذا الكتاب.

وكذلـــك بالنســـبة للكتابة الصفوية وفي السبئية والقتبانية، أما في الثمودية فهي غفـــرل وتقـــارب غفرلنا. وهنالك أسماء أعلام في الصفوية والسبئية مشتقة من فـــر، وفرن. وتعني كلمة فر في السبئية أرضًا زراعية قبل نزول المطر عليها وبالإضـــافة إلى وادي عفـــال الذي يجري في أرض مدين، توجد منطقة تدعى عفار أو عفر أو عفرة بالقرب من مكة بينها وبين الطائف. وهنالك وادي عفريا الذي يصب في وادي صرما في أرض مدين أيضًا(١).

٣ – حنوك بن مدين : חֲנֹךְ Hanoch

هـــو الابن الثالث من أبناء مدين. وقد تعرفنا على مساكن عيفة الابن الأول لمديـــن ونسله بشهادة النص التوراتي. كما تتبعنا معالم الأرض جغرافيًّا. وتمثل ذلـــك فـــي محطـــة « مكر عيفة » أو آبار عيفة. وأنها مورد مائي على حدود الحجاز (انظر الخريطة رقم ٢). وهنالك شور عيفار فيما يلي ذلك، وفي الوقت نفســـه وبالمقارنة فإن ذلك الإثبات سيلقي الضوء على معالم جغرافية تدل على آثـــار حـــنوك الابن الثالث لمدين. وبإعادة النظر والتحري عنه يتبين أن مكان حنوك في الجوار المباشر لمكر عيفة، شمال هذه المحطة مباشرة. وشمال جبل شيخ (الذي ذكره بطليموس باسم هيبوسمونوس)(٢).

ويظهـــر اســـم حـــنوك حديثًا في اسم حناك – Hanak أو حنكرو Hankkrue (وهو تحريف أو تشويه غير مستبعد لاسم مركب من حنوك وقطورة Hanoch and Keturah). وحنكرو مدينة كبيرة تقع عند السفح الشمالي لجبل الشيخ شرق حانك أيضًا.

وهي في الطريق إلى معدن النقرة (موقع يفترض أنه من مواقع قبيلة مدان ابن إبراهيم)(٣).

---

(١) الحموي ، معجم، ج٤، ص ١٣١؛ Knauf, Midian, p. 80.

(٢) Forster, Op. Cit., vol. 1, pp. 345-346.

(٣) انظر : ص ١٤٠، من هذا الكتاب.

وردت كلمة حنك في اللغة العبرية. وكان هنالك مدينة تدعى حنك معروفة في القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م. وجاءت الكلمة كاسم علم لشخص في الكتابة الصفوية عدة مرات. وذكر قوم باسم بني حانك على السواحل اليمنية في الجنوب العربي. كما ورد « حانوكال » في الكتابات السبأية والتي ترجع إلى القرن الأول ق.م. وجاء اسم إحدى النساء وهي « أحيات بنت توبان الحانكتينية» . فقد ذكرت في نقوش تتعلق بطلب الغفران من أجل تكفير الذنوب. وذكر اسم رفيقتها معها وهي « سامنات بنت بناعل ». كما جاء في نقش آخر اسم شخص كان يعمل في خدمة ملكة سبأ يدعى « حانيكتين ». بالإضافة إلى شاهدي قبرين لامرأتين من نساء الجنوب العربي أظهرا الأصل العربي الشمالي لهذه القبيلة بصورة واضحة. ويشير ذكر هؤلاء النسوة إلى أنه كان لهن دور أدَّينه في مجتمعهن ومكانة عالية تمتعن بها. وبدأ النقشان بكلمتي « نفش وكبر» وهي عبارة نجدها منتشرة في المناطق العربية الشمالية، وفي الشرق أيضًا لأنها ظهرت في الكتابة الأحسائية وفي غيرها. وكان هؤلاء الحانكتيون أو بنو حانك تجار قوافل الجمال في المنطقة العربية الشمالية واستقروا في كثير من المدن الواقعة في شمال وجنوب بلاد العرب. وكانوا يتمتعون بقسط وافر من الثراء والتأثير السياسي. وكانوا يجوبون المنطقة بقوافلهم هنا وهناك ويحتمل انحدارهم من السلالة المديانية(١). وعثر على نقش بالخط المسند في قرية الفاو، ذكر قبيلة أحنكت.

ويظهر اسم حنوك في موضع آخر معروف، يقع شمال شرق المدينة المنورة على طريق القوافل عبر صحراء بصري وهو حناك Hanake أو Henekeh. أو ربما هي الحناكية Hanakiyyah موقع وجود الرسوم الصخرية(٢).

---

(١) Knauf, Midian, pp. 79-81, 82-83.

(٢) النقش (رقم ٥٢/ ف٢) من معثورات قرية الفاو (٣٠٠ ق.م. ـ ٣٠٠م) والنقش من محفوظات قسم الآثار بجامعة الملك سعود بالرياض "Corpus Inscriptionum Semiticarum", Tomus II", Part 2, p. 152.؛ مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، إدارة الآثار والمتاحف ، ==

ومن آثار تلك المواقع وأسمائها – والتي سبق عرضها – وجدناها مجتمعة عــند الحــد الجنوبي لأرض مدين الشمالية المعاصرة لفترة النبي موسى (عليه السلام) حوالي القرن الثالث عشر ق.م. فاسم مكر عيفة وموقع حانك أو حنيكة، ومدان تحمل أسماء من سلسلة القبائل القطورية أي أنها تعود للقطوريين. ويصعب أن تكون الصدفة قد جمعت أسماء هذه المواقع معًا. مما يبدد الشكوك ويثبت مواقع تلك القبائل المديانية في هذه المنطقة.

ويتضـــح من نتائج هذا البحث والمستخلصة بتجرد ودقة أن البرهان الحاسم سيظهر دالاً على أصول تلك القبائل. ولن يتطلب الموضوع أكثر من الاستنباط والاستدلال من حشد أسماء المواقع المذكورة – في بلد دأب على اشتقاق أسماء مواقعـــه السحيقة في القدم من أسماء الأعلام والقبائل التي سكنتها– ونجد سلسلة مواقع في خط مستمر على طول امتداد الحدود الجنوبية لقواعد مدين (عواصمها ومدنها ومستوطنات الأبناء) وفق نصوص التوراة[1]. ونعود إلى الاتجاه شمالاً حتى نتعرف على أبيداع. وكما مر معنا نجد أن الكثير من المواقع القديمة تحمل أسماء القبائل التي سكنتهـــا. وتنسب القبيلـــة غالبًا إلى اسم وتحملـــه مثل عاد، وثمود، ومدين. وهنالك العديد من الأمثلة لمواقع تحمل أسماء أشخاص وقبائل. وأصبحت مدنا كبيرة بل دولاً مثل : إدوم، وموآب، ومدين. أو قد يحدث العكس فينتســـب القوم إلى المكان أي الموقع مثل : غسان، ونجد، ومكة وغيرها فيقال غساني والجمع غساسنة ونجدي ومكي وهكذا..

وتحـــليل ذلك أنه في العصور الباكرة كانت النسبة إلى الشخص، أي نسبة المكـــان تعـــزى إلى الشـــخص أو القبيلة التي تسكن المنطقة، ولكن تقدم العلوم الإنســـانية وزيادة المعرفة الجغرافية في الفترات التاريخية التالية أدى إلى ذيوع

= وزارة المعـــارف، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٧هـــ / ١٩٧٧م، ص ١، الخريطة؛ زارينس، يوريـــس وآخـــرون، "برنامج المسح الأثري عن المنطقة الجنوبية الغربية" وأطلال.ـــ الرياض، ١٤٠١هـــ / ١٩٨١م، العدد ٥، ص ص ٣٤ – ٣٥.

(١) انظر: الخريطة رقم (٢)

Forster, Op. Cit., vol. 1, p. 346.

المعـلومات وثبوتها، والتعرف على مظاهر التضاريس. وتثبيت أسماء المواقع بأسـمائها الـتي اشتهرت بها، لذا ساد الأسلوب الجغرافي الصحيح الذي يعتمد النسبة إلى الموقع الجغرافي.

٤ – أبيداع بن مدين : אבידע Abid^{c}a

هو الابن الرابع لمدين. ويظن أن قبيلة أبيداع هي أبا ديدي[١] التي ذكرتها نصوص الوثائق الآشورية. وأشارت إلى أن مساكنها تقع بين قبيلة ثمود المقيمة فـي حرة العوارض (العويرض) وبين قبيلة مرسماني، التي أقامت في الواحات المطلة على ساحل البحر الأحمر إلى الشمال الغربي من المويلح[٢].

ويلاحـظ أن اسم هذا الابن المدياني والذي أصبح مع قبيلته (أي هذه السلالة المديانيـة من نسل أبيداع) موجود بوضوح، ومرئى بجلاء عند مقارنة الجغرافيا القديمـة لبلاد العرب مع الجغرافية الحديثة في الاتجاهات المتعاكسة الممتدة شمال وجـنوب مسـتوطنات قطـورة. وهذه البراهين أكثر أهمية بما أنها كاملة بذاتها. ولأنها تلقي أضواءً على كل الأدلة المتصلة بالقبائل المديانية (القطورية) الأخرى.

ولنـبدأ من الحد الشمالي، فالأرض ثابتة ونستطيع أن نمسحها سريعًا. وما أكدته نصوص التوراة العائدة إلى فترة النبي موسى (عليه السلام) أن المديانيين صعدوا أو توسعوا باتجاه الشمال على الأقل إلى حدود موآب كأقصى امتداد بجوار جبل هـور. ولكـن كحقيقـة معروفة لدى غالبية الباحثين – علمًا بأن قبائل العرب الشـمالية كغيرها من القبائل العربية ليس لها حدود ثابتة تبعًا للقوة والضعف – ففي كل موسم كانوا يضربون خيامهم ويستقرون في مستوطنات متجاورة على امتداد شمال بلاد العرب من رأس البحر الأحمر إلى حدود نهر الفرات، بل إلى حران شمالاً، وبالمثل من رأس البحر الأحمر إلى أطراف لبنان[٣].

---

(١) وربما أن أباديد هي عباديد على وزن مفاعيل صيغة دارجة في أسماء القبائل، انظر :
Knauf, Midian, p. 86.

(٢) موسل، المرجع السابق، ص ٩٦.

(٣) Forster, Op. Cit., vol. 1,pp. 347-348.

وتــبعًا لمـــا تقدم عن أسماء المواقع والمسميات نجد موقعًا بهذا الاسم تحت اسم سلسلة جبال لبنان ونكتشف مدينة أبيداع Abida^c وبحسب ما ذكر بطلميوس. وهنالك موقع يحمل اسم أبيداع كاملاً بلا تغيير أو تحريف مما يدل على أن هذه المدينة كانت قاعدة رئيسة لهذه القبيلة أي قبيلة أبيداع بن مدين. وأن اسم المدينة مشـــتق من اسم أبيداع القطوري المدياني(١). ونستنتج من هذا التطابق الواضح للاسم ومن مجاورة مدينة أبيداع للمستوطنات المديانية المعروفة. ووصول نفوذ مدين إلى أطراف لبنان.

ويثـــبت وجود بني أبيداع كسكان في بلاد العرب أيضًا بفضل دليل واضح ذكره بطلميوس ويقود إلى تسمية أخرى ظهرت في أبحاث بوركهاردت الحديثة، ولكـــن فـــي اتجاه معاكس أي إلى الجنوب. ففي بحث بعنوان أشوريم Asshurim بحث فيه تعريف عرب عسير في اليمن؛ وصلتهم بأولئك المنحدرين من قطورة من جهة يقشان وددان. وهو يربط بين ذلك وموقع قشة ووادي يعود(٢).

وفي هذه الخاتمة نؤكد على إبراز البرهان لإكمال البحث عن وجود أبيداع كقبيـــلة عـــربية متصلة بمدينة أبيداع المذكورة لدى بطلميوس. ويستغرق بلوغ مـــنطقة جـــبال عسير من جهة صنعاء رحلة طويلة لعدة أيام. بالإضافة إلى أن قاعدة عرب أبيداع إحدى قبائل اليمن الرئيسة وتفرع منها قبائل عسير وعمران. ولا زالا يحـــتفظان معـًــا بأسماء وذكريات بني قطورة هنالك وفي ذلك الجزء الـــنائي جـــدًا حتى اليوم. فإنها دلائل انتشار قوي وعريض غطى المنطقة من شمال بلاد العرب إلى جنوبها.

أما بوركهاردت فيقرر أن وقشة ووادي عود أو يعود Wakasha, Awad Yaowd وهـــود بـــن زيـــاد Howd Ibn Zyad كمدن لعرب أبيداع التي هي قبيلة مثل عسير وعمـــــران والـــتي أعطـــت اســـمهـــا لكل المنطقـــة التي سكنتها لكن دون أن

---

(١) Forster, Op. Cit., vol. 1, p. 348.

(٢) Ibid, vol. 1, p. 348.

يشـــير إلى نصوص التوراة[١]. ثم يورد معلومة أخرى عن مدينة العرين الأرين Aryn التي توجد في منطقة خصيبة جدًا في إقليم أبيداع أيضًا. وتقع عرين على بعـــد درجـــة واحـــدة من وقشة ووادي يعود. ولعل ما تقدم يعطي فكرة عامة واضحة عن امتداد مستوطنات أبيداع وانتشارهم بوصفهم قبيلة كبيرة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب في هذا الجزء من بلاد العرب.

وفـــي الحقيقـــة أن توغـــل أبيـــداع إلى أقصى الجنوب وإلى ما بين عسير وصنعاء يتطلب دراسة أخرى مستفيضة، ويفتح مجالاً للبحث في الموضوع.

وهـــنالك رأي آخر مفاده أن العباد أو العباديين وهم الفئة الثانية من سكان إمـــارة الحيـــرة خـــلال القـــرون الميلاديـــة الأولى هم بقايا أباديدي أي أبيداع ونسله[٢].

٥ – إلدعة بن مدين אלדעה Elda^{c}ah

لقـــد ســـهلت التحريات التي أجريت حول مستوطنات قطورة عامة، وحول مدين خاصة في شمال وجنوب شبه جزيرة العرب مهمة بحثنا عن إلدعة. وكما ظهـــر لدى بطليموس وبوركهاردت أن سلالة أبيداع ومستوطناته توجد في كلا الطـــرفين الشمالي والجنوبي. فكان ذلك بمثابة مفتاح طبيعي يوحد أبحاثنا حول أســـرة أبيـــداع وأماكن سكناها؛ إذ إن إلدعة هذا أصغر أبناء مدين والأخير في الترتيب بين إخوته.

ورد في التوراة أن المديانيين المعاصرين لموسى (عليه السلام) سكنوا البلد المتاخم لمـــوآب أي بجوار جبل هور. والآن يمكن التعرف من خلال المعالم الأرضية

---

(١) Burckhardt, J., "Travels In Arabia, London" , 1968, Appendix 1, p. 446.

(٢) Forster, Op. Cit., vol. 1, pp. 348-349.

إمـــارة الحيرة : إمارة عربية مستقلة تألف مجتمعها من ثلاث فئات سكانية ١ – قبيلة تنوخ ، ٢ – العـــباد (نصارى)، ٣ – الأحلاف، تأسست الإمارة في القرون الميلادية الأولى وانتهت بالفتح الإسلامي سنة ٦٣٣م/١١ هـــ. انظر جواد علي، المفصل، ج٣، ص ١٧٣، حتي، فيليب، "تاريخ العرب"؛ تر. مبروك نافع. ـــ ط٣. ـــ القاهرة : ١٩٥٣م، ص ص ٩٦ – ١٠١.

الـــتي وضـــحها بطلميوس عن اسم قبيلة إلدعة، التي أطلق عليها اسم أوديا أو لوديا الواقعة على خط عرض جبل هور ٥٠ – ٣٠ وهي مدينة من مدن العربية الصخرية ومجاورة لمأدبا[١]. (انظر الخريطة رقم ٢).

وفيمــا يخــص معلومات بطلميوس عن أوديا أو لوديا Audia or Ludia ربما يتعلق ذلك باسم إلدعة وقبيلته. باعتبار أن لوديا مدينة في العربية الصخرية من ضــواحي مأدبا. وهي تشكل حلقة وصل بين المستوطنات الشمالية لمدين، وبين مستوطنات أبيداع عند سفح جبال لبنان ومديانا أو موديانا Madiana or Modiana- التي تقع على رأس البحر الأحمر[٢].

ويمكننا في الاتجاه المعاكس أي باتجاه الجنوب اقتفاء آثار مماثلة عن إلدعة والعرق المدياني عامة. وهنالك إمكانات جيدة يقدمها اسم دعبان أو دابان Daban. وقــد يكــون اسم دعبان مشتقًا من بني دعة Beni D^{c}aah، التي هي مدينة رئيسة لليقطانيين أو بني قحطان أو بني يقشان – اليقشانيين –. وهي تحمل دلائل قوية مــن مســميات المواقــع المحيطة بها والتي كانت تعد في الأصل مستوطنات قطورية.

ومــن المهــم أن نتذكر دائمًا أن مدن ومناطق اليمن كان يطلق عليها أيضًا أســماء القبائل التي سكنتها، ونستعين بهذه الحقيقة دائمًا كدليل على التشابه بين عادات العرب في بلادهم شمالاً وجنوبًا.

ويظــن أن مديــنة قــتابا أو قتبان دعيت بهذا الاسم نسبة إلى سكانها بني قحطان أي يقطان أو يقشان كما أشرنا. ويتضح بالقياس على ذلك أن اسم مدينة

---

(١) تــم تحديد الموقع الجغرافي للوديا في النص بالاستناد إلى بطلميوس فقط إلا أن البحث المتقدم تمت كتابــته بعــد مــراجعة خارطــة سوريا التي وضعها بوركهاردت. فاتضح أن لوديا التي ذكرها بطلميوس تقع بالضبط في الموضع الذي أثبت البحث تحديده أي عند السفوح الغربية لجبل هور في مدينة إلداعي (إلداي) Eld^{c}ii-Eldji انظر : Forster, Op. Cit., vol, 1, p. 350.

Ptolemy, Op. Cit., Bk. 5, p. 126.

(٢) Forster, Op. Cit., vol. 1, p., 350 Ptolemy, Op. Cit., Bk 6, pp. 137, 139.

دابــان (دعــبان) مشتق بالمثل من دعة ونستطيع أن ندرك إلى أي مدى تزداد أهمية الشواهد الاسمية الخاصة والتي تتعلق بالمواقع الجغرافية وخاصة بالنسبة لموقــع دابــان. ولذلك يفترض أن هذه المدينة تقع في وسط مستوطنات القبائل القطوريـــة المنتشرة في عسير وعمران إلى أبيداع في الجنوب. علمًا بأنها الآن من مستوطنات بني قحطان.

ويــبدو أن إمكانيـــة إعطاء دليل قوي من هذا النوع على صلة عرب أبيداع اليمنيين بقبيلة أبيداع المديانية من أحفاد قطورة صعبة ونادرة ولكنها ثبتت بفضل المعطيـــات الجغرافية حيث أمكن تتبع وجود هذا الاسم وهذه السلالة المذكورة في توراة النبي موسى (عليه السلام) ومن خلال كتابات بطلميوس وبوركهاردت.

وإن مـــتابعة الـــتطابق بين دابان أو دعبان الواقعة على تخوم منطقة أبيدا Abyda^c (أبيـــداع) أو عبيدة وكذلك بني دعة Bani Da^{c}ah أي أبناء إلدعة Elda^{c}ah يـــرجح هـــذا الرأي إذ إنه من الطبيعي جدًا والمحتمل أيضًا أنه عاش على هذه الأرض نفســـها أســـر أصـــغر ابنين من أبناء مدين، وكونوا ثرواتهم وتجارتهم ونقصد أبيداع وإلدعة(١).

ويتضـــح مما تقدم أن الباحث فورستر أثبت انتشار القبائل الإبراهيمية الذي امتد جنوبًا إلى منطقة عسير من شبه جزيرة العرب. وأوجد حلقة وصل بالربط بيـــن عســـير والمنطقة التي ذكرها بطلميوس باسم الإسارو (إلساروس) Ilsaros وقـــوم دعـــاهم الإسوري أيضًا. فيؤكد أن اسم المنطقة هو عسير، وأن سكانها الإسوري هم أيضًا شعب عسير أي أهل عسير، وينفي ارتباط الإسوري أو أهل عسير بالآشوريين مبررًا نفيه بأن الآشوريين لم يصلوا إلى هذه المنطقة من بلاد العرب وأنه لم يكن لهم أية مستوطنات فيها(٢).

---

(١) Forster, Op. Cit., vol. 1, p. 351.

(٢) Ibid., vol. 1, p. 332.

ونرى من إثباتات فورستر بخصوص الصلة بين فاران أو برية فاران وبين عفـــر، حيث طرأ عليه تغيير فتحول إلى فار (فعر) – Epher (Phar)[(١)] ثم تطور إلى Paran أو Pharan فاران (فعران). وتبين أن منطقة فاران تقع في شبه جزيرة سيناء. وكانت في حيازة مدين ومن مستوطناتها. وأن الفارانيين المذكورين لدى بطـــلميوس [(٢)]، وهـــم بـــنو عفر وربما كانت فاران عاصمتهم ومقرًا للسلالة الإســـماعيلية معهـــم[(٣)]. وأشرنا إلى أن مدين بن إسماعيل بن إبراهيم نزح إلى أرض مديـــن[(٤)]. كما ذكرنا أن قسمًا من أهل مدين سكن مكة مع إسماعيل. ثم عاد وخرج إلى أرض مدين[(٥)].

وإذا اســـتعدنا ما ورد عن الإسماعيليين ومستوطناتهم وإقامتهم فيها بعد أن صـــرفهم أبوهـــم إبـــراهيم مع غيرهم من بني قطورة إلى الشرق ليخلي أرض كـــنعان لإســـحاق[(٦)] ممـــا يـــدل على أن نشاطهم التجاري أوجب عليهم ارتياد المحطـــات التجارية التي تقع على طول طرق القوافل المؤدية إلى الأسواق في خارج بلاد العرب من جهة. وأن يكون لهم مستوطنات أو حتى جاليات تجارية فـــي تـــلك المحطـــات وقرب الأسواق من جهة أخرى، ومن الطبيعي أن يكون للإســـماعيليين امـــتيازات خاصة ومكانة متميزة بين إخوتهم أهل مدين. ولربما تعـــدى الأمر بأن كان للإسماعيليين نفوذ قوي في المنطقة بواسطة جالياتهم أو مســـتوطناتهم التجارية. سواء كانت مستوطنات صغيرة أو كبيرة والتي أنشئت للإشـــراف على تجارتهم. خاصة وأن هذا الأسلوب كان شائعًا ومعروفًا من قبل

---

(١) انظر ص ٩٦ من هذا الكتاب.

(٢) Ptolemy, Op. Cit., Bk. 5, p. 129.

(٣) Forster, Op. Cit., vol. 1, pp. 181, 345.

(٤) الدينوري، المرجع السابق، ص ٩.

(٥) انظر ص ١٣٠ من هذا الكتاب.

(٦) كما ذكرت ذلك التوراة، انظر: تكوين ٢٥ : ٦.

لـدى السـاميين من سكان بلاد الرافدين، الذين كان لهم جاليات تجارية تدعى كاروم في بلاد آسيا الصغرى(١).

وقـد نجد ما يدعم هذا الاستنتاج في الربط بين اسم برية فاران هذه الواقعة في سيناء وبين اسم فاران الذي ورد في المصادر الإسلامية بأنه اسم من أسماء مكة المكرمة(٢).

ويمكـن بالتالي أن نستنتج أن مدين بن إبراهيم وبقية إخوته من بني قطورة كـانوا أندادًا لأخويهم إسماعيل بن إبراهيم (البكر)، وإسحاق بن إبراهيم، إذ إن المـنحدر أي، الأصل الأبوي واحد غير مختلف ويعود النسب ذاته إلى إبراهيم الخـليل (عليه السلام). وأما إدعاء اليهود بأنهم من نسل إسحاق. وأنهم متميزون على بني إسماعيل أو أهل مدين أو غيرهم، فالرد عليهم واضح من حيث إن إسماعيل وإسـحاق ومدين وبقية إخواتهم متساوون لا تفاضل لأحد منهم على الآخر. بل يـتفوق إسـماعيل ببكوريته "أي لكونه الابن البكر لإبراهيم (عليه السلام)" فيما يتعلق بعـادات باكـرة تميـز الابن البكر بأن ينال مكانة وإرث أبيه. وبالمقابل يتميز إسـماعيل، وإسحاق (عليه السلام) عن مدين وإخوته بأنهما نبيان. ثم ظهرت النبوة في نسـل مديـن في شخص النبي شعيب (عليه السلام) (يثرون) وهو أحد بني مدين. وأن النبي موسى (عليه السلام) قد أصهر إلى مدين بزواجه من صفورة ابنة يثرون(٣).

---

(١) عن الكاروم Karum انظر باقر، طه/ **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج٢ـ بغداد، ١٩٦٦م، ص ص ٣٥٩، ٤٨٥؛ البدر، سـليمان سعدون / **دراسـات في تاريخ الشرق الأدنى، منطقة الخليج العربي**.ـ ط٢.ـ الكويت، ١٩٧٨م، ص ٧٧.

(٢) الفاكهي، أبو عبيد الله بن إسحاق ، "كتاب المنتقى من أخبار أم القرى " : **وهي منتخبات، الجزء الثالث منه. الإعـلام بأعـلام بلد الله الحرام**؛ تأليف قطب الدين النهروالـي، غتنغة، ١٢٧٤هـ، ج٣، ص ١٧، سلامه، المرجع السابق، ص ٢٣.

والمقصود أن جالية من تجار فاران ربما استوطنت مكة في فترة باكرة فأطلق اسم "فاران" على منطقة إقامتهم أي يقال حي أهل فاران أو "حي فاران" مثلاً.

(٣) خروج، ٢ : ٢١.

٦ – أيــلة بــنت مديــن : مذكورة لدى المقريزي بأن مدينة أيلة (إيلات) منسوبة إليها[(١)].

٥ – أعلام مديانية :

نشــأت قبيلة مدين كوحدة اجتماعية. وكانت شأن عامة المجتمعات تتألف مــن طبقات اجتماعية وفق العرف القبلي منذ طوره البدائي. ثم بعد استقراره وتطوره وتحضره كمجتمع كبير مستقر، أصبح ذو ثنائية اجتماعية أي يتكون مــن بــدو، وحضر : وذلك انعكاس لثنائية بيئتهم. فكان البدو يمارسون حياة المــدن ويعملون في حرف ومهن مختلفة من زراعة وتجارة وصناعات يدوية ونحــو ذلك. ثم تطور المجتمع ومفاهيمه في المدينة وتطور المفهوم السياسي فــي مجتمع مدن مدين أيضًا. مما أدى إلى نشوء مملكة مدين أو ممالك دول المــدن فــي مديــن. وظهــر فيها ملوك وأمراء وشيوخ تولوا شؤون الحكم والسياســة، وكذلــك أداروا أمور التجارة والزراعة أي لعبوا دورهم في حياة مجتمع أهل مدين.

وقــد تعرفــنا مــن خلال البحث على بعض الشخصيات المديانية كأعلام معروفة. وكان لها شأن كبير في مجتمعها. فمثلاً ورد ذكر اسم مدين بن إبراهيم (عليه السلام). بوصفه أبًا لهذه السلالة التي عرفت باسمه. فأصبح اسم مدين علمًا على أبنائه وإخوته أيضًا. وذكرنا أن زوجه هي ابنة لوط بن هاران (عليه السلام)[(٢)].

كذلك وردت أسماء إخوة مدين ثم أبناؤه الخمسة الذين شكلوا بمجموعهم أمة مديــن أي أهــل مديــن الذيــن تكاثروا وأصبحوا شعوبًا كبيرة. وأثروا أيضًا وسنحاول التعريف بكل شخصية مديانية وتقديم معلومات أو سيرة ذاتية عنها مع الالتزام بالأسبقية التاريخية وتتبع التسلسل الزمني.

---

(١) انظر: ص ٨٦ من هذا الكتاب؛ المقريزي ، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٤.

(٢) انظر: ص ١٢٣ من هذا الكتاب.

التاجر مالك : Malik

كـــان لمدين تجارة كبيرة يقوم بها تجارها. وكان أقدم التجار المعروفين : مالك بن دعر بن بويب بن عفقان (عيفا) بن مدين بن إبراهيم الخليل (عليه السلام)[(١)]. ويتضح نسبه من قائمة الأنساب التي أعددنا بناء تسلسلها.

ويرد في المرويات أن مالك هذا كان التاجر المدياني، الذي باع يوسف إلى عزيـــز مصـــر، المدعو قطين أو أطفير (قطفير) (فوطيفار). وكان أطفير هذا متوليًا على خزائن مصر[(٢)]. فقد ورد في كتب تفاسير القرآن الكريم أن السيارة مـــن مديـــن جـــاءوا بيوســـف إلى مصر وباعوه إلى عزيزها قطفير وزوجه زليخـــا[(٣)]. وقيل أطفير وزوجه راعيل وقد يكتب الاسم قوطفير[(٤)]. وربما ذلك تحريف من أطفير.

وجـــاء فـــي التوراة أن المديانيين باعوا يوسف (عليه السلام) יוסף-Joseph إلى فوطيفـــار פוטיפר-Potiphar خصي فرعون ورئيس الشرط. لكن التوراة تذكر في روايتها الإسماعيليين بدلاً من المديانيين. "تعالوا فنبيعه للإسماعيليين ولاتكن أيدينا عـــليه لأنـــه أخونـــا ولحمنا فسمع له إخوته واجتاز رجال مديانيون تجار" "وأما المديـــانيون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط"[(٥)]. ويرجح أن إخوة يوسف عزموا على بيعه للإسماعيليين ولكنهم لسبب ما باعوه للمديانيين.

وقـــد ذكرت أغلب المراجع الأجنبية اسم مشترى يوسف بالصيغة التوراتية نفسها أي فوطيفار[(٦)].

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج١، ص ١٧٢، ابن خلدون : **تاريخ**، ج٢، ص ٤٠.

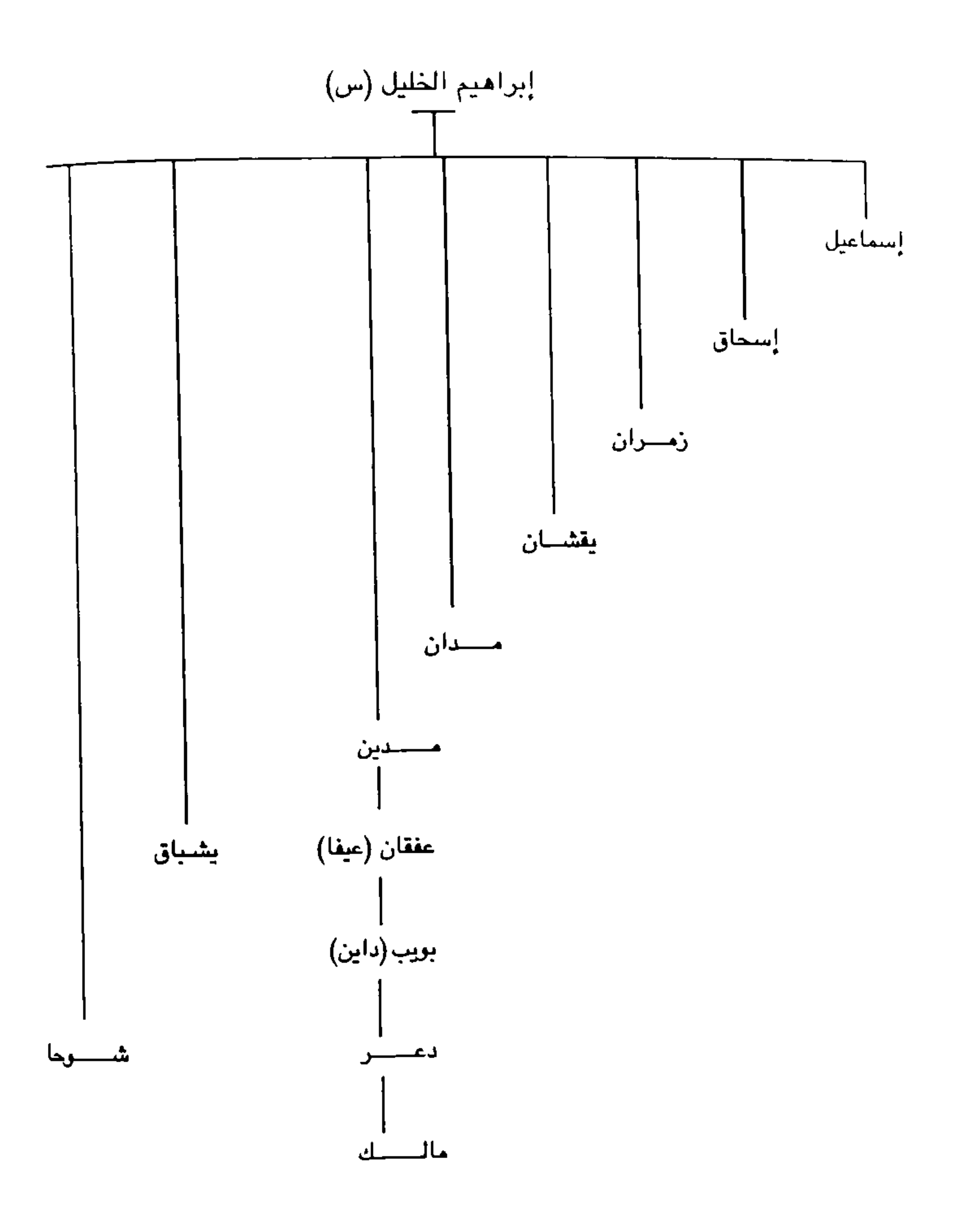
(٢) الطـــبري، **تـــاريخ** ج١، ص ١٧٢ وتجدر الإشارة إلى أن مصادر الطبري والمؤرخين الآخرين كـــانت تعـــتمد عـــلى المـــرويات الشفوية (الإسرائيليات). مما أدى إلى تحريف الاسم على هذه الصورة، (انظر القائمة فيما يلي، ص ١٥٢).

(٣) السيوطي، **تفسير الجلالين**، ص ٣٠٥؛ سورة يوسف؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٢، ص ٤٠.

(٤) ابن الأثير، **الكامل**، ج١، ص ٨٠.

(٥) تكوين، ٣٧ : ٢٧ – ٢٨؛ ٣٧ : ٣٦، ٣٩ : ١.

(٦) Glueck, N., "**Rivers in the Desert** ", New York, 1959, p. 19.



قائمة نسب التاجر مالك بن دعـر

وربمـــا أن هـــذا التاجر المدياني – مالك – كان التاجر الوحيد الذي عرفنا اســمه من بين تجار مدين. ولكن لم نعرف عنه شيئًا. مع ملاحظة أن اسم جده عفقان بن مدين لم يرد اسمه مع أبناء مدين. وقد ذكره ابن خلدون باسم عيفا بن مدين[١]. وهذا ما نرجحه فهو يتطابق مع اسم عيفة بن مدين.

وقـــد عقـــدت سيارة مدين، أي قافلة مدين برئاسة التاجر مالك بن دعر – صفقة تجارية رابحة لأنهم شروا يوسف بثمن بخس قدره عشرون درهمًا فضة، وبـــاعوه فـــي مصر بأربعين درهما أو مثقالاً [٢]. ووردت الحادثة في القرآن الكريم قال تعالى : (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون. وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)[٣].

ويتضـــمن هذا الحادث دلالة على أن فعاليات هؤلاء المديانيين وغيرهم من الـــتجار لـــم تقتصر على بيع السلع؛ بل شملت الاتجار بالبشر أيضًا (الرقيق). وجاء في التوراة أن قافلة الإسماعيليين القادمة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولاذنا ذاهبين إلى مصر، وباعوا يوسف (عليه السلام)[٤].

---

(١) ابن خلدون ، **تاريخ**، ج٢، ص ٤٠.

(٢) ابـــن خلدون ، **تاريخ**، ج٢، ص ٤٠؛ الطبري ، **تاريخ**، ج١، ص ١٧٢، ابن الأثير، **الكامل**، ج١، ص ٨٠، "واجـــتاز رجـــال مديـــانيون تجار، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإســـماعيليين بعشـــرين من الفضة فأتوا بيوسف إلى مصر". تكوين ٣٧ : ٢٨. "وأما المديانيون فـــباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط"، تكوين ٣٧ : ٣٦. الدرهم مأخوذ من الآيات القرآنية لأنه كان مستعملاً في عصر ظهور الإسلام.

(٣) سورة يوسف، الآية ١٩ و٢٠، السيوطي ، **تفسير الجلالين**، ص ٣٠٥.

(٤) تكويـــن، ٣٧ : ٢٥ – ٣٠ والكثير أو البلسان واللاذن مواد عطرية تنقلها قوافل التجارة من بلاد العرب ثم تصدرها إلى مصر وبلاد الشام وبلاد الرافدين.

النبي شعيب (عليه السلام) : Shu^cai^b

أورد المؤرخــون المسلمون نسبا للنبي شعيب (عليه السلام) فجعلوه من نسل مدين بــن إبراهيم الخليل (عليه السلام) مرة، وأخرجوه من سلالة نسب إبراهيم (عليه السلام) حينا آخر. وهكذا ورد اسمه؛ شعيب بن صيفون (صيعون) بن عنقا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم (عليه السلام). وقيل : شعيب بن ميكائيل من ولد مدين. وقيل بل هو : من ولــد أتــباع إبراهيم (عليه السلام). الذين آمنوا بدين النبي إبراهيم (عليه السلام) أي من نسل أولئك المؤمنين بإبراهيم والذين هاجروا معه إلى بلاد الشام(١).

وقيل شعيب بن نويل بن رعوئيل بن عيفا بن مدين وقيل : شعيب بن نويب ابــن مدين. ويقال : ابن صيفون(٢)، وقيل : شعيب بن يوبب بن عيفا بن مدين ابن إبراهيم خليل الرحمن(٣). وقيل أن شعيبًا (عليه السلام) من ولد المحصن بن جندل ابن يعصب بن مدين بن إبراهيم الخليل (عليه السلام). وقيل إن شعيبًا (عليه السلام) كان آخر اسم في سلالة نسب طويلة شملت عددًا من الملوك(٤).

وشعيب (عليه السلام) من الأنبياءِ، وهو اسم عربي. وربما أن شعيبًا تصغير شعب أو أشــعب. والشعب لغة من الأضداد ويعني المنع والجمع والتفرق، والإصلاح والإفساد(٥).

وأمـــا الــربط بين شعيب وِ"بئر سبع" وأن اسمه لا يبدو عربيًا، أو أن النبي محمــد ﷺ جــاء بهــذا الاســم وأن لاسمه صلة بيهود بلاد العرب، (فهي آراء وفرضــيات لم تثبت صحتها). ويوجد في النقوش العربية القديمة مثل الصفوية والثمودية واللحيانية اسم شعب ولا يوجد شعيب(٦).

---

(١) الطبري ، **تاريخ**، ج١، ص ١٦٧؛ ابن الأثير : **الكامل**.ــ ط١، ص ٨٨.
(٢) البغدادي ، **سبائك**، ص ١٧.
(٣) ابن سعد، محمد ، "**الطبقات الكبرى، السيرة الشريفة**".ــ بيروت، ج١، د.ت، ج١، ص ٥٥.
(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٧.
(٥) الزبيدي، محمد مرتضى، "**تاج العروس**".ــ بيروت، ج١، ص ٣١٨ – ٣٢١.
(٦) Bosworth, C. E., "The" Qur anic Prophet Shucaib and IBN Taimiyya Epistle Concerning him", **Le Museon**, Manchester, 1974, Vol. 1/37., pp. 427-428.

وذكروا أن جدة شعيب (عليه السلام) هي : ابنة لوط (عليه السلام) وقيل أن لشعيب اسمًا آخر هو يثرون ويثرو[1] أو جثرو وقد ورد هذا الاسم يثرون في التوراة وأطلقته على حمى موسى (عليه السلام). بالإضافة إلى اسم آخر هو رعوئيل. ولقبته التوراة أيضًا بـ كاهن مدين. « وكان لكاهن مدين سبع بنات فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن. فأتى الرعاة وطردوهن، فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن. فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن ». وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حمي كاهن مديان[2] والله أعلم.

أرسل الله النبي شعيبًا (عليه السلام) إلى أهل مدين هاديًا يبلغهم رسالة التوحيد. أي يدعوهم إلى عبادة الله وحده. ولم تقتصر دعوة شعيب (عليه السلام) على ذلك فقط؛ بل كانت دعوة إلى مكارم الأخلاق ونشرها في المجتمع، والنهي عن الغش في التعامل والإفساد في الأرض. أي كلف الله نبيه بالقيام بدعوة إصلاح أمر الدين والدنيا، حيث يقوم بإصلاح اجتماعي شامل؛ لأن الدين كحقيقة يوثق الصلة بالله، وهو أسلوب للحياة القويمة والتعامل بالحسنى[3]. وقد قيل : الدين المعاملة وفي الحديث الدين النصيحة[4].

وقد بدأ النبي شعيب (عليه السلام) بالدعوة وحمل الرسالة قال تعالى : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ .. ﴾ [5]. أي بدأ بالرسالة الأولى لتثبيت العقيدة الراسخة التي لا

---

(١) الطبري : **تاريخ**، ج١، ص ١٦٧، ٢٠٦؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج١، ص ٨٨؛ الحليس، نواف بن صالح / **المنهج الاقتصادي في المكاييل والموازين لنبي الله شعيب**.ــ ط٢.ــ الرياض ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ١٥ – ١٦.

(٢) خروج، ٢ : ١٦ ـ ١٨؛ خروج، ٣ : ١.

(٣) بهجت، أحمد / **أنبياء الله**.ــ ط١٢.ــ القاهرة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٥٥.

(٤) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ الدين النصيحة ثلاث مرات... انظر الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة **صحيح الترمذي**، بشرح الإمام العربي المالكي.ــ بيروت، د.ت، ج ٨، ص ص ١١٣ ــ ١١٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية : ٨٥؛ سورة هود، الآية : ٨٤.

تــتغير، ولا تتــبدل. رسالة جميع الرسل والأنبياء الذين أرسلوا وبعثوا للمناداة إلى عــبادة الله وحــده، ونشــر رســالة التوحيد من لدن النبي نوح (عليه السلام) أول الأنبياء والمرســلين إلى خــاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ. أرسل الله شعيبا (عليه السلام) إلى أهل مدين. فأطــاع الله ودعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له. ونادى النبي موسى (عليه السلام) أيضًــا إلى العقيــدة الثابتة نفسها. ونادى الأنبياء إلى العقيدة وتقوى الله وإلى الهداية والرشاد، والصلاح والإصلاح الشامل لجميع نواحي حياة البشر.

وقبل الاستطراد نرى وجوب مناقشة نقطتين هما : أولاً : التنويه بأن النبي شعيبًا (عليه السلام) من أحفاد مدين بن إبراهيم لأن أغلب الروايات في المصادر أثبتت ذلــك. وبالاستناد إلى ما ذكر عن جدة شعيب (عليه السلام) بأنها ابنة لوط. فإن كانت هــي نفسها ابنة لوط التي تزوجها مدين بن إبراهيم فبذلك يثبت أن شعيبًا (عليه السلام) من أحفاد مدين. وتبعًا للنسب الذي أورده البغدادي في سبائك الذهب فجعل شعيبًا (عليه السلام) من نسل عيفا بن مدين. وذلك تأكيد آخر أن شعيبًا مدياني. أما اسم عنقا الذي ورد في نسب شعيب، فهو على الأرجح تحريف لاسم عيفا (عيفة).

وأمــا احتمال أن جدة شعيب (عليه السلام) هي ابنة أخرى للوط غير زوج مدين. فــتكون جــدة شعيب أختا لزوج مدين، فيكون شعيب (عليه السلام) من أصهار مدين. ومــن أحد الأتباع الذين آمنوا بإبراهيم (عليه السلام). فعندئذ يكون أبوه ابن خالة لأبناء مدين. وأبناء الأخوات كالإخوة، قال تعالى : (وإلى مدين أخاهم شعيبًا) الآية[١] وهنا إشارة إلى أخوة نسب أو إخوة قبيلة.

ثانيًا : ذكرت التوراة حما النبي موسى (عليه السلام) بأسماء مختلفة ومتعددة منها : كــاهن مديــن، وحمــو موسى، ويثرون، ورعوئيل[٢]. وذكرت اسم حوباب بن رعوئيل المدياني حما النبي موسى (عليه السلام)[٣].

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٨٥.

(٢) خروج، ٢ : ١٦ – ١٨، ٣ : ١؛ جواد علي، **المفصل**، ج١، ص ٤٥٣.

(٣) عدد، ١٠ : ٢٩، HB. Dic, Op. Cit., p. 488.

والتحـــليل الأول يفيـــد بـــأن مجموعة تلك الأسماء ربما هي ألقاب ونعوت أطلقتها التوراة على ذلك الشخص الذي أغفلت أسفار التوراة ذكر اسمه الصريح لأسباب قد نجهل بعضها. وأول تلك الألقاب كاهن مدين כהן מדין Midian Priest وهـــو مـــن الواضح أنه لقب يدل على مرتبة دينية تسنمها هذا الرجل المعني. ومـــارس بموجبها دورًا دينيًا، نشأت عنه رتبة اجتماعية – سياسية نالها كاهن مديـــن أيضًا. وقد اقتصرت التوراة على ذكر هذا اللقب، وفي ذلك دليل وتأكيد على المنصب الديني. ولم تشر في الوقت نفسه إلى أنه كان نبي مدين؛ بل كاهن مدين فقط، أي حبرها أو شيخها(١). ولم تذكر شيئًا عن دعوته ولا عن دوره كما فصلها القرآن الكريم، ولا أن اسمه شعيب.

أمـــا يـــثرون יתרו Yitro - Jether - Jethro (٢). فيعد لقبا وصفة؛ بل لقب تعظيم مصدره اللغوي الكثرة، والثر، والوفرة. وقد تعني صاحب السمو His Excellency. وممـــا يثبت هذا التعظيم لشعيب (عليه السلام) ذلك التكريم الذي لقيه حمو موســـى (عليه السلام) والاستقبال الحافل بالحفاوة الذي أعده النبي موسى (عليه السلام) لحميه شـــعيب (عليه السلام). فخرج النبي موسى لاستقبال حميه وسجد وقبله وسأل كل واحد صـــاحبه عن سلامته ثم دخلا إلى الخيمة. وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعامًا مع حمي موسى أمام الله(٣).

وقد ورد في الموسوعة اليهودية، نقلاً عن أدب الربانيين أو الأدب الرباني،

---

(١) Bosworth, The Qur'anic Prophet Shucaib, vol. 1/37,pp. 427, 434.
الطبري، تاريخ، ج١، ص ٢٦.

(٢) ويكـــتب الاسم في بعض المراجع جثرو Jethro أو Watar Yitro وهو حمو موسى. أي عمه أبو زوجته وهو رجل دين مدياني، انظر :
Koening, J., "**Le Site De Al-Jaw Dans Le Pays De Madian**" , Paris, 1971, p. 223,N.1.
وقيل أن يثرون ابن أخي النبي شعيب (عليه السلام)، انظر : الطبري، تاريخ، ج١، ص ١٦٧، ٢٠٦.

(٣) خروج، ١٨ : ٦، ١٢.

بـــأن لحمي موسى سبعة أسماء منها : رعوئيل Reuel، يثرون Jethro يثر Jether، حابر Heber، حوباب القيني Hobab The Kenite(١).

وفوطئيل פוטיאל Putiel Eleazar's Father in law والذي هو حمو ألعازر ابن هارون(٢).

ورعوئيـــل - רעואל Re^cule نستنتج من قرينة ورودها ومعناها بأنها لقـــب أيضًا، وصفة مميزة لذلك الشخص. ومعناها بأنه (راعي إيل) أو أن الإله صديقه(٣).

ويحتمل أنها صفة كانت تطلق على يثرو. وقد تكون مرادفة لاسمه بما أنه كـــان رجل دين ومرتبطًا بالإله. وقد نجد رابطًا بين هذه التسمية رعوئيل وبين تسمية كرب إيل أو إلكرب التي كانت لدى حكام جنوب بلاد العرب خلال الألف الأولى ق.م. بالإضافة إلى أن الحاكم في الجنوب كان يعد «مكرب»(٤).

أما حوباب - חבב Hobab

جـــاء اسمه في التوراة صريحًا باسم حوباب بن رعوئيل المدياني(٥). وكما يتضـــح من ترتيب الأسماء فإن حوبابًا هذا ابن لرعوئيل وهو بالتالي ابن حمي

---

(١) Jewish Ency ; Op. Cit., vol. 7, p. 174.
عدد، ١٠ : ٢٩، قضاة، ١ : ١٦، ٤ : ١١.

(٢) وألعازر بن هارون أخذ لنفسه من بنات فوطئيل زوجة فولدت له فينحاس. خروج ٦ : ٢٥، وفي التفاســير عــرفوا فوطــئيل بأنه هو يثرو لأنه هجر عبادة الأوثان أو لأنه قام بتسمين العجول لتقديمها قرابين للأصنام. انظر Jewish Ency, Op. Cit., vol. 7, p. 174. وهنا تناقض مقصود فكيف يهجر عبادة الأصنام ثم يقدم لها قرابين، أو ربما قبل هجر عبادتها.

(٣) خروج، ٢ : ١٨؛ Jewish Ency., Op. Cit., vol. 7, p. 173.

(٤) وقد تكون صفة رعوئيل منبثقة عن فكرة واضحة عن الإله الكنعاني إيل كبير مجمع آلهة كنعان ممـــا يـــدل على رتبة دينية، وصلة مباشرة بتراث وحضارة بلاد كنعان، خاصة مع أهل مدين. بالإضـــافة إلى تـــراث جنوب بلاد العرب وظهور المكرب في مرحلة سابقة للملك في الجنوب العربي، انظر : جواد علي ، **المفصل**، ج٢، ص ص ١٣٢، ١٦٦، ١٦٩، ١٨٤ - ١٨٥.

(٥) وقال موسى لحوباب بن رعوئيل المدياني حمي موسى إننا راحلون. انظر: عدد، ١٠ : ٢٩؛ Pixley, G. **"On The Exodus"** , New York, 1983, p. 12.

موسى أيضًا. أي نعتبره أخًا لصفورة المديانية زوج موسى (ﷺ). وهذا احتمال يمكـــن تأكيده من ظاهر الاسم. إذ أن رعوئيل هو يثرون. ولكن حوبابًا ليس هو يـــثرون نفسه؛ بل إن حوبابًا ولد لرعوئيل. وقد طلب موسى (ﷺ) من حوباب بن رعوئيل أن يرافقهم ويكون لهم رائدًا وعينًا لأن حوبابًا على معرفة بالطرق. ولكـــنه رفض[١]. ومن المؤكد أن طلبًا كهذا لا يوجه إلى رجل في مرتبة وسن يـــثرون كـــاهن مديـــن، والذي يحتمل أنه علاوة على ذلك كان كفيفًا آنذاك كما ذكرت المصادر.

حابر القيني : חבר הקיני - Heber The Kenite

ورد تعـــريف عـــنه في التوراة بأن حابرًا القيني هذا من بني حوباب حمي النـــبي موسى (ﷺ). إذن فحابر هذا ابن حوباب[٢]. فهل أبوه حوباب المذكور ســـابقًا أي حوباب بن رعوئيل، أم حوباب آخر. هذا ما أغفل النص توضيحه. ولكن تحديد أنه حمو موسى يشير إلى أنه ابن حوباب بن رعوئيل أي ابن أخي صـــفورة فهـــي عمـــة له. أو ربما أنه من الأحفاد لأن النص ذكر أنه من بني حوبـــاب، فـــربما أنه حفيد وليس ابنًا، فهو حفيد لأحد الأبناء، ويحتمل أنه حفيد

---

(١) فقـــال لا تتركـــنا لأنـــه ربما أنك تعرف منازلنا في البرية تكون لنا كعيون، خروج ١٠ : ٣١، موسل، المرجع السابق، ص ٥١؛ .HB. Dic., Op. Cit., p. 634 ويرتبط الاسم حوباب بجذور قويـــة مـــع المســـميات ومعاني الكلمات العربية في فترة ما قبل الإسلام. والاشتقاق من حب – ومحـــب وهو التصريف الرابع. والاسم موجود وثابت في وثائق الجو الموقع المدياني وغيرها، انظر : .Koenig, Le Site De Al Jaw, p. 223, n.1

(٢) وحابر القيني انفرد من قاين من بني حوباب حمي موسى وخيم حتى إلى بلوطة في صعنايم التي عند قادش. انظر : قضاة ٤ : ١١.

والقيـــني مشـــتقة من قاين وهو لقب لجد. وحابر القيني من بني حوباب المدياني فهم مديانيون أيضًا. وحابر مشتق من صيغة حبر - hbr. ويرد اسم قاين، وقين المذكوران في التوراة بصيغة قيـــن في الكتابات الصفوية، ولدى جام برقم ٧٤١. وقد فسرها جوسين وسافيناك Qayn وكذلك ريكمانـــز وفاندن براندن. وجاءت في اللحيانية قين Qn ويمكن تفسيرها بقين Qinn, Qayn أيضًا وتعنى عبد كما ذكرها جوسين وسافيناك. انظر : .Koenig, Le Site De Al-Jaw, p.223. n.1

لإحـــدى بـــنات حوباب وأبوه قيني من بني القين؛ وهم أنسباء لبني مدين ولذلك يعدون أصهار النبي موسى (عليه السلام) أيضًا.

ويبدو أنه كان لحابر القيني مركز مهم أو مكانة اجتماعية، ولا ندري هل كان لـــه منصـــب سياسي أم مركز اقتصادي أو رتبة دينية. ونرجح أنه كان ذا مركز اقتصـــادي فهو رئيس صناع، أو بيت صناعة أو بيت مال. حيث ورد في التوراة عـــنه ما يلي : «أما سيسرا فهرب على رجليه إلى خيمة ياعيل امرأة حابر القيني لأنـــه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبين حابر القيني»(١). فنستنتج من هذا الـــنص أنه كانت خصومة حدث بعدها الصلح بين يابين ملك حاصور وبين بيت حابر القيني. ولكن المرأة ياعيل لم تصفح كما يبدو من ختام القصة. ولذلك غدرت بالقائد سيسرا وقتلته بوتد الخيمة. وأطلعت باراق قائد نفتالي من بني إسرائيل على جثة سيسرا المضرج بدمائه في الخيمة وكان باراق يطارده(٢).

ويعنيـــنا مـــن هذه الحادثة مكانة حابر القيني وبيته، فهل يذكرنا بيت حابر القيـــني بالـــبيوتات الحاكمة في بلاد الشام مثل مملكة بيت أديني، وبيت زماني، وبيت بحياني، وبيت أغوش... إلخ(٣). وهل هناك تشابه؟ وأن بيت حابر القيني يمـــثل بيـــتًا حاكمًا على غرار تلك البيوتات الحاكمة. ويرأسه شيخ أو أمير كان زعيمًـــا للقبيـــلة البيت اتخذت اسمه. ومادام يابين ملك حاصور اختلف مع هذا الـــبيت بيت حابر القيني ثم عقدا صلحًا فلا بد أن يكون هنالك تكافؤ إن لم يكن

---

(١) قضاة، ٤ : ١٧ وسيسرا هو رئيس جيش يابين ملك حاصور بمركباته وجمهوره، انظر : قضاة، ٤:٧، ياعيل في اللغة العبرية -Jael وتعنى ظبيًا أو بقر الوحش، وهي زوج حابر القيني. ورغم الصـــلح وأن سيسرا لجأ إلى خيمتها إلا أنها قتلته وأخبـــرت باراق بن أبينوعم. انظر : قضاة، ٤:٦، ٢١ – ٢٢، Odelain and Seguineau, Op. Cit. p. 185, HB., Dic, Op. Cit., p. 445. اشتغل القينيون بأعمال التعدين : انظر هذا الكتاب، ٤٤٤.

(٢) قضاة ٤ : ٦، ٢١ – ٢٢.

(٣) دوبونت / الآراميون؛ تر. ألبير أبونا، **مجلة سومر** ـ بغداد، ١٩٦٣م، العدد ١٩ / ٢٠١، ص١٠٠ وما بعدها.

سياسيًا فلابد أن يكون اقتصاديًا، أو دينيًا أي أن بيت حابر القيني كان ذا مكانة ورتبة مرموقة في مجتمعه.

وبما أن الممالك الآرامية المذكورة قامت في فترة قريبة زمنيًا من عصر مدين (بيت بحياني كان في أواخر القرن الثاني عشر ق.م.). فإن ميل الباحثة إلى افتراض أن ذلك النظام السياسي كان سائدًا من ذي قبل أي منذ عصر مدين على الأقل (من القرن الرابع عشر ق.م.). واستمرت القبائل الآرامية تمارسه خلال الألف الأولى ق.م. في بلاد الشام.

والقين في اللغة العربية هو الصانع عامة. ثم قصرت على الحداد؛ الذي يعمل بالحدادة على وجه الخصوص(١). فيقال قان القين الحديد، يقينه قينا أي عمله وسواه. وقان الشيء لمه وقان الإناء أصلحه. والقين : الحداد يذهب به إلى معنى العبد لأنه في العمل والصنعة بمعنى العبد. ولا يقال للصائغ قين، ولا للنجار، والجمع أقيان وقيون. والقينة وجمعها قيان : هي الماشطة لأنها تزين النساء تشبيها لها بالأمة. والقونة : هي القطعة من الحديد أو الصفر يرقع بها الإناء(٢). إذن القيني نسبة إلى مهنة أي لقب مهني. وليس من النسب. وربما أن يثرون الذي دعا رعوئيل وكاهن مدين كان من (القينيون – القيون)(٣)، الذين كانوا يشتغلون بالتعدين. ومن المحتمل أن شعيبًا (يثرون) من هذا الفرع المدياني الذي اشتغل لأنه من الأرجح أن بني القين أو القيون فرع من مدين(٤).

---

(١) ابن منظور، المرجع السابق، ج٣، ص ٢٠٣، علمًا بأن ظهور معدن الحديد واستعمالاته في تصنيع الأسلحة بدأ في القرن الثاني عشر ق.م. إثر غزوة شعوب البحر، ولكن يبدو أن هؤلاء القيون اشتغلوا بتعدين معادن أخرى أهمها النحاس خاصة في شبه جزيرة سيناء، انظر :

Rothenberg, B, "**Timna**", T & H, 1972, p. 183; Albright, The Archqeology of Palestine, pp. 109-110.

(٢) الزبيدي ، المرجع السابق، ج٩، ص ص٣١٦ – ٣١٧.

(٣) Ency. Britanica, Mic., Op. Cit., vol. 5, p. 551.

(٤) جواد علي، **المفصل**، ج١، ص ٤٥٤.

فوطئيل : פוטיאל Putiel

عــرفت الــتوراة فوطــئيل بأنه أبو زوجة إلعازار بن هارون وإلعازار بن هــارون أخذ لنفسه من بنات فوطئيل زوجة[1]. والعبارة غامضة ومبهمة فليس هــنالك تعريف بفوطئيل ولكن شارحي التوراة ومفسريها قالوا : إن فوطئيل هو يثرون[2].

ويحــتمل أن إلعازار بن هارون اتخذ لنفسه زوجًا من بنات يثرون. فأصبح إلعــازار وعمه موسى (عليه السلام) متزوجين من أختين هما ابنتا يثرون كاهن مدين. وقــد ذكرت التوراة أنه كان لكاهن مدين سبع بنات بينما لم يحدد القرآن الكريم عــدد بــنات الشيخ الكبير. وإنما أورد فقط أن الشيخ عرض إحدى ابنتيه على النــبي موســى (عليه السلام) ولــه اختيار إحداهما زوجًا له. وهما ذات البنتان اللتان ذهبتا إلى البئر للسقيا، وهما اللتان رآهما النبي موسى (عليه السلام).

وقــد أجمع بعض المفسرين في تفاسيرهم، وبعض المؤرخين المسلمين بأن الشيخ الكبير المذكور في القرآن الكريم هو النبي شعيب (عليه السلام). وأنه زوج ابنته إلى موســى (عليه السلام) مقابل ثماني أو عشر حجج. أي مقابل خدمة ثماني أو عشر سنوات في رعي غنم هذا الشيخ أي شعيب[3].

---

(١) خروج، ٦ : ٢٥.

(٢) والله أعلم Jewish Ency., Op. Cit., vol. 7, p. 174.
وفــوط وفوطــة : ثــوب قصير غليظ يتخذ مئزرا، ويجلب من السند، وقيل : ثوب من صوف وجمعهــا الفــوط. انظــر : ابن منظور، المرجع السابق، ج٢، ص ١١٤٤ وربما فوطئيل على غــرار وعوئيل مرادفا لاسم يثرون مما يدل على الصلة (بإيل)، ويلاحظ أن رعوئيل وفوطئيل صفات مشتقة من إيل أو منسوبة إليه ومتعلقة به لمهنة ونحوها.

(٣) قطــب، سيد ، " **في ظلال القرآن** ".ــ بيروت، ١٤٠٥هــ / ١٩٨٥، ج٢، ص ٢٣٢٩، ج٥، ص ٢٦٨٨، السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٥١٠، الرازي، محمد بن أبي بكر، "**تفسير الرازي**"؛ تح. محمــد رضــوان الداية.ــ بيروت، ١٤١١هــ/١٩٩٠من ص ٣٨٧، الطبري، تاريخ، ج١، ص ص ١٦٧، ٢٠٦؛ ابن الأثير ، **الكامل**، ج١، ص ٩٩، سورة القصص، الآيات ٢٢ – ٢٩.

وأكد بعض المفسرين أن أبا الفتاتين أي الشيخ الكبير هو النبي شعيب (عليه السلام)[1].

ولـم يذكر بعض المفسرين الآخرين اسم الشيخ الكبير؛ بل اكتفوا بالإشارة إليه باسم الشيخ أو الأب[2] والله أعلم.

وأورد بعـض المؤرخين المسلمين أن النبي موسى (عليه السلام) تزوج ابنة النبي شعيب (عليه السلام) واسمها صفورة أو صفوراء. والبعض الآخر من المؤرخين امتنع عـن ذكـر اسـم النبي شعيب (عليه السلام).وقالوا إن يثرون ابن أخي شعيب (عليه السلام)، وقالوا إن يثرون صاحب مدين[3].

ولكـن الـتوراة أكدت أن النبي موسى (عليه السلام) تزوج من ابنة كاهن مدين – يثرون[4] والله أعلم.

ويتضـح لـنا من قصة النبي موسى مع النبي شعيب (عليه السلام) بعض النتائج والأمور التالية :

١ – مكانـة قـوم النبي شعيب (عليه السلام) (أهل مدين) وسمعتهم الحسنة التي بلغت مصر. واعتبار مدين كيانًا مستقلاً لا تطوله يد فرعون مصر، عندما فر النـبي موسـى (عليه السلام) إلى مديـن طلـبا للحماية والنجاة من بطش الفرعون بتخصيص الآية الكريمة لجوء النبي موسى إلى مدين مباشرة قاصدًا إياها قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ ..﴾ [5].

---

(١) السيوطي، "**تفسير الجلالين**"، ص ص ٥١٠ – ٥١١، الصابوني، محمد علي، "**صفوة التفاسير**".ـــ ط ٣.ـــ بيروت ١٤٠٢هـــ /١٩٨١م، ج٢، ص ص ٤٣٠ – ٤٣١.

(٢) الصابوني، محمد علي ، "**مختصر تفسير الطبري**".ـــ بيروت، ١٤٠٣ه_/١٩٨٣م، ج٢، ص ١٥٤.

(٣) الطـبري، تـاريخ، ج١، ص ص ١٩٨، ٢٠٦، ابن الأثير : **الكامل**، ج١، ص ٩٩، المسعودي : **مروج الذهب**، ج١، ص ٦١.

(٤) خروج، ٢: ١٦؛ ٣ : ١.

(٥) سـورة القصـص، الآية : ٢٢. رضا، محمد ، "**تـاريخ الإنسانية وأبطالها من بدء الخليقة إلى خاتم المرسـلين**".ـــ بيروت، ١٤٠٦هـــ / ١٩٨٦م، ص ٧٨حاشية ٢ (بين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام).

٢ – مكانة النبي شعيب (عليه السلام) لدى النبي موسى (عليه السلام) ومعرفته به، حيث استأمنه وقص عليه القصص، فما كان من شعيب إلا أن طمأنه وأمنه ، قال تعالى : ﴿.. قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [١].

٣ – مكانة يثرون لدى فرعون مصر ذاته حيث وردت رواية أن الفرعون استشار يثرون وأيوب وبلعام وقيل معهم عماليق أيضًا. وكانت تلك الاستشارة بشأن أمر بني إسرائيل. فأشاروا عليه بأن يرمي ذكور بني إسرائيل في النهر. وقيل إن يثرون ندم على هذه المشورة القاسية وتاب[٢] وهذه مشورة غريبة وغير مقبولة.

وليس الهدف من إيراد هذه القصة فحوى المشورة ونتائجها، بقدر ما هو استخلاص للمدلول السياسي والتاريخي لأصحاب تلك المشورة نظرًا لمكانتهم. وأنهم من الشخصيات المعروفة التي لها وزنها في ذلك العصر. فكون الفرعون يستشير هؤلاء الأشخاص من المناطق والممالك المجاورة لمصر، دليل قوي على اعتراف الفرعون بمكانة هؤلاء الأعلام، واعترافه بأهمية البلاد التي ينتمون إليها ومنها بلاد مدين.

وكان في مقدمة تلك الشخصيات النبي شعيب (عليه السلام)، فبالإضافة إلى ما لدينا من معلومات عن مكانته ودوره الديني، والاجتماعي بين قوم أهل مدين. نستنتج أنه كان لشعيب (عليه السلام) ثقافة ومعرفة دينية من واقع رسالته ودعوته بين قومه وحنكته وتجاربه. وكان لشعيب معرفة قضائية وإدارية، وخبرات بمشكلات ومفاسد المجتمع وطرق معالجتها، إضافة إلى ثقافة عامة، ومعرفة بالحساب (العشرات ومضاعفتها) كما سنرى في مشورته على النبي موسى (عليه السلام)[٣].

---

(١) سورة القصص، الآية : ٢٥.

(٢) جاءت هذه الرواية في السنهدرين وكتاب الركابيين. انظر : Jewish Ency., Op. Cit., vol. 7, p. 174

(٣) خروج، ١٨ : ١٧ – ٢٣.

ويجدر أن ننوه إلى ما كان لشعيب (عليه السلام) عدا ما ذكرنا من ثقافته ومعارفه. فقد كان ذا سلطة وزعامة دينية؛ لأن التوراة تتحدث عنه باسم كاهن مدين[١]، وذكر أنه صاحب مدين[٢]، فلأنه كان ذا سلطة مدنية (دنيوية) نظرًا لمعرفته بالنظم الإدارية والقضائية مما يتيح لنا أن نرجح أنه كان للنبي شعيب (عليه السلام) دور قيادي بالإضافة إلى الدور الديني. فربما أنه كان مكربا لأهل مدين بما يشبه دور المكرب في جنوب بلاد العرب. وذلك لأن كلمة مكرب تتكون من مقطعين هما: مك – رب، ومك بمعنى بيت. أي بيت الرب. وتعني أيضًا مقرب[٣]، أي مقدم القربان.

٤ – ونستنتج أنه كان لمدين مجلس استشاري على غرار مجلس الملأ الذي ذكره القرآن الكريم في قصة النبي شعيب نفسه (عليه السلام). وهنالك ملأ ملكة دولة سبأ. وقد تشاورت معهم في أمر كتاب سليمان، ثم ذكر مجلس الملأ في قصص أنبياء آخرين[٤]. وظهر مجلس الملأ القرشي في مكة قبيل الإسلام[٥].

---

(١) خروج، ٢ : ١٦؛ ٣ : ١ ؛ ١٨ : ١.

(٢) الطبري ، "تاريخ"، ج١، ص ١٩٨، ٢٠٦.

(٣) مهران : المرجع السابق، ص ص ٣٩٢ – ٣٩٣؛ داداه، محمد ولد، جزيرة العرب مصير أرض وأمة قبل الإسلام.ـ ط١.ـ الرياض، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٢٤٠.

(٤) سورة النمل، الآية ٢٩، سورة الأعراف، الآيتان : ٦٠، ٧٥.

الملأ : الجماعة من الرجال لا امرأة فيهم، وملأ ملكة سبأ (بلقيس) وكان عدده (٣١٢ رجلاً يرأس كل رجل منهم عشرة آلاف) وكانوا من أشراف قومها وأولو مشورتها.

وملأ فرعون أشراف قومه أيضًا، انظر : التجيبي، أبو يحيى محمد بن صمادح، "مختصر من تفسير الطبري".ـ ط١.ـ دمشق ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، تفسير سورة النمل، الآية : ٢٩، ص ٣٧٩، تفسير سورة الأعراف، الآية : ٦٠، ص ١٥٨، وتفسير سورة يونس، الآية : ٧٥، ص ٢١٧.

(٥) كان مجلس الملأ القرشي يقوم بجميع المهام التي تخدم المجتمع المكي في الأمور السياسية، والاقتصادية، والدينية والاجتماعية، وتتم كل اجتماعاتهم ومشاوراتهم في دار الندوة التي أسسها قصي بن كلاب في مكة حوالي القرن الخامس م. انظر : سلامة، المرجع السابق، ص ١٦٧ وما بعدها.

من الحقائق المهمة عن النبي شعيب (عليه السلام) في المصادر الإسلامية أنه أحد الأنبياء العرب الخمسة وهم : هود، وصالح، وإسماعيل، وشعيب، ومحمد؛ عليهم أفضل الصلاة والسلام. وأن أسماء الأنبياء أعجمية إلا أربعة منهم : آدم، وصالح، وشعيب، ومحمد فأسماؤهم عربية. وقد عمل النبي شعيب (عليه السلام) راعيًا للغنم، مثل النبي موسى (عليه السلام)، والنبي محمد (ﷺ)[(١)].

عاش النبي شعيب (عليه السلام) مع قومه أهل مدين. ولكن لم يمت ولم يدفن في أرض مدين. فقد ورد أن قبر النبي شعيب (عليه السلام) موجود في موضع قرب حطين. ويدعى هذا الموقع خيارة أو خربة مدين. وقيل أن قبره في مكة[(٢)]، بين زمزم والحجر حيث ورد أنه كان النبي من الأنبياء إذا هلكت أمته يخرج بالمؤمنين به إلى مكة فيعبد الله فيها إلى أن يموت[(٣)].

ونتساءل هل كان النبي شعيب (عليه السلام) رجل دين ودولة، بمعنى أنه جمع بين السلطتين في المعبد، وفي القصر. وهل كان المعبد مقر دعوته وسلطته. كما حدث في عهد النبي محمد ﷺ ، حيث كان محمد النبي المرسل بالدعوة؛ التي نشرها من المسجد كما كان السياسي الخبير، والمصلح الاجتماعي الذي أصلح المجتمع. ونشر الحق والعدل بين الناس وعلمهم دينهم ودنياهم ومن المسجد أيضًا.

صفورة (صفوراء) بنت شعيب (عليه السلام) : צפורה -Zipporah

هي صفورة بنت شعيب، أو بنت الشيخ الكبير المدياني[(٤)]، أو يثرون؛ كاهن

---

(١) ابن الجوزي، الإمام عبدالرحمن، "تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير".ـــ القاهرة، ١٩٧٥م، ص ص ٣ – ٤، حاشية ٢، ٤٥٤؛ ابن منظور : المرجع السابق، ج٢، ص ٧٢٣.

(٢) الحموي، **معجم**، ج٢، ص ٤٠٩؛ جواد علي : **المفصل**، ج١، ص ٤٥٣.

(٣) الجزيري، "**الدرر الفرائد**"، ج١، ص ص ٧٨ – ٧٩.

(٤) سورة القصص، الآية : ٢٣.

مدين. تزوجها موسى משה -Moses.[١] فأنجبت له ابنين جرشوم גרשם -Gershom وإليعازر אליעזר -Eliezer[٢].

ويعني اسمها طائرًا أو عصفورًا. والاسم صفورة مشتق من عصفورة، وكانت تتصف بالجمال[٣]. وذكر أن النبي موسى (عليه السلام) تزوج امرأة كوشية. وقيل إن كوش تقابل مدين[٤].

جاء في التوراة أن صفورة أنقذت النبي موسى (عليه السلام) عندما قامت بتختين ابنها حيث قطعت غلفته بحجر الصوان ثم مست قدمي النبي موسى (عليه السلام) بالغلفة المقطوعة من ذكر الطفل، ومسحت قدمي النبي موسى (عليه السلام) بالدم فداء (انقاذًا) له من حادثة غامضة لم تشرحها التوراة[٥]. ولكن الأرجح أن صفورة علمت زوجها طقسًا اجتماعيًا شعائريًا من شعائر دين قومها أهل مدين، وهو الختان. وذكر أحد قواميس التوراة شرحًا عن هذه الحادثة أن هنالك خلافًا وقع بين النبي موسى (عليه السلام)، وصفورة على ختان ابنهما[٦].

وإذا حللنا تصرف صفورة، وقيامها بختن ابنها يتضح لنا أنها كانت على خبرة ومعرفة جيدة بعادة الختان. وعرفت كيفية تنفيذها بمهارة بواسطة مدية أو نصلة صوانية. فأرادت أن تري زوجها كيفية إجراء عملية الختان.

وأشرنا إلى أن اسم الابن الأكبر جرشوم واسم الابن الآخر إليعازر. ومعنى جرشوم : في اللغة العبرية جر بمعنى شخص يقيم في مكان دون أن يختلط في

---

(١) خروج، ٢ : ١٦، ٣ : ١.

(٢) خروج، ٢ : ١٦ – ٢٢؛ ١٨ : ٣ – ٤؛ الطبري ، **"تاريخ"**، ج١، ص ٢٠٥ – ٢٠٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ٩٩ وما بعدها. HB. Dic., Op. Cit., P. 1166.

(٣) Jewish Ency., Op. Cit., vol. 12, pp. 686-687.

(٤) خروج، ١٢ : ١؛ Cambridge Ancient History, vol. 1, part 2 A, pp. 554-555.

(٥) خروج، ٤ : ٢٤ – ٢٦.

(٦) "**Dictionary of The Bible**", Collins, London, 1979, p. 638.

المجــتمع أي أنها تعني أنه غريب هناك(١). وينتسب الجرشوميون إلى جرشوم ابن موسى وهم جماعة كهنوتية(٢). وذكرنا أن الابن الثاني إليعازر(٣).

يتضح مما سبق أن صفورة زوج النبي موسى (عليه السلام) وأم ابنيه كانت امرأة مديانيــة عربية، رافقت زوجها النبي موسى (عليه السلام) عندما نوى العودة إلى أهله فــي مصر، وابناهما معهما. كما بينه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ .. فَلَمَّا قَضَـــىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ.. ﴿٢٩﴾ ﴾ (٤). ولكن النبي موسى (عليه السلام) ضل الطريق، فرأى النار من جانب الطور. فترك أهله (زوجه وابنيه) في البرية. ثم ذهــب ليتــبين أمــر هذه النار لعله يجد دليلاً أو يأتيهم بجذوة يصطلون بها أي يتدفأون. لأنه ظنها من نيران البدو التي توقد على حسب عاداتهم القديمة. ولما ذهــب إلى النار كلمه الله تعالى وبعثه نبيًا هاديًا، وكلفه بحمل الرسالة إلى بني إسرائيل قوم النبي موسى (عليه السلام)، وإلى فرعون مصر وأهلها(٥). فأنصاع لأمر ربه. وترك أهله لأنه انشغل بأمر جليل، وهم لا يدرون شيئًا عنه، حتى مر بهم أحد رعاة مدين، ولما عرفهم أخذهم إلى النبي شعيب (عليه السلام)(٦).

وقــد ورد هــذا السياق عن قصة بعث النبي موسى (عليه السلام) في ثلاث سور قــرآنية : طــه، النمل، والقصص. وذكرت السور القرآنية أنه سار بأهله لأنها

---

(١) "فولدت إبنا فدعا اسمه جرشوم لأنه قال كنت نزيلا في أرض غريبة". خروج ٢ : ٢٢؛ Pixley, Op. Cit., pp. 8, 13, Talec, p., **"The Patriarchs And Mnoses"** , Mionnesota, 1983, Chap. 36.

وجرشــم فــي اللغة العربية بمعنى إندمل الرجل بعد المرض والهزال، وجرشم نوع من الحيات (أفاعي) الخشنة الجلد. انظر ابن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ٤٤٢.

(٢) قضاة، ١٨ : ٣٠. Pixley, Op. Cit., p. 13.

(٣) "واسم الآخر إليعازر لأنه قال إله أبي كان عوني وأنقذني من سيف فرعون". خروج، ١٨ : ٤.

(٤) سورة القصص، الآية : ٢٩.

(٥) السيوطي، **تفسير الجلالين**، ص ٥١١؛ قطب، **"في ظلال القرآن"**، ج٥، ص ص ٢٦٢٨، ٢٦٩١.

(٦) ابن الأثير، **الكامل**، ج١، ص ١٠١؛ Jewish Ency. Op. Cit., vol. 12, p. 687.

أخبرتنا أنه خرج عائدًا إلى مصر، ﴿ إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأهْلِه ٱمْكُثُواْ إِنّي ءانَسْتُ نَاراً لَّعَلّي آتِيكُمْ مّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾[1]. وجاء ذكر أهله في السور السابقة بأنهم كانوا معه. وقد بررت عودتهم كما ذكر أعلاه.

فذهب النبي موسى (عليه السلام) إلى مصر، وأدى رسالته وبعد نهاية مدة مكوثه في مصـــر، خرج بقومه، بني إسرائيل من مصر. كما أمره الله وعندما وصل النبي موســـى (عليه السلام) إلى البرية مع جماعته بعد أن فروا وأنجاهم الله من فرعون. علم النبي شعيب (عليه السلام) بوصول النبي موسى (عليه السلام)، فذهب بابنته وحفيديه[2] إلى مقر النبي موسى (عليه السلام). وتدلنا معرفة شعيب بوصول موسى إلى البرية على الاتصال الدائـــم بيـــن النـــبي شعيب والنبي موسى (عليهما السلام). أثناء فترة الغياب في مصر. وكما علم بوصوله، فقد عرف مكان إقامته في الصحراء أيضًا.

ويقتصر ذكر صفورة في التوراة على ثلاثة موضوعات من سفر الخروج :

أولاً – موضـــوع لقـــاء صفورة بموسى عند البئر وما تبع ذلك من أحداث قصة السقيا والزواج[3].

ثانيًا – موضوع عملية ختان ابنهما جرشوم[4].

ثالـــثًا – موضـــوع بقـــاء صفورة مع ابنيها في بيت أبيها بعد ذهاب النبي موسى (عليه السلام) إلى مصر حتى عودته[5].

هذه الموضوعات الثلاثة فقط التي ورد فيها ذكر زوج النبي موسى (عليه السلام) صـــفورة بنت شعيب. وقد كانت بلا شك شخصية مهمة أدت دورًا حاسمًا، في

---

(١) سورة طه، الآية : ١٠؛ كما ورد ذكرها في سورتي النمل، الآية ٧؛ والقصص، الآية : ٢٩.
(٢) خروج، ١٨ : ٢ – ٥.
(٣) خروج، ٢ : ١٦ – ٢٢.
(٤) خروج، ٤ : ٢٤ – ٢٦.
(٥) خروج، ١٨ : ٢ – ٥.

فترة تاريخية حاسمة، في تاريخ أهل مدين وبني إسرائيل أيضًا. فقد ربطت بين نبيين النبي شعيب (عليه السلام) والنبي موسى (عليه السلام) وأمتين. وتظهر دراسة نصوص التوراة الخاصة بموضوع صفورة بالتأكيد أن هنالك بترًا للمعلومات والحقائق، وإغفالاً متعمدًا لدور هذه الزوج التي لا نشك أبدًا في أهمية دورها وفعاليتها في حياة زوجها.

ولا نجد بالمقابل في المصادر العربية الإسلامية ذكرًا لصفورة، سوى اسمها. وما ورد عن اسم أحد ثغور بلاد الشام؛ الذي عرف باسم (ثغر صفورية). وقد ورد ذكر هذا الثغر في موضوع قتل عقبة بن أبي معيط عندما أمر النبي محمد (ﷺ) بذلك فذكر أن عقبة هذا يهودي من يهود صفورية التي كانت مقرًا لهم[1].

وجاء أن قبر صفورة في كفر مندة؛ وهي قرية بين عكا وطبرية، وتسمى مدين أيضًا. وقيل : إن بها البئر التي استقى النبي موسى (عليه السلام) منها للفتاتين ابنتي شعيب، وقيل مازالت الصخرة التي تسد البئر باقية أيضًا[2]. ولكن يبدو أن مثل هذا الموقع يبعد عن مسرح الأحداث المقترنة بالنبيين شعيب وموسى (عليهما السلام) كثيرًا باتجاه الشمال إلى أعماق بلاد الشام.

٦ – ملوك وأمراء :

من أقدم الشخصيات المديانية التي تعرفنا عليها من ملوك وأمراء في عهدين متتاليين ملوك مدين الخمسة المذكورين في عصر النبي موسى (عليه السلام) منذ فترة خروجه ببني إسرائيل من مصر حوالي القرن الثالث عشر ق.م. وملوك وأمراء آخرون في عصر قضاة بني إسرائيل حوالي القرن الثاني عشر ق.م. وهم كالتالي :

---

(١) البكري : **معجم**، ج٣، ص ٨٣٧. صفورية قرية من نواحي الأردن بالشام قرب طبرية، انظر : الحموي : **معجم**، ج٣، ص ٤١٤. وربما أن هذا موقع آخر غير الثغر.

(٢) الحموي : **معجم**، ج٤، ص ٤٧١.

أ / ملوك مدين في عصر النبي موسى (عليه السلام) :

١ – أوى	אוי	Evi
٢ – راقم	רקם	Rekem
٣ – صور	צור	Zur
٤ – حور	חור	Hur
٥ – رابع	רבע	Rebac

ذكـــرت التوراة هؤلاء الملوك كما يلي «فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتـــلوا كـــل ذكر، ملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم. أوى وراقم وصور وحور ورابع خمسة ملوك مديان»(١).

ويـــورد قـــاموس الـــتوراة أسماء ملوك مدين أما أوى فلا يذكر اسمه ولا يتحدث عنه بشيء.

أما فيما يخص الملوك الآخرين فيعرف القاموس كل واحد منهم : بأنه ملك مدياني تم ذبحه مع أربعة ملوك آخرين على أيدي بني إسرائيل وهم في طريقهم إلى بلاد كنعان(٢).

١ – أوى : אוי Evi

أول ملوك مدين المذكورين في النص التوراتي. توافق صيغة اسمه الصيغة الـــنهائية (أويت Wyt)(٣). حكم هذا الملك في شرق مدين. وكان له بيت كبير أو قصـــر. عثر على كنز له مدفون بأرض القصر تحت شجرة نخيل. وكان الكنز

---

(١) عدد، ٣١ : ٧ – ٨ Josephus, Op. Cit., p. 174. "Maid of Midian", A Tragedy In Four Acts, (As Record In the 31st book of Numbers, Pub By A.E. Armstrong, Philadelphia, 1833, p. 10.

(٢) HB. Dic., Op. Cit., pp. 412, 855, 860, 1168.

(٣) وردت هذه الصيغة عند جام، النقش رقم ٣٥٧.
Koenig Le Site De Al Jaw, p. 223, n.1.

عــبارة عن حلي ذهبية وأحجار كريمة، وأطباق فضية (آنية فضية)، كما روت إفيــليلا (إيليلا) ابنة الملك أوى نفسه، وذلك عندما أرادت افتداء أمها بهذا الكنز الثمين. وكان خطيبها (هالوهاب) البابلي معها. ورغم أن هالوهاب من بابل إلا أنـــه مولود في مدين. ثم ذهب إلى بلاد كلدان لتلقي العلم بها[١]. وقيل : إن أويا أميـــر إقطاعي لسيحون ملك الآموريين[٢]. ورد ذكر كنز الملك آوى في قصة ولكنه يرمز إلى ثراء ملوك مدين.

٢ - راقم : רקם Rekem

مــلك مدياني؛ ترتيبه الثاني في النص التوراتي. ونعرف أن هنالك مدينة تحمــل ذات الاسم في المنطقة التي سكنها بنيامين[٣]. وربما أنها أصلاً مدينة لهــذا المــلك أي عاصمة له، أو دولته (دويلة مدينة – City State) أو مقاطعته الــتي كان يحكمها. ويحتمل أنه مؤسس مدينة الرقيم أي البتراء، كما جاء في المصــادر الــتركومية والنبطية[٤]. ولم يثبت ذلك في الكتابات والنقوش التي عثر عليها. وجاءت كلمة رقمة مثناة بصيغة الرقمتان وأنه اسم مكان، مذكور فــي معــلقة الشاعر العربي زهير بن أبي سلمى. والكلمة بهذه الصيغة تعني المــرعى الممتد من جهة وأخرى من الوادي، أو من جهتي سفحي الوادي. إذ إن هــذا التشابه بين اسم الشخص (راقم) مع اسم المكان في العصر القديم يعد دليلاً قويًا على ديمومة الأسماء المديانية، التي وردت في التوراة في المسميات الثمودية والعربية[٥].

عــلاوة عــلى ذلك اسم راقم ذو اشتقاقات عربية عديدة. وله معان معروفة في

---

(١) Maid of Midian, Op. Cit., pp. 13, 15, 17.

(٢) Odelan and Seguineau, Op. Cit., p. 124.

(٣) HB. Dic., Op. Cit., p. 860.

(٤) Koenig, Le Site De Al-Jaw. P. 223, n.1; Knauf, Midian, p. 166.

(٥) Koenig, Le Ste De Al-Jaw, p. 223, n.1.

الــلغة العــربية مثل : رَقَمَ – رقيم وجمعها رُقَم – والمرقوم – والراقم على وزن فاعل[١].

٣ – صور : צור : Zur

الملك المدياني الثالث في النص التوراتي[٢]. واسمه شكل من اسم Srt, Sr, Swr أي صــور – صــر – صــرت. وصور في الأصل اسم إلهي نشأ من معتقدات مرتــبطة بالصــخور التي قدسها الرعاة[٣]. وصور موقع خربة أور وتقع بين صدقة ورأس النقب[٤].

ولا نعــرف شــيئًا عــن هذا الملك إلا أن له ابنة تدعى الأميرة كزبى بنت صــور[٥]. سيرد تعريف عنها. وجاء أن هذا المدياني قتل بيد بني إسرائيل في المعــركة التي غلب موسى (س) فيها ملك الآموريين سيحون ومعه أهل مدين. ويلاحظ أنه يرد خلط كبير في التوراة بين رؤساء مدين وأمراء سيحون[٦]، ولا نــدري هــل كــان رؤساء مدين (ملوك مدين) متحالفين مع أمراء سيحون؟ أو تابعين لهم؟.

ولــم تعيــن الــتوراة هوية الأشخاص أو الملوك ولم تذكر شيئًا عن أمراء ســيحون أو إماراتهم. ولا نعلم هل الرؤساء المديانيون المذكورون حكموا تلك

---

(١) والــترقيم إعجام الكتاب وتنقيطه. وكتاب مرقوم أي قد بينت حروفه بعلاماتها من التنقيط. ويرقم التاجر ثوبه بسمته. ورقمة الوادي : مجتمع مائه. والأرقم من الحيات. وقال زهير عن الرقمتين :

ودار لها بالرقمتين كأنها
مراجع وشم في نواشر معصم

انظر : ابن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ١٢١٠ – ١٢١١.

(٢) انظر، ص ٣٧، ٤٠، ١٤٣ من هذا الكتاب.

(٣) Koenig, Le Site De Al-Jaw, p. 223, n.1.

(٤) Knauf, Midian, p. 166.

(٥) عدد، ٢٥ : ١٤ – ١٥؛ . Josephus, Op. Cit., pp. 172, 173; HB. Dic., Op. Cit., p. 1168

(٦) وكل مدن السهل وكل مملكة سيحون مع ملك الآموريين الذي ملك في حشبون الذي ضربه موسى مــع رؤساء مدين أوى وراقم وصور وحور ورابع أمراء سيحون ساكني الأرض. انظر يشوع، ١٣ : ١٢. انظر: ص ٤٢٥ من هذا الكتاب.

الإمـارات مسـتقلين، أم كانت إمارات تابعة لسيحون ملك الآموريين، أي أنهم كانوا ولاة وأمراء تحت إمرته.

٤ – حور : חור Hur.

وحـور مـن ملوك مدين المذكورين في النص التوراتي، قتله رجال النبي موسـى (عليه السلام) أيضًـا في منطقة شرق الأردن. وذكر في سفر يشوع بأنه أمير مدياني وليس ملكًا[١].

ولا نجـد عـنه معلومات غير تلك، وهنالك موقع حور، والذي يسمى الآن حميمـة[٢]. وقـد نجـد أن هنالك ارتباطًا لفظيًا بين اسم هذا الملك وبين مدينة الحـوراء على ساحل البحر الأحمر. ويحتمل أن يكون بانيها أو مؤسسها، لأنها ميناء مدياني.

٥ – رابع : רבע Reba^{c}

المـلك الأخيـر في النص التوراتي[٣]. وجاء عنه التعريف نفسه بأنه ملك مدياني قتل على يد بني إسرائيل. وخصصوا إقليمه فيما بعد لقبيلة رأوبين. ورد الاسـم في الكتابات اللحيانية والثمودية[٤]. وقد نجد ترابطا بين اسم رابع ورابغ موقع على ساحل البحر الأحمر[٥].

وكمـا يتبين مما تقدم من معلومات، هنالك نوع من الخلط ورد في التوراة، إذ لا يوجد تفريق بين ملك أو أمير، أو بين إسماعيلي ومدياني.

---

(١) يشوع، ١٣ : ٢؛ HB. Dic., Op. Cit., p. 412.
انظر: ص ٦٣ من هذا الكتاب.

(٢) Knauf, Midian, p. 166.

(٣) انظر: ص ٦٣ من هذا الكتاب.

(٤) HB. Dic., Op. Cit., p. 855.

(٥) Koenig, Le Site De Al-Jaw, p. 223, n.1.

٦ - كزبى بنت صور : כזבי Cozbi

الاسـم مشـتق من كزب ويعني : سمين(١). وهو لغة في الكسب(٢). هذه الأميـرة المديانية (كزبى بنت صور)، وأبوها صور رئيس قبائل في مدين كما ذكرت التوراة واسم المرأة المديانية المقتولة كزبى بنت صور. هو رئيس قبائل بيـت أب فـي مديان(٣). وجاءت قصة كزبى في التوراة بأن زمري بن سالو الشمعوني זמרי בן סלוא Zimri Son of Salu تزوجها أمام النبي موسى (عليه السلام)، ولكـن بـني إسرائيل كلها ثارت على هذا الزواج؛ أي صلة النسب الجديـدة هـذه، والتي أعقبت زواج النبي موسى (عليه السلام) من صفورة. فجاء فيـنحاس بن إلعازار بن هارون פינחס בן אלעזר בן אהרן Phinehas of Eleazar Son of Aron وقـتل الـرجل وزوجـه كـزبى. فقـد طعـن زمرى وكزبى برمح في خيمـتهما(٤). ربمـا لأنـه اعتقد خطأ بأنهما ارتكبا خطيئة بدون زواج، أو أنه حـادث اغتصـاب(٥). فأرداهمـا قتيلين، ولأنه انضم إلى الثائرين على النسب الجديد. وكان فينحاس يعتقد بأنه بفعلته تلك قد خلص قومه من الوباء، الذي فتك بأربعة وعشرين ألف نسمة من بني إسرائيل(٦).

---

(١) انظر ص ٦٣ من هذا الكتاب Koenig, Le Site De Al-Jaw, p. 223, n.1.

(٢) وتكتب كسبى وكزبى مثل كسبرة، وكزبرة، انظر : ابن منظور : المرجع السابق، ج٣، ص ٢٥٣. وقيل إن معنى كزبى الرفاهية والثراء. انظر : Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 87.

(٣) عدد، ٢٥ : ١٥.

(٤) عدد، ٢٥ : ٧ – ٨.

(٥) Knauf, Midian, pp. 166-167, Mendenhall, The Tenth Generation, p. 115., Jewish Ency Op. Cit., Vol. 6, p. 506.

(٦) عدد، ٢٥ : ٦ – ١٥؛ وقد نهى إسرائيل عن الزواج من الأجنبيات فجاء الأمر بالنهي صريحًا «لا تـأخذ زوجـة لابـني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم»، تكوين، ٢٤ : ٣، وتكرر عن إسحق « لا تأخذ زوجة من بنات كنعان » تكوين ٢٨:١، ٧، ٨، وجاء سبب هذا الأمر وهو أن المصاهرة تؤدي إلى الامتزاج والمعاشرة «ولكن إذا رجعتم ببقية هؤلاء الشعوب وأولئك الباقين معكـم وصـاهرتموهم ودخلتم إليهم وهم إليكم فاعلموا يقينا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فخا وشركا وسوطا على جوانبكم وشوكا في أعينكم حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة»، يشوع، ٢٣ : ١٢ – ١٣؛ Josephus, Op. Cit., p. 172.

وإذا كانت علاقة زمري بكزبى بعقد زواج فإنه من المحتمل أن زمرى أراد تهدئـــة الفتـــنة بيـــن بني إسرائيل وبين أهل مدين – بما قام به من اتصال عن طريق الزواج من هذه الأميرة. أما إن كانت علاقة غير شرعية أي زنا فإن ذلك يســتحق عقوبـــة الطرفيـــن (زمـــرى وكزبى) أما إن كان موضوع اعتداء أي اغتصـــاب فإن زمريًا هو الذي يستحق العقوبة أما كزبى فهي معتدى عليها ولا تستحق أي عقاب.

وأورد الطـــبري اســـم الأميرة كزبى بنت صور بصيغة كسبى بنت صور علـــى أنها امرأة كنعانية مقيمة في مدين(١). ولكن ورد اسم صور كأحد الملوك الخمسة في بلاد مدين كما مر بنا. والأرجح إذا كان زمرى قد تزوج كزبى فإنه يـــتزوج ابـــنة رئيس القوم وزعيمهم أو ملكهم. ولا يتزوج من امرأة مقيمة في المنطقة.

ب – ملوك وأمراء مدين في عصر القضاة :

حـــدث صـــراع طويـــل بين بني مدين وبني إسرائيل في عصر قضاة بني إسرائيل وذلك حوالي القرن الثاني عشر ق.م(٢)، في عهد أحد قضاتهم المسمى جدعـــون. وقـــد اشـــترك فيه أميران مديانيان هما : الأمير غراب עורב-Oreb والأمـــير ذِئب זאב-Zeeb. كما اشترك فيه ملكان من ملوك مدين هما : الملك زبح זבח Zebah والملك صلمناع צלמנע Zalmunna^c(٣).

ونلاحظ أن اسمي الأميرين غراب وذئب يسايران التقليد العربي في تسمية الأبـــناء بأسماء الحيوانات المفترسة، والطيور الجارحة، وذلك لترهيب أعدائهم. والمعـــروف أن هذيـــن الأميرين قتلا على يد بني أفرايم الإسرائيليين في عهد جدعـــون خلال حربه ضد أهل مدين. وتذكر التوراة أن مقتلهما وقع لكل منهما

---

(١) الطبري، "تاريخ"، ج١، ص ٢٢٦. وربما ظنّ أنها إمرأة من مدينة صور.

(٢) Albright,F. "**The Biblical Period, From Abraham To Ezra**", New York, 1963 p. 41.

(٣) قضاة، ٧ : ٢٥، ٨ : ٥؛ Josephus, Op. Cit., p. 218.

فـي أملاكه الخاصة، فالأمير غراب قتل على صخرة غراب. وقتل الأمير ذئب فـي المعصـرة التي كان يمتلكها. وقد أتوا برأسيهما إلى جدعون عبر الأردن «فأرسـل جدعون رسلا إلى كل جبل أفرايم انزلوا للقاء المديانيين وخذوا منهم الميـاه إلى بيت بارة والأردن. فاجتمع كل رجال أفرايم وأخذوا المياه إلى بيت بارة والأردن. وأمسكوا أميري المديانيين غرابا وذئبًا وقتلوا غرابا على صخرة غراب وأما ذئب فقتلوه في معصرة ذئب، وتبعوا المديانيين. وأتوا برأسي غراب وذئب إلى جدعون من عبر الأردن». «أجعلهم شرفاءهم مثل غراب ومثل ذئب ومثل زبح ومثل صلمناع كل أمرائهم»(١).

وإذا توقفـنا عند صخرة غراب فإنا لا ندري ما هو المقصود بهذه الصخرة وهـل كـانت ذات صفة دينية أي من الأماكن المرتفعة (المعليات) High Places المكرسة للعبادة في بلاد كنعان والرافدين وغيرهما؟ أما المعصرة فتندرج ضمن إطار المعامل، والمصانع الخاصة بالصناعات الغذائية. وتدل على منطقة عامرة بالزراعة وفي مقدمتها كروم وأشجار زيتون.

أما الملك زبح ويعني اسمه التضحية أو التقدمة في اللغة العبرية. وقد هرب هـذا المـلك مع الملك صلمناع ومعهم خمسة عشر ألفاً (١٥٠٠٠) من الجيش المكون من مدين وحلفائها العماليق وبني المشرق(٢).

---

(١) قضاة، ٧ : ٢٤ – ٢٥، ٨ : ٣، مزامير، ٨٣ : ١١. HB. Dic, Op. Cit., pp. 734, 1159.

وغراب بمعنى طائر الغراب. وهو ترجمة من العربية إلى العبرية لأنه اسم عربي (بدوي) صميم، ولأنـه اسـم طويل بعكس اللغة العبرية. وربما هو تحريف للكلمة عربي أو عرب ^{c}arb كما في الثمودية. وكذلك اسم ذئب بمعنى حيوان الذئب. وقد وجد في الثمودية أيضًا. انظر :

Koenig, Le Site De Al – Jaw., p. 223, no. 1.

(٢) قضاة، ٨ : ١٠ – ١٢، ٢٦، مزامير، ٨٣ : ١١. HB. Dic., Op. Cit., p. 1158.

لـم يوجـد اسـم زبح في الوثائق الثمودية، إما لأنه لم يعثر عليه بعد أو اختفى منذ العصور القديمة. ويظن أن اللفـظ العبـري يعـد تعديلاً أو تغييرًا وضع لأغراض أدبية. ويوجد في اللغة العربية ==

وإذا أمعنا النظر في الأرقام التي أوردتها التوراة نجدها لا تخرج عن أسلوب المبالغة والأرقام المدورة التي يستعملها بنو إسرائيل وقد انتقدها ابن خلدون في مقدمته[(١)].

ونتوقف عند اسم صلمناع لدراسته وتحليله. فهو مشتق من الجذر صلَّمَ. وتعني الصورة أو النصب في اللغة الأكادية. مما يوحي بوجود علاقة ما بالمعبود صلم (شلم). والصلم لغة تعني : قطع الأذن، أو جدع الأنف من أصله، والصيلم الأمر الشديد[(٢)]. وقد تكون اللاحقة ناع أو مناع مدمجة مع صلم. أي ربما تم دمج الميمين صلم – مناع فأصبحت صلمناع فيتضح معنى المنعة والتحصين. أو أن الاسم مشتق من الصل أي أفعى الصل ومناع أي مانع الصل. وربما نجد ارتباط الاشتقاق اللفظي بين اسم الملك صلمناع وبين الإله صلم أحد آلهة تيماء[(٣)].

ونجد رابطة أخرى بين اسم الملك صلمناع واسم الإله صلم فقد ورد بصورة أخرى مثل صلمنعم أو صلمنعام كما جاء في النقوش الثمودية[(٤)].

وجاء ذكر مدينة صلمونة 𐩮𐩡𐩣 צלמנה Zalmonah في التوراة ضمن المحطات التي نزلها بنو إسرائيل بعد الخروج من مصر[(٥)] . ويظن أنها تقع في

== بمعنى ذبح والذابح أي المضحي ولا يعني التضحية التي تجئ على صيغة ذبيح أو ذبيحة. انظر :
Koenig, Le Site De Al-Jaw, p. 223, n. 1.

لقد ورد اسم زبح في القاموس الإيبلاني في مدينة إيبلا الكنعانية منذ الألف الثالثة ق.م. ذوبوحي بمعنى ذبيحة أي أضحية، انظر : فرنزارولي، ببليو، "**من القاموس الإيبلائي**"، تعريب قاسم طوير.ـ ط١.ـ دمشق ١٩٨٩م، ص ٥٤.

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ص ١٠ – ١١.

(٢) الفيروزأبادي : المرجع السابق، ج٤، ص ١٤١.

(٣) Winnett, F., A. Reconsideration of Some of The Inscriptions From The Tayma Area, vol. 1, p. 69.

(٤) Koenig, Le Site De Al-Jaw, p. 223, n. 1.

(٥) عدد، ٣٣ : ٤١ – ٤٢.

وادي عــربة عــلى بعد ٢٠ - ٣٠ ميلاً من البحر الميت[١]. ومن الأرجح أن مؤسســها هــو المــلك المديــاني صلمناع. وقد ورد أن بني مدين حكموا بني إســرائيل. وأن الذيــن حكموهــم في تلك الفترة هم الملوك المديانيون : عريب وربيب، وبرسونا، ودارع وصلنا[٢].

وقيــل إن أهــل مديــن حكموا بني إسرائيل لمدة تسع أو سبع سنوات. وأن الملكين هما روزيت بن هوز وعزريت بن حطي بن أبجد حكما بني إسرائيل تلك الفــترة [٣]. وحكم بني إسرائيل أيضًا ملك موآب من ولد لوط لمدة ثماني عشرة ســنة[٤]. ونلاحــظ بعض التشابه، وإن كان هنالك بعض التباين في أسماء ملوك مدين لدى المؤرخ المسعودي فقد طرأ عنده بعض التحريف في الأسماء، ولكن مع المحافظة على التشابه، وعلى الموضوع نفسه؛ أي موضوع الحرب مع جدعون، وقــد أضاف ملكًا جديدًا اسمه دارع، وبدلاً من زبح أورد اسم برسونا. ولا ندري ربمــا أنها ألقاب أو أسماء محرفة. ويلاحظ أيضًا أنه جعلهم كلهم ملوكًا ولم يذكر أن مــنهم أمــراء ويدفعنا كل هذا إلى التساؤل عن المصادر التي استقى المؤرخ المسعودي منها، وبأي لغة عرفها، سواء كانت مكتوبة أو روايات شفوية.

٧ - ملوك أخرون :

ذكــر المقريزي أسماء ستة ملوك لمدين، وجعلهم ملوكًا على مناطق وأقاليم أخــرى. والملوك هم : أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت. وقال : إنهم ملوك مديانيون. وذكر أن أبجد كان ملكًا على مكة وما يليها من الحجاز.

وكان هوز وحطي ملكين على بلاد وج وهي : الطائف وما اتصل بها إلى

---

(١) HB. Dic., Op. Cit., p. 1155.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، ج١، ص ٦٦.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٨.

(٤) ابــن الــوردي، زين الدين عمر، " **تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)**" ؛ تح. أحمد رفعت البدراوي.ــ ط١.ــ بيروت، ١٣٨٩هــ / ١٩٧٠م، ص ٣٦.

أرض نجد. أما الملوك كلمن وسعفص وقرشت فهم ملوك مدين ومصر والعراق واليمن أيضًا.

وجعل كلمن هو الملك المعاصر للنبي شعيب (عليه السلام) في بلاد مدين، وأن عذاب يوم الظلة وقع في عهد هذا الملك كلمن. ورثت جارية بنت كلمن أباها بأبيات شعرية :

كلمن هدم ركني هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه الحتف نارًا وسط ظلة
كونت نارًا فأضحت دار قومي مضمحلة[1].

ولا بد أن هذه المرأة آمنت مع النبي شعيب (عليه السلام) فنجت من عذاب يوم الظلة. والذي وقع على أصحاب الأيكة من أهل مدين كما جاء في القرآن الكريم عنهم[2].

ويذكر أيضًا أن أسماء هؤلاء الملوك تكوِن الاثنين وعشرين حرفًا، التي هي أحرف الجمل أي التي عليها حساب الجمل[3]. وهي الحروف الأبجدية المعروفة في اللغة العربية إلى اليوم. فهل نجد رابطًا بين أسماء ملوك مدين أولئك وبين الأبجدية العربية ؟ فهل هم من بدأها أو كونها ؟.

وأكد المقريزي أن هؤلاء الملوك الستة المذكورين هم أبناء المحصن بن جندل. وذكر مرة أخرى أن أبجدا أبوهم. ثم وصف كلاً منهم. فقال: إن الملك قرشت كان جبارًا. وأما الملوك سعفص وهوز وكلمن فكانوا أهل عدل وحلم. وكان الملك حطي صاحب بطش وجرأة. وقد أبعدهم بنو إسرائيل عن بلاد

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ص ١٨٦ – ١٨٨، وفي هلاكهم قال الشاعر :

ملوك بني حطي وسعفص في الندى
وهوز سادات الثنية والحَجر

وأنهم من بني محصن بن جندل بن مدين بن إبراهيم، انظر : المقدسي، مطهر بن طاهر، (ت سنة ٥٠٧ هـ)، "**البدء والتاريخ**"- مصر، د.ت، ج٣، ص ٧٧.

(٢) سورة الشعراء، الآيات : ١٧٦ – ١٨٩.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ص ١٨٦ – ١٨٨.

الشـــام. وكـــانت مدة حكمهم مئة وخمسين سنة. وحكم أبوهم أبجد مئة وخمسين سنة أخرى فأصبحت مدة حكمهم جميعًا ثلاثة قرون، أي ٣٠٠ عام[١].

نستشـف بلا ريب روح الأسطورة في القصة كلها. وأن شعر جارية بنت كـلمن ربما يكون من الأشعار الموضوعة. ولكن الأرجح أن هنالك حقيقةً هي الأصــل والأســاس الــذي تقــوم عليه الأسطورة بخرافاتها ومبالغاتها وخيالها الجامح. وأن تولي حكم منطقة شاسعة وبلاد عديدة من اليمن والحجاز ونجد إلى بلاد الرافدين، وبلاد الشام إلى مصر بواسطة أسرة حاكمة واحدة أو حاكم واحد منها أمر حدث فعلاً فيما بعد في العصور الإسلامية.

الملك عمرو بن زيد :

ورد اســم المــلك عمرو بن زيد بن كهلان، وأنه حكم المملكة القديمة في مدين[٢].

ثــم ورد أن مدين (أي منطقة مدين) أصبحت من منازل جذام بن عدي بن الحارث ابن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن غريب بن زيد بن كهلان[٣].

الملك هيت بن البلندي :

هو من ولد مدين بن إبراهيم الخليل (عليه السلام). وذكر أن اسمه هيت بن البلندي أو الســبندي بــن مالك بن دعر بن بويب بن عنقا بن مدين بن إبراهيم (عليه السلام). وأنــه مؤسس بلدة هيت على نهر الفرات، من نواحي بغداد فوق الأنبار. وهي ذات نخل كثير وخيرات[٤]. أي أن هيتًا هذا يكون ابنا للتاجر المدياني مالك بن دعر، المذكور سابقًا.

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ص ١٨٦ – ١٨٨.

(٢) القــثامي، حمود بن ضاوي ، **الآثار في شمال الحجاز**، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ج١، ص ٣٠٠.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ١٨٧.

(٤) الحميــري، الروض المعطار، ص ٥٩٧، والهيت والهوة من الأرض. انظر : البكري، معجم، ج٤ ص١٣٥٧. والحموي، معجم، ج ٥ ص ص ٤٢٠، ٤٢١.

وآمـد بن البلندي من أحفاد مدين بن إبراهيم (عليه السلام) ونسبت منطقة آمد في ديار ربيعة إلى آمد هذا[1]. فهل تقابل آمد – غامد لغة. وغامد بلاد معروفة في شبه جزيرة العرب.

والرهاء بن البلندي من ولد مدين بن إبراهيم (عليه السلام) نسبت إليه مدينة الرها، بأرض الجزيرة الفراتية[2].

وقـد ذكر المؤرخ الهمداني ابنا آخر لمدين دعاه يمن بن مدين بن إبراهيم (عليه السلام). وأورد نصا من لوح (شاهد) على قبر يمن هذا متحدثًا عن نفسه كملك، ذاكرًا فتوحاته وانتصاراته كما يلي :

« أنـا يمن بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن أعطيت ألف رجل وعمرت ألـف سنة، ونكحت ألف عذراء وأعتقت ألف أسير وهزمت ألف جيش وهدمت ألف جسر وفتحت ألف مدينة. وعلمت علم الطب ومعرفة طبائع الخلق وعرفت منبت العقاقير ومنافعها ومضارها وقرأت الكتب وعرفت دقائقها ولم أقدر للموت ووجـدت كلا يزول إلا الله تبارك وتعالى والعمل الصالح. وحدثنا أنا خلقنا لغد ندعو إلى بقاء بقلة من منزل قلعة إلى دار قرارة وخلود، فمن كان حكيمًا ينظر لنفسه ومن عجز عن ذلك خاب وخسر »[3].

٨ – شيوخ مدين :

جـاء فـي الـتوراة : " ولما رأى بالاق بن صفور جميع ما فعل إسرائيل بـالآموريين. فزع موآب من الشعب جدًا لأنه كثير وضجر موآب من قبل بني إسرائيل. فقال موآب لشيوخ مديان الآن يلحس الجمهور كل ما حولنا كما يلحس

---

(١) البكري، **معجم**، ج١، ص ٩٣.

(٢) البكري، المرجع نفسه، ج١، ص ٦٧٨.

(٣) الهمداني ، أبو محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف، "**الأكليل**".ـ بيروت، د.ت.و ج٨، ص ١٧٤.

الثور خضرة الحقل. وكان بالاق بن صفور ملكًا لموآب في ذلك الزمان. فأرسل رسلاً إلى بلعام بن بعور إلى فتور التي على النهر في أرض بني شعبة ليدعوه قـائلاً : هـوذا شعب قد خرج من مصر هوذا قد غشي وجه الأرض وهو مقيم مقابلي. فالآن تعال وَالْعن لي هذا الشعب. لأنه أعظم مني لعله يمكننا أن نكسره فأطـرده من الأرض. لأني عرفت أن الذي تباركه مبارك والذي تلعنه ملعون. فانطـلق شيوخ موآب وشيوخ مديان. وحلوان العرافة في أيديهم وأتوا إلى بلعام وكلموه بكلام بالاق"(١).

ونهـتم «بشيوخ مديان» المذكورين في النص أعلاه، ولكن لا نستطيع إعطاء تعـريف دقيق. وقد وردت ترجمة لهذا المصطلح أي شيـوخ مديان في نسخـة كتاب التوراة باللغة الإنجليزية هكذا Elders of Midian وبالعبرية זקני מדין (٢).

أي كـبراء مديـن وشيوخها ذوو السن والخبرة منهم، ولأنه لا يوجد بين أيدينا نـص مكـتوب يذكر أسماء هؤلاء الشيوخ أو الكبراء، ولا نعرف وظائفهم أو مناصـبهم بالتفصيل، ولكن يمكن أن نستشف وصفًا مبسطًا لمهامهم التي كانوا يؤدونهـا لمجـتمعهم المدياني، إذا قارناهم بنظائرهم من شيوخ القبائل العربية مثلاً. فنفترض أنهم كانوا بمثابة شيوخ مجلس القبيلة أو الحكومة.

ونسـتنتج الكـثير عنهم من نصوص التوراة التي تذكر بعض مهام هؤلاء الشيوخ والرؤساء، كما عينها ووصفها الشيخ المدياني يثرون في مشورته على صـهره موسـى (عليه السلام)(٣). ونسـتطيع أن نقول إن مهام شيوخ مدين هي مهام شـيوخ بـني إسـرائيل لأنهم اقتبسوا أنظمة المجتمع المدياني، كما وردت في

---

(١) عـدد، ٢٢ : ٢ – ٧ ونلاحـظ ظهور العامل الاقتصادي في النص يمثله خوف صفور بن بالاق ملك موآب من حدوث مجاعة ونقص الأغذية.

(٢) المرجع نفسه أعلاه باللغتين الإنجليزية والعبرية، HB. Dic., Op. Cit., p. 254.

(٣) خروج، ١٨ : ١٧ – ٢٣.

مشورة يثرون، فنقلوا تراث وتقاليد المجتمع المدياني وحاكوه في تنظيماتهم فيما بعـد. ونتعرف على النموذج الباكر لشيوخ القبيلة ودورهم في مجتمعاتهم القبلية فـي بـلاد العرب وقبل ذلك من خلال نصوص مدينة إبلا (تل مرديخ) المدونة على رقم مسمارية[١].

يقـوم الشيوخ بواجبات الحكومة المحلية (سواء في مجلس القبيلة أو دويلة المدينة) ويتقلدون مناصب القضاء لفض المنازعات والخلافات بين الناس. وهذا ما كان قائمًا خلال العصر الإسرائيلي المبكر. وتتضح بعض مهامهم، وأعمالهم وأهمية دورهم من بين ثنايا أسفار كتاب التوراة خروج ١٨ : ١٤ – ٢٢؛ ٢٤ : ١ – ٢؛ عدد ١١ : ١٦؛ قضاة ٢١:١٦[٢].

---

(١) صـفـدي، هشام، "الوجيز في تاريخ حضارات آسية الغربية".ـ دمشق، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ص ٢٠٨ – ٢٠٩.

(٢) "فـلما رأى حمـو موسى كل ما هو صانع للشعب قال ما هذا الأمر الذي أنت صانع للشعب. ما بـالك جالسًـا وحدك وجميع الشعب واقف عندك من الصباح إلى ا لمساء. فقال موسى لحميه إن الشـعب يـأتي إليّ ليسأل الله إذا كان لهم دعوى يأتون إليّ فأقضي بين الرجل وصاحبه وأعرفهم فرائض الله وشرائعه.

فقـال حمو موسى له ليس جيدًا الأمر الذي أنت صانع، إنك تكل أنت وهذا الشعب الذي معك جميعًا؛ لأن الأمـر أعظم منك، لا تستطيع أن تصنعه وحدك، الآن اسمع لصوتي فأنصحك. فليكن الله معك كـن أنت للشعب أمام الله. وقدم أنت الدعاوى إلى الله. وعلمهم الفرائض والشرائع وعرفهم الطريق الـذي يسـلكونه والعمـل الذي يعملونه. وأنت تنظر من جميع الشعب ذوي قدرة خائفين الله أمناء مبغضـين الرشوة وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات، فيقضـون للشعب كل حين ويكون أن كل الدعاوى الكبيرة يجيئون بها إليك. وكل الدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها. وخفف عن نفسك فهم يحملون معك". خروج ١٨ : ١٤ – ٢٢.

" فسـمع موسـى لصـوت حميه وفعل كل ما قال واختار موسى ذوي قدرة من جميع إسرائيل وجعـلهم رؤسـاء على الشعب". خروج ١٨ : ٢٤ "وقال لموسى اصعد إلى الرب أنت وهارون ونـاداب وأبيهـو وسبعون من شيوخ إسرائيل. واسجدوا من بعيد ويقترب موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون وأما الشعب فلا يصعد معه". خروج ٢٤ : ١ – ٢.

" فقـال الـرب لموسى اجمع إليّ سبعين رجلا من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك"، عدد ١١ : ١٦.

" فقـال شـيوخ الجماعة ماذا نصنع بالباقين في أمر النساء لأنه قد انقطعت النساء من بنيامين " "قضـاة ٢١ : ١٦ ثم يـرد في النص المشورة بخطف نساء شيلوة لتعويض النقص لدى بنيامين"، قضاة، ٢١: ٢١ – ٢٢.

واستمر ظهور دور الشيوخ إلى نهاية الطور القبلي لدى إسرائيل، كما جاء في صموئيل الأول ٨ : ١ – ٥. ثم أصبح للملك أن يختار رؤساء الشعب ورؤساء الألوف أيضًا[١]. أي استمر النظام تقريبًا في الطور الملكي. أي أن شيوخ القوم استمروا وكانت مهامهم معروفة، وأحكامهم نافذة حتى في عهد مملكتي إسرائيل ويهوذا، ويبدو أنه قد طرأ تطور على مهامهم كما أشرنا. واستمر دور الشيوخ إلى القرون الميلادية إذ ورد ذكر دورهم في كتاب العهد الجديد الإنجيل[٢].

وأول من علم بني إسرائيل عن طريق النبي موسى (عليه السلام) تعيين شيوخ على جماعات المجتمع المختلفة، كان الشيخ المدياني أو كاهن مدين يثرون. عندما أشار على موسى (عليه السلام) باختيار ذوي الثقة والأمانة، وتقليدهم مناصب مختلفة بتعيين رؤساء ألوف ومئات، وخماسين. حتى يقوموا بمهام القضاء بين الشعب. وحتما قام يثرون بنقل هذا التراث الاجتماعي الحضاري من مجتمع مدين. وسلمه إرثًا ثقافيًا للنبي موسى (عليه السلام) وبني إسرائيل من بعده.

ونلاحظ توافر شروط مهمة عند تعيين الشيوخ وأولها أن يكونوا على علم

---

(١) "وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاة لإسرائيل وكان اسم ابنه البكر يوئيل واسم ثانيه أبيًا كانا قاضيين في بئر سبع. ولم يسلك ابناه في طريقه بل ما لا وراء المكسب وأخذا رشوة وعوجا القضاء. فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة. وقالوا له هوذا أنت قد شخت وابناك لم يسيرا في طريقك فالآن اجعل لنا ملكًا كسائر الشعوب". صموئيل ٨ : ١ – ٥.
وقال «هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه لمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مراكبه ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خماسين فيحرثون ويحصدون ويعملون عدة حربه وأدوات مراكبه» صموئيل ٨ : ١١ – ١٢.
ونلاحظ من النص استحداث مهام جديدة للشيوخ في مجال الجيش والزراعة والصناعة.

(٢) HB. Dic., Op. Cit., p. 254.
«لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ»، انظر: متى ١٥ : ٢. «وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ». انظر مرقس ١٤ : ٤٣.

بأمور هي : "علمهم الفرائض والشرائع وعرفهم الطريق الذي يسلكونه والعمل الذي يعملونه وأنت تنظر من جميع الشعب ذوي قدرة خائفين الله أمناء مبغضين الرشوة"(١).

إذن يجب أولاً تعليم الشيوخ أمور القضاء وأحكامه الشرعية وقواعده التي يسيرون عليها. وطبيعة العمل الذي يجب تأديته.

ويجب أن يكون أولئك الشيوخ من ذوي القدرة على العمل، ويجب توفر سلامة العقيدة ورأسها مخافة الله. كما يجب أن تتوافر الأمانة التي تقتضي الامتناع عن أخذ الرشوة، وتجنب الإنحياز حتى يتم إحقاق الحقوق والحكم بالعدل بين الناس.

ويكون شيوخ الشعب رؤساء ألوف، ورؤساء مئات، ورؤساء خماسين، ورؤساء عشرات(٢).

ويرد في التوراة تحديد عدد شيوخ بني إسرائيل دائمًا بأنهم سبعون شيخاً (٧٠ شيخاً) هكذا «سبعون من شيوخ بني إسرائيل»(٣). وربما أن هذا العدد مقتبس مما كان يقابله في مجتمع مدين أيضًا بما معناه أن شيوخ مدين كانوا سبعين أيضًا أو ربما من مضاعفات هذا العدد بحسب الحاجة. ولكن لم نعثر على أي تحديد لشيوخ مدين.

وكان لأولئك الشيوخ مهام دينية أيضًا. حيث صعدوا وراء النبي موسى (عليه السلام)

---

(١) خروج ، ١٨ : ٢٠ – ٢١.

(٢) خروج، ١٨ : ٢١.

(٣) خروج، ٢٤ : ١.

والأرجح إذا كان عدد شيوخ بني إسرائيل سبعين وكل شيخ كبير يرأس ألفًا فإن عدد أنفسهم قد يكون سبعين ألف نسمة يوم الخروج وليس كما زعموا ستمائة ألف نسمة. وهذا ما نقده ابن خلدون في مقدمته ، ص ١٠ كان جميع المعدودين ست مئة ألف وثلاثة آلاف وخمس مئة وخمسين (٦٠٣٥٥٠)، انظر: عدد، ١ : ٤٦.

مع هارون – أخيه – ومعهم ناداب وأبيهو ونظروا إلى إله إسرائيل من بعيد(١). ووقف السبعون شيخًا مع النبي موسى (عليه السلام) في خيمة الاجتماع وفيما حولها(٢).

ويجب أن يكون الشيوخ من ذوي السن والخبرة، ولهم أفضلية بين الشعب. فهم مختارون من شيوخ الشعب وعرفائه. يتقلدون وظائف مهمة في المجتمع. ويمثلونه في بعض المناسبات الرسمية. ونلخص فيما يلي بعض مهامهم :

١ – يتحمل الشيوخ مسؤولية الشعب مع النبي موسى (عليه السلام).
٢ – يتنبأوون للناس.
٣ – يقضون في المواريث وأمور النساء(٣).
٤ – يطلبون تعيين الحكام والملوك.
٥ – كانت أولى مهام الشيوخ قضائية أي يتولون فض المنازعات بين الناس. ويكونون شهودًا على الصفقات وإتمام العقود التجارية والشخصية.

وأخيرًا كانت وظائفهم وراثية أي أن الابن يرث منصب المشيخة والقضاء عن أبيه(٤). ولا ندري إن كانت وراثية منذ مبدأ أمرها، ولدى أهل مدين، أم تم إقرار مبدأ الوراثة في عهد لاحق.

وهكذا يتسنى لنا أن نفترض أن مهام شيوخ مدين هي المهام نفسها التي ذكرناها؛ لأن بني إسرائيل اقتبسوا ثقافات الأمم الأخرى المعاصرة لهم. فهذا النظام الإداري وغيره من التراث الحضاري والثقافي اقتبسوه من أهل مدين ونقلوه مباشرة، ومن غيرهم من الشعوب الأخرى مثل : الكنعانيين والمصريين.

---

(١) خروج، ٢٤ : ١ – ٩.
(٢) عدد، ١١ : ١٦ – ٣٠.
(٣) قضاة، ٢١ : ١٦ – ٢٤.
(٤) صموئيل الأول، ٨ : ١ – ٩.

أما شيوخ مدين فكان لهم دور كبير داخل مجتمعهم؛ بل وخارج حدود مدين أيضًا. ومن ذلك استشارة بالاق بن صفور ملك موآب لأولئك الشيوخ المديانيين ومعهم شيوخ من موآب. وهو دليل على علو مكانتهم السياسية على وجه الخصوص. واستثارة فكرهم مما دفع هذا الملك إلى الاستعانة بآرائهم في الخطر الذي يشكله بنو إسرائيل بهجومهم على المنطقة؛ بل كلفهم الملك بالذهاب إلى بلعام بن بعور « فأرسل رسلاً إلى بلعام بن بعور إلى فتور التي على النهر في أرض بني شعبه ليدعوه قائلاً. هوذا شعب قد خرج من مصر هوذا قد غشي وجه الأرض وهو مقيم مقابلي. فالآن تعال والعن لي هذا الشعب »[١].

وبلعام بن بعور : رجل صالح ذكر باسم بلعم بن باعوراء بن مستور (ستوم) بن وسيم (فواسيم) بن ناب (حاب) بن لوط بن هاران بن تارح بن ناحور. وكان مستجاب الدعوة. أن الله آتاه الآيات فانسلخ عنها[٢]. وطلبوا منه أن يدعو على يشوع بن نون ويلعن بني إسرائيل. ولكنه عجز عن ذلك. وأشار على بعض ملوك العماليق بإخراج النساء الحسان إلى عسكر قائد النبي موسى (عليه السلام) أي يشوع بن نون، وعملوا برأيه ففتن رجال الجيش بالنساء وأصابهم الطاعون، الذي فتك بأربعة وعشرين ألفًا[٣] منهم. ثم قتل بنو إسرائيل بلعام بالسيف[٤].

والذي يهمنا أن بلعامًا بن بعور من أحفاد لوط وهم أقرباء وأصهار مدين ابن إبراهيم (عليه السلام) وإخوته[٥].

---

(١) عدد، ٢٢ : ٥ – ٦.
(٢) قال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ.. ﴾ سورة الأعراف، الآية : ١٧٥. السيوطي، **تفسير الجلالين**، ص ص ٢٢٠ – ٢٢١.
(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، ج١، ص ٦٤؛ ابن حبيب. **المحبر**، ص ص ٣٨٩، السيوطي، **تفسير الجلالين**، ص ص ٢٢٠ – ٢٢١، الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، ج٢، ٦٥.
(٤) عدد، ٣١ : ٨.
(٥) ونتمكن هنا من الرد على فرضية مندن هول عندما حاول أن يثبت أن أهل مدين من أصل أناضولي فقال إن في مجتمع مدين عناصر من الأناضول وحتى أسماء أعلامهم أناضولية. ==

ونســتنتج أن هنالك علاقات وثيقة بين مدين وموآب؛ بل ربما أنه كان ذلك تحالفًا سياسيًا ربط الشعبين وأدى إلى قيام علاقات سياسية مباشرة بينهما.

المنتصر بن المنذر المديني (المدياني) :

شخصــية مديانيــة ورد ذكرها. وأن المنتصر كان شاعرًا، فقد رويت عنه أبيات شعرية قال فيها :

ألا يا شعيب قد نطقت بمقالة
أبدت بها عمــرًا وتحيى بني عمرو
هم ملكوا أرض الحجاز بأوجه
كمثل شعاع الشمس في صورة البدر
وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا
قطــورًا وفــازوا بالمكــارم والفخر
ملوك بني حطي وسعفص ذي الندى
وهــوز أربــاب الثنيــة والحجر(١)

وربمــا أن هذا الشاعر من أحفاد مدين وبقاياهم ممن أحبوا أن يتغنوا بمجد الآبــاء والأجداد. ومن الأبيات الشعرية السابقة نلاحظ أنه شعر متأخر جدًا من عصــر بعيــد عن عصر مدين، لأن هذا الشعر كان من مستوى الشعر العربي الجاهلي الذي شاع في فترة ما قبل الإسلام.

= ويقــول إن مدين بن إبراهيم وإخوته الذين هم بنو قطورة، ومعهم أقرباؤهم كانوا منتشرين في كل المــنطقة مــن شمال غرب بلاد العرب إلى نهر الفرات. ووجود عناصر سكانية أناضولية، أو اســتعمال أســماء أعلام أناضولية ليس دليلاً قويًا؛ بل هو ظاهرة الاختلاط والامتزاج بين سكان المــنطقة فقط لا غير. انظر البحث، ص ٣٤. Mendenhall, Qurayya and The Midianites, Vol. 2, pp. 137-139.

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٧.

ب – معالم الحياة الدينية في مدين :

١ – الأفكار الدينية.

٢ – المعبودات.

٣ – أماكن العبادة.

٤ – الطقوس.

٥ – دعوة النبي شعيب (عليه السلام).

٦ – مركز الدعوة وانتشارها.

ب – معالم الحياة الدينية في مدين :

١ – الأفكار الدينية :

ذكر المؤرخ هنري برستد في صدد تعريف الفكر الديني ما يلي : «والواقع لا توجد قوة في حياة الإنسان القديم مثل قوة الدين، لأن تأثيرها يبدو واضحًا في كل نواحي نشاطه، ولم يكن أثر هذه القوة في أقدم مراحلها الأولى إلا محاولة بسيطة ساذجة يتعرف الإنسان بها على ما حوله في العالم ويخضعه بما فيه الآلهة تحت سيطرة فكره»(١).

وأبرز الصفات الأساسية في الشخصية الدينية للشعوب السامية عدم الاعتراف بعالم يخلو من الألوهية، مع عدم الاعتراف بأية صفة للإنسان في علاقته بربه سوى صفة العبودية للإله أي (العبد المطيع)، بل إن صفة العبودية من الصفات الرئيسة في الشخصية الدينية(٢). وهنالك أمثلة وفيرة عبر أزمنة وأمكنة متعددة لأسماء الأعلام تؤكد صيغها المختلفة تبعية العبد للإله المعبود (المفضل) مثل عبد شمس، عبد اللات، عبد ود، عبد يغوث، عبد مناة، عبد ياليل(٣)، عبد تشباك.

ولقوة العقيدة الدينية وتأثيرها في حياة البشر عامة والساميين خاصة، فقد ارتبطت مسارات الفكر عامة بالدين أيضًا، وبتفاعل قوى خارجية وتأثيراتها على البشر مع المؤثرات الإنسانية الداخلية تطورت المعتقدات الدينية. وانتقلت عبر مراحل متعددة دارت في مناحي التفسيرات والتحليلات البشرية مما جعلها قاصرة.

---

(١) برستد : المرجع السابق، ص ٣٦.

(٢) أحمد، محمد خليفة حسن، "**دراسات في تاريخ حضارة الشعوب السامية القديمة**".ـ القاهرة، ١٩٨٥م ص ٢١٧.

(٣) ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، "**الأصنام**"؛ تح. أحمد زكي باشا.ـ القاهرة، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، ص ١١١، ويلاحظ أن كل أسماء الأعلام المشار إليها من واقع البيئة العربية التي كانت سائدة في بلاد العرب.

هكــذا كــان الفكر الديني في حضارات بلاد الشرق الأدنى القديم. تعددت الآلهة والمعتقدات وكان قائمًا على الشرك واتخاذ الأرباب وإن اختلفت الطقوس والشعائر من مكان إلى آخر[١].

٢ – **المعبودات :**

كان الإله إيل EL أكبر الآلهة في مجمع الآلهة البانثيون الكنعاني. وكانت له السـلطة الكاملة أو التامة في الأمور الإلهية والبشرية. وله ألقاب وصفات مثل: أبــو البشر، وأبو آدم. وسمي حينًا بالثور تعبيرًا عن قوته. وقد ظهرت صورته عـلى مسلة في رأس شمرا بقرون ثور منتصبة. وصور بشكل آخر في وضع الجـلوس بدلاً من الوقوف كمحارب نشط شأن الإله بعل. وكان إيل هو الإدراك الكنعاني لعظمة وقدرة الإله أمام أو ضد أي قوة شريرة[٢]. ويدخل اسم إيل في أسماء الأعلام المركبة.

ونــرى في الجانب الآخر الإله بعل أعظم الآلهة حيوية ونشاطًا في مجمع الآلهــة الكنعاني أيضًا. ويجسد بعل التصور لقوة الإله المشغول دائمًا، وبحيوية في مصارعة قوى الفوضى وهو منتصر دائمًا.

ومــن ألقابــه القوة أو القدرة وعليين وأقوى الأقوياء أي بطل الأبطال[٣]. ومن ألقاب بعل راكب الغيوم أو راكب السحب وهو سيد الأرض[٤]. ومن ألقابه

---

(١) مورتكات، أنطون، "**تاريخ الشرق الأدنى القديم**"؛ تعر. توفيق سليمان، د.ن، د.ت، ص ٣٥٤؛ أحمـد، المرجع السابق، ص ١٧٥، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا .. ﴾ [٢٢] سورة الأنبياء. أي لــو كــان فــي السـماء والأرض آلهة أخرى لفسدت الأمور لما يحدث من الإختلاف، انظر : السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٤٢٢.

(٢) Gray, J., "**The Canaanites**", Thames & Hudson, London, 1964, p. 121.

(٣) Albright, W.F., "The Biblical Period", New York, 1963, pp. 13, 18., Gray, Op. Cit., p. 121.
مــن الأسماء المركبة إسماعيل، جبريل، إسرائيل، ميكائيل، عزرائيل، انظر سعد الدين، المرجع السـابق، ص ص ١٥٠ – ١٥١، تكوين ١٦ : ١١، ١٥. كان للأمير ذئب معصرة قتله جدعون فيها، فهل كانت معصرة نبيذ وهل كان الأمير ذئب من عباد إيل.

(٤) Caskel, W., "Die Alten Semitishen Gottheiten I Arabia Le Antiche Divinita Semitiche", Universita Di Roma, Centrodi Studi Semitiche, 1958, p. 120.

أيضًا «الأمير زبل» وأتت منها «بعل زبول» إله عكرون كما ورد في التوراة. واســمه حـــدد أو هـــدد المشتق من اصطدام الرعد وأمطار الشتاء. وتمثل هذه الظاهرة تجلي بعل في قوته. أما دوره الرئيس فيظهر في نمو النباتات المروية بميــاه المطـــر. ويشـــبهه في ذلك الإله تموز في بلاد الرافدين. وأوزيريس في مصـــر. والإله أدونيس في سوريا فيما بعد. ويصور بعل كمحارب شاب مقدام؛ مــرتديًا مِـئزرًا قصـــيرًا وخـــوذة يبرز منها قرنا ثور، وربما ترمز إلى قوته وخصـــوبته. وهـــو مسلح بفأس حربية وسهم لامع. ومن المحتمل أن اسم بعل يشـــير أساسًـــا إلى أهلية الإله أو ربما إلى ميدان نشاطه. وفيما بعد أصبح لقب «الســيد» ولقب الأعلى مطلقًا على بعل. وهو «سيد» عبادة الخصب في كنعان بـــلا مـــنازع. وبقـــي أثـــر ذلك التبجيل والتعظيم المحلي واضحًا في اسم بعل «صفون» وتعني كلمة صفون في اللغة العبرية الشمال צפן ‎.Zephon ويقصد به جبل كاسيوس (الأقرع) لدى الجغرافيين اليونان. وجبل الأقرع حديثًا، والـــذي يشرف على الحد الشمالي لمدينة أوجاريت (رأس شمرا). وكان «جبل صـــفون» قـــاعدة بعـــل الخاصـــة والمجمع الإلهي الكنعاني الأوليمب الكنعاني وعمومًا فقد كانت عبادة بعل منتشرة في كل أنحاء بلاد كنعان(١).

وعرف بعل في نصوص الأساطير بأنه ابن «داجان» أو «داجون» وابن إيل.

---

(١) Gray, Op. Cit., p. 122; Dahood, M.J. "**Ancient Semitic Deities In Syria and Palestine**", Le Antiche Divinita Semtiche, Universita Di Roma, 1958, pp. 68, 77.

وينتشـــر لبس هذا المئزر خاصة لدى سكان جنوب بلاد العرب؛ ومستمر إلى العصر الحديث. ومن ألقاب بعل وخاصة راكب السحب نستشف دور بعل في تأمين الماء مصدر الحياة وما ينتج عـــن ذلك، وبالنظر إلى أسمائه الأخرى نرى مصطلحات تتجاوز حدود الزمان والمكان. وينبع مـــن عـــبادة الخصب مثل زراعة بعليه، وبعل المرأة زوجها، وهنالك حيوانات ونباتات مدجنة وداجنة مشتقة من دجن.

ونـــرى فكـــرة اســـتقرار الآلهـــة فوق قمم الجبال (المرتفعات) أو المعليات مصدرها الميثولوجيا السومرية ثم انتقلت إلى كنعان ثم طورها الأغريق وتمثلت في جبل الأوليمب. انظر : بارو، أندرو، "**سومر فنونها وحضارتها**"؛ تر. عيسى سلمان وسليم التكريتي.ـــ بغداد، ١٩٧٩م، ص ١٤٨؛ Gray, Op. Cit., p. 122 .

وكـــان لدجـــان معبد في رأس شمرا أي معبد ملحق بمعبد بعل، وهو معروف ومشـــهور. وشـــائع فـــي الأســـماء المركبة من اسم الإله، ومن قوائم التقدمات (القرابين). وقد ورد اسمه في نقشين نذريين. وكان داجان إلها للنبات وكان إلها خاصـًـــا للذرة. وفسر لنا ارتباطه هذا بنبات الذرة؛ اسم «داجان تاكلا» أو داجان عـــلى بعـــد بضع عشرات الأميال شرق مدينة يافا. وظهرت عبادته في مدينة أشدود في الفترة الفلسطينية[١]. لأن عبادة دجن كنعانية اقتبسها الفلسطينيون بعد اســـتقرارهم. وتؤكد قصة بعل بعور الواردة في سفر الخروج انتشار عبادة بعل بين أهل مدين وموآب وإدوم[٢]. ويماثله رشف الذي كان لخوذته قرنا غزال[٣].

وذكـــرت قوائم التقدمات من بين آلهة الخصب إلهتين عنات وأشيرا ولهما أهميـــة خاصـــة في أسطورة عبادة الخصب. وعبادة أشيرا مذكورة في التوراة مـــرارًا[٤]. وربمـــا أنهـــا معـــروفة باكرًا منذ الألف الثالثة ق.م. كسيدة الجبيل (ببيـــلوس). وقد صورت في النحت المصري منذ عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاســـعة عشرة معتلية أسدا وسميت باسم قدشو، وربما معناه : البغي المقدسة. وعادة فالأسد مرتبط بعشتار أو عنات.

أما فعاليات الخصب «التناسل» للإلهات الثلاث فمتشابهة. ودعيت عنات في الهيروغـــليفية المصرية في مسلة بيت شان باسم «عنتيت» «ملكة السماء وسيدة

---

(١) صموئيل الأول، ٥ : ١ – ٢، كما جاء في النص فأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأتوا به من حجر المعونة إلى أشدود وأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأدخلوه إلى بيت داجون، وأقاموه بقرب داجون.
Gray, Op. Cit., pp. 122-123; Dahood, Op. Cit., pp. 77-78.

(٢) عـــدد، ٢٢ : ٢ – ٨، وجـــاء «وفي الصباح أخذ بالاق بلعام وأصعده إلى مرتفعات بعل فرأى من هـــنالك أقصـــى الشعب». انظر: عدد، ٢٢: ٤١. Noth, M. **"History of Israel"**, London, 1958, p.161. Greatz, H., **"History of The Jews"**., Philadelphia, 1967, Vol. 1, p. 28.

(٣) ويلاحـــظ أن الغـــزال وقـــرونه من المواضيع الشائعة في فن التصوير والنحت وهي مفضلة لدى مجـــتمعات عرب جنوب بلاد العرب وبخاصة في سبأ، وكذلك الثور وغيرهما من الحيوانات، انظر العلامـــات، محمـــود جـــلال ، السبئيون وسد مأرب.ـــ ط١، جدة، ١٤٠٤هـــ، ١٩٨٤م، ص ٧٠.
Dahood, Op. Cit., p. 70.

(٤) الملوك الأول، ١٥ : ١٣؛ ١٨ : ١٩؛ الملوك الثاني ٢١ : ٧.

كل الآلهة». وهي رفيقة بعل، وعادة كانت كلتا الإلهتين (عنات وأشيرا) تمثلان عاريــتين، وبأعضاء الخصوبة متضخمة. وقد صورتا في لوحات طينية عديدة فــي بــلاد كــنعان. وتشبه عنات حتحور المصرية (الإلهة البقرة) في تسريحة شعرها[1].

وانتشــرت عــبادة تــلكما الإلهتين في مصر السفلى. وكانت عنات معبودة لرمسيس الثاني كإلهة محاربة، ولها الدور نفسه في نصوص مدينة رأس شمرا مــن الألــف الثانية ق.م. و«عشتارت» معروفة جيدًا من نصوص التوراة ومن الــنقوش الفيــنيقية في الألف الأولى ق.م. ولكنها نادرًا ما ذكرت في نصوص رأس شمرا. مما يعكس مركزها المحلي بلاشك. وقد صورت مع بعل ومع ذلك سميت في الهيروغليفية المصرية باسم عشتارت وذلك على ختم من مدينة «بيت إيــل» وهــو مؤرخ بحوالي ١٣٠٠ ق.م، ولا شك أن العديد من الدمى الطينية للإلهــة العارية الموجودة في فلسطين وسوريا تمثل وتصور عشتارت أيضًا[2]. ونجمة الزهرة هي عشتار في بلاد الرافدين ثم عرفت باسم نجمة فينوس Venus عــبدت فــي بــلاد الــرافدين باسمها عشتار. وهي تشكل مظهرًا لقوة بعل في أسطورة الخصب. وربما أن الإله بعل قد عبد باسم ملك حيث ظهر في الأسماء المركــبة أبــي مالك «أبيمالك» وملكيلو في ألواح العمارنة. ومن المحتمل أنه يماثل آلهة السَحَر أي آلهة الفجر (سَحَرَ وشَحَر). وإله تمام النهار أي آخر النهار «شاليم» وقد ظهر في أحد نصوص مدينة رأس شمرا، وفي قوائم التقدمات من رأس شــمرا أيضًــا. وظهر في اسم مركب من أسماء الإله سَحَر في نصوص اللعن المكتشفة في منطقة سقارة بمصر.

---

(١) وحــتحور هــي : هاتور Hathor الإلهة المصرية ومن ألقابها حتحور سيدة الفيروز، نظرًا لانتشار عبادتها في منطقة مناجم النحاس والفيروز في شبه جزيرة سيناء فهي الربة الحامية للمنطقة، انظر :
Rothenberg, B., "**Timna**", T&H, 1972, p. 166, Giveon, R., "Lady of The Turquoise Hathor At Serabit El-Khadim and Timna", **Eretz-Israel, Jerusalem**, 1975, vol. 12, p. 118.

(٢) Gray, Op. Cit., p. 123; HB. Dic., Op. Cit., p. 433.

أمـــا عـــبادة القمـــر «يارح» وقرينته «نيكال» ننجال في بلاد الرافدين، وإلهة الشـــمس شـــمس فقـــد وردت فـــي نصوص مدينة رأس شمرا، في كلا النصوص الأسطورية وقوائم التقدمات. بالإضافة إلى التمثال البازلتي للإله الجالس، والمرافق لتمـــثال الأيدي المرفوعة باتجاه الهلال، وقرص الشمس في معبد من أواخر عصر البرونز في مدينة حاصور (تل القداح)، وربما أنه يصور إله القمر[(١)].

ونـــرى بالمقـــابل أن موقع بلاد الشام في مركز متوسط بين بلاد الرافدين شرقًا، وبلاد النيل غربًا، بالإضافة إلى آسيا الصغرى من الشمال، وشبه جزيرة العرب من الجنوب. وقد أثر موقع بلاد الشام هذا في الأفكار، والمعتقدات وكان لأهـــلها دور مزدوج في النقل والتلقي. فنشأ الفكر الديني متأثرًا بتأثيرات بيئية داخـــلية وأخـــرى خارجية؛ ولذا نشأ الدين من مزيج أصله كنعاني مع تأثيرات حثية ورافدية ومصرية؛ لأن بلاد الشام كانت ملتقى دينيًا، وسياسيًا أيضًا[(٢)].

وعـــندما نهضـــت مصر من كبوتها بعد طرد الهكسوس، قامت بالفتوحات والتوســـع في غرب آسيا حتى نهر الفرات بين القرنين الخامس عشر، والرابع عشر ق.م.، حدث في تلك الفترة تمازج في الأفكار والمعتقدات بين بلاد الشرق الأدنى القديم، وتم ذلك أي سير الحملات وانتقال التأثيرات عبر ذات المنطقة أي شبه جزيرة سيناء وشمال بلاد العرب أيضًا[(٣)].

ونجد أن مصادرنا عن العقائد الدينية في بلاد العرب محدودة جدًا، فالوثائق الكـــتابية المـــتوافرة إلى الآن قليـــلة. وتقدم أسماء الآلهة فقط بدون توضيحات أخـــرى. وكـــانت أغلب تلك الآلهة التي ذكرتها النقوش من شمال شبه جزيرة العرب ومن جنوبها. أما الشواهد الأثرية فهي أقل وفرة من سابقتها[(٤)].

---

(١) Gray, Op. Cit., pp. 124-125; Dahood, Op. Cit., p. 70.

(٢) Albright, The Biblical Period, p. 18.

(٣) برستد : فجر الضمير، ص ٤١.

(٤) O'leary, D.D., "**Arabia Befor Muhammad**", New York, 1927, p. 192.

ويتميز ما عرفناه عن عرب العصور القديمة بأنهم حافظوا على الخصائص السامية القديمة، في الحياتين الدينية، والاجتماعية أكثر من أي شعب آخر، وبالإضافة إلى وضوح تأثيرات الحياة المادية للصحراء، فقد تلقوا بعض التأثيرات من المجتمعات المجاورة، والمحيطة بهم. فمثلاً نعرف أن من أقدم الخصائص الدينية البدوية؛ اعتقادهم وإيمانهم بآلهة تسكن الأشجار والنباتات، والصخور وينابيع المياه، والنجوم والكواكب، وعرفوا عقيدة الطوطمية أي عبادة الخصب وتجسيدها في أبكر رموزها وهي الإلهة الأم على الأغلب.

كما ارتبطوا بأواصر القربى وصلات الدم مع الإله المعبود مثل : «أب» «وعم». وللآلهة مقام رفيع عمومًا. وكانت بمنزلة الزعيم أو القاضي؛ ولكن ترتبط مكانة الإله بمكانة القبيلة التي تعبده، فيعلو شأنه معها أو العكس. فقد يصبح إلهًا معظمًا لدى عدة قبائل وقد يكون إلهًا محليًا فقط. وليس للإله القبلي هيكل ثابت إذا كان عباده بدوًا رحلاً؛ بل جعلوا عبادته في أماكن مختلفة حسب حلهم وترحالهم[1]. وأنشأوا له معبدًا متنقلاً هو معبد الخيمة. أما إذا كانت القبيلة مستقرة وأصبحت من أهل المدن فيختلف الوضع.

وأغلب آلهة بلاد العرب من فترة تاريخية تعود إلى فترات تاريخية موغلة في القدم لربما كان نواتها الثالوث الكوكبي المؤلف من سين وولديه شمش وعشتار وهي تعكس تصور جماعات بدوية أكثر منها زراعية أما الآلهة التي عرفت في عصر مدين مثل إيل وبعل فإنها تعكس تصورات مجتمعات زراعية كان مركزها في بلاد كنعان، ولكن بعض الآلهة معروفة منذ عصور سابقة مثل آلهة قوم النبي نوح (عليه السلام)؛ أول الأنبياء والمرسلين وهي: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق ونسرا. وتوجد مراكز عبادتها حول أرض مدين[2].

---

(١) موسكاتي، سباتينو / الحضارات السامية القديمة؛ تر. السيد يعقوب بكر ـ بيروت، ١٩٨٦م، ص ٥٧.

(٢) ابن الكلبي : الأصنام، ص ٥١ـ ٥٢، ٥٧، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الآلهة قال تعالى : ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ ءالِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً...﴾ ==

وكـــان موقع مدين متوسطاً بين مراكز حضارات الشرق الأدنى القديم في بلاد الــرافدين، وبلاد الشام ومصر فتهيأ لأهل مدين صلات مباشرة ببلاد الشام ومصر، فتأثرت بكل ذلك؛ ولكون مدين قبيلة عربية ذات ثنائية اجتماعية – حضرية وبدوية – يحتمل أن الديانة والمعتقدات لدى أهل مدين كانت مؤطرة بالأفكار الدينية السابق ذكـــرها. والأرجـــح أن ديانـــة أهل مدين انبثقت من مزيج أصله سامي عربي مع تأثيـــرات رافدية وسورية ومصرية، والأرجح أنهم مروا بأطوار الفكر الديني التي ســـادت فـــي بلاد العرب، مع تلقي التأثيرات الخارجية، وبناء على ذلك. فنتوقع أن ديانـــة مدين كانت تشمل معتقدات وثنية؛ أي عبادة أصنام، وعبادة النجوم والكواكب «الصـــابئة»، وعـــبادة الخصب. وذكر القرآن الكريم وجود أصنام تعبد في منطقة قريـــبة من مدين وربما تكون منطقة مديانية قال تعالى : ﴿ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْـبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَـةٌ ... ﴾(١٣٨)[1]. وذكـــر القـــرآن عبادة البعل قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ (١٢٥) ﴾[2]. وكان بعل معبود قوم إلياس (عليه السلام)، وهو صنم مصنوع من ذهب[3].

== ســـورة نوح الآيتان : ٢٣–٢٤. ابن منظور، المرجع السابق، مادة ود ، ج٣، ص ٨٩٧، سواع ، ج٢ ، ص ٢٤ ، ابـــن مـــنظور، المرجع السابق، مادة يغوث، ج٢، ص ١٠٢٦، يعوق، ج٢، ص ٩٣١، نسر، ج٣، ص ٦٢٥؛ ابن الكلبي : الأصنام ص ص ٥٥، ٥٧؛ جواد علي، **المفصل**، ج٦، ص ٢٦٤.
كـــان النبي نوح (عليه السلام) أول الأنبياء والمرسلين، وكان آخرهم وأفضلهم النبي محمد صلى الله عليه وســـلم لأن الرسل متفاضلون، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ... ﴾ سورة البقرة ، الآية: ٢٥٣. وبعث فيما بين نوح ومحمد عدد من الأنبياء والمرسلين منهم إبراهيم (عليه السلام) أبو إسماعيل وإسحاق ومدين أي أن أهل مدين كانوا على علم بديانة التوحيد وكذلك بعبادة الأوثان والآلهة الأخرى بناء على موقع بلادهم وصلاتهم بأهل المنطقة وأن جدهم إبراهيم وكذلك كان جدهم لأمهم النبي لوط بن هاران – ابن أخي إبراهيم وأبو زوجة مدين بن إبراهيم. وقد أرسل لوط (عليه السلام) إلى أصحاب المؤتفكة، قال تعالى : ﴿ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴾(٩)، سورة الحاقـــة، تفســـير الجلالين. ص ٧٦٢ : المقدسي، أحمد بن سهل وهو المطهر، "البدء والتاريخ".ـــ القاهرة : السيوطي، د.ت. ج٣، ص ص ٥٦ – ٥٧.

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٣٨.
(٢) سورة الصافات، الآيات : ١٢٣ – ١٢٥.
(٣) ابن الكلبي : الأصنام، ص ١٠٨.

وكان حول مدين وربما في أرضها مراكز لعبادة الأوثان في بلاد العرب نفسها نذكر منها : مدينة تيماء وكانت مركزًا لعبادة الإله صلم. ومن الأصنام المعروفة في بلاد العرب أيضًا اللات، والعزى، ومناة. وهي مذكورة في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١). ويظن أن اللات أي الإلهة كانت ترمز للشمس وعبادتها. وتمثل العزى الزهرة «فينوس» وهي إلهة الحب والجمال(٢). أما مناة، فإلهة الموت أو المنية. وقيل إنها صخرة «ربما مذبح» سميت مناة لأن النساك يمنون عندها دماء الذبائح أي يهرقونها(٣). إضافة إلىعبادة النجوم الأخرى في بلاد العرب مثل نجم الشعرى، والمشترى وزحل وغير ذلك(٤)، وكان القمر والشمس من أكبر المعبودات في شبه جزيرة العرب، بل في منطقة الشرق الأدنى عامة.

وكما تقدم فقد كانت اللات «إلهة الشمس»(٥)، معبودة شمالية وجنوبية في بلاد العرب، موطنها شمال غرب شبه الجزيرة العربية. وكان ذو الشرى يعبد في المنطقة نفسها ويسمى دوشرا(٦). واستمرت عبادته إلى القرون الميلادية في عهد الأنباط.

(وعقيدته الخصب والخضرة). وأصبح دوشري واللات من معبودات الأنباط، واللحيانيين. وعرف ذو الشرى في بلاد العرب باسم ذي الخلصة منذ حوالي القرن الخامس ق.م. وإلى ظهور الإسلام في مطلع القرن السابع

---

(١) سورة النجم، الآيتان : ١٩ – ٢٠.

(٢) Oleary, Op. Cit., p. 194.

(٣) ابن الكلبي، **الأصنام**، ص ١٣؛ جواد علي، **المفصل**، ج٦، ص ٢٤٧.

(٤) جواد علي، **المفصل**، ج٦، ص ٨١.

(٥) جواد علي، **المفصل**، ج٦، ص ٥٥.

(٦) Luvine, B., Laraie Pre-Islamique Historique et Culturel, JOAS, New York, 1991, vol. 3, July-Sept., p. 599.

الميـــلادي[١]. ولكـــن أصبح ذو الخلصة يرمز إلى إلهة أنثى فيصور على هيئة صنم أنثوي[٢]. ويظن أنه ربما يرمز إلى زوجة أو ابنة ذي الشرى.

ونســـتنتج ارتـــباط الآلهة بالأرض أو بالمكان، رغم اختلاف السكان حينًا، والعكس أحيانًا أخرى عندما ينقل الناس آلهتهم معهم عند الانتقال أو الترحال.

وكانت عبادة الشمس موجودة في مصر أيضًا منذ أبكر العصور التاريخية. وإن اختلفت الأسماء وتعددت الأشكال والرموز. وتعرفنا على المعبودة الشمس فـــي مـــتون الأهـــرام بصيغة مذكرة وباسم «رع» وظهر بشكل آخر، بصورة إنســـان، وباســـم آتـــوم في هليوبوليس مركز عبادة الشمس. ثم عبد في صورة قـــرص الشـــمس باسم آتون الذي نادى بعبادته الفرعون أمنحوتب الرابع وغير اســـمه إلى «إخناتون» (١٣٧٠ – ١٣٥٣ ق.م.)[٣]. وظـهرت عبادة الشمس في الصـــعيد بصـــورة صقر باسم «حور» أو «حورس». وكان رمزه «القرص» المجنح. وهو دمج لقرص الشمس مع جناحي الصقر وأصبح حورس أكبر رمز فـــي العبادة المصرية؛ وربما أساسًا للصيغ البلاغية في اللغة مثل عبارات جناح الصباح، وشمس العدالة. فهو اشتقاق من تلك الأفكار. وقد ظهر القرص المجنح فـــي مواضيع الأدب الكنعاني والمصري معًا في فترة عصر البرونز الأخيرة. وحاول ج. مندن هول ربط هذا الرمز المركب من رمز كوكبي وطائر بظاهرة تجـــلي الإلـــه Theophany. ولكـــنه مع ذلك يقول إنه لم يجد الكلمة لا في اللغة

---

(١) الفاســـي، هتون أجواد، "**الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن ٦ ق.م. والقـــرن ٢م**".ـــ الـــرياض، ١٤١٤هـــ / ١٩٩٣م، ص ص ٢٢٧ – ٢٢٩؛ Caskel, Op. Cit., p. 109 ولكن عرف لدى أهل لحيان باسم ذغبت، ذو غابة، انظر : الفاسي، المرجع نفسه، ص ٢٣٢. وهـــو ذو الشرى أو دوسرا (دوشرا) وهنالك الصنم سعير لقبيلة عنزة، وقيل سعير جبل من سلسلة جبال السراة (الشراة) يقع في شمال الحجاز (شمال غرب بلاد العرب)، انظر : ابن الكلبي، **الأصنام**، ص ص ٤١ – ٤٢ هامش ١، ١٠١، ١١٠، الحموي، المرجع السابق، ج٣، ص ٢٢٢.

(٢) ابن الكلبي : **الأصنام**، ص ص ٣٤، ٣٥.

(٣) Albright, The Biblical Period, p. 15.

الكنعانية ولا الآرامية، ولا في المصادر التوراتية. وإنما بقيت محفوظة في اللغة العــربية فقط[١]. وانتقل هذا الرمز (القرص المجنح) عبر بلاد الشام من مصر إلى مديــنة تيماء لنجده مصورًا على حجر تيماء المكعب، وهو من آثار قصر الحمــراء فيهــا. ويصــور الحجر رموزًا دينية أهمها القرص المجنح، وهلال، ونجمة، ورأس ثور. وكلها ملامح لتأثيرات رافدية ومصرية ومحلية؛ لأن رأس الــثور نمــط شــائع في الفن الديني في جنوب بلاد العرب، ويرمز لإله القمر بأســمائه المختــلفة مــثل ود، وسين، والمقه، وكذلك الهلال رمز آخر من أهم الرموز المديانية. أما صورة الرجل الذي صور على الحجر أيضًا فكان يرتدي ثوبًا مسبلاً ويجمع شعر رأسه إلى الخلف فإن ما يميزه أنه يضع قرطا في أذنيه ويقدم قربانا. وتوجد في الصورة مبخرة (محرقة بخور)[٢]. وهذا الحجر شاهد أثري يبين التأثيرات العقائدية المتبادلة. وكانت عبادة الشمس منتشرة في جنوب بلاد العرب إلى مطلع الألف الأولى ق.م. في عهد الملك النبي سليمان (عليه السلام)[٣]، ولا نعــرف عــن هذه العبادة في الجنوب غير أسماء معبودة الشمس فهي تعرف باسم «ذات حميم» و«حميام» و«ذات بعدان»[٤].

وكانت عبادة القمر أوسع انتشارًا في بلاد العرب لأنه رفيق البدو الرحل في تحــركاتهم، وحامي القوافل وحاديها. وعرف بأسماء متعددة أقدمها "سين" عند قتبان، و«أب» و«عم» و«كهل»، والمقه، و«ود» و«يارح» أو «ورخ»، فالقمر بضــوئه الجميل في الليالي المقمرة، وكون الليل أخف حرارة من شمس النهار اللاهبة[٥].

---

(١) Mendenhall, The Tenth Generation, pp. 60-63.

(٢) يفترض أن قصر الحمراء من آثار الملك البابلي نابونيد الذي استقر في تيماء لمدة عشر سنوات (٥٥٦ – ٥٤٦ ق . م.)، أبو درك، المرجع السابق، ص ص ٥٤ – ٥٥.

(٣) سلامة، المرجع السابق، ص ٢٦٠ وما بعدها؛ سورة النمل، الآية : ٢٤.

(٤) Caskel, Op. Cit., pp. 108 - 109.

(٥) Caskel, Op. Cit., pp. 106-108.

ومن المؤكد أن أهل مدين كانوا من عبدة الإله القمر بصورة واضحة؛ وذلك لأن الهلال كان كما يبدو رمزًا كبيرًا لديهم. ومن المعروف أن الهلال رمز، وطور أو مرحلة من مراحل القمر. ولكن لا نعرف على وجه اليقين بأي اسم عبد لدى أهل مدين هل كان وداء أو سينا، أو المقه أو «عمًّا» أو «كهلاً»، أو اتخذوا له اسمًا خاصًا بهم دون غيرهم.

ونعلم على وجه اليقين أنهم اتخذوا الهلال شعارًا لهم، ورمزًا معظمًا. فقد لبسوا الأهلة على صدورهم وعلقوا الأهلة في أعناق جمالهم(١). فأصبحت تلك الأهلة غنيمة سائغة لبني إسرائيل أثناء حربهم بقيادة جدعون ضد أهل مدين.

ونعلم ثانيًا أن سينًا كان ذا علاقة مباشرة بالقوافل وعلى الأخص قوافل التجارة. وكان لأهل مدين تجارة محلية وخارجية وقوافلهم كبيرة. فنرجح أنهم كانوا وسطاء التجارة بين جنوب بلاد العرب وبلاد الشام على الطريق التجاري العظيم درب البخور والذي سيصبح طريق رحلة الشتاء والصيف في عصر قريش. ثم عرف أهل مدين الطريق المتجه إلى الشمال الشرقي إلى بلاد الرافدين. والطريق المتجه إلى الشمال الغربي إلى مصر.

ونظرًا لطبيعة البيئة الصحراوية المحيطة بأرض مدين، والتي تتمثل في صحراء الدهناء، وصحراء النقب، وصحراء سيناء؛ بل تمثل الصحراء جانبًا كبيرًا من أرض مدين نفسها فبعض قرى مدين ومدنها كانت عبارة عن واحات في تلك الصحراء. بالإضافة إلى إحاطتها بجبال ذات طبيعة بركانية. كان لها صفة من القداسة في ذلك العصر. وهكذا نرى أن كل عوامل البيئة الطبيعية بالإضافة إلى الروح السامية، وعوامل التأثير، وانتقال الأفكار من الأمم المجاورة لمدين؛ أدى ذلك إلى نشوء عقيدة قوية بين أهل مدين وتمثلت عبادتهم في العبادة الكوكبية برموزها الثلاثة الرئيسة وهي : سين، وولداه شمش وعشتار أي الثالوث الكوكبي : القمر والشمس والزهرة أو نجمة الصباح.

---

(١) Mendenhall, G. "Qurayya and The Midianites", **Studies n History of Arabia**, Riyadh, 1404, 1984. vol. II, p. 143.

كانت عقيدة أهل مدين ذات أصل صحراوي بحسب البيئة العامة في بلاد العرب. ويحوطها إطار أفكار عديدة من عقائد البلاد المجاورة مستمدة من عبادة الخصب. وقد تكون رموز عبادة الخصب واضحة بصورة أكبر في الواحات الزراعية وهي مقتبسة من عقائد الكنعانيين، والآموريين والمصريين. ولكن محور هذه العقيدة كان يدور حول تأثيرات لا نستطيع تحديد مصدرها في ضوء الوثائق المتوافرة حتى الآن.

٣ – أماكن العبادة :

الاتصال بين مصر ومدين قديم جدًا ووثيق. سهله الواقع الجغرافي برًا، وبحرًا؛ فأرض مدين مجاورة لخليج العقبة، وربما شغلت شاطئيه الشرقي والغربي، ومنفتحة على صحراء سيناءٍ أو تشغل جزءًا منها. ويمر الطريق التجاري من أرض مدين إلى مصر، أو إلى بلاد الشام. مما أدى إلى نشوء علاقات اقتصادية شملت التجارة، والتعدين، حيث ثبت أن هناك تعاونًا مديانيًا لاستغلال مناجم سيناء. وتنفيذ أعمال التعدين في تلك المنطقة(١).

يضاف إلى ذلك وجود جاليات مصرية من العمال والمشرفين، والإداريين، وربما أن أسرًا – بنسائها وأطفالها – كانت تقيم في سيناء. كما وجدت جاليات مصرية في فلسطين، وفينيقيا، وسوريا. وكان يوجد أعداد كبيرة من الساميين من آسيا أي من بلاد الشام وبلاد العرب في مصر كتجار، أو نبلاء مقيمين فيها أيضًا، بالإضافة إلى أسرى الحرب والرقيق. ولا ريب أنه كان لأهل مدين دور كبير ضمن هذه الفعاليات. وقد أشرنا إلى التعاون أو الشراكة المديانية المصرية.

ويمكن الاستنتاج من الوثائق المكتشفة أن أهل مدين في سيناء تقربوا إلى الإلهة المصرية (حتحور) في معبد تمنع(٢).

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 152, 182.

(٢) Rothenberg, Timna, p. 149.

ويظن أن أهل مدين أو بعضهم قدس الحية ولا نعلم كيف ؟ ولا متى ؟ على وجه التحديد والدقة. وقد يستدل على تقديس الحية في مدين بدليل وجود حية مصنوعة من النحاس، وذات رأس مذهب ضمن المعثورات الأخرى في المناطق المديانية في سيناء(١). ويظن بعض الباحثين أن الحية تمثل الإله القمر، أو ترمز إلى الروح(٢).

ويرجح أن تقديس الحية اقترن بالعمل في المناجم ربما لكثرة هجومها على عمال المناجم مما أرهب أولئك الناس ودفعهم إلى تقديسها درءًا لخطر سمومها، أو لإرضائها، وتأمين أنفسهم من هجماتها. وربما بتأثير «عبادة الصل» في مصر أيضًا.

والأرجح أن بداية العبادة في مجتمع مدين المبكر كانت تمارس في «معبد الخيمة» المتنقل. ثم تحولوا إلى المعابد الثابتة مع نشوء مدنهم واستقرارهم. ومع ذلك استمر استعمال معبد الخيمة لأنه عملي. فاستعمله رعاة مدين الجوالين بقطعانهم في مراعي منطقتهم.

ويمكن استنتاج تعاصر نوعين من دور العبادة (المعابد)، كانا في مدين، من حقيقة أن بني إسرائيل اقتبسوا معبد الخيمة من أهل مدين لأنه كان يلائم نمط حياتهم غير المستقرة، مع دوام الارتحال إثر الخروج من مصر. إضافة إلى أن أفكارهم الدينية وتنظيماتهم الاجتماعية تأثرت كثيرًا بالتراث المدياني، نظرًا للعلاقة التي ربطت بينهم دينيًا واجتماعيًا.

وتوجد أماكن العبادة في مناطق مختلفة وبأشكال متعددة. وبالقياس هل يمكن عد «مغاير شعيب» الموجودة في «واحة بدع» مغارات مقدسة أو أماكن عبادة لأهل مدين مثلاً ؟(٣). ولكن ما طبيعة هذه القداسة ؟ ومتى بدأت ؟ وهل أصولها

---

(١) برستد، **فجر الضمير**، ص ٤٤ ؛ الجاسر، **شمال غرب الجزيرة**، ص ٤٦٨؛ Rothenberg, Timna, p. 152. انظر: هذا الكتاب، ص ٤٠١، فقرة الفنون الصغرى.

(٢) جواد علي، **المفصل**، ج٦، ص ٥٥.

(٣) موسل، المرجع السابق، ص ص ٧٤ – ٧٥؛ انظر: هذا الكتاب ص ص ٥٩ – ٦٠.

وثـنية؟ أم أنهـا قداسة مرتبطة بشخص النبي شعيب (عليه السلام) ؟ لأنه ربما اتخذها أمـاكن خلوة واعتزال للتفكير والتأمل قبل أن يبعثه الله. أو بعد ذلك. فقد عرفت عـادة التحـنث والانقطاع في المغارات بين سكان جزيرة العرب. مما قد يبرر وجود تشابه بين مغاير شعيب وغار حراء في جبل النور قرب مكة المكرمة.

وعـثر على حجر عرف باسم «حجر الكرا». وذكر أن داوتي Doughty ظنه حجـرًا من الصوان، ولكن اتضح أنه حجر رملي موجود تحت طبقة البازات في منطقة «الجو» بأرض مدين؛ لأن البنية التحتية الأرضية في هذه المنطقة حجرية رمـلية؛ ولأن «الجـو» تقـع في منخفض فإن الحجر الرملي يبدو ظاهرًا على السـطح. ويظن أن ذلك نتج عن حدوث ثورة بركانية. والحجر ذو لون أحمر قد يتفاوت بين اللون الأحمر، والبني الفاتح جدًا حتى يصل إلى اللون الزهري الفاتح أو الأبيـض. وكلها ألوان سائدة في منطقة «الجو». ويرجح أن لهذا الحجر نوعًا من القداسة لدى أهل المنطقة وحتى العصور القريبة. ويظن أنها صخور مقدسة. وتوجـد عـليها وبقربها أيضًا كتابات ونقوش، ذات إشارات معينة وخاصة قرب سـفح جـبل شـادرا في سهل الجو. وهو مرتفع ناتئ من الجهة الجنوبية لوادي «دروة»[١]، وقـد يكون لهذه الصخور ارتباط بمعتقدات قديمة سادت هناك، فربما أنهـا موائـد قرابين لتقديم الأضاحي النذرية. وربما أنها مقدسة لذاتها باعتبارها «أنصاب» معبودات وثنية. ويوجد بجوارها بعض الآثار القديمة، منصوبة ومبنية من الحجر نفسه، بالإضافة إلى وجود بعض المغارات المقدسة مثل: «مغارة خدم موسى» وتقع على بعد «٢٠ كم» إلى الشرق من «الجو»[٢].

ونـتوقع أن يوجـد فـي منطقة «الجو» معبد كبير قد يكون من أكبر المعابد المديانية، التي أنشأوها، ومارسوا طقوس عبادتهم فيها، ويستند هذا الاستنتاج إلى الآبدة الأثرية الموجودة على جدار «مذبح الجو»، وما تحمله من مواضيع مصورة

(١) Koenig, Le Site De Al-Jaw, pp. 30, 44.

(٢) Koenig, Le Site De Al-Jaw, pp. 32-33.

عليه. وهي رموز وإشارات لها دلالتها[1]. وسنعرضها بشيء من التفصيل. فهذه الآبـــدة الأثــرية؛ وثيقـــة مهمة لأنها تتضمن إشارات ورموزًا من خلال المنظر المرســـوم عليها. مما يتيح لنا فرصة التعرف والاستدلال على الكثير عن الأفكار الدينية المديانية، ومبادئ الفن أو النقش الصخري، ونحو ذلك خاصة وأنه تم إثبات أن هذه الآبدة وثيقة مديانية من خلال دراستها وتحليلها كما يلي :

١ – يتسم شكل الآبدة الأثرية بأنها نقش على الصخر، وهو مشهد تصويري نافـــر يعـــرض موضوعًا دينيًا ميثولوجيًا، بأسلوب خشن. ويعتمد على الرســـم المبســـط أو الـــنقش البسيط الذي يسوده عمومًا خطوط باتجاه عمودي أو أفقي.

٢ – تتســـم بالـــترتيب المنظم للأشكال. ويتناقض هذا الترتيب مع الفوضى المعـــتادة فـــي الرســـومات الثمودية. وتعطينا الوثيقة ذاتها لأول وهلة انطباع التميز بشكل واضح عن الرسومات الثمودية الأخرى.

٣ – تتميز الوثيقة بنوع منضبط من التنسيق في أحجام الأشخاص، وتناسب مقاسات الجسم، بعكس الأشكال الثمودية، والتي تتميز بعدم القدرة على التنســـيق والميل إلى التكديس أو تراكم الأشخاص عندما يزداد عددهم في الصورة.

٤ – يـــتميز الـــنقش في طريقة الرسم والحفر على الحجر بطريقة الضرب والحـــك. بيـــنما الرسومات الثمودية تعتمد على الرسم المسبق ثم تليه طريقة الضرب[2].

ويمـــثل المـــنظر المـــنقوش عـــلى الآبدة مجموعتين من الأشخاص، تحتل المجموعـــة الأولى الجهـــة اليمنى، وتحتل المجموعة الثانية الجهة اليسرى مع بعـــض الإشـــارات، والرموز الدينية، وبعض الأحرف المكتوبة أيضًا. وتوجد

---

(١) Koenig, Le Ste De Al-Jaw, p. 210.

(٢) Koenig, Le Site De Al-Jaw., pp. 210-212.

صـــورة طائر النسر، وبعض أدوات قتال وأسلحة مثل رمح ونحو ذلك، وهنالك صـــورة ثعـــبان. ويظهـــر زوج من القرون، فربما أنها تمثل إله العاصفة الذي تنتشـــر عـــبادته فـــي سوريا وفلسطين، في مرحلة الألف الثانية ق.م، ويتصل بالقرون كتابة وسهم؛ يرمز إلى إله الصاعقة[١].

ويظهـــر اســـم الإله «عليان» من الكتابة الظاهرة والتي تنتشر على ساعد رجـــل الدين الظاهر. وتزيدها صورة النسر قوة لتجعلها فعالة. ويرد اسم الإله عـــليان في التراث الفينيقي كما ذكره فيلون Philon الجبيلي من بيبلوس (جبيل). وهـــو مذكـــور في الوسط الآرامي ضمن قائمة الآلهة بقرب الإله إيل. ويلاحظ إدخال صورة طائر النسر كرمز لإله العاصفة أو الزوابع هنا، مع أنه ليس من رموزها هذا الإله في بلاد الشام، ولكنها إضافة محلية لسكان شمال شبه جزيرة العـــرب. وتـــتكاثر النسور في هذه المنطقة؛ بل إنها من معبوداتهم المحلية منذ القـــدم. فهي إضافة محلية خاصة من أهل المنطقة أي منطقة «الجو» في أرض مدين. ويوجد دمج بعض مظاهر أخرى تمثل هزات أرضية أو ثورات بركانية في المنظر. وهي مظاهر طبيعية موجودة في أرض مدين.

نســـتنتج من ذلك أن إله العاصفة أو الزوبعة في منطقة الجو أي في الوسط المدياني قد اختلف عن إله العاصفة السوري؛ لأنه ارتبط بالخصائص الجغرافية والبيـــئية المحلية في مجملها. وكان أهمها الثورات البركانية. ويبدو أن المنظر يمـــثل معركة بين فريقين، يستعان فيها بقوة الإله «المعبود». ولذلك قام اقتباس بـــني إســـرائيل لخصائص الإله من واقع البيئة التي حلوا فيها بعد الخروج من مصـــر. واقتبســـوا أيضًـــا اسم الإله من أهل مدين. وتصور النجمة في المشهد أيضًـــا. وهي ترمز لطقس ديني، يستعان به في القتال لأن الشخص الذي يعلو الـــنجمة يحمل هراوة القتال في يد؛. بالإضافة إلى وجود «الهلال» وبدون شك

---

(١) Koenig, Le Site De Al-Jaw., pp. 212-214.

فإنه يرمز الإله القمر، ولكنه مرسوم على يسار الصورة[1]. فنفترض أنها حرب دينية لأن المحاربين يرفعون شعارات ورموزًا دينية مختلفة؛ ولكن ما يسود المشهد هو انتصار الإله القمر على الآلهة الأخرى، التي قد تكون شياطين بركانية لأن الرؤوس الأخرى تخرج من فوهة أو فم يشبه فوهة بركان.

ويبدو أنهم أرادوا هزيمتها والتغلب على شرورها ونيرانها اللافحة. وربما أن إله القمر هنا هو سيد البراكين وكبير الآلهة كلها في المنطقة. ونستنتج من كل ذلك أن هذه المعركة المصورة تمثل وسطًا مديانيًا. وأنه مختلف تمامًا عن الآثار الثمودية سواء من ناحية تقنية التنفيذ، أو من ناحية تركيب الموضوع. وأخيرًا من حيث إنها تمثل وسطًا شديد الانتظام من الناحيتين الاجتماعية والدينية. وذلك بعكس الأعمال الثمودية التي لا تخرج عن الأسلوب الخشن، بالإضافة إلى عدم الانتظام وأنها تفترض أوساطًا قبلية منقسمة[2]. مع ملاحظة أن نسبة كل الكتابات والنقوش إلى القبائل الثمودية تسمية غير دقيقة، وعامة، لأنه سكن شمال شبه جزيرة العرب قبائل متعددة ثمودية وغير ثمودية، فلابد أن كل قبيلة تركت نقوشها وكتابتها وآثارها في منطقة سكناها. وبناء على ذلك يجب علينا دراسة هذه التسمية وإعطاء مسميات موضوعية وحقيقية في المستقبل لكل نتاج أهل الشمال سواء في البوادي أو في المدن.

ومما يؤكد صلة هذه الآبدة، أو الوثيقة التاريخية بأهل مدين ما ورد في التوراة عن رموز دينية ظهر بعضها في المشهد المصور على الآبدة. وظهر بعضها في الطقوس اليهودية واستمرارها؛ مما يدل على اقتباسها من الديانة المديانية، ويؤكد أيضًا المنشأ المدياني لهذا الشاهد الأثري (الآبدة).

كان الإله القمر في عصر هذه الوثيقة متضامنًا مع قوة الهزات الأرضية. وفي التوراة إشارة واضحة عن ذلك[3].

---

(١) انظر : ص ٣٩٧ من هذا الكتاب : الفقرة الخاصة بالنقوش والمشخصات.

(٢) Koenig, Le Site De Al- Jaw., pp. 218-222.

(٣) Koenig, Le Site De Al-Jaw, p. 224.

«الشمس والقمر وقفا في بروجهما لنور سهامك الطائرة للمعان برق مجدك». انظر: حبقوق ٣: ١١.

وهناك منظر في هذه الوثيقة نفسها الموجودة على حائط مذبح الجو عند قاعدة جبل البدر «ثادرا» يصور مشهدًا راقصًا. وربما من هنا نفسر ظهور العجل الذهبي لدى بني إسرائيل ورقصهم حوله. وكان الرقص عادة وهو يرجع إلى عهد قديم. رأيناها في عادة الرقص حول الأصنام.

وتعد أزمة «العجل الذهبي» استيعابًا لتقليد مدياني ظهر في هذه الوثيقة بصورة واضحة. وكان هنالك تعارض بين إله العاصفة، وإله القمر وعلاقته بالثورات البركانية في المنطقة وفي صحراء سين Sin، وفي شبه جزيرة سيناء. وكان لهذه المظاهر البركانية تأثير واضح في العقيدة المديانية. وإن استيعاب الفكر الإسرائيلي لهذه العقائد المديانية أقل ذكاء، بحيث لجأوا إلى تقليد الشعائر الوثنية. وكان التأثير المدياني أكثر ذكاء وسيطرة على الفكر الإسرائيلي في تلك المرحلة بحيث كان مبهرًا لبني إسرائيل ولم يدع لهم فرصة للتفريق بين الوثنية والوحدانية. وكان الدمج المدياني بين الخصائص البركانية وخصائص إله العاصفة للأهمية الحيوية للمطر والرياح بالنسبة للزراعة؛ وكان أهل مدين على معرفة بالزراعة الواحية، وطبيعة الثورات البركانية. وكانت كل تلك الفعاليات أقدم من الاستيطان الإسرائيلي، وأنها تعود إلى التراث المدياني[(١)].

أما معبد روافة النبطي، فيرجح أولاً أن المكان نفسه أي مكان المعبد كان محل تقديس وعبادة منذ عهد مدين. وربما أن تأسيس المعبد وإنشاءه في المنطقة عام ١٦٥م[(٢)]. نتج عن تلك القداسة القديمة كما يظن، وكما ثبت أن المنطقة مديانية، ورثها من خلف أهل مدين في المنطقة، لأن موسل يفترض أن روافة تقابل عيفة إحدى قبائل مدين، حيث إن قبائل بني عطية تنطق اسم روافة بلفظة غوافة أي إبدال حرف الراء إلى الغين. أما بطون حويطات تهامة فتنطقه رواقة[(٣)]. ويوجد بجوار معبد روافة نبع ماء معروف باسم نبع المشاش[(٤)].

---

(١) انظر : الملحق، الشكل رقم (١) ؛ Koenig, Le Site de Al- Jaw., pp. 228-232.

(٢) Philby, H. St. J., The "**Land of Midian**", London, 1957, p. 146.

(٣) موسل : المرجع السابق، ص ٨٩.

(٤) Philby, Op. Cit., p. 145.

يوجـد فـي غرب الحسمة خمسة مواقع تضم مجموعات كبيرة من الدوائر الحجـرية، وركامـات تمـتد عـلى مساحة (٢ كم) في منطقة وادي الشقري. بالإضـافة إلى دوائـر حجرية حلقية. وتضم إحداها عشر حلقات مترابطة مع بعضـها. وتتألف من أحجار البازلت المتوافرة في المنطقة، وألواح من الحجر الجيري. بالإضافة إلى ركامات القبور. وقد انتشرت الدوائر الحجرية وركامات القـبور في تسعة عشر موقعًا. وتتنوع ملتقطاتها من المواد الحجرية (أدوات)، وكسر فخارية من عصور الحديد، والمدياني، والهلينستي، والنبطي. وتوجد بقايا معمارية على بعد ٢ كم تقريبًا من تل القلعة في قرية. وتبدو أنها بقايا منشأتين، وأنهـا بقايـا معبد. فيقوم البناء على مصطبة تعلو دائرتين حجريتين كبيرتين. وكـأن الـبقايا الأخرى تمثل بقايا سد أو خزان مياه في باطن الوادي. وبجانبها مجموعـة مـن ركامات الأحجار (ربما أنها مقابر). وكلها مرتبطة بمستوطنة قرية. وعثر في الموقع على قطع فخار مدياني، وكسرتين من الفخار النبطي[١]. مما يدل على أنه معبد مدياني قديم كان في أرض قرية.

٤ – الطقوس :

كـان لكـل عـبادة طقوسها وشعائرها سواء كانت عبادة خصب أو عبادة كوكـبية ونحوهـا. وتتمثل أهم الطقوس في الصلاة، والحج السنوي إلى مكان مقدس، وهنالك أيضًا غناء ورقص حول المعبود، والطواف حوله أيضًا ثم تقديم القرابين والأضاحي النذرية، سواء حيوانية أو بشرية، أو محرقات من بخور، أو حرق جزء من الذبيحة أو جلدها، ثم هناك البغاء المقدس الذي شاع في العبادات الوثنية القديمة[٢].

---

(١) إنجراهام ، مايكل ، تيودور بسيم الريحاني، إبراهيم الشتلة، "برنامج المسح الأثري لأراضي المملكة العـربية السـعودية : ج. التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية"، حولية أطلال.ـ الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، عدد (٥)، ص ص ٦٣-٦٨.

(٢) كان البغاء المقدس يمارس من قبل كاهنات ينذرن أنفسهن للإله في المعبد ويضحين بأنفسهن. ثم يهبن أولادهن لخدمة المعبد. انظر : موسكاتي، المرجع السابق، ص ص ١٢٨ – ١٢٩.

ولابــد أنه كان لأهل مدين بعض هذه الطقوس أو كلها متفرقة أو مجتمعة. (ويــرجح أن ذلك حدث بعد أن انحرفوا عن عقيدة التوحيد، التي كانت موجودة لديهم منذ عهد جدهم إبراهيم (عليه السلام) ومن تبعه من الرسل.

وبعــث الله النــبي شعيب (عليه السلام) إلى أهل مدين نتيجة إنحرافهم عن عقيدة الـتوحيد، وظهور الشرك. وبدأ نشر دعوته بين أهل مدين لهدايتهم، وردهم عن الانحــرافات الديــنية والخــلقية والمفاسد الاجتماعية. ومارس أهل مدين بعض الطقوس والشعائر الوثنية وهم على الشرك نعرضها فيما يلي :

كــان الــرقص مــن الطقــوس التي ثبتت ممارسة أهل مدين لها كما أشرنا. ومارســوا كذلــك تقديــم الأضاحي والتقدمات مثل البخور والذبائح ونحو ذلك مما تقدم[١].

وعــثر عــلى بعض الفخار (الموكيني) المسيني؛ فلابد أن الفخار الموكيني كان أواني كمالية مستوردة للترف – خاصة أن الأواني الموكينية غالية الثمن – وربما أنها كانت مرتبطة بنوع ما من الطقوس مثل : الأعياد، والسكر الطقسي، والــبغاء المقدس[٢]. مارس أهل مدين تلك الطقوس في «قرية» مصحوبة بهذه الأوانـــي الغالية الثمن، والتي هي دليل على الثروة والرفاه. والهدف من ذلك أن اســتيراد المديــانيين لأواني موكينية غالية الثمن. وكان الموكينيون في الأصل يستعملونها خلال ممارستهم لطقوس دينية محددة ولربما يشير استيراد المديانيين لها إلى وجود طقوس مماثلة لديهم خاصة وأنه وجد لديهم نوع آخر من الأواني الفخارية محلية الصنع للاستعمال اليومي.

وذكر نقلاً عن جوسين وسافيناك أنه توجد في شمال الحجاز (منطقة مدين) وغيرها أعداد من التربيعات مثل المسيجات وهي أسوار تحيط بأرض، قد تكون

---

(١) انظر، ص ٢١٢ من هذا الكتاب.

(٢) Mendenhall, Qurayya and The Midianites, vol, 2, p. 144.

لها علاقة بالرقص والراقصين (كشعيرة أو طقس ديني قديم). ويوجد نوع آخر مـن الأحجار موضوعة كدرج (سلم) ومقامة فوق حجر مسطح كالمائدة. وربما أنها مذابح أو اقتباس مقلد لها، لنحر القرابين عليها، أو تقديم قرابين أخرى. فهي موائـد لتقدمات نذرية. أو قد تكون منابر يرتقيها الحكام والخطباء لإلقاء خطبهم أو لإلقاء النصائح والمواعظ.

وربما يمثل وجود المذبح أو المصطبة في موقع ما أن هذا الموقع هو معبد فعلي أو مكان لممارسة نشاط قضائي أو تشريعي أو كليهما بالنسبة لأهل مدين. وقد رأينا كيف أن الشيخ المدياني يثرون أعطى النبي موسى (عليه السلام) كل النصائح القضـائية في المخيم الذي أقامه النبي موسى (عليه السلام) في الصحراء ومارس فيه أيضًـا تعـليم الفـروض والشـرائع وأمـور القضـاء بين الناس قرب خيمة الاجتماع[(١)]. وعلم يثرون موسى وبني إسرائيل تقديم القرابين من الذبائح وحرق البخور[(٢)]. وعرفنا من التراث العربي القديم أن الخطباء مارسوا التقاليد نفسها. حيـث كـانوا يعتـلون حجرًا أو تلة، أو هم فوق ظهر الدابة عند إلقاء الخطب والمواعظ على جمهور الحضور[(٣)].

وقـد عرف أهل مدين الكهانة ومارسوها. وكان لديهم كهان منهم الكاهنان: سـمَيَر وعمران بن مداد. وكانا يزينان لأهل مدين تعشير أموال الناس[(٤)]. فقام أهل مدين بفرض إتاوة أو ضريبة على الأموال قدرت بعشر المال (١ر٠).

---

(١) Koenig, Le Site De Al- Jaw, p. 125.

(٢) «فأخذ يثرون حمو موسى محرقة وذبائح لله»، انظر : خروج ١٨ : ١٢.

(٣) وكـان قس بن ساعدة الإيادي خطيبًا من خطباء العرب يلقي خطبه من فوق ظهر جمله في سوق عكاظ. انظر : الجاحظ، عمرو بن بحر ، "**البيان والتبيين**".ـ مصر، ١٩٧٥م، ج١، ص ٥٢.

(٤) وقد ورد عن ذلك بيتان من الشعر :

ياقوم إن شعيبًا مرسل فدعوا ... عنكم سمـير وعمـران بن مداد

إنـي أرى غنيمـة قد طلعت ... تدعو بضرب الأصم ابنة الوادي

انظر : المقدسي، **البدء والتاريخ**، ج٣، ص ص ٧٥ – ٧٦.

نستنتج مما تقدم : أن مجموعة الأفكار الدينية أو العقائدية بما فيها من عبادات، وآلهة، وطقوس والتي أدت دورًا مهمًا في هذا الجزء من بلاد العرب قبل ديداني العلا، وقبل مؤلفي الكتابات الثمودية. ونعني بذلك الأفكار، والعقائد المديانية التي انتشرت بينهم وسادت في عصرهم. ويقدر مدى استمرارها خلال فترة زمنية تقدر بحوالي سبعة قرون. ثم اضمحل شأنها واندثرت بانتهاء دور أهل مدين، وبالقضاء على كياناتهم السياسية حوالي القرن ١٠ – ٩ ق.م. إثر هزيمة مدين على يد جدعون أحد قضاة بني إسرائيل. وإن كنا نرجح أنها استمرت إلى مطلع القرن السابع ق.م[١].

٥ – دعوة النبي شعيب (س) :

نوهنا بمكانة النبي شعيب (عليه السلام) لدى قومه؛ بل خارج نطاق حدود بلاده. حيث أقر فرعون مصر بمكانة شعيب ومعه غيره ممن هم كبار الرجال والشيوخ لدى أقوامهم[٢]. مما يدل على أهمية تلك الشخصيات وأهمية بلادها، والبلاد الأخرى التي ينتمي إليها الرجال الآخرون. ورغم هذه الحقيقة نجد أن شعيبًا (عليه السلام) لاقى العنت من قومه؛ أهل مدين وهم الذين بعثه الله إليهم برسالة التوحيد. ولكنهم قاوموه وعاندوه. وأبوا الانصياع لأمره؛ بل رفضوا استيعاب مفاهيم الدعوة ومبادئها ومقاصدها النبيلة، حتى أنهم نبذوه وعيروه بضعفه، الذي أشارت إليه الآيات القرآنية الكريمة وأوضحه المفسرون والمؤرخون. وقالوا بأن النبي شعيبًا (عليه السلام) كان كفيف البصر[٣].

نستخلص من الآيات أعلاه ذلك الإيجاز البليغ الذي وضح رسالة النبي شعيب (عليه السلام)؛ بل رسالاته. فلم تقتصر دعوته على رسالة واحدة[٤]. ونستنتج

---

(١) انظر: فصل العلاقات، ص ٥٧٦ من هذا الكتاب.

(٢) انظر : هذا الكتاب، ص ١٢٦ فقرة النبي شعيب (س)؛ سورة الأعراف، الآيتان ٨٥ – ٨٦.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج١، ص ١٦٧، ابن الأثير، **الكامل**، ج١، ص ٨٨، وقيل ضعيفًا أي ذليلاً، انظر: السيوطي، **"تفسير الجلالين"**، ص ٢٩٨، الرازي، **"تفسير"**، ص ٢١٢؛ سورة هود، الآية : ٩١.

(٤) سورة الأعراف، الآية : ٩٣. قال تعالى : (لقد أبلغتكم رسالات ربي).

مــن هــذه الآية أن الدعوة قد اشتملت صراحة على عدة رسائل كلف الله نبيه شــعيبًا (عليه السلام) بإبلاغهــا إلى أهل مدين وغيرهم، ونستنتج منها أنها شملت عدة مجالات نعرضها في الأفكار التالية :

أولاً – دعوة التوحيد (أمور العقيدة) وتتحقق كما يلي :

أ – تصحيح العقيدة والإقرار بوحدانية الله الواحد.

ب – عبادة الله الواحد، أي تخصيص العبادة لله وحده لا شريك له.

ج – معرفتهم بأصول العقيدة (التوحيد) مسبقًا(١).

ثانيًا – تحقيق العدل بتطبيق معاييره ونشره كما يلي :

أ – إيفــاء الكيل والميزان لأن أهل مدين أهل تجارة وكانوا يبخسون الناس مكيــالهم وميــزانهم. بالنقص والغش. وقد أمروا بالإيفاء لأنه يبلغ حد الكمال وزيادة ويبعد عن الغش والخسارة والنقص.

ب – عدم بخس الناس أشياءهم؛ كل الأشياء على إطلاق المعنى لكلمة شيء.

ثالثًا – الإصلاح الاجتماعي ويتضمن مكارم الأخلاق وأهمها الأمانة والاستقامة :

أ – عدم الإفساد في الأرض على التعميم المطلق.

ب – عــدم القعــود في الطرقات. وجاء النهي لأمرين : «توعدون» الآية. تصــدون عــن سبيل الله الآية(٢)؛ أي لضرب المواعيد، ولصد الناس ومــنعهم عــن الإيمــان لأنهــم أي أهل مدين يريدون الاستمرار في الانحراف عن التوحيد.

ويوضح تحليل موقف أهل مدين :

١ – أن مبادئ دعوة النبي شعيب (عليه السلام)، وأفكاره التي نادى بها غريبة على قومه وغير مفهومة لهم. أو أنهم إمعانًا في الرفض تجاهلوها.

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٨٥. قال تعالى : ﴿ ... قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾.
(٢) سورة الأعراف، الآية : ٨٦.

٢ – ضـــعف النبي شعيب العضوي (فقد البصر) كان مستغلاً كنقطة ضعف حاولوا إبرازها.

٣ – قــوة النبي شعيب في نظر أهل مدين تكمن في قوة رهطه أي جماعته وعشيرته، التي كان لها مكانة متميزة بينهم. ويبدو أن رهطه دعمه لأن شعيبًا (عليه السلام) كان ذو مكانة عالية بين أولئك الرهط.

٤ – حـــاولوا تقديم بدائل تغري الناس بعدم اتباع تعاليم النبي شعيب (عليه السلام) وذلـــك بقعودهم على قارعة الطريق لتقديم المال مثلاً أو وعود أخرى. ونظـــن بالحدس أن اللائي يضربن المواعيد ويقعدن في الطرقات كن غالـــبًا كاهـــنات المعـــبد، وربمـــا غيرهن من أتباع المعبد[١]. وكانت الكاهـــنات يمارســـن البغاء المقدس، ويستحلنه[٢]. وهو إغراء لصرف الناس عن اتباع المبادئ الروحية التي يدعو إليها النبي شعيب (عليه السلام). ولكـــن النـــبي شعيبًا (عليه السلام) نبيٌ مرسل ورجل اختاره الله لتأدية رسالة التوحيد، ولـــه من الخصائص والصفات الخلقية ما يؤهله لأداء الرسالة والقيام بالدعوة.

ومن أهم صفاته التي تحلى بها أنه كان حليمًا رشيدًا، وقد ذكر القرآن ذلك، قـــال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [٣]. بل لقد اعترف بذلك أهل العـــناد والكفـــر الذيـــن رفضـــوا دعوتـــه وعادوه؛ بل أرادوا الفتك به برجمه بالأحجار[٤]. يضاف إلى ذلك أن شعيبًا (عليه السلام) كان قوي الحجة فصيح اللسان[٥].

---

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص ١٣١٧، ج٤، ص ١٩١٧.

(٢) Graetz, H., History of the Jews, Philadelphia, 1967, vol. 1, p. 28.

(٣) سورة هود، الآية : ٨٧.

(٤) سورة هود، الآية : ٩١.

(٥) إبراهيم، محمد إسماعيل ، "قصص الأنبياء والرسل".ـــ القاهرة، ١٣٩٧هـــ/١٩٧٧م، ص ٨٧.

حتى وصفوه بأنه خطيب الأنبياء[1]. قال رسول الله محمد ﷺ شعيب خطيب الأنبياء[2]. ويشير ذلك إلى أن شعيبًا (عليه السلام) كان أكثر فصاحة، وذا عقل راجح بحسن محاورة ومجادلة. أرسله الله برسالة التوحيد إلى جماعتين وهما :

١ – أهل مدين.

٢ – أصحاب الأيكة[3].

وكانت دعوة النبي شعيب (عليه السلام) خالصة لعبادة الله وحده. وإرساء مبادئ الأخلاق، وإصلاح المفاسد الاجتماعية. وأحدثت الدعوة ثورة دينية اجتماعية اقتصادية، لأنها هدفت إلى الدعوة إلى التوحيد وترك الشرك، والقضاء على الكثير من الانحرافات والمفاسد والوثنية والشرك وطقوسهما. وهذه الدعوة، مع كل الدعوات الأخرى السابقة واللاحقة موحدة الهدف نادى بها جميع الأنبياء والرسل من أولهم نوح (عليه السلام) إلى آخرهم محمد عليه الصلاة والسلام.

كانت دعوة النبي شعيب (عليه السلام) ثورة عامة ضد الوثنية وطقوسها. مثل : البغاء المقدس، والأضاحي البشرية، وجميع التقدمات الأخرى التي كانت تقدم للأوثان والأصنام، وضد السحر وطقوس وشعائر عبادة الموتى وطقوس دفنهم[4]. وضد التطفيف في الكيل والوزن، وضد الغش التجاري بكل أنماطه. وضد الفساد الخلقي والسلوكي. وإعلان توحيد الله وإقرار مخافة الله وتقواه في السر والعلن وفي كل أمور حياة الفرد والجماعة.

---

(١) الجاحظ ، المرجع السابق، ج١، ص ٢٠١؛ المقدسي ، "**البدء والتاريخ**"، ج٣، ص ٧٥.

(٢) الطبري، تاريخ، ج١، ص ١٦٨؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج١، ص ٨٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيات ١٧٦ – ١٧٨.

(٤) Albright, The Biblical Period, p. 18.

٦ – مركز الدعوة وانتشارها :

قـام النـبي شعيب (عليه السلام) بنشر دعوته بين أهل مدين عامة وبين كبرائها وتجارها. وأعلنها دعوة للملأ منهم. وكانت دعوة صريحة إلى عبادة الله وحده، صـادقة جريئة. ولكن بتعقل ورصانة؛ لأن النبي شعيبًا (عليه السلام) كان تقيًا، حليمًا رشـيدًا. وكـان مؤمنًا بربه، عابدًا له، ومؤمنًا بالرسالة وأهدافها. وربما أنه بدأ بالتحنث والخلوة في أحد كهوف مغاير شعيب المعروفة في واحة البدع. وتحمل اسـم هذا النبي (وهي تسمية عامية). فهل كانت هذه المغاير ملاذًا لجأ إليه في خـلوته ؟ معتكفًا فيها يخلد لتأملاته وعباداته. ولربما تجوز لنا المقارنة، فنشبه هذه المغاير بغار حراء في أعلى جبل النور قرب مكة المكرمة.

وتعـرض النبي شعيب (عليه السلام) عند بدءِ الدعوة، والجهر بها لما يتعرض له كـل الرسل من ابتلاء ومحن، وعناد وإلحاق أذى وضرر، ومعارضة ورفض؛ بـل مطـاردة، ولا يزيده كل ذلك إلا حماسًا، وصبرًا على نشر الدعوة وإبلاغ الرسالة لإقرار شريعة الله [(١)].

ونرى في الآية تهديد أهل مدين برجم شعيب كأنه مذنب أو آثم يوقعون به أقصـى عقوبة. وتتسم بأنها من أقسى العقوبات لأن فيها إمعانًا في التعذيب قبل الموت أو القتل.

هكذا قام الملأ الذين استكبروا من أهل مدين فهاجموه، وعارضوه. وعيروه بالضـعف (فقـد البصـر أو العـرج)[(٢)]. وهددوه بالقتل رجمًا، دون مراعاة لشـيخوخته، أو ضعفه العضوي. ورفضوا سماع دعوته، وحتى من سمع منهم رفـض فهمهـا واستيعابها. وما كفهم وردعهم عن تنفيذ الرجم إلا مكانة رهط شعيب بينهم. ويبدو أنه كان لرهطه مكانة عالية ومناصب سياسية، أو اجتماعية،

---

(١) سورة هود، الآيتان : ٩١ – ٩٢.

(٢) المقدسي، "البدء والتاريخ"، ج٣، ص ٧٥.

أو اقتصـــادية، أو ديـــنية. ولذلـــك خشي الملأ التعدي على شعيب تفاديًا لإيذاء رهطـــه، وحرصًا على عدم مساس أي منهم بأذى، أو تعريضه لمهانة. أو لأن الملأ خشي بطش رهط شعيب لو تعرض أحد لشعيب وذلك لسيادتهم أو نفوذهم الكبير بين أهل مدين عامة.

أمـــا دوافعهم التي حفزتهم لمقاومة الرسالة ومناوأة رسولها. فالأرجح أنها كـــانت دوافـــع اقتصـــادية فـــي المقام الأول، تنطلق من حرصهم على الكسب والـــثراء، حـــتى بأساليب منحرفة، وغش وتدليس. وعدم رغبتهم في تعريض تجـــاراتهم وأنظمتها الفاسدة لأي تغيير مهما كان نوعه. إضافة إلى رغبتهم في الاستمتاع بحياة رافهة لاهية.

واســـتمر الفـــريقان كـــل مـــنهما يسير على نهجه وطريقه، خاصة الفريق المعارض ليس لديه أية رغبة في التصحيح أو التجديد والتعديل. وحرص النبي شعيب (عليه السلام) على المداومة على نشر الدعوة وإعلانها، ومقاومة الشرك وأهله، وتقويم كل الأخطاء الأخرى. وناصره قومه ربما بتوفير الحماية أولاً. وبالإيمان ثانيًـــا، وانضم الأتباع إليه ممن آمن معه. فالجماعة التي آمنت بالدعوة، وأقرت بعبادة الله وحده ناصرت شعيبًا (عليه السلام) وآزرته.

وأخـــذ النـــبي شعيب (عليه السلام) يبين سوء عاقبة المفاسد الأخرى المتفشية بين أفـــراد المجـــتمع. وبين لهم أنه يخشى عليهم من عقاب الله وعذابه. وأن الكفر سيصـــيبهم بالعذاب. وأخذ يعظهم بمصائر الأمم الأخرى ممن سبقهم من الأمم الكافرة مثل أقوام الأنبياء نوح وهود، وصالح. وما قوم لوط منهم ببعيد. والفترة الزمنية بين قوم لوط وأهل مدين قوم شعيب ليست بعيدة. فهي فترة قصيرة، ولا بـــد أن مصير قوم لوط وقصة عقوبتهم التي حلت بهم نتيجة كفرهم وعصيانهم لازالت ماثلة حاضرة في أذهانهم[١].

---

(١) سورة هود، الآية : ٨٩. ويذكر أن ثمود كانت إذ ذاك بأرض حجر وقرح وهي وادي القرى وأن بين هود وثمود حوالي قرن من الزمن. انظر : المقدسي، "**البدء والتاريخ**"، ج٣، ص ٣٦.

وقد ذكرنا أن ابنة لوط (عليه السلام) كانت زوجة مدين بن إبراهيم (عليه السلام). أي أنها أم بني مدين.

وأخذ شعيب (عليه السلام) يبين لهم سبيل العودة إلى الله والتمسك بالدين القويم عن طريق الاستغفار والتوبة، ولكن لا من مجيب، بل تهديد ووعيد، وإنكار لأقوال شعيب ودعوته[1].

ورد شعيب (عليه السلام) عليهم التهديد بمثله؛ بل بما هو أشد وأقسى فهددهم بعذاب الله الذي جاء بأمره تعالى. وحل عقابه عليهم فأخذتهم صيحة جبريل الرهيبة التي خلعت قلوبهم. فأصبحوا ميتين وهم في وضع الجثو على الركب، لشدة الهول والفزع؛ انكفأوا على ركبهم جاثمين. فلم يستطيعوا حراكًا، أو أن شدة الصيحة لم تمهلهم فلفظوا أنفاسهم على حالة الجثوم والجثو. وزهقت الأرواح من الخوف والذعر. وربما فاجأتهم سحب وسموم بركان ثائر بنيرانه وحممه كما حدث لأهل مدينة بومبي، ولأهل مدينة ليكة. وأبيدوا بأشخاصهم أي بأجسادهم وشمل الضياع أموالهم، وجميع ممتلكاتهم. نعم باد الكفار منهم وأصبحت أرضهم خرابًا يبابًا[2]. فاندثر ذكرهم وباد شعبهم مثل ثمود قوم النبي صالح (عليه السلام). وتشير الآية إلى أن الله أنجى النبي شعيبًا (عليه السلام)، والذين آمنوا معه من تلك الكارثة الساحقة التي حلت على الملأ الذين كفروا من أهل مدين.

أصحاب الأيكة :

أمر الله نبيه شعيبًا (عليه السلام) بدعوة أهل مدين وأصحاب الأيكة (لئيكة)[3] فهل كان ذلك في وقت واحد ؟ فقام بدعوتهما معًا. أم أنه بعد أن خذله أهل مدين

(١) سورة هود، الآية : ٩٠.

(٢) سورة هود، الآيات ٩٣ – ٩٥؛ السيوطي، "تفسير الجلالين"، ص ٢٩٨ – ٢٩٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان : ١٧٦ – ١٧٧. وذكر أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون قصص الأولين ومنهم شعيب (عليه السلام) وأصحاب الأيكة. انظر : السيوطي، **تفسير الجلالين**، ص ٤٩١.

وبيــن لهــم شــعيب (عليه السلام) سوء العاقبة. ولكنهم لم يتعظوا كما جاء في الآية فــأخذتهم الصيحة. وأصبحوا في ديارهم جاثمين وأنجى الله شعيبًا والذين آمنوا معــه كما أشرنا إليه. وبعد ذلك أمره بالاتجاه إلى الأيكة، ودعوة أصحابها إلى الـتوحيد، والايمـــان بالله. فخرج شعيب من مدين، واتجه إلى المدينة الأخرى لئيكة. وعسى أن يهديهم الله فيستجيبوا لدعوته. والله أعلم.

ونتساءل ما هذه الأيكة (لئيكة) ؟ ومن أصحابها ؟ وهل كانوا على مثل دين أهــل مديــن وانحــرافاتهم ؟ وإذا كانت الأيكة ضمن أراضي مدين، فهل كانت خاضعة لحكمهم. أم كان أصحاب الأيكة دولة مدينة مستقلة ؟

ذكر القرآن الكريم أصحاب الأيكة في أربعة مواضع[١].

ومـــارس أهل لئيكة الكفر نفسه وكابروا، وعاندوا؛ بل رموا شعيبًا بالسحر. واســتنكروا أن يقــوم بدعوتهم وهو بشر مثلهم إمعانًا في الغي والضلال حتى انـــتهى بهم الأمر إلى سوء العاقبة، وبئس المصير. وطلبوا من شعيب أن يسقط عــليهم قطعًــا مـــن الســـماء إن كان صادقًا في أقواله. واستمروا في طغيانهم وتكذيــبهم ومقاومـــة الدعوة بكل ما أوتوا من عناد وقوة وكفر. ولكن قدرة الله وقوتـــه عليهم أكبر، وهو أقدر منهم عليهم مهما بلغت قوتهم. فأرسل الله عليهم عذاب الظلة فأخذهم بالسحابة التي أظلتهم من الحر الشديد الذي أصابهم، ولكنها كانت سحابة دخان وعذاب، فأمطرتهم نارًا وعذابًا فاحترقوا. وكان يومًا مروعًا وعذابًا عظيمًا. وقد علم علماء بني إسرائيل بكل هذه القصص، والذي هو عبرة وعظة للأمم، وفيه تسلية وتخفيف عن النبي محمد ﷺ [٢].

---

(١) سورة الحجر، الآية : ٧٨، سورة الشعراء، الآيتان : ١٧٦ – ١٧٧، سورة ص، الآية : ١٣، سورة ق، الآيــة : ١٤، انظر هذا الكتاب، ص ٤١، جواد علي، **المفصل**، ج١، ص١٦١ ، عاتق / **رحلة في بلاد العرب**، مكة المكرمة، ١٩٧٥م، ص ١٢٦؛ غبان، المرجع السابق، ج١، ص ص ١٤٣ – ١٤٤.

(٢) السيوطي : **تفسير الجلالين**، ص ص ٤٩٠ – ٤٩١.

نـرى في آيات القرآن الكريم[1] أنه كان لأصحاب الأيكة الأخطاء نفسها من غش في الميزان والكيل، وإفساد في الأرض، بما يشبه تمامًا ما كان عليه أهل مدين. فهل كانت هذه الأخطاء وهذا الغش في ميزان السلع التجارية طاغية ومتفشية في منطقة مدين كمحطة قوافل، ومركز تجاري كبير في منطقة داخلية برية. وتقابلها لئيكة (الحوراء) كميناء بحري، ومركز تجاري على الساحل. ربما أن ذلك كان واقعًا وأن تجارة أهل مدين قامت على القوافل البرية ومحطتها الرئيسة مدين، وتجارة بحرية محطتها الرئيسة لئيكة أو الحوراء.

وندرك أن العقاب يكون من جنس العمل، ولكن نلاحظ هنا أن العقاب يكون أيضًا نابعًا من البيئة الجغرافية والمظاهر الطبيعية. فنجد تطبيق العقاب في بلاد الرافدين ومصر مثلاً بالطوفان والفيضان. ويحكم القاضي على المذنب بالرمي في النهر أيضًا. وفي شبه الجزيرة العربية يستعملون الرجم بالحجارة. ويستفاد من الاندفاعات البركانية والزلازل في العقوبات في أرض مدين مثلاً. وكان عقاب أهل مدين وأصحاب الأيكة فيه نوع من الخداع الذي كانوا يستعملونه في معاملتهم. فأغرت السحابة أصحاب الأيكة بالاستظلال بها حتى احتموا تحتها من الحر فأحرقتهم وأهلكتهم بدخانها الحارق.

وقيل إن النبي شعيبًا (عليه السلام) أرسل إلى أصحاب الرس أيضًا. فذكر المفسرون أن أصحاب الرس كانوا وثنيين من عبدة الأصنام، ولهم آبار، ومواش فبعث الله إليهم شعيبًا (عليه السلام)[2]. قال تعالى : ﴿ ... وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً ﴾ (٣٨)[3]. وقيل غير ذلك عن أصحاب الرس.

---

(١) سورة الشعراء، الآيات ١٧٦ – ١٨٩.

(٢) السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٤٧٥. والرس اسم بئر لهم، وقيل بل إنهم رسوا نبيهم في حفرة. انظر : الصابوني، مختصر تفسير الطبري، ج٢، ص ١١٢.

(٣) سورة الفرقان، الآية : ٣٨. ويستفاد من الآية القرآنية وجود فترة زمنية تقدر بمئات ==

وأنهم كانوا أصحاب حنظلة بن صفوان، وهو الذي أرسل إليهم. وقيل إن الرس هي أنطاكية وأن أهلها عبدوا شجر الصنوبر وغير ذلك[١].

والـرس بـلدة تقـع في غرب منطقة القصيم في المملكة العربية السعودية حديثًا، وقيل إنه ليس الموقع المذكور في القرآن[٢].

ولـم يقتصـر النـبي شـعيب (عليه السلام) على الدعوة داخل بلاد مدين، ودعوة أصـحاب الأيكـة فقط، بل قام بإرسال البعوث إلى مناطق بعيدة وأقوام أخرى. فأرسـل شخصًـا يقـوم بالدعوة وينشرها. يسمى هذا الداعية حسان بن نيسان الأوزاعـي ووجهـه إلى إفـريقيا. وكلفه بأداء الرسالة ونشر الدعوة بين أهلها وحثهم على عبادة الله وحده، والإيمان بدعوة الرسل إلى التوحيد. وقيل إن أهل إفريقيا كذبوا حسانًا هذا، وقتلوه[٣].

نوجز هنا خصائص المجتمع المدياني، الذي نشأ على النظام القبلي ثم استقر وتحضـر فأسـس المدن، وتطور نظامه إلى النظام الملكي. واعتمد على نظام سياسـي شـاع في حضارات الشرق الأدنى القديم، وهو : نظام دولة المدينة. ونسـتنتج مـن عـدد ملوك مدين في عصر موسى (عليه السلام) وقد ذكرتهم التوراة بأسمائهم الخمسة : أوى، وراقم، وصور، وحور، ورابع بأنه قام في مدين خمس

== السـنين فصـلت بين عهود عاد وثمود وأصحاب الرس. ويتضمن هذا الإشارة إلى أن أصحاب الرس متأخرون زمنيًا عن عاد وثمود ويتضمن تسلسل ورود أسماء هذه الأقوام في النص وجود تتابع زمني بينهم.

(١) رضا، تاريخ الإنسانية، ص ص ٧٣ – ٧٤.

(٢) الرشيد، عبدالله بن محمد ، **الرس**. هذه بلادنا (١١)ـ ط٢ـ الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٨.

(٣) الهمدانـي ، الإكـليل، ج٨، ص ١٣٤. ونذكـر هجـرة الأميرة أليسا وزوجها الكاهن أشرباص وحزبهما المهزوم في مدينة صور. ويعد الفينيقيون من أوائل من هاجر إلى شمال إفريقيا من بلاد الشام (كنعان) منذ القرن ١١ ق.م. وأستوطنوا في (أوتيكا)، وفي ليكسوس (العرائس)، ثم أسسوا مدينة قرطاجة عام ٨١٤ ق.م. وكانت الدوافع اقتصادية (للتجارة) وصراعات سياسية. ولكن هنا نجد شعيبًا يرسل بعثة دينية لها أسبقية زمنية. انظر :

Harden, D. "**The Phoenicians**", Penguin Book, 1972. p. 60 ff.

دول في خمس مدن باعتبار أن كل ملك حكم مدينة مستقلاً بحكمها على أقل تقدير. ويحتمل أن تكون دول المدن هذه تقع في شبه جزيرة سيناء فقط. فيما عدا المناطق المديانية الأخرى، خاصة وأن إخوة مدين أي أبناء إبراهيم الخليل (عليه السلام) من زوجه قطورة قد انتشروا في المنطقة كلها، بل توغلوا داخل بلاد العرب وكذلك أبناء مدين انتشروا في شمال بلاد العرب، وفي شبه جزيرة سيناء. مما يفتح المجال لافتراض وجود ممالك دويلات مدن أخرى في شبه جزيرة العرب. وذكرت التوراة أيضًا اسم ملكين هما زبح وصلمناع، وأميرين هما : غريب وذئب. ظهروا بعد عصر النبي موسى (عليه السلام) بحوالي ثلاثة قرون. يضاف إليهم ملوك آخرون ذكرناهم بأسمائهم أيضًا. ومما يدعم افتراض قيام دويلات مدن عديدة في مدين أنهم استمروا في منطقتهم حقبة زمنية طويلة. وأنهم كانوا أهل تجارة، والنشاط التجاري يؤدي إلى التوسع السياسي والانتشار وأننا تعرفنا على دورهم التجاري أولاً وقبل أي شيء آخر فكان التاجر «مالك» أول شخصية مديانية عرفناها. وسمعنا عن قوافلهم التجارية منذ حادثة النبي يوسف (عليه السلام)، قال تعالى : ﴿ ... يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ... ﴾[1] وشرح مفسرو القرآن أن السيارة هم : تجار مدين. ثم ظهر النبي شعيب (عليه السلام)، الذي أرسله الله لدعوة أهل مدين إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وللقيام بإصلاح اجتماعي واقتصادي لتصحيح عقيدتهم، وتقويم انحرافهم.

لقد كان لهذا المجتمع المدياني أهميته التاريخية والحضارية في مجال الدعوة الدينية، وعلى الصعيد المحلي الخاص بهم، وعلى الصعيد العربي عامة، وعلى الصعيد الخارجي بصورة بارزة ومهمة. تمثلت في علاقة المصاهرة بين أهل مدين والنبي موسى (عليه السلام) بزواجه من امرأة مديانية (صفورة) ثم ما تلا ذلك من أحداث وعلاقات لها أهمية كبيرة في مجال العلاقات. وأثرت على الدور التاريخي أيضًا.

---

(١) سورة يوسف، الآية : ١٠.

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

أ - الثروات الطبيعية في أرض مدين.

ب - التعدين والمواد المصنعة.

ج - دور أهل مدين في تجارة شبه الجزيرة العربية.

د - فعاليات أهل مدين في الزراعة والرعي.

أ ـ الثروات الطبيعية في أرض مدين

١ - رحلات استكشاف المنطقة :

ذكــر الباحث ج· بثريك J. Petherick موقع تمنع عام ١٨٦١م· ثم بعد ذلك في عام ١٩٠٢م قام الباحث أ· موسل A. Musil باكتشاف الموقع ذاته «تمنع» مرة أخــرى· ووصــفه كموقع مهم يوجد فيه معدن النحاس، ثم توالت الكتابات عن «تمــنع»· فذكــرها ف· فرانك F. Frank (سنة ١٩٣٤م) · وتحــدث عنهــا ن· جلوك N. Glueck (سنة ١٩٣٥م)·

ثــم جــاء ت بعــثة وادي عربة برئاسة ب· روثنبرج B. Rothenberg في عام ١٩٥٩م[1].

ويعد موقع تمنع (المنيعية – الموينعية) من أهم مواقع النحاس التي تم كشفها· والموقــع عبارة عن وادٍ يجري شمال خليج العقبة على بعد ٢٠-٣٠كم. والوادي هــو تكويــن شبه دائري، تقدر مساحته بحوالي ٧٠كم مربع· يتخذ مجراه باتجاه وادي عربة في الشمال· أما من الغرب والجنوب فتسده صخور الدولمايت Dolmite Cliffs والحجر الجيري Limestone وهي تضاريس مختلفة الارتفاع ، يتراوح ارتفاعها بين ٥٠٠ - ٧٠٠م·

ويقــع جــبل (هار تمنع) في قلب الوادي· ويبلغ ارتفاعه حوالي ٤٢٣م· ويــتكون الجــبل من صخور الجرانيت Granites التي تكونت من عصر ماقبل

---

(١) Rothenberg, B., "**Timna**", Valley of the Biblical Copper Mines, T&H. , Great Britain, 1972. pp. 20, .242.

مع ملاحظة أن اسم وادي المنيعية أو الموينعية يدل على المنعة أي الموقع الحصين الممتنع.

الكمــبري بألوان مختلفة من الأحمر والبني والأسود. كما يتميز بكثرة الأخاديد الصــغيرة والعديــدة، التي تقطع أطراف جبل تمنع . كما يوجد إلى جانب هذا الجــبل مجموعــة تلال من الحجر الجيري من العصر الحجري القديم. نحتتها عوامل التعرية ، فتآكلت أطرافها حتى بدت كأنها منحوتة بأشكال مشابهة لتمثال «أبو الهول» في مصر، أو على هيئة رجال أو وحوش. ويوجد بقربها عدد من الأعمدة، والمذابح التي يذكرها بعض الكتاب باسم«أعمدة سليمان». أما أحد تلك التكوينات الحجرية المثيرة فمن الحجر الأحمر.

وتجــري أربعة أودية أخرى من الغرب إلى الشرق من منحدرات تمنع إلى وادي عــربة. ثــم تنصرف إلى وادي تمنع أي تصب فيه. ويتسع وادي تمنع تدريجيًا، ليكون أرضًا منبسطة، أو مستديرة قرب وادي عربة.

وتوجد هناك أودية أخرى منها: وادي نمرا، ووادي أم غضاكUmm Ghadhak (وادي نحشــتان). وتقع مناجم نحاس تمنع في نهاية الطرف الشرقي لوادي أم غضــاك. وتكمــن مصـــادر معــدن نحاس تمنع الحديثة في الطبقة المعروفة جيولوجيا باسم «الأفق الأبيض الوسيط» Middle White Horizon. كما توجد العقد الــزرقاء والــرمادية مــن معدن اللازورد Azurite والملاكايت Malachite والتي تحتوي على ٣٧٪ نحاس وتوجد فلزاته بوفرة هناك(١).

استمر إنتاج المعدن في وادي تمنع، وما حوله لفترة حوالي ست آلاف سنة. وتعود بدايته إلى أواخر العصر الكالكوليثي أي في الألف الرابعة ق.م. ولكنها كــانت عــلى فــترات متقطعة؛ أي ليس هنالك إنتاج متواصل، فقد توقف إنتاج الــنحاس لفــترات ولكن ذلك لم يمنع الاستمرار. ثم استؤنف الإنتاج في عصر الــبرونز الحديث، وتعرض للتوقف أيضًا. ثم استؤنف الإنتاج في عصر الحديد

---

(١) تذكر هذه الجبال المنحوتة بجبال منطقة مدين من حيث التشابه مع الأشكال الحيوانية.
Rothenberg, Timna, pp. 18 - 20 .

الأول (القــرن الــثاني عشــر ق٠م٠) وبعد توقف وانحطاط طويل الأمد، أعيد اســتخراج الــنحاس خــلال العصر الروماني، واستمر ذلك حتى القرن الثاني الميلادي، وبالمثل استخرج النحاس خلال العصر البيزنطي واستمر إلى العصر العربي - الإسلامي [١].

وأنتجت في تمنع نوعية جيدة من النحاس، منذ العصر الكالكوليثي (الحجري - النحاســي) فــي الحقل والمشغل الذي أقيم قرب المناجم، لمعالجة المعدن بعد استخراجه٠ وأخيرًا، توضح جميع المناجم والتجهيزات ومعدات صناعة التعدين وأدواتها في فترة تاريخية وجود أربعة أدوار متميزة للتعدين تشمل :

١- تعدين النحاس ٢- صهره ٣- صبه ٤- تعدين الحديد٠

وتظهــر أرض مدين في الرواية التوراتية، وفي الأدب العربي كمركز من مراكــز اســتخراج المعادن٠ وبدأ تصنيعها منذ أقدم العصور التاريخية، وعلى أيــدي أهــل الحضارات القديمة من مصريين، وفينيقيين، ومديانيين، ثم رومان وأنباط وعرب٠ وقد استمر استغلال ثروات المنطقة على مدى ألفي سنة٠ وفي حوالــي نهايــة الألف الثانية ق٠م٠ غنم قوم النبي موسى (عليه السلام) من أهل مدين غــنائم كثيرة ومتنوعة شملت الأسرى والثروة ومعادن عديدة من ذهب وفضة، ونحاس وحديد، وقصدير ورصاص، ومواش وغير ذلك٠

ذكــرت بردية هاريس Harris أن رمسيس الثالث (١١٩٢- ١١٦٠ق٠م٠) أرســل بعــثة لجلب المعادن، فأخذوا الذهب من أرض أثاكا Athaka ويقصد بها المــنطقة التي ستعرف باسم العقبة Akabah بينما حصلوا من التنقيبات في سيناء عــلى المفكــات Mafkat؛ أي معــدن الــنحاس الأخضر، وقيل إنه الفيروز Turquoise ولذلك يطلق على سيناء اسم أرض مفكا Mafka، أو مفكات Mafkat كمــا ورد في النقوش المصرية؛ ولذا قال الجغرافي اليوناني ديونسيوس أفروس

(١) Rothenberg, Timna, p. 21.

Dionysius Aphrus مـــن عهد أغسطس (٢٧ ق٠م٠ – ١٤م) « إن الذهب موجود فـــي جـــبال مدين والفضة في الأنهار». وإن جنح الخيال بهذه المقولة ولكن لها دلالة على ثراء أرض مدين بالمعادن وخاصة في سيناء[١].

وقـــام ر. بيـــرتون برحلات عديدة فكتب الكثير عن أرض مدين ومعادنها وعـــلى الأخـــص ذهبها[٢]، وقد ورد في التوراة مايلي: «أرض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاسًا»[٣].

٢- المعادن :

اشـــتهرت مـــنطقة تمنع كموقع مهم تتوافر فيه مناجم النحاس٠ ويستخرج المعـــدن مـــن مناجمها للاستثمار٠ ولم يكن النحاس المعدن الوحيد الموجود في المـــنطقة، بـــل إن مـــنطقة مدين المجاورة لتمنع، والمتصلة بها؛ كانت أرضها تحـــوي العديد من الثروات الطبيعية الأخرى٠ وقد عمل القدماء على استخراج المعـــادن مـــن باطن الأرض، وإنتاجها سواء بصورة خامات طبيعية، أو مواد مصـــنعة. وجاء في التوراة أن بني إسرائيل غنموا من أهل مدين في أول حرب نشـــبت بينهم بعد الخروج من مصر بقيادة النبي موسى (ﷺ) ما يلي: «الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص كل مايدخل النار تجيزونه في النار فيكون طاهرًا»[٤].

قـــام فـــي غرب وادي عربة تعدين النحاس في عهد الملك سليمان (حوالي ٩٦٠ق٠م.) بالاعـــتماد عـــلى توافـــر المعدن الخام بكميات مشجعة. وإن كان

---

(١) Burton, R., " Remains of Buildings In Midian", **Transactions of The Royal Institute of British Architects**, G. B. 1878, vol. 3, pp. 62, 83.

عـــدد ، ٣١ : ٢٢ ؛ مباشر، عبده، وإسلام توفيق، "**سيناء الموقع والتاريخ**"ـــ القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٧١ .

(٢) Burton, R. **The Gold Mines of Midian**, Oleander G.B. , 1979, p. 122.

(٣) سفر التثنية ، ٨ : ٩ .

(٤) عدد ، ٣١ : ٢٢ .

مختلطًا أو مشوبًا بمعادن أخرى، ولكن نسبة النحاس جيدة، فمثلاً قطعة من كبريتيد المعدن الخام من إحدى العقد أو العجر Nodules عند فحصها بالمجهر اتضح منها أن كبريتيد النحاس أبيض. والملاكايت بلون رمادي فاتح. والهيماتيت رمادي أغمق وهنالك حبيبات مستديرة غامقة هي الكوارتز الخالص. وقطعة من هذا النوع تعطي تقريبًا حوالي ٤٠ - ٥٠٪ من النحاس. وأظهرت قطعة أخرى أن نواة البيرايت أي كبريتيد الحديد بيضاء في المركز ومحاطة بطوق من الهيماتيت الأحمر أي أكسيد الحديد ورمادي غامق، ومحاطة مرة أخرى بمواد رمادية فاتحة، وهي كبريتيد النحاس. والحبيبات السوداء المحيطة بكبريتيد النحاس هي الكوارتز وملاكايت، وهيماتيت. ويحتوي كبريتيد النحاس على ٨٠٪ تقريبًا من النحاس. ولكن العقد مشوبة بالسليكا (السليكون) وفي بعض الحالات مشوبة بالحديد، وقد استفادوا من هذه السليكا في تلك الفترة إضافة إلى وجود معادن أخرى أهمها الذهب [١].

ويمثل غرب وادي عربة امتدادًا لوادي تمنع وأرض مدين. ويدل استمرار إنتاج النحاس في مطلع الألف الأولى ق.م. أي في عهد الملك سليمان، دلالة واضحة على ثراء هذه المناطق وتوافر المعادن فيها. ويعني ذلك أن التعدين موجود ولابد أن هذا الموقع الموجود غرب وادي عربة كان مستثمرًا باكرًا وقبل عهد الملك سليمان. فلا يعقل أن يكون استخراج المعدن قد بدأ في هذه الفترة فقط.

وعرفت أرض مدين وما يليها شمال وادي الحمض بوجود التبر، واستخراج النحاس منذ ماقبل الميلاد. وقد عثر على آثار عمليات التعدين، وبقايا المناجم، أي أن المعدن الأكثر انتشارا في المنطقة هو النحاس، وقد يوجد في كل مواقع المنطقة. أما المعادن الأخرى مثل الذهب والفضة، والحديد فقد توجد مع النحاس في منطقة دون أخرى، وقد تكون منفردة في منطقة ما.

---

(١) Mcleod, B., "The Metallurgey of King Solomons Copper Smelters.", **Palestine Exploration Quarterly (PEQ)** Jerusalem, 1962. vol. 94. pp. 68-69.

وكــان الدليــل عــلى توافر المعادن بصورة جيدة أن الناس يعثرون على الأحجــار الــتي تحوي عروق المعدن ظاهرة فوق سطح الأرض أثناء تجوالهم وارتحــالهم. ومما شجع بيرتون على القيام برحلاته إلى مدين أن أحد أصدقائه المصــريين في الوكالة أخبره بعثوره على حجر يحتوي على عروق الذهب في أرض مدين أثناء عودته من الحج(١).

ويتوافر النحاس في شبه جزيرة سيناء بكثرة بالإضافة إلى أحجار الفيروز. ويحــتمل أن مناجم سرابيت الخادم في سيناء بدأ استغلالها أو اكتشافها في فترة باكرة ولم تبدأ فقط في عهد الفرعون سنوسرت الأول (١٩٧٢- ١٩٢٨ ق.م. مــن الأسرة ١٢). والأجدر أن العمل بدأ بها قبل عهده بفترة طويلة، ولكن في عهــده عظم نشاط حملات التعدين وتطور استغلال المناجم في عهد سنوسرت إلى مشاريع اقتصادية كبيرة وناجحة مما أعطى المنطقة أهمية بارزة، فأنشأ بها معــبدًا كبيرًا للإلهة حتحور Hathor (٢) وقد استهدف الفرعون من إنشاء المعبد إرضاء فئات العمال المقيمين في مناطق نائية من جهة ولإضفاء البركة والقداسة على منطقة المناجم ولحمايتها من جهة أخرى.

ثــم تــوالى الاهــتمام المصري بسيناء وثروات مناجمها وخاصة في عهد الرعامســة وهــذا دفــع رمسيس الثاني (١٢٩٠- ١٢٢٣ ق.م.) إلى الاقتداء بسياســة أبيــه في استغلال مناجم الصحراء. فقام في السنة الرابعة من حكمه بزيارة إلى مناطق نفوذه في آسيا مرورًا بسيناء (٣).

---

(١) Bidwell, R., "Travellers in Arabia, London" , 1976, p. 72.

أي أن صــديق بيرتون عثر على "الحجر المذكور" حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي في العصر الحديث.

(٢) فخري، أحمد، وآخرون، "موسوعة سيناء"، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٢م، ص ١٠٣.

(٣) فخري : مصر الفرعونية ، ص ٣٤٥ .

ونستنتج من نص التوراة السابق[١] أن غنائم بني إسرائيل من أهل مدين شملت معادن مختلفة أهمها الذهب والفضة وهما من أثمن المعادن وأغلاها. كما شملت النحاس والحديد وهما معدنان ضروريان لصناعة الأدوات، والمعدات قديمًا وحديثًا، سواء كانت أدوات سلم أو حرب أو أدوات الاستعمال اليومي في المنزل، أو في الحقل أو في الحرب. ويذكر النص أخيرًا القصدير والرصاص، وهما من المعادن المهمة والضرورية أيضًا. ومن الثروات الأخرى الموجودة في منطقة مدين أيضًا بعض الأحجار مثل المرو الأسود (الكوارتز الأسود Negro- Or - Black Quartz)، وتوجد عروق المرو في الجرانيت الرمادي والصخر الصواني: (النايس Gneiss)، والملح الصخري والكبريت. إضافة إلى بعض الأحجار الكريمة مثل العقيق الأبيض Chalcedony، والعقيق الملون «اليشب» Agate[٢].

ولكن ما لم يمكن الجزم فيه هل كانت تلك المعادن المذكورة في نص التوراة كلها من إنتاج مناجم أهل مدين؟ وهل كانت بصورة المعدن الخام أم مواد مصنعة ؟

وقد أوضحنا أن أرض مدين تمتد إلى شبه جزيرة سيناء، مما يجعلنا نستنتج أن أهل مدين قد عملوا في استخراج النحاس من مناجمه في أرض سيناء أيضًا، خاصة بعد قيام الشراكة المصرية المديانية في المناجم وعمليات التعدين. كما يبدو أنهم عرفوا الحجر الكريم المتوافر في سيناء أي حجر الفيروز. ولابد أنهم أسهموا في عمليات استخراجه أيضًا.

وقام ر. بيرتون R. Burton برحلاته للبحث عن « مناجم الذهب » في أرض مدين خاصة في منطقة شمال الحجاز لشهرة أهل مدين بتلك المناجم، وذلك

---

(١) انظر: هذا الكتاب، ص ١٧١.

(٢) بعلبكي، منير. المورد. بيروت. ١٩٨٥م، ص ٣٩٢ عن النايس Gneiss الصخر الصواني.

Burton , The Land of Midian , vol, 2. pp. 236 - 7 , 242.

الذهب الوفير الذي ذكرته التوراة، وغنمه بنو إسرائيل منهم٠ وزعم بيرتون أنه عاد بتراب الذهب وهو التبر فأراه للخديوي٠٠[١] ونحسب أن زعمه صحيح لأن عوامل التعرية والتآكل تفتت عروق الذهب فيصبح تبرا أي غبار الذهب Gold Dust٠ ولكن الباحثة أ٠ مونرو E. Monrow رأت أن « بيرتون » كتب فقط عن مناجم ذهب مدين إلا أنه لم يجدها قط[٢]٠

واستمر إنتاج النحاس وخاصة في شبه جزيرة سيناء إلى فترات متأخرة كما أشرنا إليه٠ واتجه البطالمة إلى احتكار النحاس بعد أن استولوا على جزيرة قبرص في العصر البطلمي٠ فاحتكروا نحاسها لوفرته في مناجمها الغنية٠ حتى أن قبرص لم تخش منافسة أسبانيا لها٠ لكن البطالمة لم يتجهوا إلى نحاس سيناء، أو بلاد العرب قط، لأنه انتقل إلى أيدي الأنباط تدريجيًا[٣]٠

ويثبت استمرار إنتاج النحاس على مدى ٦٠٠٠ سنة وإن كانت غير متواصلة وتتخللها فترات انقطاع وتوقف إلا أنها مستمرة٠ مما يعطينا فكرة واضحة عن غنى مناجم شمال غرب شبه جزيرة العرب ومناجم شبه جزيرة سيناء ويثبت الحقائق التالية :

أولاً – إن النحاس أكثر المعادن توافرًا في المنطقة٠

ثانيًا – يلي النحاس معدنا الذهب والفضة٠

ثالثًا – توافر أحجار كريمة منها الفيروز وغيره٠

رابعًا– وجود معادن أخرى حديد ورصاص٠

خامسًا– توافر أحجار متنوعة مثل الكوارتز والصوان والجرانيت٠

---

(١) Burton , R. , "Remains of Buildings In Midian" , **Transactions of the Royal Institute of British Architects**, London, 1878, vol. 3, pp.66, 83; "Midian and the Midianites", **Journal of the Society of Arts**, London, 1868, vol. 27- 29, p. 25.

(٢) مونرو، إليزابيث، "الجزيرة العربية بين البخور والبترول"، **مجلة الدارة**.ـ الرياض، ١٣٩٦هـ ، ١٩٨٦م، العدد الأول ، ص ٤١ .

(٣) تارن، و. و، **الحضارة الهيلنستية**؛ تر٠ عبدالعزيز جاويد؛ راجعه زكي علي.ـ القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٢٦٧ .

٣- بعض مواقع التعدين :

يطلق الكُتّاب العرب على مواقع وجود المعادن أسماء مقرونة بكلمة معدن. ومن أبرزهم ياقوت الحموي، والهمداني، والأصفهاني، وغيرهم. فنجد العديد من أسماء المواقع على تلك الصيغة فمثلاً يرد ذكر معدن النقرة، ومعدن بني سليم، ومعدن الأحسن أو الحسن.

كما نجد أن الكثير من تلك المواقع توجد في شمال غرب شبه الجزيرة العربية. فمثلاً : معدن بني سليم وهو معدن فران كان من أعمال المدينة المنورة[١]. وقيل بأنه هو مهد الذهب[٢]. وشهرة مهد الذهب ذائعة لارتباطه بأسطول أوفير الذي كان يجوب البحر الأحمر لنقل ذهب أوفير Ophir [٣] ويوجد هناك معدن الحُراضة بين الحوراء، وشغب وبدا وهنالك ماء الحراضة أيضًا[٤].

أما في تمنع (المنيعية) فقد عثر على سبعة مخيمات أو سبعة مواقع لصهر المعادن مع أكوام من خبث المعدن. ويتوافر المعدن أيضًا في موقع وادي عمراني، وموقع آخر يعرف باسم«الأفق الأبيض الوسيط». وقد تم الكشف عن المخيمات السبعة في رحلة ن. جلوك، وكتب تقريرًا عنها. وعثر على موقع وادي عمراني عام ١٩٦١م بواسطة بعثة وادي عربة، التي بدأت تنقيباتها منذ عام ١٩٥٩م. وبفضل الأحجار الرملية في منطقة «الأفق الأبيض الوسيط» أمكن التعرف على ثلاث مراحل مختلفة لتقنية التعدين في المنطقة. وتتمثل شواهد التعدين المتعددة في جدران ورشة الصب، بالإضافة إلى التقنية المحجرية Mining Technology [٥].

---

(١) الحموي: **معجم**، ج ٥ ، ص ١٥٤ ، الأصفهاني، الحسن بن عبدالله. "بلاد العرب"؛ تح. حمد الجاسر، صالح العلي.ـ ط١، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م، ص ص ٥١ ، ١٢٩ ، ٢٤٤ .
Rothenberg, Timna, p. 20.

(٢) الأصفهاني، **بلاد العرب**، ص ص ١٤٨، ١٧٤، ١٧٩ .

(٣) وتعني أوفير « الأرض الحمراء » Burton, The land of Midian, vol. 2, p. 239.

(٤) البكري، **معجم** ، ج٣ ، ص ١٠٣٨.

(٥) Rothenberg , Timna , p. 21.

ويـرجح أن مـن خصـائص شـمال مدين إنتاج معدن الفضة، ومعدن النحاس. أما جنوب مدين فهو خاص باستخراج الذهب والفضة أساسًا. وقد ذكـر جغـرافيو العصور الوسطى من العرب كلا المعدنين. ولاحظت بعثة بيـرتون أشياء صغيرة براقة (كالترتر) من الذهب، في ميكة الشست معرقة فـي الكوارتـز، وفـي الكلس الذي هو جزء من جرانيت الصخر الصواني (النايس) Gniess والمرو الأسود (الكوارتز) Black Quartz ، الذي يحتوي على الفضـة. وهـو متوافر في كل مكان قرب خرائب البدع كأعواد مشظاة من المـرو. ويظهـر فـي كل شظية قطع صغيرة من القصدير. كما أن الملح الصخري متوافر جدًا. وتبرز تلال الكبريت من السهل الساحلي شمال وادي الحمض [١].

أمـا المعثورات الفخارية والمصنوعات الأخرى ونحوها التي وجدت قرب المـناجم فقد ساعدت كثيرًا في تحديد الفترات التاريخية للمناجم وتقنيتها. فمثلاً الأدوات الصـوانية الخشنة تعود إلى فترة ماقبل التاريخ. ويعود بعض الفخار إلى عصـر الحديـد. وهنالك كسر فخارية رومانية، وعربية إسلامية، وكسر مديانية موجودة قرب مواقع التعدين [٢].

أثـارت مناجم نحاس تمنع القديمة ووادي عمراني عدة إشكالات. إضافة إلى أن المعثورات من فترات مختلفة، مما أثار الخلافات، فقد ظهر فخار كثير أيضًا، وكان أغلبه حديثًا. ولعدم كفاية المواد المناسبة للمقارنة، أصبح من الصعب تحديد الفـترة الزمنية أي التاريخ الدقيق للموقع واستعمالاته. وكذلك الأمر كان بالنسبة لـلفخار الخشن، الذي عثر عليه في مخيمات الصهر. ولاننسى الأدوات الحجرية الـتي أشـرنا إليهـا، وأنهـا مـن فترات ماقبل التاريخ. ومن أبرز المشكلات؛ موقـع«مناجم الملك سليمان» والتي حدد تاريخها العام بين القرون ١٠- ٦ق.م.

---

(١) Burton, The land of Midian., vol. 2, p. 145.

(٢)

وقد يكون هذا التاريخ مناسبًا لمنجم وادي عربة[١]. ويحتمل أن تكون تسمية «مناجم الملك سليمان» غير دقيقة، مما يؤثر على تحديد فتراتها التاريخية.

ويستدل على وجود مواقع المناجم والتعرف عليها، مع ورش العمل (الصهر والصب) بوجود علامات بارزة، أهمها الخبث (جفاء المعدن)، وبقايا الفحم على أرض محترقة. وعثر على الخبث في بعض المواقع على شكل كتل دائرية كبيرة، تزن حوالي ٤٠ كجم. وكان أغلبها ذات ثقوب في الوسط. وتبدو بعض كتل الخبث أنها تكسرت إلى أجزاء عديدة. وتوجد عادة ملقاة فوق كومة خبث أخرى[٢].

وهنالك مواقع تعدين متعددة في وادي عربة، وفي شبه جزيرة سيناء، من أهمها منجم المعبد المصري المكرس لعبادة الإلهة حتحور Hathor وتعد شبه جزيرة سيناء من المواقع القديمة التي عرف التعدين فيها. وذلك لغنى أرضها بالمعادن المختلفة وأبرزها وأقدمها النحاس والحديد والمنجنيز، بالإضافة إلى استخراج الفيروز. وقد بدأ استغلال المصريين لمناجم النحاس من أقدم العصور. وثبت ذلك من نقوشهم وكتاباتهم العديدة. فقد وجدت المعادن بوفرة في أودية عديدة في سيناء ومنها: وادي مكتب، ووادي نصيب، ويوجد معدن النحاس بوفرة [٣]. وعثر على فرنين للصهر. وكان أغلب النحاس يأتي من سرابيت الخادم ووادي خريط.

وكان الفيروز يجلب من وادي أم ثمايم، ووادي المغارة الذي هو فرع من وادي قنية المتفرع من وادي أقنا. واهتم الفراعنة بالنحاس والفيروز، وحرصوا على استخدامه. أما المعادن الأخرى فلم يلتفتوا إليها ولم يمسوها. كان المصريون يصلون إلى سيناء برًا عبر الطرق البرية المعتادة والمعروفة لهم.

---

(١) Rothenberg , Timna, p. 21.

(٢) Rothenberg, Timna, pp. 69 - 70.

(٣) علما بأن مناجم النحاس في الجبل الأخضر (ماجان – عمان) قد استغلت منذ عصور باكرة أيضًا (الألف الثالثة ق.م.).

وكانوا يصلون عن طريق البحر أيضًا من ميناء (أبو زنيمة) إلى سرابيت الخادم ومن ميناء (أبو رديس) إلى وادي المغارة [١].

وكـان الحديد يوجد في سيناء أيضًا، ولكن المصريين لم يستخرجوه. وغدا اهـتمامهم منصـبًا عـلى الـنحاس والفيروز، ومع أن الحديد كان معروفًا منذ عصور قديمة مؤرخة منذ عصر ماقبل الأسرات في مصر أي حوالي منتصف الألـف الـرابعة ق.م، ولكن بموجب بعض النظريات القديمة قيل إن استعماله لصـناعة الأدوات كان نادرًا وبطيئًا. وهنالك نظرية مناقضة مفادها أن الحديد عرف من فترة متأخرة، ولكن استعماله في صناعة الأسلحة والأدوات كان مكثفًا وسـريع الانتشار. ونظرية أخيرة تؤيد اكتشاف الحديد منذ الألف الرابعة ق.م. ولكـن اسـتعماله فـي صناعة الأسلحة والأدوات كان بطيئًا فعلاً ونادرًا. وأن الحـثيين في آسيا الصغرى قد عملوا على احتكار الحديد. ولم يتمكن شعب من منافسـتهم. وبذلك الاحتكار الذي فرضه الحثيون كان الحديد محدود الانتشار. ولـم ينته احتكار الحديد إلا بسقوط الإمبراطورية الحثية حوالي ١٢٠٠ ق.م. فعـم اسـتعماله، وكـثرت الأسـلحة، والأدوات الحديدية، مثل أداة المحراث، والمنجل، والأسلحة عامة. وقد ثبت استعمال الحديد في فلسطين منذ القرن ١٢-١١ ق.م. بموجـب القـرائن التي عثر عليها في حفريات مقابر تل فرعة[٢]. وأثبـتت الشـواهد التوراتية ذلك حيث ورد فيها عن الفلسطينيين وخبرتهم في صـناعة أدوات الحديد للزراعة والحرب. وفي عهد داود انتشرت صناعته فقد ورد ذلـك فـي القرآن الكريم أيضًا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (١٠) [٣].

---

(١) مباشر، المرجع السابق، ص ص ١٧١- ١٧٧. وسبب تسمية سرابيت الخادم بهذا الاسم يعزى إلى كلمة «سربوت» ومعناها لدى أهل سيناء؛ الصخرة الكبيرة القائمة بنفسها وجمعها سرابيت، وأطـلقها أهـل سـيناء على هذا الجبل الأسود، كما يظن تشبيها بالخادم الأسود. انظر مباشر، المرجع نفسه، ص ١٧٩.

(٢) Albright, W. F., "**Archaeology of Palestine, London.**", 1951, p. 110.

(٣) سورة سبأ، الآية ، ١٠؛ صموئيل الأول، ١٣:١٩ - ٢١؛ ١٧ : ٧.

ومـن أهـم المواقـع الـتي تتوافر فيها المعادن مدينة المويلح، والعوجة (العوجـا)، وبرية قادش. وتوجد مناجم الذهب في هذه المواقع. وعثر فيها أيضًا عـلى أدوات حجرية مثل طواحين حجرية، ومطحنة يدوية. وهنالك موقع وادي مشـغل أبـا القـزاز. وقد استمر التعدين إلى عصور متأخرة، فاشتغل الأنباط بالتعدين في بعض مواقع المناجم بأرض النبط نفسها. والتي كانت تشمل المنطقة من لويكة كوما إلى البتراء، وفي تمنع أيضًا.

أمـا أقـدم موقع ذكر باعتباره مركز تجارة وزراعة وحرف يدوية أو تصنيع وتوجـد فيـه مـناجم معادن أيضًا فهو موقع معروف بعدة أسماء ، حيث دعاه الإغـريق « باديا » Badia [١]. وأطلق الرومان عليه اسم « بدنا » Badanatha وأما جغرافيو العرب في العصور الوسطى فقد دعوه باسم « بدا يعقوب » Bada Yakub .

وقـد يكـون هـذا الموقع ببساطة هو؛ مدينة البدع. ويظن أن اقتران اسم الموقـع باسم النبي يعقوب نتيجة زيارة قام بها إلى المنطقة سواء كان ذاهبًا أو آيـبًا مـن مصر، أو من سوريا. ولكن تجرد الاسم مرة أخرى من اسم يعقوب ونسي تمامًا وبقي معروفًا باسم البدع فقط[٢].

ويقـع مـنجم ذهـب قديـم قـرب موقع المروة وهو غني بحجر المرو (الكوارتـز)، وتوجـد مناجم ذهب أخرى بين المروة وبين ينبع. والمروة هي نفسها أبو المرو أو ذو المرو[٣].

ورغـم أن التنقيـبات القديمـة التي نشرتها حولية« صندوق الاستكشافات الفلسـطيني P.E.F.» عام ١٩٦٢م كانت محاولات سطحية لاقتراح تأريخ تعدين

---

(١) انظـر، ص ٦٢ مـن هـذا الكتاب، وذكر البكري اسم البديع أرض من فدك، انظر: معجم ما استعجم، ج١ ، ص ٢٣٢ .

Ptolemy, Op. Cit., vol. 1, p. 32.

(٢) Burton, Remains of Buildngs in Midian, vol. 3, p. 76.

(٣) Burton, The land of Midian, vol. 2, p. 234.

الـــنحاس وصناعته، إلا أن تنقيبات وحفريات أخرى جادة قامت بها بعثة وادي عربة عام ١٩٦٤م.

نجحت في تحديد تأريخ موقع تعدين في تمنع. وأطلقت على هذا الموقع اسم (مخيم رقم ٢) أو (مستوطنة رقم ٢) وحددت زمنه في عصر الحديد الأول.

وعـــثرت البعثة في عام ١٩٦٥م على موقع تعدين آخر أعطته اسم (مخيم رقم ٣٩)، ثم في عام ١٩٦٦م نقبت موقعًا آخر للصهر من العصر الكالكوليثي (الحجـــر والـــنحاس)، واستمرت عمليات الحفر والتنقيب إلى بداية حرب عام ١٩٦٧م.

ويوجـــد في سيناء من الفترة نفسها موقع بئر عرا. ويضاف إلى ذلك مخيم للصهر من العهد الروماني (رقم ٢٠٠) وآخر من العهد المملوكي [(١)].

واكتشـــفت بعثة وادي عربة في تمنع نفسها مناجم النحاس التي كانت ميدانًا للمشـــروع الفرعوني المصري من عهد الملوك الرعامسة. والذين ركزوا على مناجم النحاس في منطقة « الأفق الأبيض الوسيط ». وهذه المنطقة ذات أحجار رمـــلية نوبيـــة كربونية. وتوجد في وادي تمنع الرسوبي نفسه، ولكنها متقطعة ويتراوح ارتفاعها بين ١٠- ٣٠ مترًا وتقطعها أحجار نوبية حمراء، وامتدادات أوديـــة تمنع الأربعة. ويحتوي معظم هذا الأفق الأبيض الوسيط على عقد معدن الـــنحاس. ولاحـــظ عمـــال المناجم أن بعض الصخور أغنى بعقد المعدن من الأخرى، ولذلك فقد ركزوا جهودهم وأعمالهم تبعًا لهذه النتيجة.

وعـــثر على ثمانية مراكز لأعمال التعدين على طول عشرة كيلومترات، مـــن الأحجار الرملية البيضاء. واستثمروها من نهاية عصر البرونز الأخير إلى عصـــر الحديد الباكر أي بين القرنين ١٤- ١٢ ق.م. وأثبتت البعثة أن هـــذا الموقع هو ميدان الاستثمارات المصرية في عهد الرعامسة. وقد تعاون

---

(١) انظر الخريطة رقم (٧) Rothenberg , Timna , pp. 22- 23.

معهم في هذا المشروع القبائل المقيمة في وادي عربة وأبرزها أهل مدين والعمالقة [1].

وقد عثر على مناجم الصب المكشوفة وأحيانًا تكون حفرًا ضحلة لعقد معدن النحاس الكثيفة. وإضافة إلى ذلك فقد عثر على العديد من الأدوات الصوانية، والمطارق الحجرية من الجرانيت. وسندان الحداد والمدقات والسرج، ومجرشة من الحجر الرملي وبعض الفخار أيضًا.

وعثر على بعض التجاويف على شكل الطبق تحت سطح المنجم، يبلغ قطرها حوالي ٥ر١- ٢ متر، أطلق عليها اسم الأطباق. وتكون مملوءة بالرمل الأبيض، وبقربها عدد من أدوات السحق. وبناء عليه فتكون هذه المناطق مناسبة لسحق المعدن في المنجم، لتخليصه من الشوائب المعدنية قبل الصهر. ويوجد إلى جوار الأطباق بعض مبان حجرية بدائية.

وينتشر في كل منطقة مناجم ملوك الرعامسة أحواض أنبوبية يصل عمقها إلى ١٧ مترًا، ويتراوح قطرها بين ٧٠- ٩٠ سم. وقد حفرت هذه الأحواض الأنبوبية بأزميل معدني في الحجر الرملي في قاع الوادي أو في واجهة المنجم. واستعملت لتخزين مياه السيول. وظهر على فوهاتها آثار حبل ومواضع أقدام على الحائط نفسه. ربما نتجت عن عمليات سحب المياه المخزونة. وكذلك عمليات تنظيفها من الطمي المنجرف مع مياه السيول، وبلغ عدد الأحواض الأنبوبية في وادي تمنع مئتي (٢٠٠) حوض ولابد أن كمية كبيرة من المياه قد خزنت فيها أيضًا.

وقد وجد في أحد أحواض الموقع « رقم ٩» قناة على هيئة صدع أو شق حدث بفعل زلزال، كما يبدو، بلغ عمقها حوالي ١٧ مترا، ولكنها خالية من الطمي، وعلى فوهتها آثار حبل، وعلامات محفورة في الصخر. وخلف الحوض كتابة من سطر واحد بأحرف متآكلة لم تحل رموزها بعد[2].

---

(١) Rothenberg , Timna , P.63.

(٢) Rothenberg , Timna , p. 63.

وتســتمر عمليات التعدين في تمنع على مدى القرنين الثالث عشر والثاني عشــر ق٠م٠ وذلك من واقع الخلفية الأثرية للمنطقة، مما تطابق مع معطيات الرواية التوراتية التي تشير إلى توافر المعادن.

ويعــد موقع تل الخليفة، الموقع الأول المطابق لميناء عصيون جابر؛ وهو من مواقع التعدين أيضًا٠ وقد أثبت وجود الفخار المدياني في المواقع، ارتباطه بفعاليات التعدين المديانية. وأن الموقع معروف منذ عهد الخروج٠ ولكن رجال المــلك سليمان أسسوا فيه محطة « ترانزيت » لقوافلهم وبضائعهم ٠ أما إيلات فهــي عــلى مقربة منه ؛ وهي واحة معروفة، ومستعملة كمستوطنة دائمة على رأس خليج العقبة٠ وأحيانًا يستقر الرعاة فيها مؤقتًا[١].

٤- بعثات التعدين المصرية :

نشأت صلات تجارية وسياسية واجتماعية بين مصر وبلاد غرب آسيا، حيث جلــبت مصــر مــن فينيقيا ، خشب الأرز ، والفيروز Turquoise من شبه جزيرة ســيناء، منذ عهد الملك«عجا» من الأسرة الأولى (٣٢٠٠-٢٩٨٠ق٠م)[٢] وقيل كذلــك عن «سمرخت» من الأسرة الأولى نفسها؛ وهو صاحب النقش الكبير في وادي المغارة في سيناء٠ وقيل بل هو لزوسر من الأسرة الثالثة (٢٧٨٠- ٢٦٨٠ ق٠م) والأرجــح أنــه لزوســر، لأنه أرسل حملة لتأديب بدو سيناء، الذين قاموا بالتعرض للبعثة المصرية التي أرسلها لجلب الفيروز والنحاس[٣].

ويمــثل الفيروز حيوية الزرقة المائلة إلى الاخضرار؛ وهو من أهم وأثمن الأحجــار نصــف الكــريمة، التي حرص المصريون على اقتنائها وجلبها من

---

(١) Meshel, Z. , "On The Problem of Tell El-Kheleifeh, Elath and Ezoin - Geber", **Eretz Israel**, Jerusalem, 1975, vol. 12, p. 120.

(٢) Kitchen, K.A., "**Pharaoh Triumph, The Life and Times of Ramesses II**", Warminster England, 1982, p. 9.

صالح، عبدالعزيز، **الشرق الأدنى القديم**، مصر والعراق.ـــ القاهرة، ١٩٨٤م، ص ص ٩٣- ٩٤ .

(٣) مباشر ، المرجع السابق، ص ص ١٧٧ – ١٧٨ .

سيناء، بالإضافة إلى العقيق الأحمر Carnelain، الذي يشبه إحمرار الدم وحيويته. ويجلبونه من الصحراء الشرقية، وأخيرًا حجر اللازورد Lapis Lazuli . ويشبه لون زرقة السماء الصافية. ويجلبونه من خشباد « بأفغانستان » وهذا هو ثالوث الأحجار الكريمة التي يحرص المصريون عليها[1].

وواصل الفرعون سنفرو (٢٦٨٠- ٢٦٥٦ق.م.) من الأسرة الرابعة[2]، فأرسل بعثة إلى سيناء لجلب النحاس والفيروز، ولتأديب البدو، ولإتمام أعماله المهمة في تحصين الحدود وتأمينها.

تواصلت البعثات في عهد الأسرة الخامسة (٢٥٦٠- ٢٤٢٠ق.م.) للهدف نفسه، وفي عهد الأسرة السادسة (٢٤٢٠- ٢٢٨٠ق.م.) ذكر القائد « وني » في لوحته « لوحة وني » الحملة التي لم يحدد مكانها بالضبط. ولكن يظن أنها كانت إلى بلاد فلسطين عبر سيناء برًا وبحرًا أيضًا[3].

وقد تركت البعثات المصرية آثارًا كثيرة منها حصون ومعابد عليها نقوش، وبوابات، وفخاريات في مواقع التعدين في سيناء. كان من أهمها معبد حتحور Hathor الذي أسسه الفرعون سنوسرت الأول (١٩٧٢- ١٩٢٨ق.م.) من الأسرة الثانية عشرة في منطقة سرابيت الخادم، في سيناء. واستثمر مناجمها وحصل على معادنها[4].

واعتبروا الإلهة حتحور راعية وحامية للمناطق الصحراوية التي يستخرجون منها المعادن. ولكل من يشتغل فيها، ولها علاقة كبيرة بالمجوهرات

---

(١) ألدريد، سيريل، **مجوهرات الفراعنة**؛ ترجمة مختار السويفي؛ مراجعة أحمد قدري.ـ ط ١.ـ القاهرة، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م، ص ص ٧٢- ٧٣ .

(٢) Burton, The land of Midian, vol. 1, p. 114.

فخري، مصر الفرعونية، ص ص ١٨، ٩٩ .

(٣) مباشر، المرجع السابق، ص ١٧٨، فخري ، مصر الفرعونية، ص ١٨ ، ٩٩ .

(٤) فخري ، مصر الفرعونية ، ص ص ٢٢، ٢١٧. فخري: موسوعة سيناء، ص ١٠٣ .

وكذلــك الأمر بالنسبة لكاهنات حتحور، حيث كن يتزين بعقود جميلة دائمًا [1].
وتحمل حتحور عدة ألقاب منها: « سيدة بلاد بونت » و« سيدة جبيل » و« سيدة كــوش» و« ســيدة دنــدرا»، وباعتبار أن لها دورًا كمعبودة للأراضي البعيدة. وترتــبط هــذه الإلهــة بالأحجــار الكريمة دائمًا وخاصة الفيروز فهي «سيدة الفيــروز» "Lady of The Turquoise" و« ســيدة اللازورد» " Lady of Lapis lazuli" و«ســيدة الجمشــت» "Lady of the Amethyst". [2] وتعد حتحور ربة الحــب والجمــال لتشابه بعض خصائصها مع خصائص فينوس. وتصور على هيئة بقرة أو إمرأة لها أذنا بقرة أو قرنان وبينهما قرص الشمس. ويعني اسمها بيــت أو مقــر « حور» أي « حورس » ولازال اسم حتحور محفوظا في اسم الشهر «هاتور» في السنة القبطية[3].

وواصــل فراعنة الأسرة الثانية عشرة مشاريع التعدين فمثلا وجه أمنمحات الــثالث أكــثر من عشرين بعثة إلى سيناء، لاستغلال كنوزها. وعثر على عدة نقوش من عهد أمنمحات الرابع في سيناء أيضًا.

وفــي عهــد الأســرة الثامنة عشرة (١٥٧٠- ١٣٠٤ق.م.) تلقت مصر ضربات وهزائم على يد ملك خيتا مما شغلها عن مشاريع التعدين. ولكن الملكة حتشبسوت (١٤٩٠- ١٤٦٩ق.م.) أعادت فتح المناجم في سرابيت الخادم في سيناء وعثر على فخار ملون يحمل اسمها واسم تحوتمس الثالث [4].

ثــم قام الفرعون سيتي الأول (١٣٠٣- ١٢٩٠ق.م.) من الأسرة التاسعة عشرة بعد هزيمته لبدو سيناء وجنوب فلسطين (الشاسو)، ووجه اهتمامه لمناجم

---

(١) الدريد، المرجع السابق، ص ص ٨٣ – ٨٤ .

Kitchen, Op. Cit., p. 46.

(٢) Givon, R. , "Lady of the Turquoise" Hathor At Serabit El- khadim and Timna", Eretz - Israel, Jerusalem, 1975, vol. 12. p. 118.

(٣) الدريد، المرجع السابق، ص ص ٨٣ – ٨٤ .

(٤) مباشر، المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

الذهب بصفة خاصة٠ دلتنا على ذلك بردية مناجم الذهب من عهده؛ وهي أقدم وثيقة جغرافية في التاريخ؛ لأنها وصفت الطريق إلى مناجم الصحراء، والآبار التي أسسها على الطريق ومنها بيروادي عباد، ومعبد الرديسية الذي أسسه هنالك أيضًا.

ثم تبعه ابنه رمسيس الثاني (١٢٩٠- ١٢٢٣ ق٠م٠) في استغلال مناجم الصحراء بعد قيامه بزيارة أملاكه في غرب آسيا، وشن رمسيس معركة قادش في السنة الخامسة من حكمه أي حوالي ١٢٨٥ق٠م٠ فعبرت جيوشه سيناء إلى بلاد الشام (١).

ذكرنا أن مشاريع التعدين المصرية في سيناء قد بدأت منذ العصر الكالكوليثي٠ واستمرت خلال عصور الحديد٠ وفي عهد اليونان والرومان، والأنباط أيضًا، بل دامت إلى العصور الإسلامية٠ وإن تخللتها فترات انقطاع وتوقف، ولكن لاتلبث أن تبدأ مرة أخرى وتستمر٠ وبلغ التعدين أوج نشاطه كما حدث في عصر الحديد أي فترة حكم الرعامسة من القرن الرابع عشر إلى القرن الثاني عشر والحادي عشر ق٠م٠

وأثبتت بعثة حفريات وادي عربة ذلك؛ بل أثبتت أن المصريين لم يكونوا هم المستثمرين الوحيدين لثروات المنطقة، فقد كانت هناك شراكة أو تعاون مع القبائل المقيمة في سيناء٠ ومن أبرز تلك القبائل أهل مدين وقبيلة العمالقة٠ وعثرت البعثة على ثمانية مراكز تعدين في المنطقة٠ ومناجم خاصة بالرعامسة، بالإضافة إلى عشرة مخيمات أو مستوطنات تعدين من فترة الرعامسة أيضًا٠ ولكن ليس بالضرورة أن يكون تشغيلها أي تشغيل كل هذه المواقع كان قائما في الوقت نفسه أي أنها لم تكن متعاصرة(٢).

---

(١) فخري، مصر الفرعونية ، ص ص ٢٦ ، ٣٤٣ – ٣٤٦٠

(٢) Rothenberg , Timna , pp. 63 - 65.

وشــملت أعمال التعدين أنواعًا مختلفة من المعادن مثل النحاس، والذهب، والأحجار الكريمة؛ وأهمها الفيروز Turquoise [١] والذي كانت تطعَّم به الحلي، والكــثير مــن التماثيل والجعارين والقطع الأثرية الأخرى التي عثر عليها في مصر.

ويــرجح أن تعاون القبائل مثل أهل مدين والعمالقة قام على أساس أن هذه القــبائل تستوطن المنطقة فهم ملاك أرض ومنابع المياه أي الآبار ونحوها من مصــادر مائية. وربما أنهم شاركوا المصريين من هذا المنطلق بالاعتماد على هذه الأسس، وربما كانوا أيضًا مسهمين بمجهودهم الخاص كأدلاء للاستعانة بهم عــلى الوصــول إلى مواقــع المناجم مثلاً، ومساعدة القوافل القادمة بالعمال أو العائدة بالمعادن، المستخرجة بعد الحصول عليها. والأرجح أنهم كانوا مسهمين بالعمل في التعدين أيضًا، وجلب مواد التموين الغذائية.

٥- فعاليات التعدين المديانية :

ونــرد عــلى مــن يشــكك في تعاون أو إسهام أهل مدين في تعدين النحاس واستخراجه، بأن المعثورات الكثيرة العائدة لهم تؤكد وجودهم في المنطقة وإسهامهم، وتعــاونهم في العمل في مناجم النحاس، واستخراج المعدن وتصنيعه. وتثبت أنهم تعــاونوا مع المصريين في العمل المشترك في مناجم شبه جزيرة سيناء. والثابت أيضــا أن أهل مدين كان لهم باع طويل في استخراج الذهب واستخلاصه[٢]، وفي شغل المصوغات الذهبية بدليل استعمالها للزينة وثرائهم المعروف [٣].

عــثر على ثلاثة أنواع من الفخار في معبد تمنع ساعدت كثيرًا على تحديد تــأريخ مواقــع عديــدة في وسط صحراء النقب، وفي وادي عربة، وفي إدوم

---

(١) Kitchen, Op. Cit., p. 8.

(٢) دي جيبســيس، برينــتس، أحمــد كنساوي، بسيم ريحاني، "تقرير مبدئي عن مسح مناطق التعدين القديمة، شمال غرب الحجاز" **حولية أطلال**، ١٤٠٣هــ / ١٩٨٣م، عدد ٧، ص ٥٩.

(٣) انظر: ص ص ٢٦٤، ٥٦٢، ٥٧٦ من هذا الكتاب.

وخاصة في أرض مدين. وشملت هذه المواقع مستوطنات عديدة، عمل سكانها بالزراعة والاعتماد على مياه السيول الجارية، والمياه الجوفية، في الوديان للري. وتوجد في تلك المستوطنات حظائر مسورة، وقلاع صغيرة عرفت كمستوطنات إسرائيلية؛ ولكن فخارها يعود إلى عصر الحديد.

ودراسة مستوطنات النقب وتقنيتها الفريدة للري إضافة إلى ذلك دراسة فخارها، جعل سكان النقب ، مع قبائل العماليق، المذكورين في التوراة كسكان لجبال النقب منذ نهاية القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن ق.م. على الأقل في عداد القبائل المستقرة والمتحضرة. أما فخار النقب وما شابهه فيعود إلى أواخر القرن الرابع عشر ق.م،. وقد ظل مستعملاً لفترة طويلة جدًا بعد ذلك.

وإذا تتبعنا نمط صناعة النقب فنجد أنها لايمكن أن تكون حديثة أو مبتدعة في عصر بني إسرائيل فقط. لأنها قديمة جدًا ولم تظهر في أي مكان في مملكة يهوذا نفسها. وكانت صناعة بدائية جدًا في مبدأ أمرها. وأن جميع معثورات معبد تمنع تؤكد نظرية أقدمية المستوطنات الزراعية، وحصون التلال في وسط النقب. وأنها سابقة لزمن الاجتياح الإسرائيلي الفلسطيني وأنها موجودة كقرى عماليقية Amalakites ومحصنة إبان عهد خروج بني إسرائيل من مصر. وأنه بعد حروب بني إسرائيل مع قبيلتي عماليق ومدين قد احتلوا بعض تلك المستوطنات، والحصون. وكانت توجد بعض مواقع صهر النحاس الصغيرة، مع فخار النقب على طول الطرق والممرات المؤدية من تمنع خلال جبال النقب جنوبًا. وكمثال على ذلك موقع التعدين « رقم ٢٢٩» الذي يحوي معدن النحاس ومستوطنة لعمال الصهر(١).

إذن قام الاعتماد الأساس في تحديد التسلسل الزمني على الفخار. وخاصة الفخار المدياني المزخرف الذي عثر عليه في تمنع. وقد عثر عليه سابقًا في

(١) Rothenberg, Timna, pp. 180 - 182.

مواقـــع الصـهر في غرب وادي عربة ، وفي جزيرة فرعون في البحر الأحمر. وقد أطلق ن • جلوك N. Glueck على بعض هذا الفخار اسم « الأوعية الإدومية» وأرخــه بين القرنين ٨-٦ ق•م [١]• ولكن بعد ظهور الوثائق الدقيقة أطلق على فخـــار تمنع اسم «الأوعية المديانية» وأرخت بين القرنين ١٤ - ١٢ ق•م• وعثر عـلى الشاهـد الآخــر لهـذه الأوعيــة المديانية في شمـــال غـــرب الجــزيرة العربية «شمال الحجاز» في منطقة مدين• وأكد ظهور فرن فخار قرية الذي ذكره ب• بار P. Parr ، أنَّ هذا الفخار منتج عمليًا في قرية، أي أنه منتج محلي [٢]• ثم ظهــرت الأوانـــي الفخارية المزخرفة في بلدة كاف، بل إن بعضها كان أبكر من أوانـــي تمـــنع• واكتشـــاف فخار تمنع ونسبته إلى الأوعية المديانية يحدد الفترة الـــتاريخية الواضـــحة لمـــدن مدين القديمة، حيثما وجد هذا الفخار أي «الأوعية المديانية»، وبذلك لانشك مطلقًا في أن المديانيين قد عملوا أي اشتغلوا، بل عاشوا فـــي تمـــنع وأسهموا فعلا في التعدين، ولكن يفترض أن العماليق كانوا أسبق من المديـــانيين في الإسهام في مشاريع التعدين المصرية، واستثمار النحاس، ثم شارك أهـــل مديـــن في العمل مع المصريين• بدليل وجود بعض الاختلافات بين المواقع مثلاً: موقعي التعدين «رقم ٣٠ ورقم ٣٤» مقابل المعبد، حيث يخلو «الموقع ٣٠» من الفخار المدياني مع أن عمليات التعدين بدأت فيه منذ القرن الخامس عشر ق•م• وقام بها عمال مصريون في بير نصيب في سيناء [٣].

ويوجـــد القليل جدًا من الفخار المدياني في موقع التعدين « رقم ٣٤»؛ ولكن توجـــد كمية ضخمة من أواني الفخار المدياني في المواقع غير المسورة في تمنع

---

(١) Glueck , N. , "Some Edomite Pottery From Tell El - Kheleifeh" , **BASOR**, Baghdad, 1967, No. 188 , p. 10.

(٢) Parr, p., G. Harding, and J. Dayton, "Preliminary Survey In N.W. Arabia", 1968. BIA. , London, 1970, vol. 8- 9, p. 40.
Rothenberg, Timna, p. 182.

(٣) انظر: الخريطة رقم (٧) من هذا الكتاب.

وفي موقع التعدين « رقم ٢»، حيث ظهرت من البداية تمامًا في كل سويات موقع الصـــهر. وقـــد دلتنا المواقع غير المسورة على وقوع منازعات، وخصومات في وادي المغرة أو « المغارة » في بداية أمر التعدين بين المصريين والقبائل المقيمة فـــي المنطقة. وبعد ارتداد وانهزام المصريين توصلوا إلى اتفاقية عمل سلمي مع هـــذه القبائل السامية، بعد اتخاذ بعض التدابير الدفاعية. ثم أصبح العماليق وأهل مديـــن وغيرهما من السكان المحليين شركاء في العمل في مشاريع التعدين وفي السكنى في المنطقة [١].

---

(١) انظر: الخريطة رقم (٧) من هذا الكتاب Rothenberg , Timna , pp. 182 - 183.

ب - التعدين والمواد المصنعة :

١- مقدمة عن التعدين في المنطقة :

اعتمد الإنسان القديم على الحجر في صنع أدواته اليومية التي استعملها في الصيد، أو في البيت، أو في الحقل للزراعة والفلاحة؛ بل استخدم الحجر لصناعة تماثيله وآلهته التي عبدها.

وبعد أن اكتشف المعادن أدخلها في صناعته وغير معظم أدواته فصنعها من تلك المعادن تدريجيًا وببطء شديد، وكان أول معدن مكتشف هو النحاس؛ الذي عرفه الإنسان منذ عصور ماقبل التاريخ والعصر الحجري - النحاسي. ولندرة معدني الذهب والفضة فقد استخدمهما الإنسان بحساب، واعتدال وخصصهما لصناعة الحلي، أو تطعيم التماثيل، أو تغشية الأواني فقط. وكذلك الأمر بالنسبة للحديد فقد صنعوا منه الحلي والقليل من الأدوات حتى عمّ انتشاره.

وكان النحاس من المعادن المتوافرة بكثرة في شبه جزيرة سيناء، وفي وادي عربة، وفي شمال غرب الجزيرة، وكان الذهب متوافرًا بصفة خاصة معه. وعثر على العديد من مناطق وجود الذهب ليس في شمال غرب شبه الجزيرة وحسب، بل في وسطها، وجنوبها. فقد عثر على مناجم كثيرة شمال وجنوب، وشرق المنجم المشهور المعروف باسم «مهد الذهب» الواقع إلى الشمال من الطائف. وتعود شهرته إلى احتمال ربطه بميناء أوفير المذكور في التوراة [١].

وكتب ر. بيرتون الكثير عن مناجم الذهب، ووفرتها في المنطقة الشمالية الغربية وشمال المويلح ولم يجدها[٢]. ولكن أثبتت الأبحاث وجودها فعلاً ، وهي تصحح خطأ م. نيبور M. Niebuhr عندما أشار إلى فقر شبه جزيرة العرب في الموارد المعدنية[٣]. وتنتشر المناجم حول ميناء ينبع، ومدينة حقل، وتبوك، والمدينة المنورة وفي أرض مدين

---

(١) انظر، الخريطة الجيولوجية للمعادن في الجزيرة العربية، رقم (٨) .
(٢) مونرو، المرجع السابق، ع١، ص ٤١.
(٣) دي جيسيس ، المرجع السابق، ع ٧، ص ٥٩ .

نفســها[١]. وقــد سجلت بعثة إدارة المتاحف والآثار في المملكة العربية السعودية تسعة وعشرين منجمًا للذهب، ومستوطنة للتعدين في شمال غرب الحجاز[٢].

٢- **المناجم :**

أشـــار ر· بيرتون R. Burton إلى كمية المعادن المختلفة التي أنتجتها أرض مديــن، أي شــمال الحجـــاز في شمال غرب شبه الجزيرة العربية؛ من ذهب، وفضـــة، ونحاس، وحديد، وقصدير، ورصاص· وقد غنم بنو إسرائيل من أهل مدين حلى ذهبية[٣].

وتستخرج هذه المعادن الثمينة من مناجم عديدة في المنطقة· فالمناجم وفيرة العــدد، والمحــتوى، ومتــنوعة الإنتاج في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، ويوجد في سيناء مناجم النحاس والفيروز. ويتضح بذلك أن لدينا أنواعًا مختلفة من المناجم، التي تستخرج منها المعادن التالية :

١- الذهب	הזהב	Gold
٢- الفضة	הכסף	Silver
٣- النحاس	הנחשת	Bronze
٤- الحديد	הברזל	Iron
٥- القصدير	הבדיל	Tin
٦- الرصاص	העפרת	Lead [٤]

(١) إنجــراهام، مـــايكل. ثيــودور جونسون، بسيم الريحاني، إبراهيم الشتلـــة، « التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية»، **حولية أطلال**.ـــ الرياض، ١٤٠١هــ، ١٩٨١م، ع ٥ ، ص ٥٣ ومابعدها·

(٢) دي جيســـيس، المــرجع السابق، ع ٧ ، ص ٦٠· والمؤلف أحد أعضاء فريق بعثة إدارة الآثار والمتاحف السعودية·

(٣) عدد ، ٣١ : ٢٢ ، ٥٠ - ٥٢ ؛ Burton, The Gold Mines of Midian, pp. 122 - 123. «الذهــب والفضـــة والــنحاس والحديد والقصدير والرصاص»، «وكان كل ذهب الرفيعة التي رفعوها للرب ستة عشر ألفًا وسبع مئة وخمسين شاقلاً من عند رؤساء الألوف ورؤساء المئات». ونلاحظ أن هذا المقدار من الرؤساء فقط.
الشاقل = ١٤,٥ جرامًا. انظر : H.B., Dic, Op. Cit., p. 938. أي أن مقدار الغنيمة = ١٤,٥ x ١٦٧٥٠ = ٢٤٢٨٧٥ جرامًا = ٢٤٢,٨٧٥ كجم.

(٤) عدد ، ٣١ : ٢٢ ·

وتستخرج هذه المعادن المذكورة في التوراة من مناجم عديدة حيث يختص كل منجم بإنتاج نوع واحد من تلك الأنواع وبالتالي من أهم المناجم مايلي :

١- مناجم نحاس.
٢- مناجم حديد.
٣- مناجم قصدير.
٤- مناجم رصاص.
٥- مناجم ذهب.
٦- مناجم فضة.
٧- مناجم فيروز.
٨- مناجم كوارتز.

ونذكرمن أهم مراكز التعدين في شبه الجزيرة العربية المويلح، والعوجة، وباديا أو بدنا أو بدا يعقوب Bada Yakub أي البدع[١]، وشغب وشواق في أرض مدين.

وقد شغل الأنباط مناطق من أرض مدين وبخاصة بين لويكة كوما والبتراء حيث وجد بها ثلاثة مراكز تعدين عظمى هي: أم القريات في جبل المرو، ويعد مركز التعدين الجنوبي. ويعد جبل الأبيض مركز التعدين الشمالي، وهو مركز التعدين الثاني ، ويقع على بعد ٤٠ ميلاً من الوجه.

وهنالك مركز أم الخراب UMM El- Harab وهو منجم مكشوف. وتل شهاب البوم وبه نقوش وكتابات كوفية وزجاج وفخار من كل الأنواع. وقطع رخام، وبقايا نحاس قرب بستان نخيل وربما يقع المنجم تحت البستان[٢].

وحول العقبة في أقصى الجنوب يتنوع الحجر من الجرانيت إلى الناري الأسود. ونجد حجر العقيق، وحجر الفيروز وأحجار كريمة أخرى. وتوجد في المنحدرات الغربية لجبال وادي عربة رواسب النحاس والحديد التي كانت

---

(١) عن الفيروز والكوارتز، انظر هذا الكتاب ، ص ص ٢٠١- ٢٠٤ .
(٢) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, pp. 74 -76.

مستغلة قديماً[١]. وكان تل الخليفة قرب العقبة مكاناً لصهر المعادن وميناءً كبيرًا، وهو عصيون جابر؛ المذكور في التوراة. "وعمل الملك سليمان سفنا في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطىء بحر سوف في أرض أدوم"[٢].

مما يدل على أن المنطقة كانت موقعًا مهمًا بمناجمها ومعادنها، ومعامل الصهر، وموانيء التصدير.

٣ - الأفران وعمليات الصهر :

تكثر الأودية التي تتخلل الجبال في المنطقة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية، أي منطقة الحجاز الشمالي أو منطقة مدين. فقد عثر على أربعة عشر موقعًا منها ثلاثة عشر في الأودية الساحلية لمنطقة شمال الحجاز أي أرض مدين. وقد وجد الموقع الأخير منها في قرية الواقعة شمال غرب تبوك. وشهدت المواقع حركات استيطان كثيف منذ أواخر الألف الثانية ق.م. وعثر على كسر الفخار المدياني المطلي والمتميز في المستوطنات كلها. إضافة إلى الآثار الأخرى من بقايا المباني، سواء كانت منازل، أو دور عبادة (معابد)، أو أحواضًا لخزن المياه، أو مناطق العمل، أو أفران الصهر، وصب المعادن، وركامات القبور.

وقد حل تشابه فخار مدين مع فخار تمنع (المنيعية) مشكلة الإطار الزمني، وتسلسل الحقب التاريخية. وأمكن تحديد الفترة الزمنية بحوالي القرنين ١٣-١٢ ق.م. وتعد هذه الفترة هي التي قامت خلالها حركات الاستيطان المكثف في المنطقة في « قرية »، ومدين.

وتوجد في « قرية » منطقة تزخر بالأفران حيث عثر على ستة أفران في شمال قاعدة تل القلعة. وهذه الأفران، ظاهرة بوضوح، وذات فتحات لخروج الدخان (مداخن) . وكان أحد تلك الأفران مبطنًا من الداخل بملاط من الغرين، والرماد وكسر فخارية مزججة [٣].

---

(١) هاردنج، لانكستر ، "آثار الأردن"، تعريب سليمان موسى.ـ ط٢.ـ الأردن، ١٩٧١م، ص ص ١٥ - ١٦.
(٢) الملوك الأول، ٩ : ٢٦، هاردنج، المرجع نفسه، ص ٢٥.
(٣) إنجراهام ، المرجع السابق، ع ٥ ، ص ص ٦٦ - ٦٧ ، انظر : هذا الكتاب ، ص ٢٨٩.

وأشـــرنا ســـابقًا إلى أن وجود الفخار في المواقع الأثرية يدل على الاستيطان. وحيـــثما استقر الناس تركوا بقايا وآثار حياتهم من منازل، وأسواق، ومعابد ومعامل أو ورش عمل، حيث يتوافر فيها أدوات حرفية وخبث معادن مما يثبت وجود موقع تعديـــن. ويوجـــد هنالك العديد من المناجم، وخاصة مناجم الذهب في منطقة مدين (شمال الحجاز) وسبق الإشارة إلى وجود ٢٩ منجمًا في المنطقة لمعادن متنوعة.

وعـــثر على مركز تعدين كبير على بعد ٤٠ ميلاً من الوجه وهو جزء من أرض تلـــتقي فيها أودية ربيغ ورابغ، والسر ويعرف باسم « أم الخراب» وهو مـــنجم مكشـــوف. والمركز الثاني في عينونة حيث يوجد صفان من الأفران. وتوجد مناجم يستخرج منها عروق سيليكات النحاس أي حجر الفيروز[١].

وتحتوي مواقع التعدين على العناصر التالية :

١- مواقع المناجم.

٢- مواقع الأفران والمشاغل.

٣- مواقع ورش ومشاغل.

٤- مواقع تشتمل على المنجم والفرن والورشة أو المشغل.

وقد عثر على العديد من الأفران؛ ولكنها في الغالب محطمة، وغير جيدة إلا فيمـــا ندر. وعثر على أحد الأفران في وادي عربة بحالة جيدة؛ بل ممتازة من الحفـــظ. وعثر في تمنع « المنيعية » على أحد الأفران في أرض منحدرة؛ وهو تجويف محفور عمقه ١م x ٢م، نازلاً إلى أسفل الطبقة الرملية الحمراء وأخيرًا الحجـــر الرمـــلي الأحمـــر الســـفلي. ثم يرتفع عند المنحدر قليلاً فيصبح عمق التجويف ٥٠ سم حتى يصل إلى مستوى الأرض. وهنالك في أعمق طرف من حفـــرة الفرن يوجد مرجل الصهر الفعلي. ويبلغ عمقها حوالي ٤٠ سم وقطرها ٤٥ سم أي حفرة الشي (الشواء). وقد يملط جدار الفرن بطبقة من ملاط طيني، أو قـــد يملط بأحجار. وكانت جدران أحد الأفران ذات ملاط من حجر الرخام.

---

(١) Rothenberg, Timna , pp. 18 - 172.

وهـنالك حفـرة ضحلة بين الجدارين الحجريين؛ هي حفرة صب الصهور؛ أي حفـرة بـزل السـائل، أو المعدن المنصهر. ويوجد عند الفرن رصيف نصف دائري، تتم فوقه عملية سحق المعدن.

ويكـون لكـل فـرن صفان من المداخن، يرتفع كل منهما فوق قاع الموقد بحوالـي أربعة أقدام أو أكثر. وترتبط المداخن العليا بقنوات هوائية بالارتفاع نفسه على طول الجدار الداخلي(١).

ويوجـد قـرب الأفران وحولها دوائر من خبث المعادن (الجفاء)، وتكون دائـرة الخبث أو الكتلة شبه الدائرية منه كثيفة أحيانًا، ومثقوبة في منتصفها؛ أي عـند نقطة المركز، أو مسامية. ويلطخ الخبث جدران الفرن. وقد يكون هناك حفـرة خاصـة للخـبث. ويحفر ثقب البزل في جانب الفرن فوق قاعه الفعلي بحوالي ١٠ سم تقريبًا، مما يمنع تسرب المعدن (النحاس) مع الخبث(٢). ويكون للأفـران قصـبات خاصة للنفخ (كير - أكيرة). وكانت فتحة المنفاخ أو الكير بقطـر ١٠ سم تقريبًا. وتوجه فتحاتها إلى الشمال حيث تقابل تيار الهواء القادم مـن هناك إلى الوادي. حتى يتم إنضاج المعدن على نار الفرن بصورة طبيعية ودائمـة، حسـب ريح الشمال وجريانها (٣). وتتراوح درجة الحرارة المطلوبة للصـهر بين ١١٨٠-١٣٥٠ درجة. وتتكون حشوة الصهر من خامات النحاس المطحون مع كربونـات، وأوكسيـدات تخـلط بكميـات مضبوطـة وتضاف إليهـا كميـات متساوية من مصهور الحديد وأوكسيد المنجنيز، مع حجر رملي وأصـداف بحـرية، وفحـم، وربمـا يضـاف بعض الماء حتى يتكتل الخليط ولايـتطايـر(٤). وقـد يكـون الفـرن مبـنيًا مـن الأحجار، أو من الرخام

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 72-73.

الورشـة: المكان المعد لصناعة الأشياء أو إصلاحها يدويًا. وهي معربة وتقابل مشغل ، انظر: خياط، يوسف، "**معجم المصطلحات العلمية والفنية**".ــ بيروت، د.ت،. ص ٧١٦.

(٢) Albright, Archaeology of Palestine, p. 128 ; Rothenberg, Timna, p. 73.

(٣) Ibid, p. 128.

(٤) Rothenberg, Timna, p. 235.

«الدولمــايت»، الأشد مقاومة للنار . وقد يكون الفرن ببساطة عبارة عن حفرة في الأرض مبطنة بطبقة ملاط كثيفة من الصلصال على الجدران وفي القاع.

وقد شكلت أفران صهر النحاس، وجميع التمديدات، والتجهيزات من بواتق خاصة، ومداخن، وأكيرة والعائدة إلى فترة الرعامسة (١٣٠٤- ١٠٨٠ ق.م.) نموذجًــا احــتذاه الرومان في أفران الصهر التي أنشئت على غرار أفران فترة الرعامســة، مع اقتباس الكثير من عناصرها الأساسية، ومقومات صناعة تعدين الــنحاس. مما يقدم فرصة جيدة لإجراء دراسة مقارنة لتقنية التعدين بين عصر الرعامسة، وعصر الرومان.

وثــبت مــن الحفــريات أن بعــض الأفران تعلو بعضها بعضًا في ثلاثة مستويات. ويتكون أحد الأفران من ثلاثة أفران متراصفة، مما يدل على توالي عمليات الصهر في فترات متتالية، وكثافة أعمال الصهر واختلاف مواسمه [(١)].

وإذا كان الرومان قد اقتبسوا تقنية التعدين الخاصة بفترة الرعامسة، فلا بد أن أهل مدين الذين عملوا مع المصريين، قد استفادوا من تلك المساهمة العملية. ومارسوا فعاليات التعدين فيما بعد؛ وذلك على الأنماط العملية نفسها، التي كانت ســائدة فــي عصر الرعامسة. ويحتمل أنهم نقلوا أساليب تقنية تعدين النحاس، التي كانت سائدة في مناجم ومعامل سيناء إلى معامل الصهر الأخرى في أرض مدين في شمال غرب شبه جزيرة العرب.

ومن أهم الأدوات المساعدة في عمليات الصهر، والتي عثر عليها في مواقع المــناجم أو أفــران الصــهر؛ بعض أدوات حجرية عديدة مربعة، ومستديرة، وبيضــاوية من الصوان «الظران» والجرانيت ومن الحجر الرملي أيضًا، كانت تستخدم لتكسير المعدن وسحقه.

وتوجــد مطــارق حجــرية وكــثير من المدقات (يد هاون وما إلى ذلك)، والمجارش التقليدية على شكل السرج (سرج الدابة) .

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 75 - 76.

وكانت هنالك بعض المعثورات النحاسية، وإن كانت نادرة ؛ ولكن عثر على سكين كاملة ، ورأس رمح، بالإضافة إلى كتل من خام النحاس نفسه بين كتل الخبث التي تم تكسيرها . وعثر على هذه الأدوات بين أنقاض المباني وحولها(١).

٤- المواد المصنَّعة :

كان هدف أعمال التعدين المصرية التي تحدثنا عنها الحصول على المعدن بصورته الخام (الطبيعية)، أو يصب في قوالب بسيطة أو على شكل سبائك Ingots وكان المعدن الخام الذي يستخرجه العمال من مناجمه في سيناء سواء كان نحاسًا، أو أحجارًا كريمة كالفيروز مثلاً ينقل فورًا إلى مصر على ظهور الدواب ليصنع هنالك فالنحاس يحول إلى أدوات، أو حلي، والفيروز يستغل كذلك.

ولكن ذلك لايعني عدم التصنيع في مواقع المناجم، حيث ظهرت أفران، ومشاغل الصهر في مناطق المناجم وبقربها المشاغل البسيطة، ومعها بعض أدوات العمل مثل قوالب صب أو شواكيش وما شابه ذلك.

وكان المعدن يسحق بالمجارش والمدقات على رصيف السحق، ثم يصهر المعدن في فرن خاص مجهز ببوتقة للصهر وجميع تجهيزات وتمديدات الصهر . ويتم تسخين المعدن على درجات حرارة عالية حتى ينصهر.

وعثر بقرب الأفران على بقايا الوقود المستخدم في تلك الأفران من فحم نباتي وحطب (أغصان أشجار خاصة شجر الأكاسيا الذي ينتشر في المنطقة وفي وادي عربة). وقد استعملوا روث بعض الحيوانات (الحمير) كوقود أيضًا.

وعثر على بقايا هياكل عظمية منها عظام وعول، وعظام حمير، وإبل. وأغلبها بقايا عظام ماعز، بالإضافة إلى بقايا من أسماك البحر الأحمر(٢).

---

(١) Rothenberg, Timna, p. 68.

(٢) Rothenberg, Timna, pp. 101, 105.

ويفترض حسب إحدى النظريات أن المعدن يشوى مبدئيًا في تمنع، ثم ينقل وتــتم عمليات الصهر والتعدين الفعلية في تل الخليفة على رأس خليج العقبة في الــبحر الأحمر؛ ولكن ذلك لم يثبت من خلال المسح لأن النحاس الصلب القاسي كــان يصنع في أفران الصهر الصغيرة في تمنع. وكان المعدن يسحق بأدوات الســحق العديــدة والمجارش من جميع المقاسات والتي عثر عليها مختلطة مع المادة المنصهرة (الصهور) في الموقع نفسه، والتي تحولت بعد ذلك إلى نحاس صــلب عــلى كومات الفحم داخل تجاويف الأفران. وقد عثر على قالب سبيكة نحاسية على شكل كعكة بلغ وزنه حوالي ٧ كجم، ويعد من أبكر المعثورات في وادي عربة [١].

وأمــا أهم المعثورات المعدنية فكانت عبارة عن بعض أدوات نحاسية منها: رأس رمــح نحاسي ثقيل، ونصل سكين حاد، وخاتم (حلقة) وإبرة، والعديد من المخــارز (المــثاقب) وخطــاف، ورأس ســهم. وتبدو هذه الأدوات النحاسية مصنوعة محليًا، وعثر على خرزات لم يتحدد إذا كانت خرزات نذرية، أو بقايا حلي نساء كنّ يعشن في المنطقة.

وتعطيــنا تــلك المعثورات، وخاصة النحاسية منها، صورة واضحة لأهم الأدوات المصنعة محليًا في ورش العمل البسيطة؛ ولكنها كثيرة العدد.

وعــثر عــلى « جعل مصري» من الحجر الصابوني Steatite عليه رسوم ونقوش تمثل « أبو الهول »؛ ولكن رأسه يصور إنسانًا ملتحيًا، ومرتديًا مئزرًا، وأمامه أفعى « الصل » وهي رمز الحياة وكتابة تعني «الإله الرحيم» من عهد رمسيس الثاني (من الأسرة ١٩)، فضلاً عن الكثير من المعثورات الأخرى مثل قطع رخام، وزجاج، وكميات كبيرة من أواني وكسر الفخار [٢]، والتي ستفرد لها دراسة خاصة.

---

(١) Rothenberg, Timna, p. 69.

(٢) Rothenberg, Timna , pp. 232 - 235. ; Burton , Remain of Buildings in Midian, vol. 3, pp. 76 - 77.

وهـنالك مصـنوعات أخـرى ربما أنها نشأت محليًا وهي صناعة الحلي الذهبية، والأواني، وغيرها . كما ذكرته التوراة « وكل ثوب وكل متاع من جلد وكـل مصـنوع مـن شعر معز وكل متاع من خشب تطهرونه»[1]. « الذهب والفضـة والنحاس والحديد والقصديروالرصاص كل ما يدخل النار تجيزونه»[2]. «أمـتعة ذهب حجول وأساور وخواتم وأقراط وقلائد» «كل أمتعة مصنعة»[3]. هـذا مـا عرضـته التوراة من الغنائم التي أخذها بنو إسرائيل من أهل مدين. وأغلـبها مواد أو أمتعة؛ مصنوعة من معادن ثمينة مثل الذهب والفضة ومعادن أخرى معروفة، أو مواد أخرى مثل خشب، وجلد . هذه غنيمة بني إسرائيل من أهل مدين في أول معاركهم معهم بقيادة موسى (عليه السلام) وبعد الخروج مباشرة. أما في معاركهم الأخرى في عهد القضاة، فقد ذكر أن أهل مدين حكموا بني إسرائيل فـترة مـن الـزمن وسيطروا عليهم. مما أدى إلى قيام بني إسرائيل بقيادة أحد قضـاتهم «جدعـون» بمحاربـتهم. وقـد كون أهل مدين اتحادًا كبيرًا ضد بني إسـرائيل. المهم أن جيوش مدين والعمالقة وبني المشرق كانت كالجراد في الكثرة وجمـالهم على شاطىء البحـر كالرمل في الكثرة، كما وصفتهم التوراة[4]. فغنـم بنو إسرائيل الذهب وغيره منهم أيضًا وشمل الذهب أقراطًا وأهلة وحلقًا وأثواب

---

(١) عدد ، ٣١ : ٢٠.

(٢) عدد، ٣١ : ٥٠ – ٥١.

ذهب	הזהב	Gold.
حجول	[illegible]	Armlet
وأساور	[illegible]	Bracelet
وخواتم	[illegible]	Signet - ring.
وأقراط	[illegible]	Earring.
وقلائد	[illegible]	Necklace.

والحجول في اللغة العربية مفردها حَجْل أو حِجْل وتعني القيد . والأحجال الخلاخيل – والقيود . وهـي صفة الخيل الأقرح المحجل أي في قوائمه بياض . والحَجَل: طائر وحَجَلة العروس: بيت يـزين بالثياب والأسرة والستور، وفي الحديث أمتي الغر المحجلون، انظر: ابن منظور، المرجع السابق، ج ١، ص ٥٧٥ – ٥٧٦ .

(٣) وكـان المديانيون والعمالقة وكل بني المشرق حالين في الوادي كالجراد في الكثرة وجمالهم لا عدد لها كالرمل الذي على شاطيء البحر في الكثرة، قضاة ، ٧ : ١٢.

الأرجوان من الرجال المحاربين، ماعدا قلائد الذهب في أعناق الإبل[١].

ولابـد أن هذا الهلال المدياني يرمز لطقس شعائري؛ بل لمعبود أهل مدين أي القمـر٠ وقـد ظهر الهلال كثيرًا في تراث الشعوب ٠ فظهر في تاج على رأس إلـه في رسم جداري في قاعة العرش رقم ١٣٢ في قصر مدينة ماري٠ ويسكب الملك سائل التقدمة من كأس في يده أمام ذلك الإله الجالس٠ ويؤرخ هذا الرسم الجداري من نهاية الألف الثالثة ق٠م٠ إلى أوائل الألف الثانية ق٠م[٢]. والمعـروف أن أهـل مدينة ماري من الأقوام الآمورية، وأنهم عبدوا إله القمر سـين٠ وحمـلوا الهـلال رمزًا لمعبودهم، وبذلك يشكل الهلال والمعبود « إله القمر» قاسما مشتركا بين الآموريين والمديانيين٠

٥- جماعات العمال وتنظيماتهم :

تسـاعدنا الدراسـات الدقيقة في محاولة إعادة بناء الظروف البيئية لمجتمع عمـال المـناجم وعمـال الصهر؛ أي عمال تعدين النحاس، وذلك اعتبارا من العصر الكالكوليثي؛ لأن الصناعات التعدينية قديمة ٠ وقد استمرت خلال آلاف السنين٠ فنجد أن عمال التعدين عاشوا بدرجة ما، تخضع لتنظيم اجتماعي بسيط ومناسب لإمكانياتهم المعيشية في ذلك العصر٠ مما يعطينا صورة عن التخطيط البسـيط للصـناع القدماء (الحرفيين)٠ فنجد أن عمال التعدين عاشوا كفرع من مجـتمع قبـلي كـبير، له قوانينه وتنظيماته القبلية. وقد استوطنوا قرب موطن أشجار الأكاسيا (السنط) وقرب مصادر مياه الشرب في وادي عربة، أو غيره. بصـرف الـنظر عن قرب هذه المستوطنات من المناجم أو بعدها عنها٠ وإنما

---

(١) قضـاة، ٨ : ٢٤ – ٢٦ وكـان وزن أقراط الذهب التي طلب ألفا وسبع مئة شاقل ذهبًا ما عدا الأهلة... باعتبار الشاقل = ١٤,٥ جرامًا. عدد، ٣١ : ٥٢.
أي أن مجمل الذهب حوالي عشرة آلاف كيلو جرام بحساب أن الزكاة تعادل ٢٥, . العشر فقط.
١٦٧٥٠ X ١٤,٥ = ٢٤٢,٨٧٥٠ X ٤٠ = ٩٧١٥,٠٠٠٠ كجم.

(٢) بارو، المرجع السابق، ص ص ٣٣٨- ٣٣٩ انظر: الشكل رقم (٢) ؛ سلطان، نايفة عبدالحميد، **"تجارة البخور والمواد العطرية"**، رسالة ماجستير غير منشورة.ـ الرياض، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ص ٢٤٦- ٢٤٧.

المهم توافر مصادر مياه الشرب، والأشجار للوقود ونحو ذلك. أما المعدن فيسهل نقله من المناجم إلى مواقع الأفران (معامل الصهر)، وسكن العمال. وإن حرصوا على إنشاء تجهيزات الصهر على قمم التلال والمرتفعات غالبًا.

وعثر على بقايا بعض المباني منها: منازل سكن أو دور عبادة (معابد) مكرسة لبعض الآلهة. ويبدو أن عمال الصهر عرفوا نظام ملكية البيوت. مما يدل على مجتمع حسن التنظيم. وتوزيع المسئوليات، مع تخصصية في العمل. وكان يسود المجتمعات العمالية السلم والأمان. حيث لا وجود لآثار أسوار أو حصون دفاعية حول المستوطنات العمالية. وقد انطبق هذا على المستوطنات العمالية في وادي عربة، وفي بقية مستوطنات سيناء، سواء كان ذلك في مبدأ أمر أعمال التعدين أو فيما بعد ذلك، إبان فترة المشاريع المصرية. التي ظهرت بصورة مشروع صناعي أكبر من ذي قبل وأكثر تنظيما لمواجهة ظروف البيئة، والمناخ وتحقيق السلامة العامة.

وشكلت مناجم النحاس في تمنع نصف دائرة على امتداد المرتفعات مع مخيمات على المنحدرات المحيطة. ومياه الشرب متوافرة، وتخزن في صهاريج (خزانات أو أحواض) محفورة بعمق. وهنالك مخازن للمؤن من الطعام، ولمعدات العمل وأدواته.

وكان المتبع أن عمال المنجم يذهبون في الصباح الباكر إلى المنجم. ويعودون مساءً محملين بخام المعدن الذي تم استخراجه. أما عمال الصهر فيبقون قرب المعامل، حيث توجد أفران الصهر.

وعثر على ثلاثة بيوت جيدة البناء وتتألف من عدة غرف. وربما أنها كانت مخصصة لبعض السادة المصريين، أو بعض المشرفين والاختصاصيين.

وعثر على برج في الطرف الغربي من نصف الدائرة ربما للمراقبة، وموقعين محصنين. وربما أنشئت هذه التحصينات الدفاعية قبل تعاون القبائل المقيمة للمصريين في أعمال التعدين(١).

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 232-234.

ج - دور أهل مدين في تجارة شبه الجزيرة العربية :

١- تجار مدين - وسطاء التجارة القديمة :

قال تعالى : ﴿ ... يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ... ﴾ وقال تعالى ﴿ ... وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ... ﴾ الآية[١].

ورد في التفسير أن تلك السيارة هم المسافرون، وفي تفسير الآية الثانية أنهم المسافرون من مدين إلى مصر[٢].

ويرجح أن حادثة إلقاء يوسف (عليه السلام) في البئر، وبيعه قد وقعت حوالي النصف الأول من الألف الثانية ق٠م٠[٣].

ونستنتج مما تقدم أن تجارة أهل مدين بدأت منذ تلك الفترة تقريبًا، ويرجح أنها كانت تجارة قوافل كبيرة٠ وتحمل تلك القوافل بالبضائع، والسلع المختلفة بما في ذلك «الرقيق» أي تجارة العبيد والإماء، التي كانت من أقدم السلع التجارية٠ ومع تطور التجارة تنوعت موادها ومن أبرزها بضائع من بلاد العرب مثل الكثيراء، والبلسان، واللاذن، واللبان[٤].

ويمكننا أن نذكر شخصية التاجر «مالك بن دعر» الذي سبق أن تحدثنا عنه كنموذج للتاجر المدياني[٥]. ويمكن الاستشهاد بما ذكرته التوراة عن قوافل تيماء

---

(١) سورة يوسف، الآية : ١٠، والآية : ١٩٠

(٢) السيوطي: تفسير الجلالين ، ص ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، تكوين ، ٣٧ : ٢٨ ، ٣٦.
Talec , p. , "The Patriarchs and Moses, Minnesota", 1981, paragraph. 25- 26.
وهو قطفير في المصادر العربية، انظر : هذا الكتاب ، ص ١١٨ .

(٣) انظر : Burton, The Gold Mines of Midian, p. 123.

(٤) «إذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولاذنا ذاهبين إلى مصر».
انظر: تكوين ، ٣٧ : ٢٥٠

(٥) انظر : هذا الكتاب، ص ١٥١.

وسيارة سبأ [1]. باعتبار أن نصوص التوراة تتضمن إشارات واضحة عن تجارة بلاد العرب.

وقد ذكرت التوراة موكب ملكة سبأ العظيم. وكان يتألف من الجمال المحملة بأطياب وذهب وأحجار كريمة [٢].

مما يعطينا فكرة عن رواج التجارة وأنها كانت الدعامة الأولى لاقتصاد الأمم السابقة. ونذكر أنه كان للآشوريين مستعمرات تجارية في «كبادوكيا» بآسيا الصغرى منذ حوالي القرن التاسع عشر ق.م. (منذ مطلع الألف الثانية ق.م.)[٣]؛ أي منذ قوافل الحمير. بل تعود إلى فترة أبكر تعاصر الملك سرجون الأكادي (٢٣٥٠ ق.م.) ونذكر استنجاد أهالي المستوطنة التجارية في (آسيا الصغرى) الأناضول بالملك سرجون الأكادي، فقد كانت مستوطنة لجالية التجار الساميين ويشرف عليها الأكاديون وتعرف باسم «كاروم Karum»[٤].

وكذلك الأمر في عهد دولة بابل، وبعد وفاة الملك البابلي حمورابي (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م.)، وانتشار تجارة وثقافة بابل إلى مختلف ولايات الشرق الأدنى القديم، فنجد من أكبر مدن التجارة ومراكزها دمشق وحلب في بلاد الشام، ومدن بلاد الرافدين وكذلك في مصر الفرعونية ومدن الساحل الفينيقي [٥].

وأما تجارة جنوب بلاد العرب فكانت تخترق الطريق التجاري الذي يبدأ من بلاد «اليمن» أي بلاد العرب السعيدة Arabia Felix من الجنوب إلى الشمال عبر

---

(١) «نظرت قوافل تيماء سيارة سبأ...». انظر: أيوب، ٦ : ١٩.

(٢) «فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جدا بجمال حاملة أطيابا وذهبا كثيرا جدًا وحجارة كريمة». انظر: الملوك الأول، ١٠ : ؛ وأورشاليم منسوبة إلى وجود الإله شاليم أو بمعنى نورشاليم، انظر: ظاظا، حسن، "**أبحاث في الفكر اليهودي**".ـ ط١، دمشق، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ص ١٧- ١٨ .

(٣) Albright , W. F. , **The Biblical Period. From Abraham to Ezra** , New York, 1963, p. 9.

(٤) وهو مصطلح أكادي ويعني مركزا تجاريًا أو ميناء، انظر: باقر، طه ، "**مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**".ـ ط٢ .ـ بغداد، ١٩٨٦م، ج ١ ، ص ٤٨٥.

(٥) Rostovtzeff, Caravan Cities, pp. 14-15.

مـــدن بـــلاد العرب، ومراكز التجارة في اليمن نفسها ثم في الحجاز٠ وأهمها فيمـــا بعـــد مكـــة ويثرب وعبر مدن الشمال في منطقة مدين٠ ثم إلى سوريا وفلســـطين، فضـــلاً عن أن الحجاز يقابل مصر، ويوجد العديد من الموانىء الصغيرة٠ لاسيما وأن شمال الحجاز قد اشتهر بواحاته الخصبة، والتي كانت مـــنذ أقـــدم العصور مستوطنات لجماعات مستقرة كونت لها كيانات سياسية٠ واعتمـــدت في معيشتها واقتصادها أساسًا على التجارة وخاصة التجارة المارة بها [(١)].

وتقـــع مدين في هذه المنطقة المهمة التي اشتهرت بتلك الواحات التجارية، والمـــوانىء ولابـــد أن مدين مارست تجارة كثيفة٠ وأدت دورًا مهمًا في تجارة المـــرور – الـــترانزيت – نظرًا لموقعها الحيوي على شريان التجارة وطريقها الـــرئيس٠ ونظـــرًا لتوافر مقومات أخرى عديدة حظيت بها المنطقة مثل توافر الواحات والمياه٠ التي ساعدت على قيام المحطات التجارية مثل البتراء وتدمر فـــي الشـــمال، وتوافر الثروات الطبيعية من ذهب وفضة ونحاس وغير ذلك٠ وكـــثافة ســـكانية تتمـــثل في القبائل الكبيرة التي استوطنت شمال شبه الجزيرة العربية عامة، ومنطقة مدين بصورة خاصة٠

ومارســـت قبيـــلة مدين التجارة منذ عهد قديم٠ وقد ذكرتها التوراة وذكرت الـــتجار المديانيين مع الإسماعيليين، وصورت نصوص التوراة قوافلهم بصورة ضـــخمة « تغطيـــك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شيبا تحمل ذهبا ولبانًا » [(٢)].

ومن المعروف أن التجارة في الألف الأولى ق٠م٠ كان الجزء الأعظم منها بيد أهل سبأ ومعين من ممالك الجنوب في بلاد العرب. وكانت الطرق

---

(١) موســـكاتي، سباتينو، "**الحضارات السامية القديمة**"؛ تر٠ السيد يعقوب بكر.ـــ بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٥ .

(٢) إشعيا، ٦٠ : ٦ – ٧.

والمــدن التجارية (مراكز التجارة في الشمال) تحت سيطرتهم؛ بل تنافسوا فــي الإشــراف عــليها. ومــا تلا سقوط هذه الممالك من إنهيار الكيانات السياســية فـــي الجــنوب. ولكـــن استمر الشريان التجاري ينبض بحركة الــتجارة. وإن انتقــلت الســلطة ومراكــزها إلى مكة ويثرب في القرون الميلاديــة الأولى إلا أن الطــرق لم تتغير، وحاجات الاقتصاد المحلي لم تــتغير أيضًــا. ولــم تتقــلص؛ بل على العكس ازدهرت حركة التجارة، وراجــت البضــائع وازدادت. فقــامت أسواق العرب عبر آفاق الجزيرة العــربية، شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا؛ بل إن قلب الجزيرة أي «المنطقة الوسطى» قد شارك في هذا النشاط الاقتصادي أيضًا.

فحيــثما عاش الإنسان واستقر نشأت حاجته إلى المؤن الغذائية، والبضائع الأولية التي لايستغنى عنها بالإضافة إلى المواد الكمالية الأخرى.

نخــلص مــن العــرض الســابق إلى أن النشاط الاقتصادي مستمر إذ إنه ضرورة حيوية لجميع السكان، لذلك وبالاستناد إلى الشواهد المتوافرة من عصر مدين وبالقياس على فعاليات المرحلة التالية خلال الألف الأولى ق.م. فإن أهل مديــن قــد مارسوا التجارة الدولية عبر بلاد العرب وتولوا نقل البضائع شرقًا وغــربًا إلى بــلاد الــرافدين، ومصر، وشمالاً إلى بلاد الشام. ولربما وصلت بضائعهم إلى آسيا الصغرى شمالاً.

والأرجــح أن قبيــلة مديــن أو أهل منطقة مدين عمومًا قاموا بذلك الدور الحيــوي المهــم في تجارة بلاد العرب. وقد ذكرهم القرآن مقترنين بالتجارة، والمكــاييل والموازيــن. وأصبحوا أهل كثرة بعد قِلّة[1]، وثراء بالغ؛ بل أنهم مارســوا أنظمــة تجاريــة معروفة وسارية إلى يومنا هذا، حيث أنهم مارسوا احــتكار الــتجارة والســيطرة عليها، بل مارسوا حتى الانحرافات التجارية من

---

(١) انظر : ص ٣٧ من هذا الكتاب.

غش، وتطفيف في الكيل والوزن • بل وإفساد للناس عن طريق المال أو إمالتهم عن الحق والطريق المستقيم (١).

ونستنتج من الآيات صورة واضحة لتجارة عريضة قام أهل مدين بها، بل يحتمل أنها كانت تجارة عظيمة، حيث إن ذكر تجارتهم، وكثرتهم العددية وثراءهم أيدت ذلك• وجاء على لسانهم في ردهم على نبيهم شعيب (ﷺ) بأنهم يريدون أن يفعلوا في أموالهم ما يحلو لهم، وأنهم إثر الضربة التي حلت عليهم كلعنة من السماء فقد زال كفارهم وبادوا كأن لم يغنوا فيها؛ أي لم يثروا ويغتنوا في بلادهم.

وقد تاجر أهل مدين في أنواع مختلفة من البضائع منها المحلي، ومنها المستورد سواء من داخل شبه الجزيرة العربية من جنوبها أو وسطها، أو من خارجها.

فكان تجار مدين وسطاء لنقل عدد من البضائع التي من الأرجح أنهم كانوا يشتغلون بها، استيرادا ثم إعادة تصدير إلى بلاد الرافدين، وبلاد الشام ومصر.

وأن أهل مدين كانوا أناسًا معروفين بالتجارة وهم الذين ذكرتهم الكتب المقدسة (القرآن والتوراة) فإنهم منتسبون إلى هذه المهنة• فقاموا بنقل بعض السلع بأنفسهم إلى المناطق المذكورة أعلاه• وكما ورد في قصة النبي يوسف (ﷺ) أن تجار مدين باعوه إلى قطفير (أطفير أو فوطيفار Photiphar) أي أنهم مارسوا تجارة الرقيق وغير ذلك من البضائع مثل : عطور وبخور وذهب وفضة. أو أن تجار مدين مارسوا مهنة الإشراف على تجارة المرور عبر أراضيهم والإشراف على طريق التجارة القديمة في عصرهم.

---

(١) انظر: سورة الأعراف ، الآيات : ٨٤ ، ٨٦ ، ٩١. سورة هود ، الآيات: ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ •

والأرجــح أنهم مارسوا فرض مكوس وإتاوات متنوعة على الطريق وعلى أنواع البضائع حسب أثمانها[1] وعلى مبدأ العرض والطلب.

والأرجح اشتغالهم بهذا وذاك؛ بل ربما نجد أن بعضهم مارس مهنة حراسة القوافل، عبر الطرق التجارية. وأخذ الجعل على هذه الخفارة والحماية؛ بل إن واحــاتهم فــي منطقة مدين ربما كانت محطات مرغوبة للراحة والتزود بالماء والمؤن. وكانت أسواقًا عامرة تروج سلع كثيرة فيها.

وتوجــد شــواهد وأمثــلة تاريخية تالية على مر العصور سواء في الألف الأولى ق.م. إبــان نشــاط تجــارة ممالك جنوب بلاد العرب: قتبان، وأوسان، ومعيــن وســبأ. أو فيمــا بعد ذلك في العصور الميلادية في ممالك شمال شبه الجزيرة العربية: الأنباط، وديدان ولحيان، والغساسنة والمناذرة.

إن شــهرة رحلــتي الشــتاء والصيف إلى الجنوب والشمال كما وردت في القــرآن الكريم في قولــه تعالى : ﴿ لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ ﴾[2]، ومكانة قبيلة قريش في مكة (جمهورية قريش التجارية) مردها أن قريشًا حكمت مكة على أساس اقتصادي ديني سياسي دعاماته الأولى وجــود الــبيت الحــرام، والتجارة. وحرصت على نشر الأمن والسلام وأخذ الإيلاف لخدمة التجارة وعقدت الهدنة المقدسة أي الأشهر الحرم[3]. ولايجب أن ننسى دور قبيلتي الأوس والخزرج في يثرب (المدينة المنورة).

٢- البضائع :

مــن أهم البضائع[4] التجارية التي يرجح أنها كانت متداولة في تجارة أهل

---

(١) المقدسي، **البدء والتاريخ** ، ج ٣ ، ص ٧٥ .

(٢) سورة قريش، الآيتان : ١ – ٢.

(٣) البضــائع – البضــاعة : القطعــة من المال، وما حملت آخر بيعة، وهي طائفة من مالك تبعثها للــتجارة، انظــر : ابن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ٢٢٣، والسلع – السلعة: ما تتجر به، والمتاع. انظر : ابن منظور، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٨٣.

مديـــن: المــواد الأوليـــة مثل بعض المؤن الغذائية؛ من حنطة وشعير وحبوب متـــنوعة، إضافة إلى الأنسجة عامة؛ من أقمشة وملبوسات بأنواعها من ثياب، وبرد، وما إلى ذلك من المواد الأولية الضرورية. وراج من بضائع التجارة في ذلــك العصـــر؛ الخمور والأنبذة والزيوت.. وغير ذلك؛ ولكن السلع المطلوبة والغاليـــة الـــثمن تختلف عن هذه البضائع الضرورية والأولية، وهي التي تدر الأربـــاح الوفيـــرة، وهي بضائع متنوعة أيضًا مثل المعادن الثمينة، والعطور، والطيوب، والبخور.

ونرجح معرفة العطور والبخور منذ أقدم العصور التاريخية، وأنها مطلوبة لأغـــراض مختلفة دينية، وطبية، واجتماعية. فقد ورد في التوراة «وبنى نوح مذبحـــا لـــلرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محروقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا»[١].

نلاحـــظ هـــنا أن النـــبي نـــوح (عليه السلام) بـــنى المذبح؛ «مكان النحر» وقدم الأضاحي الحيوانية ثم أصعد محروقات ذات رائحة مرضية، أو طيبة؛ مما يدل عـــلى استعمال البخور منذ عصر النبي نوح (عليه السلام) أول الرسل أي منذ عصر قديم جدًا.

وزعمـــت أغلب الروايات الكلاسيكية أن البخور والعطور لم يشع استعمالها إلا فـــي الألف الأولى ق.م. ولكن الشواهد والدلائل الأثرية أثبتت عكس ذلك. وأن العـــالم القديـــم قد عرف البخور والعطور والطيوب واستعملت منذ الألف الثالثة ق.م. كما سنوضحه.

أمـــا أهم سلعة قامت تجارة أهل مدين بها وعليها فلا شك أنها كانت معدن الذهب الثمين سواء كان كمعدن خام مستخرج من أرضهم الغنية أو كـــ«حلي» مصـــنوعة محليًا. وليس أدل على ذلك من الشاهد التوراتي الذي يذكر كميات

---

(١) التكوين. ٨ : ٢٠ – ٢١.

الذهب والفضة التي غنمها بنو إسرائيل من أهل مدين إثر هزيمتهم على يد النبي موسى (عليه السلام)٠ ومن الممكن حساب وزن كمية الذهب فقط التي غنمها بنو إسرائيل مما يلي : « فقد قدمنا قربان الرب كل واحد ماوجده من أمتعة ذهب حجولا وآساور وخواتم وأقراطا وقلائد للتكفير عن أنفسنا أمام الرب، فأخذ موسى والعازار الكاهن الذهب منهم كل أمتعة مصنوعة، وكان كل ذهب الرفيعة التي رفعوها للرب ستة عشر ألفًا وسبع مئة وخمسين شاقلا من عند رؤساء الألوف ورؤساء المئات » [1].

ورغم هزيمة أهل مدين، وذبح ملوكهم وتخريب مدنهم بل حرقها على يد جيش النبي موسى (عليه السلام) إلا أنهم قاموا من كبوتهم، أي الذين نجوا من الحرب ومارسوا حياتهم٠ واستعادوا كيانهم السياسي والاقتصادي، ونشاطهم الثقافي الحضاري؛ بل إن أهل مدين هزموا بني إسرائيل وحكموهم لمدة سبع سنوات كما سيرد معنا. ولكن بالطبع ليس هنالك ذكر في نصوص التوراة لأية خسائر بين بني إسرائيل رغم الهزيمة.

وفي المعركة الأخرى بين أهل مدين وبني إسرائيل في عهد القضاة يذكر النص التوراتي كمية ذهب أخرى نالها بنو إسرائيل من أهل مدين ضمن الغنائم.

« وكان وزن أقراط الذهب التي طلب ألفا وسبع مئة شاقل ذهبا ما عدا الأهلة والحلَق وأثواب الأرجوان التي على ملوك مديان وماعدا القلائد التي في أعناق جمالهم»[2].

---

(١) عدد ، ٣١ : ٥٠ – ٥٢ ، باعتبار العشر فيكون الإجمالي = ١٦٧٥٠ × ١٠ = ١٦٧٥٠٠ شاقل = ١٦٧٥٠٠ × ٥ر١٤= ٧٥٠ر٢٤٢٨ كجم، أما باعتبار ربع العشر فيكون الإجمالي = ١٦٧٥٠ ×٤٠ = ٦٧٠٠٠٠ شاقل ٦٧٠٠٠٠ × ٥ر١٤= ٩٧١٥ كجم٠

(٢) قضاة ، ٨ : ٢٦ .

ويرد الخلط بين المديانيين والإسماعيليين في التوراة «وقال رجال إسرائيل لجدعون تسلط علينا أنت وابنك لأنك قد خلصتنا من يد مديان٠٠٠». «لأنه كان لهم أقراط ذهب لأنهم إسماعيليون»، انظر: قضاة ، ٨ : ٢٤٠ وسنبحث ذلك الخلط فيما بعد.

المهم أن وزن الأقراط فقط ١٧٠٠ شاقل ذهبًا، وذلك عدا الحلي الأخرى من أهلة وحلق وقلائد الجمال. هذه الغنائم التي غنمها بنو إسرائيل بقيادة جدعون في الحرب الأخيرة، ضد أهل مدين في عهد قضاة بني إسرائيل (ويشمل عهد القضاة حوالـــي ثلاثـــة قرون، والتي مضت عليهم منذ خروجهم من مصر إلى عهد أول ملوكهم شاؤل الذي حكم حوالي (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م. تقريبا)[١] .

فـــإذا قدرنـــا أن وزن الأهـــلة الذهبية يعادل وزن الأقراط المشار إليها أي ١٧٠٠ شـــاقل وكذلـــك الحلق أو الحلقات، وربما أنها خواتم أو حلقات لغرض معين. فهي تزن ١٧٠٠ شاقل أيضًا. فيصبح وزن الذهب حوالي ٥١٠٠ شاقل ذهـــب، مـــع ملاحظة أن ذلك ربما كان وزنًا تقديريا. وهذا عدا قلائد الجمال. وكما نظن أن القلادة أكبر حجمًا من القرط، والهلال، بل بحجم مضاعف وبذلك فـــالوزن مضاعف أيضًا، مع ملاحظة أنها قلادة لرقبة جمل. وأن جمالهم كانت لاعدد لها كالرمل لأن أهل مدين كانوا في الكثرة كالجراد[٢].

نستنتج مما تقدم كميات الذهب الضخمة التي حازتها قبيلة مدين في مختلف العصور منذ عهد النبي موسى (عليه السلام) وفي عهد القضاة مما يدل على ثراء كبير ومن المفترض بناء عليه أن يكون هذا الذهب هو سلعتهم التجارية الأولى.

وســـبق إيراد الآيات الكريمة التي بين الله تعالى فيها أن النبي شعيباً (عليه السلام) حث قومه على إيفاء الكيل والوزن. وفي ذلك دليل على أن أهل مدين مارسوا معاملات تجارية تحتاج إلى دقة الوزن وذلك باستعمال الموازين لوزن مثل هذه المـــواد الثميـــنة جدًا مثل : الذهب، والفضة، أو البخور والعطور. وهي كانت ضمن السلع المطلوبة في ذلك العصر ولها موازين تناسبها.

---

(١) **"The World Book Encyclopedia"**, Chicago, 1986, vol. p. 17, 135.

(٢) قضاة ، ٧ : ١٢ .

«وكـــان المديانيون والعمالقة وكل بني المشرق حالين في الوادي كالجراد في الكثرة. وجمالهم لا عدد لها كالرمل الذي على شاطيء البحر في الكثرة».

ويستعمل الكيل لمواد الطعام مثل الحبوب (من حنطة وقمح وشعير) وسكر وملح أو بقول من عدس ونحو ذلك. ونحسب أن كل هذه المواد كانت تشكل قاعدة أساسية في بضائع تجارة أهل مدين، سواء كان تصديرًا من الإنتاج المحلي أو استيرادًا من المناطق المجاورة، لسد حاجات السوق والطلب.

ونفترض أنه يمكن إضافة مادة مهمة وهي التمور. التي كانت تعد إنتاجًا محليًا كما سيتضح فيما يلي عن الثروات الطبيعية في أرض مدين.

وكذلك نبات أو ثمار المقل (الدوم) وبعض الفواكه التي يفترض أنها إنتاج محلي أيضًا [١].

كما أن الملابس الكتانية من مصر، أو غيرها مثل أثواب الأرجوان التي كان يرتديها ملوك مدين [٢]. ومن المؤكد أنها مستوردة من فينيقيا، وغير ذلك من أنواع الملابس المستوردة من بلاد الشام مثل: الأردية، والعباءات، أو البرد المجلوبة من جنوب بلاد العرب (اليمن).

إضافة إلى بعض أسلحة الزمن المحتمل أنها كانت ضمن بضائع التجارة [٣].

أما أكبر سوق تجارية في مدين فالأرجح أنها سوق الإبل (الجمال) لشهرة أهل مدين بكثرة جمالهم؛ لأنه يتضح أنهم اعتنوا بتربية الإبل والاتجار بها. ويفترض أن أهل مدين أول من استخدم الجمال في الحرب. فقد ذكرت التوراة ذلك «جمالهم لا عدد لها كالرمل الذي على شاطىء البحر في الكثرة»[٤]. وكانت تلك الإبل لاستعمال أهل مدين ولتجارتهم تصديرًا، ووسيلة مواصلاتهم في السلم والحرب. ويظن أن تصدير الإبل كان إلى داخل شبه الجزيرة العربية، وما حولها من بلاد

---

(١) جواد علي، **المفصل** ، ج ٧ ، ص ٨٣ .
(٢) انظر : ص ٤٤٥ من هذا الكتاب ، ويفترض أن أثواب الأرجوان مستوردة من فينيقيا وكنعان فهم الذين صنعوا الصبغة الأرجوانية.
(٣) جواد علي، **المفصل** ، ج ٧، ص ص ٥٥٨ ، ٥٩٤، ٦١٢.
(٤) قضاة ، ٧ : ١٢.

الرافدين، وبلاد الشام، ولربما إلى مصر أيضًا. وذلك عدا قطعان المواشي الأخرى التي تعد ثروة حيوانية كبرى في منطقة مدين أيضًا كما سيأتي(١).

والأرجـــح أن مواد البخور والعطور كانت من ضمن السلع التي تاجر أهل مدين فيها كوسطاء لنقلها من مصدرها في بلاد العرب إلى بلاد الرافدين، وبلاد الشـــام ومصر، وللاستهلاك المحلي أيضًا. ومن المفترض أن هنالك نوعا من الأكاســـيا Cassia كـــان منتجا محليا من أرض مدين نفسها حيث كانت تجود بها زراعة أشجار الأكاسيا هذه (٢).

وممـــا يدعم هذا الافتراض بعض الشواهد والأدلة التي أثبتت وأكدت وجود الـــبخور الـــذي يتكون من مواد مختلفة؛ من لبان، ومر، ولادن، وكندر وآس، وقرفة... إلخ وكانت هذه المواد العطرية معروفة منذ أقدم العصور التاريخية. وإذا كـــان الإغريق لم يعرفوا البخور، والمواد العطرية إلا متأخرًا، ولم يكتبوا عـــنها إلا مـــنذ الألف الأولى ق.م. فذلك لايعني أنها لم تكن معروفة؛ بل أنها كانت معروفة منذ الألف الثالثة ق.م.(٢).

ورد فـــي قصـــة الطوفـــان أن أوتونبشتم أو زيوسيدرا أحرق خشب الأرز والآس فتنسم الآلهة عرفها (أي شذاها) - أجل شم الآلهة عرفها الطيب - (٣).

ثـــم جـــاء ذكـــر العطر والبخور في ملحمة كلكامش عدة مرات «ويضوع الطيـــب والعطر منهن» « وأحرقت البخور». ثم ينصح كلكامش صديقه أنكيدو قـــائلاً : «لاتمســـح جسمك بالزيت الفاخر لئلا يتجمعوا حولك بسبب عطرك». ولكن أنكيدو لايأخذ بالنصيحة « ومسح أنكيدو جسمه بالزيت »(٤).

---

(١) انظر : ص ٢٧٩ من هذا الكتاب.

(٢) Doe, Brian. "**Monuments of South Arabia**", Naples, Italy, 1983, p. 4.

انظر : ص ٢٤١ من هذا الكتاب. أن نوح (عليه السلام) بنى مذبحًا وقدم بخورًا.

(٣) باقر، طه ، "**ملحمة كلكامش**"، العراق، د.ت ، ص ٩٨. (الملك كلكامش من عصر فجر السلالات).

(٤) باقر، المصدر نفسه، ص ص ٤٤ ، ٥٧ ، ١٠٦ – ١٠٧.

ويحفـل تـاريخ بلاد الرافدين بذكر البخور والطيوب فمثلا ورد أن الملك جوديـا (كوديـا – حوالـي ١٨٠٠ ق٠م٠) بنى معبدا ومسح المصطبة بالبلسم المعطر٠ وذلك في عصر فجر السلالات(١).

أما في مصر فقد عـرف البخور والمواد العطرية منذ زمن بعيد يعود إلى (٣٥٠٠ – ٣٠٠٠ق٠م٠) حيث إن المصريين استخدموا بعض المواد التي تدخل فـي تـركيب الـبخور كمواد طبية، استعملوها للتطبب بها، وفي تحنيط جثث المـوتى٠ الـتي يتم حفظها لآلاف السنين كمومياء، وعثر الباحثون والآثاريون عـليها فـي مقابـر الفراعـنة القدماء٠ وهي محفوظة في المتاحف المصرية والعالمية إلى يومنا الحاضر (٢).

وهـنالك اسـتعمالات عديـدة لمواد العطور والبخور على مختلف مراحل التاريخ الفرعوني القديم٠ فقد استعملوه في الطقوس الدينية أيضًا، وفي المواسم والاحتفالات الرسمية.

ولذلك حرصوا على جلبه من جميع المناطق والبلاد المنتجة له٠ فبعثوا الرحلات والـبعوث لجلـبه مـن بلاد بونت وكما يظن أنها تشمل الجزء الأفريقي (الصومال) وجـزء من بلاد العرب (اليمن وحضرموت) في جنوب غرب آسيا(٣).

---

(١) الصفدي، هشام، "**الوجيز في تاريخ حضارات آسيا الغربية**".ـ دمشق، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٢٢١٠

(٢) يقـوم المصريون القدماء بشق بطن الميت وتفريغها من الأحشاء، وتفريغ الصدر مع حفظ القـلب، ثـم يضعون في التجاويف الفارغة وحتى منطقة الخدود ونحوها بعض الراتنج والصمغ ونشـارة الخشـب مما يكسبه النقاء والجفاف والرائحة الجميلة٠ ثم يضيفون ملح النطرون وشمع العسل والقرفة والكاسيا والبصل٠ وأنواعًا متعددة من الراتنجات الصمغية، وحبوب العرعر وزيته وزيـت الأرز، وزيت الزيتون، والمر والمستكة والحناء٠ ويسبق كل ذلك غسل وتطهير وتعطير ثـم لـف وتكفيـن الجـثة، مع وضع التمائم والحلي وكتابة اسم الميت وألقابه والرقى٠ وقد بلغ المصـريون درجـة الكمـال في التحنيط في عهد الدولة الحديثة حوالي منتصف الألف الثانية ١٥٠٠ق.م.، انظر : الصالح، عبدالعزيز، "**الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق**".ـ القاهرة، ١٩٨٤، ج١، ص٣٤٢؛ كمال، حسن، "الطب المصري القديم".ـ القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ص ٢٧٩، ٢٩٢ـ ٢٩٥.

(٣) فخـري، مصر الفرعونية، ص ٢٧٥. Groom, N., "Frankincense and Myrrh, London", 1981, p. 23.

وذكر في بردية الكاتب (آني) من عصر الدولة الحديثة في مصر ١٥٠٠ - ١٤٠٠ ق٠م٠ أن الكاهن (سم) وقف ليحرق البخور في مبخرة وينثر الماء من قارورة (١).

وهنا دليل على استعمال البخور لأغراض دينية والأرجح أن الماء كان معطرًا أو أن العطر كان مستعملاً بدلاً من الماء أحيانًا٠

وقدم العرب الضرائب والهدايا للملوك والحكام من مواد مختلفة من أهمها البخور والطيوب، فمثلاً قدم العرب إلى كسرى الفرس قمبيز ألف تالنت من البخور سنويًا٠

وقبل ذلك العصر في القرن العاشر ق٠م٠ قدمت ملكة سبأ (بلقيس) إلى الملك سليمان «مئة وعشرين وزنة ذهب وأطيابا كثيرة جدًا وحجارة كريمة»(٢).

وكذلك فعل «كرب إل» السبئي، و« يتع أمر» السبئي فقد قدما هذه الإتاوة أو الهدية للملك الآشوري(٣).

ودفعت الملكة العربية (زبيبي - زبيبة) ملكة بلاد العرب (أريبى)؛ إتاوة للملك الآشوري تغلاث بلازر الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق٠م٠) وفعلت الملكة (شمس - شمسي) الشيء نفسه٠ وكانت من ذهب وفضة وعاج وأعشاب وثياب ومواش ونحو ذلك٠

وأخذ من رؤساء هيافا Haiappa ؛ وهي عيفة كما ذكرنا - ومن بدانا جزية مماثلة تتكون من المواد نفسها من ضمنها جميع أنواع التوابل(٤).

---

(١) إم هـرو ، برت ، "كتاب الموتى الفرعوني"، عن بردية آني٠ الترجمة عن الهيروغليفية السير: والس بدج، الترجمة العربية فيليب عطية. ــ القاهرة، ١٩٨٨م، ص ص ٢٠ ، ٢٤٥.

(٢) Herodotus , BK3 , with an English by A. D. Godley , Trans. , London , pp. 125 - 127. الملوك الأول، ١٠: ١٠، والتالنت = ٥٥ر٣٠ كجم ، انظر: سلطان ، المرجع السابق ، ص ٤٢ حاشية ٢، ١٩٦، انظر الشكل رقم (٣) عن رفع البخور.

(٣) بافقيه ، محمد عبدالقادر ، "تاريخ اليمن القديم".ــ بيروت، ١٩٨٥، ص ٥٥.

(٤) انظر هذا الكتاب ، ص ٢٤ ، ١١٨ ؛ Pritchard , Ancient Near Eastern Texts., pp. 283 - 284. جواد علي: المفصل ، ج١ ، ص ٥٧٧.

وأثبتت الشواهد التوراتية استعمالات البخور والعطور في مناسبات كثيرة منذ عهـد النـبي نـوح (عليه السلام) ؛ ولكن أهم المناسبات التي تعني البحث تقديم يثرون البخور كتقدمة ، في طقـس ديني « فأخذ يثرون حمـو موسى محرقـة وذبائح لله »[1]. وفي تكرار ذكر البخور والعطور مرات عديدة دليل واضح على انتشار استعمالهما، ومنذ عصر قديم[2].

ونسـتنتج مـن نصـوص الـتوراة معـرفة العـبريين للبخور والعطور، واستعمالاتها، بل ذكروا أنواع المواد المستعملة لتكوين خلطة البخور أو العطر وتحديـد مقادير معينة كما ورد أعلاه. وذلك منذ عهد النبي موسى (عليه السلام) فقد عـلمهم يثرون « شعيب » تقديم المحروقات كقربان لله. بالإضافة إلى أن ثمن الـبخور كـان غاليًا (مرتفعًا). ولذلك ورد في النص التوراتي عدم التبذير في استعماله. وتخصيص تقديم البخور والعطور للرب فقط. وللنبي موسى (عليه السلام) وأنها مقدسة فليحرصوا عليها.

وقـد بـلغ مـن اهـتمام العبريين بالبخور أن استمر استعماله في معبدهم بأورشـليم، بل خصصوا إحدى غرف المعبد كمخزن أو مستودع للبخور. ومن يدنسـه فيحكـم عـليه بالموت. وأسندوا مهمة الإشراف على البخور إلى قبيلة واحـدة منهم ألا وهي قبيلة «اللاويين»[3]. ويحتمل أن العبريين أخذوا استعمال الـبخور مـن يثرون "شعيب" الذي علمهم تقديم البخور كقربان ومن أهل مدين عامـة. استعمل العبريون البخور بكثرة وقد أمرهم النبي موسى (عليه السلام) بتقديم البخور فقدموه في (٢٥٠ مجمرة – أي مبخرة)[4].

---

(١) خروج ، ١٨ : ١٢.

(٢) خروج ، ٢٥ : ٥ – ٦ ، ٣٠ : ١ ، ٧ – ٩ ، ٢٢ – ٢٧ ، ٣٤ – ٣٨.

(٣) خروج ١٨ : ١٢؛ Muller , W. W., "Arabian Frankincense in Antiquity According To Classical Sources"., **Studies in The History of Arabia, Riyadh**. 1399, 1979, vol. 1, p. 85.

(٤) عـدد، ١٦: ١٧، ٣٩ ؛ وعن بخر وجمر، والمجمرة التي يوضع فيها الجمر والبخور، انظر: ابن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ص ١٦٨ ، ٤٩٥ – ٤٩٦.

ويرد دليل استمرار استعمال البخور في التوراة أيضًا حيث يتكرر ذكره في عدة أسفار[١].

بل تستمر الشواهد على استعمال البخور وموارده في الإنجيل أيضًا [٢].

ومما يدل على استعمالات البخور في سوريا، وفلسطين منذ الألف الثانية ق٠م٠ فقد عثر على مذبح للبخور في تل حاصور (من حوالي ١٥٠٠ ق٠م٠)، وعثر في مجدو على طاسة بخور بحامل (أي قاعدة عمودية) من الفخار المتقن الصنع[٣].

ومن الشواهد على استعمال البخور وانتشاره في بلاد كنعان، وجود مباخر عديدة في بيت شان[٤].

ويوجد بالمثل الكثير من المباخر في بلاد الرافدين (نينوى وآشور) وغيرهما، وكذلك في شمال شبه الجزيرة العربية؛ بل في كل أنحائها من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها٠ فعثر على الكثير من المباخر، وفي شبه الجزيرة العربية عثر على حجر تيماء المكعب وتظهر عليه صورة المباخر[٥]. ويضاف إلى ذلك مجموعة المباخر التي عثر عليها في الشمال، وفي «الفاو» في جنوب شبه الجزيرة٠[٦] ومجموعات مباخر من اليمن وحضرموت[٧].

ويضاف إلى ذلك ماعثر عليه من مباخر ومناصب حرق البخور في منطقة مدين، وفي تمنع على الخصوص ٠ منها مناصب للبخور (مصرية) ٠ وهنالك

---

(١) نشيد الإنشاد ، ١ : ٣ ؛ ١ : ١٢ ؛ ٤ : ١٤؛ أستير ، ٢ : ١٢٠

(٢) متى ، ٢ : ١١ ؛ مرقس ١٤ : ٣ ؛ ١٥ : ٢٣.

(٣) Groom , Op. Cit.. , p. 32.

(٤) Gray , J. , **The Canaanites**, London T. & H. , 1964, p. 76.

(٥) أبو درك، حامد ، "**مقدمة عن آثار تيماء**" ـ ط١ـ الرياض، ١٩٨٦م، ص ٥٤ ؛ سلطان ، المرجع السابق ، ص ٢٤٩٠

(٦) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، "**قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية**"ـ الرياض ١٤٠٢هـ ، ص ص ١٣٦ - ١٣٧٠

(٧) بافقيه، **تاريخ اليمن القديم** ، ص ٢٠٥٠

صف من المناصب (المذابح)، في مستوطنة عمليقية، إضافة إلى وجود وعاء وحيد له شكل مميز يبدو أنه كان مستعملاً كمبخرة [١].

وقد ورد نص صريح في التوراة عن جمال مدين وعيفة التي تحمل الذهب واللبان «تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهبا ولبانًا» [٢].

نستنتج من النص ومما سبقه وجود البخور بمواده المختلفة والمعروفة مفردة ومخلوطة. مع انتشار استعماله ووجود أدواته من مباخر ومناصب في مدين وكل البلاد المحيطة بها.

مما يدل على رواج تجارته، وأنه يأتي من بلاد العرب، حيث تزرع أشجاره، وينتج. ثم يجمع وتنقله القوافل التجارية إلى الشمال، وربما أن قوافل مدين وعيفة احتكرت نقله إلى عهد سبأ، في زمن النبي إشعيا. ويمر عبر أراضي مدين إلى المناطق التي تستورده في بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر، بدليل الشاهد التوراتي المذكور أعلاه. بل ويقومون بحماية قوافل البخور وبعض القوافل الأخرى منذ دخولها إلى أرضهم حتى تصل وجهتها شرقًا أو شمالاً أو غربًا.

وربما أن القافلة تقف في مدين، تفرغ بعض حمولتها ويتولى أهل مدين نقلها على قوافلهم الخاصة بدليل «كثرة الجمال بكران مديان وعيفة».

قام الفينيقيون بعد ذلك في الألف الأولى ق.م. تقريبًا بنقل البخور والتوابل إلى بلاد هيلاس [٣]. ولانستبعد مشاركة أهل مدين في هذا النقل عبر البحر الأحمر إذ تنقله مراكبهم إلى موانيء مدين (مثل ميناء الحوراء والمويلح ومقنا)

---

(١) Rothenberg , Timna , pp. 131 , 150 , 154, 162.

(٢) إشعيا ، ٦٠ : ٦ .

(٣) Herodotus , Op. Cit. , BK . 3 , p. 135.

حيث يفرغ وينقل بواسطة القوافل إلى بلاد فينيقينا ومن هناك يعاد تصديره إلى مدن حوض البحر الأبيض المتوسط.

هـذا بالنسـبة لجميع مواد البخور والعطور أما فيما يخص أشجار الأكاسيا Acacia أي أشجار السنط، التي يستخرج منها الصمغ العربي، بالإضافة إلى نوع آخـر اسـمه السنا Sanna. فهي من المزروعات المحلية في بلاد مدين[1]، وفي وادي عـربة. فكـانت تقطع أغصانها وفروعها وتستخدم حطبًا جيدًا أي وقودًا لأفـران صـهر النحاس، حيث عثر على أكوام من هذا الحطب قرب أفران الصـهر. مما استنزف الحياة النباتية في وادي عربة خاصة. ولازالت أشجار الأكاسيا تنمو وتنتشر في المنطقة [2].

٣- الموازين والمكاييل والمعاملات التجارية :

تعـامل الناس بالكيل والوزن. واتخذوا بعض المقاييس الأخرى منذ القدم.

---

(١) Burton, The Gold Mines of Midian, p. 242 ; Land of Midian, vol. 2 , p. 275.

إذا كـانت الأكاسـيا مـن نوع Cassia Obovota تعرف باسم السنا Sanna انظر المرجع نفسه والصـفحة أعـلاه، مـادة Acacia وتعني سنطًا وصمغًا عربيًا. انظر: بعلبكي، منير "المورد"، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٢١.

(٢) Rothenberg , Timna , . pp. 80, 232.

وقـد ورد في القرآن الكريم ذكر بعض أنواع البخور والنباتات العطرية والتوابل مثل «الروح، والريحان»، قال تعالى : ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم ﴾ انظر: سورة الواقعـة، الآية : ٨٩. ﴿ والحب ذو العصف والريحان ﴾، سورة الرحمن، الآية : ١٢. وذكر الزنجبيل قال تعالى: ﴿ كأسا كان مزاجها زنجبيلا ﴾ انظر: سورة الإنسان، الآية: ١٧.

وذكـر شـجر السدر ومفردها السدرة قال تعالى : ﴿ وشيء من سدر قليل ﴾ انظر : سورة سبأ، الآية: ١٦. وقال تعالى: ﴿ في سدر مخضود ﴾ انظر سورة الواقعة، الآية : ٢٨. وقال تعالـى: ﴿ عـند سدرة المنتهى ﴾ و﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ انظر: سورة النجم، الآية: ١٤ ، ١٦.

وجـاء في الذكر الحكيم اسم الكافور قال تعالى : ﴿ من كأس كان مزاجها كافورا ﴾ انظر: سورة الإنسان، الآية : ٥.

ثـم أخيـرا ورد المسك أيضًا ، قال تعالى : ﴿ ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ، انظر: سورة المطففون، الآية : ٢٦.

هـذه المـواد العطـرية الـتي ورد ذكرها في القرآن كمثال حي معروف وشائع لدى أهل شبه الجزيرة العربية إلى عصر الإسلام.

وكان الميزان ذو الكفتين معروفًا ومستعملا منذ الألف الثانية ق٠م٠ تصور بردية آني مشهد المحاكمة فنرى في المشهد وزن قلب المتوفى في ميزان ذي كفتين، لمحاسبته٠ والمشهد موجود في مقبرة بنوت في الجنوب٠ من عصر الأسرتين ١٨- ١٩[١] ٠

وذكر القرآن الكريم القسطاس أي الميزان، قال تعالى: ﴿... وَزِنُواْ بِٱلقِسطَاسِ ٱلْمُستَقِيمِ... ﴾ الآية[٢]٠ وكان من المكاييل والموازين المعروفة [٣]٠

وذكرت بعض الموازين الصغيرة مثل الحبة والقيراط والمثقال والدرهم، والأوقية، والبزمة، والشعيرة والرطل والقنطار [٤]٠

ودراهم مفردها درهم، من الدراخمة اليونانية ويساوي ٩٧ر٢جم٠ والعلاقة بين الدرهم والدينار ١٠:٧ ويساوي المثقال حوالي ٢٥ر٤ جم[٥]٠

---

(١) أم هرو ، المرجع السابق ، ص ص ١٢ ، ١٩٣٠

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٣٥ ؛ سورة الشعراء ، الآية : ١٨٢ ؛ السيوطي : تفسير الجلالين، ص ٣٦٩ ، ١٨٢٠

(٣) القسط : مكيال يسع نصف صاع أي اثنين وثلث رطل والقسط يعادل الحصة أيضًا٠
الفرق: يساوي ستة أقساط أو ستة عشر رطلاً٠
المد: أصغر مكاييل العرب ويعادل رطلاً وثلث الرطل، أو ملء كفي الإنسان٠
الصاع : يساوي أربعة أمداد أي خمسة أرطال٠ واستعملوا الشاقل في الوزن، وذلك لوزن الذهب والفضة٠ وشاقل لفظة بابلية دخلت على اللغة الآرامية والعربية والعبرية٠ ويساوي الشاقل ٥ر١٤ جم٠ انظر، ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ)، **"العقد الفريد"**؛ تح٠ محمد سعيد العريان.ـ بيروت، ج٨، ص٦٣ ؛ H. B., Dic. Op. Cit., p. 938 ؛ جواد علي ، **المفصل** ، ج ٧، ص ٦٢٨ ؛ ابن منظور، المرجع السابق، ج ١ ، ص ٤٢٩، ج٢ ، ص ٤٩٣، ج ٣ ص ٤٥٤٠ الحليسي، المنهج الاقتصادي لنبي الله شعيب ، ص ٦٢٠

(٤) جواد علي ، **المفصل**، ج ٧، ص ٦٢٨ ومابعدها٠ سورة لقمان، الآية : ١٦ سورة الزلزلة ، الأيتان : ٧ – ٨ ، سورة يوسف ، الآية : ٢٠٠

(٥) " الموسوعة العربية الميسرة "، بإشراف محمد شفيق غربال. ـ ط٢. ـ القاهرة، ١٩٧٢م، ص ص ٧٩١، ص ١٦٤٥- ١٦٤٦، ذكر القنطار في سورة آل عمران، الآية:١٤ والآية: ٧٥، سورة النساء، الآية: ٢٠ ؛ كما ذكر الكيل والصواع في سورة يوسف، الآية: ٧٢ ، الآية : ٦٥٠

وجـــاء ذكـــر أوزان ، ومقاييس أخرى كانت معروفة مثلاً في مصر، وبلاد الشام، وبلاد الرافدين في العصر الآشوري الحديث، وفي العصر البابلي الحديث. وكـــان مـــنها: شـــاقل ومنا، وتالنت، وكور وللمساحة، وإيكو، وبورو أيضًا. أما بالنســبة لقيمة الأوزان فعمومًا أن قيمتها غير ثابتة فهي متغيرة من عصر إلى آخر. وحسب العرف السائد والمتفق عليه(١).

المـــن : ومـــنا أو منو. وهي لفظة بابلية وتساوي رطلين. ومعروفة لدى اليونـــان والســـريان، وعـــرب الجاهلية، وهي منا – أمناء מנים Minas - وتساوي ٥٠ شاقلاً.

الوسق : ستون صاعا، وقيل يعادل حمل بعير.

وقيـــل الوســـق ثلاثـــة أقفزة. والقفيز أصغر من القاب. والوقر والجريب والكر، ونحو ذلك(٢).

وقد ورد في التوراة ذكر بعض الموازين(٣).

والأرجح أن أغلب تلك الموازين والمكاييل معروفة ومستعملة من قبل أهل شـــبه الجزيـــرة العربية، ولدى أهل بلاد الرافدين. وقد أدخل الهكسوس أنواعًا جديدة من الموازين مع العربة الحربية إلى مصر خلال فترة حكمهم فيها (٤).

---

(١) كونتينو، جورج. "**الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**"، ترجمة سليم التكريتي.ـــ ط٢.ـــ بغداد، ١٩٨٦م / ١٤٠٦هـــ، ص ص ١٦٢– ١٦٣، كورو Kuru = حوالي ٥٤٠ بوشل، المرجع نفسه، ص ١٠٠، حـــا، ١. وحديـــثًا في مصر فالرطل Pound (Lb) = 453 جرامًا. والفرسخ للمساحة = ٣,٢٥ أميال. انظر: إلياس، أ.أ، "**القاموس العصري**".ـــ ط٩.ـــ القاهرة، ، ١٩٦٢ ص ص ٢٥٣، ٤٩٨.

(٢) جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ٦٣١ ؛ الملوك الأول ١٠: ١٧؛ H.B.Dic., Op. Cit., pp. 637, 650

(٣) شاقل : שקל Shekel
وزنة : ככר Talent
العمر : העמר The Omer
الإيفة : האיפה The Ephah
قسيطة : — Kesita
الملوك الأول ، ١٠ : ١٤ ، ١٦، خروج ، ١٦ : ٣٦.

(٤) صالح ، **الشرق الأدنى القديم** ، مصر والعراق، ص ١٩٨ ؛ فخري، **مصر الفرعونية**، ص ٢٤٦.

ويرجح استعمال العرب وأهل مدين عامة لكل الموازين والمكاييل المعروفة. وعلى وجه الخصوص الموازين المذكورة في التوراة والقرآن الكريم فقد كانت شائعة في الحجاز[١]. وبالنسبة لأهل مدين فإنه نظرًا لاشتغالهم بالتجارة وخاصة تجارة مواد تحتاج إلى الوزن والكيل، وسبق أن ذكرنا الآيات التي توجه أهل مدين إلى ضبط الكيل وعدم بخس الناس وغشهم [٢].

ويرد في الآيات شاهد واضح على استعمال أهل مدين للموازين والمكاييل؛ بل لجوؤهم إلى ممارسة الفساد والانحراف التجاري حيث بينت الآيات طلب نبيهم منهم الالتزام بالعدل والأمانة وعدم الغش وبخس الناس في البيع والشراء.

والأرجح أن بيوع أهل مدين كانت تتم على صفة المقايضة. أي مقايضة سلعة بأخرى وذلك لعدم معرفة النقود وسكها في عصر أهل مدين. وإما أن تتم مقايضة سلعة محلية مقابل سلعة أخرى مستوردة تحتاجها السوق المحلية. أو مقابل المعدنين الثمينين أي الذهب والفضة (معدن خام ، أو مصنع؛ حلي مثلاً).

وعرفنا في شبه الجزيرة العربية من العصر الجاهلي (القرون الميلادية الأولى) بيوع متعددة مثل : بيع المناجشه، وبيع المنابذة، وبيع الملامسة، وبيع الحصاة. ولكن لم يتحدد مبدأ أمرها بتاريخ معلوم ولا ندري إن كانت مستعملة لدى أهل مدين أو غير ذلك. وقد نهى الإسلام عن كل بيوع الجاهلية لما فيها من غش وتدليس.

يتضح انتشار الغش والتدليس، بل والتطفيف وبخس الناس أشياءهم كما بينته الآيات الكريمة ونهتهم عن ممارساتهم المنحرفة.

والأرجح أنهم كانوا جباة ضرائب ومكوس وفرضوا إتاواتهم على البضائع، بل نتصور أنهم فرضوا على الطرق والمرور عبرها ضرائب، ورسوم مرور.

---

(١) جواد علي ، **المفصل** ، ج ٧ ، ص ٦٣١.

(٢) سورة هود، الآية : ٨٥ ؛ سورة الشعراء، الآيات : ١٨١- ١٨٣.

ونجد مثالاً من فترة لاحقة فقد ذكر بليني وجود جباة ضرائب عند الحوراء (ليوكـة كومـة) يفرضون إتاوة قدرها ٢٠٪ على السلع • وتطلب هذا التنظيم الـتجاري تخصـيص موظفيـن مـاليين؛ أي جباة ضرائب[١]• وذلك لحساب الضـريبة من قيمة البضاعة وأخذها؛ كمواد عينية في عصر مدين• ويفترض وجود هؤلاء الجباة على الطرق التجارية وفي الموانىء• وربما داخل المدن في الأسواق التجارية•

٤ - طرق وخطوط التجارة :

بشـر النبي إشعيا مدينة صهيون بمجيء بكران مدين وعيفة قادمة من سبأ تحمل ذهبًا ولبانًا [٢]•

نسـتنتج مـن ذلك أن جمال مدين ذهبت إلى سبأ لإحضار الذهب واللبان• ولابد أن هذه القافلة تسير عبر أراضي أهلها أي عبر أرض مدين وابنه عيفة• ممـا يوضـح أن درب التجارة وطريقها الحيوي كان يبدأ من شبوة، وسبأ في جـنوب غرب شبه جزيرة العرب• ويسير صاعدا مارا في أرض مدين وعيفة وإخوة مدين وأبنائه الآخرين•

ونفـترض أن أهل معين قد احتكروا تجارة البخور بين حضرموت وشبوة وقتـبان وتمـنع في جنوب بلاد العرب، وبين الشمال بحيث بدأ السبئيون غير ظاهـرين فـي تجـارة الـبخور مع الشمال في الألف الأولى ق•م• والقرون الميلادية الأولى•

وحيـث إن بيـن شبوة ومنطقة زراعة البخور رحلة أو مسيرة ثمانية أيام تقريـبًا، وهي المدة نفسها للوصول إلى الساحل أو وادي مسيلة فالرحلة طويلة ولكنها تشمل إقليم جنوب وادي حضرموت أيضًا وشرق وادي هجر• وفرضوا

---

(١) عباس ، إحسان ، "تاريخ دولة الأنباط".ـ عمان ، ١٩٨٧م، ص ١١٨ •

(٢) إشعيا ، ٦٠ : ٦ ، انظر هذا الكتاب ص ٢٢٦ .

نوعـــا من الاحتكار التام على تجارة البخور من بلاد الحبشة والجنوب العربي إلى الشمال إلى بلاد الرافدين. والبخور بالذات مادة تجارية غالية الثمن وتحتاج إلى وزن وكيل وضبط في التعامل بها.

وذكــر أجاثـــار خيدس أن مواد البخور والتوابل كان يجلبها الجرهائيون، والمعينيون إلى فلسطين وغزة مرورًا بالساحل الغربي لبلاد العرب.

وهدفــنا أن نوضـــح أن هذا الطريق بين الشمال والجنوب بمحاذاة الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية كان الشريان التجاري النابض بحركة التجارة منذ الألـــف الثانية ق.م. واستمر إلى القرون الميلادية الأولى عندما أصبح طريق تجارة قريش؛ أي طريق رحلة الشتاء والصيف[١].

ونرجح أن أهل مدين أول من قام بهذا الدور في تجارة البخور، ونقلها إلى الشمال؛ بل احتكروا هذه التجارة عبر هذا الطريق أيضًا.

فإنه من الواضح أن مدين كانت سوقًا تجارية كبيرة للبخور وغيره من مواد التجارة القديمة وأهمها تجارة البخور، وتجارة الرقيق، وتجارة الذهب والفضة، وربمـــا تجارة النحاس أيضًا. وتجارة المؤن الغذائية والخمور والأنبذة، وتجارة التمور. ثم تجارة الأنسجة والملابس، والإبل والمواشي.

وكـــان فـــي مديـــن أسواق ومحطات تجارية داخل أراضيها وفي المناطق المجـــاورة، خاصـــة تلك الواحة الشهيرة، الواقعة في شرق مدين ونقصد مدينة تيماء[٢]، التي كانت محطة مهمة على طريق قوافل التجارة، المتجهة شرقًا إلى الـــبادية، ومن ثمة إلى بلاد الرافدين. فهذه الطريق التي تسير بمحاذاة الساحل الشـــرقي للبحر الأحمر ثم تتجه شرقًا عبر تيماء إلى بلاد الرافدين ويتجه فرع

---

(١) Doe, B. , **Monuments of South Arabia**, Naples Italy, 1983, pp. 93- 94, 98, 101, 103.
Muller, Op. Cit. , vol. 1, p. 80.

(٢) موسل ، المرجع السابق، ص ٨٨ .

آخر منها ؛ غربًا إلى مصر . كانت هذه الطريق الشريان الحيوي لتجارة جنوب شـــبه الجزيرة العربية ، والأرجح أنها من أقدم الطرق التجارية ؛ بل من أهمها مـــنذ الألف الثانية ق.م. بل ؛ ربما أقدم من ذلك بكثير، واستمرت في القرون الميلادية الأولى وما بعدها [١].

والأرجـــح أن المركـــز الشـــمالي لهـــذه الطريق في أرض مدين ومن هذه المـــنطقة تـــتفرع فيسير الفرع الأول المتجه شرقًا إلى حران مدينة القوافل في شـــمال بلاد الرافدين. إضافة إلى أن مدينة أور في عهد الكلدانيين كانت أعظم مديـــنة تجاريـــة [٢]. وكـــانت المحطة الثانية التي يعبرها الطريق واحة تيماء المجاورة لمنطقة مدين أو الامتداد الطبيعي، وربما السياسي لها.

وتســـير الطريق الرئيسة إلى بلاد الشام عبر مدين وربما تسير الطريق إلى مـــاوراء حـــدود بلاد الشام. وتعد فرعًا ثانيًا. ويتجه الفرع الثالث أو الطريق الثالثة غربًا إلى مصر عبر شبه جزيرة سيناء. وربما كانت توجد طرق بحرية بين مدين ومصر حيث يتم نقل بعض البضائع على مراكب وسفن شراعية عبر رأس البحر الأحمر.

وربمـــا اتصل الطريق عبر شبه جزيرة سيناء بطريق سيتي الأول (الأسرة التاسعة عشرة) أي الطريق الحربي العظيم؛ الذي يصل بين سيلة (حصن تارو) عـــند القنطرة (تقع بين بحيرة البلح، والمنزلة)، ثم يمر عبر العريش، ورفح إلى غزة. ويبلغ طول الطريق من القنطرة إلى رفح حوالي ١٢٠ ميلا. وقد عبرها الشاســـو (مـــن آسيا) عند دخولهم إلى مصر . وسلكها أحمس الأول (١٥٧٠ -

---

(١) Rostovtzeff , M., "Caravan Cities", Trans. By D. and T Talbot Rice, Oxford, 1932. pp. 12 - 13.

موســـل، المرجع السابق، ص ٩٧؛ يحيى، لطفي، **العرب في العصور القديمة**.ـــ بيروت، ١٩٧٩م، ص ص ٣١٤- ٣١٥ ؛ أبو العلا، المرجع السابق ، ج١، ص ١٢٧؛ سلامة ، المرجع السابق ، ص ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) ويعني اسم حران (مدينة القوافل) ، انظر : Albright , The Biblical Period , p. 6.

١٥٤٦ ق٠م٠) بطـــل مصـــر وحاميها أثناء محاربته للهكسوس (حقاوخاسوت) وطردهم، وتعقب فلولهم إلى شاروهين جنوب غزة، فقام سيتي بتعبيدها، وحفر آبـــار مياه الشرب، وهي ذات الطريق المعروفة منذ عهد الدولة الوسطى، حيث ذكرت هذه الطريق في قصة سنوحي[١].

وربمـــا أن هـــنالك طـــرقاً كثيرة عبر شبه جزيرة سيناء فقد كانت القوافل الـــتجارية من شبه جزيرة العرب وبلاد الشام (سوريا وفينيقيا وفلسطين) تجوب دروب ســـيناء فـــي ذهابهـــا إلى مصر وإيابها منها٠ ولكن هنالك طريق قديمة والأرجح أنها تربط بين مصر وأرض مدين وهي التي سلكها النبي موسى (عليه السلام) يـــوم فراره من مصر وحيدًا وربما أنه عاد منها من مدين إلى مصر٠ ثم سلكها يوم خروجه من مصر مع قومه بني إسرائيل[٢]٠ والأرجح أنها طريق مباشرة تـــربط بيـــن مصـــر وأرض مدين بجزئيها السينائي والعربي في شمال غرب الحجاز من بلاد العرب٠

والطـــرق الـــتي تعبر سيناء وتصل بين شبه جزيرة العرب ومصر كثيرة ومـــنها : طريق معروفة تبدأ من فلسطين مرورا بالغمر ثم ميناء أيلة، ثم مدينة مدين٠

ويذكر أن الطريق تصل إلى الوجه وهي الطريق نفسها التي سلكتها قريش فـــي طـــريقها إلى الشام بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر٠ وسلكتها عير قريش أيضًا في عودتها من الشام قبيل معركة بدر (سنة ٢ هـــ) [٣]٠

والأرجح أن الكثير من الطرق خرجت من أرض مدين إلى مناطق مختلفة إلى داخل شبه جزيرة العرب٠ ومنها طريق إلى مكة، لأنها مقر إخوة مدين من بني إسماعيل، وقد أشرنا إلى استيطان مدين في مكة لفترة زمنية ونعرف مجيء

---

(١) مباشر، **سيناء** ، ص ١٨٥ – ١٨٦٠

(٢) وإذا كان مقدار السير في اليوم حوالي ٦ فراسخ، فإن الطريق = ٦ X ٨ = ٤٨ فرسخاً X ٣٫٢٥ = ١٥٦ ميلاً٠ الفرسخ = ٣٫٢٥ أميال، انظر هذا الكتاب، ص ص ١٣٤ ، ٢٥٢ ٠

(٣) الحموي ، معجم، ج٥، ص ٥٥، موسل ، المرجع السابق، ص ١٤٦.

بني إسماعيل من مكة للتجارة أو للزيارة وربما استقر بعضهم في أرض إخوتهم مـــن بـــني مدين[1]. كذلك الأمر بالنسبة ليثرب حيث إن قربها من منطقة مدين، والشـــمال، يجعلنا نتوقع وجود طريق يصل بين يثرب (الواحة) ومدين. ثم ورثت البتراء وأهلها الأنباط كل تلك المنطقة بدروبها ومحطاتها وأسواقها التجارية.

وكان طريق مدين – مكة، وطريق مدين – يثرب هما نفس الطريق الأول لدرب الحج الشامي إلى مكة والمدينة (يثرب). وكذلك درب الحج المصري كما ذكرهما الاصطخري والإدريسي [2].

وأشرنا سابقا إلى التجار المديانيين منذ عهد النبي يوسف (عليه السلام) إثر قصته مـــع إخوتـــه وبيعـــه في مصر[3]. وذلك دليل واضح ومستمر يشهد على دوام حـــركة قوافل التجارة، ووجود الدروب والطرق الواضحة التي تسلكها القوافل منـــذ الألف الثانية ق.م. أو ربمـــا قبل ذلك. استنـــادًا إلى تأريخ قصة يوسف (عليه السلام) ودخـــول بـــني يعقوب – إخوة يوسف وربما قبيلته كلها إلي مصر بين القرن الثامن عشر إلى السابع عشر (١٨٠٠ – ١٧٠٠ق.م.)[4] .

وإذا تتبعـــنا الطـــريق الـــتجاري العظيم أو "طريق البخور" كما عرف في القـــرون الميلادية الأولى[5]. وكانت هي الطريق التجارية الرئيسة؛ أي طريق البخور؛ تبدأ من عواصم جنوب بلاد العرب في القرون الميلادية؛ متجهًا شمالاً إلى الـــبحر الأبيـــض المتوســـط عند غزة على التحديد؛ لأنها أصبحت مركزًا تجاريًا لبضائع جنوب بلاد العرب، كما ثبت من بردية زينون المصرية. حيث ذكر أن قافلة البخور والمرة قبل وصولها إلى غزة تمر بخمس وستين محطة

---

(١) تكوين ٣٧ : ٢٥ – ٣٠ ؛ موسل: المرجع السابق، ص ٧٧ ؛ انظر: الخريطة رقم (٦).
(٢) انظر : هذا الكتاب ص ص ٦٤، ٦٩ .
(٣) تكوين ، ٣٧ : ٢٥ – ٣٠ ؛ Talec , Op. Cit. , Para 25.
(٤) Albright , Archaeaology of Palestine., p. 83.
(٥) النعيم ، نورة عبد الله علي، **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن ٣ق.م – ٣ م**.- الرياض ١٤١٢هـــ ، ص ٢١٨.

إبــل وذلــك منذ قيامها من العاصمة القتبانية «تمنع» • وتستغرق الرحلة مدة ســبعين يومًا من إيلانا (لحيان) في الشمال إلى أسواق البخور في الجنوب أو بالعكس[(١)] •

وإذا تتبعــنا هذه الطريق عندما تبدأ من مسقط - شبوة - صنعاء - مأرب، ثــم تتجه إلى الشمال فتصعد إلى نجران - تثليث - قرية ، ثم إلى شمال غرب بلاد العرب - عبر الحجاز - مكة - يثرب (المدينة) - ديدان (العلا) - الحجر (مدائن صالح) - وهنالك الفرع الشرقي إلى تيماء - تبوك - معان - بتراء - غزة ثم غربًا إلى العريش (رينوكلورا) على ساحل مصر • وفي بلاد العرب من ديدان - لويكة كومة على البحر الأحمر[(٢)] •

كــانت معظـــم التجارة تنقل برًا لعدم تعود العرب على ركوب البحر، وقلة خبرتهم الملاحية، حتى أنه يظن أن تأسيس الملك النبي سليمان (عليه السلام) لأسطوله البحري «أسطول أوفير»، وبناء ميناء عصيون جابر ليكون ميناءً رسميًا لرسو أســطول أوفير وتفريغ البضائع وذهب أوفير • وكذلك كان معدا لرسو «أسطول ترشــيش» قد أضر كثيرًا بالطرق البرية ومحطاتها • مما جعل بعض الباحثين يظــن أن زيــارة ملكة سبأ للملك سليمان كان ضمن أهدافها؛ مناقشة الأوضاع الاقتصــادية، ومحاولة من ملكة سبأ للمحافظة على طرق التجارة البرية للاتفاق عــلى تحديــد نصيب عادل لكل من الطريقين البري، والبحري لما لحظته ملكة سبأ من أضرار لحقت بتجارتها البرية[(٣)] •

والأرجح أن الملك سليمان لم يبدأ في تنفيذ مشاريع أساطيله (أسطول أوفير وأســطول ترشيش) إلا بعد أن رأى تجارة بحرية عبر البحر الأحمر وموانىء

---

(١) Muller , Op. Cit. , pp. 81 - 82.

(٢) Newby , G. , A . "**History of Jews of Arabia**", University, of South Carolina , 1988. , p. 11.

(٣) مونرو، المرجع السابق، ص ٣٣.

جيـدة قائمـة في المنطقة وسفنًا تمخر البحر جيئة وذهابا. ونقصد أن ذلك كان قائمًـا فـي المـنطقة عـلى أيدي أهل مدين، والشاهد على ذلك الذي يؤيد هذا الافـتراض وجود العديد من الموانىء الكبيرة مثل العقبة أو أيلة - والتي تنسب إلى أيـلة بـنت مدين. وهنالك ميناء مقنا، وميناء المويلح، ثلاثة موانىء كبيرة عـلى الأقل بالإضافة إلى بعض المراسي الصغيرة على شاطىء البحر الأحمر نظرا لطول الساحل المدياني على هذا البحر.

ويتضـح بذلـك أن أرض مديـن وبحرها كانا ميدانين لفعاليات النشاط التجاري. وساعد على ذلك توافر محطات التموين والاستراحة في واحات مدين نفسـها وموانـئها. والطرق المهمة، والمتعددة التي تخرج من أرض مدين إلى جميع أنحاء شبه جزيرة العرب. وتمر من مدين إلى خارجها، إلى جميع البلاد المجـاورة فـي بلاد الرافدين، وبلاد الشام وما وراءها (ربما إلى الأناضول). وإلى مصـر. ويرجح أنه تم نقل بعض مواد التجارة بواسطة سفن أو مراكب بحـرية بيـن جـزئي مدين (الجزء العربي في شمال غرب الحجاز، والجزء السـينائي فـي شـبه جزيـرة سيناء). وكذلك بين مدين ومصر نظرًا لتقابل الساحلين، وقصر المسافة بينهما عبر البحر.

وتلخيصًـا لمـا سـبق فـإن موقع مدين الجغرافي، بالإضافة إلى نشاط أهلها الـتجاري، وخبرتهم منذ عصر مدين الباكر قد هيأ لها مركزًا تجاريًا بارزًا في ذلك العصر. وأعطاها موقعها الجغرافي سيطرة على الطرق التجارية. وجادت الطبيعة عليها بتوافر الواحات ومياه الشرب. فأصبحت مدن مدين؛ واحات ظليلة ومحطات تجاريـة حيويـة ومـنها: مديـن، والـبدع، وعينونة والعويند، والصلاة، والنبك، والقصـيبة، والـبحرة والمغيـثة، وضبا، والوجه. تقف عندها قوافل التجارة طلبا للراحة، وللتزود بماء الشرب، والمؤن الغذائية، وحينا لإفراغ بعض البضائع لبيعها وتسـويقها محليًّا. ويتم نقل البضائع الأخرى إلى الدول المجاورة، إلى بلاد الشام، وآسيا الصغرى شمالاً، وإلى بلاد الرافدين، وفارس شرقًا، وإلى مصر غربًا.

وتنـــتقل هذه القوافل بحمولتها من مدين عبر الطريق التجاري العظيم، الذي يبدأ من أقصى الجنوب الغربي إلى أقصى الشمال في بلاد العرب (شبه الجزيرة العـــربية)، ولابد أن هذه الطريق كانت تمر عبر وادي الأبيض الذي يجري في أرض مديـــن. ويفترض أن فرعه الغربي هو الطريق نفسه الذي سلكه الأمير الأدومي (هدد) يوم هروبه من إدوم إلىمصر؛ عبر مدين إلى فاران ومصر[1].

وتتفرع من هنالك طرق كثيرة، عن الطريق العظيمة حسب الدول والمناطق المذكورة. وعمومًا تمر طرق تجارة الجنوب العربي عبر مدين وشرق الأردن والنقب بصورة منتظمة منذ القدم[2].

ويـــرجح أن الطـــريق الملكية فرعٌ من هذا الطريق القديم؛ لأنه يمر خلال أرض إدوم. وكـــان طريقًا معبدة وتحظى بالصيانة الدائمة مما يسهل ارتيادها والسفر عبرها.

وظـــلت هذه الطرق عامرة ومطروقة إلى العصر الإسلامي حيث أصبحت هـــي طرق الحجاج، أو دروب الحج (الحج العراقي، قادمًا من الشرق. والحج الشـــامي قادمًا من الشمال؛ من بلاد الشام، والحج المصري قادمًا من الغرب). وأصبحت المحطات التجارية منازل للحجاج أيضًا، حيث ينزلون فيها للأغراض نفســـها، لـــلراحة مـــن مشاق السفر الطويل، وللتزود بالماء والطعام. وكانت ومـــازالت قوافـــل الحجاج سواء البرية أو البحرية وحديثا عبر الخطوط الجوية تحمـــل معهـــا البضائع الخفيفة ربما (ماخف حمله وغلا ثمنه) لبيعها في موسم الحج.

---

(١) الملوك الأول ١١ : ١٨ ؛ موسل: المرجع السابق، ص ١٤٨ - ١٥٠.

" Midianites and Ishmaelites, Midian Moab, and Edom, Ed. J. Sawyer"Knauf, E. , **JSOT**, Series 24, Sheffield, 1983, p. 148.

(٢) Israel, F., "Arabian Trade and Socio - Political Conditions In The Negev In The Twelfth - Eleventh Centuries B.C". ،"**JONES**, Ed. R. Biggs, Chicago, 1988 , vol. 47, p. 248.

٥ – وسائل النقل :

أصبح الجمل في الفترة التاريخية المعنية بالدراسة وسيلة النقل الأولى، ودابة الحمل المفضلة. بعد أن كانت دابة الحمل السابقة الحمار. فمنذ فجر الحضارات كانت قوافل الحمير واسطة النقل الأولى في مراكز الحضارة في الشرق الأدنى عامة، بل في مراكز الحضارة الأخرى في العالم القديم.

ويفترض أن القرن التاسع عشر ق.م. شهد ذروة نشاط تجارة قوافل الحمير كما ثبت من الوثائق الآشورية التي عثر عليها في كبادوكيا Cappadocia وكذلك من النقوش المصرية في سرابيت الخادم – Serabit el-Khadim في غرب سيناء. وقد سجلت النصوص المصرية المعاصرة أن قافلة الحمير قد تتكون من مئتي حمار. وقد يصل العدد إلى ستمائة حمار في القافلة الواحدة.

وكان أهل الشمال يفضلون تربية الحمير السوداء. بينما كان المصريون، وأهل سيناء يفضلون تربية الحمير فاتحة اللون. مع أن الجمل كان معروفًا في ذلك الوقت[١].

الجمل : عرف الجمل في شرق شبه جزيرة العرب وفي جنوبها الشرقي أولاً. واعتنى الإنسان العربي في تلك المنطقة بتربية الجمل، بعد أن تم تأنيسه ونقله من الحالة البرية، أو الوحشية كما كان في البيئة الطبيعية. وقد استفادوا من الجمل بأكل لحمه، وشرب ألبان النياق. بالإضافة إلى الاستفادة من وبره لصناعة ملابسهم، وخيامهم، بل استفاد الإنسان من عظام الجمل، ومن روثه، بل حتى من بوله.

---

(١) Albright, The Biblical Period, p. 6.

وكان الجمل معروفًا منذ عصور قديمة خلال عصر البلايستوسين في شمال أفريقيا وآسيا. ومناطق أخرى جمل ذو سنامين ونوع آخر بسنام واحد، وقد ظهر الجمل في النقوش الصخرية والرسوم التي تعود إلى حوالي ٨٠٠٠– ٧٠٠٠ ق.م. انظر:

Bulliet, R., "**The Camel and The Wheel.**", New York, 1989, . pp. 28- 29.

ولكـن لم يتم ترويضه واستعماله كدابة حمل ، وللسفر والانتقال إلا في فترة لاحقة ومـتأخرة عـن بداية تأنيسه والاعتماد عليه كمصدر غذائي ٠ وحدث التطور الكبير في استعمال الجمل في السفر، والحرب بعد تطور صناعة الشداد الخاص بالجمل [١]٠

ويفترض أن البداية التدريجية لاستئناس الجمل قد بدأت منذ حوالي منتصف الألــف الثالثة ق٠م،٠ أو أبكر من ذلك٠ ولكن ليس هنالك شواهد على استعمال قوافــل الجمـــال وحملات الغزو بالجمل قبل القرن الثاني عشر ق٠م٠[٢] ومن الأرجــح أن قوافـــل الإبل قد بدأ سيرها قبل ذلك ببضعة قرون كما ستثبته هذه الدراسة٠

ذكر الجمل في التوراة منذ عهد إبراهيم الخليل (عليه السلام) فقد شكل الجمل جزءً من ثروة إبراهيم (عليه السلام)، وكان من ضمن ممتلكاته من القطعان والمواشي، كما جــاء فــي الــنص « فقال أنا عبد إبراهيم٠ والرب قد بارك مولاي جدًا فصار عظيمًــا٠ وأعطاه غنما وبقرًا وفضة وذهبًا وعبيدًا وإماءً وجمالا وحميرًا»٠[٣] وجــاء قبلا «ثم أخذ العبد عشرة جمال من جمال مولاه» [٤]٠ وهكذا جاء ذكر الجمل في التوراة في أكثر من موضع ومنذ عهد إبراهيم٠

---

(١) حتي، فيليب، "تاريخ العرب"؛ ترجمة محمد مبروك نافع.ــ ط٣ .ــ القاهرة، ١٩٥٣، ص ٢٦ ٠
Bulliet , Op. Cit., p. 23. ; Knauf, Midianites and Ishmaelites, Op. Cit., p. 149.

(٢) Albright , The Biblical Period, p. 7. , Bulliet, Op. Cit., p. 56.
يحدد ألبرايت استعمال الجمل وحقيقة دخوله فلك التاريخ التوراتي بحوالي ١١٠٠- ١٠٠٠ ق٠م٠ مع مجيء أهل مدين والعمالقة ومحاربتهم لجدعون وبني إسرائيل انظر: ياسين، خير نمر، "الجمل، ثــورة في عالم المواصلات في تاريخ العرب القديم"، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٢م، ص ص ٣٢- ٣٥، ٣٩.
Bulliet, Op. Cit., pp. 36, 77; Albright, The Archaeolog of Palestine, pp. 206- 207.

(٣) تكوين ، ٢٤ : ٣٥.

(٤) تكوين ، ٢٤ : ١٠ . ونؤكد انتشار وشيوع استعمال الجمل في فترة تدوين التوراة (القرنين السادس والخامس ق.م).

وأما العير المذكورة في قصة النبي يوسف (س) فقد ذكرها القرآن في آياته، قال تعالى : ﴿... ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ... ﴾ الآية وقال تعالى: ﴿... وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ... ﴾[1]. وجاء في التفسير أن العير القافلة من الجمال أو الحمير[2]. ولكن الأرجح أن القافلة كانت قافلة إبل بدليل ذكر البعير وهو الجمل، كما ورد في الآية الأخرى.

وذكرت التوراة الشيء نفسه « وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولاذنا لينزلوا بها إلى مصر ... واجتاز رجال مديانيون تجار فسحبوا يوسف»[3]. فالقافلة في عهد يوسف (س) كانت من الجمال. وكان ذلك حوالي القرن السابع عشر أو السادس عشر ق.م. إذا اعتبرنا أن المدة بين إبراهيم وتولي يوسف على خزائن مصر حوالي ثلاثة قرون (٢٨١ سنة) تقريبًا[4].

ويفترض أن ترويض الجمل واستخدامه كدابة حمل ونقل تم تدريجيا عبر فترة زمنية حيث يفترض أن التطور حدث ببطء، ومر بأربع مراحل هي :

المرحلة الأولى :

كان الجمل فيها «حيوان لبون» أي يربى لشرب اللبن. وقد بدأت هذه المرحلة في الألف الرابعة أو الثالثة ق.م. في جنوب شرق بلاد العرب، في عمان ثم انتشر إلى الجنوب الغربي. كما كان في سوقطرة والقرن الإفريقي (الصومال) وعندما عمل شداد الجمل كان غير عملي ، وغير مريح – الشكل رقم (٤).

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ٧٠ ، والآية : ٦٥ ؛ السيوطي: تفسير الجلالين ، ص ٣١٤.

(٢) ابن منظور، المرجع السابق، ج١ ، ص ٢٣٣؛ السيوطي، المرجع نفسه ، ص ٣١٤.

(٣) تكوين ، ٣٧ : ٢٥ – ٢٩ .

(٤) Finegan , J. ," **Hand Book of Biblical Chronology**", Princeton, 1964, p. 160.

وثبت أن الجمل ذا السنامين، روضه الإنسان خلال الألف الثالثة ق٠م٠ في منطقة شاري سوختا – Shari Sokhta في إيران وغيرها مثل تركمنستان – Turkmenistan حيث عثر على شواهد أثرية تحتوي على عظام الجمل٠ وجاءت إشارة في مسلة إلى تدجين الجمل وحيد السنام في عمان وشرق بلاد العرب في الفترة نفسها تقريبًا[١]٠

أما في فلسطين ومصر فلم تثبت الدلائل الأثرية وجود الجمل في الألف الثانية ق٠م٠ مع أن التوراة قد ذكرت الجمل من عهد إبراهيم (عليه السلام)٠ وجاء ذلك في القرآن الكريم أيضًا، ونأمل أن تظهر شواهد من حفائر أثرية تؤكده قريبًا٠ حيث يعد تأنيس الجمل نقلة حضارية كبيرة ذات تأثير يضارع اختراع الإنسان للعجلة، بل يفضلها لأنه كان يحل محلها في الاستعمال في الشرق الأدنى عامة، بل من مراكش إلى إفريقيا إلى أفغانستان في آسيا٠ وبعد ذلك في مناطق أخرى خاصة في العصر الروماني بعد القرن الثالث وقبل القرن السابع الميلاديين[٢]٠

ب – المرحلة الثانية :

تمت في غرب بلاد العرب قبل الألف الثانية ق٠م٠ حيث تم في هذه المرحلة ترويض الجمل للركوب والنقل٠ ثم للغزو والحرب٠ وحدث تطور كبير في صناعة الشداد (سرج الجمل) وعندما ظهر الشداد الخولاني المتطور (الشكل رقم ٥)٠ مما أدى إلى استعمال الجمل في السفر ونقل البضائع خاصة على درب البخور العظيمة٠ فحملوا على ظهور الإبل ما غلا ثمنه وخف حمله٠ أو ثقل وزنه لأن للجمل قدرة على حمل الأثقال الكبيرة أيضًا٠ ولكن البخور خاصة كان غالي الثمن٠ والكميات الصغيرة منه تجلب الأرباح الوفيرة، ومع شيوع استعمال الشداد الخولاني تحققت ثورة أو طفرة كبيرة في التجارة، واستمر استعمال هذا الشداد المتطور بل لازال مستعملاً في جنوب بلاد العرب٠

---

(١) HB. Dic. , Op. Cit. , . pp. 150 - 151.
(٢) Bulliet , Op. Cit., pp. 7- 8 ff.

ج – المرحلة الثالثة :

يتميز عصر (البداوة الكبيرة) باستخدام أقوام البدو الرحل للجمل لأول مرة في تنقلاتهم بحثا عن مصادر الحياة أو لنقل البضائع بين مراكز الإنتاج وأسواق الاستهلاك٠ ويحدد المؤرخون بداية ذلك في حوالي ١٢٠٠ ق٠م٠ وفي هذه الفترة أيضًا بدأ العرب استعمال الجمل في الأغراض الحربية٠ وقد ساعد على ذلك ظهور الشداد ذي الوسادة (الشكل رقم ٦) فمكن هذا الشداد الراكب المقاتل من فوق الجمل الرمي بالسهم من القوس، وهو معتلٍ ظهر الجمل٠ فعم استعمال الجمل لدى الجميع في الحرب والسفر، استعمله البدو أهل المدر، كما استعمله الحضر أهل المدن٠

وتطورت الحروب فأصبحت أكثر سرعة واستفادت القبائل من هذه الثورة الحربية الجديدة حيث أتاح لهم الجمل سرعة أكبر من الكر والفر٠ وقد ثبت ذلك من نقش بارز في تل حلف يعود إلى القرن التاسع ق٠م٠[١] (الشكل رقم ٢ أ – ب)٠

ونجد جنديبو العربي مذكورًا في الوثيقة الآشورية التي تحدثت عن معركة قرقر عام ٨٥٣ ق٠م٠ التي شنها الملك شلمناصر الثالث (٨٥٨–٨٢٤ ق٠م٠) بأن جنديبو شارك بألف جمل [٢]٠ وكان جنديبو زعيمًا عربيًا من شمال بلاد العرب٠

د – المرحلة الرابعة :

وتعد المرحلة الأخيرة بالنسبة لتأليف الجمل وتطور استعمالاته٠ وقد شهدت ثورة في صناعة الشداد (الشكل رقم ٨)٠

ومكن هذا الشداد الجديد المحارب من فوق الجمل من القتال برمح طويلة أو سيف من فوق ظهر جمل٠ وكان ذلك حوالي منتصف الألف الأولى ق٠م٠ وقد استعمل العرب هذا الأسلوب الحربي المتطور في معركة ماجنيسيا Magnesia حوالي ١٩٠ أو ١٩٨ ق٠م٠ أيضًا٠

---

(١) ياسين، الجمل، ص ٤٤ ؛ Knauf, Midianites and Ishmaelites, pp. 149- 150.

(٢) Pritchard , The Ancient Near East Texts, p. 279.

وهكذا كان القتال بالجمل أو من فوق ظهر الجمل مفيدًا في الهجوم، والدفاع عن القافلة، في الحرب والسلم، وفي المجالات الاقتصادية. مما أدى إلى تغيير كبير في ميزان القوى في قلب بلاد العرب [١].

وأصبح الجمل أعظم الحيوانات نفعًا للبدو، وسكان الصحارى، فغدا صديق البدوي، في حله وترحاله، بل عدل نفسه، فمن الجمل مطعمه وشرابه، ووسيلة نقله، وحمل أثقاله، وسلعه التجارية، وأدواته لعقد الصفقات. ومهر عروسه، وربحه في الميسر، ودية الدماء، ورأس ماله إجمالا ، فكانت تقدر ثروة الرجل أو البدوي بعدد إبله واتخذ من وبره ملبسه ومسكنه [٢].

وقد قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه «لايصلح العرب إلا حيث تصلح إبلهم»[٣].

وذكر القرآن الجمل كدلالة على آيات الله ومخلوقاته العظيمة، قال تعالى: ﴿ ... أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ ﴾[٤].

وخصّ الله تعالى الإبل بالذكر لشدة تلازم قبائل العرب وخاصة قريش بالإبل. والنظر للعظة والاعتبار في هذا المخلوق الضخم وفي ما له من مميزات وخصائص جمّه ومفيدة [٥].

ويوجد نوعان من الجمل المستأنس: الجمل ذو السنام الواحد Dormedary وهو النوع الغالب في بلاد العرب، وغيرها في شمال إفريقيا، والشرق الأدنى

---

(١) Knauf , Midiantes and Ishmaelites, p. 150.
ربما يبلغ طول السيف أو الرمح حوالي (٤) أذرع، والذراع = ١٨ بوصة، أي طول السيف أو الرمح ٢٥٠ – ٢٨٠ سم. انظر: بعلبكي، المورد، ص ٢٣٧. Bulliet , Op. Cit., p. 95

(٢) حتي، تاريخ العرب ، ص ٢٦.

(٣) حتي، المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٤) سورة الغاشية، الآية : ١٧.

(٥) السيوطي، تفسير الجلالين ، ص ٨٠٤.

وباكســـتان والهند، والآخر: الجمل ذو السنامين Bactrian ويعيش في مناطق أبرد مناخًا من سابقتها؛ في وسط آسيا وأفغانستان وإيران.

والجمـــل وحيد السنام أطول شعرًا، وأقوى جسدًا وأطول سيقانًا، أي أكثر طولاً أو ارتفاعًا عن النوع الآخر.

والجمـــل حيوان مجتر، وصبور جدًا على الجوع والعطش، وأصلح للسفر عـــبر مســـافات طويلة، كما أنه أكثر حملاً للبضائع بأنواعها الثقيلة والخفيفة. وأقـــدر عـــلى السير فوق رمال الصحارى حسب طبيعة أقدامه وأخفافه وقوته البدنية. ويحمل الجمل ٥ -٧ أضعاف مايحمله الحمار[١].

بـــلغت عناية العرب بالإبل حدًا كبيرًا حتى ذكر أن الهاجريين(أبناء هاجر) Hagarites كان لهم خمسون ألف جمل كثروة يعتد بها[٢].

ويـــبدو أن الجمـــل كان رأس مال أهل مدين، مثل بقية عرب الجزيرة، بل أكـــثر. فقد كان الجمل قوام ثروة الرجل الثري. وقوام الاقتصاد المحلي للقبائل المديانيـــة، فهم من اشتهروا في التاريخ كأول أمة تستعمل الجمل في حروبها. واعتبر المديانيون من الأثرياء لأنهم ملكوا أعدادًا كبيرة من الإبل. فقد وصفت التوراة إبل أهل مدين بكثرة مهولة «جمال أهل مدين كالرمل الذي على شاطىء البحر في الكثرة» [٣].

ويفـــترض من معلومات هذا النص التوراتي، أن أهل مدين كان لهم عناية خاصة وفائقة بالإبل وتربيتها وليس اقتنائها عن طريق الشراء فقط.

ولعـــل اشـــتقاق اسم أحد المواقع المعروفة في أرض مدين أو قربها يعطينا صورة عن مرابي الجمل ومناطق رعيه؛ وهو موقع «أم الجمال»[٤].

---

(١) ياسين ؛ الجمل ، ص ص ١٣ ، ٢٩ ، ٦٣ – ٦٤ ؛ Bulliet, Op. Cit., pp. 47, 143.

(٢) أخبار الأيام الأول ، ٥ : ٢٠ – ٢١.

H B. Dic , Op. Cit., pp. 150 - 151. Bulliet , Op. Cit. , p. 28 ff.

(٣) قضاة ، ٧ : ١٢ .

(٤) أم الجمال : تقع على بعد ٢٤ كم إلى الجنوب الغربي من بصرى الشام. وعثر فيها على الكثير ==

ونحسب أن شمال شبه جزيرة العرب الصحراوي بواحاته المتعددة، واعتدال مناخه كان مربى جيدًا للإبل بدليل أن الملك داود (عليه السلام) استأجر أبيئيل العرباتي Abiel للعناية بإبله. وكان من أعراب المنطقة المجاورة لفلسطين. كما شارك جنديبو العربي بألف جمل في معركة ضد الملك الآشوري[1].

وملك النبي إبراهيم (عليه السلام) عددًا كبيرًا من الإبل، والنبي أيوب كان من أثرياء عصره لأنه ملك ثلاثة آلاف جمل.

وحظي الجمل في اللغة العربية بأسماء كثيرة، أما ما عداها من اللغات الأخرى فلا يوجد فيها سوى جمل (كمل) Camel وبكرة [2].

وتتنوع تغذية الجمل فيأكل الأعشاب الخضراء في المراعي والأعشاب والأشواك الجافة. ونوى التمر بعد أن يجفف ويطحن، فيصبح مادة غذائية جيدة للإبل [3].

-- من الآثار منها صهاريج وأحواض مياه مما يدل على أنها منطقة زراعة ورعي، وربما تجارة، وبها نقوش نبطية. انظر: عباس، **تاريخ دولة الأنباط**، ص٨٣، ويضاف إلى ذلك وسط بلاد العرب والحجاز أو الساحل الشرقي للبحر الأحمر كمرابي جيدة لتأنيس وتربية الجمال، انظر:
Bulliet , Op. Cit. , pp. 46 - 47.

(١) ياسين، الجمل ص ص ٥٢ – ٥٣ ؛ جواد علي : **المفصل** ، ج ١ ، ص ص ١٩٩، ٥٧٥ ، ٦٣٤ ؛ أخبار الأيام الأول ، ١١ ، ٣٢. مما يدل على أن بني إسرائيل قد اقتبسوا اقتناء الجمل وتربيته من أهل مدين (انظر الشكلين رقمي ٥ ، ٦).

(٢) تكوين، ١٢: ١٦ ؛ ١٣: ٢؛ أيوب، ١:٣، وأسماء الجمل في اللغة العربية عديدة منها إبل وبعير، وبكرة، وأنثاه «ناقة». والهجن والحوار والبختية والنجيب والصرصرانيات، انظر: جواد علي، ج ١، ص١٩٩، ياسين، الجمل، ص ص ٣١ ٣٦.

(٣) كونتينو، المرجع السابق ، ص ١٣٨.

العثيمين ، عبدالله صالح ، **"من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية"** . ـ ط١. ـ الرياض، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص ٧٣.

وأجـود أنـواع الإبل «المهري»، و«العماني» و«العادي» (نسبة إلى بلاد عاد) و«العسجدي» أو الذهبي، والذلول العمانية تتميز بأنها أسرع الإبل وأسهلها سيرًا، ومذكورة دائمًا في قصائد العرب(١).

ويلي الإبل العمانية في الخصائص والمميزات إبل الحويطات، والسبعة من عنزة، والشرارات(٢).

وللإبل عدة أسماء حسب مراحل عمرها فعند مايبلغ الجمل عامًا من العمر يسمى «حوار»، وذو العامين «مفرود» أو «مخلول» أو «مخلال»، وذو الثلاثة أعوام «حق»، وإذا بلغ أربع سنوات يقال له «رباع» أو «جذع»، وتنجب الناقة في هذا السن فتدعى «بكر»، ويعيش الجمل ٤٠ عامًا تقريبًا، وإذا توقفت الناقة عن الإنجاب تختار للذبح.

ويعرف كل من يربي الإبل الأمراض التي تصيبها وطرق معالجتها.

واعتاد العرب استعمال الوسم ، فتوسم الإبل العربية «بالكي» بحديدة حارة، ولكـل قبيلة وسم خاص بها لتمييز الإبل ومعرفتها إذا سرقت ، ويوضع الوسم على رقبة البعير، أو الجانب الأيسر من كتفه(٣).

شداد الجمل :

والشداد هو (سرج الجمل أو الذلول)، وهذا اسمه في بلاد العرب كلها، وما يوضـع عـلى ظهـر الحمار «سرج» كما يسمى في الحجاز وهو شبيه بشداد الذلول(٤). ويتكون الشداد في صورته البسيطة من فرشة (بساط صغير) تفرش

---

(١) ياسين ، الجمل ، ص ٣٦ ؛ Bulliet , Op. Cit. , p. 48.

(٢) العثيمين ، المرجع نفسه ، ص ٧٤.

(٣) العثيمين ، المرجع السابق ، ص ص ٥٩ - ٦٠ ، ٦٢ .

(٤) العـثيمين ، المـرجع نفسـه ، ص ٨٣، مع ملاحظة أن سرج الحمار يعرف في الحجاز باسم (بردعة).

على ظهر البعير من طبقتين، أو ثلاث، ثم تطور بعد ذلك فأصبح الشداد يتكون مـــن وسادة توضع فوق الجزء الخلفي من ظهر البعير، ويربط بحبال من أسفل الــبطن. وقد يركب البعير في بلاد العرب بدون شداد فيجلس الراكب خلف أو أمام السنام على الظهر العاري، ولكن يكون الركوب غير مريح [1].

وأدى تطــور الشـــداد إلى نقـــلات مهمة في استعمالات الجمل كان آخرها استعمال الجمل في الحروب والغزو، لأن الشداد أصبح أكثر صلاحية للاستعمال في الأغراض الحربية.

وتعـــرف «الشبرية» في الحجاز؛ وتتكون من محفة ذات مقعد مصنوع من القـــش المبروم (المفتول) بطول (٥ أقدام). ثم توضع هذه «الشبرية» فوق شداد البعير. وتربط به وتثبت أربعة أعمدة دقيقة (من خشب) تصلها قضبان رفيعة. وتغـــطى مـــن فوق بقطعة من الحصير أو سجادة صغيرة لتظلل الراكب عن الشمس. وتكفي الشبرية لنوم الراكب فيها.

ويوجد الشقدف (الهودج) لركوب النساء. وهناك أنواع شداد مختلفة[2].

---

(١) ياسين، الجمل، ص ص ٧٠ – ٧١ ؛ Bulliet, Op. Cit., pp. 68 - 69, 71, 80 ff.

(٢) العثيمين، المرجع نفسه، ص ص ٨٢ – ٨٤ . انظر الأشكال ٧، ٨، ٩ .

د - فعاليات أهل مدين في الزراعة والرعي

أولاً - الزراعة :

تعرفـــنا عـــلى طبيعة منطقة أرض مدين، وذكرنا أهم تضاريسها المتميزة التي تغلب عليها وهي :

١ - مـــنطقة المرتفعات أي جبال مدين؛ وهي جزء من المرتفعات الغربية فـــي شـــبه الجزيـــرة العربية. وتعرف باسم جبال الحجاز، أو جبال السروات (الســـراة). وتمـــتد جـــنوبًا إلى أرض اليمن. ويبلغ ارتفاع جبال مدين حوالي ٩٠٠٠ قـــدم. وتـــنحدر هذ السلسلة انحدارًا شديدًا نحو الغرب أي نحو ساحل البحر الأحمر [١].

٢- مـــنطقة الوديـــان التي تتخلل تلك المرتفعات في منطقة مدين، وعلى طـــول ساحل البحر الأحمر. وتختزن كميات كبيرة من المياه الجوفية. وتفيض بمياه السيول الغزيرة في مواسم الأمطار. حتى يظن أنها أنهار جارية. وقدرت حديـــثًا نسبة المياه الجوفية في المنطقة بحوالي ٩٦٪ من مجموع المياه المنتجة تقريبًا. وتستهلك الزراعة حوالي ٧٨٪ منها[٢].

٣- مـــنطقة الحرار والواحات والسهل الساحلي ، تنتشر الواحات الكبيرة والصغيرة في شمال بلاد العرب ومنها واحات: البدع، ومقنا ، وتبوك، وتيماء . حيث تبدأ صحراء النفود عند طرف تيماء ممتدة شرقًا إلى رأس الخليج العربي (الفارسي)[٣] . بالإضافة إلى طرف هضبة الحسمة، والشريط الساحلي الضيق الذي هو جزء من سهل تهامة. وتنتشر الزراعة في هذه المنطقة؛ خاصة مناطق الواحات وضفاف الأودية.

وأمـــا مـــا يـــراد من تعميم جدب أرض شبه جزيرة العرب فهي مبالغات

---

(١) أبو العلا ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٩.
(٢) أبو العلا ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٠ ؛ يحيى، المرجع السابق ، ص ٩٢.
(٣) يحيى، المرجع السابق، ص ص ٩٣ ، ٩٥.

لامبرر لها. فقد أثبتت الدورات المناخية وتبدلاتها المستمرة، تعرض أخصب المناطق لفترات جفاف دورية. وخضعت بلاد العرب، لمثل فترات الجفاف الدورية، بدليل وجود مستوطنات سكنية في مواقع قاحلة حاليًا، ولايوجد ماء بها، ولكن حتمًا كان الماء متوافرًا في فترات سابقة [١]. ولنا اليوم خير شاهد في دورة الجفاف التي تمر بأفريقيا والتي كانت تعرف سابقًا بخصبها عمومًا، بل هي مشهورة بأنها قارة الغابات.

١- الواحات وآبار المياه :

اتضح أن سكان مدين القدماء كانوا يعملون مزارعين، ومربين للماشية في مناطق استقرارهم، إلى الجنوب والشرق من الوديان الممتدة بين مرتفعات مدين. فيما بين خليج العقبة، والبحر الأحمر بين منطقة «طيب الاسم» شمالاً إلى وادي تريام جنوبًا. واعتنوا بصفة خاصة بتربية الإبل؛ بل إن الحضر في مستوطناتهم ومدنهم اهتموا أيضًا بتربية الإبل ذات القيمة العالية في ضواحي المدن.

وكان أهل مدين حضرًا مستقرين في المدن منذ بداية مرحلة استقرارهم في منطقة مدين الشرقية في السهل المرتفع من هضبة الحسمة. فاشتغلوا بالزراعة وخاصة في الواحات، وبالتعدين أيضًا[٢].

ويلاحظ أن هذه المهن أو الحرف تفرض الاستقرار في مدن ومواقع متحضرة مما يؤكد وجود المدن التي يستقر فيها أهل المدن أي الحضر وليس البدو كما يزعم ب. روثنبرج ويناقض نفسه بنفسه عندما يطلق على أهل مدين وعماليق صفة البداوة وأنهم قبائل متبدية ويناقض نفسه فيذكر مدن مدين وقبائل مدين البدو[٣].

---

(١) Groom , Op. Cit. , p. 214.

(٢) Knauf , E. , "Madiana" , **ZMDG.**, Amman 1985, vol. 153, 1 , pp. 16- 17.

(٣) Rothenberg , Timna , pp. 63 , 182.

وكانت زراعة أهل مدين متباينة من أهم أنواعها :

١- الزراعة البعلية «الجافة» وتعتمد على الأمطار.

٢- الزراعة المروية وهي عدة أنواع:

أ / ري المدرجات .

ب / الري بالأفلاج.

ج / الري من سيول الأودية وفيضانها.

د / الري الواحي من مياه الآبار[١].

واعتمدت أساليب الزراعة القائمة في منطقة مدين على الزراعة المروية وخاصة الري من مياه السيول التي تفيض من الأودية، والري الواحي الذي يعتمد على المياه الجوفية في الواحات. وهنالك شواهد عديدة على ذلك حيث إن الآبار تنتشر في المنطقة بصورة واسعة جدًا ، وأشهرها بئر موسى؛ التي استقى منها النبي موسى (عليه السلام) لبنات شيخ مدين.

وتكثر الآبار في مناطق عديدة من مدين، فغدت محطات تجارية، بالإضافة إلى كونها مناطق زراعية. ومن أهم خصائص محطات القوافل توافر المياه فيها. ثم أصبحت محطات استراحة للحجاج على دروب الحج في عصر الإسلام؛ وخاصة عبر منطقة مدين، فمثلا منطقة وادي الحمض تتوافر فيها المياه الكثيرة، من مياه السيول في مواسمها، ومن المياه الجوفية. ويوجد بها كثير من الآبار مثل بئر القصير، وبئر القرنة وبئر البرود، بين الخرائب والشاطىء في منطقة تحمل الاسم نفسه.

وإن كان هنالك بعض آبار مياهها مالحة، وغير صالحة للشرب؛ لكن يوجد حولها مياه عذبة. ويطلق على بعض موارد المياه ومصادرها اسم السقية ، وتعرف باسم مالكها مثل سقية يزيد ونحو ذلك [٢].

---

(١) أبو العلا ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ص ٢٦٧ – ٢٦٨.

(٢) Burton , The Land of Midian , vol . 2 , p . 235.

وقــد عثر في منطقة مدين على بقايا مشاريع ري عديدة، من أهمها حوالي مئــتي (٢٠٠) صـــهريج أو حـــوض لتخزين كميات كبيرة من مياه السيول. وخاصـــة قرب مناطق المناجم وفي منطقة وادي المنيعية (تمنع) على التحديد. وبالإضـــافة إلى وجود المناجم كانت منطقة تمنع ومعها منطقة عين غديان من أهــم مناطق الزراعة، وإنتاج الغذاء لأهل المنطقة وعمال المناجم[١]. وقد جاء وصف زراعة النمط البستاني (البستنة) في القرآن الكريم[٢].

وقــد اشتهرت منطقة شمال الحجاز فيما وقع إلى الشمال من يثرب (المدينة المنورة) عند ظهور الإسلام بأن تلك المنطقة ذات عيون ومياه جارية، وأراض مغروسة بالنخيل. وكان أهلها يشتغلون بالزراعة، وتربية المواشي. وكان من أشـــهرها «وادي القرى» وقد أقيمت فيه مستوطنات متعددة . وكان سكان هذه القـــرى والمـــدن من شمال يثرب ، وإلى فلسطين من أهل الزراعة والمراعي الجيـــدة. بالإضافة إلى القوافل التجارية التي تعبر المنطقة جيئة وذهابا. وهناك وادي الغـــرس قـــرب فدك بينها وبين معدن النقرة. وموقع الجرف قرب يثرب المشـــهور بخصب أراضيه، ووفرة مزروعاته [٣]. وكانت الجرف واحة غنية بالمياه. وكان بها سقاية سليمان بن عبدالملك أي استمرت إلى العهد الأموي – (الدولـــة الأموية). وقد عسكر فيها أسامة بن زيد حين وفاة النبي ﷺ . وتليها الرغابة وهي ذات قصور ومزارع.

والأيكـــة المذكـــورة في القرآن الكريم من واحات شمال بلاد العرب. وإذا كـــانت الأيكـــة مـــن النخيل خاصة، أو من الشجر عامة فهي من أشهر واحات منطقة مدين[٤].

وخيـــبر من واحات الشمال الخصبة، ومشهورة بنخيلها، وتمورها. بها عيون

---

(١) Rothenberg , Timna , pp. 53 , 63-65.
(٢) سورة الكهف ، الآية : ٣٢ – ٣٣
(٣) جواد علي، **المفصل** ، ج ٧ ، ص ص ٤٠ – ٤١ ، ٥٤ .
(٤) البكري ، **معجم** ، ج ٤ ، ص ١٣٣٣ .

ومسايل ماء كثيرة . وتيماء من الواحات الغنية ؛ ذات آبار عديدة من أشهرها بئر هــداج بالإضــافة إلى واحة فدك، وغيرها من واحات الشمال الغنية بمزروعاتها. وعلاوة على ذلك وجود أشجار الجبال التي تنمو وتنتشر في جبال السراة [١].

ويضاف إلى ذلك فإن مناطق شمال يثرب معروفة بأنها أرضٌ خصبة تنبت الكثير من الأشجار، وأنها مرابى جيدة للمواشي، ومن أشهرها حمى النقيع، الذي حماه الرسول ﷺ في صدر الإسلام. ينبت البقول وبه الأجمات الكبيرة، والكثير من الشجر مثل العضاة، والعرفط، والسدر، والسيال، والسلم، والسمر، والطلح، والعوسج، والعرفج. وتحف به حرة بني سليم وبالنقيع غدران كثيرة المياه؛ منها غدير سلامة، وغدير قلتان[٢].

٢- المحاصيل الزراعية :

أحصى بيرتون حوالي مئة واثنين وسبعين (١٧٢) صنفًا من نباتات منطقة مديــن في أقسامها الثلاثة، حسب تقسيمه للمنطقة؛ شمال مدين ووسط مدين، ثم جنوب مدين. ماعدا ثمانية أنواع نباتية خاصة بجزيرة نعمان [٣].

مما يوضح خصب أراضي منطقة مدين، ووفرة مياهها، ويعطي هذا الغطاء النباتي صورة جيدة عن الحياة النباتية في المنطقة. ومن أهم محاصيل المنطقة مايلي :

الــتمور: وتعــد من أوفر محاصيل المنطقة عامة ومن أشهرها، وأجودها حيــث تكثر زراعة النخيل في أغلب الواحات. فيثرب وما حولها، ومن شمالها وإلى بــلاد الشــام كــلها مــناطق زراعة نخيل وبساتين. وكذلك تيماء وخيبر وغيرها[٤].

---

(١) جواد علي، **المفصل** ، ج ٧ ، ص ٧٠.

(٢) البكري ، **معجم** ، ج ٤ ، ص ١٣٢٣ وما بعدها .

(٣) Burton , The Land of Midian , vol. 2 , pp. 273- 279.

(٤) جواد علي، **المفصل** ، ج ٧ ، ص ٧١ .

وقد عثر فيلبي في المنطقة التي زارها في شمال يثرب على آثار مستوطنات قديمــة كثيرة، بها آثار وبقايا قنوات مياه وآبار ومسايل. مما يدل على أنها كانت مــزارع عامرة، وآهلة بسكانها قديمًا ٠ وأن كثرة غزو المناطق الشمالية أدى إلى هجــرها وإندثارهــا[١]٠ وتعــد الكــروم والأعــناب والحبوب والبقول، وبعض الخضروات والفواكه من محاصيل المنطقة الشمالية أيضًا [٢].

وأشــهر الفواكــه الــتي تعــد مــن حاصلات الواحات: الرمان، والتفاح، والمشــمش، والــلوز، والخــوخ، والبرتقال، والليمون وقصب السكر، والموز، والزيتون معروف في الحجاز[٣].

الأشــجار : تــنمو أنواع عديدة منها بغرس الإنسان وزراعته لها٠ ومنها الــبري، أو الوحشــي الــذي ينمو طبيعيًا على الجبال، وفي البوادي٠ والشجر نوعان: مثمر، وغير مثمر، يستفاد من ظلاله وأخشابه في أعمال البناء، وحطبا للوقود، وغير ذلك من الأغراض.

وتجود زراعة الكثير من الأشجار المثمرة وغير المثمرة في الجبال٠ ومنها أشجار الجوز والتين البري (الوحشي) والزيتون الوحشي - العتم - ويوجد في جــبال الســروات شجر آخر يشبه العتم، وتتخذ منه الأسوكة (مفردها سواك)٠ والحماط معروف؛ وهو فاكهة شبيهة بالتين [٤].

وتجــود زراعة أشجار الدوم (المقل)٠ وتنتشر في المنطقة الشمالية، ولهذه الأشجار ثمار تسمى المقل٠ تكبر وتنمو شجرته، وهي ذات خوص وأفنان تشبه خــوص النخيل وأفنانه٠ وقيل إن المقل؛ صمغ يسمى (الكور) وينبت في عمان في جبل قوان أيضًا، ولكنه موجود بكثرة في منطقة مدين؛ لأن شجرهم المقل٠

(١) Philby , Op. Cit. , p. 13.

(٢) جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ص ٧٢- ٧٣، حتى، **تاريخ العرب**، ص ٢٣٠

(٣) حــتي ، **تاريخ العرب** ، ص ٢٣. جواد علي ، **المفصل**، ج٧ ، ص ٧٥٠ وتجود زراعة اللوز في الحجاز حتى أنه يعرف باسم «لوز حجازي» كما تسميه العامة، وتجود أكثر في منطقة عسير٠

(٤) جواد علي ، **المفصل** ، ج ٧ ، ص ٦٦ .

وقيـــل إنه الأيكة عند أهل اللغة. وقيل إن المقل المكي ثمر شجر الدوم؛ الشبيه بالنخـــلة. ويســـتعمل كـــدواء لعـــلاج المعدة. ويتدخن اليهود بالمقل وقيل هو الكـــندر[1]. وقـــد يكـــون تدخين اليهود بالمقل مقتبسًا من أهل مدين لأن المقل شجرهم، ومنتشر في أرضهم.

والأيكـــة الشـــجر الكثير الملتف ويقال لها الغيضة، ومن أشجارها السدر، والأراك، وقـــد تشـــمل النخيل والأثل. وقيل إن شجر أصحاب الأيكة هو الدوم (المقل) [2].

ومن أشجار المنطقة الأكاسيا Acassia أو كاسيا Cassia وهي السنط (صمغ عـــربي معروف)[3] . ومنه نوع معروف باسم « سنامكي » وتستعمل أوراق السنامكى كملين للمعدة في الطب الشعبي، بعد غليها وشرب ذلك المحلول[4].

ولازالـــت أشـــجار الأكاســـيا تنمو في المنطقة وفي وادي عربة. ويستفاد من أغصـــانهـــا كحطـــب أي وقود لأفران صهر النحاس. وكوقود عام لأنها تزرع محـــليًا[5]. وقيـــل أن الأكاســـيا لهـــا خشب أطلق الفينيقيـــون عليه اسم القرفة Cinamon. وقـــد ذكر أنها تنمو في بحيرات ضحلة وتعيش حولها كائنات مجنحة تشبه الوطاويط. وأن الرجال الذين يجمعون الأكاسيا يحذرون من هذه الطيور، فيـــرتدون جلود الثيران أو مايشبه ذلك لحماية أجسادهم. ويغطون وجوههم مع ترك فتحات للعيون فقط[6].

---

(١) جـــواد عـــلي، **المفصل** ، ج ٧ ، ص ٨٣، المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج١، ص ١٨٧. والمقل أو الـــدوم معروف لدى أهل الحجاز عامة. ويتسلى الأطفال بقضم الدوم كما يسمى في العامية. وهو ذو مذاق حلو. وقد يسيل بعض عصارته على الثمرة فيجف كقطعة صمغ بنية اللون شفافة.

(٢) جواد علي، **المفصل** ، ج ٧ ، ص ص ٩٠- ٩١ .

(٣) Burton , The Gold Mines of Midian , p. 242, Land of Midian, vol., 2 , p. 275.

(٤) عاشور، عبد اللطيف ، **"التداوي بالأعشاب والنباتات"**.ـ القاهرة ، ١٩٨٥م، ص ١٢٠.

(٥) Rothenberg , Timna , p. 80.

(٦) ونجد في هنا تشابهًا مع ماذكره هيرودوت عن الأفاعي المجنحة في موطن اللبان. ويبدو في ذلك صورة لبث الرعب بين الناس من غير العرب ولردع من يتطفل على هذه الثروة الطبيعية ؛ Herodotus , Op. Cit. , BK. 3 , pp. 137 - 139.

ثانيًا - الرعي :

المراعي والحيوانات :

تشـتهر منطقة شمال الحجاز بوجود الواحات، وتتوافر ينابيع المياه الجوفية فيها، وهي متعددة الأنواع منها: الينابيع الطبيعية، والآبار الإرتوازية التي يحفرها أهـل الواحات لاستخراج المياه الجوفية، وهنالك العديد من العيون المائية، نذكر مـنها عـلى سـبيل المثال: بدا، موضع بين طريق مصر والشام، وتوجد شغب بقـربها؛ وهي منهل على الطريق نفسه [١]، وتوجد آبار مياه كثيرة في خيبر، ويشـتهر الشـق « بعيـن الحمة »، وسماها الرسول ﷺ « قسمة الملائكة »، ويجـري ثلثا مائها في فلج، والثلث الآخر في فلج ثانٍ، وتوجد عين عظيمة في نطـاة خيـبر تسمى اللحيحة [٢]، وماء الحراضة بأرض الحراضة، وبها معدن أيضًا وتقع بين الحوراء وبين شغب وبدا [٣].

تنتشر المراعي الجيدة فيما وراء الواحات، وخاصة أن منطقة الحسمة، تعد مـن أشهر مرابي الحيوانات وخاصة الإبل والأغنام، وذكرت التوراة غنائم من الـبهائم، غنمها بنو إسرائيل من بني مدين، خاصة في حربهم الأولى معهم « وكـان النهب فضلة الغنيمة التي اغتنمها رجال الجند من الغنم ست مئة وخمسة وسبعين ألفًا، ومن البقر اثنين وسبعين ألفًا ومن الحمير واحدًا وستين ألفًا»[٤].

هـذه أعـداد الغنائم الحيوانية، وإن كانت أعدادًا مضخمة أو مبالغًا فيها، ولكنـنا لانسـتطيع أن نلغيها، فلو أخذنا نصف تلك الأعداد فقط، سنجد لدينا قطعانًا من المواشي ضخمة أيضًا ، وتدلنا أنواع المواشي المختلفة على مراعٍ جيـدة في المنطقة وماحولها، وتدلنا على اهتمام أهل مدين بالاشتغال بتربية

---

(١) البكري ، **معجم** ، ج١ ، ص ٢٣٠ .
(٢) البكري ، المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ص ٥٢٢ – ٥٢٣ .
(٣) البكري ، المرجع نفسه ، ج٣ ، ص ١٠٣٨ .
(٤) عدد ، ٣١ : ٣١ – ٣٥.

تـــلك المواشي في ضواحي مدن مدين. وتعطي النصوص الآشورية المتوافرة شـــاهداً يؤكـــد اشتغال أهل شمال بلاد العرب، وأهل مدين كما ذكرته التوراة عـــنهم بـــتربية قطعـــان الإبل. ويذكر النص الملكتين العربيتين - زبيي وشمســـي - وقـــد بلغ تعداد جزية إحداهن ثلاثين ألف جمل وكان ذلك في القرن الثامن ق.م(١).

ونجـــد الشـــواهد الأخرى أو الدلائل الأكيدة، والأقرب جغرافيًا في مغازي الرســـول ﷺ وأخـــباره. فعـــندما أرســـل قائده خالد بن الوليد إلى الأكيدر بن عبدالملك الكندي؛ صاحب أو ملك دومة الجندل أخبر قائده خالد عن حال الأكيدر قـــائلا إنـــك تجده يصيد البقر(٢). وبالفعل ذهب خالد إليه فوجده على ما أخبر. وصـــالحه عـــلى ألفي بعير وثمانمائة رأس ربما أنها بقر. وهذا عدا الأسرى، والأسلحة؛ أربعمائة درع وأربعمائة رمح. وفتح خالد الدومة صلحًا (٣).

نســـتنتج ممـــا تقدم ذكره، كثرة الأراضي الصالحة للرعي الكثيف، وتربية قطعان المواشي. فمنذ منتصف الألف الثانية ق.م. وربما قبل ذلك، وإلى مطلع القرن السابع الميلادي وما بعده ومنطقة مدين وفيرة المراعي. وتجود بخيراتها لـــلقطعان الكـــبيرة، والمختلفة الأنواع من إبل وبقر وأغنام وماعز وحمير، ثم الخيـــول. وعمل أهل المنطقة بتربية ورعي هذه المواشي في مراعي المنطقة، بل كانوا يتجولون في بلاد الشام وينفذون إلى أطراف الدلتا الشرقية في مصر. لرعي وبيع تلك المواشي أيضًا(٤).

---

(١) Pritchard , Ancient Near Eastern Texts , p. 238.

(٢) جواد علي ، **المفصل** ، ج ١ ، ص ٥٧٨ .

(٣) الطبري ، **تاريخ** ، ج ٣ ، ص ١٤٦ ؛ الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر، (ت ٢٠٧هـ)، "كتاب المغازي"، تح. مارسون جونس، القاهرة، ١٩٦٦م ، ج٣ ، ص ص ١٠٢٦ - ١٠٢٧.

(٤) قضاة، ٧ : ١٢، Every day Life in Bible Times, p. 202.

ويوجد في أرض الحسمة جبال عديدة منها جبال ومياه في أرض بني عبس وهنالك جبل عَفْرة في أرض فزارة وبقربه ماءة تسمى الزاولة. ونجد هنا رابطًا بين اسم الجبل عَفْر أو ربما عفار أو عيفر وبين قبيلة عيفر بن مدين(١).

هـذا عـدا أرضين جيدة للرعي وتربية المواشي بأنواعها حول الواحات عمومًا وخاصة واحة تيماء وواحة تبوك. ويفترض أنها جميعًا كانت ضمن النطاق المدياني.

وقـد ورد في معرض الحديث ذكر أهم الحيوانات المستأنسة في المنطقة. والـتي قام الرعاة بتربيتها كقطعان من البهائم والأنعام ومن أقدمها دابة الحمل الأولى أي الحمـار؛ لأن الحمـار أول دابـة استخدمها الإنسان للركوب وحمل الأمتعة، والانتقال على ظهرها من منطقة لأخرى.

وعـرف من حيوانات منطقة مدين الأغنام والماعز لأنها مادة الغذاء الأولى؛ تُؤْكـل لحومهـا وتُشْـرب ألبانها ثم تستخدم جلودها وأصوافها لأغراض حياتهم اليومية. ثم اعتنوا بتربية الأبقار وتستخدم للأغراض السابقة نفسها. بالإضافة إلى الاستفادة منها في حرث أرض المزارع والبساتين، وإدارة السواقي لرفع المياه من الآبار، والعيون، وكذلك استخدموا الحمار والجمل لهذه الأغراض أيضًا.

وأخيـرًا الجمـل الذي أصبح أهم حيوان في المنطقة؛ بل إن تأليف الجمل واستئناسـه وتربيته أدى إلى استخدامه في نواحٍ مختلفة وفي كل مجالات الحياة اليوميـة فـي السلم، وفي مجالات الغزو والحروب، فاعتمد عليه السكان للغذاء والكساء والسكن، والحمل والانتقال.

وكـان الجمل عماد الاقتصاد المحلي حيث قدرت الثروات بعدد الإبل التي يمتلكها التاجر أو القائد أو الحاكم. وأصبح الجمل عملة ذلك العصر بحق.

وتلخيصًـا لمـا تقدم فقد حقق أهل مدين مكانة اقتصادية بارزة قامت على دعامات من الثروة الطبيعية الكامنة في أرضهم فاستخرجوها واستثمروها، بفعل

---

(١) البكري، معجم، ج٣، ص ص ٨٦٨ – ٨٦٩، ٩٤٧.

نشـــاطهم العملي وتطور مجتمعهم. واحترفوا مهنًا مختلفة أيضًا. مما دفع عددًا من الباحثين إلى القيام برحلات استكشاف للمنطقة. فتعرفنا على مناطق المناجم المتـــنوعة بـــثرواتها المعدنية من نحاس، وذهب وفضة، وأحجار كريمة أهمها حجر الفيروز، إضافة إلى معادن أخرى منها حديد ورصاص. وتوفرت أحجار متنوعة مثل الكوارتز (المرو) والصوان والجرانيت. وعرفنا أيضًا بعض مواقع الــتعدين. وتركز إنتاج الفضة والنحاس والفيروز في شمال مدين، وفي الجزء السينائي أيضًا، وكذلك الحديد في سيناء. وتتوافر معادن أهمها الذهب في مدينة المويــلح والعوجــة، وبــرية قــادش. ويوجد النحاس في باديا أو بدنا أو «بدا يعقوب». ويوجد منجم ذهب قرب موقع «أبو المروة» الغني بحجر الكوارتز.

وقــامت الأســر الحاكمة في مصر منذ حوالي أواخر الألف الرابعة ق.م. بإرســال حملات إلى شبه جزيرة سيناء للبحث عن المعادن وجلبها إلى مصر. وحــرص المصــريون عــلى استخراج النحاس والفيروز من مناجم سيناء في مواقعها المختلفة.

وقــد أسهم السكان المحليون في مشاريع التعدين المصرية فتعاون العماليق وأهــل مديــن والقينيون مع المصريين في أعمال التعدين . وانفرد أهل مدين باستثمار معادن منطقة تمنع بصفة خاصة لفترة محددة بدليل وجود بقايا الفخار المديــاني، وكذلــك الشواهد الأثرية الأخرى. وقد احتوت مواقع التعدين على عناصر عمليات التعدين كالتالي :

مواقــع المــناجم - مواقــع الأفران والمشاغل - مواقع ورش ومشاغل - مواقــع تشمل المنجم والفرن والمشغل. كما وجدنا بعض أدوات العمل، إضافة إلى مــواد الوقــود المختلفة من فحم نباتي، وحطب، وروث بعض الحيوانات، وتعرفــنا على بعض المواد المصنعة أدوات معدنية وحلي ذهبية متنوعة. وقام بأعمال التعدين مجموعة من العمال تحت إشراف مشرفين من سادة القوم عملوا على تنظيم العمل، وتوفير السكن والمؤن.

ومارس أهل مدين إضافة إلى حرفة التعدين بل وقبل التعدين مارسوا التجارة منذ حوالي القرن السابع عشر ق٠م٠ تقريبًا٠ فقد أشرنا إلى أنهم عملوا بالتجارة، واشتهروا بها منذ حادثة النبي يوسف (عليه السلام)، وقصة بيعه في مصر على أيدي تجار مدين٠ وعرفنا منهم أول شخصية مديانية «التاجر مالك»٠ وسهل لهم موقع بلادهم الإشراف على طرق التجارة بين بلاد العرب وبلاد الشام ومصر وغيرها٠ فعمل أهل مدين كتجار، وكوسطاء لتجارة دولية قديمة٠ وأما أهم البضائع التي تاجروا بها فهي : البخور والعطور ، ويحتمل أن الذهب كان من بين السلع المهمة في تجارتهم٠ واستنتجنا أنهم تاجروا في مواد كثيرة تحتاج إلى الكيل والوزن٠ كان في مقدمتها مؤن غذائية مختلفة تصديرًا واستيرادًا، إضافة إلى بعض الملابس، وبعض الأدوات خاصة أواني الفخار المدياني٠ وكانت أهم البضائع أيضًا المواشي وأهمها الجمال لأن أهل مدين اهتموا بتربية الجمال ورعي القطعان٠ وعملوا على تطوير استخدام الجمل، فاستعمل أهل مدين الجمل في الحرب لأول مرة عندما وقعت الحرب بينهم ومعهم حلفاؤهم (عماليق وبنو المشرق) وبين بني إسرائيل بقيادة «القاضي جدعون»٠ فوصفت التوراة جمالهم الكثيرة في هذه الحرب على وجه الخصوص٠

واشتغل أهل مدين بالزراعة ومارسوها في الواحات وكانت زراعتهم على نوعين: مطرية تعتمد على الأمطار، ومروية على أنواع: ري مدرجات، وري بالأفلاج، وري من سيول الأودية، والري الواحي من مياه الآبار٠ وكان من أهم محاصيلهم التمور، والكروم والأعناب، والحبوب والبقول والخضر والفواكه، إضافة إلى أشجار أخرى٠

واشتغل أهل مدين بالرعي، ويحتمل احترافهم الصيد أيضًا لوجود السواحل البحرية ضمن أرضهم٠

الفصل الرابع

الشواهد الأثرية

أ - فخار مدين: خصائصه وانتشاره.

ب - العمارة المدنية والدينية والصناعية.

ج - المشخصات والنقوش النافرة.

د - الفنون الصغرى.

هـ - أدوات الاستعمالات العامة والأسلحة.

الشواهد الأثرية

أ - فخار مدين - خصائصه وانتشاره :

١- وصف أوعية الفخار المدياني وتعريفها :

تؤكد الحقيقة المدهشة عن فخار مدين وخاصة في قرية بأنه متجانس أي ذو طبيعة واحدة، وأغلبه أوانٍ خشنة أو متوسطة، ويتميز بالحبيبات الرملية Grits ويكون غالبًا لونها أغمق من الصلصال نفسه، باستثناء بعض القطع فهي أكثر نعومة، وعجينتها صفراء برتقالية مع وجود قليل من الحبيبات الرملية.

وكانت أغلب الأوعية مصنوعة على عجلة الفخار، ويلاحظ مع ذلك وجود بعض النماذج الملفوفة باليد [١].

وكانت الأوعية الأكثر انتشارًا: الأطباق الكبيرة، الزبديات (الطاسات). وكانت أغلبها مزخرفة بحلية متموجة من جانبها، والبعض الآخر عادي. أما الأوعية غير المزخرفة فكانت عادة مغطاة بطلاء طيني، لونه أغمق من طين الوعاء. والسمات الأكثر أهمية وتميزًا هي الزخارف المدهونة عمومًا. وموضوعة تقليديًا بدرجات مختلفة من الأسود، والبني، والأحمر، والأصفر على طلاء طيني كثيف أصفر برتقالي، أو أصفر شاحب ؛ بأشكال هندسية أو طبيعية، وحيوانات وطيور، وحلزونات ومتقاطعات وفستونات[٢].

---

(١) Parr , p. , Harding , G. , Dayton , J. , "Preliminary Survey in N.W. Arabia, 1968", BIA., London , 1970, vol. 8-9, p. 238.

(٢) Parr , Harding , Dayton, Op. Cit. , vol. 8 - 9, p. 238.

الفستون Festoon نقش يمثل شريطا مزخرفا بالزهور. انظر: بعلبكي، منير، **المورد**.- بيروت، ١٩٨٥م، ص ٣٤٣، وتستعمل الفستونات لتزيين ملابس النساء والأطفال.

دلّت فحوصات دقيقة للفخار المدياني من حفريات ومسوحات مختلفة على التجانس كما أشرنا. والمقصود به تجانس في خصائص تشمل الصلابة والهشاشة، والظواهر السطحية، ومادة الطين (النسيج – أي العجينة). وطبيعة المحتويات الخشنة الصلبة، والألوان. بالإضافة إلى روابط واضحة بين الشكل والحجم والزخرفة. حتى الأوعية الصغيرة؛ رقيقة الجدران تشبه في مادتها الأوعية الكبيرة الخشنة ذات الجدران السميكة في مظهرها. مع الميل إلى الألوان الفاتحة في الأوعية الصغيرة. وهذه ملاحظات مستخلصة بالعين المجردة، وبالعدسة المكبرة أيضًا (انظر الشكل رقم١٠).

وتتميز الأوعية المديانية بصلابة فخارها القاسي جدًا مقارنة بالمواد الخزفية (الفخارية) المعاصرة. وتجعل هذه الخاصية أو هذه الميزة الفخار المدياني مشابهًا لأوانٍ حجرية حديثة خاصة عند استعمال الألوان الفاتحة[١].

ويلاحظ احتواء الكسر الفخارية المديانية على شظايا الطين الصفحي Shale[٢] وهي شظايا سوداء وحمراء ظاهرة بسهولة في الكسر المتشظية حديثًا. وهذه سمات خاصة جدًا بفخار مدين. وتظهر هذه الشظايا بما يناسب اللون الظاهر بكميات مختلفة، وبأشكال في عينات مختلفة، تم فحصها. وتكون الشظايا عادة أصغر في الأوعية الصغيرة ذات الجدران الرقيقة. وتزداد كميتها وحجمها تناسبيًا في الأوعية الأكبر ذات الجدران السميكة. وتختلف ألوان هذه الشظايا من عينة إلى أخرى. وتسود الشظايا السوداء أو البنية الغامقة في كسر ذات جسم رمادي. وتكون الشظايا السائدة حمراء في الأبيض القشدي (أصفر شاحب) وفي المزهر الفاتح، وتظهر كلا الشظايا في عينات محدودة جدًا[٣].

---

(١) Rothenberg, B. and Glass, J., "The Midianite Pottery"., Midian , Edom and Moab JSOT., Sheffield, 1983, Series 24, pp. 102- 103.

(٢) الطين الصفحي : صخر مشكل من صلصال أو طين يسهل انفلاقه إلى طبقات. انظر: بعلبكي، المرجع السابق ، ص ٨٤٢.

(٣) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, p. 103.

تظهــر معظــم الشظايا كقطع مستطيلة. مع ملاحظة وجود قطع متوازية، وعاديــة بالنســبة لســطح الكسر. ويوضح ذلك أن الشظايا؛ تكون صفائح أو لوحات أكثر أو أقل تساويًا مع المقياس المتوازي للسطح العريض، وتعرض هذه الأجســام أحيانًــا قطعًا داخل أطباق ثانوية. وتفترض كلا القطع المستطيلة أو المقاطع الثانوية أن هذه الشظايا مشتقة من صخور طينية قاسية، وليس من فخار مســحوق. ويمكن أن نتوقع تكسير الفخار ذي الجدران الرقيقة فقط إلى أشكال مســتطيلة لمقاييس معروضة في شظايا أو قطع الفخار المدياني. لكن حتى هذه يجب ألا تحدد التركيب الداخلي الذي يفسر المقطع الموازي لحدود الطبق [١].

يرتبط الانتقال من قطع الطين الصفحي الحمراء إلى السوداء عمومًا باستدارة الحواف في المدى الأغلب لمثل هذا الانتقال ، حيث كانت القطع أو الشظايا معدلة إلى أشكال كروية تمامًا. ويصاحب هذا الانتقال أحيانًا تطور متدرج، ذو فراغات كــروية صــغيرة في القطع السوداء المستديرة، تشبه في مظهرها العام فقاعات غازية في مواد لزجة مثل صخور بركانية أو خبث.. ونحوه.

وإنــه لمــن المفــترض أن تلك القطع خضعت لصهر جزئي أثناء الشواء (الحــرق) وبــدت مــثل مواد لزجة متحولة إلى أجسام كروية. وفي هذا الحد الأقصــى وحــالات غير عامة بين عينات مفحوصة أصبحت القطع المصهورة جزئيًا متحركة. وهيأوها لتبدو ناتئة خلال السطح الخارجي للكسرة، وتوجد في قطــع فاتحــة اللون بالإضافة إلى القطع ذات اللون الغامق. وهي ظاهرة للعين المجردة بدرجات ألوان : أبيض حليبي وأصفر شاحب (قشدي) حسب ما يناسب لونهــا الفــاتح. وليس من السهل تمييز هذه القطع إلا حينما يكون الجسم غامقًا نسبيًا.

وتشــبه القطــع الفاتحة الأخرى الغامقة من حيث الشكل والحجم. والقطع الأغمــق أكثر عددًا في معظم العينات؛ بل أكثر جدًا من الأخرى ماعدا حالات قليلة فقط كان العكس صحيحًا.

---

(١) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, p. 103.

ويلاحظ – باستعمال العدسة المكبرة – وجود بعض الخلطة الرملية (مزاج Temper) مع الطين الصفحي. وتكون حبيبات الرمل مستديرة تمامًا وهي حبيبات من المرو « الكوارتز » Quartz [(١)].

واتضــح أن عجينة فخار مدين تتكون من هيماتيت Hematite وأردواز Slate يــتم جلــبهما مــن كهوف موقع قرية حيث يتوافران هنالك بكثرة. وتقع هذه الكهــوف قــرب تــل القلعة في الجهة الشمالية. وقد نشأ الكهفان بفعل إزاحة الأحجــار الطيــنية من واجهة الجرف المنخفض. حيث مازالت آثار المعاول موجــودة على الجبل. ويمكن مزج الحجر الطيني بقليل من الماء فيتحول إلى عجينة صلصالية سهلة التشكيل. وقد قدر الباحثون كمية الطين المشبع بالكاولين Kaolin (أي صلصال طيني أبيض) الذي تمت إزاحته من الكهوف بحوالي ٢٥٠ م مكعــب، ممــا يؤكــد أن هــذه الكهوف هي المصدر الرئيس لمادة المصنوعات الفخاريــة المديانيــة. وهو موجود في مناطق الأفران حيث استخدم هذا الطين مزاجًا لعجينة فخار مدين [(٢)].

وتعــرض ســطوح الكســر الداخلية حزوزا عريضة. وحزوزًا أكثر دقة موازيــة، تشــبه هــذه العلامــات مايسمى «علامات عجلة الفخار». مع ذلك فالانطباع العام أن سرعة التدوير واللف لم تكن عالية . ولذا يبدو أن العجلات المســتعملة لــم تكن ذات نوعية متقدمة؛ أي غير متطورة . أما على السطوح الخارجيــة فعلامــات الــتدوير تكــاد تكون مطموسة أي ممحية كلية بواسطة معالجات مختلفة طبقت عليها مثل تمليس، أو طلاء، أو صقل[(٣)].

---

(١) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, pp. 103-104.

(٢) إنجــراهام ، مــايكل ، ثيودور جونسون، بسيم الريحاني، إبراهيم شتلة، "برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية: التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية". حوليــة أطــلال.ــ الرياض، ١٤٠١هــ،١٩٨١م. ع ٥، ص ص٦٧- ٦٨، وص ٧٣ من أصل البحث باللغة الإنجليزية.

(٣) Ibid , Series 24, pp. 104-105.

إن معظـــم السطوح الخارجية للفخار المدياني مغطاة بطلاء أبيض (أصفر شاحب) وربما أن الطلاء خدم أغراضًا مختلفة ولكن بصورة رئيسة تقدم الخلفية للون ثابت للرسومات المدهونة لاخفاء قطع الطين الصفحي الغامق حتى لاتؤثر على الرسومات الرقيقة.

دل الفحــص الدقيق لبعض الكسر المدهونة أن درجات مختلفة من الألوان كــانت مســتعملة؛ مشتملة على البني المصفر الفاتح، والأحمر، والبني الغامق، والأســود. بجميع الدرجات والظلال التي بينها. وتظهر عادة الدرجات الفاتحة بيــنها، أو كطبقة رقيقة جدًا؛ بل أحيانًا تكاد تكون شفافة. وتظهر الألوان الأغمق كطبقات سميكة، وتشبه درجاتها سلسلة ألوان معروضة في قطع الطين الصفحي. ويختلف تنوع اللون من عينة إلى أُخرى. ويوجد في عدد من الأوعية ثلاثة ألوان مــتميزة وأحيانًا أكثر وعند وضع الألوان على هيئة خطوط يقطع أحدها الآخر يسهل معرفة أسلوب وضعها. كانت الألوان الفاتحة توضع أولاً ثم الغامقة فيما بعــد. وتمكــنا فــي بعض الحالات أن نقرر ثلاث مراحل: أولاً البني المصفر الفاتح، ثانيًا الأحمر، ثالثًا الأسود (١).

تــتميز بعــض السطوح ذات الألوان الغامقة بمظهر زجاجي. فهي سطوح زجاجيــة ســوداء مقــرونة أحيانًا بنسيج رقيق يشبه الشبكة؛ أي حزوز دقيقة. وتمثل هذه السطوح بوضوح بعد فحصها مصهورات جزئية لمواد غنية بأكسيد الحديــد نســبيًا. وقــد استخدم وهو في الحالة السائلة لتخفيض درجة الصهر. وتعــرض الســطوح الأفــتح ألوانًا في حالات قليلة ومحدودة تطور في مرحلة الــزجاج. وهكــذا تشــكلت طبقة شفافة من زجاج مع تجاويف كروية. ويدل المصهور للسطوح الفاتحة على درجة حرارة عالية نسبيًا.

وقــد أجــريت تحاليل مجهرية مفصلة لمواد معدنية ونسيجية أي من طين الأوانــي الفخارية المديانية - فأعطت صورة متجانسة ولا توجد طريقة لتمييز الكسر عن بعضها في المواقع المختلفة.

---

(١) Rothenbergand Glass, Op. Cit., Series 24, p. 105.

ويمكـــن مع ذلك تحديد سمات خاصة لهذه الكسر أو تلك، ففي الواقع ربما نجـــد عينات متشابهة، رغم اختلاف مواقعها. وتكون بالتالي مخالفة لعينات من كســـر أخرى موجودة في الموقع نفسه. فليس هنالك سمات خاصة تبعًا للموقع وسيتضح فيما بعد أن كل الفروقات بين العينات يمكن شرحها بواسطة اختلاف طـــبيعة كـــل واحدة، لأنها لها نفس تكوينات الطين الصفحي المرقش. فأصبح واضـــحًا أن الفخار المدياني مصنوع من مادة واحدة، فقد استعملوا له رواسب الطيـــن الصفحي نفسها كمصدر أساس للمادة الخام، في أحد معامل صناعة هذا الفخـــار، بـــل في مجموعة معامل متجاورة. وأثبت الفحص المجهري وصف خمس وثلاثين (٣٥) قطعة رقيقة مصقولة ومن مواقع مختلفة أنها واحدة [١].

وأظهـــر التحـــليل للتصـــنيف الوصفي للصخور وتركيبها، أن قطع الطين الصفحي مختلفة من حيث استعمالها في مادة النسيج، واتضح أن هنالك اختلافين رئيسين هما :

أ – محـــتويات المرو الفلسبادية الجزء الغريني. حسب القائمة رقم (٢)[٢] تزداد من اليسار إلى اليمين على طول المحاور الأفقية. في الجهة اليسرى من القائمـــة يكون الطين الصفحي صلصاليا نقيًا بدون غرين أي غير لزج. وهذه التغييرات عمومًا ظاهرة على المحاور حتى تنتقل إلى الطين الصفحي الغريني إلى الغـــرين الصلصالي الكامل وأخيرًا في يمين القائمة يصل إلى غرين المرو الفلسبادي بدون صلصال معدني.

ب – قـــوة الـــلون الأحمر: وتدل على أن نصف الكمية تتكون من أكسيد الحديـــد. ويـــزداد هذا على امتداد المحاور العمودية من الأعلى إلى الأسفل. ونشـــأت هذه الفروق بين نماذج الطين الصفحي – كما في القائمة – بناء على ملاحظات مجهرية ولكنها لاتمثل كل العينات الكاملة وقد بين التحليل المجهري انـــتقالاً تدريجيًا بين نماذج قطع الطين الصفحي المختلفة. وعمومًا تكون بعض الـــنماذج أكـــثر انتشـــارًا من الأخرى. والطين الصفحي الصلصالي الكثيف –

---

(١) Rothenberg and Glass , Op. Cit., Series 24, p. 105.

(٢) انظر: هذا الكتاب ص ٣٢٣.

(الشكل رقم ١٠) كمثال – منتشر جدًا في بعض الكسر فهي النموذج السائد بينما تظهر بعض النماذج الأخرى كقطع فريدة.

ويوجـد تنوع كبير في كسر أخرى بحيث تظهر كل أنواع الطين الصفحي المذكـورة في سلسلة القائمة: الكثيف، غامق، وفاتح، صلصالي وغريني بأجزاء متساوية تقريبًا[١] (انظر: الشكل رقم ١١).

كـانت القطـع الكـثيفة والغامقة سائدة في معظم العينات (الشكل رقم١٢) وكانت القطع الفاتحة في عينات قليلة تنتمي إلى أكثر من نمط. وتظهر في تلك الحالـة أنماط مختلفة في سويات رقيقة موازية لتركيب مسطح ولشكل ممتد من القطعة. نجد في معظم قطع هذه السوية أنماطًا منتمية لتركيبة الخط الأفقي في القائمـة؛ وذلـك لأن السـويات مختلفة في محتوى الجزء الغريني. وتدل قطع الطيـن الصـفحي للسـوية على ارتباط طبيعي مع أنماطه المتنوعة في البيئة الطـبيعية. ويلاحظ وجود قطع غير لدنة (غير بلاستيكية) في الطين الصفحي وفـي الغـرين تتمـثل في الفخار المدياني؛ لذلك فسويات متنوعة ورقيقة جدًا مغطاة، وتركيب طين صفحي يدل أنه متميز بواسطة تعاقب طين صفحي متنوع من طين صفحي غريني، وغرين فقط[٢].

قائمة – ١ – تحولات الطين الصفحي (*)

١ – طين صفحي صلصالي غني بأكسيد الحديد كثيف.	٢ – طين صفحي غريني غني بأكسيد الحديد غامق كثيف.	٣ – غرين صلصالي مسطح غامق.	٤ – غرين فلسباد المروفاتح متنوع.
٥ – طين صفحي فاتح منقط بمتحجرات بالغة الصغر	٦ – طين صفحي غريني فاتح منقط بمتحجرات أكسيد الحديد بالغة الصغر	٧ – غرين صلصالي مسطح فاتح.	
٨ – طين صفحي صلصالي فاتح.	٩ – طين صفحي غريني فاتح.		

(١) Rothenberg and Glass, Op. Cit. , Series 24, p. 107.
(٢) Ibid , Series 24, p. 108.
(*) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, p. 106.

٢ - تكوين الأوعية الفخارية وتشكيلها :

ظهــرت قطــع الطين الصفحي في الأوعية شاملة الأنماط الصلصالية مثل جزئيات، أو ذرات صلبة، اتضح هذا بواسطة صيانة الشكل المستطيل والتركيب المسطح والتوجه المتوازي تمامًا لموادها الكبيرة، أي العريضة. ولوحظت قطع الطيــن الصفحي في أنماط أخرى كثيرة من فخار الشرق عامة. لكن كقاعدة لم تكــن القطــع متصــلبة تمامًا. وتكون شكلها الأصلي الرئيس على هيئة أشكال عدسية - مزدوجة التحدب - وتركيبها الداخلي مشوه.

تفــرض الطــبيعة الصــلبة لقطــع الطين الصفحي في الفخار المدياني أن ترســبات الطين الصفحي كانت أكثر من متحجرة. ويعني ذلك أنه لكي نحضر أو نعــد عجيــنة لدنة وقابلة للتشكيل فيجب أن تكون مكسرة تلقائيًا ومبللة لمدة طويــلة . ويمكــن تفســير صلابتها غير العادية عن طريق تعريضها للحرارة المرتفعة قبل مزجها مع العجينة وفائدة الطين الصفحي بوصفه مادة صلبة يشكل انحرافًا عن التقنيات المألوفة لصناعة الفخار. وربما يمكن تفسير هذه الظاهرة بــانعدام الــبديل المناسب في البيئات الجيولوجية التي صنع فيها الفخار. عدم وجــود المواد الصلبة الخشنة الأخرى باستثناء رمل الكوارتز (المرو) حتى في الكميــات الــنادرة تدل حقًا على انعدام المواد غير اللدنة جيولوجيا في المنطقة القريبة من ورش صناعة الفخار [١].

وتــدل الملاحظــات المجهــرية على أن قطع الطين الصفحي بعد تشكيل الأوعيــة تكون قد مرت بعدة تعديلات. وتظهر قطع الصلصال بينها وبصورة رئيســة فــي الأنماط الغنية بأكسيد الحديد (الشكل رقم ١٠). وهنالك سمتان أو ظاهــرتان مرتبطــتان بانكماش (تناقص الحجم) نسبي إلى كسرة جسم القطع. فتظهر القطع ذات التركيب المسطح والمطورة جيدًا انشقاقًا في الأطباق الفرعية،

---

(١) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, p. 108.

أمـــا الأخرى ذات التركيب المسطح والأقل تطورًا فتميل إلى انكماش أكثر تجانسًا وباتجاه من المركز إلى التطور في التجويف المحيطي (الشكل رقم ١٠).

أدت هذه المعالجة في حالات قصوى إلى فصل كامل للقطعة عما يحيط بها. وإنـــه ليصعب تقرير ما إذا كان هذا الانكماش يظهر أثناء التجفيف مما يعزى إلى فقدان المياه الممتصة أو المتشربة، أو أثناء الشواء. ويعزى إلى معالجة القرارة أو المتلــبدة (أي الرواسب). ودرجة الانكماش الأعظم لقطع الطين الصفحي مقارنة بالجســم يمكــن شــرحها بالحجم الأدنى جزئيًا لغرين فلسباد الكوارتز (المرو). ويكــون التعديل الظاهر أكثر للقطع في فقدان شكلها المستطيل أساسًا ، والتحول لتركيــبها الداخلي المسطح حتى يصبح غامقًا، أسود ، متجانسًا ومصحوبًا بتطور تجــاويف كروية صغيرة (الشكل رقم ١٠). تبرز هذه الظاهرة بصورة رئيسة الأنماط ١ ، ٢ ويمكن شرحها بواسطة انصهار جزئي للقطع[١].

علمًا أن بداية الانصهار الجزئي موضحة بظهور المساحات المخضرة مثل الصــفوف أو الركام، والذي ينتشر تدريجيًا حتى يغطي القطعة كلها، مصحوبة بالــتجاويف الكــروية الأولى. في هذه المرحلة الباكرة من الانصهار الجزئي تكون التجاويف صغيرة وليست كروية تمامًا. وتشغل حجمًا صغيرًا نسبيًا. ولم تفقــد القطعــة بعد شكلها المستطيل في هذه المرحلة. وعندما يستمر الانصهار تــزداد الــتجاويف في الحجم وتصبح كروية تمامًا، وتتغير القطع شكليًا، وبعد الــتعرف أو التمييز لهذه التجاويف اتضح أنها فقاعات غازية. ذات تأثير على زيادة الحجم الذي يتوازن بل أحيانًا يتجاوز نقص الحجم بسبب انكماش الذرات الصــلبة. والازدياد الشامل في حجم القطع المنصهرة جزئيًا منعكسة في غياب تجــاويف الانكمــاش المحيطــي وبتطور التركيب المتمركز في الجسم المحيط بالقطع المنصهرة. يدل ذلك على القوة الناتجة عن انتفاخ القطع في بيئتها الأكثر مقاومة للصهر.

---

(١) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, p. 109.

أعظـــم درجـــة انصـــهار لقطـــع الطين الصفحي متعلقة بالكسر Fragments الرمادية اللون.

ويتضح من خلال ٣٥ مقطعًا مصقولاً ورقيقًا وجود قطع صغيرة الحجم من مـــادة الكوارتـــز . وتبرز هذه القطع بشكل حبيبات منفصلة بكونها مواد صلبة، وفـــي بعـــض الحالات تكون بشكل كتل صغيرة من حجر رملي. وتبدو ذرات الكوارتـــز تـــلك أكـــبر بعشر مرات من الكوارتز الغريني الذي يشكل العنصر الأســـاس لقطـــع الطين الصفحي الفاتحة اللون والتي كانت تحضر منها العجينة اللدنة.

وتكـــون كســـرة الجسم مماثلة في التركيب والطين أي النسيج لقطع الطين الصفحي الفاتحة، وتختلف فقط في فقدان الترتيب المتوازي في المواد المسطحة وكذلك في السمات.

تـــتركب كســـرة جسم الإناء في معظم الحالات من قطع الطين الصفحي الغريـــني الفاتح ، وأحيانًا من طين صفحي غريني منقط، أو مرقش ، وغالبًا مـــن أقـــل طيـــن صفحي صلصالي. لم يصنع الفخار المدياني أبدا من طين صـــفحي أحمر غني بأكسيد الحديد، وليس مؤكدًا ما إذا كان اختيار النماذج ، والـــتقيد باستعمال الأنماط الحمراء مثل مواد صلبة يعزى إلى الاختلافات في خصائص مرتبطة بمرحلة العمل على البارد (اختلاف اللدونة والانكماش أثناء الـــتجفيف)، أو الاخـــتلاف فـــي البداية، وأثناء الشواء. وليس هنالك شك أن الفخـــاري المديـــاني (الصانع) كان مدركًا تمامًا لنوعية الطين الصفحي الفاتح الصـــلب، بخاصـــة أنـــه يجـــب أنه لاحظ درجة الانصهار الأقل لقطع الطين الصـــفحي الغـــني بأكسيد الحديد، والميل إلى الأسطح المدهونة باللون الغامق حتى تصبح بدون بريق(١).

---

(١) انظر: الشكل رقم (١٣) ؛ Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, p. 110.

٣- انتشار أواني الفخار المدياني وتأريخه :

عثر على أواني الفخار المدياني في مناطق مختلفة ومتعددة في شمال غرب شَـبه جزيرة العرب، وفي مناطق من جنوب الأردن، وجنوب فلسطين وماحول ذلـك، ممـا يدل على انتشاره واستعمالاته العديدة سواء من قبل أهل مدين في مسـتوطناتهم في شمال غرب شبه الجزيرة أو خارجها، وانتقال هذا الفخار مع التجارة أيضًا.

عـثر على كسر من قدور مع بعض الزجاج في منطقة أو مدينة الملقطة. وقد عدت بأنها بقايا نبطية أو من العصور الوسطى[١].

وعـثر عـلى كميات من الفخار في تل الخليفة وفي أحد المواقع الإدومية موقـع «طويـلان» قـرب بتراء، وقرية النحاس، وأُرّخ هذا الفخار بين عصر الحديـد الأول إلى عصر الحديد الثاني أي من حوالي القرن العاشر إلى القرن السـادس ق.م. وأطـلق على هذا الفخار اسم «الفخار الإدومي». ثم تميزت مجموعة من هذا الفخار بأنها مشابهة لفخار المنيعية أي فخار تمنع [٢].

وقد عثر على كميات كبيرة من أواني الفخار في موقع تمنع « أي المنيعية أو الموينـعية » فـي وادي عـربة، وفي مواقع أخرى حول تمنع. وهو فخار مدياني[٣] (انظر: الخريطة رقم ٧).

وعـثر بيـن أطلال موقع قرية وخارج القلعة على كسر قليلة من الفخار. وعـثر على كميات كبيرة في القسم الأوسط، بين حائطين قرب منخفض دائري قطـره حوالـي مترين مما يوحي بأنه بقايا مبنى. وأمكننا بواسطة هذا الفخار تـاريخ أطلال قرية، بل تاريخ المدينة كلها. وبالاعتماد على النظرية القائلة أن

---

(١) Philby , Op. Cit. , p. 217.

(٢) Glueck, N.," Some Edomite Pottery From Tell El-Kheleifeh", **BASOR**, Jerusalem, 1967 vol. 188, pp. 11-13.

(٣) Rothenberg, Timna , pp. 70 - 71 , 184.

الفخـــار المدهـــون، وأطــــلال قرية التي تشمل القلعة والمدينة نفسها، والحقول المسيجة أي المسيجات (الدوائر الحجرية Stone Circles) فإن تأريخها مهم جدًا، خاصـــة وأن زخــــارف الفخــــار المدهون تذكرنا بروابط مع المواد المدهونة، والمختــلفة في الشرق عامة خلال عصر البرونز الأخير. وإذا قارنا الزخرفة، والأشكال، والأوعية فالتشابه كافٍ جدًا ليؤكد أن فخار قرية ينتمي إلى هذا الأفق الزمني. وعلى ضوء التحديد الزمني لفخار تمنع، الذي ينتمي إلى القرن الثاني عشـــر أو الحادي عشر. ومن واقع هذا التشابه يتأكد أن «فخار قرية» يعود إلى الفترة نفسها[١]. وفخار قرية مع فخار تيماء وكمياته الكبيرة تم تحديد تاريخهما في عصر البرونز أيضًا[٢].

بالإضافة إلى ذلك فقد جمع بار وهاردنج ودايتون، كسرًا فخارية كثيرة من ســـبعة عشـــر (١٧) موضعًا في شمال الحجاز، قاموا بزيارتها. وتعود الكسر الفخارية إلى فترات مختلفة من العصر الإسلامي الباكر والبيزنطي، والروماني والنبطي، وعصر الحديد، وعصر البرونز الأخير، بل ربما إلى منتصف عصر البرونز[٣].

وباختصار فإن الفخار الذي ثبت أنه مدياني المنشأ لخصائصه المتميزة عثر عليه في عدد من المواقع تنحصر في منطقتين هما :

أولا – مواقع وجود الفخار المدياني في شبه جزيرة العرب.

ثانيا – مواقع وجود الفخار المدياني خارج شبه جزيرة العرب، في الأردن وجنوب فلسطين وغيرها.

---

(١) Parr, p. , Harding, G., Dayton, J. "Preliminary Survey in N.W. Arabia, 1968"; BIA., London 1970, vol. 8 -9, pp. 220 - 225, 238. ; Rothenberg , Timna , p. 70.

(٢) Mendenhall, Qurayya and The Midianites , Op. Cit. , pp. 143 - 144.

(٣) Dayton, J., "Midianite and Edomite Pottery" , Proceeding of Seminar For Arabian Studies, London, 1972, vol. 2 , pp. 23 - 25.

أولاً – مواقع وجود الفخار المدياني في شبه جزيرة العرب :

عــثر عــلى أواني الفخار المدياني في شمال غرب شبه جزيرة العرب في منطقة الحجاز، في عدد من المواقع التاريخية؛ وهي : [١]

١- **موقع قرية** : تقع قرية على بعد ٧٠ كم شمال غرب تبوك وهي على بعــد ٦٠ كم من المدورة؛ على الحدود الأردنية٠ وهي مستوطنة زراعية قديمة بــناء على ما عثر عليه من بقايا أنابيب وقنوات وسدود تدل على أنظمة الري القديمــة فيهــا٠ وعــثر في خرائب قرية وبين أطلالها على كسر فخارية قليلة خــارج القــلعة ، ولكــن عــثر بين الأطلال الأخرى على كميات كبيرة من الفخــار[٢]٠ عــلمًا بوجــود تشابه كبير بين جدران المبنى المتهدمة في قرية وتيمــاء٠ بالإضــافة إلى وجود القلعة وبرج نصف دائري وسلسلة من الأبراج الأخــرى على امتداد الجدار الغربي، وهي من المدن ذات الأسوار وعثر على الفخار بين الأنقاض[٣]٠

وهــنالك مجموعــة مــن كسر هذا الفخار من محفوظات متحف الآثار في الرياض التابع لوزارة المعارف٠ وهي ثلاثة أجزاء من دمى طينية للإبل الأول: مجسم لرأس جمل٠ والثاني والثالث: مجسم لبدن جمل بدون رقبة ولا رأس عثر عليها في موقع قرية.

---

(١) انظر: الخريطة رقم (٨).

(٢) نشــرت حولية **أطلال** في العدد الخامس ١٤٠١هــ، ١٩٨١م مجموعة كبيرة من فخار قريةحوالي ٨١ كسرة من قرية٠ وكل الكسر دولابية الصنع، وكذلك المجموعة الأخرى من المواقع المختلفة فــي شــمال غرب المملكة العربية السعودية؛ ١٥ كسرة من شمال الحجاز. ٦٢ كسرة من المنطقة الشــمالية الغربية، ٦٩ كسرة من البدع ومقنا، ٢٦ انظر : إنجراهام، المرجع السابق، ع٥، ص ٥٣؛ واللوحات ٧٨ – ٨٦.

(٣) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit. , vol. 8 - 9, pp. 220 - 223.

Parr, p. , "Aspects of The Archaeology of North - West Arabia In The First Millennium BC.", **L'ARABIE Prislamique Et Son Enviroment Historique Et Culturel**, Ed. T. Fahd, Strasbourg, 24- 27, June 1987, p. 42.

٢- **مدينة تيماء** : تقع تيماء في وادٍ يجري منحدرًا نحو الشمال والشرق، وهـي واحة كبيرة إلى الجنوب الشرقي من تبوك على بعد ٢٠٠ كم، وتبعد عن العُـلا بحوالي ١٥٠ كم وعن الجوف بحوالي ٣٠٠ كم، وقد عثر فيها على آثار استيطان قديم داخل السور الذي يحيط بالمباني على شكل حرف u· وينفتح من الجهة الشمالية ربما بغرض شق طريق أو نحو ذلك· (طريق تبوك المدينة) وقد عـثر فـي تيماء على مجموعة كبيرة من الفخار منتشرة انتشارًا واسعًا· وقد صنفت هذه المجموعة إلى ثلاث فئات من الفخار هي :

أ - فخـار عصـر الحديـد· فخار مطلي وغير مزخرف، ويمكن مقارنته بالفخـار المعـروف في كل من موقعي قرية، والعُلا؛ لأن بعضه مشابه له من حيـث الشـكل والزخارف· وتتفاوت كثافة هذا الفخار بدرجة كبيرة، من مكان لآخـر وعـثر على معظم الكسر في موقع واحد يعرف بمقلب النفايات ، الذي يوجـد مقابل المنطقة خارج السور وتدل موجودات هذا الموقع على الفترة التي شـهدت استيطانًا قديمًا في تيماء القديمة· علمًا بأن فخار عصر الحديد موجود فـي كـل أنحـاء تيماء، وخاصة كسر الفخار ذات اللونين، وتوجد في منطقة الـرجوم· وقد وجد هذا النوع من الفخار فقط دون غيره في تلال الرباع على امتداد الحظائر والأبراج·

ب - مجموعـة قصـر الحمـراء بكاملها· وقد تضم كسرًا من المجموعة الأولى (فخار عصر الحديد)·

ج - الفخـار المـتميز جدًا، وقد عثر عليه في غرف المقابر خارج أسوار المدينة، وبخاصة قرب السور الجنوبي مباشرة· وعثر على ملتقطات أخرى مع الفخـار بيـن أطلال المباني وأنقاضها [١]· ويتنوع الفخار من الأواني الكبيرة (جرار) والأطباق، إلى دمى الإبل، عددها ثلاثة أجزاء [٢]·

---

(١) بـاودن، جـارث، وروبـرت ميللر وكريستوفر إيدنز، «التنقيبات الأولية في تيماء ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م»، **حولية أطلال**.ـ الرياض، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ع ٤، ص ص ٩٧- ٩٨·

(٢) Bawden, Garth, "Painted Pottery of Tayma and Problems of Cultural Chronology in North - west Arabia", Midian Moab and Edom, **JSOT**, Sheffield, 1983, Series 24, pp. 38 , 46.

٣- واحـــة الـــبدع - مغاير شعيب : عرفت هذه المنطقة وخاصة «مغاير شــعيب» أو كهــوف يــثرو منذ أن كتب عنها الباحثون الأوربيون ومنهم ربل Ruppell ، وزارها بيرتون Burton وموسل Musil وفيلبي Philby ولكن فيلبي مثلاً، وصفها بصورة معقدة وصعبة ونشر عنها صورتين فقط، وكان ذلك غير كاف، وحصروا اهتمامهم بالقبور. وقد عثر فيها على أطلال وأنقاض مبانٍ قسمت إلى أربــع مــناطق أثرية وعثر على الفخار السطحي وأكثره نبطي، وروماني من القرن الأول ق.م. إلى القرن الأول الميلادي. وعثر على كسرة من آنية وهي كســرة خشنة ومحببة صفراء - برتقالية بطلاء سميك رمادي على بني وربما أنها نموذج من أوعية قرية غير المدهونة. وقد جمع فيلبي كسرًا فخارية كثيرة من الملقطة ولكنه ظنّ أنها نبطية[1].

٤- مديــنة الحوراء وهي (الملقطة) : والحوراء مدينة ساحلية تطل على شــاطىء البحر الأحمر وتضم بعض الأنقاض. وقد دعاها موسل بهذا الاسم. وأمــا فيلبي فقد أطلق عليها اسم الملقطة وهي التي جمع منها الكثير من الكسر الفخاريــة. وأطلقت بعثة بار، وهاردنج، ودايتون على المنطقة اسما ثالثًا هو: توراتيــة Tawratiyah [2]. ولا أدري ســبباً لهذا التعدد في الاسم هل ليثبت كل بــاحث إضــافة جديدة أم أنه لزيادة الخلط والتعقيد في تاريخ المنطقة ، فمواقع المنطقة معروفة لنا بأسمائها منذ أقدم العصور إلى اليوم ، فواحة البدع لم يتغير اسمها، والحوراء كذلك وهي محطات معروفة على درب الحج. وتعرف حديثًا باسم عينونة - عين أنا.

أبو درك، حامد. عبدالجواد مراد، "تقرير مبدئي عن حفريات وتنقيبات قصر الحمراء في تيماء"، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م! ، **حولية أطلال**.ـ الرياض ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م، ع ١١ ، ص ٣٨.

(١) Parr , Harding and Dayton , Op. Cit. , vol. 10. pp. 31- 33.
Philby, Op. Cit., pp. 212 - 223, 257 - 262 Burton, The Land of Midian , vol. 1, pp. 79 , 111.

موسل، شمال الحجاز ، ص ٦٩ ، ٧٢.

(٢) Parr, Hrding and Dayton, Op. Cit. , vol. 10 , p. 33.

٥ - واحة العُلا وموقع خريبة: وقد انتشر الفخار المدياني من قرية شرقًا إلى تيماء، وشمالاً إلى واحة العُلا وإلى حدود الأردن وفي خريبة أيضًا [١].

٦ - موقع المآيبات: كانت أوعيته مخضرة محززة، وهي أكثر خضرة من غيـــرها، وهـــي مـــن الفخار المزجج بأصفر وبني ويرجح أنها تعود إلى مدين الإسلامية [٢].

وعـــثر على الفخار في ثلاثة عشر موقعًا في شمال الحجاز تمتد في منطقة مدين، وتبدأ هذه المواقع من قرية حتى الأودية الساحلية على البحر الأحمر إلى خـــليج العقـــبة. تتجمع عشرة منها في منطقة مدخل وادي شرمة، وفي منطقة البدع. وعثر على فخار مدين في وادي عينونة، وفي موقع طيب الإسم ووادي الصـــدر. بالإضـــافة إلى وجـــود أنواع أخرى من الفخار، ومواد أخرى غير فخاريـــة مـــثل أدوات حجـــرية، وزبديـــات من أحجار رسوبية، ومن الحجر الصابوني، وحجر المعدن الخام (نحاس) مع خبث حديد، ورواسب خام النحاس بوفـــرة فـــي وادي شرمة. إضافة إلى بقايا مبانٍ ومنشآت عمرانية حيث يوجد ســـور بيضـــاوي الشـــكل (٥٠ ٨٠م) ولكـــنه متهدم. ويوجد مخطط لغرفتين بمقاسات: (٦ر٤م x ٦ر٧م) والأخرى (٤ر٣م x ٦ر٧م) ومجموعتان من الدوائر الحجـــرية (معدل قطرها حوالي ٣م) وتحتوي معثورات البدع على كسرأجسام وحواف الأواني الفخارية تضيف تأكيدات لمعثورات بيتر بار السابقة [٣].

٧- الحجر: عثر على فخار خشن بني اللون مائل للاخضرار وللاصفرار والاحمرار (الوردي) يذكر بفخار قرية وتيماء الخشن، والمتوسط السمك وغير

---

(١) Bawden, Painted Pottery of Tayma, Op. Cit., pp. 38 , 40. , Parr, Harding and Dayton, Op. Cit., vol 8- 9, p. 204.

ملحوظة: ذكر روثنبرج أغلب هذه المواقع، انظر:

Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, pp. 69-73.

(٢) Parr , Harding , Dayton , Op. Cit. , vol. 10 , pp. 33 - 34.

(٣) إنجراهام وآخرون ، المرجع السابق ، ع ٥ ، ص ٦٩.

المبطن أحياناً، أو مبطن من الداخل والخارج. ومن ضمن الأواني جرار كبيرة مشابهة لما عثر عليه في مدينة ثاج في المنطقة الشرقية[١].

وفـي الحقيقة يحتاج شمال غرب شبه الجزيرة العربية أي منطقة مدين؛ بل جميـع المـناطق الأخرى إلى المزيد من التنقيبات الأثرية، وإلى الحرص على دراسـة كل المعثورات دراسات وافية شاملة مقارنة حتى نحصل على الوثائق الأثرية التاريخية كشواهد ثابتة تحكي تاريخاً وأحداثاً مهمة.

ثانيًا - مواقع وجود أواني الفخار المدياني خارج شبه جزيرة العرب :

١- وادي المـنيعية Mene^{c}iyeh (وادي تمنع Timna^{c}) في وادي عربة ويشتمل على مواقع كثيرة أهمها الموقع رقم (٢٠٠) وهو موقع المعبد (معبد تمنع). ثم المواقع الأخـرى أرقـام (٢ و٣٠ و ٣٤ و٣ و١٣ و١٤ و١٥و١٨٥ و١٩ و٤١٩و١٩٨و١٩٩). وكلها مستوطنات عمال، أو مواقع مناجم، ومعامل (ورش) أو أماكن صهر النحاس. وقد عثر فيها على كسر أواني الفخار المدياني [٢].

٢- مواقع وادي عربة وخليج العقبة قرب إيلات وهي :

أ - أم زغال (مساد غوزال Mesad Gozal).

ب - قلعة عين الغاديان (قلعة يوتفاتا The Yotvata Fortress).

ج - وادي عمران (وادي عمرام - Nahal ^{c}Amram).

د - وادي مصري (في وادي شلومو - Nahal Shlomo).

هـ - تل الخليفة على خليج العقبة - Tel el-Kheleifeh.

و - جزيرة المرجان (جزيرة فرعون - Jezirat Fara^{c}un)[٣].

---

(١) البراهيم ، محمد، وضيف الله الطلحي، «تقرير مبدئي عن نتائج حفرية الحجر (الموسم ١)، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م»، **حولية أطلال** ـ الرياض ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م ، ع ١١ ، ص ٦٦.

(٢) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, pp. 77 - 80.

(٣) انظر : الخريطة رقم (٨) ؛ Ibid , Series 24, pp. 73-77.

٣- مواقع غرب فلسطين :

أ - جدور - Jedur .

ب - خربة المشاش Kh. el- Meshash (تل ماسوس Tel Masos).

ج - تل الدوير Tel ed- Duweir (لاخيش - Lachish).

د - تل شاروهين Tel Sharuhen (تل فرعة Tel Farcah).

هـ - سيناء Sinai.

لم يتم العثور على فخار مدياني في سيناء لا في شمالها ولا جنوبها إلى الآن، ولكنه موجود على طول الشريط الساحلي الذي يصل بين فلسطين ومصر.

و - بئر العبد Bir el cAbd .

ز - تل العجول Tel Ajjul .[١]

ح - النقب Negev .

حيث عثر على فخار بدائي مصنوع باليد ويفترض أنه يخص القبائل التي سكنت النقب، وفي مقدمتها «القينيون». وقد اقترب تلسون جلوك من الحقيقة عندما قال : إن فخار النقب بدائي، صنعته القبائل الرحل. وكانت تلك القبائل المستقرة في النقب شبه رحل ومنهم «القينيون»[٢] وهم فرع مدياني.

٤- مواقع شرق فلسطين (الأردن - إدوم) :

أ - موقع طويلان قرب البتراء Tawilan .

ب - خربة الشديد Kh. esh. Shedeiyid .

ج- خربة دوار Kh. Duwar .

د - عمان Amman .

هـ- خربة النحاس Kh. en - Nahas[٣].

---

(١) انظر: الخريطة رقم (٨)؛ Rothenberg and Glass, Op. Cit., Series 24, pp. 81- 83,. 86.

(٢) Cohen , R. , "The Iron Age Fortress in The Central Negev", **BASOR**, Jerusalem 1979, No. 236 , p. 77.

(٣) انظر: الخريطة رقم (٨) ؛ Rothenberg and Glass , Op. Cit., Series , pp. 83 - 85.

هذه أهم المواقع التي عثر فيها على الفخار المدياني وعثر على مواد أثرية أخـرى كثيرة من أدوات، وبقايا منشآت بجانب الفخار٠ خاصة وأن هذا الفخار موجود في مناطق الأفران وقرب أنقاض عمرانية٠

ثـبت بواسـطة التحاليل والفحوصات المختلفة تجانس الفخار المدياني رغم اختلاف المواقع التي عثر فيها على ذلك الفخار، ورغم تباعد المسافات بينها، أن كـل الفخـار المفحـوص نشأ وصنع في منطقة واحدة ذات خصائص جيولوجية مـتميزة ٠ وقد تميز الفخار المدياني باستعمال الطين الصفحي المرقش، بالإضافة إلى انعـدام وجود الكربون في عجينته، التي تحتوي على مواد صلبة مختلفة عن المـواد المصـنوع منها معظم مجموعات الفخار عامة، في الشرق القديم٠ وإن حملت زخارف الفخار المدياني بعض التأثيرات الرافدية والمصرية والكنعانية، إلا أن النمط التقليدي محلي يحمل كل التأثيرات المحلية في المادة والصناعة٠

ويعـترض تـاريخ الفخـار المدياني وتحديده زمنيًا عدة مشكلات٠ نظرًا لأسباب عديدة منها :

١- عدم اكتمال التنقيبات الأثرية٠
٢- عـدم إخضـاع نتائج الحفريات والتنقيبات السابقة للدراسات التاريخية الدقيقة والدراسات المقارنة ونحو ذلك٠
٣- ظهور الفخار المدياني مختلطًا مع الفخار النبطي والروماني والإسلامي في بعض المواقع٠
٤- تعـرض بعـض مواقع وجود الفخار المدياني للانقطاع بفعل تدمير أو هجـر، وظهـور فجوات تاريخية في تتابع تأريخ الموقع واستيطانه، وأهميته التاريخية٠

وقـد أمكن تحديد تأريخ الفخار المدياني الموجود في تمنع حيث عثر على الكسـر الفخارية في اثني عشر (١٢) موقعًا، أهمها موقع رقم ٢٠٠ وهو معبد المعـبودة حـتحور Hathor فـي تمنع٠ وتعود أهمية الموقع لوجود الفخار مع

مجموعة من الآثار والكتابات المصرية من عهد الدولة الحديثة وعلى التحديد من عصر الرعامسة من رمسيس الثاني إلى رمسيس الخامس أي من حوالي ١٢٩٠- ١١٥٢ ق٠م٠

واتضح بالمقارنة الدقيقة جدًا مع الفخار الموجود في مواقع تمنع الأخرى، التطابق الزمني التام بين كل الكسر وليس ذلك وحسب، بل وفيما يخص فخار النقب، والفخار المصري المصنوع على عجلة الفخار، سواء كان مستوردًا من مصر أو مصنوعًا محليًا؛ لأنه كان موجودًا في المعبد مع الكسر الفخارية المديانية على أراضى كل طبقات مواقع الدولة الحديثة٠ فيصبح لذلك تأريخ الفخار المدياني في كل الطبقات مع المواد الأخرى بالمقارنة مع مواد المعبد في القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق٠م٠

ونفترض لذلك تلقائيًا أن كل مواقع تمنع الاثني عشر المذكورة سابقًا لها الامتداد الزمني نفسه [١]٠

ويتضح أن فترة الرعامسة (من رمسيس الثاني إلى رمسيس الخامس) يجب أن تعد إطارًا زمنيًا لمواقع الدولة الحديثة في تمنع فتؤرخ لها من بداية القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الثاني عشر أي ١٣٠٠- ١١٥٠ ق٠م٠[٢] بينما يرى آخرون أنه يعود إلى القرنين الرابع عشر والثالث عشر[٣]٠

ولكن ذلك التحديد الزمني يشمل فخار مواقع تمنع فقط، حيث ليس من المقبول أن يبدأ إنتاج الفخار المدياني فقط مع بداية الاستثمار المصري لمعادن شبه جزيرة سيناء، وإرسال حملات التعدين هذه ثم استيطان العمال في مواقع المناجم٠

ويبدو أن التحديد الزمني للفخار المدياني بصورة عامة وخاصة فخار مواقع شمال غرب شبه جزيرة العرب وتشابه الفخار المدياني المزخرف مع نظيره الفلسطيني الثنائي اللون فإنه يعود إلى عدة قرون خلال عصر البرونز الحديث٠

---

(١) Rothenberg and Glass, Op. Cit. , Series 24, Op. Cit. , pp. 100-101.
(٢) Ibid, Series 24, p.101.
(٣) Dayton , Midiante and Edomite Pottery, p. 31.

ويوجد بعض الفخار المدياني الآخر الذي يحمل زخارف ذات عناصر تصويرية Mycenaean Motifs من مواقع معبد مدينة عمَّان، فقد عثر على أختام إسطوانية بأسلوب سوري ميتاني موجودة معه مما يدل على استيطان مبكر يعود إلى منتصف عصر البرونز الحديث، ويؤكد استيطان شرق الأردن في هذه الفترة، كما يرى أ. هاردنج وذلك بعكس مقولة جلوك . وأن هذا الاستيطان يمتد ليشمل شمال الحجاز في شبه جزيرة العرب. وقد وجد في موقع قرية فخار محلي يحمل خصائص مسينية مقلدة ؛ فالوعاء مصنوع من صلصال أبيض قاسٍ مصقول، ومزخرف بدهان أبيض وبني وكان مطابقًا لما وجد في معبد عمان حسب ما أفاد به ج. ب. هينسي Dr. Hennessy.[1] فيذكر أن هنالك معثورات أخرى مع الفخار تعود إلى فترة الهكسوس الأخيرة وإلى عهد تحوتمس الثالث ١٥٥٠- ١٤٥٠ ق.م؛ لأن كل المعثورات الفخارية والذهبية تعد تقدمات مكرسة لإله معبد عمان. مما يؤكد دور شمال الحجاز التاريخي منذ حوالي القرن الخامس عشر ق.م.[2] ومن الأرجح أن هذا التأريخ مناسب تمامًا لاستقرار أهل مدين الحضاري ، ومناسب لنشوء كيانهم السياسي كدولة أو مملكة في منطقة شمال الحجاز وشرق سيناء أيضًا. وذلك بحسب الشاهد الأثري من قرية[3] والتطابق مع التاريخ المقابل المستمد من معبد تمنع المتمدين[4] بالإضافة إلى الروابط الإيجية الموجودة في شرق الأردن، وهي روابط كافية مع مملكة ميتاني في شمال ساحل سوريا والموانيء التجارية، وغزة أيضًا. وكل

---

(١) Hennessy , J. B. , "Excavation of A Late Bronz Age Temple At Amman", Palestine Exploration Quarterly, 1966. pp. 155, 161- 162.

(٢) Dayton , Midiante and Edomite Pottery, p. 31.

(٣) يذكر أن تاريخ قرية يمتد إلى فترة أبكر من الألف الثاني ق.م. بدليل وجود المنقاش الحجري. أي أنها مستوطنة منذ العصر النيوليتي، انظر:

Parr, Harding and Dayton , Op. Cit. , vol. 8 - 9., p. 241.

(٤) الذي حوله أهل مدين لمعبد مدياني خاص بعبادتهم، انظر: هذا الكتاب ، ص ٢٠٥.

هذه الروابط والشواهد التاريخية كافية للرد على جلوك وأن هذه الشواهد تغطي الفجوة التاريخية التي يعترض عليها(١).

ويوافق تاريخ الخزف المدياني في قرية وتمنع عصر البرونز الحديث، وأما تيماء - بالاستناد على الفخار وغيره - فإن استيطانها يعود إلى عصر البرونز الحديث وعصر الحديد؛ بل وتتجلى الاستمرارية الحضارية لتيماء بكونها مستوطنة خلال الألف الأولى ق. م.، وبظهور الأوعية النبطية بوصفها إرثا لمظهر الثقافة الهلنستية، وذلك بعكس وادي تمنع حيث لم يلاحظ وجود استيطان كبير أو مهم فيها خلال الألف الأولى ق.م.(٢).

وتستمر قرية من عصر البرونز ربما إلى العصر البيزنطي(٣) وللتثبت من ذلك نحتاج إلى المزيد من بعثات التنقيب حتى يتم استقصاء المواقع التاريخية واستخراج آثارها، واستقراء ها للتعرف على تاريخ المنطقة.

٤ - موطن الفخار المدياني :

أصبح من الواضح أن الفخار المدياني صدر عن مركز إنتاج واحد. وقد ثبت ذلك بواسطة التحليل البتروجرافي Petrography (٤) والجواب عن موقع هذا المركز أو الورشة المركزية يتضح بواسطة مقارنة البيئة الجيولوجية للمواقع

---

(١) Dayton, Midianite and Edomite Pottexy, p. 32.

(٢) Bawden , Painted Pottery of Tayma , pp. 47 - 48.

عصر البرونز الحديث I أ ١٥٥٠ - ١٤٧٩ ق.م.

(منتصف) عصر البرونز الوسيط II ب ١٧٠٠- ١٦٠٠ ق.م .

عصر البرونز الوسيط II ج ١٨٠٠ - ١٧٠٠ ق.م.

عصر البرونز الوسيط II أ ١٨٠٠ ق.م.

عصر البرونز الوسيط I , II أ ١٩٠٠- ١٨٠٠ ق.م.

Albright , Archaeology of Palestine p. 84.

(٣) Dayton , Midinaite and Edomite Pottery, p. 27.

(٤) البتروجرافيا : وصف الصخور وتصنيفها ، انظر: بعلبكي، المرجع السابق ، ص ٦٧٩.

المدانيـــة المختـــلفة، حيـــث كان الفخار المدياني موجودًا مع البيئة الجيولوجية لمركز الإنتاج المتوقع للفخار .

وأفادنـــا الاعـــتماد على التحليل البتروجرافي كثيرًا، فقد أظهرت الدراسات البتروجرافية للفخار المكتشف؛ أن جزءًا كبيرًا ومتنوعًا لقطاع جيولوجي يظهر المحـــتويات المختـــلفة لهـــذا المقطع. وهذه القاعدة صالحة جدًا للفخار الحبيبي الخشن خاصة مع وفرة مواد صلبة لا يتجاوز قطرها ٢ ملم .

دل التحـــليل البتروجرافي على أن البيئة الجيولوجية لمعمل الفخار المدياني تســـود فيها فصيلة واحدة من أنماط الصخر : هي : طين صفحي مرقش بعضه (غني بأكسيد الحديد، والبعض الآخر فقير من أكسيد الحديد وغريني صلصالي). وغـــراين صلصالية فلسباد كوارتزية Quartz-Feldspathic وأحجار رملية غنية بالكوارتز، وغرين نقي. عمومًا يلاحظ في هذه الفصيلة من الصخر غياب كلي لصـــخور حاملة للكربون. وتتوافق طبيعة التكوين الصخري المعقدة هذه بأفضل ما يكون مع طبيعة تركيب الحجر الرملي النوبي الباليوزي Paleozoic Nubian أي القديم، والتي تتركب بصورة رئيسة من حجر غني بالكوارتز مع اقتحامات لطبيعة صخور الطين الصفحي الغرينية.

ويتضـــح أنـــه من بين المواقع التي شملتها الدراسة، كان موقع « قرية » الوحيـــد الـــذي يقـــع فـــي أرض الحجر الرملي النوبي المجرد[١]. وإن كانت المعلومات الجيولوجية عن « قرية » غير كافية وتحتاج إلى المزيد من الدراسة إلا أنـــنا نجـــد أن الهيماتيت Hematite والإردواز Slate كانت في عداد المواد الحجـــرية المنتشـــرة فـــي « قرية » . وأن الطين المشبع بالكاولين Kaolin والمستخرج من « كهوف جبال قرية » هو أساس المادة الصلصالية التي تكوِّن عجينة فخار مدين[٢]. بالإضافة إلى المقطع الجيولوجي من « منطقة تبوك » – التي تبعد عن «قرية» بحوالي ٧٠ كم إلى الجنوب منها ومتصلة بها – نجد أنه

---

(١) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, p. 111.

(٢) إنجراهام و آخرون ، المرجع السابق ، ع ٥ ، ص ص ٦٧ – ٦٨ .

يشتمل على التركيب النوبي الباليوزي، بالإضافة إلى تكوين من الطين الصفحي وغـــرين رملي بسمك مئة متر تقريبًا. وتعد كل من «قرية» و« تبوك» جزءاً مـــن رصـــيف جيولوجـــي مســـتقر تقريـــبًا. ولذلك فالجزء نفسه من القطاع الجيولوجي يغطي مساحات واسعة.

ويتناسب مثل هذا الانتشار مع طبيعة تكوين الصخور على رقعة واسعة مع الواقع البتروجرافي المتجانس للفخار المدياني(١).

ومما يدعم هذا الرأي وصف كل مباني قرية، فهي مشيدة من حجر غريني أخضر رمادي. وقمة التل الكبير الممتد مقسمة إلى ثلاثة أقسام بجدارين مبنيين بـــألواح الحجـــر، وظهـــر من تشققات ألواح الحجر أن الألواح الحجرية نفسها منشـــؤها مـــن أحجار رملية صلصالية مع غرين صلصالي أو طين صفحي. وتقدم ألواح الحجر المتطورة في تلك المباني صورة جيدة مرئية بالعين المجردة للتركيب المصغر في قطع الطين الصفحي للفخار المدياني(٢).

وبالمقـــابل لانجد من خلال دراسة الفخار المدياني الموجود في « وادي » تمـــنع، ومقارنة البيئة الجيولوجية لهذا الوادي أي تشابه بينهما، وإن كان هنالك فخـــار مصـــنوع في تمنع، أي غير مستورد إليها، فهو فخار غير مدياني. لأن طـــبيعة الوادي مختلفة تمامًا فالحجر الرملي النوبي الباليوزي هنالك يظهر فوق قطـــاع تركيب جيولوجي سميك يشتمل على صخور نارية متنوعة. ويوجد في قـــلب وادي تمـــنع تكويـــنات حجـــرية جيرية (كلسية) وتكوينات متنوعة غنية بالصلصـــال مـــع محـــتويات كربونية وافرة. وهي صالحة كمادة خام لصناعة فخـــار، ولكـــنها ليســـت خامة الفخار المدياني قطعًا. وبالنتيجة أمكن التأكد أنه لايوجد فخار مدياني مصنوع في «تمنع».

---

(١) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, p. Op. Cit, p. 111.

(٢) Parr , Harding and Dayton , Op. Cit. , vol. 8 - 9. p. 220. Ibid. Series 24 , p. 111.

وحيــث وجــد الفخـــار المدياني في المواقع الأدومية نجد أن الأخيرة تقع جيولوجيا فوق القطاع النوبي Nubian وتقع « قرية الشديد » على حافة صخور ســينونيان Senonian المكشوفة. وتقع «طاويلان» تمامًا فوق تكوينات الحجر الرمــلي النوبي في منطقة تشتمل على صخور كربونية متنوعة. وأما «خربة الــدوار» فــتقع في بيئة جيولوجية مشابهة ومجاورة لصخور بركانية مسطحة مكشــوفة. ومــرة أخرى وكما هو الحال في تمنع فالطبيعة الجيولوجية للبيئة في المواقــع الأدومية الثلاثة لا تظهر مادة الصلصال الذي صنع منها الفخار المدياني الــذي عــثر عليه هناك. وإنه في الوقت نفسه، فهذا الفخار في تلك المواقع يشبه عيــنات فخاريـــة من قرية. أما بقية المواقع في فلسطين وسيناء فهي تقع خارج المنطقة النوبية كلية، وتوجد في المناطق التي يسود فيها صخر كربوني وصخور صــلبة، إضافة إلى انتشار وسيادة التكوينات الحجرية الغنية بالصلصال. ودراسة ثلاثة مواقع هي «جدور» و«تل ماسوس» و« تل الفرعة» بتروجرافيًا وجيولوجيًا لقــد ثبت أنها ليست متوافقة مع الفخار المدياني بتروجرافيا . وهكذا يتضح أن الفخـــار المدياني صنع في ورشة أو عدد من الورش في موقع «قرية» وبيئتها[١] وصُدِّر إلى المواقع المذكورة أعلاه.

ولايوجــد فــرق بتروجرافي بين الفخار المدياني المعثور عليه في المواقع المختــلفة - رغم المسافات الكبيرة بينها والاختلافات الجيولوجية القصوى بين بيــئة تــلك المواقـــع - مما يدل على أن كل الفخار المدروس والذي أخضع للفحص نشأ في معمل مركزي واحد، أو عدد من المعامل في المنطقة المجاورة نفســها، وباســتعمال للرواســب الجيولوجية نفسها. لأن كل الخامات اللازمة لصــناعة الفخار المدياني مستمدة من نفس التكوين الجيولوجي للطين الصفحي المــرقش الخـــالي مـــن الكربون. (واستعمال الطين الصفحي والغريني الفاتح

(١) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, p. 112.

لتحضـــير العجينة اللدنة، بينما الطين الصفحي الغامق الغني بأكسيد الحديد كان مستعملاً كمزاج غير لدن (صلب)[١] .

وبناء على ماتقدم ثبت أن أوعية الفخار المدياني مصنوعة في شمال غرب بـــلاد العــرب؛ وبالتحديد في شمال الحجاز أي في منطقة مدين. فهي الموطن الأصـــلي والحقيقـــي لهذا الفخار، في «قرية» وقد يكون في «تيماء» و«مغاير شعيب» أو«البدع» وماحولها[٢].

٥ - أشكال الأوعية الفخارية المديانية :

عـــثر فـــي «قرية» على ثمانية عشر نوعًا مختلفًا من أواني الفخار أعطت صـــورة عامة عنه، وسنبدأ بحصر أوعية الفخار المدياني أولا بصورة عامة ؛ كما يلي :

١- الزبديات (الشكل رقم ١٤) : Bowls

وقـــد وجـــدت في أحجام متسلسلة؛ صغير ومتوسط وكبير، أو واسع، ولها خصـــائص ومســـميات واحـــدة، فهي: ذات قواعد مسطحة بجدران مستقيمة ، وزخارف من الداخل والخارج.

٢- أباريق (الشكل رقم ١٥) : Jugs

يكـــون قطر القاعدة المسطحة أصغر من جسم الإبريق، وتوجد يد (مقبض) واحدة تصل الجسم بالعنق (الشكل رقم ١٥). وكل الأباريق تقريبًا مزخرفة من الخارج.

---

(١) Rothenbergand G.lass, Op. Cit. , Series 24, p. 113.

(٢) بقيـــاس المســـافة بين مركز الإنتاج «قرية» وجدور مثلا يتبين أن الفخار المدياني صدر إلى مواقع تبعد حوالي ٣٠٠ كم . Parr , Harding and Dayton, Op. Cit. , vol. 8 - 9. p. 240
Rothenberg and Glass , Op. Cit., Series 24, pp. 112, 114.

٣ - أباريق صغيرة (الشكل رقم ١٥) : Juglets

هذه الأواني ذات جسم إهليلجي (Piriform) بقاعدة مسطحة، تمتد اليد من الجسم إلى العنق الأسطواني أحياناً، ويستدق القطر الداخلي للعنق أو يتناقص باتجاه قاعدته، ومزخرفة بمواضيع هندسية محتوية على رسومات طير (انظر الشكل رقم ١٨) وهي زخرفة نمطية للأباريق الصغيرة.

٤ - أقداح (الشكل رقم ١٤) : Goblets

هذه الأوعية لها جدار مستقيم وبفم عريض مفتوح وقاعدة منبسطة، ومزخرفة من الخارج ولكنها مطلية من الداخل أيضًا.

٥ - أوعية أخرى متنوعة : Varia

أ - كوب (الشكل رقم ١٦) بفم وقاعدة متساويي القطر وجسم محدب، ويبدو في كل من القاعدة والحافة انبساط يشبه البروز؛ أي النتوء، ومتصلين بمقبضين، وهذا الوعاء مزخرف من الخارج فقط.

ب- أوعية على شكل يشبه (كأسًا أو إناءً لمزج الخمر) وفق ما يوجد منها لدى الإغريق والرومان)، والأوعية ذات جدران سميكة، ومزخرفة من الخارج فقط[1].

وأما تصنيف أنواع فخار تمنع بالاستناد إلى تقنية صنعها فهي :

١- الفخار المصنوع على عجلة الفخار، وهو عادي وسادة، ولكنه مشوي جيدًا، ويتكون بصورة رئيسة من جرار التخزين ذات عدة مقابض، وزبديات جؤجؤية، وأباريق كبيرة وصغيرة.

٢- زبديات ضحلة وخشنة، ومصنوعة باليد، وقد استعملت للطبخ ولأغراض منزلية قريبة أو منتمية لنمط أوعية صحراء النقب، والتي عثر عليها سابقًا في جبال وسط النقب، ويظهر في الكثير من هذه الزبديات المسطحة القاع آثار طلاء منطفىء غير لامع.

---

(١) Rothenberg and Glass, Op. Cit., Series 24, p. 87. Dayton, Midianite and Edomite Pottery, p. 27.

٣ - أوعية بلون زهري - أصفر برتقالي أو فريدة مزخرفة: ثنائية الطلاء وبتصميمات هندسية (أحمر - بني وأسود) مصنوعة من صلصال مشوي تمامًا، وجيـد الصـقل؛ ومـنها زبديات صغيرة ضحلة، وعميقة. وتبرز أحيانًا عقدة مقبض Knob أو يد من الحافة. وهنالك كسر لأكواب أو كؤوس عميقة مزخرفة بطلاءيـن مثل الأباريق الأيونية Ionian وبزخارف هندسية متشابهة. وزبديات ضحلة بتصميمات نباتية كزهور في الوسط. ولم يعثر على فخار من هذا النوع فـي مواقـع فلسطين، لكن ربما يمكن جمعه من سطح مواقع في الأردن، وهو الـذي دعـي سابقًا باسم « الفخار الأدومي »، ولكن ثبت الآن أنه فخار مدياني بالاستناد إلى نظائره المديانية[١].

ومن الغريب جدًا أنه لم يعثر على فخار الفليستر Philister في منطقة شمال الحجاز، وربما يعزى ذلك إلى هزيمة إدوم حوالي ١٠٠٠ق.م.[٢].

ورغـم أن روثنبرج أورد جرار التخزين ضمن الأوعية المديانية التي عثر عـليها في مواقع وادي المنيعية (تمنع) وأثبتها في كتابه المعنون«Timna^c»، إلا أنـه أغفـل ذكرها تمامًا في بحثه اللاحق الذي قام به مع زميله جلاس. والذي اسـتفدنا منه كثيرًا في بحث الفخار. ولا أدري لماذا أغفل ذكر جرار التخزين؟ هـل لأنه لم يخضع كسر جرار التخزين للتحاليل والفحوصات التي أجراها، أم لأسباب أخرى ؟.

وأغلب الأواني الفخارية التي عثر عليها في «قرية»، و«البدع» و«خريبة»، و«تيمـاء»، و«الحجـر»، وغيرها من مواقع شبه جزيرة العرب لاتخرج عن الأنـواع السابق ذكرها مثل: جرار التخزين، والأطباق المسطحة، أو الزبديات الضـحلة، والزبديات العميقة، والأباريق بنوعيها الكبير والصغير، والأقداح مع

---

(١) Rothenberg , Timna , pp. 70 - 71.

(٢) Dayton , Midianite and Edomite Pottery, p. 32.

بعـض معـثورات أخرى، وما تجدر ملاحظته أن غالبية أوعية «قرية» مثلاً تتألف من أطباق مسطحة وزبديات[1]. (الشكل رقم ١٧).

وكذلك أوعية البدع تتألف من أطباق وزبديات.[2] (الشكل رقم ١٧).

وقـد وجد في تيماء الأوعية نفسها بالإضافة إلى وجود دمى طينية بأشكال حيوانية، وبشرية.. وكان بعضها على شكل جمل غير مكتمل، حيث عثر على ٣ دمى للجمل (مكسورة)[3].

وعـثر فـي الحجر على جرار متوسطة ارتفاعها ٢٥ سم وقطرها ٢٥ سم. وعـثر عـلى أطـباق صغيرة مخروطية الشكل، بالإضافة إلى تمثال نصفي من الفخار الخشن السميك ذي لون يميل إلى الأحمر. ويشبه وجهه وجه حيوان وعلى الكتف نقش بارز لثعبان مقاساته (ارتفاع ٦سم × عرض ٤,٢سم × سم٩,١). وقد عثر عليه على عمق متر واحد في «مربع ن».[4].

٦ - **زخارف وألوان الفخار المدياني :**

ذكرنا آنفًا أن هنالك نوعين من الفخار المدياني:

أولا – الفخار العادي السادة الذي لايحمل أية زخارف [5].

ثانيًا – الفخار المزخرف.

تميـز الفخـار المديـاني المزخرف بوجود زخارف مختلفة على جدران الأوعيـة والأوانـي الفخارية. وكانت بعض الأوعية المصنوعة من الصلصال

---

(١) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit. , vol. 8 - 9, p. 238. , Dayton, Midianite Edomite Pottery p.34.

(٢) Parr , Hading and Dayton , Op. Cit., vol. 10, pp. 34- 35.

(٣) أبـودرك، حـامد، وعـبدالجواد مراد، "تقرير مبدئي عن حفريات وتنقيبات قصر الحمراء في تيماء"، الموسم ٤ ، (١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦)، **حولية أطلال**، الرياض، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م، ع ١١، ص ٣٨ .

(٤) البراهيم والطلحي ، المرجع السابق ، ع ١١ ، ص ٦٦.

(٥) انظر: هذا الكتاب ص ٣١٧.

القاســي الأبيــض والمصقول جيدًا وبسطح قشدي (كريمي) مدلوك جيدًا كانت مزخــرفة بدهان أسود أو بني غامق. وكانت هذه الأوعية تذكر بأوعية مسينية Mycenaean Wares وعــند مقارنتها بالأوعية المكتشفة في معبد مدينة عمان والتي تعــود إلى القرن الرابع عشر ق.م. تبين أنها متطابقة. يضاف إلى ذلك بعض قطــع مديانية مزخرفة بزخارف استمدت مواضيعها من مواضيع مسينية. ولا يســتغرب وجود فخار مسيني أو تشابه الزخارف في شمال غرب بلاد العرب معه نظرًا لقرب مدينة عمان من هذه المنطقة.

بالإضافة إلى ذلك فهنالك الفخار المدياني الثنائي اللون Bichrome [١].

ويتألف أغلبية فخار «قرية» من أوعية خشنة أو متوسطة متنوعة اللون من الأحمــر الفــاتح إلى الزهر والأصفر البرتقالي إلى القشدي. مع التميز بظهور الحبيــبات الخشنة، وعادة تكون أغمق من الطين نفسه. وباستثناء بعض القطع كــانت كلها بعجينة قشدية أكثر نعومة مع وجود قليل من الحبيبات. ورغم أن أغلبية الفخار هنا مصنوع على عجلة الفخار إلا أنه يوجد فخار ملفوف باليد أي صناعة يدوية.

وكــانت أغــلب الزبديات تحمل حلية السيمة Cyma [٢] وهي التي تبدو عند رؤيتها من الجانب «Profile» متموجة. وكانت الأوعية المزخرفة مدهونة بطلاء طيني كثيف، ولون أغمق من مادة الإناء. وأما أكثر السمات تميزًا وبروزًا فهي الزخارف المدهونة عمومًا. وقد طبقت هذه الأنماط بدرجات متفاوتة من الأسود والبني والأحمر أو الأصفر على طلاء طيني كثيف؛ أصفر، برتقالي، أو قشدي. وقــد اســتعمل أحيانًــا لونان لتشكيل النمط الثنائي اللون (بيكروم). وقد شملت

---

(١) Dayton, Midianite and Edomite Pottery, p. 29.

(٢) بعلبكي، المورد، ص ٢٤٤، السيمة Cyma حلية صورتها الجانبية متموجة.

التصـــاميم الزخــــرفية كــــلا النوعين : التصاميم الطبيعية، والتصاميم الهندسية، (حيوانـــات، وطيـــور، وحـــلزونات، وتظـــليلات مـــتقاطعة، Cross- Hatching ، والفستونات Festoons) (الشكل رقم ١٨)[١] .

وقـــد تبدو كل الزخارف كنقوش يدوية، لكن الشرائط، أو الأطواق المحيطة بالوعاء، ربما أنها نفذت بمساعدة دولاب بطيء. وكل الأوعية في تمنع مطلية أيضًا بطبقة سميكة من طلاء قشدي ومصقولة أيضًا.

ويلاحـــظ أن بعـــض الـــزبديات مزخرفة من الداخل والخارج ، وبعضها مزخـــرف من الخارج فقط، وهنالك نوع ثالث مزخرف من الداخل فقط. وأما الأبـــاريق الكـــبيرة والصغيرة، والأقداح، والأطباق، والمنوعات الأخرى فهي مزخرفة من الخارج فقط[٢].

أ- الزخارف الهندسية :

وهي الأكثر انتشارًا في الفخار المدياني عمومًا ، ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة عشـــر (١٣) نوعـًـــا أو فكرة أساسية. وقد ظهرت معًا في مجموعات فخارية مـــتعددة، وكـــانت كل مجموعة ذات فكرة رئيسة مستعملة مع غيرها كإطار أو لملىء فراغ (الشكلين رقمي ١٩، ٢٠).

١- خطـــوط مـــتوازية Parallel Lines - مشتملة على خطوط أفقيه وعمودية ومائلة (الشكل رقم ١٩-١).

٢- متقاطعات Crosses ، (الشكل رقم ١٩-٢).

٣- شبكات Nets ، (الشكل رقم ١٩-٣) .

٤ - شارات Chevrons - مثل الشارة العسكرية، (الشكل رقم ١٩-٤).

٥- مثلثات Triangles ، (الشكل رقم ٢٠ -٥).

---

(١) Parr , Harding , and Dayton , Op. Cit. , vol 8 - 9. p. 238.

(٢) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24, pp. 87 , 98.

٦- معينات Lozenges، (الشكل رقم ٢٠-٦)٠

٧- خطوط منكسرة Zigzag، (الشكل رقم ٢٠-٧)٠

٨- أقواس Arches، (الشكل رقم ٢٠-٨)٠

٩- أنصاف دوائر متصلة أو أهلة Joining Semicircles، (الشكل رقم ٢٠- ٩)٠

١٠- خطوط متموجة Wavy lines ، (الشكل رقم ٢٠-١٠)٠

١١- دوائر بها نقطة مركز الدائرة Dots and Dot- Centered Circles ، (الشكل رقم ١٨)٠

١٢- حلية مدروجة (لفائف) Scrolls ، (الشكل رقم ١٨)٠

١٣- عناصر زخرفية مستقلة[1]، Independent motifs (الشكل رقم ١٨)٠

ب - الطيور:

كانت الطيور وخاصة طائر النعام مصورة على الأوعية بواقعية حقيقية، رغم أنها تتسم جزئيًا ببعض الاختلافات في التفاصيل٠ وهي ذات سيقان طويلة منثنية، ومخالب مشقوقة (الشكل رقم ١٨)، والعنق طويل، أما الرأس فأحيانًا مرسوم كدائرة غامقة تتوسطها نقطة في المركز (الشكل رقم ١٨) ، لكن غالبا بعين مستديرة منقوطة في منتصفها٠ والأجنحة طويلة منشورة أي مفتوحة٠ وغالبًا الذيل أقصر من إحدى نقاط انتشار الجناح، والجسم مدهون بلون واحد٠

ربما أنها صورة للنعام في وضع الجري أو أنها طليقة في الطبيعة٠

ج - الشكل البشري :

يظهر شكل بشري غريب، مرسومًا بالأسود على خلفية فاتحة (الشكل رقم ٢١أ) ويبدو كنموذج تخطيطي لرأس مماثل لرأس الطير[2]٠ يرسم الجسم في الشكل البشري بأسلوب تخطيطي (تجريدي) مع الحرص على إبراز اليد

---

(١) Rothenberg and Glass , Op. Cit. , Series 24 , p. 98.

(٢) Rothenberg and Glass, Op. Cit. , Series 24 , p. 99.

وانفــراج أصـــابع الكف والشعر منشور (مرسل) وهذا الشكل البشري نفذ في رسومات منقوشة على الصخر تم اقتباسها وتنفيذها على الفخار .

ومما يلاحظ على الأنماط والزخارف أن كل أنماط الأوعية المزخرفة تحمل عناصـــر هندسية مع زخارف أخرى. أما الزبديات، والأباريق، والأقداح فهي ذات زخارف هندسية فقط. ويمكن استنتاج بعض السمات العامة من الزخارف نفسها :

أولاً – المواضيع الهندسية مرتبة كطنف أو إفريز حول الداخل والخارج في الزبديات.

ثانيًا – يظهرعلى كل الزبديات شرائط حمراء وبنية على الحافة.

ثالــثًا – يظهرعـــلى بعض الزبديات الصغيرة مواضيع مستقلة (الشكل رقم ١٤ ، ١٥ ، ١٧) في داخلها على قاعدتها المنبسطة.

رابعًــا– كل أوعية الفخار المدياني ذات خطين متوازيين يظهران على سطح الإناء الخارجي مباشرة تحت شفة الإناء. ويظهر على كل الأوعية فكـــرة رئيســـة نفـــذت على سطحها الخارجي، عبارة عن خطين متوازيين إضافيين قرب القاعدة.

خامسًا– الأباريق طبيعيًا لها أطناف هندسية عديدة الواحد فوق الآخر. بينما الأوعيـــة الأخرى ذات طنف واحد فقط. وهذا الطنف أكثر إتقانًا والتصاقًا.

سادسًـــا– فكـــرة الطير المرسوم ضمن إطار (للصورة) Metope وتعد من خصائص الأباريق الصغيرة (الشكل رقم٢١ أ)، مع وجود أباريق صغيرة ذات زخارف هندسية فقط (الشكل رقم ٢٥) [1].

---

(١) Rothenberg and Glass 24 Op. Cit. , Series , p. 100.

ونضيف هنا عنصرًا زخرفيًا جديدًا في فكرته وربما أنه خاص بفخار مدين فقط، فزخرفة الفخار بأشكال حيوانية وطيور معروفة ومنتشرة في فخار مناطق أخرى، ولكن استعمال الجمل كوحدة زخرفية فهو بلا شك موضوع محلي بحت، وابتكار مدياني خاص بفخارهم، وقد عثر على فخار مدياني مرسوم عليه الجمل في شمال غرب الحجاز، وكان مصدره تيماء على التحديد[١].

ويرى بعض الباحثين أن فخار مدين الجيد، والذي حلي بالرسومات والزخارف الهندسية الملونة يشابه في زخرفته فخار بلاد الرافدين المعروف باسم «فخار نوزى»[٢].

المدلولات التاريخية - الأثرية لفخار مدين

١- **الخصائص وفن الصنع** : تميز الفخار المدياني بصلصاله الفريد في تركيبه والذي يسهل مهمة تحديد هويته بالطرق المخبرية وتحديد مصدره، ونلاحظ أن فخار مدين لا يعد من السلع النفيسة Luxury Ware كما هو الحال في الفخاريات الأخرى كالفخار المسيني، وأنه كان ينتج للاستعمالات اليومية وليلبي مطالب مجتمع تتزايد حاجاته لأواني الطعام والشراب ونحوه ... وبالتالي اتصف الإنتاج بكونه سريعًا وغير متأنٍ.

وتتضح هذه الخصائص عامة في أشكال هذه الأواني البسيطة أو في زخارفها المبسطة التي حرص الفنان فيها على تقديم بعض الصور المستمدة من البيئة المجاورة فساد في الصور الزخارف الهندسية واختزلت أشكال البشر والطيور في خطوط تجريدية تبعد المواضيع المصورة عن واقعها الطبيعي، وكانت الألوان المختارة للزخرفة متعددة تشمل: الأبيض، والأسود، والبني، والأحمر، والزهري، البرتقالي المصفار.

---

(١) Rothenberg and Glass, Op. Cit., Series, 24, p. 119. n. 23, p. 122 n. 50.

(٢) ياسين، جنوبي بلاد الشام، ص ١٩٦.

٢- **التأثيرات الخارجية والصلات مع مواد البلاد الأخرى** : كانت عجينة الفخار المدياني متميزة وفريدة في تركيبها نظرًا لأنها مستمدة من البيئة المحلية. وكانت تقنية صناعة الفخار دولابية حسب التقنية الشائعة في ذلك العصر، ولكن الفخار المدياني زخر بزخارف ونقوش متنوعة مقتبسة من الأقطار المجاورة، أو مقتبسة من أوعية مستوردة مثل الأوعية المسينية. وظهر من ذلك التشابه الواضح بين الفخار المدياني وفخار الفلستر، وفخار نوزي. ونتج هذا التأثير من الصلات والعلاقات مع المناطق المجاورة لموطن الفخار المدياني في « موقع قرية » إلى سائر أنحاء منطقة مدين.

وكانت عناصر الزخرفة على الفخار المدياني ونظائرها في الفخاريات الأخرى سواء المسيني أو فخار الفلستر تكاد تكون مواضيعها وأفكارها متشابهة وقد يكون لها نظائر أخرى أيضًا وكان من أقدمها في المنطقة فخار نوزي.

أما تأثير الفخار المدياني على فخاريات شبه الجزيرة العربية فقد يتجلى بصورة أو بأخرى حاليا ولكننا لازلنا بحاجة إلى المزيد من التنقيبات وإجراء الدراسات المقارنة لكتابة تاريخ الفخار بصورة دقيقة. والاستفادة من الفخار لتحديد التتابع الزمني في بعض الفترات التاريخية في المنطقة.

٣- **الانتشار المكاني والزماني** : أشرنا إلى المناطق التي عثر فيها على الفخار المدياني إلى الآن. فقد عثر عليه في ثمانية مواقع في شبه الجزيرة العربية، ومواقع كثيرة في وادي تمنع (المنيعية) في وادي عربة، وستة مواقع في وادي عربة قرب أيلة، وثمانية مواقع في غرب فلسطين، وخمسة مواقع في شرق فلسطين (الأردن - إدوم)، وساحل سيناء على البحر الأبيض المتوسط بين فلسطين ومصر (انظر: الخريطة رقم ٨).

وقد استمر فخار مدين من القرن الرابع عشر ق.م. إلى القرن الحادي عشر ق.م. ولكن التحديد الزمني ليس قاطعا ولا نهائيًا؛ لأننا ما زلنا بحاجة إلى المزيد من التنقيب وخاصة في شبه الجزيرة العربية. يعد الفخار وثيقة

أثرية مهمة جدًا لأي حضارة يظهر فيها. ويعوض عن الوثيقة الكتابية وإن كان لا يلغي دورها. وأما بالنسبة لمدين فقد قدم لنا وثيقة أثرية مهمة جدًا عوضت عن الوثيقة الكتابية من عصر مدين. وكان الفخار المدياني أهم دليل للتتابع الزمني استخدم لتحديد تأريخ فترة أهل مدين.

٤ - **دور الفخار في تجارة مدين** : رأينا انتشار الفخار المدياني في مواقع متعددة داخل بلاد العرب، وخارجها في وادي عربة، وشرق فلسطين (الأردن - إدوم)، وغرب فلسطين، وعلى طول ساحل سيناء على البحر الأبيض المتوسط بين فلسطين ومصر. ويحتمل وجود هذا الفخار في مواقع أخرى لم تكتشف بعد.

إن انتشار الفخار المدياني إضافة إلى وجود كميات كبيرة منه في بعض المواقع يقدم لنا دليلاً قويًا على أن هذا الفخار كان سلعة مديانية مهمة. فنستنتج أنه كان من أهم بضائع تجارة مدين وخاصة أن الفخار المدياني كان آنية الاستعمال اليومي، والآنية القوية التي تقاوم ولا تتحطم بسرعة نظرًا لصلابة الفخار المدياني وأنه يكاد يشبه الآنية الحجرية. ومقابل ذلك يحتمل رخص ثمنه عن غيره من الفخاريات مما أدى إلى شيوع استعماله وانتشاره وكما استورد أهل مدين الفخار المسيني الغالي الثمن فقد صدروا فخارهم إلى جيرانهم أيضًا فهو أكثر صلابة وأقل سعرًا.

وتقدم الباحثة فيما يلي دراسة وصفية لكسر من أوانٍ فخارية مديانية من معروضات ومحفوظات متحف الآثار بالرياض.

٧ - دراسة لكسر من أوانٍ فخارية مديانية[١] :

١- قطعة رقم ١٨- ١ - ٨٦ (من قرية) :

---

(١) من معروضات متحف الآثار بالرياض - التابع لإدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة تعد الأولى من نوعها نظرًا لأن بعثة إدارة الآثار قامت بالنشر عن كشف هذا الفخار في مواقع مديانية وعرضته في لوحات. انظر: انجراهام ، المرجع السابق ، ع ٥، ص ٦٨ - ٦٩ ، اللوحات ٧٨ - ٨٦.

جزء من بدن إناء وتظهر زخارف مكونة من خطوط متقاطعة مع وضوح شكل يمثل رأس طير، تعلوه أذنان. مقاس القطعة حوالي ٨×٥ سم (الشكل رقم ١٣ب الكسرة رقم - ١).

٢- قطعة رقم ٥٢- ١- ٨٨ (من قرية) :

جــزء من بدن إناء - ربما جرة - تبدو يد (مقبض) متصلة بالعنق ونازلة عــلى البدن مقاسها حوالي ٧ سم وتبتعد عن البدن تدريجيا. وبلغ أعلى ارتفاع حوالــي ٢سم وسمك اليد حوالي ١ سم. وبلغ طول القطعة كاملة حوالي ١٤- ١٥ ســم. الــزخارف غيــر واضحة. ولكن الطلاء سميك، لونه أسود وبني. (الشكل رقم ١٣ب الكسرة رقم - ٢).

٣- قطعة رقم ٦٨ - ٣ - ٨٨ (من قرية) :

جــزء من إناء عبارة عن مستطيل بمقاس ٥×٤ سم. كانت زخارفها عبارة عــن خــط متعرج (زقزاق) غائر ومحفور على القطعة. لونها رمادي غامض ومن الداخل الطينة محمرة. وصلبة جدًا كأنها قطعة حجرية (الشكل رقم ١٣ب الكسرة رقم-٣).

٤- قطعة رقم ٣٠١٩٦ - ٨٨ (من قرية) :

جــزء مــن بدن إناء - ربما جرة - فخارها عادي وسادة بدون زخارف. لونه رمادي غامق مع عروق زهرية داكنة . تعكس لون الصلصال المحمر من الداخــل. تظهــر حزوز تدوير دولاب الفخار من داخل القطعة - الجرة - مع ظهور بروز على طول البدن من الخارج بارتفاع ١ سم تقريبًا. ويمتد من تحت العــنق إلى آخــر القطعــة ثم يظهر كسر . مقاس القطعة ٢٠سم × ٨ - ٩ سم (الشكل رقم ١٣ب الكسرة رقم ٤).

٥ - قطعة رقم ١٥٥٤- ١- ٨٦ (من قرية) :

جزء من قاعدة إناء يحمل زخارف ملونة، وهي عبارة عن دائرة بخط أسود حوالي ٢ ملم. وقطرها ٥ سم بداخلها خط أصفر برتقالي حوالي ١-٢ ملم غير منتظم بداخله خط بني حوالي ٦ ملم. بداخله خط أصفر برتقالي ١-٥ر١ ملم. داخلـــه دائرة سوداء قطرها ٢ سم ويوجد داخل الدائرة ٤ مربعات صغيرة بلون أصـــفر برتقالي. طول القطعة حوالي ١٤ - ١٥ سم × ٧ سم (الشكل رقم ١٣ ب الكسرة رقم ٥).

٦- قطعة رقم ١٩٥ - ٧٥ - ٨٨ (من قرية) :

جزء من قاعدة إناء مستديرة تقريبًا قطرها حوالي ٢٠ سم. تحمل زخارف هندســية رسمت في منتصف القاعدة تغطي دائرة قطرها حوالي ١٠ سم بألوان بـــني فـــاتح وغـــامق، وبلون أسود على أشكال معينات. ولها ذات الخصائص المعـــروفة للفخار المدياني من الصلابة وظهور الحبيبات الخشنة السوداء داخل الصلصال (الشكل رقم ١٣ب الكسرة رقم-٦).

٧- خمس قطع من كيس رقم ٢٤ (من تيماء) : [١]

كـــل واحـــدة مـــنها عبارة عن كسرة من قاعدة إناء، تحمل نفس خصائص الفخـــار المديـــاني من ناحية الصلصال الصلب والشوائب واللون. من حفرية الصناعية بتيماء - الموسم الثالث ١٤١١هـــ (غير معروضة).

٨- قطعة رقم ١٥٥١/ ١٩٢ - ١ - ٨٦ - ٢ (من تيماء) :

جـــزء من بدن إناء - ثنائي اللون من الداخل - وعليه خط أصفر برتقالي

---

(١) من محفوظات مستودع متحف الآثار بالرياض التابع لإدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف.

عرضـــه حوالي ٥ر١ سم موجود تحت خط أسود، وعرضه حوالي ٣ ملم، ثم خط أصفر برتقالي، عرضه ٥ر١ ملم ثم يليه خط بني محمر عرضه حوالي ٩ مـلم. وعـليه من الخارج زخارف هندسية على شكل مثلثات. مقاس القطعة حوالـي ٩ - ١٠ سـم ولها نفس خصائص الصلصال المشار إليها (الشكل رقم ١٣ج الكسرة رقم ٧).

٩- قطعة رقم ٥ - ٢٦٨٩ (من تيماء) :

جـزء من بدن إناء - ربما إبريق - غير مزخرف من الداخل. وعليه زخارف هندسية على شكل مثلثات من الخارج. وتبدو حزوز دوران عجلة الفخـار واضـحة. له نفس خصائص الصلصال والألوان : أصفر برتقالي وبـني وأسود مقاس القطعة حوالي ١٣- ١٤ سم (الشكل رقم ١٣ ج الكسرة رقم ٨).

١٠- كيس رقم ٢٠٠ / ٨٠ (من جبل العوايشة في مقنا) :

أربع كسر من فوهات آنية بلون زهري مع وضوح آثار الحرق ، ربما أنها أجزاء من مبخرة ، أو موقد (غير معروضة) .

كسرتان من بدن مزخرف بحزوز.

١١- **مجموعة كسر** رقم ١٩٦-٣٠-٨٨، ١٩٥-٧٥- ١٦٨،٨٨-٣-٨٨ ، ١٨-١- ٨٦ ، ١٥٥٤/٩٤-١- ٨٦، ٥٢-١-٨٨، ٢٦٢٠، ٠٦٩ ، ٢-٢٦٩٠ وكلها من قرية (غير معروضة) .

١٢- **كســرتان** رقم ٨٠٦٠١٠١٩٢ - ٢، ٥-٢٦٨٩ من تيماء.[1] (غير معروضة).

(١) من محفوظات مستودع متحف الآثار بالرياض التابع لإدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف .

ب – العمارة المدنية والدينية والصناعية :

١ – العمارة المدنية : المدن والمساكن وشبكة الري :

سكن الإنسان البيوت واستعمل الخيام، والعرب أهل الخيام وسادتها. ومن أهم خيامهم بيوت الشعر؛ المنسوجة من شعر الماعز ووبر الجمل. بالإضافة إلى أنواع أخرى من الخيام مصنوعة من أنسجة مختلفة. وتعد الخيمة بما فيها من متاع قليل أو كثير ملكًا خاصًا لصاحبها. أما الأرض والماء والمرعى فملك مشاع للقبيلة[١]. ولاحتمال أن القبيلة كلها قد تنتقل إلى أرض أخرى، فالملكية غير دائمة خاصة في حالة الرعي والتجوال. وقد ذكرت الخيمة بصيغة الجمع مرة واحدة في القرآن قال تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾[٢].

وكان لمدين خيام لقبائلها الضاربة حول المدن أو المتنقلة خلف القطعان؛ بحثًا عن الكلأ والماء. واستمرت الخيمة في الاستعمال عبر العصور التاريخية ومازالت تستعمل كمسكن دائم للبدوي، أو مسكن مؤقت في المعسكرات بأنواعها، وفي المستوطنات السكنية المؤقتة المنشأة في مواقع العمل، وتستعمل في الرحلات والنزهات على شواطئ البحر أو عندما يحن العربي إلى بيته الأول فيهجر بيت المدينة ويذهب إلى قلب الصحراء ويعيش في الخيمة مؤقتًا.

ولأن مدين ذات ثنائية اجتماعية انتشرت خيامها في منتجعات القبائل في ضواحي المدن، أو في قلب الصحراء في أراضي العشب والماء. وذكرت التوراة مدن أهل مدين بمرافقها يوم حرب بني إسرائيل لبني مدين وقتل ملوكهم «وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار»[٣].

---

(١) حتي، تاريخ العرب، ص ص ٢٩، ٣٣.

(٢) سورة الرحمن، الآية : ٧٢.

(٣) عدد، ٣١ : ١٠ كانت القصور منتشرة في المنطقة خاصة في بلاد كنعان في مجدو وبيت إيل قرب شكيم (نابلس) وفي أريحا، وفي تل العجول أكبر قصر على الطريق الصحراوي الذي يربط عاصمة الهكسوس أفاريس بالقسم الآسيوي من الإمبراطورية وكانت قصور أمراء ومحصنة جيدًا، انظر : Albright, Archaeology of Palestine, p. 92.

وقد أشرنا إلى أن المقريزي ذكر أنه كان لمدين أربعون مدينة، بقي منها إلى العصر الإسلامي ست عشرة مدينة ذكرنا بعضًا منها. وذكر أن في أرض مدين أنقاضًا وأطلالاً في اثنين وثلاثين موقعًا، تمثل بقايا مدن كبيرة وصغيرة وقرى[١].

وعندما أرسل خديوي مصر بعثتين مع بيرتون زار أعضاء البعثة وشاهدوا ثماني عشرة مدينة كبيرة وصغيرة أيضًا[٢]. ومع ذلك فيوجد القليل جدًا من بقايا المباني والمنشآت في المواقع المديانية. وذلك لأن المنطقة قد تعرضت لهدم وتدمير خلال فترات التاريخ الطويل. تهدمت أغلب المدن وزالت منازلها وقصورها وحصونها. وطمست معالمها وبقي أقل القليل كأنقاض متناثرة. وقد نتج هذا التدمير العنيف عن أحداث طبيعية وحربية[٣]. وربما نتيجة لهجرة جماعية وإخلاء الموقع مما يعرضه للنهب والتدمير فيما بعد.

ومما شجع على البناء في منطقة مدين توافر المواد الخام اللازمة للبناء، خاصة أن المنطقة تعد بلدًا بحريًا وتمتد سلاسل الجبال فيه. فيتوافر الحجر الجيري، بالإضافة إلى الرخام السادة، والمرقش، ويجلب من جبل اللوز وما حوله. ويستخدم الجبس بدلاً من الإسمنت فيحل مكانه.

ويوجد هنالك الرمل الخشن، والحجر الرملي الأحمر من الحسمة أو المنطقة الداخلية، وتصنع منه قوالب مثل طوب طبيعي، وتحتوي المنخفضات الساحلية على الرخام السماقي أو الحجر السماقي بلونيه الأحمر، والأخضر بقرب الجرانيت الصلب المحتوي على الميكا – مادة شبه زجاجية – يضاف إلى ذلك صلصال الكاولين (الفلسباد). والجرانيت المعرق بالكوارتز، الذي تظهر فيه كل

---

(١) Burton, R.," Stones and Bones From Egypt and Midian", **Journal of The Royal Anthropological Institute**, London, 1879, vol. 8, .p. 300. انظر : هذا الكتاب ص ٧٧؛

(٢) Burton, Remains of Building in Midian, vol. 3, p. 62.

(٣) Burton, Remains of Building in Midian, vol. 3, p. 62.

وتعرضت كذلك بلاد كنعان المجاورة لمنطقة مدين لتدمير متكرر في مختلف المدن خاصة في فلسطين كذلك حدوث كوارث طبيعية أحيانًا مثل الزلازل، انظر :

Albright, Archaeology of Palestine, pp. 90-91.

درجـــات الـــلون في كل مكان تقريبًا، ممتد في كل الاتجاهات. ويوجد الصخر الغني بالمعدن الخام، الذي يعد من سمات المنطقة، ويبدو هنا الوادي أبيض كأنه مغطى بالثلج – عمومًا فأحجار المنطقة جيدة للبناء سواء كانت معدة ومقطوعة بيد الإنسان (صناعيًا) أو منحوتة طبيعيًا بذاتها أو بفعل مياه الشاطىء، بالإضافة إلى وجـــود بعـــض الصـــخور النارية (الصخر الأسواني)، ورجوم كبيرة من الجرانيت والصخر البركاني المربع المسامي، والبازلت من الحرار، وخاصة في القسم الجنوبي من مدين[١].

وطالمـــا أن أغـــلب المـــباني في المواقع المديانية مدمرة ولا يوجد منها سوى أطلال خربة متناثرة فنكتفي بإعطاء بعض الأمثلة لنماذج متفرقة من المباني المدنية التي عثر عليها ومنها الدور السكنية – ومرافق عامة من منشآت ري ونحوها.

يعد موقع «قرية» مستوطنة تجارية ذات تنظيم داخلي متقن، يشمل منشآت الـــري لـــلزراعة الكـــثيفة الـــتي كانت تقوم فيها[٢]. حيث إن قرية كانت أكبر مســـتوطنة زراعية في المنطقة كما وصفها فيلبي، وبيرتون، وداوتي وأول من زار قرية من الرحالة الغربيين مورتز Mortiz في عام ١٩٠٦م[٣].

توجـــد في القسم الأوسط من الخرائب – شواهد استيطان، مما يدل على أن هـــذه الخرائب بقايا منازل، ولكن لا تعد منطقة السكن الرئيسة. ويوجد حائطان مـــتقاطعان بارتفـــاع يصـــل إلى ثلاثـــة أمتار وأكثر منشآن من ألواح حجرية مسطحة، ورفيعة من الأحجار الغرينية المحلية مثبتة بالطين. ويبلغ سمك الجدار حوالـــي ٤٠ر١م، وذات واجهـــات عموديـــة، ماعدا القسم الجنوبي من الحائط الغربي كان مائلاً قليلاً إلى الخلف. والسمة البارزة لطريقة بنائها في أقسام غير مدموكة، ومنفصلة طول كل واحد يتراوح بين ٣ – ٤م. ويفترض أن ذلك كان

---

(١) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, pp. 62-63, 71.

(٢) إنجراهام، المرجع السابق، ع٥، ص ٦٨.

(٣) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit., vol. 8-9. p. 220 Philby, Op. Cit., pp. 127-129, 184 -187.

مقصـــودًا لمركزة أي انهيار بفعل زلزال، أو أعمال عدائية. وهي السمة نفسها التي لاحظها جوسين وسافيناك Jaussen and Savignac في أسوار تيماء، التي تعود إلى فـترة لاحقة لعصر مدين ولكنها تحافظ على التقاليد المعمارية، وفي الواقع أن أســوار قرية مشابهة كثيرًا لغيرها في كل مكان في المنطقة. وتوجد فجوات فـــي الســـور بسبب انهيار الجدران، مما يعوق الاستدلال على مكان البوابات، ولكــن ربمـــا أنها بقرب برج على شكل نصف دائرة على الحائط الشرقي. أما الجـدار الغربي فتوجد عليه سلسلة من الأبراج، اثنان منها على الجزء الشمالي وهمـــا مربعان ٣م × ٣م تقريبًا. وأربعة أخرى على الجزء الجنوبي. وجميعها ذات أبعاد متساوية. وكان أحد الأبراج فقط ذا مداميك واضحة.

وتوجد أسفل قلعة قرية على بعد ٢٠٠م من تلالها، في الشمال الشرقي أطلال المســتوطنة القديمـــة نفسها. ممتدة على مساحة ٤٠٠م X٣٠٠ م بمخطط مضلع وغير منتظم، ومحاطة بسور دائري. وهنالك مساحة خالية مثل ساحة بين كومتي الأنقـــاض، وربمـــا أنهـــا مكان سوق مفتوح أو نحو ذلك. علمًا بأن مباني السكن بالمســتوطنة متصــــلة بالقلعة بسور دائري شبيه بسور المستوطنة نفسها، ومبني جزئيًا من قوالب الطين. والجزء الآخر أعمال حجرية بسمك يتراوح بين متر إلى مـــتر وربع. وهنالك حوائط أخرى لأسوار. عمومًا تقدر المساحة المحصورة بين هـــذه الأســـوار في قرية بحوالي أربعة كم مربع (٤ كم مربع). بينما هنالك ثلاثة أســـوار أخرى تضم مساحة ممتدة إلى حوالي ستة كم مربع (٦ مربع). وربما أن هذه الأسوار تعد متاريس من التربة أو الأحجار، وربما أنها تمثل سدودًا. وعمومًا يمكـــن مشـــاهدة بقايـــا المباني في كل مكان. وهي مماثلة لأسوار القلعة والمدينة نفسها. والغرض من هذه السدود حجز مياه السيول في الأودية وللحماية من زحف الرمال على حقول الزراعة داخل الأسوار. وتبدو الحقول ظاهرة بوضوح في عدة أماكن من مجاري الأودية المحيطة «بمستوطنة قرية». وتظهر حدودها الخارجية بسور منخفض يتكون من صف واحد من الأحجار وأحيانًا من صفين. وربما أنها بقايا أسوار فقدت حشوتها من الدبش، أو بقايا قنوات ري. وثبت أن الحقول كانت

تروى من عدد من سدود حجرية قوية البناء لأنها بقيت رغم زوال قنواتها المائية. وهـنالك سمة يجب ملاحظتها؛ ففي خارج منطقة الحقول تمامًا بين السورين «أ» و«ج» يوجـد صفان من منخفضـات ضحلة في مجرى الوادي على شكل حرف «Y» ومـن المـرجح أنـه نظام قنوات سقاية مماثلة لما هو معروف في الشرق الأوسط بما فيه شبه الجزيرة العربية. والذي كان يعد دائمًا أنه من أصل فارسي. ويـرجح أنـه نظام مساعد للسقاية حيث يستعمل في شهور الصيف عندما تجف الأوديـة. وعـندئذ لا يمكـن الاعتماد على مياه السيول التي تعد النظام الأساس للسقاية في قرية[١].

ويبدو ابتداع نظام السقاية هذا في قرية قبل ظهور الفرس ويتضح من ذلك أن نسبته إلى الفرس غير حقيقية.

ومـن المـرجح أن نظام السقاية هذا كان شائعًا في الشمال. وقد نقل على أيدي الأوائل إلى جنوب شبه الجزيرة العربية فاقتبسه أهل الجنوب من مدين[٢].

وربمـا أن السـمة المـثيرة لخرائب قرية تشابه المباني. وتبدو هذه السمة واضحة في كل المباني سواء تحصينات القلعة، أو التحصينات الدفاعية للمدينة، أو الأسـوار المحيطة. وربما نشك قليلاً في أن المباني وملحقاتها متعاصرة وأن كـل الأقسـام ذات تصميم أساس، ولكن أكوام الفخار في الموقع حسمت الأمر ودلت على تاريخ متعاصر.

ويوجد مع ذلك مبان أخرى مختلفة تمامًا، منها : مبنيان نبطيان[٣]. أحدهما سمي القصر[٤].

---

(١) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit., vol. 8-9. pp. 223-225.

(٢) الصفدي، هشام، وآخرون / **الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي**.ـ بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص ٢٥٥؛ النعيم، المرجع السابق، ص ص ١١٤ – ١١٥.

(٣) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit., vol. 8-9. pp. 228-229.

(٤) Philby, Op. Cit., pp. 180-181.

ويوجـد على بعد ٢ كم جنوب القلعة وموقع قرية في مجرى الوادي نفسه دائرتان حجريتان مكونتان من تسييج منخفض، وبدون حشوة بين الأحجار، مع ملحق من ركامات حجرية مشابهة للدوائر تمامًا. وهنالك عدد آخر من الركامات فـي عـدة مواقـع أخرى. وبلغ قطر الدائرة «أ A» حوالي ٥٥م وينتصب في مركـزها حجـران عموديان ولها فتحة كبوابة في الجدار الغربي. ويوجد عبر الـوادي فـوق تلك الدوائر تمامًا صف من الأحجار العريضة يبعد الواحد منها بضعة أمتار عن الآخر.

ويقـوم هنالك على بعد ٢كم صف آخر وتختلف صفوف الأحجار هذه كلية عن الأسوار، أو السدود في موقع قرية الرئيس. ولكنها غامضة الهدف والتاريخ أيضًا[١].

وقـد وجـد فـي منطقة البدع شواهد على وسائل ري مماثلة لما في موقع قرية[٢].

ويوجد في البدع أربع مناطق بها أنقاض من بقايا أسوار، وقنوات مياه تقع مباشرة في الجنوب الشرقي من المغاير المعروفة باسم (مغاير شعيب (ﷺ) أو المقابـر النبطية)، وتمتد على مساحة ٦٥٠م × ٣٠٠م. وتوجد هنالك بئر شعيب أيضًا[٣].

ويوجد قصر أثري في قرية كاف – وهي من أقدم القرى الأثرية. وقد أعيد بـناؤه مـرارًا. ويحـتوي عـلى تماثيل منحوتة من الصخر وصورًا منقوشة. والتماثيل محطمة، ومستخدمة كأحجار للبناء فهنالك حجران ضخمان يصور كل مـنهما ثديًا بارزًا. ويوجد حجر ثالث عليه صورة وجه واضحة، مشابهة للآثار

---

(١) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit., vol. 8-9. pp. 229.

(٢) إنجراهام، المرجع السابق، ع٥، ص ٦٩.

(٣) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit., vol. 8-9. pp. 32.

اليمــنية. ويحمل حجر رابع صورة حية. وتوجد أيضًا كتابات صفوية، وعربية (كوفية)، وكسر فخار، وصور حيات (أفاعي). حتى ظنت الليدي آن بلنت Ann Blunt أن هنالك كنزًا في هذا القصر(١).

وتحــتوي القنوات المائية في البدع على ملاط مع طوب مطحون، وأحيانًا بعــض الحصــباء (الحصى)، وتوجد بقايا أسوار كانت مبنية من حجر مقطوع (مشذب)(٢).

وتــرجع شهرة «واحة البدع» إلى وجود «مغاير شعيب» (عليه السلام) وهي كما يتضــح مــن اســمها كهوف منحوتة في الحيد البحري Reef أي سلسلة صخور بقرب البحر. وطبيعة هذه الصخور من البريشة Breccia أي الصخور المؤلفة من شــظايا زاويــة وحولت إلى حظيرة للأغنام. وسقطت أسقف بعضها. ولم يبق محفوظًا إلا آثارها في موقعين اثنين فقط.

وعــثر فــي «خشم المطالع» على علامات لأساسات خيام، وأساسات مبانٍ أيضًا. ويوجد في الأعلى برجان للمراقبة(٣).

وتوجد في «شعب الدرك» جدران معلقة، ومهددة بالسقوط. وهنالك بقايا سد بمقاسات ١٤ قدمًا×٢١ قدمًا. وتوجد تحته مباشرة أساسات مبان، ومجاري مياه. ويوجــد فــي موقع «شوق» أكوام من الأنقاض العديدة المتباعدة وتدلنا على أن المرتفعات والمقابر تفصل بين المباني.

وتعــد «قــرية شــرمة» مستوطنة عمالية لأن المنازل أكثر تواضعًا وأقل

---

(١) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ٦١.

(٢) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3. pp. 64-65, 71.

(٣) وخشم المطالع بلدة صغيرة تقع في منطقة مدين الشمالية، انظر :
Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, pp. 64, 71.
Breceia هو صخر مؤلف من شظايا، انظر : بعلبكي، المرجع السابق، ص ١٢٧، ويمكن مقارنة هذه التحصينات والأبراج بالأفاريز الآشورية عن أسوار مدن بلاد الشام مثل صور والقدس.

حجمًا[1]. وعثر في أحد مواقع «وادي شرمة» على بقايا مخطط لغرفتين بلغت مقاسات كل واحدة منهما : ٤,٦م × ٧,٦م، ٣,٤م × ٧,٦م. بالإضافة إلى الدوائر الحجرية، والتي يبلغ قطر الدائرة الواحدة منها حوالي ٣م.

ويوجد أيضًا في «وادي شرمة» في الموقع رقم ٢٠٠ - ٣٦ منشآت دائرية منعزلة، عبارة عن ركامات فوق جدران، ربما أنها منازل أيضًا. وتوجد أنقاض قرية العمال في شرمة. وبها غرف بمساحة ١٢× ٨ أقدام [2]. وتختلف عن النواميس (أكواخ الناموس) في الشكل؛ لأن هذه النواميس مستديرة بقطر يساوي ١٠ أقدام. وتشبه تمامًا المسيجات الحجرية (الزرائب) التي في وادي مكتب (مقطب). ويظن أنه كان يسكنها عبيد المناجم (العمال)، كأنهم أسرى لأنه تقوم حولهم حراسة عسكرية[3].

ويوجد في مقنا «ميناء مدين» بقايا أنقاض لأن الميناء كان موقعًا مهمًا لصناعة التعدين. أما «قلعة العوايشة» الموجودة هناك فقد تعود إلى العصور الإسلامية أو إلى فترة أبكر قليلاً[4].

أما «مصلى موسى» الموجود في مقنا فهو بناء مقام على غرار المباني التقليدية في مدين. فقدس الأقداس الداخلي ينفتح إلى الغرب. وخطا الأساس في الجهتين الشمالية والجنوبية مازالا موجودين. ويتألف قدس الأقداس أو الحجرة الداخلية في مصلى موسى من ثماني كتل من الجبس المشابه للمرمر، وتبدو

---

(١) Burton, Remains of Building in Midian, Op. Cit., Vol. 3, pp. 5, 70-71.
يقع وادي شرمة قرب عينونة، انظر : هذا الكتاب ص ٩٥.

(٢) إنجراهام، المرجع السابق، ع٥، ص ٧١.

(٣) إنجراهام، المرجع السابق، ع٥، ص ٦٤، ٦٩.
Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, p. 70.

(٤) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, p. 64, Parr, Harding and Dayton, Op. Cit., vol. 10, p. 35.
انظر هذا الكتاب، ص ١٠٠.
ويحتمل أن اسم مقنا مشتق من الفعل قن. ومن القينيين ويحتمل أنهم مؤسسوها.

خمـــس مـــنها أكبر من البقية. والجهة الأخرى محددة بمرتفعات مختلطة والتي تدعــم المطـــالع أي الخشم الناتيء. ويبدو في بعض جهات مقنا آثار مبانٍ بينما توجـــد في جهات أخرى منها أكوام من الأنقاض من المادة المستعملة عادة في البناء بدلاً من الإسمنت ألا وهي الجبس(١).

وقد عثر في موقع طيب الاسم رقم ٢٠٠ – ٨١ على دوائر حجرية يتراوح تأريخها بين عصر الحديد والعصر الهلينستي(٢).

وقد عثر على بقايا المنشآت العمرانية في كل المواقع المديانية، والتي عثر على الفخار بقربها.

وبمـــا أن موقع وادي المنيعية «تمنع» من المواقع المديانية، فمن المفيد أن نستعرض بعض بقايا المباني المديانية هناك.

يعـــد وادي المنيعية «تمنع» من المواقع المهمة، وقد شهد الوادي استيطانًا مـــبكرًا. فقـــد عـــثر على بعض الأنقاض، والمواد المصنوعة الموجودة هناك، وخاصـــة فـــي جنوب غرب وادي عربة. وتعود إلى الفترة الكالكوليثية أي إلى حوالي الألف الرابعة ق.م(٣).

وتغطـــي المستوطنات الكالكوليثية المنطقة اعتبارًا من «بئر عرا» وهنالك مجموعـــة من الدوائر الحجرية «المسيجات» بقطر يتراوح بين ٣ – ١٢ مترًا. ويظـــن أن بعضـــها أساســـات خيام، أو أكواخ. وكان البعض الآخر مستعملاً كحظائر للأغنام والماعز، أو لأغراض أخرى.

عـــثر على خط من الأنقاض لمبانٍ صغيرة في موقع المستوطنة رقم ١٨٥ في تمنع. ويوجد كذلك مجموعات من مبان حجرية في مواقع المستوطنات أرقام

---

(١) Burton, The Land of Midian, vol., 1, pp. 179, 181.

(٢) إنجراهام، المرجع السابق، ع ٥، ص ص ٦٤، ٦٩.

(٣) Rothenberg, Timna, p. 24.

٣ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥ و٣٥ وكــلها فــي تمنع. يتكون بعضها من غرفة أو غرفــتين، والبعض الآخر من عدة غرف. ترتفع جدرانها إلى ١,٥م. والمساكن بسيطة وأغلبها مبنية من الحجر ويحتمل أنها مساكن عمال، وربما أنها ورش أو مخازن(١).

وســنحاول اكتشاف تنظيمهم الفعلي. وإعادة بناء ظروفهم البيئية من خلال المعلومات المتوافرة عن تجهيزات الصهر الفعلية وقواعده الأساسية. ويرجح أن عمــال الــنحاس وعمال المناجم في العصر الحجري النحاسي كانوا جزءًا من مجــتمع قبــلي كــبير، ويســتقرون في منطقة قريبة من مواقع وجود المناجم. بالإضافة إلى وجوب توافر شروط معيشية في المنطقة السكنية. حيث يتم اختيار مــناطق الســكنى، حســب صلاحيتها، فمثلاً تكون قرب مناطق وجود أشجار الأكاســيا (الســنط) – لأن مــنها وقود الأفران – وقرب مصادر مياه الشرب. وعادة كانت معدات الصهر والتجهيزات – أي ورش العمل – تقام قرب مواقع ســكن العمال. وتقوم غالبًا على قمم التلال، حيث تلطف الرياح الشمالية السائدة فــي وادي عــربة الحياة وتجعلها مرتبطة بمواقع السكنى. مما يدل على وجود مجــتمع حسن التنظيم، مع تخصصية في العمل، وتوزيع المسؤوليات. وتنسيق الأرض بيــن السكن، ومقر المشغل، أو الورشة. ويشيرالانتشار الكبير للمساكن فــي مواقع مختلفة منذ عصر النحاس إلى صورة جيدة عن السلم، والأمان. ولم تقــم الحاجة هناك لاتخاذ أية احتياطات دفاعية، رغم أن النحاس كان ثمينًا في ذلــك العصر، وله أهمية قصوى. وبسبب وجود مناجمه وأعمال التعدين القائمة عــليه فقد قامت هذه المستوطنات في وادي عربة، وفي جنوب سيناء، رغم أنه مازال في مرحلة الانتقال من البداوة والصناعة المحلية القبلية إلى بداية مشروع صناعي منظم.

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 52, 65.

وتمـــثل أعمال النحاس عهد الرعامسة من فراعنة مصر في صورة لمشروع صـــناعي على مقياس أكبر، وبتخطيط واضح لمواجهة البيئة والمناخ، والسلامة والتنظيم.

وتشـــكل مـــناجم النحاس نصف دائرة حول مرتفعات تمنع مع مستوطنات تخطيطيـــة عـــلى المـــنحدرات المحيطة وكانت مياه الشرب تجلب، وتحفظ في الصـــهاريج المحفـــورة بعمـــق داخل جدران المناجم. وهذا يسهل توفير المياه لـــلعمال. ويبدو أن هنالك مخازن تموين كبيرة مركزية في مواقع الصهر لجميع المؤن بما فيها الطعام، ومعدات العمل وأدواته.

ويظهـــر أن مساكن عمال المناجم تقع في الجزء المركزي من وادي تمنع لأن كـــل مواقـــع الصـــهر متمركزة في هذه المنطقة. ويلاحظ في المستوطنات السكنية فروق واضحة وجلية في نموذج المبنى والتخطيط. فلا يتشابه الموقعان ١٢، ٣٥ أبـــدًا وهمـــا مستوطنتان بدائيتان تقريبًا. ويتألفان من سياجات حجرية منخفضـــة وممـــتدة إلى الخارج بصورة أكبر أو أقل على شكل وحدات عائلية مستقلة، وفي كل منها موقد محلي صغير.

وتبدو في الموقع رقم ٣ بيوت جيدة البناء تقريبًا يحتوي كل منها على عدة غـــرف وربمـــا أنهـــا مســـكن كبار العمال من مشرفين مثلاً أو لبعض السادة المصريين.

وكـــانت مواقـــع المساكن وورش الصهر تشكل نصف دائرة حول الجانب الغربي من سلسلة جبال تمنع، على مسافات متساوية من المناجم تقريبًا.

ويفترض أنه استجدت أسباب جديدة ومقبولة لاختيار هذا الموقع، ومن أهم الأســـباب في هذه الفترة الزمنية النواحي الأمنية حيث يوجد في الطرف الغربي مـــن نصف الدائرة الصناعية برج مراقبة في الموقع رقم (١٧)، وعلى الطرف الآخر موقعان محصنان هما (٣٠، ٣٤). رغم أن هذا الموقع بعيد عن مصادر المياه والوقود ولكن وجود الأبراج دلنا على الحاجة إلى اتخاذ الاحتياطات وبناء

المنشـآت الدفاعية لحراسة المناجم نفسها، لأن تمنع كانت تعد جزيرة الثروة في بيئة غير آمنة. هذا أولاً، وثانيًا فإن تمركز كل مواقع العمل والسكنى في منطقة واحدة ومحدودة سهل عملية السيطرة على العمال، وعلى توزيع المؤن، والمواد الخام، والمياه، وسهل حراسة المناجم أيضًا[١].

وعمومًـا ظهر طراز القصور، وبيوت الأشراف في فلسطين منذ منتصف عصـر الـبرونز إلى عصر البرونز الحديث، حيث تتألف القصور من ساحة، وصف أو صفوف من الغرف متصلة بها، وهنالك جزء مخصص لمعيشة السادة أهل القصر. ويكون في الطابق الثاني كما لاحظناه في تل بيت مرسيم[٢].

ونـتوقع أن مسـاكن أهـل مدين المذكورة في التوراة[٣] كانت على غرار مشابه لهذا المخطط المعماري لقصور النبلاء في فلسطين.

تعرفـنا فيمـا تقدم على الفكرة العامة للبناء والتعمير في المواقع المختلفة. وهي شاهد يؤكد استقرار أهل مدين في مدن معروفة ذات منشآت معمارية. وقد استعملوا الأحجار في مبانيهم المختلفة الأغراض على النحو التالي :

أولاً – وجود منشآت معمارية من قصور ومنازل بمرافقها العامة.

ثانيًا – وجود أبراج وتحصينات دفاعية.

ثالثًا – تخصيص بعض المباني لتكون ورش عمل.

رابعًا – معرفتهم أنظمة الري ومنشآتها.

خامسًـا– اعـتماد الحجـر كمـادة أساسية للبناء، مع استعمال الملاط من الحصباء والطين للحشوة بين الأحجار.

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 232-234.

(٢) Albright, Archaeology of Palestine, p. 93.

(٣) عدد، ٣٠ : ١٠.

٢ - أفران الصهر والمشاغل «الحرفية» - Atelier

كمــا تقــدم كـــان قوم مدين، أهل زراعة وحرف يدوية بسيطة عملوا بها. استخلصـــنا ذلـــك من الفخار الذي عثر عليه، وأنه كان ذا خصائص محلية من حيث تقنية الصناعة سواء كانت على دولاب الفخار، أو مصنوعًا باليد.

ونتوقع إضافة إلى صناعات الفخار أن أهل مدين مارسوا صناعة التعدين، وخاصة النحاس. وبالاستناد إلى ما كان لديهم من الحلي الذهبية فإنهم قد اشتغلوا فعلاً بصياغة الذهب والحلي بدليل :

أولاً : ثبوت التعاون المصري - المدياني.

ثانيًا : توافر المعدن الخام في أرض مدين سواء في مواقع شمال الحجاز أو المواقع المديانية في سيناء.

ثالثًا : توافر الثروة لدى أهل مدين وذكر الحلي الذهبية. (الأهلة)(١).

رابعًـــا: العـــثور عـــلى بقايا الأفران وبعض أدوات التصنيع المستعمل في الحرف اليدوية.

يوجد في مدين الشمالية على رأس خليج العقبة مستوطنة تدعى الدار El Dar أي المـــنزل، وأصبحت الدار محطة لقوافل الحجاج. والبقايا الرئيسة منها عبارة عـــن كتل كبيرة من أحجار مقطوعة ومغمورة تحت مياه البحر وقرب المرتفع توجـــد مدافـــن تـــلال Tumuli ثم يوجد على بعد مسافة من ذلك خط من كومات كـــبيرة فـــي أقصى الشمال، حيث يمتد سور المدينة، ومغطى بطبقة كثيفة من الخـــبث (جفـــاء المعدن) قديم، وحديث، وربما أن هذا الجزء مخصص لمشغل تعدين.

وقد تناثر بين السور والبحر بقايا زجاج، وكسر فخارية وخبث، وربما أنه

---

(١) انظر هذا الكتاب فقرة الحلي ص ٤٣٣.

مـن معدن النحاس المحلي المستخرج من جبل سيناء أو وادي ردادي. وتوجد علامات في موقع «طيب الاسم» تشير إلى وجود مشغل للتعدين.

أما مقنا فقد أشرنا إلى أنها موقع مهم لصناعة تعدينية.

ويوجـد فـي الوادي نفسه قرب التل الأصفر هضبة صغيرة أو مرتفع من تـربة غامقة أو نفايات وهو أيضًا ورشة عمل، خصص قسم منها للتعدين. وقد أطـلق بيـرتون عـلى هـذه الـورش اسمًا عربيًا «موقع صياغة Syaghah»، والمعـروف أن كلمة الصياغة للذهب والحلي. وتوجد أفران طويلة في الموقع نفسه مذكرة بآثار بعلبك وتدمر. وتبدو الأفران ظاهرة على سطح الموقع ولكنها غير عميقة؛ لأن عمقها لا يزيد على متر واحد فقط. وقد عثر على قطع عملات نقديـة حسبها بيرتون خطأً بأنها عملة مديانية[١]. ولكن ذلك غير صحيح. لأن مديـن لـم تعرف سك العملة في ذلك الوقت؛ بل إنه لم يبدأ سك العملة منذ تلك الحقـبة التاريخية الباكرة. فالمعروف أن أبكر عملة سكت في أثينا، وتعود إلى القرن الرابع ق.م[٢].

وعثر على فرن دائري قرب قلعة الوجه بالإضافة إلى سدود وقنوات مائية.

وعثر في موقع عينونة، التي ذكرها بليني، على بقايا ورشة عمل كبيرة، بل أن عينونة نفسها ربما كانت منطقة حرف وصناعات تعدينية، بالإضافة إلى أنها ميناء لرسو السفن التي كانت تسير بمحاذاة الساحل، من العقبة إلى المويلح. فهي تعـد ميناء لمحطتي الحج «شرمة، وتريم». ونستنتج بالاستناد إلى بقايا الخبث والطـوب المشـوي أنها كانت موقع تعدين، وصناعات بحرية تتعلق بقوارب،

---

(١) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, pp. 64-65.

(٢) التـل، صفوان خلف، "تطـور المسكوكات في الأردن عبر التاريخ"، عمان، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص ٢٠، حيـث جرت مناقشة مع بيرتون وأوضح له بروفسور كير Kerr، وبروفسور لويس Lewis ذلـك الأمـر. وأن العمـلات وجدت في المواقع المديانية. Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, p. 81.

وأدوات صيد مثلاً. ويوجد صفان من الأفران على طول القناة المائية البالغة حوالي (ثلاثة أميال طولاً وبعرض ٢٠٠م) بالإضافة إلى أحواض المياه، أو الخزانات الجيدة التبطين بالملاط والقناة والأحواض مبنية بالأحجار، والملاط الجيد الذي يتألف من الحصباء (الحصى الصغير) وكسر الطوب، ويشيع استعمال هذا الملاط في المباني المديانية.

ويتوافر هنا المعدن الخام للنحاس وسيليكات النحاس، والتي هي الفيروز Turquoise. ويقوم العبيد بجمعها، خاصة وأن منازلهم البسيطة أو أكواخهم بقربها. حيث إن هذا المكان بقرب المناجم قد خصص لعبيد المناجم هؤلاء. وتقع منازل ملاك المناجم، والأثرياء على الساحل. وقد لوحظ في عينونة ظهور الذهب والذي يبدو أنه المعدن الأساس الذي يصنع هنا. وهم يجمعونه عقب سقوط المطر؛ فهو التبر أي غبار الذهب، الذي كان في الأصل عروق الذهب ثم تفتت هذه العروق بفعل عوامل التعرية والتآكل(١).

ويوجد قرب مغاير شعيب في شمال غرب الوادي على ضفته اليمنى بقايا فرن كبير، بل يعد أكبر الأفران الموجودة وهو من النمط العادي؛ بارتفاع (٥-٦) أقدام أساسًا وهو مبني كغيره من الأفران من الطوب المشوي، مع أحجار من هضبة الحسمة المقطوعة طبيعيًا، ولم يعثر على بقايا، أو قطع المعدن نفسه. وعثر فقط على فخار ورماد، وجفاء أخضر وأسود ربما أنه خبث براكين، كأنها رواسب مدلاة من السقف، وربما أنها مركز صناعة فخار.

وتعد مدينة الوجه مستوطنة قديمة وقد عثر على خبث المعدن. ويرجح أنها كانت مقرًا لعبيد المناجم، التي تقع في المناطق الداخلية.

ثم يوجد ثلاثة مراكز تعدين في موقع أم القريات ربما هي حاليًا القريات (مدينة تقع في شمال المملكة العربية السعودية). وهي مراكز تعدين كبيرة، حيث

---

(١) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, pp. 66-69, 71.

يقع هناك جبل المرو. وعثر على كومة من المرو الأبيض، وبقرب جبل المرو توجد علامات على عمل مدني (متمدن) ونظامي. ويعد هذا مركز التعدين الجنوبي، أي الذي يقوم في منطقة مدين الجنوبية. ويوجد مشغل، أو ورشة عمل تدعى مشغل « أبا القزاز Mashghal Abal-Gezaz » وتتركز صناعة التعدين أيضًا في منطقة «شواق، وشغب»[١] بينما لا تشكل صناعة التعدين ملامح ظاهرة في «منطقة البدع».

وعثر على مشغل آخر في خربة "أبا المرو"، وهو «نقب أبو مروة» ويسمى «ذو المروة»، ويقع في جنوب مدين. ويعد مركز مشاغل وورش عمل ومكانًا رئيسًا. وعمومًا فأم القريات محاطة بمدن عمال المناجم، وورش العمل والحرف[٢].

وعُثر في موقع قُرية على منطقة خاصة بالأفران، تقع في الواجهة الشمالية لتل القلعة. حيث يوجد هناك ستة أفران جيدة. وتبدو ظاهرة فيها مداخن أو فتحات لإخراج الدخان. ويعد أحد هذه الأفران من النوع العاكس، وقد غطي الفرن بطبقة من الغرين، والرماد، وبعض الكسر المزججة. وهنالك كهوف قرية في الجهة الشمالية نفسها من تل القلعة. وتعد هذه الكهوف مصدر الطين الصفحي (الحجر الطيني) الذي يشكل المادة الأساسية لصناعة فخار مدين.

تتألف المعثورات الموجودة حول الأفران من الفخار المزجج، والآجر القاسي والصلصال المحروق[٣].

وبناء عليه نظن أن أحر الأفران كان مخصصًا لـ «شي» الفخار، وربما أن معمل تصنيعه لا يبعد عن هذه المنطقة من قرية. وأنها كانت تضم بين

---

(١) انظر : هذا الكتاب، ص ص ٢٣٢ ــ ٢٣٥.

(٢) Burton, Remains of Buildings in Midian. Vol. 3, pp. 73-67, 80.

(٣) إنجراهام وآخرون، المرجع السابق، ع ٥، ص ٦٧.

Parr, Harding and Dayton, Op. Cit, vol. 8-9., p. 240.

مرافقهـــا ورشة كبيرة لصناعة الفخار المدياني، والذي عثر عليه بكميات وفيرة في هذا الموقع أيضًا، وخاصة النمط المزخرف منه. فقد كان متطابقًا مع النماذج الأخرى التي عثر عليها في المواقع الأخرى.

تـتوافر عقـد معدن النحاس في أودية تمنع الأربعة بكميات مختلفة ضمن تكويـنات الحجـر الرملي النوبي الكربوني، والأحجار الرملية الرسوبية النوبية بـلونها الأحمـر ضمن الأفق الأبيض الوسيط في الأودية، ولذلك وجدت ثمانية مراكز لأنشطة التعدين. تمتد على مسافة عشرة كم. بدأ تشغيلها منذ نهاية عصر الـبرونز الحديث إلى عصر الحديد الأول الباكر (من القرن الرابع عشر ق.م. إلى القـرن الـثاني عشـر ق.م.). وأثبتت بعثة وادي عربة أن هذا المشروع الفـرعوني المصري من أعمال أسرة الرعامسة، بالاشتراك مع القبائل المحلية مـن أهل مدين، والعمالقة (المساهمة المديانية)[1]. وتبدو أنماط التعدين في هذه الفترة شاهدًا واضحًا، ونموذجًا لمناجم الصب المفتوحة. وهي أحيانًا عبارة عن حفر ضحلة بها عقد معدن النحاس الكثيفة.

ونـتعرف على مواقع ورش العمل وحيث يتم إجراء عمليات الصهر الفعلي من وجـود كميـات النحـاس على شكـل رواسب، وأكـوام بجوار تمديدات الصهر الفعلية. وقد عثر عليها فعلاً في عدد من المواقع منها الموقع رقم٣٠ و ٣٤ و١٨٥[2].

وعـثر عـليها في الموقع رقم ٢ من تمديدات الصهر بالإضافة إلى وجود الفحم على الأرض المحترقة.

ويعـد الموقـع رقم ٢ من أعظم مواقع الصهر وهو الموقع الوحيد الذي تم تنقيـبه. ويقـع عـلى طرف وادي تمنع الجنوبي على طول امتداد جبل تمنع.

---

(١) Parr, p. The Pressent State of Archaeological Research In The Arabian Peninsula : Archievements of The Past and Problems For The Future, "**Studies in The History of Arabia, Riyadh**", 1404, 1984, vol. II, p. 47.

(٢) Rothenberg, Timna, pp. 63-65.

وهنالك جزء من الجبل منحوت على شكل نبتة الفطر Mushroom بارتفاع ٦م، - متآكـلة بفعـل عوامل التعرية، وخاصة رياح الشمال القوية. ويتكون الوادي من ثلاثـة مـنحدرات بمقاس يتراوح بين ١٥٠ – ١٨٠م وتغطيها أكوام من حجارة متوسـطة الحجم من بعض المباني المتهدمة. وتبدو بعض المباني وكأنها حظائر. وتوجد ورش جيدة ومخازن وتمديدات وتجهيزات للتعدين متعددة وبحالة ممتازة.

ويـبدو أن معـبد الموقـع رقم ٢ تعرض لزلزال قوي هز جدران المعبد وزحـزحها عـن صفها، مما أدى إلى انهيار بعضها خاصة في الجانب الغربي فانهـار الهيكـل وسـقطت أنقاضه على الموقع رقم ١٠٧[١]. ويلاحظ ترسبات الرمل المنجرف فوق الأنقاض مما يدل على هجر المعبد وانقطاع العمل.

ثم لوحظ أنه تم تجديد بناء المعبد عدة مرات وتمت عمليات تنظيف وإزاحة كـل مـا كـان ملقى فوق الأرضية، مما يدل على استئناف العمل في الموقع. واستعمال المعبد بعد تجديده على يد أهل مدين، واستئناف التعدين. ولوحظ كذلك اقتحام عمال التعدين في الفترة النبطية لأنقاض المعبد، مما نتج عنه تدمير كلي لأي طـبقة كـانت موجـودة سابقًا. ولذلك فالمعثورات من هذا الموقع مصنفة كمجموعة تغطي كل فترات استعمال المعبد في جميع أطواره منذ عهد الفرعون سيتي الأول Sethos إلى نهايته في الطور المدياني في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ق.م.، أي حوالي ١١٥٠ ق.م[٢].

وعـثر على ورشة عمل متهدمة في شرق الموقع رقم ٣٠. وهي معزولة بجبل عالٍ، ومحاطة بكتلة حجرية نصف دائرية كأنها سور. بلغ قطرها حوالي ٨٠م. ويتراوح ارتفاعها بين ١,٥م – ١٢م.

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 67-69.

(٢) Rothenberg , Timna, pp. 149, 152.

سيثوس الأول هوسيتي الأول (١٣٠٣ – ١٢٩٠) انظر : فخري، مصر الفرعونية، ص ٢٦.

ويوجد خزان حجري على طرف وادي أم غضاك (نحشتان) لتحويل مياه السيول إلى حوض حجري محفور في جانب التل طوله حوالي ٤٠م غرب موقع الصهر، ويليه حوضان صخريان لسقاية الحيوانات.

وعثر على كومة خبث كبيرة في أحد المواقع ولا توجد قربها أية مبانٍ. وإنما هنالك أغطية صلصالية واقية لمنافيخ الكير. وليس لها نظير في أي موقع آخر.

وقد وجدت بعثة سيناء في عام ١٩٦٩م أنابيب نفخ مماثلة في موقع صهر النحاس الكبير قرب بئر نسيب[١]. وتم تعريفها بأنها بقايا مشاريع صهر من عهد المملكة المصرية الحديثة (١٥٧٠ – ١٠٨٠ ق.م.). وبناء على ذلك فإن هذا المخيم رقم ٣٠ يعرض لنا الطور الباكر لصهر النحاس في تمنع. ويدل تحصين المواقع بمتاريس أرضية على قيام علاقات عدائية مع القبائل المحلية، خاصة في بداية الأمر، فربما أنهم قاوموا دخول المصريين، ثم أسهموا معهم بعد ذلك في العمل، فقدم أهل المنطقة اليد العاملة، والخبرة، وربما وسائل النقل.

أما الموقع رقم ٣٤ فذو مواصفات متطابقة مع سابقه. ويعود الموقعان إلى الفترة التاريخية نفسها، وكان الفخار الموجود بهما لا يختلف عن غيره من فخار المواقع الأخرى في تمنع[٢].

وبالمقابل ظهر الموقعان : رقم ٢، ورقم ١٨٥ غير مسورين، ولابد أنهما ينتميان لآخر مرحلة مصرية لتعدين النحاس، ولكن يحتمل أنهما بدآ التشغيل باكرًا. والموقع رقم ١٨٥ عبارة عن خط متهدم من أنقاض المباني على طرف وادي غضاك (وادي نحشتان)، المنحدر من جبل تمنع. وتتكون المباني من

---

(١) يقع بئر نسيب أو بئر نصيب في سيناء وكان بقربه موقع تعدين مصري يمثل مرحلة باكرة بين القرنين ١٥ – ١٤ ق.م انظر Rothenberg, Timna, pp. 66-183.

(٢) Rothenberg, Timna, pp. 63-65.

غـرفة أو اثنتين، وعثر فيها على الفخار العائد إلى الفترة الرئيسة. وانحصرت أعمـال الـتعدين في الطرف الجنوبي من الموقع. وتدل كمية الخبث هنا على عملية صهر النحاس بالإضافة إلى صبه. واستخدم الموقع للسكن والعمل(١).

أما بالنسبة لأفران الصهر فيرجح أنها مرت بمراحل أدت إلى تطور في تقنية الأفـران. وظهرت في وادي عربة مرحلتان رئيستان لتطور الفرن ممثلة بمرجل موقـد الصهر البدائي. ثم ظهور أفران البزل المعقدة، والمتطورة. ويؤدي معيار تطـور تقـنية فـرن الصهر إلى تطور عملية التعدين نفسه. وقد لوحظت فروق بسـيطة بين عمليات صهر النحاس من عصر إلى آخر. فمثلاً هنالك فرق بسيط بيـن العصر الحجري – النحاسي، وعصر البرونز المتأخر، والعصر البيزنطي أيضًا. ولكن التعقيدات التقنية للتعدين بلغت الذروة في فترة الرعامسة(٢).

وكان فرن الصهر في العصر الحجري – النحاسي أساسًا عبارة عن حفرة فـي الأرض، بجزء أو قسم علوي مبني من الحجر منتصبًا فوق الأرض. ولا توجـد بطانـة للفرن ولا تمديدات للبزل (لخروج السائل). ولكن لابد من توافر التهوية. (لا توجد شواهد أثرية لتوضيح طبيعتها) حتى يمر ويساعد على تبريد النحاس بعد بزله، ويشعل الوقود.

وكان فرن الصهر في عهد الرعامسة فرنًا حوضيًا أيضًا، لكنه كان مبنيًا في تجويـف محفـور خصيصًا، مع حفرة بزل السائل، وله طبق حجري، وقصبات للمـنافيخ، ويـبدو أنـه كان يستخدم منفاخان صالحان للعمل في فرن من عصر الـبرونز المـتأخر، وعصر الحديد الباكر ويبدو أحدهما نافذًا عموديًا خلال جدار ظهر الفرن. ويتجه الآخر أفقيًا خلال الجدار الأمامي فوق حفرة بزل السائل.

وكـانت جدران الفرن وقاعه مبطنة بطبقة كثيفة من ملاط كلسي. ويلاحظ عمل ثقب منخفض لحفرة بزل السائل، تسمح لمعظم الخبث السائل بالخروج إلى

---

(١) Rothenberg, Timna, p. 65-66.

(٢) Rothenberg, Timna, p. 235.

حفــرة الخــبث، الذي كان يزاح بسرعة، ربما بواسطة قضيب نحاسي بعد أن يــبرد. وبعــد تجمد الخبث المبزول في الحفرة، يرمى بعيدًا فوق كومة الخبث مباشرة والتي تتصل بخطاف معدني مثبت في ثقب الصلب.

وكــانت الأفــران مختلفة الأحجام، وذات طاقة إنتاجية متباينة أيضًا. كان بعضها مثلاً تبلغ طاقته ٧٠ – ١٠٠ لتر، ويتسع لــ ٢٠٠–٤٠٠ كجم من حشوة الصهر. يمكن صهرها دفعة واحدة فتنتج حوالي ٢٠–٦٠ كجم من النحاس [١].

نستنتج مما تقدم أن بعض المواقع كانت عبارة عن ورش عمل فقط. وكانت مواقــع أخرى مخصصة للمناجم. وهنالك مواقع مختلطة ربما يوجد فيها المنجم والورشة، بالإضافة إلى السكن، سواء سكن العمال أو المشرفين.

والملاحظ أن هذه المواقع تشتمل على كل المرافق المهمة لحياة مجموعات مــن الــناس في منطقة واحدة. فتتوافر في المواقع منشآت المساكن، وتنظيمات الــري ســواء لسـقاية حقــول زراعية، أو لتوفير مياه الشرب، والاستعمالات الأخرى بالإضافة إلى مخازن المؤن، وتجهيزات العمل.

٣ – منشآت دفاعية :

كــانت الأســوار تبنى حول المدن لحمايتها من هجمة عدو أو غزو مفاجئ. وتجعــل لتــلك الأســوار بوابات محدودة معلومة في جهات السور الموجهة وفق الجهات الأصلية أو الفرعية مثلاً، وذلك حتى يتمكن حراس المدن من السيطرة على حــركة الدخول، والخروج من وإلى المدينة. ومر بنا ذكر «قرية» و«تيماء» كأقدم مدينتين ذواتي أسوار في شمال شبه جزيرة العرب، وربما أنهما كانتا مسورتين قبل ١٣٠٠ق.م[٢] فشابهتا في ذلك أنظمة الدفاع في المدن الكنعانية المعاصرة[٣].

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 235-236.

(٢) الصفدي، وآخرون / **الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج**، ص ص ٢٥٤ – ٢٥٥.
Parr, P., The Present State of Archaeological Research In The Arabian Peninsula, vol. II, p. 47.

(٣) ونلاحظ بنــاء الأسوار حول المدن في بلاد كنعان لأنها كانت نماذج باكرة لهذه التحصينــات، انظر==

وقد عثر على بقايا هذه الأسوار حول بعض المدن وبعض المواقع الأخرى. وبنيت تلك الأسوار كوسيلة من الوسائل الدفاعية عن المدن. وتغلق البوابات في وجه العدو المهاجم، أو صد غير المرغوب في دخولهم إلى المدينة، أو للإشراف على دخول بضائع التجارة، وخروجها في أيام السلم. وتدخل قوافل التجارة عبرها، فتوجه إلى ذوي الشأن والاختصاص من تجار المدينة وكبرائها. ويضاف إلى ذلك أن «محطة الدار» على خليج العقبة كانت محاطة بسور، و«البدع» كذلك وغيرها من المواقع المديانية[1].

واعتمد أهل المدن في حماية مدنهم على بناء الحصون كما وصفته نصوص التوراة، ومنها الحصون والقلاع، وأبراج المراقبة. وقد ذكرنا سلسلة أبراج المراقبة والدفاع التي كانت منشأة على سور «قرية» مثلاً، حيث عثر على بقايا برج نصف دائري على الحائط الشرقي. وتوجد كامل السلسلة البرجية على الحائط الغربي حيث يقع اثنان منها على النصف الأول من السور، وأربعة أخرى على الجزء الجنوبي. والبرجان على السور الغربي مربعان بمقاس حوالي ٣ م × ٣م. أما الأربعة الأخرى فاثنان منها مربعان وبالمقاس نفسه. والثالث كان على شكل نصف دائري. أما الرابع فكان مدمرًا تمامًا بحيث يصعب تحديد شكله؛ بل إن في «قرية» قلعة أو حصن طبيعي عبارة عن تل كبير من الحجر الغريني الأخضر المائل إلى الرمادي وهو متحات أو متآكل جدًا، قدرت مساحته بحوالي ١كم x ٣٥٠م كأقصى عرض. وتتجه محاوره الطولية باتجاه الشرق والغرب. وبلغ أعلى ارتفاع له حوالي ٥٠م. والتل نفسه محمي عمليًا من كل جوانبه، تحيط به جروف، ومنحدرات مما يبرر تسميته باسم «تل القلعة» التي أطلقها فيلبي. وتنقسم قمة التل إلى ثلاثة أقسام بواسطة

== هذا الكتاب ص ٤٦٠. وكانت الجدران المنحدرة Glacis طرازًا معماريًا يتخذ للتحصينات نفذه أهل بلاد كنعان منذ الألف الثالثة ق.م. في الشمال حيث عثر على أبكر نماذج في أسوار مدينة إيبلا (تل مردوخ). Albright, Archaeology of Palestine, p. 89.

(١) Burton, Remains of Buildings In Midian, vol, 3, pp. 63, 65.

جدران حجرية – تحصينات دفاعية – وتمتد تمامًا من منحدر إلى آخر. والأخير منها منخفض ويخلو من أية علامات تدل على الاستيطان فيما عدا كسر فخارية قليلة. ويوجد في القسمين الآخرين كثير من علامات واضحة تدل على الاستيطان، ووجود كميات كبيرة من الفخار. وهنالك برجان جنائزيان، ولكن يظن أن أحدهما كان لأغراض عسكرية وتحصينات(١).

وتعد القلاع أو الحصون من المنشآت الدفاعية، وتنتشر هذه القلاع في أرض مدين؛ وخاصة في المواقع المهمة والموانىء. ويوجد في القسم الشمالي من منطقة مدين قلعة العقبة على رأس خليج العقبة قرب محطة الداروتبعد جزيرة فرعون حوالي ٧ أميال من العقبة وهي قريبة جدًا من الشاطىء الغربي لسيناء. يطلق عليها العامة اسم «جبل القلعة» وهنالك قلعة أو حصن وصفه ربل Ruppel في عام ١٨٢٦م كما وصفه ولستد Wellsted في ١٨٣٣م وبقربه عدة سويات لبناء قد يكون من عهد الحروب الصليبية؛ ولكنه مقام فوق أنقاض رومانية وربما أن الأنقاض الرومانية تقوم فوق بقايا مصرية.

ويوجد في منطقة التل الأصفر في القسم الشمالي من مدين آثار دير حصين، أو قصر له غرف على جانبيه حوالي عشرين غرفة في كلا الجانبين. وتمتد في الطرف الشمالي، كما في الجنوبي، أسوار شبه دائرية بسمك حوالي متر إلى متر ونصف باتجاه الشمال والشرق. فهي منطقة محصنة بسور جيد البناء في ثلاثة صفوف مستقيمة تشرف على الواجهة العمودية للخندق الشرقي. هنالك تحصينات مشابهة إلى الجنوب في موضعين مختلفين ولكنها متآكلة بفعل الزمن والرياح. ويوجد في المنطقة نفسها في موقع «شعب الدرك» بعض حوائط عمودية مدلاة وكأنها تهدد بالسقوط ولكنها مثل ترس أو جدار ساتر.

وتقع قرب جبل الصفراء بقرب مدينة الوجه على ساحل البحر الأحمر قلعة

---

(١) ويحتمل أن يكون هذان البرجان الجنائزيان من فترة لاحقة تعود إلى عصر الأنباط نظرًا لوجود نظائر لهما في مدافن تدمر المعاصرة للأنباط.

Parr, Harding and Dayton, Op. Cit, vol. 8-9. pp. 220-223.

الوجه، وربما أنها من عهد سلاطين المماليك في مصر، (من العصور الوسطى) وبقربها تحصينات وقلاع أخرى[1].

ويقع «وادي شرمة» على بعد سبعة أميال تقريبًا إلى الجنوب من «عينونة» وبه تحصينات دفاعية ويوجد في «خشم المطالع» برجان، وعثر على البرج الشمالي الغربي في «وادي تريام» الذي يبعد عن البحر بحوالي ١٧٢مترًا. وهنالك حصون أو معاقل مركزية على بوابة البحر أو «باب البحر» كما يدعى أي على مدخل الميناء.

وعثر في موقع شواق في منطقة مدين الجنوبية على برج دائري، كل مبانيه متهدمة إلى مستوى أساساته، وهو قلعة كبيرة تمتد إلى الشمال الغربي قريبًا من «مغاير شعيب»[2].

وهنالك آثار خرائب كثيرة في أقصى جنوب القسم الجنوبي من مدين قرب «ضباء» و«الوجه»، و«المويلح». ويبدو أن المنطقة هنا آمنة وليست بحاجة إلى التحصينات الدفاعية. ولكنها تمتلىء بمراكز التعدين والمشاغل – ورش العمل ونحو ذلك[3].

وعثر في موقع تمنع على تحصينات دفاعية مبنية على هيئة أسوار. فمثلاً يكون الموقع منشأ في أرض حصينة طبيعيًا، كأن يقوم جبل كبير كقلعة طبيعية تسد الطريق وتبني الأسوار الحجرية في الجهات المفتوحة أو المكشوفة مثل تل القلعة في «قرية»[4]. ويظن أن اسم المنيعية أو الموينعية الذي هو اسم وادي تمنع يدل على المنعة والحصانة. ومع ذلك فقد عثر على برجي حراسة. وعلى

---

(١) Burton, Remains of Buildings In Midian, vol. 3, pp. 63-65.

(٢) Burton, Remains of Building in Midian, vol. 3, pp. 70-71.

(٣) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, pp. 73-75.

(٤) انظر، ص ٣٥٨ من الكتاب.

العديــد مــن الأسوار الدفاعية ونحوها من تلك المنشآت، وخاصة في مبدأ أمر وصول حملات التعدين المصرية وصراعها مع القبائل المحلية. فلابد من اتخاذ الحيطة والحذر في مثل هذه الأحوال، ولربما بعد اتفاق المصريين مع أهل مدين والقيــنيين والعمالقــة قل اتخاذ القلاع والأسوار والحصون لحماية المنشآت أو المناجم ومشاغل العمل[1].

ونســتنتج ممــا ســبق أن منطقة مدين الشمالية حول خليج العقبة في الجزء الســيناني وفي الجزء الداخلي في شبه جزيرة العرب كانت أكثر عرضة للهجوم وأقــل سلمًا وأمنًا، وأكثر تعرضًا لغزو، وحروب الأقوام المجاورة، وذلك بسبب توافــر الــثروات فــي مناجم النحاس والمعادن الأخرى، وربما بسبب التعدين، والــزراعة أيضًــا، وكذلك نجد انتشار الأسوار حول المدن، وكثرة وجود أبراج المراقــبة والحراســة، وتعدد القلاع والحصون وانتشارها وكانت تبنى عادة من الجهة الشرقية للمدينة لأنهم يخشون هجومًا من الشرق، بينما نجد أن منطقة مدين الجنوبية قد نعمت بالأمن والسلم، ولذلك نلاحظ قلة المنشآت الدفاعية من حصون وقــلاع وربمــا الأسوار أيضًا، إمَا لأن أهل مدين لهم سيادة قوية على المناطق المجاورة، أو لأنهم على علاقات حسنة بجيرانهم من داخل شبه جزيرة العرب في المناطق المتصلة بمنطقة مدين. فهل كانت هذه المنشآت الدفاعية في أرض مدين نموذجًــا باكرًا Proto – Type للآطام والحصون التي بنيت في عصور تالية في خيــبر وفــدك ويثرب؟ وهل هذه الآطام والحصون لم يقتبسها تجار جنوب بلاد العــرب فــي بلادهم مثلما كان عليه الحال بالنسبة لاقتباس نظام الري ؟ [2] لذلك يجــدر طــرح السؤال هل اقتبس اليهود طراز هذه المنشآت الدفاعية من نماذجها الأولى فــي مدين أو من تلك الموجودة في جنوب بلاد العرب حتى تلبي حاجاتهم وتحقق لهم الحماية داخل المجتمع الذي حلوا فيه ؟

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 65-66.

(٢) انظر : هذا الكتاب، ص ٣٥٨.

٤ - البقايا المادية لمراكز العبادة :

قال تعالى: ﴿... إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾[1]، أول بيت عبادة هو الكعبة المعظمة، بيت الله المعمور الموجود منذ الأزل ومنذ أن خلق الله سيدنا آدم - عليه السلام- وضع هذا البيت الحرام في وادي مكة بأقدمية وقدسية أزلية لا تزول ولا تحول، ولا تتغير ولا تتبدل بإرادة الله العلي القدير، ثم تعددت بيوت العبادة مع ظهور الشرك والانحرافات الدينية وتعدد العبادات لغير الله، ويفترض أن تكون بيوت العبادة كلها بيوتاً لله الواحد، ولكن الشرك صبغها بصبغات مختلفة وكرسها لآلهة متعددة.

وحافظ أهل مدين على دين جدهم إبراهيم إلى أن ظهر فيهم الفساد الديني والخلقي وحادوا عن طريق الدين الصحيح، فقام بالدعوة وتصحيح عقيدتهم الأنبياء ومنهم نبي الله شعيب (عليه السلام) الذي أرسل إليهم. ونتصور أن «معبد الخيمة» Tabernacle هو المعبد الأول لأهل مدين، أنشأوه في المرحلة الباكرة، فربما هو أول معبد خيمة عرف في التاريخ، وكان المكتشف الأول من نوعه[2]. فقد صنعه أهل مدين منذ مجيئهم وحلولهم في المنطقة ولابد أن الخيمة كانت هي المسكن، والمعبد، في هذه الفترة الباكرة، وعقب الاستيطان والاستقرار وبناء البيوت وتعميرها، تم أيضًا بناء المعبد وتعميره. وجعلوه من مرافق المدينة، خاصة وأن منطقة مدين محاطة ببلاد وشعوب عرفت المعابد، وطرزها المعمارية المختلفة سواء من الشرق في بلاد الرافدين أو الشمال في بلاد الشام أو الغرب في مصر. ولكن ربما يعود الفضل وتتحقق الأولوية لأهل مدين في اتخاذ معبد الخيمة لمن فرض عليه في مرحلة ما الترحال والانتقال - الناتج عن ظروف بيئتهم الجغرافية - فاتخذوا معبدًا مؤقتًا أو متحركًا ويمكن نقله لأن أهل

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ٩٦.

(٢) Rothenberg, Timna, p. 151.

أي حوالي منتصف الألف الثانية ق.م. (١٥٠٠ ق.م.) وربما إلى فترة باكرة في مواقع مديانية أخرى غير تمنع في شمال الحجاز مثلاً قد ترجع إلى ١٧٥٠ ق.م.، انظر : هذا الكتاب ص ٩٧، عن قرية، ص ٩٩ عن مدينة مدين ربما أنها من أبكر المواقع.

مديـــن كـــانوا بدوًا، وحضرا[1]. ومن المحتمل جدًا أن تكون بيوت العبادة في المـــدن المديانية بيوتًا مبنية مثل مباني المساكن والحصون. ولكن لابد أن أهل الضـــواحي، ورعيـــان القطعـــان الجوالين كانوا يقيمون بيتًا لعبادتهم في معبد الخيمـــة. فكان بدو مدين مستمرين على بداوتهم وارتحالهم واتخاذ بيوت الشعر مسكنًا لهم ومعبدًا لشعائرهم.

وذكرنا أن الله سبحانه وتعالى أمر النبي موسى (ﷺ) أن يقيم بيوتًا للعبادة فـــي مصـــر حتى يؤمها الناس ويعرفونها[2]. ورويت التوراة أن موسى عندما وصـــل إلى البرية أمر بإقامة الخيمة بيتًا لعبادة الله ، لأنه كان في حالة ترحال وانـــتقال. وقـــد رأى النبي (موسى) في مدين؛ أثناء الإقامة، وفي رحلة الذهاب والعودة، معبد الخيمة واقتبسه كبيت للعبادة. وأمر بإقامة هذه الخيمة كمعبد خلال رحلة الخروج[3]، وفترة التيه[4].

وخيمـــة المعبد مصنوعة من شعر الماعز، أي مثل بيوت االشعر المعروفة في البوادي والنجوع، ويكون شكل معبد الخمية إما مربعًا أو مستطيلاً أو دائريًا. ولكن مـــا نقـــرأه فـــي التوراة عن خيمة السكن أو المعبد يشير إلى أنها تتألف من أنسجة مختلفة، ومنها الكتان. وأن سقف الخيمة أو قباءها فقط من شعر الماعز، مع تفصيل مقاسات شقق أستار الخيمة، إضافة إلى العراوي التي تصنع لوصل الشقق بالشظاظ أو المشـــابك، وهـــذه الشظاظ مصنوعة من ذهب[5]. فهل نتصور أن معبد الخيمة المديـــاني كان على مثل هذه المواصفات ؟ من المحتمل أنه كان كذلك، لأنه ابتداع مدياني، اقتبسه بنو إسرائيل مثلما اقتبسوا الكثير من التراث المدياني[6].

---

(١) انظر: هذا الكتاب ، ص ص ١٠٧، ١٠٩.

(٢) انظر : الآية : ٨٧ من سورة يونس.

(٣) خروج، ٢٦ : ١، وما بعده.

(٤) عدد، ١٤:٣٣؛ Rothenberg, Timna, p. 184, H.B., Dic. Op. Cit, p. 1013.

(٥) خروج، ٢٦: ١- ٦.

(٦) Rothenberg, Timna, p. 184.

ونـرجح أن ميـل بـني إسرائيل نحو الذهب وجمعه والحرص عليه منذ وجودهـم فـي مصر وتزايد نتيجة اتصالهم بأهل مدين الأثرياء، أي منذ عهد الخـروج. وقـد ذكرت التوراة الذهب ٣٨٥ مرة. واستعملوا ثلاث عشرة كلمة مختـلفة للذهب من حيث أشكاله واستعمالاته(١). إضافة إلى أنه كان للذهب دور كـبير فـي عبادتهم سواء بصدد موضوع «العجل الذهبي» أو استعمال الذهب لزخرفة الرداء والتابوت، والمعبد. كما جاء في نص التوراة(٢).

ولا نـدري إن كانت هذه المقاييس نموذجية وتقليدية للمعابد الأخرى أم أنها اخـتيارية، أو أن مساحة خيمة المعبد تتباين حسب احتياج الجماعة لها، بحيث تكون ملائمة للزمان والمكان وملبية لحاجة مرتاديها.

---

(١) H.B. Dic., Op. Cit, pp. 352-353.

(٢) «وأما المسكن فتصنعه من عشر شقق بوص مبروم وأسمانجوني وأرجوان وقرمز بكروبيم صنعة حـائك حـاذق. تصـنعها طول الشقة الواحدة ثمان وعشرون ذراعًا وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع، قياسًـا واحدًا لجميع الشقق. تكون خمس من الشقق بعضها موصول ببعض وخمس شقق بعضـها موصول ببعض. وتصنع عرى من أسمانجوني على حاشية الشقة الواحدة في الطرف من الموصل الواحد وكذلك تصنع في حاشية الشقة الطرفية من الموصل الثاني. خمسون عروة تصـنع فـي الشـقة الواحدة وخمسون عروة تصنع في طرف الشقة الذي في الموصل الثاني. وتكون العرى بعضها مقابلاً للبعض. وتصنع خمسون شظاظا من ذهب وتصل الشقتين بعضهما بـبعض بالأشظة فيصير المسكن واحدًا. وتصنع شققًا من شعر معزى؛ خيمة على المسكن، أحد عشرة شقة تصنعها طول الشقة الواحدة ثلاثون ذراعًا وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع».
انظر: خروج، ٢٦ : ١ – ٨. مع ملاحظة أن الذراع حوالي ٥٢ر٣٣سم، انظر : خياط، يوسف، "معجـم المصـطلحات العلمية والفنية"، دراسات العرب– بيروت، مجلد ٤، ص ٢٥١، وذلك يعـني أن مسـاحة قماش جانب الخيمة = ٠٩٦ر ٦٨٥ متر مربع. وذلك بحساب مساحة الشقة الواحدة = ٢٨x٤= ١١٢ ذراعًا x ١٠ شقق = ١١٢٠ ذراعًا x ٣٣ ,٥٢ = ٥٨٦٠٩,٦ سم – ١٠٠ = ٥٨٦,٠٩٦ متر مربع، ومساحة سقف الخيمة = الشقة الواحدة ٣٠ x ٤ = ١٢٠ ذراعًا x١١ شقة = ١٣٢٠ ذراعًا x٥٢,٣٣ = ٦٩٠٧٥ر٦ سم – ١٠٠ = ٦٩٠,٧٥٦ متر مربع.
وقـد وردت مقـاييس هذا المعبد بمقياس القدم والمتر ١٤٥ قدم (٤٤ مترًا) طولاً ٧٢ قدمًا (٢٢ مترًا) عرضًا، ٧ أقدام (٢,٢ متر) ارتفاعًا، انظر : H.B. Dic., Op. Cit, p. 1013.
وهناك ملاحظات حول معبد الخيمة هذا حيث الوصف مبالغ فيه، حتى وصف بما يشبه المعبد =

هـذا بالنسبة لمعبد الخيمة. وقد عثر بين بقايا معبد تمنع على أنسجة ملونة حمـراء وصفراء وهي نوع من الأقمشة، أو المنسوجات الثقيلة ملقاة على شكل كومة كثيفة ذات عدة طيات، وأغلبها مطرزة بالخرز. وقد وجدت الأنسجة على طـول الجهة رقم (٣) من الجهة الداخلية لمعبد تمنع. وهنالك كمية مماثلة على طول الجهة الداخلية للجدار رقم (١) وخارج الفناء في موقع رقم (١٠١) ويبدو أن المنسـوجات تحـتوي عـلى صـوف مغزول جيدًا مع الكتان بلونين أحمر وأصـفر، وكانت توجد كمية كبيرة منها[١]. وكان يظن أن هذه الأنسجة مجرد قطـع مـن معلقات تعد من أثاث المعبد، وقد سقطت فتركت مكومة حيث هي. وتعـذر فـي بادي الأمر تفسير ذلك، ولكن بعد العثور على صفين من الثقوب لأعمـدة حجـرية في الموقعين رقم (١٠٧) و(١٠٩) وكانت هذه الثقوب عميقة نـافذة إلى الطبقة الأرضية. ويفترض أنها كانت في الطور الأخير للمعبد تغطي الفناء وتحوله إلى معبد الخيمة[٢].

وهـناك أسباب جيدة ومقنعة تبرر نسبة هذه الخيمة المقدسة إلى أهل مدين. إذ يـبدو أنهـم عـادوا إلى تمـنع لمدة قصيرة بعد الحملة المصرية لتعدين النحاس، واسـتقروا في المنطقة. وأقاموا عبادتهم بطريقتهم الخاصة. وعندما أعاد أهل مدين

= الـذي بـناه سـليمان مـن حيث فخامة المواد المستعملة في إنشائه وتأسيسه بالإضافة إلى المـبالغة في وصف محتوياته من أثاث وتجهيزات، انظر : H.B. Dic. Op. Cit, p. 1013.
ويستخدم بنو إسرائيل كلمة مسكن (مشكان) משכן لمعبد الخيمة. وقد ورد – حوالي ١٣٠ مرة ولكـنهم يستخدمون مصطلح خيمة الاجتماع (أي خيمة الموعد). وتطلق هذه التسمية على مزار أبسـط كـثيرًا مـن السابق، حيث إنه عبارة عن خيمة صغيرة يتمكن شخص واحد من نصبها، وإقامتها. وتكون عادة خارج المستوطنة بعكس المعبد (المشكان) الذي يقام في وسط المستوطنة. وخيمـة الاجتماع ليست لتقديم الأضاحي وليس بها وظيفة مختلفة عن المعبد (المشكان). وتتخذ الخيمـة مـن جـلود الكباش والماعز وهو تقليد صحراوي حقيقي. مما يوضح ويؤكد اقتباسهم للتراث المدياني الديني، والاجتماعي في البيئة الصحراوية والقبة أي الخيمة البدوية الأصلية.
H.B., Dic., Op. Cit, p. 1014.

(١) ويبدوأن اللونين الأحمر والأصفر مازالا أكثر انتشارًا في صناعة الخيام مع إضافة اللون الأخضر حاليًا.

(٢) Rothenberg, Timna, p. 151.

تـــأثيث معـــبد حتحور المصري حولوه إلى معبد سامي. فأزالوا كل الهدايا النذرية، والــتماثيل ومـــنها : تماثيل حتحور، والنقوش من فناء المعبد المجدد. ويوضح هذا سبب تحطيم معظم هدايا المعبد، واختلاطها ببعضها في طبقة سميكة في الموقع رقم (١٠١) تبلغ حوالي ٢٥ سم فوق أساسات الجدار إلى حوالي ٢٠ سم تحت قمته. مع أنه قد أعيد استعمال عدد من العناصر المعمارية الأخرى مثل : الأعمدة، والمذابح، ونحو ذلك عند تجديد المعبد وخاصة أحجار البناء. ولكن ركزوا على تشويه وطمس صور حتحور، وطمس أية كتابة هيروغليفية ظاهرة. وقد ترك المحراب المركزي فارغًا، مع أنه أعيد استعمال الهيكل نفسه ثانية. وقد عثر على ثعبان نحاسي مدياني ذو رأس مطلي. وهو العنصر النذري الوحيد الموجود فعلاً داخل الهيكل.

وقـــد أشرنا مسبقًا إلى وجود بعض المسيجات الحجرية التي تدل على أنها كـــانت أمـــاكن خيام في بعض المواقع المديانية المختلفة، داخل منطقة مدين في شبه الجزيرة العربية وربما أنها مواقع معابد خيام أيضًا[١].

وأقـــام أهـــل مديـــن أيضًا في المدن والمستوطنات فبنوا المعبد الدائم (غير المـــتحرك). ويفـــترض أنهـــم بنوه من الحجر؛ لأنه مادة البناء الأكثر انتشارًا، وحسب طرز معمارية شائعة في عصرهم وتلبية لحاجات العبادة. وقد عثر في مديـــن عـــلى بقايـــا معابد مختلفة في مواقع متعددة. ويختلف المعبد من ناحية المخطط المعماري ومن حيث المقاييس، مما يحدد حجمه وشكله أيضًا.

وقـــد عثر على كثير من المسيجات الحجرية (الدوائر الحجرية)[٢]. ويرجح أن هـــذه المسيجات الحجرية مخصصة لأغراض دينية قد تكون معابد مكشوفة، وقد تكون معابد خيام بليت أنسجة خيامها وبقيت آثار أساساتها الحجرية.

---

(١) انظر هذا الكتاب ص ٣٦٣.

(٢) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit, vol., 8-9, pp. 27-229.

خاصـــة فـــي وادي شـــقرى في موقع «نقع بني مر» حيث عثر على مسيجات حجرية (دوائر) وأنصاب وأضرحة، انظر :

Parr, Harding and Dayton, Op. Cit, vol., 10, pp. 27-28.

وعـثر في موقع «قرية» – على بعد ٢ كم جنوب تل القلعة – على بقايا منشأتين معماريتين مختلفتين، فوق مصطبة تعلو مسيجتين حجريتين كبيرتين في باطن الوادي، وبقربهما أنقاض سدود. وتبدو إحداهما وكأنها معبد. وتوجد بقـربها مجموعـة مـن ركامات الأحجار، ربما أنها مقابر. وكانت مرتبطة بـالموقع وعثر فيها على كسر من الفخار المدياني، وكسرتين فقط من الفخار النبطي(١).

واكتشفت د. كيركبرايد Kirkbride عام ١٩٦٩م حلقة كبيرة من الحجارة في موقـع «رسقة Risqeh» في «وادي رم» خلال حملة استكشاف أثري عن مدين القديمـة إلى الشـرق مـن سيناء. ويرجح أن هذه الحلقة الحجرية بقايا معبد، وتحيط به أنصاب Cairns. وتكمن أهمية هذا الاكتشاف في وجود عدد كبير من ألـواح حجرية من طراز المذابح والمناحر Menhirs (أنصاب حجرية مغروسة عموديًـا). وتظهـر معـالم وجه بشري عليها، بالإضافة إلى أطراف بشرية مـنحوتة فـي الحجر. ويمكن التعرف على معالم صور تمثل رجالاً ونساء. والأرجـح أنها صور قد تكون لمتوفين من أسر عديدة من القبيلة. ويبدو أنها كـانت تتـلقى قرابين سنوية، في حج سنوي أو نحوه. وهي فريدة من نوعها حيـث لم يعثر على مسيجات أخرى فيها مثل هذه الأنصاب، لذلك يبقى موقع رسـقة فـريدًا من نوعه(٢). وهناك إشارة إلى معبد قدسه جميع العرب ذكره ديـودورس الصـقلي Diodorus siculus وافـترض ش. فورستر أنه يقع قرب المويـلح وأنه يخص يثرون أي أنه معبد شعيب، ويقوم على قمة جبل المويلح في أرض مدين(٣).

---

(١) إنجراهام وآخرون، المرجع السابق، ع ٥، ص ٦٨.

(٢) Rachet, "**Guy. L Universe de L Archeologie**", t.1, Paris, 1970, p. 229; Parr, Harding and Dayton, Op. Cit, vol. 10. p. 30.

(٣) Forster, Op. Cit, vol. 2, pp. 122-124.

أمـــا أ. موسل، فيرجح أن المعبد الذي أشار إليه ديودورس فيقع قرب خليج بــني زمين (بني زومين – بني زومانيس الذين ذكرهم أجاثا رخيدس باسم بت ميــزومانيس)، ويفترض بأنه ربما يكون معبد روافة (غوافة) القريب من مدين والذي يقع إلى الشرق من الخليج – أي خليج العقبة[1].

وربمـــا أن كـــلا الباحثين قد أشارا إلى المعبد نفسه في ذات الموقع. والذي يحتمل أنه موقع مقدس منذ عهد شعيب (س)، ثم تم إنشاء معبد روافة على أيدي الــثموديين لأنهم عاشوا في منطقة أرض مدين نفسها. وربما أنهم يشكلون بقايا مديانية عاشت في أرضها وعلى التراث السابق نفسه مع الأخذ بأسباب التطور، والتغير في الزمن الأحدث[2].

ويقــع معــبد روافة إلى الجنوب الغربي من تبوك على بعد ٨٣ ميلاً منها حســب الطريق الذي عبره فيلبي مرورًا بوادي البقار. ويوجد على بعد بضعة مئات من الأمتار قرب المعبد، ينبوع مائي صغير يسمى «مشاش». ويخرج هذا المــاء مــن كهف صغير يقع بين مجموعة من صخور ممتدة في الجهة اليمنى ضــمن مــرتفعات مطلة على وادي هواتف[3]. ووفقًا لنقوش معبد روافة نفسه، الذي تأسس في حدود عام ١٦٥م اتضح أن قبيلة ثمود بنته، لأنها في هذه الفترة كــانت تمتلك حرة العويرض، وحرة الرحا. وتقع منازلهم إلى الغرب من مدينة تيمــاء قرب الطريق التجاري، الذي يسير من الجنوب الغربي لبلاد العرب إلى الشمال، إلى سوريا ومصر[4]. ويوجد هنالك في رأس خرمة قرب مدائن صالح مزار صغير، أو معبد صغير، وهو ليس مدفنًا (ضريحًا)؛ لأنه غير مسقوف.

وعثر على أحد الأضرحة من نوع Dolmen أي ضريح من ما قبل التاريخ.

---

(١) موسل، المرجع السابق، ص ١١٥.

(٢) Koenig, Le Site De AL-Jaw, p. 224.

(٣) القثامي، المرجع السابق، ج١، ص ٢١٥.

(٤) موسل، المرجع السابق، ص ٩٢.

وهو عبارة عن حجر كبير فوق عدد من أحجار منصوبة. والذي يوجد في مدين منصوب على ثلاث دعائم[1].

وكما تقدم عندما استقرت مجموعة من أهل مدين في القرن الثاني عشر ق.م. في تمنع أعادوا استعمال معبد التعدين المصري وحولوه إلى مزار مدياني أو معبد مدياني خاص بهم[2]. ويرجح أن أهل مدين في هذه الحقبة الزمنية قد انفردوا بسكنى منطقة التعدين، وانفردوا باستثمارها. مما أتاح لهم فرصة ممارسة عبادتهم على انفراد بدليل التجديدات التي طرأت على المعبد.

وقد عثر على مجموعة من الفخار المدياني قرب مزار جنائزي، أي ضريح في تمنع أيضًا. وأثبت الفخار نسبة الضريح إلى مدين[3].

أثبت بتري أن معبد حتحور متشابه مع معبد سرابيت الخادم[4]، فقد حول المديانيون هذا المعبد إلى معبد ساميٍ صحراوي يتلاءم مع طقوس عبادتهم، واحتوى على معثورات تشكل مجموعة واحدة تمثل وجود المعبد في مراحله المختلفة من عهد سيتي الأول (١٣٠٣ – ١٢٩٠ ق.م.) إلى نهاية استعماله في المرحلة المديانية، في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ق.م. علمًا بأنه كان لعدد من الهدايا النذرية المصرية – في معبد تمنع المقدمة من عمال حملة التعدين المصرية – أهمية قصوى، نظرًا لأن تلك القطع كان عليها كتابات هيروغليفية. وكان معها خراطيش اشتملت على أسماء الفراعنة المصريين[5].

ولم يعثر على معبد مدياني مبني في شمال الحجاز باستثناء المكان المقدس في موقع «الجو»، والذي يرجح بأنه كان بيت عبادة، أو مكان معبد وفقًا لشواهد

(١) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 1, 3, pp. 80, 82.
(٢) Rothenberg, Timna, pp. 111., 128, 149.
(٣) Rothenberg, Timna, p. 119.
(٤) Rothenberg, Timna, pp. 149, 151.
(٥) Rothenberg, Timna, pp. 152., 163.

أثرية تؤيد ما أشرنا إليه[١]. ويؤكد «مذبح الجو» الموجود هناك أن الموقع كان مركزًا للطقوس الدينية، ومعبدًا لأداء العبادة، على مدى فترة طويلة، على الأقل منذ الفترة المعاصرة للنبي موسى (عليه السلام)، ثم خلال مراحل ما قبل الثمودية؛ أي الفترة اللحيانية ثم الثمودية. فقد عثر على «آبدة الجو الأثرية» التي سنفصل عنها فيما بعد[٢]. بالإضافة إلى حوالي عشرين نقشًا، وعدد من الأشكال والرسومات والوسوم، أو رموز القبائل على صخور مقدسة في المجرى الشمالي طمرتها الرمال نتيجة إنهيارات بفعل عوامل التعرية. وتكفينا الآبدة مع غيرها لإثبات قداسة المكان الذي بقي محفوظاً، ولم يكن عرضة لخربشات بدو المنطقة، خاصة بعد انتشار الكتابة بين السكان. وهاب البدو انتهاك الموقع لحرمته وقداسته، فلم تكن حرية الكتابة تمارس عند «مذبح الجو» شأن الأمر في غيره من المناطق الأخرى؛ ولذلك فلا توجد سوى كتابات قليلة. ولكن بقيت قداسة المذابح، فاستمر البدو في ذبح الأضاحي في المذبح نفسه بين صخور ثادرا Thadra، أي فوق هضبة ثادرا والتي يعلوها جبل البدر. وقد حدد موسل موقع ثادرا بين خطي عرض ١٤ – ٢٧ درجة و٢٠- ٢٧ درجة، وبين خطي ٧ – ٣٧ درجة و١٤ – ٣٧ درجة، ولكن الأصوب أنها بين خطي عرض ٢٤- ٢٧ درجة و١٥ – ٢٧ درجة وبين خطي طول ١٢ – ٣٧ درجة و١٤ – ٣٧ درجة شمال شرق و جنوب غرب. فهي منطقة صغيرة جدًا وأصغر من المقياس الذي حدده موسل، وتقع إلى الجنوب من موقع الجو[٣].

ولكننا نجد أن المعبد الكنعاني نموذج اقتبسه أهل مدين. وإن صدق الحدس، فإن المعبد المدياني قام على غرار النموذج الكنعاني في بلاد سوريا وفلسطين، نظرًا للاتصال الجغرافي الطبيعي والبشري بين المنطقتين.

---

(١) انظر : هذا الكتاب ص ٢٠٥.

(٢) انظر : هذا الكتاب ص ٤٠٩ .

(٣) انظر : الخريطة رقم (٢). Koenig, Le Site De AL-Jaw, p. 42.

ونجد نماذج هذه المعابد في لاخيش من فترة عصر البرونز الحديث (١٥٠٠ - ١٢٣٠ - ق.م.) وقد أعيد بناؤه مرتين خلال هذه الفترة. وعثر على المعبد في مدينة مجدو (تل المتسلم) في السوية الثامنة والسابعة : أ - حوالي ١٤٠٠ - ١١٥٠ ق.م. بمراحله الثلاث. وعثر في بيت شان (بيسان) على معبدين من عصر البرونز الحديث في السوية التاسعة والسابعة - بين القرنين ١٤ - ١٣ ق.م. المعابد الثلاثة الباقية من عصر البرونز. وبفضل تنقيبات م. شيفر M.Schaeffer أمكن التعرف على مخطط معبد أوجاريت، وأمكن قياس المعابد الكنعانية الأخرى في أوجاريت وخاصة معبد شكيم «نابلس»، والذي أرخه ولتر Welter بحوالي القرن الرابع عشر ق.م.، أي من معابد الفترة نفسها.

وبلغت مساحة هذا البناء حوالي ٢٥×٢١م. وهو ذو أسوار خارجية بسمك ٥م. وكان مدخله مجنحًا بأبراج على جانبيه. ويوجد في الداخل صفان من الأعمدة، يحتوي كل صف منهما على ثلاثة أعمدة. والبناء الحجري الذي تم تنقيبه لابد أنه كان في الأصل يتألف من طابقين أو أكثر من الطوب الطيني... وظهر في أوجاريت ومجدو تماثل، وتطابق في المخطط الأرضي، وسمك الأسوار، ولذلك فلابد أن طراز المعابد الكنعانية كان يتألف من عدة أدوار. ويوجد طراز هذا البناء وينعكس في مزارات متعددة الأدوار في بيت شان (بسان)[١]. وأسست في الفترة التالية في عصر الحديد الباكر معابد أخرى مماثلة. وظهر هيكل سليمان الذي بناه في القرن العاشر ق.م. كأفضل نموذج لمعابد هذه الفترة. وجاء طرازه المعماري، ومخططه مقتبسين من العمارة الدينية الكنعانية[٢].

أما المعليات أو الأماكن المرتفعة High Places «باموت - مفردها باما Bamah, Bamoth» فيحتمل أنه كان لها دور في العبادة المديانية أيضًا. وأنهم

---

(١) Albright, Archaeology of Palestine, pp. 103-104.

(٢) Harden, D., "The **Phoenicians**", Penguin, Book, 1971, pp. 82-83.

اتخذوهــا من ضمن معابدهم، نظرًا لاستعمالها في بلاد كنعان، ثم ظهرت لدى بـني إسرائيل. وعرفت كذلك عند العرب. وقامت المعليات فوق الجبال والتلال وتحــت كل شجرة خضراء. وهنالك معليات في المدن فوق مصطبات أي تكون مبنية، فتعد معليات صناعية وليست طبيعية(١).

ومــن المعليات المعروفة أمكن العثورعلى أكبر مسلة في تل جازر Gezer فــي كنعان، يعود تاريخها إلى عصر البرونز الوسيط وغيرها. ويرجح اقتباس أهل مدين لهذه المعليات، واستعمالها للعبادة. وقد أشرنا إلى العثور على أنصاب حجرية فوق تلال، أو فوق مصطبات، أو في وسط مسيجات.

وذكــرنا صـــخور هضبة ثادرا، أو جبل البدر، ويقوم فوق تل مرتفع، ذي زوايــا خارجيــة يصـــعد إليه عبر ممر بدرج بقايا برج، وجدار نصف دائري تتصل به بعض الأعواد التي تعلق عليها بعض قطع قماش، لتكون كمظلة فوقه. وقيــل إنــه كــان مصلى شعيب (س) ويطل هذا المرتفع على جزيرتي يبوع وشعشع، ويبلغ ارتفاعه حوالي ٤٥٠ قدمًا. ويمكن من هنا تتبع خط وادي مقنا. ثــم اقتــبس بنو إسرائيل هذه المعليات أو «باموث» كما يدعونها(٢). وقد ورد ذكــرها في التوراة «هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس»(٣).

وجــاء أن إبــراهيم الخليل (عليه السلام) بنى مذبحًا في «حبرون». وبنى مع

---

(١) HB. Dic., Op. Cit, p. 391.

(٢) الفاسي، المرجع السابق، ص ٢٥٦. Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, p. 68.
H.B. Dic., Op. Cit, p. 391, Gray, Op. Cit., p. 68.
اســتعمل العــرب في بلادهم المعليات مثل مكان عبادة «ذو الشري»، انظر : الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ٦٦؛ لانكستر، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٣) «واتخذ جدعون بلوطة أوفرا معبدا مكرسا وبنى عليه مذبحا» انظر: الملوك الثاني ١٨ : ٤.
"Triumphover Midian", By A.L.OE., New York, 1870, 68, 122, 124.

إسحاق مذبحًا آخر في بئر سبع وحفر بئرًا أيضًا[1]. ويبدو انتشار هذا التقليد، فأقام يعقوب بيت إيل في شكيم (نابلس)[2]. وأقام يشوع اثني عشر حجرًا في الجلجال[3].

ومارسوا في هذه المعليات بعض الطقوس الدينية خاصة أهل كنعان ومن ذلك: البغاء المقدس وتقديم أضاحي الأطفال، وحرق البخور.

ويرمز العمود الحجري إلى الإله بعل أما العمود الخشبي فيرمز إلى الإلهة أشيرة. ويرجح اختلاف الرموز، واستعمالات المكان من ديانة لأخرى، فمثلاً كانت الـ «باما» لدى إسرائيل مرتفعًا جنائزيًا وتمارس شعائر الموتى فوق «الباما» ولكن لا تتوافر شواهد أكيدة على ذلك[4].

ويبدو أن المعليات كان لها دور المعبد المرتفع الذي تمارس فيه العبادة، والخلوة والتفكير والتأمل، وتلقي الوحي بالنسبة للأنبياء. وقد تحولت وتباينت استعمالاتها حسب الانحرافات التي طرأت على الديانات والعقائد عبر حقب زمنية مختلفة وفي البقاع المختلفة أيضًا.

وتكون المعليات عادة مكشوفة ومنحوتة في الجبل وأمامها أرض واسعة على شكل بيضاوي تقريبًا. واستمرت المعليات كأماكن للعبادة إلى العصور القريبة ففي عهد الأنباط عثر على العديد منها؛ مثل معلاة الرقيم، وجبل : أثلب قرب الحجر، والمناجاة في سيناء، وغنيم قرب تيماء. وخربة التنور وخربة الضريح، ومعبد بعل – سماين[5].

---

(١) تكوين، ١٣ : ١٨؛ ٢٦ : ٢٣ – ٢٥.

(٢) تكوين ٢٨ : ١٨ – ٢٢؛ ٣٥ : ٧، ١٤ – ١٥، ٣٣ : ١٨ – ٢٠.

(٣) يشوع ٤ : ٢٠ – ٢٤.

(٤) HB. Dic., Op. Cit., p. 391.

(٥) الفاسي: المرجع السابق، ص ٢٢٤.

مــع ملاحظـــة أن جميع المعليات المذكورة أعلاه وجدت في مناطق كانت مناطق مديانية سابقًا.

٥ – المدافن :

اهــتم الإنسان بمسكنه أي بيته الدنيوي واعتنى ببيوت العبادة، وعني كذلك ببيوت الآخرة أو البيت الأبدي الذي توارى فيه جثته بعد مماته. وقد عرف دفن المــوتى مــنذ أن قــتل قابيل أخاه هابيل. أي دفن جثة الميت وموار اتها تحت الثرى[١].

وعــرفت المدافن بأنواعها المختلفة سواء كان الدفن تحت الثرى، أو الدفن فــي كهــوف الجبال، حيث عثر على الكثير من هياكل عظمية، وبقايا إنسانية وحيوانية وغير ذلك. وعرف الدفن في المقابر المبنية أيضًا.

وقد عثر في المواقع المديانية وأبرزها موقع «قُرية» على أنقاض مبان يدل طــرازها على أنها مقابر. وكان أحدها محفوظًا بصورة جيدة. وهو عبارة عن قــبر بمســاحة ٣٥ر٥م مربع بجدران سمكها حوالي ٨٠ سم. وتتألف من بناء مشــابه للحصــون ولها مدخل بعرض متر واحد في منتصف الجدار الشرقي. وتــرتفع الجدران حوالي متر واحد أيضًا على سطح الأرضية الحالية في داخل الغــرفة، حيث تتكوم الأنقاض. ويمكن بوضوح مشاهدة بداية طنف في الزوايا على ارتفاع ٦٠ سم فوق السطح الحالي. ويحتوي هذا المبنى خاصة على كمية كــبيرة من الفخار والعظام في وسط الأنقاض المحيطة به. وقد تم التعرف على إحدى العظام بأنه جزء من جمجمة بشرية. ولا يمكن الجزم بأن هذه هي مقبرة أصلية أو ثانوية[٢].

ويقــوم عند أقصى الطرف الشرقي من القلعة برج معزول مربع من الخارج حوالــي ٣,٧٠م، بجدران منحدرة قليلاً. ومبناه مماثل لأسوار الحصون، وغرفة

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٣١.

(٢) انظر : Parr, Harding and Dayton, Op. Cit., vol. 8-9. p. 228.

الدفــن المذكـــورة أعلاه ولكنها على عكس الأخيرة فإن الأسوار ترتفع إلى أربعة أمتار وبحالة أفضل حفظاً من سابقتها. انهار نصفها تمامًا، ولا يمكن رؤية داخلها أو بابها الأصلي. ويقترح من خلال الفحص الدقيق للجزء العلوي من هذا البرج، ويفترض على أية حال أن الجزء السفلي يحتوي أساسًا على غرفة ذات طنف مثل الأخـــرى، الـــتي في أقصى الغرب الموصوفة أعلاه. ويرجح أن المدفن المرتبط بالغرفة الأخيرة، كان علامة ثابتة، وعلى ذلك فإن الافتراض المقبول الآن. إن كل هـــذه المـــباني كانت أبراجًا جنائزية، في الحالة الراهنة. وقد يكون البرج الشرقي مستخدمًا في السابق لأغراض عسكرية أيضًا كما افترض فيلبي.

وهـــناك مجموعة مقابر نبطية في المنطقة نفسها أيضًا. وعثر في مقنا على سبع أو ثماني مقابر واسعة وغير اعتيادية[١].

وعثر على مجموعة من أضرحة، ورجوم دفنية، أي أنصاب جنائزية غير معروفة التاريخ في وادي شقرى Shiqri. وتوجد في نقع بني مر قرب مجموعة أوابـــد ومسيجات أو دوائر حجرية ثلة من الحجارة، ربما أنها غرفة صغيرة أو قـــبر منفرد ومعزول[٢]. وعند الجهة الأخرى من وادي عفال، أو حسب اسمه القديـــم «وادي البدع» تنقسم المدينة إلى قسمين : مدينة الأحياء ومدينة الموتى. وتقـــع فـــي الداخل باتجاه الغرب من هذه المدينة الجنوبية مدينة الموتى. وهي ليســـت مقابر محفورة في أرض المقبرة بل هي تتكون من كهوف، أو مغارات يدعوها البدو «البيبان Biban» أي الأبواب. حيث إن الموقع عبارة عن جوانب، ومصبات أربعة فروع أودية صغيرة. يعرف الشمالي منها باسم وادي الخُريق، وتحمـــل الأخـــرى اسم وادي الصفراء، نظرًا لصفرة صخور المنطقة. وتنفتح المغـــارات عـــلى كل الاتجاهات ومحفورة في الحجر الرملي وتزين واجهاتها خطـــوط أفقية على هيئة خرزات مشغولة. وهنالك بعض الحصباء التي جرفتها

---

(١) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit., vol. 8-9, pp. 224, 229, Philby, Op. Cit., p. 226.

(٢) Parr, Harding and Dayton, Op. Cit., vol. 10, pp. 27-28, Albright, Archaeology of Palestine, p. 89.

المياه، ويوجد فوق الطبقة العليا منها أفاريز من الحجر الرملي، والقاعدة من كتلة ناعمة من المادة الحجرية نفسها ومتآكلة، وتقوم على جانبي المدخل مصطبة منحوتة في الصخر أيضًا، ولها درجات ثلاث. وعضادات الأبواب لها فتحات لتركيب مفصلات للأبواب، وثقوب للقضبان. ويرجح أنها مقتبسة من طراز مصري، ولبعضها نوافذ أو فتحات صغيرة على جانبي المدخل الواحد. ويفترض أنها صورة أولية لمغارات وأبراج المقابر في البتراء وتدمر.

ويمكن تقسيم هذه المغارات إلى أربع مجموعات. تتميز الأولى منها بخصائص منفردة، مما يخولها أن تمنح اسم «مقبرة الملوك».

وعثر في داخل المغارات على تابوت حجري «ناووس» وعلى شواهد داخلية تدل على سكنى هذه المغارات أيضًا[١]. ويماثل هذا الوصف «مغاير شعيب» ويمتد هنالك بين وادي الصفراء ووادي البدع على طول التل الأصفر بعض خرائب عبارة عن بقايا أسوار، وبيوت وشوارع، ومجاري مياه، وتوجد مقبرة ضخمة قرب المنطقة[٢].

وهكذا نجد أن عادات الدفن وحفظ كرامة جثث الموتى موجودة لدى أهل مدين، وقد عرفوا المقابر بأنواعها.

وعثر في منطقة مدين على كثير من المقابر النبطية. فهنالك في مغاير شعيب حوالي ٨٠ قبرًا تنتشر فوق عشرين ضريحًا مخصصة لملوك ولسادة الأنباط النبلاء، مما يدل على كثرة عددية بين الأنباط، أو على طول فترة وجودهم في منطقة مدين[٣].

نستنتج مما تقدم وجود مدن مديانية، وقد ذكرتها التوراة في موضوع حرب بني إسرائيل ضد أهل مدين. وبعد أن تم قتل خمسة ملوك من أهل مدين ، تم

---

(١) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, pp. 65.

(٢) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, pp. 66-67.

(٣) Philby, Op. Cit., p. 262.

أيضًا حرق جميع مدن هؤلاء الملوك بمساكنهم وجميع الحصون أيضًا «وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار»[1] فنجد أن النص يؤكد وجود مدن مديانية بها مساكن ولها حصون تم تدميرها وحرقها.

اشتملت هذه المدن على عمارة مدنية تتمثل في بيوت السكنى. وكانت المساكن مختلفة الأحجام، مما رجح أن المساكن على نوعين بيوت كبيرة ربما قصور للسادة والملوك وأما البيوت الصغيرة فقد خصصت لسكنى العمال. وأقاموا أسوارًا حول المدن مثل «سور قرية». وأنشأوا على هذه الأسوار منشآت دفاعية من حصون، وقلاع وأبراج للحراسة، والمراقبة ونحو ذلك. وخاصة في منطقة شمال مدين حيث انتشرت الأسوار والمنشآت الدفاعية.

وكانت تلك بيوت السكنى عدا بيوت العبادة، التي عثر على بقايا منها سواء كان «معبد الخيمة» أو المعبد المبني. وعثر على مسيجات حجرية تنتصب في مراكزها أعمدة حجرية. كذلك أقاموا مذابح في مناطق مقدسة كان أهمها «مذبح الجو» مع احتمال وجود «المعليات» في العبادة المديانية أيضًا.

ويضاف إلى ما تقدم ذكره عن دور السكن، ودور العبادة اهتمامهم بمرافق المدينة على أنواعها من : مدافن، وأبراج جنائزية. ونظام ري جيد التقنية من : خزانات، وقنوات، وصهاريج في موقع قرية، وفي منطقة البدع، وميناء مقنا وغيرها من المواقع المديانية.

وأدى وجود بعض الصناعات والحرف لدى أهل مدين إلى قيام منشآت خاصة بالصناعة من أفران مختلفة السعة والطاقة، ومشاغل أو ورش عمل بجميع مستلزماتها من أدوات ومعدات، خاصة في مجال التعدين، وصناعة الفخار، وصياغة الحلي ونحو ذلك.

واعتمد أهل مدين على الحجر بأنواعه كمادة أساسية للبناء والتعمير، مع استعمال الملاط من الحصباء والطين للحشوة. واستعملوا الجبس أيضًا. وكانت هذه المواد متوافرة في البيئة المحلية.

---

(١) عدد، ٣١ : ١٠.

ج - المشخصات والنقوش النافرة :

أولاً - المشخصات : Plastic Art

اتصــل أهــل مديــن بسكان بلاد الرافدين، وسكان كنعان، وسكان مصر. وتعاملوا معهم واحتكوا بهم عن طريق التجارة. فعقدوا معهم صلات اقتصادية، عــندما سافر تجار مدين مرارًا وتكرارًا إلى تلك البلاد. وتعرفنا على ذلك منذ حادثــة بيــع النبي يوسف (س). ويفترض أن أهل مدين اطلعوا على نماذج من أعمــال فــنية، وشــاهدوا أنصابًا تذكارية، وتماثيل، والكثير من الأعمال الفنية الأخــرى في مصر. واطلعوا أيضًا على فنون بلاد كنعان، خاصة في فلسطين وجــبيل نظــرًا لقرب موقع مدين من هذه المراكز الحضرية وصلاتهم بهم في الألــف الثانية ق.م. وتأثروا بذلك فحاولوا اقتباس بعض تلك الفنون، وأضافوها إلى الــتقاليد المنبــثقة من البيئة المحلية في شبه جزيرة العرب، ويرجح أن فن التشخيص كان مألوفًا لدى أهل مدين.

وإن كانت المعثورات من هذا الإرث المدياني الذي عثر المنقبون عليه حتى الآن قليلة. وهي تشمل بعض الدمى الطينية، والحجرية التي تمثل أشكالاً بشرية وحيوانية.

وقــد عــثر في منطقة مدين على قطعة حجرية مسامية التركيب بلون بني مــائل إلى الحمرة. مصقولة في أحد جانبيها. ويظن أنها تصور شكلاً حيوانيًا. ونقــش عــليها ما يشبه عمودًا فقريًا أي ظهر حيوان مع بقايا دلائل تشير إلى حيوان آخر على الجانب الأيمن[١].

---

(١) Burton, R., "Stones and Bones From Egypt and Midian", **Journal of Royal Anthropological Institute**, London, 1879, vol. 8, p. 302.

وعثر في البدع على كتلة من الحجر الرملي تحمل علامات غامضة، وربما أنها ترمز إلى رجل أو وحش، وقد أطلق عليها اسم «القديس جورج والتنين» St. George and the Dragon ويحتمل أنه كان لها قاعدة فقدت في عصر سابق(١).

وتنحصر أبرز المشخصيات في ثلاثة أنواع :

١ – حية مصنوعة من النحاس.

٢ – مشخصات أخرى.

٣ – دمى طينية تصور إبلاً.

١ – الحية المصنوعة من النحاس :

عثر في منطقة مدين على كرتين من الأعمال الحجرية. الأولى : من المرمر الأبيض الكريستالي أي الشفاف. وتحمل كتابة، «نقش كوفي»، ومحفوظة في المتحف البريطاني الآن.

أما القطعة الأخرى فهي مكسورة من النصف وتمثل شكلاً أفعوانيًا متجانسًا. وتبدو كأنها مكسورة مع تفلطح من أعلى ومن أسفل أي تسطح بسيط(٢).

وجد في معبد تمنع حية من النحاس مغشاة بالذهب من الفترة المديانية. وظلت الأفعى النحاسية من أهم المعثورات. وهي برأس مذهب وجسم ناعم مصنوع بإتقان، بطول ١٢ سم. وتمثل فصيلة ثعبان من نوع نادر. وكان رأسها مشكلاً بإتقان، وتظهر فيه عينان واسعتان. وقد عثر عليها في داخل الهيكل وتعود إلى الطور النهائي للمعبد من عصر الحديد الأول(٣).

وبقيت الحية كرمز مقدس منذ أقدم العصور(٤). وقد ورد ذكرها في التوراة

---

(١) Burton, Remains of Buildigs in Midian, vol. 3, p. 65.

(٢) Burton, Stones and Bones., vol. 8, p. 302.

(٣) Rothenberg, Timna, p. 172.

(٤) واستمرت الحية إلى عصر الأنباط. وعثر الآثاريون على النسر وبرفقه الحية فيظن أن النسر كان مقدسًا لدى الأنباط. وربما أنه يرمز إلى إلههم الكبير «ذو الشرا»، انظر الفاسي، المرجع السابق، =

وأن بني إسرائيل اقتبسوها وأطلقوا على الحية اسم «نحشتان» : «فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنسانًا ونظر إلى حية النحاس يحيا»[١]. وورد أن الملك حزقيا (٧٢٧ – ٦٩٨ ق.م.) قد كسر حية النحاس: «وسحق حية النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان»[٢].

وقيل إن يثرون (شعيب) علم موسى (ﷺ) أن يصنع «حية من النحاس» نحشتان נחשתן Nehushtan وقيل إن ذلك حدث عندما فتكت الحيات ببني إسرائيل في أرض إدوم.

مما يؤكد أن موضوع الحية المصنوعة من النحاس يعود إلى تراث ديني قديم لدى أهل مدين وبخاصة في تمنع. ويظن أيضًا أن الحية النحاسية كانت تقدمة نذرية أهديت إلى معبد تمنع، مع غيرها من القرابين والهدايا مثل الحلي، «خواتم وأقراط» وتماثيل أيضًا[٣].

والجدير بالذكر أن اقتباس العبرانيين لموضوعي الحية المصنوعة من النحاس، ومعبد الخيمة מִשְׁכָּן Tabernacle- بالإضافة إلى أشياء أخرى، منذ عهد الخروج، يوثق الصلات الدينية بين النبيين شعيب ، وموسى (ﷺ). وقد يكون معبد الخيمة المدياني هو نموذج أول لمعبد البدو الرحل، أفاد بنو إسرائيل منه في فترة الخروج، وما تلاها؛ أي فترة التيه.

= ص ٢٥٩، ويظن أن النسر يرمز في فنون الشرق الأدنى إلى الشمس. وخاصة في منحوتات مقابر الحجر في بلاد العرب. ويرتبط النسر بالثالوث الكوكبي المكون من الشمس والقمر ونجمة الزهرة Venus. انظر: Strika, V., "The Origin of The Star Motifs on the Funerary Monuments of Arabia.", Studies in the History of Arabia, Riyadh, 1984, 1404, vol. II, pp. 196-197.

(١) عدد، ٢١ : ٩.

(٢) الملوك الثاني، ١٨ : ٤؛ اسم حية مصنوعة من النحاس ووجدت في معبد القدس، انظر : H.B., Dic., Op. Cit., p. 695.

(٣) Rothenberg, Timna, pp. 183-4.

وإن موضوع الحية سواء كانت مشخصة في النحاس أو في غيره كان له جذور في العبادة المديانية القديمة. فتمثل الحية فكرة تجدد الحياة واستمرارها أي المناقضة لفكرة الموت[١].

(الشكل رقم ٢٢)، حية النحاس.

٢ – مشخصات أخرى :

وجـدت مـن بين اللقى في معبد تمنع مجموعة من التقدمات النذرية التي أودعهـا أهل مدين في المعبد، وكانت تلك التقدمات ليست ذات سمات مصرية. وكـان أغلـبها أشياء معدنية مصنوعة محليًا، وربما كانت مستوردة. وهي من النحاس ومنها حلي وأدوات تجميل، وتماثيل صغيرة، وقليل جدًا من الأسلحة، وبعض الأدوات، وعدد كبير من كسر معدنية لم تتحدد.

عثر على تمثال نحاسي صغير على شكل كبش (خروف) مصبوب بإتقان، ومصقول جيدًا. بلغ طوله ٤ سم وارتفاعه ٢,٥ سم بقرون ملتوية وثقيلة. ويوجد ثقـب فـي عـنقه – ربما موضع تميمة – ويعد هذا التمثال الصغير من القطع المعدنيـة النادرة جدًا، والفريدة من نوعها[٢]. وعثر أيضًا على تمثالين فريدين لهما ملامح بشرية مع التقدمات النذرية في المعبد :

الأول : تمـثال نحاسي بلغ ارتفاعه ٤ سم، بدائي الصب، ذراعاه قصيران وممتدان إلى الأمام، والجزء العلوي من ساقيه مستعمل كقاعدة للتمثال وليس له أقـدام. لكـن صـورة (قضـيب الرجل) ظاهرة. وبدلاً عن الوجه يوجد ثقبان صغيران لتحديد العينين. ويظهر التمثال جالسًا على مقعد مسطح.

---

(١) تقدم أسطورة كلكاش أول شاهد كتابي عن دور الأفعى في حياة أهل بلاد الرافدين. فقد اختطفت الحية نبتة الحياة التي جلبها الملك كلكامش (عصر فجر السلالات) لتمنح له الخلود وينقذ صديقه أنكيـدو. وبذلـك اكتسبت الحية الصفات والمزايا التي حرم الإنسان منها. وأصبحت الحية رمزًا للخلود. انظر : باقر، طه، "**ملحمة كلكامش**"، العراق، د.ت، ص ١٠ وما بعدها.

(٢) Rothenberg, Timna, pp. 172-173.
رأيـت تمثالاً مشابهًا لهذا الكبش في متحف الآثار بجامعة الملك سعود بالرياض – والتمثال من ضمن مجموعة مصوّرات قرية الفاو الأثرية.

الـثاني : يصـــور التمـــثال الثاني رجلاً بقضيب مؤكد أو مضخم تقريبًا. ويـبدو أنـــه لرجل ملتحٍ، وضخم الوجه. والذراعان واليدان مصنوعة ببدائية ومضـــغوطة على الجوانب، وله أذنان كبيرتان. ويبدو ما يشبه غطاء الرأس فـوق رأسه. ولكن ملامح هذا التمثال منفذة بجودة وإتقان. وقد لوحظ ظهور خطـوط قـالب الصب على التمثال نفسه، بل إن جزءًا من قالب الصب كان ملتصقًا بين ساقيه، وعلاوة على ذلك يبدو أن التمثال مصبوب، أو مصنوع في تمنع وليس مستوردًا، ولم يعرف له مثيل أو شبيه. والاقتراح الوحيد المناسب لـه أن يكـون التمـــثال نموذجًا يرمز إلى فكرة الخصوبة أو إله، ولكنه غير مصري حتمًا.

وجدت في المعبد إضافة إلى ما تقدم أحجارًا يحتمل أنها تصور موضوع الأم والابـــن، أو أنها تمثل نساء ذوات أثداء ضخمة. وهنالك الكثير جدًا من الأحافير Fossils أي المـــتحجرات والـــتي تشـــبه كائنات بشرية أنثوية. ويوجد تمثال من النحاس لحيوان بأربعة أرجل يشبه حصانًا، وعليه راكب[1]. (الشكل رقم ٢٣).

وتؤكـــد مجموعـــة العناصـــر الفنية الواردة أعلاه معرفة أهل مدين لفكرة الخصب والعبادة المرتبطة بها.

٣ – **دمى طينية** : تصور إبلا : Terra Cota Figurine

أشرنا إلى العثور على بعض الأجزاء من دمى الإبل، والتي عثر عليها في قرية وتيماء وغيرهما، ونقدم لها دراسة وصفية فيما يلي :

١ – القطعة رقم ١ – ٢٦٩٠ (من قرية)[2].

وتمـــثل رأس جمـــل مقاسه حوالي ٣ سم يتضح مكان العينين (ثقبين فقط)

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 174-6.

عن الديانة المديانية، انظر : فصل الديانة، ص ١٩٣.

(٢) معروضة في متحف الآثار التابع لإدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف بالرياض.

وتعـــلوهما أذنان بارزتان مع تحديد خط الأنف وثقبين لفتحتين فوق فتحة الفم؛ وهي واضحة تمامًا. لونه بني محمر وله ذات الخصائص التي للفخار المدياني من حيث الصلابة. وظهور الحبيبات الخشنة (الشكل رقم ٢٤ أ الكسرة رقم-١) من متحف الرياض.

٢- القطعة رقم ٣ – ٢٦٢٠ (من قرية)[١].

هـــي جــزء مـــن بدن جمل مقاسه حوالي ٧ سم يمثل البدن من العنق إلى المؤخـــرة أي ما بعد منطقة السنام. بلغ ارتفاع البدن حوالي ٣ – ٥ سم. يظهر جزءًا من العنق، وجزءًا من القائمتين الأماميتين مع ظهور السنام بوضوح فوق ظهر البدن، بارتفاع ١ سم تقريبًا. ويلاحظ وجود خط ممتد فوق البدن من العنق إلى الخـــلف فيمـــا بعـــد السنام وربما أنه حبل الرسن. ولون الفخار من البني الغامق. مع وضوح ذات السمات للفخار المدياني من حيث الصلابة وكأنه قطعة حجـــرية، مع وجود الشوائب السوداء ضمن الطين. وتظهر بقع سوداء متناثرة فوق البدن. (الشكل رقم ٢٤أ الكسرة رقم – ٢).

٣ – القطعة رقم ٢ – ٢٦٩٠ (من قرية) [٢] .

وتمـــثل جزءًا من بدن جمل، مقاسه حوالي ١٢-١٣ سم بارتفاع ٣-٤سم. يصـــور جـــزء البدن كاملاً من العنق إلى المؤخرة. ولكن لا وجود للعنق. مع وجـــود بدايات القوائم الأربع الأماميتين، والخلفيتين. ويلاحظ طول القدم اليمنى عـــن الأخريات. ويتضح فوق ظهر البدن من جهة السنام موضع الشداد، الذي يوضع فوق الظهر ليكون معدًا لراكب الجمل. ويلاحظ أن ذروة السنام مكسورة. ويظهـــر الذيـــل بوضـــوح إلى الأعلى إلى فوق الظهر تاركًا فراغًا بين الظهر والذيل. وتبدو فتحتان ظاهرتان تحت الذيل المرتفع. ولصلصاله ذات الخصائص

---

(١) معروضة في متحف الآثار.

(٢) معروضة في متحف الآثار.

مــن حيــث صلابة الطينة الخشنة مع ظهور شوائب بنية متدرجة – ذات لون غــامق وفاتح وقشدي (الشكل رقم ٢٤أ الكسرة رقم –٣) ثم (الشكل رقم ٢٤أ – السفلي • يعرض خمسة أجزاء من دمى).

٤ – القطعة رقم ٣/٢٢ ص (من تيماء).

تمــثل جزءًا من دمية (بدن جمل، وتبدو القائمتان الأماميتان مكسورتين تمامًا) (الشكل رقم ٢٤ ب/ج الكسرة نفسها)، وهي من حفرية المنطقة الصناعية في تيماء.

يحمــل الصلصــال ذات الخصــائص من حيث اللون والصلابة والشوائب السوداء في الصلصال المحمر.

٥ – القطعة رقم ١٤٨/٨٤/٢٠٠ (من البدع)

وتمثل جزءًا غريب الشكل من بدن حيوان ربما جمل، والأرجح أنها تمثل سنام جمل[١]. وتحمل جميع القطع خصائص الفخار المدياني (غير معروضة).

نســتنتج أن أهــل مديــن صنعوا بعض المشخصات التي عثر على أنواع محــدودة مــنها تنحصــر في حية النحاس ودمى بشرية وحيوانية من النحاس والحجر، إضافة إلى دمى الجمل الفخارية. وأنه كان لبعض المشخصات مدلول فكري أو عقائدي.

ثانيًا – النقوش النافرة : رسوم – نقوش صخرية :

مــنذ ما يزيد على القرن بدأ الاهتمام بالنقوش الصخرية في الشرق الأدنى، ففــي عــام ١٨٥٣م قام الأب كاينار دي سولسي Father Caignart de Saulcy بنشر تقريــر عــن رحلته حول البحر الميت. حيث اكتشف بعض النقوش الصخرية.

---

(١) هاتــان القطعــتان (رقم ٤ ورقم ٥) غير معروضتين؛ بل من محفوظات أرشيف متحف الآثار، حيــث سمح لي مسئولو المتحف التابع لإدارة الآثار بوزارة المعارف بالرياض مشكورين بزيارة المتحف، لفحص قطع الفخار المدياني المعروضة لديهم، والأخرى المحفوظة في أرشيف المتحف أو مستودعه الغني بالمعثورات الأثرية. وقد قمت بزيارة متكررة وأجريت هذه الدراسة، والتقطت الصور المعروضة في الأشكال الموضحة بمجهود شخصي بحت.

وبــدأ الاهــتمام بهــذه النقوش في هذه المنطقة. وتتابعت بعد ذلك التقارير عن مجموعات أخرى في مواقع مختلفة من المنطقة. ومنها تقارير إ.هـــ. بالمر E.H. Palmer فـــي ١٨٧١م. ثـــم ر. دوســـو R. Dussaud وف. ماكلر F.Macler في عام ١٩٠١م.

ويعود الفضل الأكبر إلى جوسين وسافناك Jaussen and Savignac بين ١٩٠٩ - ١٩٣٢م، الــلذين قدما أول معلومات عن نقوش صخرية في بلاد العرب(١). ولكن الأرجح أن ر. بيرتون R. Burton أول من قدم معلومات عن نقوش صخرية مــن بــلاد العرب؛ لأنه قام برحلته عام ١٨٧٨م عندما زار منطقة مدين شمال الحجــاز فـــي بلاد العرب. واكتشف بعض النقوش الصخرية وكتب عنها قبل غيـــره. ونشر عن المنطقة العديد من المؤلفات والمقالات(٢). والتي استفدنا منها بصورة كبيرة لإعداد هذا البحث مع غيرها من المراجع.

وبــدأ الاهتمام بعد ذلك يتزايد منذ الثلاثينات من القرن العشرين. وذلك بعد أن بــدأ الــتركيز عــلى نقــوش موقع كلوة، على الحدود بين المملكة العربية الســعودية والممــلكة الأردنية الهاشمية. عندما قدم ن. N.Glueck، ج. هورسفيلد G.Horsfield تقريرًا عن فن النقش على الصخر عام ١٩٣٣م.

ثـــم تلا ذلك ما قام به إ. أناتي E.Anati باكتشاف نقوش صحراء النقب عام ١٩٥٥م. وجـــاءت دراســـة مـــبدئية قدمهـــا م. أويـــانك M.Uyanik عن نقوش الأناضـــول(٣). بالإضـــافة إلى كتاب أناتي الذي بين أيدينا وخصصه لفن النقش الصخري في بلاد العرب.

ويوجــد عـــادة مع الصور المحفورة على الصخر بعض النقوش والكتابات السامية مثل : الثمودية والصفوية والنبطية والحميرية والسبئية وأخيرًا اللحيانية.

---

(١) Anati, E., **"Rock art in Central Arabia"**, Galilee, 1974, vol. 3, pp. 7-8.

(٢) Burton, Gold Mines of Midian, pp. XIII, pp. 127-131.

(٣) Anati, Op. Cit., vol., 3, pp. 8.

والـتي تعـود إلى القـرون الأخيـرة من الألف الأولى ق.م. والقرون الأولى الميلادية، بالإضافة إلى كتابات إسلامية باكرة.

ولكن هـ. روترت H. Rhotert يقترح تصنيفها في ثلاث مراحل رئيسة :

١ – المرحلة الباكرة وينسبها إلى العصر الحجري.

٢ – المرحلة الثانية ويرجعها إلى عصر البرونز الباكر.

٣ – المرحلة الثالثة وتعود إلى العصر الهيلينستي والروماني.

وأخيرًا أشكال غير نظامية أرخها إلى الفترة الإسلامية.

أمـا البحث في نقوش صحراء النقب فقد نتج عنه تصنيفها إلى سبعة أشكال، أو أساليب مرتبة من العصر الحجري إلى العصر الحديث.

فنلاحظ أن الصور الباكرة كانت بأشكال أقرب إلى الطبيعية، وبأحجام كبيرة تخطيطية لحيوانات متوحشة، وتعكس اقتصاد وتفكير مجتمعات الصيد.

ثـم أصـبحت الأشكال أصغر حجمًا في فترة تالية. وبدأ ظهور الحيوانات الداجنة أو الأليفة. وهي توحي ببداية الاهتمام بالقطعان.

وتوضح دورة النقب بتفاصيل متعددة التحول في أسلوب الحياة، وفي الثقافة في إحدى صحارى الشرق الأدنى، من العصر الحجري إلى ظهور الإسلام.

ونجـد تحديدًا واضحًا لنقوش الصخر في الأناضول. وبالإضافة إلى نقوش الـنقب والأناضـول نجد مواد مقارنة في بلاد العرب، وعلى درجة كبيرة من الأهميـة. كذلك بالنسبة للنقوش الصخرية في مصر وفي بلاد النوبة فهي مهمة جدًا لمقارنتها بها(١).

عـرض بيرتون مجموعة من الرسوم المنقوشة ومعها كتابة وقد جمعها من باحثين زاروا المنطقة المديانية. ولكنها نقوش ثمودية ونبطية.

---

(١) Anati, Op. Cit., vol. 3, pp. 10-11.

أولاً – حجر مدين – من منطقة «عين طاش» Intaysh.

هــل هي منطقة عين تاش، عنتايش – ويشتمل الحجر على كتابة ربما أنها إغريقية ومعها رسوم.

ثانيًــا – نقشــان عــلى حجرين كبيرين في وادي العويرض في الحسمة، يحتويان على كتابة فقط.

ثالثًا – ثمانية نقوش. وتشتمل على كتابات مع صور لراكب على حصانه، وامــرأة ناشرة شعرها، ثم صورة حيوان أشبه بكلب. ثم صورة جمل يقف مع رجل يقف خلف الجمل، وبيده عصا، من وادي كعكول. وأخرى أحدث منها من شبكة النمارة.

رابعًا : كتابة مع صور على حجر من وادي المويه قرب الوجه.

خامسًا : وأخيرًا نقش حديث جدًا أقرب إلى الخط العربي[1].

ولا يفوتــني ذكر الدور الكبير الذي تقوم به الإدارة العامة للآثار والمتاحف فــي المملكة العربية السعودية ونظائرها في دول الخليج العربي ودول الجنوب العــربي أيضًــا فــي كل أنحاء شبه جزيرة العرب. حيث قام الباحثون في تلك الجهــات المعــنية بمسح وتنقيب عن الآثار عمومًا، وتسجيل المناطق الأثرية، ويعنينا في هذا الشأن الرسوم والنقوش الصخرية وحصرها.

وقــامت الإدارة العامــة للآثــار والمتاحف في المملكة العربية السعودية بالــتوثيق الــلازم لكــل أعمالها وحفرياتها. وتم نشر خلاصة تلك المسوحات والتنقيــبات الأثــرية في حولية الآثار السعودية «أطلال» من العدد الأول إلى العــدد الــثالث عشر «الأخير» في الفترة من ١٣٩٧-١٤١١هـ، ١٩٧٧م – ١٩٩٠م.

---

(١) Burton, The Gold Mines of Midian, pp. 211-212.

ويـأتي فن الرسم على الصخر في منطقة مدين في المقام الأول. وقد عثر على الكثير من تلك الرسوم والنقوش الصخرية في الشمال والشمال الغربي من المملكة العربية السعودية. وقد أطلق مثلاً على مجموعة من رسوم صخرية في الشمال رسوم «ما قبل الثمودية» وقورنت بأسلوب الرسم في قرية جبة المشهورة برسومها المتميزة والتي تعود إلى العصر الحجري الحديث حوالي (٨٠٠٠ - ٧٠٠٠ ق.م.)[١].

وعثر في شمال غرب الحجاز؛ أي في أرض مدين على الكثير من النقوش الصخرية في موقع روافة، وفي وادي تمار قرب الرديسة قرب ساحل البحر الأحمر، وفي وادي عصافير قرب تبوك[٢].

وتم حصر حوالي ثلاثمائة موقع في شمال غرب الحجاز، بالإضافة إلى واحد وعشرين نقشًا مع رسوم في مواقع أخرى. وقيل إن عدد المواقع بلغ حوالي ثلاثمائة وعشرة (٣١٠) مواقع منها : منطقة شرق جبل الطبيق، مع موقع كلوة، وموقع قرب قلعة الأزلام، أو «الأزنام»، وقلعة المعظم والقليبة. وقد تم تصنيف أنواع الفن الصخري إلى سبع مجموعات كالتالي :

أولاً - الفنون الصخرية القديمة.

ثانيًا - النقوش والكتابات الثمودية.

ثالثًا - النقوش اللحيانية.

رابعًا - النقوش النبطية.

خامسًا - النقوش الإغريقية.

سادسًا - النقوش الكوفية المبكرة.

سابعًا - النقوش العربية الوسيطة.

---

(١) تقع قرية جبة إلى الشمال الغربي من مدينة حائل انظر : بار، بيتر وآخرون، «التقرير المبدئي عن المرحلة الثانية لمسح المنطقة الشمالية ١٩٧٧م، ١٣٩٧هـ»، **حولية أطلال**، الرياض، ١٣٩٨هـ، ع٢، ص ٥٦.

(٢) إنجراهام، المرجع السابق، ع٥، ص ٧٤.

وأهم المواقع في شمال غرب الحجاز التي تكثر الرسوم الصخرية والنقوش فيها هي :

أولاً : المـــنطقة الساحلية، والجبال من الغرب وتحمل الأرقام من صفر إلى ١٠٠.

ثانيًـــا: منطقة الديسة، ومنطقة السخنة، ومنطقة شواق، وأرقامها من ١٠١ إلى ١٩٩.

ثالثًا : منطقة روافة، ومنطقة الزاوية، وأرقامها من ٢٠٠ إلى ٢٩٩.

وبالنسبة لموضوع الفن الصخري في بحثنا فينحصر في مجموعتين فقط :
أولاً : الفنون الصخرية القديمة[١].
ثانيًا : الكتابات والنقوش على اختلاف لغاتها.

وعـــثر فـــي موقـــع القـــرنية بمنطقة إثرا وفي القليبة على رسوم من الفن الصـــخري ومـــنها «شـــكل العفريت». وقد صنفت مجموعات الفن الصخري والـــنقوش بحسب الحقب التاريخية والتسلسل الزمني. والأرجح أن فترة العصر الـــبرونزي – الحديـــدي ٢٥٠٠ – ١٠٠٠ ق.م.[٢] تخدم فترة أهل مدين أيضًا. وكذلك الأمر فقد عثر على مجموعة منها في وادي بجدة على بعد ٤٠ كم غربي تبوك[٣]. هذا بالإضافة إلى وادي ضم شمال غرب المملكة العربية السعودية[٤].

---

(١) ليفنجستون، أ، وآخرون، «حصر وتسجيل النقوش الصخرية ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م»، **حولية أطلال**، الرياض، ١٤٠٥هـ ، ع٩، ص ص ١٢٧، ١٢٩، ١٤٥.

(٢) الكباوي، عبدالرحمن، وآخرون «تقرير مبدئي عن المسح الشامل للنقوش والرسوم الصخرية في المنطقة الشمالية للعام ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م»، **حولية أطلال**، الرياض، ١٤٠٦هـ، ع ١٠، ص ص ١٠١ – ١٠٢، و ١٠٧.

(٣) خـــان، مجيـــد، «دراســـة تحليلية للطقوس الدينية القديمة في المنطقة الشمالية من خلال الرسوم الصخرية»، **حولية أطلال**، الرياض، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، ع ١٢و ص ٧٨.

(٤) خـــان، مجيـــد، «مشكلة الاتصالات الحضارية بين المناطق في عصور ما قبل التاريخ»، **حولية أطلال**، الرياض ١٤١١هـ، ع ١٣، ص ٧٠.

١ – ونقدم دراسة لقطعة أثرية عثر عليها في «منطقة الجو» في مدين وتعد هـذه الآبـدة الأثرية ذات مدلول تاريخي قيم وهام جدًا. وأثبتت هذه الآبدة وجود تراث مدياني عريق بالإضافة إلى الرموز الدينية والمحتويات المتعددة ذات الأبعاد الـتاريخية. وتـلك الآبـدة عـبارة عن منظر من رسوم الفن الصخري «انظر الصورة»[١] (الشكل رقم١).

وهـذه القطعة هي عبارة عن موضوع مصور بالنقش على الصخر يرافقها كـتابات بالإضافة إلى المشهد الذي يصور أفكارًا ومعتقدات دينية نستشفها من الرسم، ومن الرموز الكثيرة، بالإضافة إلى الوسوم (جمع وسم) الذي هو علامة مميـزة لـبعض القـبائل. وتقوم أهمية هذه الآبدة الأثرية في أنها تعد أول أثر مديـاني مهـم عثر عليه في منطقة صخور مقدسة في «مذبح الجو» قرب جبل ثـادرا، وهـو جـبل مقدس يعرف باسم جبل البدر أيضًا. فهي أول أثر مدياني واضح، ووثيقة تاريخية مهمة وتحمل كتابة ربما أنها كتابة مديانية أيضًا[٢].

ومما يثير الانتباه، أولاً : أن الصفة البدائية تسود على الرسم لأنه بني على الرسـم المبسـط الـذي تسـود فيه الاتجاهات العمودية والأفقية. وثانيًا نلاحظ الترتيب والنظام للأشكال المرسومة.

وتجدر ملاحظة أن هذا الترتيب يتناقض مع الفوضى المعتادة في الرسومات الـثمودية. ويتضـح مـن ذلـك أن هذه الآبدة ذات تميز واختلاف واضح عن الأعمال الثمودية الأخرى.

ونـرى العديد من الظلال البشرية المصطفة في مجموعتين تواجه بعضها الـبعض. فيوجد على اليمين أربعة أشخاص، مع ملاحظة اتجاه نظر الأشخاص أو وجودهم : الثاني والثالث والرابع – إلى الجهة اليسرى بينما الشخص الأول

---

(١) Koenig, Le Site De Al-Jaw, p. 210.

(٢) Koenig, Le Site De Al-Jaw, pp. 146-147.

يـــتجه نظـــره إلى الجهة اليمنى. ويوحي الترتيب العام لهاتين المجموعتين أن الشخص الأول متضامن مع الثلاثة الآخرين.

بالإضــــافة إلى الأشـــياء التي يحملها الأشخاص الثلاثة اعتبارًا من اليمين، وهـــي عـــلم (بيـــرق) مربع يحمله الشخص الأول بطريقة تحذيرية أو منذرة. وهـــنالك نجـــم من النمط البدائي. ويحمل المنظر عمومًا إشارات أكثر جوهرية تسترعي التحليل الدقيق.

ونميـــز فـــي الجهـــة اليسرى من الصورة ظل شخصين منحوتين (بطريقة غائـــرة) يـــتجهان إلى اليميـــن. ويظهر فوقهما شخصان ملتحيان يعتلي الأول الزاوية اليسرى، أما الثاني فعلى مستوى الشخصين الثالث والرابع.

ويشـــكل الأشـــخاص الخمسة الأوائل قوسًا أو نصف دائرة، فيوحي ببروز شكل على نمط «بدر» أو «هلال». ولأن المنظر موجود في المذبح فربما يكون المقصود فعلاً تكوين شكل «البدر» نفسه.

ويوجـــد الشخصـــان الخـــامس والسادس على مستوى منخفض. وربما لذلك الانخفـــاض مدلول على مكانة أدنى أو انخفاض طبيعي كموقع جغرافي منخفض مثلاً سهل أو وادٍ، أو أنهما من سكان هذه المناطق.

ثـــم يظهـــر من جهة اليسار رأسان بدون أجسام ورقاب طويلة بشكل غير طبيعي، على حسب ما سمح به الحقل التصويري والنحت في الحجر. وبالرغم مـــن ضخامة الظلال فإن صور الأشخاص قد وضعت بكل عناية سواء كان من ناحيـــة المســـافات أو المستويات. وتبرهن هذه الدقة في الوضعية وحدة العمل بوضـــوح. فنجد على الصورة التي بلغ مقاسها ٢٢سم ×١٥سم أن المسافة مثلاً بيـــن الشخصـــين الأول والثاني هي ٢٨مم. وهنالك علامة تحدد منتصف الخط الذي يصل الأرجل، من الثاني إلى الثالث. المسافة هي ٣٠ مم. ومن الثالث إلى الـــرابع ٢٠مم. مع ملاحظة تقارب الرابع والخامس أكثر والمسافة ٢٠مم. ومن الخـــامس إلى الســـادس ٣٣مـــم وهكـــذا نرى التتابع والدقة. ونجد المسافة من

الشخص السادس إلى الرأسين الموجودين (بدون أجسام) حوالي ٤٤مم تقريبًا. وهكذا فالمسافة منتظمة وتحديد المستويات واضح(١).

كذلك يتضح التنسيق والميل إلى عدم تكديس أو تراكم الأشكال بحيث لا يزيد العدد عن شخصين أو ثلاثة في الجهة الواحدة وذلك بعكس المناظر الثمودية كما نلاحظ بعد الموضوع نفسه عن الموضوع المألوف وهو «الصيد». والذي يتكرر كثيرًا لدى الثموديين كما يلاحظ أن تنفيذ الرسم تم بأسلوب «النقر» على الحجر لتشكيل رسم الشخص بخطوط طويلة وسميكة.

ويظهر أسلوب النقر واضحًا عند تكبير مساحة العلم المربع وتحدث هذه الطريقة تفريغًا في الخطوط المحيطة. ولكنها تسمح بتحديد البروز المطلوب. وهي تقنية تجعل تفريغ المساحات والرسم يختلطان، بينما الأعمال الثمودية ترتكز بالعكس على طريقة الرسم المسبق ثم تأتي عملية حك المساحات بصورة ثانوية.

ويتميز الشخص الأول بعدة خصائص : قصر القامة جدًا مقارنة بالأشخاص المجاورين، الساقان مضخمان كذلك الفخذان. مما يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كان رسمًا لامرأة؟.

وتمتد السواعد من أكتاف هابطة كأنها سواعد مقطوعة. وهذه السمة تفسر مظهر سواعد منثنية لحمل عود، أو عصا البيرق المربع، وإذا كانت الأضرار التي أصابت الحجر لا تخدعنا فإن الجزء الأبيض عند قمة الظل يمثل الجبين والأنف والعين اليمنى قريبة من الأنف. واستنادًا إلى تحديد أن السطح المربع بيد الشخص كان علمًا فهو اقتراح فريد لأنه ليس هنالك تجانس بين أشكال عينات الرسوم من العصر البرونزي والعصر الهيلينستي والروماني(٢)، بالإضافة إلى أن الأجيال القديمة لم تقدم نظيرًا لرمز من هذا النمط. مع ملاحظة أن رموزًا مختلفة تجيء بانتظام من أوساط ثابتة وذات ثقافة عالية ومختلفة.

---

(١) Koenig, Le Site De Al-Jaw., pp. 210-212.

(٢) كما هو مذكور في هذا الكتاب، ص ٤٠٥.

ونحـــن هنا بصدد رموز من وسط بدوي، مميز بطريقة عيشه منذ القدم في مسكنه تحت الخيمة. فمن المقبول أن يتبنى البدوي رمزًا من بيئته ممثلاً بقماش مســكنه الـــذي يلتجيء إليه. فإذا كان ذلك المربع يمثل راية أو علمًا فعليًا، فمن الــبديهي أنه يمثل رمزًا لحامله أو حزبه. وإذا كان حامل العلم هو امرأة فيجب ألا نـــندهش ونعقد مقارنة بينها، وبين الدور المحفز للقتال الذي تقوم به المرأة لدى بعض القبائل البدوية[١].

ويوجــد الشخصـــان الثاني والثالث عند قمة قوس ومن المفترض أنه يمثل جــبلاً. ويســيطر هـــذان الشخصان على مسرح الحدث (المشهد) إن من حيث المستوى العالي، أو من ناحية امتداد سواعدهم إلى جهة اليسار. وتوحي بظواهر أو رموز طقوسية.

ونلاحـــظ أن الشخص الثاني ذو جسم ثابت وتمتد الرقبة بشكل غير طبيعي حـــتى تشـــكل خطًا، والرأس في قمته مشابه لبرعم في قمة ساق. وهناك نقطة وخـــط يمـــثلان العين والفم. ويوجد خط متموج فوق الرأس عبارة عن تشكيل للشعر المرسل أو غطاء للرأس أو نحو ذلك كرمز طقوسي أيضًا.

ونلاحـــظ على الجسم بأنه نحيل جدًا أي رفيع أو ضعيف ولا يعود ذلك إلى عدم دراية أو خطأ في تقنية الرسم. بل ربما أنها مقصودة حتى توضح شخصية درويش أو حاوٍ من أولئك الذين يتعاملون مع الثعابين (ربما ساحر)، خاصة وأن هنالك تقاربًا مع جسم الثعبان النحيل. إضافة إلى أن الشخص كان ممسكًا بشيء فـــي يـــده ذي طـــبيعة مشـــجعة على هذا الافتراض. وقد يظن أنه قوس ولكن بـــالفحص الدقيق يتبين أنه فم حيوان مفتوح إلى جهة اليمين. ويمكن تبين الفك الأســـفل بوضوح شديد وخط التقاء شفتي الفم. ويظهر، كذلك بعد التدقيق، الفك العلوي أيضًا. وتوجد عين ظاهرة مما يؤكد أن ذلك رأس ثعبان. ويمثل بالتالي خـــط العـــنق الظاهر تحت يد الشخص وجسم ثعبان. وقد أظهر الفنان مواضع

---

(١) Koenig, Le Site De Al-Jaw., p. 212.

الخطــر من الثعبان ألا وهي الرأس والفم ولم يهتم بالجسم فظهر عاديًا. ويرمز ارتفاع رقبة الشخص الثاني إلى الهيئة المميزة لساحر الثعابين.

وتظهــر قطعة قماش بيد الشخص الثاني وهي مئزر الكاهن مما يوحي بأن هذا الشخص رجل دين. ولا يحمل الشخصان الرابع والخامس شيئًا. ويبدو أنهما مقاتلان.

أما الشخص الثالث فذو جسم مائل إلى الأمام بشكل مقصود، وذلك لإظهار الشــد الأفقي للسواعد الممتدة، ويظهر الرأس والعين بوضوح. وهنالك شخص آخــر ربمــا أنه أقل أهمية فموقعه غير بارز ويحمل هذا الشخص في يده شيئًا يــبدو أنه طائر، حيث تظهر استدارة الرأس والجناحان المنتشران ونميز بعض ريش الذيل تحت مستوى اليد.

وإذا كان التفسير صحيحًا وأنه طائر فلابد أن نفكر بالنسر أو بالصقر لأنهما من طيور شبه الجزيرة العربية، وتؤدي دورًا في الموروث الشعبي المحلي في المنطقة. وغالبًا أن الطائر يمثل رمزًا مما يعطي طابعًا ميثولوجيًا للمشهد(١).

ونميز بعض الإشارات فوق الشخص الثالث ربما أنها تؤلف نقشًا كتابيًا غير واضــح. ويوجد فوق رأسه علامات ربما تدل على زوج من القرون. فهل يمثل هذا الشخص إله العاصفة المعروف لدى أهل بلاد الشام في الألف الثانية ق.م.؟.

وتنــتهي الكتابة إلى نقطة اتصال القرنين بشكل عامودي. ويظهر سهم ذو رأس واضح جدًا في منتصف الكتابة، ومتعامد مع استقامة سطر الكتابة. ويرمز الســهم لصاعقة إله العاصفة، مما يؤكد أننا بصدد مشهد شعائري لإله العاصفة، مع وجود بعض الإشارات الأخرى غير الواضحة، والتي استحالت معرفتها(٢).

أمــا بالنسبة للكتابة فيمكن تمييز بعض الحروف وهي في مجملها من نمط كــتابات الجنوب العربي، مثلاً على مستوى جناح الطائر نميز بعض الحروف

---

(١) Koenig, Le Site De Al-Jaw., pp. 213-14.

(٢) Koenig, Le Site De Al-Jaw., p. 214.

ولكـــنها مائلة والدائرة العليا غير كاملة الاستدارة فربما أنها مفتوحة من أعلاها وهـــي شـــبيهة بـــالخط اللحياني أو الثمودي أو بحرف من خط المسند أو كتابة الجـــنوب العـــربي ونحو ذلك وربما تقـــرأ: «b ᶜlyn» أي بعليان أو بعليين أي بقوة الإله عليان. أو الإله العلي. مع ملاحظة أن نقطة بداية الكتابة أو انطلاقها مـــن القرون التي هي رمز الألوهية. وربما اجتياز السهم للحروف من شأنه أن يسبغ على الكتابة هالة مضيئة أو قداسة(١).

ونجد الاسم الإلهي عليان موجودًا في غير التوراة. فهو مذكور في التراث الفيـــنيقي كما رواه فيلون الجبيلي (البيبلوسي)، وفي الكتابات الآرامية(٢). وجود اســـم الإلـــه مع الرموز المذكورة بعاليه مثل زوج القرون، سهم طائر نسر أو صقر يجعلنا نفكر إذا كان هذا الطائر ليس من رموز هذا المعبود في بلاد كنعان – ســـوريا وفلسطين – ولكنه من رموز بيئة شبه الجزيرة العربية. وبناء على ذلـــك فـــإن المشـــهد يعد طبيعيًا ولا يستدعي المفاجأة. فنحن أمام إله العاصفة الإقليمي (المحلي) ولذلك ظهر مقترنًا بالنسر أو ربما الصقر.

وهـــذا الدمـــج بين إله العاصفة والقرون والسهم على حائط، أو صخرة في مذبح الجو، في منطقة (مديانية) – وهي منطقة بركانية نشطة – ذو معنى كبير فـــي مـــنطقة كـــانت مسرحًا لظهور نار البراكين أو هزات أرضية، فاعتبروا «عليان» أو إله العاصفة إلهًا سماويًا منتصرًا في المعركة.

ويجـــب أن ندرك، بالاستناد إلى المعطيات، أن إله العاصفة في موقع الجو تأثـــر بخصـــائص جغـــرافية محلية. ونتيجة لذلك فهو مختلف عن إله العاصفة الكـــنعاني. وبتعـــبير آخر يبدو أن إله العاصفة هنا في «الجو» قد تمثل مجمل الثورات البركانية المحلية مما يدعم المرئيات والفرضيات التالية.

وإذا كانت هذه الصورة القديمة موجودة في وسط أو بيئة مديانية كما تشير

---

(١) Koenig, Le Site De Al-Jaw., p. 215-17.

(٢) Koenig, Le Site De Al- Jaw., p. 217.

الدلائل. لكن ليس بالضرورة أن يكون عليان إلهًا مديانيًا وأن بني إسرائيل أخذوه من أهل مدين. إلا أن الاسم منتشر في المنطقة.

وخصائص الإله عليان مرتبطة بالبراكين فهو يعود للفترة القبلية لبني إسرائيل وأجدادهم الذين عاشوا في منطقة مدين. فقد يكون الإله نفسه مديانيًا. ولكن الاسم غير مدياني وخارج عن العلاقة مع المديانيين. ويجب التفكير في دمج الإله المدياني مع منظر صحراء بركانية تمثل اندفاعات بركانية ثائرة. وسيبحث المنشأ المدياني فيما بعد(١).

ويظهر الشخص الثالث رافعًا النسر فوق رأس الشخص الرابع ويبدو خيال ظله أي هذا الشخص الأخير أصغر من الشخصين السابقين. ويبدو أنه مهرول من فوق منحدر، وموجه سلاحه ضد الشخص الخامس ولابد أن يكون السلاح سيفًا يغمده في صدر عدوه.

ويظهر تغيير في حركة القدم المرفوعة للركض من جراء ثلاثة عيوب ناجمة عن الصخر نفسه، والعيوب على شكل نتوء في أعلى وأسفل الساق وفوق قمة الكعب. وهي عيوب أو حوادث عارضة مثل تلك الموجودة في أعلى الجهة اليسرى، وتظهر قدم الرجل الراكض بينما تنعدم أقدام الآخرين، باستثناء الشخص السادس. ربما ظهرت قدماه لأنه يمشي؛ لأن الأشخاص الثابتين غير المتحركين لاتظهر أقدامهم.

ويظهر شكل مستدير على مستوى السيف نفسه ويبدو أنه ترس. ويزين هذا الترس إطار على شكل عجلة، أو أشعة.

ويبدو على رأس المقاتل غطاء للرأس (عُمة) ويظهر تحت قدمه الأخرى شكل نجمي مرسوم بإتقان إذا ما قارناه بخشونة الخطوط الأخرى. ونميل إلى أن النجمة ذات صفة إلهية، ويتضح أن الشخص خاضع لتأثير طقوس إله العاصفة.

---

(١) Koenig , Site De Al-Jaw., p. 218.

ويحتمل أن نرى فيه أكثر من إنسان عادي. وكذلك النجمة فهي أكثر من رمز. أمـــا الشخص المطعون بالسيف (العدو) فهو شخص عادي غير متميز. ويوضح منظر جانبي أنفه الرفيع. ويظهر شكل أفقي على أوراكه ربما أنه سلاح عبارة عن دبوس قتال «نبوت»، أو «هراوة».

وجسم الشخص السادس من المجموعة متآكل جدًا، وغير مميز، ويكاد يبين وجه ولحية تحت بقعة بيضاء في القسم العلوي. ويوجد رمح ذو عود يحمله هذا الشخص، وله فائدة كبيرة، حيث يميل العود إلى الوراء، ويعلوه هلال واضح بما لا يـدع مجـالاً للشك بأنه إشارة أو رمز لإله القمر. وقد يكون رمزًا أو شعار مجموعة الأشخاص في الجهة اليسرى. ويوجد الهلال على مستوى النقش نفسه واسم الإله «عليان» بين الحرفين. وتظهر القرون أيضًا ونستدل من هذه الرموز عـلى أن الشخص لا يمكن إلا أن يكون إله القمر. ويتم هنا تصوير الآلهة على هيئة البشر أي في صورة «إنسان»(١).

نسـتنتج مـن المشهد أن هنالك حربًا دينية بين مجموعتين من الناس، لكل منها شعاراتها وطقوسها الدينية.

أمـا تفسـير وجـود الشخصين «برأسين ورقبتين بدون أجسام» فنذكر أن الـرأس السـفلي موجود في نفس مستوى الشخصين الثاني والثالث. أما الرأس الثاني فيوجد في مستوى اتصال القرون بالكتابة، فلابد أن يكون الشخص العلوي منافسًا للإله عليان.

ويـبدو شـكل الرقبتين غير الطبيعي «ربما خيالي أو رمزي» ويحتمل أن لهمـا خصائص إلهية أو شيطانية ممثلة برؤوس إنسانية. ويخرج الرأس السفلي من قاعدة متسعة من الجهة اليمنى بينما الجهة اليسرى خارج حقل الرؤية.

ويحتمل أن يمثل هذا الشكل فوهة بركانية أو بئرًا. وأن الشخص الأول هو

---

(١) Koeing, Le Site De Al-Jaw., p. 219.

إلـــه أو شـــيطان الفوهة يخرج منها وكأنه نار بركان. وأن شخصًا من الطبيعة نفسها يرتفع كنار بركانية فوق النار الأولى تدريجيًا إلى الأعلى(١).

وأنـــه لمن المفيد أن نقارن هذا المشهد مع مشهد الإلهتين اللتين ظهرتا على يســار الإلـــه، الـــذي له شعر من لهب (أشعة). وقد ظهر مصورًا على الختم الأسطواني الأناضولي الذي نشر عنه باروت Parrot في سوريا.

وبما أنه توجد براكين نشطة في الأناضول وفي سوريا الشمالية حيث هنالك شواهد إيجابية من العصور الوسطى كما ذكر ياقوت الحموي(٢). فلاشك أن هذه الوثيقـــة تمثل النار البركانية المجسدة في صورة إنسان أو إله، وأن النار تطلع من سفوح جبل. والنقطة المهمة هنا تمثيل النار كألسنة، أو أشعة من رأس الإله تمـــتد عموديًا وأفقيًا. والرأس موجود عند قاعدة النار التي تؤلف شعره. أما في مشـــهد آبـــدة الجـــو فعلى العكس فالافتراض البركاني يضع الرؤوس على قمة لسانين من نار تبدو كعصابتين. ولكن نلاحظ بعض النقاط المشتركة أو التجانس في أسلوب عرض النار على شكل عصابة. ومن المعقول أن نقارب بين رقاب الآلهة التي على اليسار وشعر الإله في الأسطوانة الأناضولية(٣).

ويلاحـــظ أنـــه في الوسط المدياني كانت إضاءة الصاعقة (البرق) وإضاءة النار البركانية متقاربة جدًا. ورأينا صدى هذا التقارب في الاقتباس الإسرائيلي. ودمـــج العاصـــفة والصـــاعقة مـــن الـــبراكين لا يقتصر على الوسط المدياني والإسرائيلي فهي واضحة على الختم الإسطواني الأناضولي أيضًا.

وهكذا فهو يوجد أيضًا في الأسطورة البدوية في الدمج بين ذكرى بركانية، وصاعقة العاصفة الآتية من السماء. فالدمج وارد في التراث القديم.

---

(١) Koeing, Le Site De Al-Jaw., p. 220.

(٢) الحموي، المرجع السابق، ج٢، ص ٢٤٥ وما بعدها.

(٣) Koeing, Le Site De Al-Jaw., p. 221, n.1.

يؤكد هذا التفسير افتراض تشخيص النار أو النيران. وأنه لمن المدهش جدًا ألا تخصص الديانة الوثنية مكانًا كبيرًا لمظاهر مثيرة للمخيلة الجماعية خاصة في منطقة سجلت ذكرى الثورات البركانية.

ونرجح مع هذا الافتراض – بأنها شياطين بركانية لتفسير وجود الرأسين إلى اليسار – افتراضًا آخرًا بأن الرأسين يرمزان لإلهين من الثعابين[1].

فإذا صح حدسنا وتأكدت الملاحظات السابقة، فيسهل فهم الموضوع العام للمشهد وأنه يمثل انتصار مؤيدي الإله الطقسي «عليان» على مؤيدي الآلهة البركانية، الشديدة الاندماج بإله القمر. لأنه ظهر مسيطرًا على الآلهة التابعة «الرؤوس» في يسار المنظر. وإذا كانت الآلهة مجسمة بنيران بركانية فإن سيطرة إله القمر عليها تظهره كسيد للبراكين في المنطقة، وذو علاقة بتسميات وردت في التوراة مثل صحراء «سين» Sin، وسين اسم إله القمر وكذلك جبل سيناء، واسم سيناء نفسه اشتقاق من سين. وبسبب انتصار عليان وأتباعه على الآلهة الحامية للمعسكر الآخر (المضاد، أو المعادي). فيحتمل أن المشهد يمثل تحولاً دينيًا مهمًا. يدل على تحول عقيدة أتباع الإله القمر إلى عقيدة متطورة أكثر، لها سمات سماوية، وليست سمات بشرية.

وتعطينا هذه الآبدة فكرة عن مرحلة ساد فيها الإيمان البدائي «الإيمان بالشياطين» حيث يتضح في هذا المنزل التحول الرئيس من التمثيل البركاني الناري إلى معتقد جديد، ولكن حدث في وسط مختلف عن الوسط الإسرائيلي. وحملتنا الدلائل، والإشارات المدروسة أعلاه إلى التأكد مسبقًا أن هذا الوسط يجب أن يكون وسطًا مديانيًا[2].

فالمنشأ المدياني لهذه الآبدة الأثرية لمذبح الجو ناتج عن تضافر إشارات عديدة. ولقد رأينا أن الآبدة مختلفة تمامًا عن الآثار الثمودية. فالترتيب المميز

---

(١) Koeing, Le Site De Al-Jaw., pp. 221, p. 232, n.1.

(٢) Koenig, Le Site De Al-Jaw., pp. 221-222.

لهذه القطعة؛ إشارة مهمة جدًا. وهي تتناسب مع ما نستشفه عن المديانيين من خلال التأثير الذي مارسوه على بني إسرائيل حتى أدى إلى الاعتراف بذلك في التقليد الإسرائيلي(١). فيعترف التقليد الإسرائيلي بشكل صريح ودقيق أن رجل الدين المدياني الشيخ يثرون نصح النبي موسى بطريقة الحكم بالعدل. «فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال»(٢). فإذا كان التقليد أبقى ذكرى طابع تعليمي من يثرون للنبي موسى (عليه السلام)، وقد رواه بشكل علني مما يوضح أن التأثير المدياني كان عميقًا جدًا.

هناك بعض الاحتمالات شبه المؤكدة عن اقتباس المظاهر البركانية من التقليد المدياني. ويفسر التأثير المدياني بهالة سحرية خاصة مرتبطة بمستوى ثقافي عالٍ للسابقين. أخذت في هذه الظروف التاريخية هذه اللوحة أو الآبدة مكانها بالنسبة لمدين، وكذلك على حسب المعلومات التوراتية بسبب دوام الحج إلى سيناء. وأن أهل مدين هم المجموعة الوحيدة التي أدت دورًا دينيًا «عقائديًا» في هذا الجزء من شبه جزيرة العرب، قبل ديداني العلا، وقبل مؤلفي الكتابات الثمودية، بالإضافة إلى المقارنة بين الأسماء المديانية المذكورة في التوراة، والمذكورة في شبه الجزيرة العربية حسب الوثائق الديدانية واللحيانية والثمودية. وسيتضح أن معظم تلك الأسماء المديانية موجودة في الوثائق العربية أيضًا. رغم أن التراث الإسرائيلي ذكر عددًا محدودًا من الأسماء المديانية ولكن التوافق الذي ظهر بعد ذلك دعم تواصل الشعوب. وهناك احتمال دوام النمط المدياني داخل الفترة الثمودية، وقد قام الديدانيون واللحيانيون وأهل الكتابات الثمودية في المنطقة المحصورة بين تبوك وتيماء والعلا بالاندماج داخل صفوف المديانيين. فوجدوا عددًا لا يستهان به من المنحدرين من سلالة أو نسل من أصل مدياني.

وقد تكون القبائل التي تركت الآثار الثمودية في المنطقة هي ببساطة قبائل مديانية من العصر السابق، حيث كان هذا الشعب قد فقد لحمته وأهميته في

---

(١) Koeing, Le Site De Al-Jaw., p. 222.

(٢) خروج، ١٨ : ٢٤.

ظروف قبلية فوضوية. وإذا نظرنا في المعطيات التاريخية العامة للمنطقة نرى أن أهـل مدين هم الوحيدون القادرون على إنتاج هذه الآبدة بما تحويه وغيرها من التراث مقارنة مع معطياتهم المذكورة في التوراة(١).

وكمـا ذكـرنا فالنسر، طائر معروف مصور في هذه اللوحة ومذكور في التوراة كرمز للقوة «وأما منتظرو الرب فيجددون قوة، يرفعون أجنحة كالنسور يركضون ولا يتعبون»(٢).

وتظهر هنا علاقة بين القوة والنسر، والركض، وعدم التعب. أما في المشهد أو الشكل المعني، فالنسر يتبع لطقس ديني ويؤدي دورًا ساحرًا للمقاتل. ونلاحظ هـنا مقابلة ومجانسة الراكضين، لهم أجنحة كالنسور ولا يتعبون، وذلك تجانسًا للفضـيلة والعلو والقوة التي يتصف النسر بها. وربما ترمز للتأليه، أو أن النسر نفسه يرمز «لعليان» وهي طريقة روحانية.

ويصـور الشـكل مقابـلة الفئتين المتقاتلتين فالنسر يمنح تأييده وقوته للفئة المقاتلة من أهل مدين ربما ضد بني إسرائيل. وقد ورد في التوراة «وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم»(٣).

«كمـا يحـرك النسـر عشـه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه»(٤).

ونجد هنا علاقة مع تقاليد سيناء فيؤدي النسر فيها دورًا، أثناء الخروج. ثم يتولى الحماية بعد ذلك.

ونجد مثالاً آخر حيث بدأ الشعر الثيوفاني الخاص بنبوة حبقوق يذكر صفات بركانية منتمية بشكل واضح إلى بلد مدين : «وقف وقاس الأرض نظر فرجف

---

(١) Koeing, Le Site De Al- Jaw., pp. 223-224.

(٢) إشعيا، ٤٠ : ٣١.

(٣) خروج ، ١٩ : ٤.

(٤) تثنية، ٣٢ : ١١.

الأمــم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم. مسالك الأزل له. رأيت خيام كوشان تحت بلية. رجفت شقق أرض مديان»[١].

ويــرد تصـــوير لبروق الرب وثورات العواصف. ويرمي سهامه التي هي الــبرق بحيث يتوقف القمر عن تنقله بل حتى الشمس «الشمس والقمر وقفا في بروجهما لنور سهامك الطائرة للمعان برق مجدك»[٢].

وهــذه هـــي المعلومة التي تهمنا بصورة خاصة. حيث ظهر حامل الهلال القمــري (في المشهد المدياني) مباشرة وراء قائد معسكره. ويتوقف بإنهزام هذا المقــاتل. وفي الجهة المقابلة وراء الرمز الإلهي لعليان – مباشرة فوق الشخص الــثالث – نــتذكر السهم الذي يمثل الصاعقة ويتقاطع مع الكتابة وهي وضعية تقــوي علاقتها بالاسم الإلهي. ويتضامن في المشهد الهلال القمري والسهم أي «العاصفة» ويشار إليها في التوراة. ولكن يتأكد التغيير بحيث لم يسمح لمشاركة القمــر فـــي المظاهر البركانية، مع أنه قد ظهر القمر في المشهد مقترنًا مع قوة الهــزات الأرضية – (الرأسان الموجودان فوق بعضهما على اليسار) – وعادة إن امتداد السواعد فوق المقاتل أثناء تأدية مهمته مع إمساك واسطة سحرية فهي طقس موجود في التوراة يوم حرب النبي موسى (عليه السلام) مع العماليق[٣].

---

(١) حبقوق، ٣ : ٦ – ٧.

(٢) حبقوق، ٣ : ١١.

(٣) Koeing, Le Site De Al- Jaw., p. 226-227.

«وأتى عمـــاليق وحـــارب إســـرائيل في رفيديم. فقال موسى ليشوع انتخب لنا رجالاً واخرج حارب عمـــاليق وغـــدًا أقف أنا على رأس التلة وعصا الله في يدي ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عمـــاليق. وأما موسى وهارون وحور فصعدوا على رأس التلة وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل تغـــلب وإذا خفـــض يـــده أن عماليق يغلب. فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه. ودعم هارون وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشـــمس فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف». خروج ١٧: ١٨ – ١٣ وذكرت رفيديم في التوراة فـــي مواضع أخرى تحدد موقعها «ثم ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من برية سين بحسب مراحلهم على موجب أمر الرب ونزلوا في رفيديم» ، خروج ١٧: ١ في النقب فهي تالية لبرية سين الواقعة =

ويحتمل أن هذه المعركة وقعت في رفيد يم في النقب قرب خليج العقبة ويعني اسمها في العبرية rapah ضعيف وyadayim تعني يدين، فهي تعني ضعف يديه أو يداه تضعفان. وما يهمنا هنا نجاح الطقس القتالي. وربما أن عماليق اضطروا بني إسرائيل إلى القتال في هذه المنطقة. وهنالك تجانس وتوافق مع المشهد في الآبدة المديانية مع وجود اختلاف أيضًا. فنجد التوافق في الطقس القتالي وعدد الأشخاص مثلاً، ولكن الاختلاف في ظهور النسر والثعبان، وعصا موسى التي ذكرها النص في البداية فقط. كما نلاحظ أن امتداد السواعد في المشهد وحركة النبي موسى (ﷺ) وكأنها صلاة أي الأيدي ممتدة إلى السماء، أو باتجاه المعبد، هذه الحركة الفيزيائية لها مفعول السحر مباشرة على القتال وهذا مستمد من خضوع بني إسرائيل للعبادة المديانية وطقوسها في زمن الأجداد، فهنا حرب رفيديم مع العمالقة. ويفسر الشكل أو المشهد المدياني الاقتباس الإسرائيلي لطقس قتالي مدياني(١).

وسبقت الإشارة إلى أن التراث المدياني صنع الثعبان في منطقة تكثر فيها الثعابين لطرد شرها ودرء خطرها وكذلك فعل النبي موسى (ﷺ) كما ذكرته التوراة «فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل. فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذا تكلمنا على الرب، وعليك فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات. فصلى موسى لأجل الشعب. فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة. وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا. فصنع موسى حية من نحاس، ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنسانًا ونظر إلى حية النحاس يحيا»(٢).

= بين إيليم وسيناء «ثم ارتحلوا من إيليم وأتى كل جماعة بني إسرائيل إلى برية سين التي بين إيليم وسيناء»، خروج ١٦ : ١.

(١) Koeing, Le Site De Al- Jaw., p. 228.

(٢) عدد، ٢١ : ٦ – ٩.

ولا بـد من الإشارة إلى حقائق مهمة جدًا أولاً : يوجد هذا المشهد على حائط «مذبح الجو» أي داخل مكان مقدس، أو محراب صخري طبيعي. ويقع هذا المذبح عـند قاعدة «جبل البدر» الذي كان يطلق بنو إسرائيل عليه اسم جبل سيناء أي عند قاعدة سيناء التاريخية، لكن ذلك غير صحيح، بالإ ضـافة إلى أهمية الرموز التي احـتواها المشهد، وخاصة الثعبان أو «الحية» والمشهور دائمًا بالتراقص والتلوي. وهـذه هي ظروف عبادة العجل نفسها أي الرقص والتمايل حول العجل والموجودة في التراث الإسرائيلي. ولاحظنا سابقًا أن «مذبح الجو» يوجد وحيدًا عند جبل البدر. ويطابق ما تضمنته قصة العجل الذهبي. وهو الذي يظهر المضمون التاريخي لهذه القصـة بصـورة جديـدة، فإنه من المعترف الآن بهذه العبادة بين صخور المذبح، واتضـاح الطـبيعة الإلهيـة لها حسب المشهد الموجود على حائط المذبح، خاصة بالعودة إلى الوراء أي منذ خروج بني إسرائيل من مصر[١].

وقد وردت قصة العجل الذهبي في القرآن الكريم[٢].

وتؤكـد نصـوص التوراة ذلك، وصنعوا العجل من ذهب لأن أصنام دان وبـتيل والعجـل الـبرونزي المذهـب في أوجاريت كانوا كذلك. وربما يكون مصـبوبًا من ذهب أو يكون مغشى (أي مطلي) بالذهب. وقد اكتشف حديثًا ثور برونزي ضخم. ويحمل آثار ذهب واضحة. وقد عثر عليه على الحدود السورية الفلسـطينية نشـره م. شيفر M. Schaeffer وتم تحديد معنى العجل الذهبي في قصـة الخـروج[٣]. بالإضافة إلى تأثيرات الظروف الفلسطينية. ولكن لا ننسى الـتأثير المديـاني عـلى ضوء المشهد الذي في «مذبح الجو». حيث إن هنالك رقصًـا أيضًا في ساحة المذبح. وهنالك إشارات تبين كيف يقوم العباد برقصات حول الأصنام. مما يوضح طبيعة العبادة بين الصخور المقدسة[٤].

---

(١) Koenig, Le Site De Al- Jaw., p. 229.

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٤٨، السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٢١٤؛ سورة طه، الآية : ٨٨.

(٣) «صـنعوا لهم عجلاً مسبوكًا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك ياإسرائيل التي أصعدتك من أرض مصـر»، خـروج، ٣٢:٨ وهو من ذهب «فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وصنعه عجلاً مسبوكًا»، خروج ٣٢، ٣، ٥.

(٤) Koeing, Le Site De Al-Jaw., p. 230.

ويشـــتمل التراث الوثني على عادة الرقص حول الأصنام أو الدوران حولها مع الصـــفير والتصـــفيق لـــدى عامـــة أهل شبه الجزيرة العربية ودام ذلك إلى ظهور الإسلام[١]، وقال تعالى: ﴿... وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَة...ً ﴾[٢].

والأرجـــح أن الإله عليان هو الشكل المدياني للإله الكبير السامي الغربي. وقـــد أبقى عليه التراث الإسرائيلي. وتظهر صورة «الراقص» في المشهد وذلك شاهد على رقصة مقدسة كانت تمارس في ساحة المذبح. مما يؤكد عدم اصطدام العقيدة الإسرائيلية مع التقليد الديني المدياني في بداية الأمر وكانت الدلائل تشير إلى أن أزمة العجل لم تكن إلا على هامش الاقتباس والتقبل.

ويتضـــح أن الصـــورة المديانية إذا عولجت من الناحية العامة ترتكز على ازدواجيـــة أساســـية فـــي التراث الإسرائيلي. بين إله العاصفة من جهة، وتلك الخاصة بالمظاهر البركانية من جهة أخرى[٣].

ورغم تذبذب بني إسرائيل، إلا أن انتصارهم لإله العاصفة على الإله القمر، والآلهة البركانية لا يعني سحق إله القمر والآلهة المقترنة به حيث نجد بقاء اسم ســـين Sin أي إله القمر لازال موجودا في اسم صحراء سين، وصحراء سيناء. وأنـــه لاشك أن إله القمر بالصحارى البركانية في بلد مدين له أثر كبير. وربما حـــدث توحيـــد بين تقاليد إله العاصفة والتقاليد البركانية. مما اعتبر انتصارًا له وقلص مكانة الآلهة البركانية إلى مرتبة أدنى.

لعل الحدث الفكري في هذه الآبدة المديانية في «مذبح الجو» له أهمية كبيرة لذكاء التأثير المدياني على العقيدة الإسرائيلية «اليهودية». وأن التغيير لدى بني إســـرائيل قد حدث لاحقًا بعد الاستقرار، والتكيف مع الحياة الزراعية، مما لفت انتباههم إلى العاصفة والمطر وذلك لارتباطهما الحيوي بالزراعة.

---

(١) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٤٢، ١٠٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٥، حيث كانت صلاة قريش وجميع العرب عند الكعبة على تلك الصفة أي الطواف حول الكعبة والأصنام مع التصفيق والصفير. انظر : سلامة، المرجع السابق، ص ٢٩٩.

(٣) وذلك بعد انحرافهم وثوراتهم المتكررة على النبي موسى (عليه السلام) وعلى من جاء بعده.

أمـا فـي بـلد كمدين وخاصة في الصحارى البركانية. يكون تكيف البدو الـرحل مـع الأدخـنة والنيران البركانية، والهزات الأرضية كانت كافية لبث الـرعب مـن هذا الغضب، الذي تعلنه هذه الآلهة القوية الغامضة المخيفة في الصحارى البركانية، خلال الفترة المديانية.

وكذلـك الأمر بالنسبة للزمجرات السماوية والصاعقة التي تعمي الأبصار، والعواصـف وزخـات المطر السخية من إله العاصفة نشرت هيبتها في نفوس المستقرين الجدد من بني إسرائيل.

ويظهـر في قطعة الجو الأثرية (الآبدة) إبداع معانٍ بحيث أنها أبانت الكثير من الرموز. وركزت الرؤيا أكثر من السابق. ولكن يستمر ذكر مظاهر البراكين ونارها وأدخنتها في التوراة[١].

٢ – ويذكـر بيرتون أنه عثر على مشهد مرسوم على حجر أخضر اللون يبعد عن مدينة الوجه بحوالي ستة أميال إلى الداخل، قرب قلعة موجودة هناك. ويحتوي المشهد المرسوم على كتابات عربية حديثة نوعًا ما، وعلى وسوم كثيرة والمشـهد مرسوم بصورة بدائية يحتوي على رجال، وحيوانات ضارية. وهناك صورة أفعى، وصورة جمل ضمن المشهد. وتدور مبارزة بين محاربين مسلحين بسيف وترس[٢].

٣ – وإذا أخذنـا لوحة أخرى ذكرناها أعلاه عثر عليها في إثرا. وأطلق عـليها اسـم «شـكل العفريت» فنرى أنها تصور أيضًا شكلاً آدميًا ذا خصر ضـامر، وجذعـه على شكل مثلث، أما البطن فمستدير وبذراعين ممدودتين وأصابعهما مفتوحة وبشعر طويل منتشر (متطاير). ويتميز بأنه عمل فريد في المـنطقة. وذو أذرع قوية العضلات، بينما الساقان رفيعتان على شكل عود. وبجانبهـا صـورة أخرى لإنسـان مرسوم بطريقة Stick Form أي على شكل

(١) Koeing, Le Site De Al-Jaw., pp. 232-233.

(٢) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol. 3, p. 74.

العصـــا. الأســـلوب الـــتجريدي المفرط وأنه الأسلوب السائد في نقش الرسوم الصخرية في شبه الجزيرة عامة ورسم مواضيع أختام دلمون من قبل أما تقنية تنفيذ الرسم فقد تمت بطريقة النقر أو الخدش على سطح الصخر البازلتي، قرب مجموعة من الأكوام الترابية التي توضع فوق القبور[١].

وإذا عقدنـــا مقارنة بين لوحة شكل العفريت مع الصورة التي بجانبها وبين «لوحـــة الجو» التي شرحنا عنها بالتفصيل نلاحظ عناصر مشابهة بين المنظر من حيث المحتوى وأسلوب تنفيذ الرسم على الصخر كالتالي :

١ – الأذرع الممتدة.

٢ – الشعر المنتشر.

٣ – السيقان العودية، أو الخطوط الرفيعة.

٤ – التنفيذ بأسلوب نقر الصخر أو خدشه وحفره.

٥ – استعمال الطريقة العودية أو العصوية.

نســتنتج مما تقدم أن أسلوب فن النقش على الصخر لدى أهل مدين مشابه لغيرهم الذين رسموا الكثير من هذا الفن وتركوه لنا على الصخور.

كذلك الأمر بالنسبة لمواضيع هذا الفن. فقد رسم أهل مدين الكائنات البشرية، والحيوانيـــة بالإضـــافة إلى ظهور الأشكال الكوكبية (الهلال والنجمة) في «لوحة الجو». كذلك بعض الأسلحة «السيف والترس». بالإضافة إلى العلم وغطاء الرأس أو الشعر وغير ذلك من تفاصيل الرسم بالإضافة إلى بعض الأدوات.

وربمـــا ســنجد الأشــكال الأخرى وطبعات الكف والقدم أيضًا. وهي من المواضيع المنتشرة في فن الرسم الصخري في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية. ومن هنا تتضح أهمية مواصلة التنقيبات الأثرية.

وعـــثر قرب ميناء المويلح على لوح حجري كبير عليه أربع علامات تبدو أنها طبعة حافر[٢].

---

(١) كباوي، المرجع السابق، أطلال، ع١٠، ص ص ١٠٢ – ١٠٣.

(٢) Burton, Remains of Buildings in Midian, vol., p. 82.

٤ – وعـــثر عـــلى مشاهد أو لوحات من نمط فن الرسم الصخري في عدة مواقــع في وادي عربة، وفي وادي تمنع قرب منطقة المناجم، ٢٤، و٢٥ على طول صخور ممتدة إلى أقصى شمال وادي تمنع. حيث توجد كومة من الدبش، والــرجم الضخمة. والتي يبدو أنها نتجت عن سقوط هذه الأحجار. ويوجد فوق هــذه الكومة بحوالي (٥م) صورة صخرية بعرض ٥م وارتفاع ٢م (الشكل رقم ٢٦). منقوشة على منطقة ناعمة ومعينة من الجدار الصخري.

ونلاحــظ مع الاختلاف حول الصورة أنها كانت مرسومة بيد واحدة حيث من الواضح أنها شكلت وحدة تصويرية. وكانت صور الأشخاص منقوشة بعمق (غائــرة) بآلة حادة الرأس. ويلاحظ في الصورة مجموعة عديدة لثقوب صغيرة ومركــزة بالدرجة الأولى في الزاوية العلوية من الجهة اليسرى. وهي غامضة وليس لها تأويل واضح ويشك في انتمائها لأصل النقش الصخري.

والصـــورة مقســـمة إلى ثلاثـــة صفوف طويلة. بأشكال محفوظة جيدًا في الصفين العلوي والسفلي أما الأوسط فقد عانى من بعض التخريب فلذلك تصعب رؤيـــة الأشكال وتمييزها. وهنالك صورة شخص منحوتة تصور (إنسانًا غريب الشـــكل) ومعزولاً فوق الجهة اليسرى في الصف العلوي. وتبدو يداه مرفوعتين وتظهر أربعة أصابع منفرجة. ومرسوم على ردفه شيء غريب (وعجيب) مثل خـــط مستقيم منته برأس، أو مقبض، أو مقلاع بيضاوي. ويبدو أنه سلاح ربما دبوس قتال (هراوة). وعثر أيضًا على شكل غريب مشابه لهذا الشكل في مواقع أخرى من عصر الحديد.

والأرجـــح أنـــه تصـــوير ســـحري أو تصوير لقوى عليا بناء على موقعه المعزول فوق الأشكال الأخرى.

وتتكون أشكال الصفوف عمومًا بالدرجة الأولى من نوعين من الحيوانات: الوعـــول، والنعام مع وجود بعض الغزلان. والعديد من الأشكال البشرية ربما

أنهـــا تصور الصيادين، وهم بين صفوف الحيوانات، فيمسك البعض منهم بحبل بأنشوطة أو عقدة (وهق) أوبدرع في اليد اليسرى.

ويوجـــد وعل مستلق على ظهره، وفي وسط الصف العلوي علامة غريبة عـــبارة عن مربع برجلين قصيرتين وتوجد هذه العلامة نفسها في الموقع (رقم ٢٥١) في وادي عربة.

ويوجد في الصف السفلي من الجهة اليمنى تصوير بسيط وغير متقن لعربة ذات محـــور واحـــد (كمـــا يـــبدو) بلا أرضية، وحيوانات الجر غير مرتبطة بالعجلات الأربع والعربة مسحوبة بواسطة وعلين لهما قرنان طويلان مشدودان معًـــا عند الرأس، بعارضة ثقيلة (ربما نير) ومن المفترض أن الذي صور هذه العربة لم يشاهد عربة حقيقية، ولكنه كان مقلدًا لصورة من نقش آخر أو رسمها مـــن الذاكـــرة. وتتوافر صور العربات في النقش (الشكل رقم ٢٦). وهو ملون ويبدو أنه نقش مصري كما ثبت من تفاصيل صور الجنود والعربات في النقش.

ويلاحـــظ عـــلى الـــنقش بعـــض الملاحظات فمن الواضح أنه تعرض إلى تغييرات وتشويهات قوية بسبب زلازل أرضية بدليل وجود الكومة الضخمة من الـــرجم عند قاعدة المشهد. وسقطت من الأعلى تاركة جدارًا خشنًا مع طبقة من كمـــخ (Patina). وتستمر تلك «الباتينا» على الجزء السفلي من الجدار الصخري أسفل (النقش رقم ٢٦). وتوجد أسفل النقش بقايا حوض أو خزان. وينتهي إفريز الجـدار الصـــخري بعد حوالي ١٠م إلى كهف صغير يرتفع بحوالي ٨ م عن الســطح الحـــالي. ويوجد مقابل الكهف حوض آخر مكسور ترتفع حافته العليا بارتفـــاع الأفريز المقابل للكهف تمامًا. وعثر على موقد (مدفأة) داخل الكهف، وبعض الفخار. والأرجح أن الفنان قد استعمل هذا الإفريز ليقف عليه أثناء نقش المشهد(١).

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 119-121.

ونلاحـــظ وجود التشابه في أسلوب النقش بين هذا النقش (الشكل رقم ٢٦) في تمنع ونظائره الأخرى التي تقدم الحديث عنها، مثل «آبدة الجو».

أمـــا الـــنقش (الشكل رقم ٢٦) فيحتوي على موضوعين أساسيين ولكنهما مختلفان تمامًا عن بعضهما ولكل منهما عناصره المختلفة والخاصة به. ويصور الموضـــوع الأول كما أشرنا سابقًا عربات تجرها ثيران وجنود مسلحين، ويبدو أنـــه يصـــور موكب احتفال أو نحو ذلك، ولكنه مصري بحت. وقد وجد تحت النقش زبديات ضخمة من حجر رملي أبيض ناعم جدًا مكسورة بفعل الصخور الساقطة، وليس لها مثيل من أي منطقة ولم تستخدم لأغراض التعدين. والأرجح أنها ذات صفات طقوسية، وعثر على كمية من كسر فخارية، مع الزبديات قرب الدبـــش، ويوجد النقش في وادي ضيق قرب معبد تمنع الذي يعود إلى الأسرتين ١٩ – ٢٠ في مصر.

ويـــبدو أن الموضـــوع الثاني من النقش (الشكل رقم ٢٦) يمثل مشهد صيد (قـــنص)، حيـــث يظهـــر فـــي مركز اللوحة العلوي رجال من نماذج مختلفة، أجسادهم مرسومة كخطين طويلين متناظرين ليدل على حجمهم الأكبر ويرتدي هؤلاء الرجال نوعًا من غطاء رأس أو «خوذات» ويحملون سيوفًا ذات مقبض، وبأنصـــال مستقيمة. ويرتدون تنانير (مآزر) ذات أطراف (شراريب – كتل من خيـــط). وهذا الجزء من النقش بعكس جماعة العربات، فهم مزودون بحيوانات مختـــلفة؛ وعول وبعض النعام، وكلاب، والعديد من أشكال بقر الوحش بقرون مستقيمة، وعدد من ظباء هذه الصحراء. وتبدو الكلاب تطارد الحيوانات وأطلق أحد الصيادين سهمه على وعل.

وتوجـــد صـــورة حصان فوقه راكب. وتوجد خربشات في الزاوية اليسرى العـــلوية مـــن النقش مرسومة بشكل ردىء. ربما أنها محكوكة بأداة غير حادة «مثـــلومة». وربمـــا رسمت بلون أحمر ولكنها لاحقة أي رسمت فيما بعد. أي ربما أن الموضوع الثاني مضاف إلى الموضوع الأول في النقش.

وربمـــا أنـــه مرســـوم بيد من صنع النقش السابق لأنه مضاف إليه شيء مجهول في منتصف الصورة.

وأظهر الفنان الصيادين بلباس متميز ومختلف عن سائقي العربات المصريين. فربما أن هؤلاء الصيادين من الشاسو (الهكسوس). وربما أنهم مديانيون من سكان جنوب الأردن وشمال الحجاز. وبناء على الشواهد المذكورة أعلاه «الأحواض والفخار» فتحديد تأريخ النقشين في عصر الأسرتين المصريتين ١٩ – ٢٠ مناسب جدًا. كتأريخ لهذه الفترة التي امتدت من نهاية القرن الرابع عشر إلى منتصف القرن الثاني عشر ق.م.

وتمثل الأشكال البشرية في النقش السابق أناسًا مختلفين عرقيًا عن النمطين البشريين وهما من المصريين وأهل مدين. وربما يمكن أن نضيف إلى العنصرين البشريين في الصورة عنصرًا ثالثًا ربما أنهم العماليق من وسط النقب. ومعروف أنهم كانوا يعملون في مناجم تمنع، أثناء فترة المشاريع المصرية. ونفترض أن التاريخ المقترح للنقشين مقبول جدًا بالإضافة إلى قبول فكرة دلالة النقشين الطقوسية أو النذرية، أي أنهما بمواضيعهما لهما طبيعة دينية(١).

٥ – عثر في الموقع رقم ٣٤، الذي يقع في وادي نحشتان على مذبح صخري، حيث توجد هذه الصخرة البارزة (مساحتها ٣ × ٣م) والمسطحة جيدًا. وكان منحوتًا في داخل الدرجات الطبيعية عليها أربع من علامات الكؤوس الكبيرة. وعدد آخر من طبعات الكؤوس، بعضها ضحل بقطر يتراوح بين ١٥-٤٠ سم وبعمق ١٠-٢٠سم. وظهور هذا المرتفع أو المنصة الصخرية وعليه العلامات الكأسية، يدل على أنها مذبح صخري. وهذه الكؤوس هي زبديات تقديم سائل التقدمة. أي أنها تستعمل لسكب السائل.

٦ – وهنالك صورة جمل صغير بسنام واحد ومنحوت بصورة بدائية جدًا ويبدو أنه قديم مع شكل شخص واقف أو جالس على سنام الجمل. وكان منقوشًا بخطوط رفيعة على قمة المذبح. وربما أن هذا المذبح كان لاستعمال العمالقة صانعي فخار النقب، الذي عثر على نماذجه بوفرة في هذا الموقع (رقم ٣٤)(٢).

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 122-124.

(٢) Rothenberg, Timna, p. 117.

استعرضـــنا فـــي موضـــوع النقوش فن النقش الصخري، والذي ينتشر في الشـــرق الأدني بصفة عامة، وفي بلاد العرب أيضًا. وقد اهتممنا بفن النقش في منطقة مدين وأن النقوش في بلاد العرب مقاربة لنقوش بلاد الأناضول والنقب، وهـــي عـــلى درجة كبيرة من الأهمية، ويمكننا مقارنتها بالنقوش الصخرية في مصـــر وبلاد النوبة. تم حصر مواقع النقوش في شمال غرب الحجاز، أي في أرض مديـــن فبـــلغ عددهـــا ٣٠٠ – ٣١٠ مواقع إضافة إلى عدد ٢١ نقشًا في مواقع أخرى.

كـــانت أغلب النقوش مرسومة بالأسلوب التجريدي الذي يعتمد على الخطوط المتعامدة، ويعبر عنه بـــ «شكل العفريت» والأذرع الممتدة، والشعر المنتشر.

وقـــد تم تصنيف مجموعات الفن الصخري والنقوش حسب الحقب التاريخية، وأهـــم الفترات بالنسبة للبحث هي فترة العصر البرونزي – الحديدي ٢٥٠٠– ١٠٠٠ق.م. وتـــندرج فـــترة أهل مدين ضمن هذا الإطار الزمني. وكانت أهم الـــنقوش الـــتي قدمنا دراسة عنها أولاً «قطعة الجو الأثرية». وتعد ذات مدلول ديني طقوسي، تراثي، إضافة إلى أنها ذات مدلول تاريخي كبير الأهمية لظهور كـــتابة قـــد تكون ثمودية، أو لحيانية، أو عربية جنوبية. وتعد أول قطعة أثرية مديانيـــة، تحمـــل كتابات مع النقوش والرسوم وظهور شعار الهلال وهو شعار أهل مدين. ولا ندري هل الكتابة معاصرة للنقش أم تالية له ؟

وعـــثر عـــلى خمسة نقوش أخرى في مواقع مختلفة أحدها قرب مدينة الوجه، والثاني في قرية إثرا، والثالث مع مشاهد أخرى أيضًا في وادي عربة، وفي وادي تمـــنع. ومشـــهد رابـــع في وادي نحشتان، وخامس في صحراء النقب. وتتشابه عناصر النقوش فبعضها اشتمل على أشكال بشرية وحيوانات (خيول – وعول – طيور – نعام) مع وجود بعض الغزلان. اشتمل بعضها على طبعات الكؤوس مع تميـــز المشهد الأخير بأنه يصور جملاً بسنام واحد وعليه راكب. ونفذت جميعها بأسلوب تجريدي بواسطة النقر على الصخر أو خدشه وحفره.

د. الفنون الصغرى

اشــتغل أهل مدين في مهن وأعمال مختلفة وأسسوا قواعد حضارة مجتمعهم، فكــان منهم التجار، والزراع والرعاة، وأهل الحرف والصناعات البسيطة اليدوية وأهمها صناعة الفخار أو الثقيلة كالتعدين ونحوه لخدمة مجتمعهم. وقد تحدثنا عن تــلك الأعمال التجارية والزراعية، ورعاية قطعان المواشي والإبل وتربيتها. في فصول البحث السابقة[(١)].

ونخصــص هذا الجزء من الدراسة لبعض الحرف الصغرى والمهمة أيضًا لحياة الأفراد والمجتمعات مثل صياغة الحلي، والاشتغال بصناعة بعض التمائم والــتعاويذ، التي كانت شائعة الاستعمال في مجتمعات عديدة، بل إن لم نقل في كــل المجــتمعات؛ بالإضافة إلى صناعة الأختام، التي كانت لازمة وضرورية لإثبات الحقوق وتأمين سلع التجارة.

وقــد عــرف أهل مدين هذه المهن وعملوا بها كما ثبت من الشواهد الأثرية والوثائق الكتابية ، ومنها نصوص التوراة ونحوها.

بــل مــن المفروض أن هنالك العديد من المهن الأخرى مثل حياكة الملابس وربمــا بعض مصنوعات جلدية ونجارة، مما نحرص على توضيحه بحسب ما ترويه الوثائق.

فقد ورد في التــوراة ذكــر بعض الحرف المعروفة منذ عصر النبي موسى (عليه السلام)، حيــث بيــن لهم بعض تلك المهن كالتالي: «وقال موسى لبني إسرائيل انظــروا قد دعا الرب بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه. وملأه من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة ولاختراع مخترعات، ليعمل فــي الذهب والفضة والنحاس ونقش حجارة للترصيع ونجارة الخشب ليعمل في

(١) انظر: هذا الكتاب، ص ٢٨٤، ٢٦٤، ٣٠٢.

كل صنعة من المخترعات. وجعل في قلبه أن يعلم هو وأُهُو ليآب بن أخيساماك من سبط دان . قد ملأهما حكمة قلب ليصنعا كل عمل النقاش والحائك والطراز في الأسما نجوني والأرجوان والقرمز والبوص وكل عمل النساج. صانعي كل صنعة ومخترعي المخترعات» [1].

ونستعرض بعض الحرف التي نفترض وجودها في مجتمع مدين .

١- **حـلي** : حرص الإنسان على التجمل والتزين واتخاذ الحلي، وقد صنع هذه الحلي من مواد مختلفة مثل عظام وأصداف، ومعادن بدءًا بالنحاس والذهب والفضة إلى الحديد والبرونز. ولشغف الإنسان بالشيء الثمين والنادر فقد صنع حـليًا مـن الحديد منذ اكتشافه لهذا المعدن لاعتقاده بأنه معدن ثمين ولأنه كان نادرًا ، ثم بعد ذلك عاد إلى الذهب والفضة لأنهما بقيا الأثمن.

وقـد عـثر عـلى حلي حديدية مع قرائن من القرنين ١٣ - ١٢ق.م. فقد اكتشـف فـي عـام ١٩٦٤م في تمنع في الموقع (رقم ٢) أسورتان حديديتان بالإضـافة إلى العديد من الخواتم الحديدية المتقنة الصنع، أحدها ذو بقايا مذهبة ظاهـرة بوضوح. مما يدل على أن الحديد في هذه الفترة مازال معدنا نادرًا ، وكان مستعملا في صناعة الحلي، فهو كالمجوهرات الثمينة[2].

وأشـرنا إلى أن بـني إسـرائيل قد غنموا من أهل مدين كميات كبيرة من الذهـب عـلى شكل مصوغات ذهبية، أي حلي، مما يثبت اشتغال أهل مدين بصـياغة الذهـب والمجوهـرات «.. أمـتعة ذهب حجولاً وأساور وخواتم وأقـراطا وقلائـد». «كـل أمتعة مصنوعة»[3]. وهنالك أنواع حلي أخرى مذكورة أيضًا «... بخزائم وأقراط وخواتم وقلائد كل متاع من الذهب»[4].

---

(١) خروج ، ٣٥ : ٣٠ - ٣٥.

(٢) Rothenberg , Timna , p. 174.

(٣) عدد، ٣١ : ٥٠، ٥١.

(٤) خروج، ٣٥ : ٢٢.

«وأخـــذ الأهلة التي في أعناق جمالهم»[1]. «لأنه كان لهم أقراط ذهب لأنهم إســـماعيليون» «وكان وزن أقراط الذهب التي طلب ألفا وسبع مئة شاقل ذهبا ماعدا الأهلة والحلَق وأثواب الأرجوان التي على ملوك مديان وما عدا القلائد التي في أعناق جمالهم»[2].

كـــل هذه الأنواع المتعددة من الحلي والمصوغات الذهبية كانت معروفة لدى بـــني إســـرائيل في ذلك العصر أي في عهد الخروج. وكان بعض تلك الأنواع المذكورة من الحلي المديانية التي سلبها بنو إسرائيل من أهل مدين، لأنهم كانوا يرتدون حليهم ومجوهراتهم أثناء معاركهم تلك. ولم تكن المجوهرات أو الحلي قصرًا على الملوك والأمراء، بل كان يرتديها كل الرجال من أهل مدين؛ بل إن إبـــلهم كانت محلاة بتلك الأهلة الذهبية. ناهيك عن حلي نساء أهل مدين ، فمن المـــتوقع أن تكون أضعاف ماذكر عن حلي الرجال، جريًا على عادة النساء في كل عصر.

ومما يثبت اشتغال أهل مدين بأعمال الذهب كميات الحلي الذهبية (المصاغة) والتي تزين الناس بها. وتوفر هذا المعدن الثمين في منطقة مدين والعثور على مـــناجم الذهـــب فيها. وثبوت تعدين الذهب واستخراجه من مناجمه على مدى العصور التاريخية. وفي فترة أهل مدين وما بعدها[3].

ونظـــن أن انتشار الحلي الذهبية يعزى إلى سهولة إنتاج الذهب من عروقه ، حيـــث يمكن استخراج الذهب من أول عملية جرش للصخور لتخليص الذهب، وبعد ذلك يتم غسله بالماء لإزالة الأتربة العالقة به[4].

---

(١) قضاة، ٨ : ٢١.

(٢) قضاة، ٨ : ٢٤، ٢٦.

(٣) انظر : هذا الكتاب، ص ٢٥٢، فصل التعدين.

(٤) هستر ، ج. وآخرون ، «تقرير مبدئي عن مسح مناطق التعدين القديمة بجنوب غرب المملكة العربية السعودية (الموسم الثالث)» ، **حولية أطلال** ـــ الرياض، ١٤٠٤هـــ ، ١٩٨٤م، ع ٨ ، ص ١٣٠.

كمـــا أن الذهــب عنصر فلزي، سهل الطرق والسحب بتسخينه، أو صهره للصب على الشكل المطلوب ، وسهولة النقش عليه لزخرفته[١]. ويسهل تشكيله بالصياغة الباردة (أي بالطرق) أيضًا[٢].

قدم رؤساء الألوف ورؤساء المئات كل ماوجدوه من قطع الحلي التي أشرنا إليها. وهي كالتالي:

حجول: مفردها حجل، وهو القيد والخلخال تلبسه المرأة في قدمها[٣].وكذلك الأطفال (أولاد وبنات).

أســاور: مفردها سوار يلبس في الأيدي للمرأة والبنت. ويكون من ذهب أو فضة.

خواتــم: مفــردها خاتم، للختم على وثيقة أو بضاعة. وحلية يلبسها الرجال والنساء والأطفال. في أصابع اليد[٤]. وقد يلبس في أصابع القدم كما تفعل نساء القبائل البدوية.

أقــراط : مفــردها قرط، حلي تلبسه النساء في آذانهن[٥]، ولكن في عصر أهل مدين كان الرجال يستعملون هذه الأقراط [٦].

قلائــد : مفردها قلادة وتلبس في الرقبة، وهي للإنسان والفرس والكلب[٧]. ولإبل أهل مدين.

خــزائم : مفــردها خزام، وهي حلقة تجعل في أحد جانبي منخري البعير.

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة، المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٢) Rothenberg , Timna , p. 239.

(٣) ابن منظور ، المرجع السابق، ج١ ، ص ٥٧٦.

(٤) ابن منظور ، المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ ، ج١ ، ص ص ٧٩٠ – ٧٩١.

(٥) ابن منظور ، المرجع السابق، ج٣ ، ص ٦١.

(٦) واستخدم الآشوريون والآراميون الأقراط أيضًا. انظر هذا الكتاب عن الآراميين ص ٤٦٥.

(٧) ابن منظور، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٤٨.

يشد بها الزمام. وكانت بنو إسرائل تخزم أنوفها. ولذلك نهى عنه في الإسلام. ففي الحديث: «لاخزام ولازمام».

الحَـــلَق : مفردها حلْقة لدى سيبويه. وهي كل شيء مستدير مثل حلقة من حديد أو ذهب أو فضة ، وتسمى الدروع حلْقة ، وقيل اسم لجملة السلاح[1].

الأهلة : مفردها هلال. ومذكورة بأنها كانت في أعناق الإبل، وأعناق ملوك مدين[2]. والهلال غرة القمر في أول الشهر، وقيل يسمى هلالاً لليلتين أو ثلاث مـن أول الشـــهر ثـــم يصبح قمرًا بعد ذلك. والهلال : الدفعة من المطر. وهل السـحاب بالمطر. وهل المطر. وقيل هو اسم للبعير الضامر الهذيل. و«الهلال الحديدة التي تضم بين حِنْوَى الرحل من حديد أو خشب، والجمع الأهلة، قال أبو زيـد : يقال للحدائد التي تضم ما بين أحناء الرحال أهلة» والهلال الحية وقيل الذكر من الحيات، وقيل الحية إذا سلخت، والمهلهلة الدروع[3].

والأرجح أن الأهلة كانت حليًا ذهبية على شكل الهلال (القمر). أولا: لثبوت عــبادة أهل مدين للقمر. ثانيًا : ظهوره شعارًا لهم في «لوحة الجو» وكان من حـليهم وقلائـــد إبلهم ومصورًا على أوانيهم الفخارية. ثالثا: الحديدة التي تشد الــرحال لابـــد أن تكون من معدن صلب حتى لاتتكسر بفعل ثقل الرحل، الذي يكـــون عـــلى ظهر البعير. رابعًا : من المألوف اليوم أن نرى في أعناق الإبل والحمير بعض القلائد، والخرزات ونحو ذلك فهي عادة منتشرة لدى البدو وإلى الوقت الحاضر.

ولـــبس حلي الأهلة الذهبية من قبل أهل مدين دليل أكيد على أنه شعيرة من شـــعائر عـــبادتهم، بدليل لبس رجال مدين لهذه الحلية بدافع التقديس والتبرك.

---

(١) ابن منظور، المرجع نفسه، ج١، ص ص ٨٢٦، ٦٩٩، ٧٠١.
(٢) قضاة، ٨ : ٢١، ٢٦.
(٣) ابن منظور، المرجع السابق، ج٣، ص ص ٨٢١ – ٨٢٤.

وربما كان من الشائع لبس الرجال للحلي الذهبية بأنواعها المتعددة. فقد جاء في نص التوراة أن الأهلة كانت في أعناق الرجال والإبل على التخصيص والأقراط فـــي آذانهم. وربما كانت من عادة رجال العرب عامة وغيرهم ، ولذلك عندما جاء الإسلام نهى الرجل عن لبس الذهب [١].

وقـــد عـــثر فـ. بتري F.Petrie في تل العجول على ستة أزواج من الأقراط الذهـــبية على شكل الهلال أيضًا. ويظن أنها مصنوعة محليا ودعيت «الأقراط الهلالية» بزخارف متنوعة منها مزخرف على شكل صقر [٢].

وقد عثر في معبد حتحور في تمنع على مجموعة كبيرة ومتنوعة من الحلي المصـــرية وغير المصرية. فعثر مثلا على أساور مكتوب عليها أسماء كل من ســـيتي الأول (١٣٠٣- ١٢٩٠ ق.م.) مـــن الأسرة التاسعة عشرة، ورمسيس الرابع (١١٦٦- ١١٦٠ ق.م.) من الأسرة العشرين. وقطعة من أسورة عليها كتابة مهمة «حتحور سيدة الفيروز» [٣]. وغير ذلك.

ولكن عثر على أكثر من ٥٠٠٠ خرزة من عقود وقلائد وصدريات وأساور أجـــرت عليها السيدة ت. كيرتسز T. Kertesz دراسة. فاتضح أن الكثير من ذلك الخـــرز مصـــنوع محـــليا بالدرجة الأولى. وهو متنوع؛ بعضه خرز مستدير، والآخـــر أقـــراص من شست الميكا. مع حصيات صغيرة وأصداف من البحر الأحمر مثقوبة، ومنظومة كعقود. وربما أن هذا الخرز مجلوب بواسطة العمال المحليين (من أهل مدين والعماليق).

وهـــنالك مجموعـــة أخرى تبلغ أكثر من ٢٥٠٠ قرص خزفي وبألوان من

---

(١) سابق، السيد، "فقه السنة"ـــ ط١ـــ بيروت، ١٣٩١هـــ، ١٩٧١م، ص ٤٨٦.

(٢) Negbi, M., "Crescent or Legume - Shaped Ear- Rings ،"**Israel Exploration Journal Readers**, By Harry M. Orlinsky, Jerusalem, 1981, vol 2, p. 1334.

(٣) Rothenberg , Timna , pp. 160 , 163.

أزرق، وأخضـــر، وبني، وأبيض مجلوبة من مصر · وتوجد مجموعة خرزات ذات خصائص سحرية (على شكل العين)[1] .

وعثر على بعض تقدمات نذرية في معبد حتحور ذات طراز زخرفي يؤكد أنها منسوبة إلى أهل مدين والقينيين والعماليق المعاصرين لهم· حيث من الواضح أن مجموعـــة الأغراض المعدنية محلية الصنع ، مما يجعلها شاهدًا آثاريًّا محليًّا. وقد عـــثر عـــلى بعض هذه التقدمات المعدنية وأهمها الحلي في أقصى جنوب وادي عربة ، وفي منطقة البحر الأحمر. وعثر على عدد كبير من كسر لأشياء معدنية لم تعرف هويتها· حيث لازالت تحتاج إلى دراسة وتحليل[2].

وعثر على أكثر من مائة خاتم (حلقة) من النحاس بالدرجة الأولى من مرحلة المعـــبد الأخيرة (طوره الأخير) في ذخيرة النحاس مع كومة النفايات المكتشفة خارج فناء المعبد فيما يلي الجدار (رقم ١). وأغلبها مصنوع من قضبان نحاسية رفيعـــة، ومثـــنية على شكل حلقة (خاتم). وأحياناً فهي مزخرفة بحزوز هندسية مشـــابهة لـــزخارف الفخـــار المديـــاني. وتوجد خواتم أخرى من سلك نحاسي وصورتها الجانبية تظهرها على شكل مستدير أو مستطيل. وعثر في المنطقة (ف – موقـــع رقم ٢) على خواتم نحاسية، وسوارين صغيرين من النوع الذي يلـــبس فـــي أعلى الذراع[3] بالإضافة إلى الكثير من الخرز، وعثر على هدايا نذريـــة أخرى تقليدية على شكل أقراط· وهي بأشكال وأحجام مختلفة· فبعضها ببساطة عبارة عن أسلاك بشكل بيضاوي ومفتوحة من جانب واحد، (ربما على شكل هلال)· وأخرى مقولبة بشكل سميك قليلا في الجزء السفلي. وبعض آخر ذو دلايـــة صـــغيرة (قلادة) متصلة، ومزخرفة بخطوط محززة بسيطة· وكان طول أحدها حوالي ٢ر٦ سم ويزن ٤٢ جم. ويبدو أن حجمه غير مناسب لأذن بشر، وربما أنه أنسب لأذن بقرة كبيرة مثل «حتحور».

---

(١) Rothenberg , Timna , p. 171.

(٢) Rothenberg ،Timna , pp. 172-173.

(٣) يطلق على هذا النوع الذي يلبس في أعلى الذراع اسم معضد في اللهجة الدارجة.

وعثر على دبابيس زينة مصنوعة من سلك نحاسي مستدير ومربع أو مستطيل ملتو من جانب واحد على شكل عقدة (أنشوطة) كمقبض للدبوس. وكان الكثير من الأسلاك المبرومة معقودًا كأنشوطة أيضًا. ويوجد الكثير من هذه الأسلاك مبرومة وملتوية ربما أنها خطاطيف أو مسامير (أوتاد صغيرة)، وربما أنها كانت مستعملة لتقوية أو شد وتثبيت أغطية خيام ربما خيمة المعبد المدياني.

وهنالك عدد ضخم من أصداف البحر، مثقوبة ومستعملة كخرزات، والاحتمال أن أهل مدين سكان المناطق الساحلية على البحر الأحمر جلبوها إلى المعبد، حيث عثر فيه على أصداف جميلة وكانت أكثر من الكثرة منها نجوم البحر، وقطع مرجان وحصوات بأشكال غريبة، وأحجار على هيئة تماثيل الأم والابن[(١)].

ولم يعثر على حلي ذهبية لأنه كما يرجح فإن هذه المواد الثمينة عرضة للسرقة، ولابد أنه تم أخذها كنوع من الكنوز، أو دفائن جاهلية. فيما عدا ماذكرناه عن بيرتون بخصوص بعض قطع الذهب والتبر. وذكر أنه شاهد ذهبًا واضحًا على أشكال مختلفة منه قطعة جلبوها إلى القاهرة وخربوها. وظهر في قطعة من حجر بركاني؛ «لافا Lava» حمم على شكل مشط عسل وعثر عليها بين الكوارتز والشست. وعثر على الذهب مع العقيق. وكان السبب في البحث عن الذهب هو رؤية «تبر الذهب» أو غباره المجلوب إلى القاهرة قبل رحلة بيرتون بعدة سنوات[(٢)].

واشتغل أهل مدين في صناعة كل أنواع الحلي الذهبية وغير الذهبية. إضافة إلى أنهم اشتغلوا في أعمال أخرى تعتمد على الذهب أو النحاس. ونقصد استعمال المعدن للتغشية أي تغطية القطعة بقشرة أو ورقة معدنية. وكان أعظم

---

(١) Rothenberg, Timna, pp. 116, 174, 176.

(٢) Burton , R. ، "Midian and The Midianites" ، **Journal of Royal Sciety of Arts** ,London 1878, vol, 27-29, p. 25.

الآثار أهمية مايشبه أفعى نحاسية برأس مذهب وجسم ناعم مصنوع بإتقان عثر عـليها داخل الهيكل في المعبد، وتعود إلى الطور النهائي أي من عصر الحديد الأول. والأفعى النحاسية ذات الرأس المذهب بلغ طولها ١٢ سم وتمثل فصيلة ثعبانية نادرة، وفي رأسها المذهب عينان واسعتان[١].

يضاف إلى ذلك الشاهد التوراتي عن أعمال كلها تعتمد على الذهب والفضة سواء كانت خالصة أو مخلوطة مع غيرها . فمثلا عند بناء المسكن (أي المعبد) أمـر النـبي موسى (عليه السلام) بأن تكون شظاظ المعبد من ذهب «وتصنع خمسين شظاظا من ذهب» . «وتصنع خمسين شظاظا من نحاس»[٢].

«وتصـنع الألواح من خشب السنط» «وتصنع أربعين قاعدة من فضة تحت الألواح» «فتكون ثمانية ألواح وقواعدها من فضة ست عشرة قاعدة»[٣].

« وتجعلـه على أربعة أعمدة من سنط مغشاة بذهب رُزَزُها من ذهب على قواعد من فضة» «أعمدة من سنط وتغشيها بذهب رُزَزُها من ذهب وتسبك لها خمس قواعد من نحاس»[٤].

«وتصنع المذبح من خشب سنط» «وتغشيه بنحاس» «جميع آنيته تصنعها من نحـاس» «وتصنع له شباكة صنعة الشبكة من نحاس» . «أربع حلقات من نحاس» وتصنع عصوين للمذبح عصوين من خشب سنط وتغشيهما بنحاس»[٥].

ويـدل كـل ذلـك عـلى أعمال تعتمد على النحاس والذهب والفضة، سواء بصورة خالصة أو للتغشية أي التلبيس، وخاصة تغشية الخشب، ولابد أنها كانت

---

(١) انظر: هذا البحث، ص ٣٩٨ ؛ Rothenberg , Timna , p. 173.

(٢) خـروج ، ٢٦ : ٦ ، ١١ . والشـظاظ: العـود الذي يدخل في عروة الجوالق وقيل خشبة عقفاء تستعمل للغرض نفسه، انظر: ابن منظور، المرجع السابق، ج٢ ، ص ٣١٨ .

(٣) خروج، ٢٦:١٥، ١٩، ٢٥.

(٤) خروج، ٢٦ : ٣٢، ٣٧. رززت الباب أصلحت عليه الرزة أي الجزء الثابت من الباب. انظر ابن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ١١٥٩.

(٥) خروج، ٢٨ : ٣٦.

أعمالاً معروفة وشائعة في المنطقة. ولكن نلاحظ أنها تتطلب مهارة فنية، فهي ليست حرفًا بدائية بل تعتمد على معرفة بطرق التغشية، والصب، والتشبيك مثلاً «شبكة النحاس» المذكورة أعلاه.

«ثــم تصـــنع صفيحة من ذهب نقي وتنقش عليها نقش خاتم»[١]. فلابد أنها كانت أمورًا مألوفة وحرفًا معروفة، ساعد عليها توافر المواد الخام في المنطقة الــتي جاء إليها بنو إسرائيل، وتوافر أدوات العمل ، وتوافر النموذج المحتذى ، والنموذج هو الأهم ، إذ كان موجودًا لدى أهل مدين كما نتوقع، وبعضه الآخر ربما مقتبس من المصريين أيضًا.

٢- **تمائم وتعاويذ وأختام** : نظرًا لاختلاط أهل مدين بالمصريين في تمنع وغيرها. وفي مجال انتقال الثقافات والعادات والتقاليد من الأرجح أن أهل مدين اقتبســوا من المصريين بعض عاداتهم وأفكارهم ، بل ربما معتقداتهم ، خاصة في الأحوال الاجتماعية. فاقتبس أهل مدين عمل التمائم والتعاويذ لطرد شر أو عيــن حاسدة، أو فك سحر، خاصة وأن السحر كان معروفًا وشائعًا بين الناس عامة وفي بعض المجتمعات خاصة. وقد عثر على بعض التمائم والتعاويذ؛ بل وعثر على تمثال مثبت مكان التميمة.

عثر في أرض مدين على العقيق الأحمر، وقد عثر على قطعة من هذا العقيق الأحمر مقطوعة بصورة مجوفة على شكل أخدود. ومن الواضح أنها تعويذة ذات طلاسم أو خطوط سحرية أو أعداد، أو شجرة الفبائية Ogham - Tree.

وعــثر عــلى قطعة بنية محمرة من حجر الرخام السماقي كان أحد وجهيها ناعمًــا، ويظهــر على الوجه الآخر ما يشبه عمودًا فقريًا على ظهر حيوان مع علامــات لعمــود آخر على الجهة اليمنى. وهنالك رقيقة (قطعة) حجرية كأداة

---

(١) خروج، ٢٨ : ٣٦.

خشـــنة محدبـــة مـــن أحد الوجهين ولاتحمل أية ملامح فنية وهي من الرقائق الحجرية اللامعة.

وعـــثر عـــلى كسرة من حجر اليشب الأخضر (حجر كريم) عليها عصائب طولية بيضاء، وكانت الكسر شبيهة بالأصداف، والحواف متشققة ومن الواضح أن القاعدة مكسورة.

وأخيـــرًا عـــثر عـــلى قطعة كرستال صخري شفافة Hyaline Quartz أي مرو شفاف يبدو أنها مصنوعة بتزيين العنق وتشذيبه[١].

وعثر في تمنع على مجموعة كبيرة من التمائم المصرية وهي مصنوعة من مـــواد متـــنوعة. فهنالك تمائم خزفية على شكل زهرة اللوتس، وزهرة البردي المتفـــتحة وتمـــائم مـــن حجر الدم Hematite ومن مادة شبه زجاجية Mica ومن المـــرو Quartz وهـــنالك تمائم من رقائق ذهبية وأخرى من عظام وخرز ملون بأشكال عديدة[٢].

والأرجـــح أن قطع المرجان، والحصى أو الحصيات ذات الأشكال الغريبة فـــي فقـــرة الحـــلي ربما تكون مستعملة كنوع من التمائم أيضًا، بالإضافة إلى الخـــزازات والأصداف المثقوبة، فمن الأرجح أنها كانت تستعمل كحلية وتعويذة أو تميمة من قبل أهل مدين.

وعـــثر عـــلى العديد من الأختام المصرية (الجعارين - جمع جعران - خـــنافس ســـوداء) في معبد تمنع ، وكانت تلك الأختام تحمل صور حيوانات وتصـــاميم هندسية، وكتابة هيروغليفية[٣]. ولكن لم يعثر على أي شيء من

(١) الأوغميـــة، ألفـــباء قديمة استعملها الإيرلنديون القدماء حوالي القرنين الخامس والسادس م.، على هيئة خطوط على جوانب شواهد القبور، انظر: بعلبكي، المرجع السابق، ص ٦٣٠.

Burton, Stones and Bones, vol 8, p. 302.

(٢) Rothenberg, Timna, p. 172.

(٣) Rothenberg , Timna , p. 166.

بيـن تلك الأشياء يمكن الجزم بأنه مدياني أو منسوب إليهم. وربما أن أهل مديـن كإخوانهم من عرب قبائل شبه الجزيرة العربية استعاضوا عن الختم باسـتعمال الوسـم. فقد استعملت القبائل العربية وسومًا متعددة، وخصصوا لكـل قبيـلة وسـمها الخاص بها، والذي تسمه على إبلها وجميع حيوانات قطعانها وبضائعها.

وقـد عـثر في الرسوم الصخرية على الكثير من تلك الوسوم. وكان لأهل مديـن حـظ مـن ذلـك التقليد والعرف السائد، بدليل وجود الوسوم في الرسم الصخري المدياني في مذبح الجو، والذي سبقت دراسته(١).

ونـتوقع أن يكون خير وسم يلائم أهل مدين هو شكل الهلال، فربما أن هذا الاحـتمال كان واقعيًا، حيث لبس أهل مدين الأهلة الذهبية وعلقوها على رقاب الإبل فلماذا لايكون هذا الشعار حلية ووسمًا.

نسـتخلص مما تقدم عن الحلي شيوع استعمال معدني الذهب والفضة وقبل ذلـك النحاس وتلاه الحديد والبرونز. وصنع أهل مدين حليًّا عديدة من الذهب خاصـة منها: حجول وأساور، وخواتم وأقراط، وقلائد وخزائم وحلق إضافة إلى الأهـلة الذهـبية، واستعملوا الخرز لعمل العقود، وأصدافًا بحرية، وقطع مـرجان. واسـتعملوا الذهب للتغشية، ومن ذلك الأفعى النحاسية ذات الرأس المذهب ونحو ذلك.

---

(٢) انظر: هذا الكتاب، ص ٤٠٩.

هـ - أدوات الاستعمالات العامة والأسلحة

ستكون دراسة هذه الأدوات على قسمين :

أولاً : أدوات الاستعمالات العامة ، ونقصد بها الأدوات التي يستعملها كل الناس يوميًا في المنزل، وفي الحقل الزراعي وفي ورشة العمل (المشغل)· والتي عثر على بعض منها في عدد من المواقع من أرض مدين·

ثانيًا : الأسلحة ، وتشمل معدات القتال والحروب في ذلك العصر· والتي عثر على قطع أثرية منها أو ظهرت كأشكال مرسومة من ضمن رسومات من النقش الصخري·

١- أدوات الاستعمالات العامة :

وأهمها الأواني المستعملة في المنزل للطبخ وللطعام والشراب وتخزين المواد الغذائية سواء كانت جافة كالحبوب مثلا أو سائلة كالأشربة من خمور ونحوها، أو دهون من سمن وزيت أو عسل ونحو ذلك·

وقد عثر على الكثير جدًا من هذه الأواني كآنية للطعام والشراب أو للزينة· وسواء كانت المعثورات عبارة عن أوانٍ كاملة من الفخار أو النحاس أو غيره أو كسر وبقايا أوانٍ فخارية مما وجد بالمئات من تلك الكسر في أرض مدين ومستوطناتها· وسبق أن تحدثنا عن الفخار وأوانيه، المتعددة الأغراض في فصل الفخار[1] ولكن سنذكر هنا بعض الأواني، واستعمالاتها·

اكتشف في تمنع في الموقع (رقم ٢) - وهو مخيم أو مقر صهر النحاس - معثورات غير معدنية قليلة جدًا منها: مجارش بأحجام مختلفة من حجر رملي أحمر حبيبي وقاس (صلب)· وعثر على صوانيات أخرى ومطارق حجرية من الجرانيت والحجر الرملي، ومدقات (هاونات) للسحق والطحن وعثر على بقايا

---

(١) انظر: هذا الكتاب، ص ٣١٧.

عظميـــة تمـــثل عظام وعول وماعز وبقايا أسماك من البحر الأحمر (أي بقايا مأكولات) ولكن موجود معها بقايا عظام حمير وعظام إبل أيضًا٠

وقد عثر على العديد من أدوات نحاسية مصنوعة محليا منها خرزات بسيطة وخـــاتم، ونصل سكين حاد، وإبرة، ومثاقب (مخارز)٠ وأسلحة نحاسية نذكرها فيما بعد[1]٠

وأمـــا الفخار فقد عثر عليه بكميات كبيرة في كل مواقع تمنع على اختلافها، ســـواء كـــانت مستوطنات سكنية أو مواقع صهر أو قرب المعابد والمذابح بين الصـــخور٠ وعـــثر عـــلى الفخار بأنواعه الثلاثة التي ذكرناها: الفخار العادي المصنوع على عجلة الفخاري، وفخار نمط النقب، والفخار المدياني، واتضح أن هـــذه الأنـــواع الثلاثة كانت مستعملة في الوقت نفسه، أي متعاصرة في بعض المواقـــع٠ وربمـــا أن هذه النتيجة تشكل السمات التراصفية التاريخية والعرقية للتنقيـــبات٠ فمن المهم أن نذكر أن فخار العجلة (الفخار العادي دون غيره) كان هـــو المســـاعد فعلاً في عملية التأريخ للموقع بسبب وجود مواد مشابهة يسرت عملية المقارنة وتحديد التأريخ٠

وقد عثر على النمط الفخاري الجؤجؤي من قدور الطهي الضحلة والمفتوحة بحواف صغيرة مثلثة الشكل وبلا مقابض، وهي مشابهة تماما لنماذج من قدور الطهي في فلسطين والبلدان المجاورة، من عصر البرونز٠

ووجـــد العديـــد من الطاسات الجؤجؤية ذات المقابض، وجرار التخزين ذات القاعدة الحادة والسميكة٠ وهذه يمكن تأريخها إلى تراث عصر البرونز الحديث وعصر الحديد الباكر٠ وهنالك اثنان منها بحواف ملفوفة (ملتفة) ذات دلالة على نوع منتشر في فلسطين من عهد الحديد الباكر.

وكـــان معهـــا أنماط أخرى من عصر البرونز الحديث منها دوارق بفوهات مـــثقوبة، أو مســـتديرة. وعلب مجوهرات (أحقاق). وبعض شظايا من مصابيح عميقة بحواف صغيرة وقواعد مستديرة.

---

(١) Rothenberg , Timna , p. 105.

وكان من أواني النقب بعض كؤوس صغيرة وطاسات بحواف مقلوبة وقواعد مستديرة. وبعض قدور طهي مستديرة القاعدة، وكان العديد من هذه الأواني محلى بدمغة الصانع، ليس فقط على قاعدتها؛ بل على الجوانب أيضًا. والدليل الحاسم على أن أواني النقب هذه أصلاً من تمنع يمكن إدراكه من شظايا خبث النحاس الممزوجة مع طين قدور الطهي.

ويمكن إضافة الكثير من أواني هذا الفخار المزخرف إلى مجموعة الفخار المدياني. وقد اشتملت على أوانٍ كاملة. وظهرت أيضًا طاسات بحجم أكبر مع معالجة بعجلة فخارية بطيئة وتطعيم ثقيل باللون الزهري أو الأصفر أو البني الداكن ومصقولة جيدًا.

وكان من بين الأواني الفخارية الكاملة (المديانية) قدور طهي بقاع مسطح وبجوانب مستقيمة وحواف متموجة قليلاً، وبدون زخارف. وهي من نمط الفخار المدياني ذي الطين الأصفر إلى الأحمر الفاتح وعادة مطعمة ومصقولة. وتوضح إضافة نماذج زخرفية اختلافات كثيرة حتى في المجموعات ذات الخطوط الأفقية والعمودية والمتموجة والمتعرجة بزوايا، أو التنقيط، والمتقاطعات، والمضفورة (المجدولة) وأنصاف الدوائر متحدة المركز. ويوجد أيضا تعديلات على الإطارات (ميتوب) أو البروز (تريجيلف) بخطوط قطرية مائلة وأخرى متعامدة (متصالبة) شبكية بتظليل أو مثلثات محشوة.

وهنالك تصميم زخرفي مركب كان مستعملا لبعض الكؤوس العميقة. وهو عبارة عن مثلثات رفيعة ثنائية اللون بفتحة (مثل عين) في طرفها العلوي ومغلقة من ثلاث جهات بخطوط مزدوجة بنية غامقة. ومرسوم في أعلى الكأس خط من المتقاطعات والنقط البنية وضعت بين خطين أحمرين. مما يضيف أهمية خاصة لهذا التصميم الزخرفي، وساعد هذا الفخار على تأريخ الموقع نفسه في عصر الحديد الباكر. وأقرب تأريخ هو القرن الثالث عشر ق.م. وكذلك الأمر بالمقابلة مع المعثورات المعدنية القابلة للتأريخ[1].

---

(١) Rothenberg , Timna, pp. 107-109.

ويـبدو أن الناس الذين عاشوا في هذه الفترة وتركوا كل هذه المواد والبقايا الآثارية، وأعادوا تشغيل معبد مناجم تمنع المصري بل وحولوه إلى معبد مدياني مقدس كانوا هم المديانيين[١].

عـثر فـي المنطقة (- ف -) في الموقع (رقم ٢) في مقبرة وبالقرب منها علـى كميـة غيـر معتادة الضخامة من كسر قدور فخارية بين الأحجار وبين الأنقاض على جانبي المنحدر. وكان يوجد الكثير من الكسر الفخارية المزخرفة من النوع المدياني وشظايا من قدور طهي مسودة وجرار تخزين ضخمة؛ وهي مصنوعة يدويا.

وتوجـد طاسـات من نمط النقب وصانعوه العمالقة، وهنالك معثورات غير متوقعة في موقع صهر النحاس؛ ومنها كثير من خرز خزفي ومزخرف، وعقيق أحمر، وأقراص من زجاج الشست، وحجر وزجاج، والعديد من ملاعق صغيرة (ملاعـق منبسطة أي مسطحة) من نحاس وإبر، وقواقع البحر الأحمر المثقوبة، وقواقـع بيـض نعـام، وقرون ماعز (موضوعة قصدا) وحلي ذكرناها سابقا. ويبدو أنها كلها هدايا نذرية في هذا المكان المقدس (باما - من المعليات) ويظهر أن المديـانيين هـم صناع هذه الهدايا النذرية النحاسية وربما هم أنفسهم صناع هدايا معبد حتحور أيضًا.

تـم العـثور على كسر فخارية كثيرة ملأت ٨٤ سلة ، علاوة على الأواني الكاملة[٢]. وجد في الموقع (رقم ١٩٩) عظام بشرية مبعثرة لأن المنطقة كانت مدفـنا، وعـثر على قدر طهي كامل وكبير من فخار نمط النقب. وعثر على دورق مديـاني جميـل الزخرفة وكسر فخارية مديانية مزخرفة. بالإضافة إلى العديد من الأدوات الحجرية وكمية من الخبث والفحم. وبلا شك فلابد أن الموقع معـبد أو مزار ملحق به مدفن على قمة « أعمدة سليمان » مع مذبح قائم على

---

(١) Rotheberg, Timna, p. 111.

(٢) Rothenberg , Timna , pp. 116 - 117 .

انظر البحث : ص ٤٣٣ عن الحلي : ص ٣١٧ عن الفخار ، الذي ينتظر الدراسة التاريخية.

طاولـــة الـــتقدمات، وطاسة سائل السكب أو التقدمة تليه تمامًا. وبالاستناد إلى وجـــود الفخـــار يـــتقرر بكل دقة أنه مدفن مدياني مقدس. وحتى شظايا الخبث والأدوات والفحم تعود إلى نوع من الصب الشعائري(١).

وعثر في العينية الواقعة شمال غرب تبوك على أدوات حجرية (من العصر الحجري الحديث) في داخل الحلقات الحجرية. وبعض هذه الأدوات ذات ترقيق متموج. وعثر على أنصال ذات أطراف مدببة، وبوجه خاص بأشكال هلالية.

وهذه الأشكال الهلالية جديرة بالملاحظة فلابد من دراستها ، وحبذا لو وجدنا تفصـــيلاً كافيًّـــا عن حجمها لربما أمكننا تبين الغرض منها، وهل كانت أدوات عمل أم حليا أو تقدمات نذرية(٢).

وعـــثر فـــي مدين أيضًا على بعض الأدوات الحجرية منها قطعة على شكل مخروط ناقص مثل عمود طبل من مرمر أبيض جميل ومثقوبة، وربما أنها من جبل اللوز لأنه محجر قديم، وكانت تستعمل كمدقة (يد هاون). وعثر على جزء من مدقة أخرى من حجر اللاقا المسامي الخفيف.

وعـــثر على مهرقة - أي حجر سحق، ومطحنة يدوية. وطواحين حجرية أخرى (٣).

وعثر على كسرة من مزهرية من الرخام الجيد وهي قطعة مصنوعة بإتقان، وأظهـــرت الحافـــة الداخـــلية أن الشكل الخارجي كأنه منحنى منتظم. وهنالك أسطوانة من جرانيت أسود وأبيض منقط بالمرو والفلسباد وقليل من الميكا، وهو حجـــر قـــوي صلب، وهذه معثورة غامضة لم تعرف ماهيتها بمقاس ١× ٤٥ سم وقطـــر ٢ ســـم ، ويستدق طرفها في الأعلى ، ويبدو أنها تستعمل لثقب المخاريط (الأقماع) وعثر عليها بين خرائب أم أميل وأطلق عليها اسم قمم بركانية.

---

(١) Rothenberg , Timna , pp. 118 - 119.

(٢) إنجراهام ، المرجع السابق ، ع ٥ ، ص ٦١ .

(٣) Burton , Remains of Buildings in Midian, vol. 3 , pp. 65, 75 - 76.

وهـنالك أحجـار مـن المرو تالفة بفعل حرق النار حتى تلونت بأحمر قاتم (مسود) وهي على شكل منشور.

وعـثر أيضًا على بعض الأشياء الغامضة على شكل صدفة (ودعة) ولكنها حصاة من المرو، أو من الكريستال الأبيض. وهنالك عدد من المطاحن اليدوية من أم القريات، وأم الحراب. ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع :

١- نوع خشن غير مصقول من اللافا البازلتيه (حجر البازلت). ويستخدم للأعمال الأولية الثقيلة.
٢- نوع جرانيتي أحمر، وجرانيتي أسواني يستخدم للمرحلة التالية المذكورة بعاليه.
٣- مطاحن تستحق الإعجاب؛ من الجرانيت الرمادي ، ناعم مثل الزجاج، وصلب مثل الحديد.

وترتفع حافة ثقب يد المطحنة وتنخفض بتركيز الدوائر وذلك بقصد التحلية. ويـتجه طبقها (جزؤها العلوي) إلى الحافة بانتظام. حتى تدور بتلقائية كأنها مكـنة. وعثر على الكثير من أواني فخارية بألوان مختلفة؛ رمادي، ومصفر، وبني غامق محمر(١).

كذلـك عثر على الكثير من الأوعية المديانية، المجلوبة إلى المعبد في تمنع كهدايـا نذريـة. بدليل أنه ليس بينها قدور طهي. واقتصرت المجموعة على زبديـات صـغيرة ومزخـرفة بأسـلوب جميل، ودوارق، وأباريق صغيرة. وتضـمنت زخـارف الأوعيـة أشكال طيور كبيرة ربما أنها طيور نعام ؛ في مجموعـات أو تركيـبات معقدة، مع تصاميم هندسية، وأشكال بشرية بأصابع منفرجة أيضا. ولباس للرأس غريب الشكل ومشابه لأشكال النقش (رقم٢) (٢).

---

(١) Burton, Stones and Bones, vol. 8, pp. 301-303.

(٢) انظر: هذا الكتاب، ص ٤٢٥. Rothenberg , Timna, pp. 155.

وعـــثر على موقد طهي صغير في الموقع (١٠١٧) في فناء المبنى. والموقد مبني من ألواح حجرية، بالإضافة إلى موقد آخر أو مدفأة مع الكثير من عظام الماعـــز، وعـــثر في الموقع (رقم ٢) على حفر تخزين جرسية الشكل (كأسية) ببطانة حجرية أو بدون [١].

وأما أهم الأواني التي عثر عليها فهي المباخر التي تستعمل لحرق البخور. وقد عـــثر عـــليها في المعبد. حيث وجد في فناء المعبد في الركن الجنوبي قطعة كبيرة مسطحة من حجر رملي أبيض موضوعة كقاعدة لمحرقة بخور مستديرة، وهو نمط مشابه لما عثر عليه في سرابيت الخادم، وعثر على ثلاث مباخر أخرى من النمط نفسه. وهي متداخلة في صف المذبح وموضوعة على قاعدة كعمود خشن من حجر واحـــد والبعض الآخر لها أكثر من حجر. وينتصب بين تلك المذابح ألواح حجرية قائمـــة ورفيعـــة مـــن الحجر الرملي الأبيض، وكان لأحدها قاعدة محددة (مسننة)، ومثبتة في حفرة مخروطية بعمق ٢٥ سم إلى قاع الصخر.

وعـــثر عـــلى وعـــاء فريد (نادر) متقن الصنع جدًا ويبدو أنه كان مستعملا للبخور أيضًا، وهو على شكل كأس مسطح القاع جانبه مسنن قليلاً، ومزخرف بسلاســـل، أو أســـراب طيـــور، وله مقبض مثبت بقاعدته، ومؤلف بالدرجة الأولى من ذراعين رفيعين ومتناظرين وعليهما زخرفة، ممتدان إلى حافة الكأس العـــليا، وبمقارنـــة هذه المبخرة بأواني تمنع من الفخار المدياني يتضح أن هذه المـــبخرة مجـــلوبة إلى تمـــنع كهدايا نذرية لمعبد حتحور، وبمقارنتها بالفخار المديـــاني المزخرف الذي عثر عليه في شمال غرب بلاد العرب يتضح أن هذه المـــبخرة النادرة بزخارفها تماثله. ويتضح أن هذا الفخار الجيد كان مجلوبًا إلى معبد تمنع من هناك، وربما من «المدينة الكبيرة قرية» والتي تبعد حوالي ١٦٠ كم جنوب العقبة، وعثر على قاعدة مبخرتين مع بعض الدوارق الصغيرة،

---

(١) Rothenberg , Timna , pp. 101-102.

ووجدت بعض مواد أخرى مثل أدوات تجميل، وإبر، وتماثيل صغيرة معدنية ونحوهـــا. ومن بين أدوات أخرى موجودة في المواقع المديانية المختلفة، عثر عـــلى أحـــد الأشياء النحاسية، وكان عبارة عن عارضة مربعة بطول ١٨ سم بطـــرفين عـــلى شكل أنشوطة (كلا الطرفين) أي بحلقة صغيرة في كل جهة. ويحتمل أن تكون عارضة ميزان [١].

أمـــا مواقع ورش العمل فقد عثر فيها على كتل خام النحاس إلى جانب كريات نحاســـية استخرجت من خبث المعدن بعد تكسيره، قرب الأفران العديدة الموجودة في مواقع الصهر. يضاف إلى ذلك وجود بعض المواد الأخرى مثل سكين كاملة، وقـــالب نحاس على شكل كعكة تزن حوالي ٧ كجم. وعثر على العديد من قطع مســـامية مـــن الخبث ذات لون فاتح بني أغبر (مرمد) في الموقع (رقم ٢). ولم يعرف الغرض منها، ولم يوجد تفسير آثاري ولا تعديني لها؛ بالإضافة إلى وجود عدد من حفر قرب الأفران مملوءة بنوى التمر، وعظام أغنام (متهشمة)، وعظام وأســـنان حميـــر، وقشور بيض النعام. والعديد من الخرز وكتل معدن النحاس، والصهور. وتحتوى حفر أخرى على كتلة صلبة من الفحم، وروث الحمير ومن الواضح أنها (أفران) ومعدة لنار الصهر، وحفر أخرى للتخزين[٢].

وعـــثر عـــلى بعـــض بواتق الصهر مع موقد الصهر. وهنالك واقية طينية (غطـــاء) صغيرة وكاملة لمنفاخ وإبرة نحاسية ذات ثقب (عين) لا زالت سليمة بالإضافة إلى العديد من أدوات سحق المعدن. وكان من أهمها مسمار مفصلي مصـــبوب في ثقب، وإبرة وخطاف. وتكدست في المنطقة - ف - في الموقع (رقـــم ٢) أكـــوام نفايات كثيرة وأحجار، وتتضمن ترابًا محترقًا وشظايا بواتق ملتصـــق بهـــا خبث، وفحم، وواقيات طينية لفوهات المنافيخ، مع بعض معدات حجرية مهشمة وكتل من بطانة جدار الفرن[٣].

---

(١) Rothenberg , Timna , pp. 150-151, 162, 172, 174.

(٢) Rothenberg , Timna , pp. 68, 78-79.

(٣) Rothenberg , Timna , pp. 81, 84, 105, 114.

ويوجد في وادي عربة بعض أفران أعطت فكرة جيدة عن مستوى تطور التعدين، والتقدم في تقنية فرن الصهر نفسه ، حيث أمكن التعرف على مرحلتين رئيستين لتطور فرن الصهر • وتمثلت في مراجل موقد الصهر البدائية (الأولية)، ثم ظهرت أفران البزل المعقدة والمتطورة• وكانت مواقع العمل في تمنع تقتصر على عمليات استخراج المعدن، وبعض الصناعات المحلية والبدائية، حيث لم تقم صناعة أدوات نحاسية متقدمة لا على مستوى التصنيع للاستعمال المحلي ولا للتجارة، وقد دلنا على ذلك الأدوات البسيطة التي عثر عليها[1].

وعثر على فأسين في مدين إحداهما من حجر المرو، والأخرى مشكوك فيها أهي فأس أم رأس رمح؛ مادتها من حجر أخضر جيد بخطوط بيضاء (مرو) وهي منشورية الشكل أيضًا ومتقنة الصنع[2].

ولايستغني مجتمع عن الحائك والنجار والخراز والنساج ونحو ذلك من المهن العديدة• والتي يفترض أنها كانت موجودة لدى أهل مدين• خاصة صناعة الركاب (الشداد) أي شداد الراحلة مثلاً من جلود وحبال من ليف ونحو ذلك.

وكان في موقع قرية صناعة نسيج منزلية• ويرجح أن إنتاج المنسوجات كان من أعظم أنشطة المدينة نظرًا لتوافر صوف الأغنام [3]. ونتوقع أن يكون الأمر كذلك في أكثر مناطق مدين نظرا لتوافر قطعان المواشي والعثور على بقايا نسيج ملون في معبد تمنع كما تقدم[4].

٢- الأسلحة :

يبدو أن أهل مدين لم يكونوا أهل حرب؛ بل كانوا أهل استقرار، وأمان

---

(١) Rothenberg , Timna , pp. 235 , 238.
(٢) Burton , Stones and Bones , vol. 8 , p. 302.
(٣) Mendenhall, Qurayya and The Midianites, vol. 2, p. 143.
(٤) انظر: هذا الكتاب، ص ٣٨٤. Rothenberg , Timna, p. 151.

وسلام، وهذه سمة مهمة لنمو الاقتصاد والتجارة، ولحماية الناس المستقرين في مدنهم ومزارعهم وحرفهم ونحو ذلك. ولم يعرف عنهم خوض الحروب ماعدا محاربة بني إسرائيل لهم، أولاً: في عصر النبي موسى (عليه السلام) في القرن الثالث عشر ق.م. بعد خروج بني إسرائيل من مصر. وثانيًا: محاربة بني إسرائيل لهم أيضًا في عصر القاضي جدعون في القرن الحادي عشر ق.م[١].

ولكنهم عرفوا القتال ومعداته وظهرت بعض أسلحتهم في رسومات فن النقش الصخري التي أشرنا إليها سابقا مثل السيف ، والخنجر والدرع (الترس) ودبوس القتال (هراوة) ونحو ذلك. ولم يعثر إلا على القليل من الأسلحة مثل رؤوس الرماح، ورؤوس السهام[٢].

وكانت أداة القتال المشهورة هي السيف، ولم يعثر على شيء إلى الآن. ولكن ظهر السيف في لوحات الرسم الصخري، وجاء ذكره في التوراة في كل المعارك التي خاضتها بنو إسرائيل مع أهل مدين، ومع العمالقة، ومع أهل كنعان وموآب وإدوم وجميع الأمم، والشعوب التي حاربوها. « فتجندوا على مديان كما أراد الرب وقتلوا كل ذكر. وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم أوى وراقم وصور وحور ورابع. خمسة ملوك مديان وبلعام بن عور قتلوه بالسيف» [٣].

وبعد حصار أريحا «وحرموا كل مافي المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف»[٤] ونحو ذلك من الشواهد التوراتية عن استعمال السيف في القتال. حيث كان السيف أهم أسلحة العصور القديمة. بالإضافة إلى الخناجر، والمدي الصغيرة، والسهام والرماح، والنبال وأهم معدات الحروب الدفاعية كانت التروس أو الدروع وخوذة الرأس ونحو ذلك.

---

(١) انظر: هذا الكتاب، ص ٥٦٢، ٥٧٦.

(٢) Rothenberg, Timna, pp. 68, 105, 173, 238.

(٣) عدد، ٣١ : ٧ – ٨.

(٤) يشوع، ٦ : ٢١.

نرى أنه كان لدى أهل مدين بعض المهن والحرف منها: الزراعة والرعي، والتجارة، ويحتمل الصيد البحري في المناطق الساحلية؛ إضافة إلى صناعة الفخار، صياغة الحلي، وصناعة بعض التمائم والتعاويذ وصناعة الأختام، التي يحتاجها التجار لتمييز وتحديد ملكية بضائعهم. صنعوا من الفخار أدوات الاستعمال اليومي وهي أواني الطعام والشراب والتخزين. واستخدموا بعض الأدوات الحجرية مثل المطاحن، والمجارش، والمطارق، والمدقات.

واستخدموا النحاس لصناعة خرز للحلي ولصناعة سكاكين وإبر ومثاقب إضافة إلى أسلحة نحاسية أيضًا. ثم نذكر أدوات الحقل من فؤوس ومناجل ومحاريث ونحو ذلك.

وقامت في قرية صناعة نسيج منزلية عثر على بقاياها وكانت تستمد خاماتها من أصواف قطعان المواشي.

وأخيرًا قامت لدى أهل مدين صناعة أسلحة مثل السيف، والخنجر والدرع ودبوس القتال. وعموما عثر على القليل من رؤوس الرماح والسهام.

ونتوقع أن المجتمع لايستغني عن الحائك والنجار والخراز، وصناع الجلود لصنع شداد الجمل، وصناعة الحبال ونحوها.

الفصل الخامس

العلاقات

علاقة أهل مدين بجيرانهم

أ – لمحة عن مجتمعات جنوب بلاد كنعان وفق الوثائق الكتابية والآثارية :

أولاً : شعوب مجاورة لأهل مدين :

١ – الآموريون. ٢ – الكنعانيون. ٣ – القدمونيون.

٤ – اليبوسيون. ٥ – بنو عناق (العناقيون).

٦ – الموآبيون (موآب) ٧ – الإدوميون (إدوم). ٨ – القينيون.

ب – علاقات أهل مدين بمصر وبلاد كنعان :

١– لمحة موجزة عن تاريخ مصر.

٢– العلاقات بمصر وكنعان.

ج – العلاقات بسكان مناطق شبه الجزيرة العربية :

أولاً : القبائل المجارة لأهل مدين :

١– عماليق – وعلاقتهم بأهل مدين وبني إسرائيل.

٢– الإسماعيليون.

٣ – بنو المشرق.

٤ – سكان أرض مدين (قبيلة جذام).

ثانيًا : قبائل عربية أخرى ومدن.

لمحة عن مجتمعات جنوب بلاد كنعان

وفق الوثائق الكتابية والآثارية

أولاً - شعوب مجاورة لأهل مدين :

نقـــدم هـــنا عرضًا موجزًا عن بعض الشعوب، التي كانت تسكن بجوار أهل مدين. ونخص بالدراسة أممًا ذات علاقات، وصلات مباشرة أو غير مباشرة مع أهل مدين خلال حقبتهم التاريخية في عصر البرونز الحديث وما تلاه.

وقـــد ذكرت التوراة في نصوص عديدة بعض تلك الشعوب وصلتها بأرض الميعاد، وما جاورها مثل : « القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والآموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين»[١]. وأضاف نص آخر أمة أخرى هي : «الحويّون»[٢].

---

(١) تكوين، ١٥ : ١٩ – ٢١.

الحثيون החתי – Hittites شعب هندو أوربي استوطن شرق الأناضول في الألف الثانية ق.م. كونوا مملكة قوية وحضارة عريقة. وكان لهم صلات سلمية وعدائية ببلاد الرافدين، وبلاد الشام، ومصر. وكان لهم تأثيرات حضارية مميزة. انظر: الخارطة رقم ١٢، وانظر The Cambridge Ancient History, Op. Cit., vol. 1, Part 2B, pp. 683, 700; HB, Dic., Op. Cit., p. 399.

(٢) « الآموريـــن والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين» انظر: خروج، ٣٣: ٢، ٣٤: ١١؛ تثـنية، ٧ : ١؛ ٢٠ : ١٦ – ١٨. الحوريـــون – החרי Hurrians-Horites-Hivites وهـــم الحوريون الذين وفدوا من أواسط آسيا إلى شمال شرق بلاد الرافدين منذ أواخر الألف الثالثة ق.م. واســـتوطنوا ســـفوح جـــبال زاجروس وأحضروا معهم الحصان. وكانت عاصمتهم نوزي (واشـــوكاني) ثـــم توسعـــوا غربًا إلى الساحـــل الشرقي للبحـــر الأبيض المتوسط. وكانت لهم ممـــلكـــة حكمهـــا قـــادة عسكريـــون باســـم « مملكة ميتاني »، وكان لهم صراع مع الدولتين المصريـــة والحيثية.

وتزوج فراعنة مصر بنساء ميتانيات وسكن بعض الحوريين جبل سعير في أرض إدوم قبل ==

وكـــان كـــل أولئك أممًا وشعوبًا تسكن في مناطق بجوار أرض مدين. وكان لأهـــل مدين ببعض تلك الشعوب صلات وروابط. كما كانت لهم صلات مماثلة بأهل مصر وأهل بلاد الرافدين أيضًا. يضاف إلى ذلك علاقات أهل مدين بسكان وقـــبائل شـــبه جزيـــرة العرب سواء القبائل الساكنة في المناطق التي تقع إلى الجنوب من أرض مدين أي داخل بلاد العرب، أو أمم وشعوب الجنوب العربي. وكـــانت بعض القبائل ذات صلات قرابة ونسب، والبعض الآخر بمثابة جيران. وقد نشأت بين أهل مدين وكل أولئك علاقات تجارية واجتماعية، ومحالفات؛ أي علاقات سياسية.

وذكـــرت الـــتوراة بعض القبائل والشعوب التي كان لها اتفاقات (أحلاف) أي صلات سياسية مع أهل مدين بصورة خاصة وواضحة. «واجتمع جميع المديانيين والعمالقة وبنو المشرق معًا وعبروا ونزلوا في وادي يزرعيل» «وكان المديانيون والعمالقة وكل بني المشرق حالين في الوادي كالجراد في الكثرة»[(١)].

ويفيـــد الـــنص السابق وجود شعوب أخرى سكنت المنطقة وتحالفت مع أهل مدين.

١ – الآموريون : The Amorites

عـــرفوا فـــي الـــلغة السومرية باسم مارتو Martu، وفي اللغة الأكادية باسم آمورو Amurru. وهي في الأصل مصطلح جغرافي، وتعني الغرب أي المنطقة الواقعة غرب نهر الفرات[(٢)].

== مجيء الإدوميين. واسم الحوريين يعنى سكان الكهوف. وقد عثر على القليل من الشواهد الأثرية عـــلى ســـكناهم كهوف إدوم. وكان من مدنهم المهمة جبعون، وبيروت «الحويين سكان جبعون»، انظـــر: يشـــــوع ١١ : ١٩، الصفدي، هشام، "**الوجيز في تاريخ حضارات آسية الغربية**"، دمشق، ١٤٠١هـــ، ص ص ٢٣٠، ٢٣٧؛ Pritchard, J., **Gibeon**, Princeton, 1962, pp. 34, 44.

(١) قضاة، ٦ : ٣٣؛ ٧ : ١٢.

(٢) The Cambridge Ancient History, Op. Cit., vol. 1, Part 2A, pp. 562-566. ==

وقـد اعتـبر الآموريـون مـن أقدم الشعوب السامية التي دخلت بلاد الشام (سـوريا) واسـتقروا فيها وكونوا لهم دولة عاصمتها مدينة ماري Mari أي تل الحريـري وذلـك في الألف الثالثة ق.م. (حوالي ٢٥٠٠ ق.م.)[١]. ويظن أنهم كـانوا (عمالقـة)، أي تميـزوا بضخامة الأجسام وطول القامة[٢]. وكانوا بدوًا جواليـن يـرعون قطعانهم ثم استقروا وتمدنوا. واعتمدوا على الحمار كواسطة للنقل والحمل في هذه الفترة القديمة.

ووفقًـا لمرويات التوراة كان سيحون סיחן Sihon ملك الآموريين ساكنًا في حشـبون فـي عصر خروج بني إسرائيل من مصر. وكان عوج עוג Og ملك باشان، وهو رجل من الجبارين[٣].

== هالدار، إلفرد، "العموريون من هم، وما هي مواطنهم" ؟ ط١، تعر. شوقي شعث، أبجدية المعرفة، دمشق، ١٩٩٣م، فقرة ١١ – ١٢، ٢٩، ١٠٨؛ الصفدي، **الوجيز في تاريخ حضارات آسية الغربية**، ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

(١) Albright, The Biblical Period, p. 24; Gray, Op. Cit., pp. 23-24.
حتى، فيليب، "تاريخ سورية ولبنان وفلسطين"، تر. جورج حداد، عبدالمنعم رافق، راجعه جبرائيل جبور، بيروت، ١٩٨٥م، ص٦١، ٧٠، هالدار، المرجع نفسه، فقرة ٢١، ٢٨، ١١٤.
ومدينة ماري موقع سوري هام. يقع على بعد ٥ر٢ كم من مجرى نهر الفرات الأوسط، وتبعد عن «أبـو كمال» بحوالي ١١ كم على الحدود بين سوريا والعراق. وتأتي أهم الشواهد التاريخية من آثارهـا فـي معبد عشتار بطبقاته الستة الموجودة فيها (a-f) . وكانت دولة مدينة، من ملوكها : لمجى ماري Lamgi-Mari، وزمري ليم Zimrilim.
The Cambridge Ancient History, Op. Cit., vol. 1, Part 2, p. 291 ff.

(٢) عدد، ١٣: ٢٧ – ٣٣، الخليلي، المرجع السابق، ص ٤١.

(٣) Gray, Op. Cit., pp 2, 139; ؛ حـتى، **تـاريخ سـوريا ولبـنان وفلسـطين**، ص ٧٠ وما بعدها؛ الخليلي، جعفر، "الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ"، بغداد، ١٣٧٩هـ، ١٩٧٩م، ص ٤٣؛ هالدار، المرجع السابق، فقرة ٢٤، ٢٩، ١٠٨–١٠٩، عدد، ٢١:٢١، ٢٦، ٣٣ – ٣٤؛ وذكر عوج باسـم عاج، وأنه كان ضخم الجثة جدًا، انظر الطبري، تاريخ، ج١، ص ٢٢١ وما بعدها. وكان مـلكًا على باشان הבשן Bashan وتعني الأرض الناعمة، وهي أخصب هضبة تنتج الحبوب في جنوب سوريا، وتشمل منطقة جبل الدروز. وحكم عوج مملكة كورة أرجوب ארגב Edrei وتقع فـي باشان بالإضافة إلى مدينة أذرعي אדרעי Edrei ومدينة سلخة סלכה Salecah، انظر : تثنية ٣: ١، ٤ – ١٠. وانظـر : HB. Dic., Op. Cit., p. 96-96; Odelan and Seguineau, Op. Cit., p 60.
وكـانت مـدن كـورة أرجوب ٦٠ مدينة وهي مملكة عوج في باشان وكانت كلها مدنًا محصنة بأسوار وذلك عدا قرى الصحراء الكثيرة، تثنية ٣ : ٤ – ٥ ؛ انظر: الخريطة رقم (١٠).

وقامت حرب بين سيحون ملك الآموريين وبني إسرائيل لأن سيحون رفض طلب النبي موسى (عليه السلام)، وهو أن يسمح له سيحون بأن يمر عبر أرضه، رغم الوعد والتعهد من قبل بني إسرائيل بالمرور فقط. فأشعل هذا الرفض حربًا أدت إلى الاستيلاء على أرض سيحون من أرنون إلى يبوق إلى حدود بني عمون. فأخذ بنو إسرائيل جميع مدن الآموريين في حشبون، وما تبعها من القرى. ودمروا المدن من حشبون إلى ديبون إلى نوفح إلى ميدبا، وأسروا بنات الملك سيحون[1].

وكان لسيحون ملك حشبون اتفاق مع أهل مدين ضد موآب، فطرد سيحون الموآبيين من شمال أرنون، أي كانت تقوم مناوشات على الحدود ساعده فيها أهل مدين ضد الموآبيين. وكان الآموريون أهل زراعة، وحرف (صناعات). وأنهم قاموا بفرض الإتاوات على المدن التابعة لهم[2].

وهكذا نرى أن منطقة الآموريين كانت تشمل مدنًا عديدة. وكانت ذات قوة مسيطرة في المنطقة. وتعقد المحالفات والاتفاقات مع قوى مجاورة في المنطقة مثل أهل مدين.

٢ – الكنعانيون : הכנעני The Canaanites

ورد في التوراة تعريف أو تحديد لبلادهم : «والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن»[3]، أي من سواحل البحر الأبيض المتوسط إلى وادي الأردن.

وهنالك وصف لهذه الأرض بأنها «أرض تفيض لبنًا وعسلاً إلى مكان

---

(١) عدد، ٢١ : ٣٠؛ وحشبون חשבון Heshbon- تقع مدينة حشبون في شرق الأردن في شمال موآب استولى سيحون عليها واتخذها عاصمة له، ومعنى الاسم «الخطة»، انظر : HB. Dic., Op. Cit., p. 388 Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 159. انظر الخارطة رقم (١٠).

(٢) موسل، المرجع السابق، ص ٧٨.

(٣) عدد، ١٣ : ٢٩.

الكـنعانيين والحثيين والآموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين»[١]. جاء هذا الوصــف لــلأرض عــلى لسان الجواسيس الذين أرسلهم النبي موسى (عليه السلام) ليتجسسوا أرض كنعان[٢].

وكــنعان اسم قديم أطلق على المنطقة وسكانها ظهر منذ حوالي منتصف الألف الـثانية ق.م. وكــانوا مــن مؤسسي حضارات عصر البرونز الباكر حيث ذكرت الشواهد الآثارية والوثائق المصرية أنهم كانوا في الفترة بين ٣٢٠٠-٢٩٠٠ق.م[٣].

وكــنعان أو كناجي : اسم أكادي الأصل يدل على مهنة، وقد اشتق من مهنة اشــتهر بها فئة سامية من أهل بلاد الشام منذ الألف الثالثة ق.م. وهي صباغة الصــوف باللون الأرجواني (وكان الصوف مادة تنتجها القطعان ويعتمد الرعاة عليها بصورة رئيسة). ومن ثم أطلق هذا الاسم على منطقة انتشارهم الجغرافية «سورية وفلسطين»[٤].

وشــمل اسم كنعان الساحل السوري (الذي سيعرف فيما بعد باسم فينيقيا بما أنها أرض الصبغ الأحمر أو الأرجوان. وهنالك محاولة اشتقاق الاسم من كلمة Kinahhu أيضًــا وتعطــي المعنى نفسه «حمرة صبغة الصوف»[٥]. وظهر اسم كــنعان منذ منتصف الألف الثالثة ق.م. في نصوص إيبلا Ebla واستعمل الاسم «كــنعان» في رسائل تل العمارنة واستعمله العبريون أيضًا. وظهر منذ أواخر عصــر الــبرونز (١٤١١ – ١٣٥٨ ق.م.) تقريبًا للتعبير عن "رب عدى" ملك جــبيل، أي أن مدينة جبيل من كنعان. وجاء الاسم أيضًا عند ذكر شؤون صيدا

---

(١) خروج، ٣ : ٨.

(٢) « أرســل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان » عدد ١٣ : ٢، ١٣ : ٢٧ – ٣٣؛ سورة المائدة، الآية: ٢٢، ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ص ١١٠ – ١١١.

(٣) The Cambridge Ancient History, Op. Cit., vol. Part 2A., p 234.

(٤) Gray, Op. Cit., p. 25.

(٥) وقــد حصلوا على هذه الصبغة من أصداف بحرية محلية توجد في هذا الشاطئ للبحر الأبيض وهي تدعى الميورقة أو Murix وهي الصبغة المعروفة باسم (Kinahhu, Gr. Phoinix) انظر : Gray, Op. Cit., pp. 15, 47.

وصور وأوغاريت (رأس شمر) وحاصور. وتضاف إلى هذه المدن التي ذكرت رسائل العمارنة بأنها كنعانية مدينة جرار Gerar (تل جمة) جنوب غزة. وكانت أهـم مـدن الكنعانيين في الجنوب مدن سهول فلسطين حاصور ومجدو وعاي وغيرها. وكان الكنعانيون على درجة كبيرة من التحضر وبخاصة في مضمار الديـن والأدب والفـنون. وحملت كلتا الحضارتين الآمورية والكنعانية تأثيرات سـومرية - أكاديـة مـن بلاد الرافدين. وبرع أهل كنعان عمومًا في مجالات صناعية متعددة أهمها التعدين. فقد كانوا لا يبارون في تلك الصناعة في الفترة بيـن (٢١٠٠ - ١٢٠٠ق.م.) بالإضـافة إلى صناعة العاج والزجاج وصناعة الأقمشة، وأصبغتها، وكان أهم أصباغهم الأرجوان.

وقد خضعت بعض بلاد كنعان للحكم المصري في الفترة (٢٠٠٠ - ١٨٠٠ ق.م.) وخاصة فلسطين والشاطئ الفينيقي[١].

تبدأ حدود بلاد كنعان من رأس إسكندرونة إلى رأس جبال الكرمل. وذكرت التوراة ملوك كنعان في صيدا، وصور، ثم ذكرت تحالف ملوك كنعان في غرب السـهل الأوسـط لفلسـطين قـرب سهول مجدو و«يابين» יבין Jabin ملك حاصـور ورئيـس جيشه «القائد سيسرا» وشمل اسم كنعان منطقة «حاصور» الـتي حـافظت على الصلة مع مدن الساحل الفينيقي أي بلاد كنعان. وشاركت معهـم في حضارتهم وعقائدهم الدينية، حسبما تم إثباته بوفرة بواسطة الشواهد الآثارية. وأطلق لقب ملك كنعان على ملك حاصور «يابين» في سفر القضاة[٢].

---

(١) Gray, Op. Cit., p. 15; Albright, The Biblcial Period, p. 24, HB. Dic., Op. Cit., pp. 151-152;

حـتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٩٤ وما بعدها. وكنعان بلد غني بخيراته، ولكنه مفتوح وعرضة للهجوم من الشرق والغرب، انظر الخريطة رقم (١١).

"**Everyday Life in the Bible Times**", Pub. By The National Geographic Society, Melvin, 1968, p. 208.

(٢) قضـاة، ٤ : ٢، ٧، ٢٣ - ٢٤؛ ٥: ١٩، عـدد ١٣ : ٢٩، يشوع، ١٣ : ٤؛ إشعيا، ٢٣ : ١١، وحاصور : مشتقة من حصر : أي الساحة المسورة חצור Hazor وكانت المدينة الرئيسة ==

والمهـم أن مصطلح كنعان، والكنعانيين يدل من جهة على ثقافة أو حضارة أكثر مما يدل على مجموعة عرقية. ويطلق من جهة أخرى على الساميين أصحابها، الذين كانوا أكثر العناصر السكانية عددًا فطبعوا روح الشعب وعاداته ونظامه، ولغته.

وتكمن أهمية أرض كنعان والكنعانيين أنفسهم في موقعهم وكونهم حلقة وصل بين خطوط مواصلات وطرق من مختلف الاتجاهات. فتعد أرض كنعنان معبرًا بين مصر والأناضول وبلاد الرافدين. وهي أيضًا جسر من أوربا إلى آسيا. وهي أخيرًا إمتداد مكمل لأرض شبه جزيرة العرب بمثابة أرض أمامية لها. والتي خرجت منها الهجرات السامية الرعوية بحثًا عن الكلأ في فصل الصيف. ثم تتحول إلى غزو بعد موسم الحصاد ثم استيطان واستقرار. وهكذا استوطن الآموريون في الألف الثالثة ق.م. ومنهم الكنعانيون ثم الآراميون في مطلع عصر الحديد بين ١٤٠٠ – ١٢٠٠ق.م[١].

ويحدد الاسم فعليًا سامي سوريا وفلسطين بما فيهم الآموريون، الذين أصبحوا يحملون اسم كنعان في الألف الثانية ق.م. وقد ثبت كل ذلك من الوثائق الآثارية من مختلف المواقع والشواهد الكتابية الوفيرة وبخاصة من مدن ماري وإيبلا ورأس شمر (أوجاريت)، أي من أواسط نهر الفرات، إلى الساحل الشمالي لسوريا.

وكانت المنطقة في أوج ازدهارها في فترة النفوذ السياسي المصري، وتغلغل مصالح بلاد الرافدين التجارية في أواخر عصر البرونز حوالي (١٦٠٠ –

== في كنعان الجنوبية، انظر : HB. Dic., Op. Cit., p. 375-376, Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 154.

وسيسرا סיסרא Sisera قائد الملك يابين كان ساكنا مدينة خروشة Odelain and Seguineau, Op. Cit., P. 355; Harden, Op. Cit., pp. 21, 41.

(١) Gray, Op. Cit., pp. 25, 30.

١٢٠٠ ق.م.)، فقــد قــام هــؤلاء الكــنعانيون بدور الوسطاء بين مصر وبلاد الــرافدين. وكانوا قادرين بفضل موقعهم الجغرافي الفريد أن يقدموا مشاركتهم العظــمى للــتطور البشري فقدموا الأبجدية. (الأبجدية الكنعانية حوالي منتصف الألف الثانية ١٥٠٠ ق.م.)[١].

وأثبتت رسائل العمارنة من عهد أمنحوتب الثالث وأمنحوتب الرابع (إخناتون ١٣٧٠ – ١٣٥٠ ق.م.) الــتي كــان يرســلها الموظفون المصريون والأمراء الإقطــاعيون حكام مدن كنعان، أن اللغة البابلية القديمة كانت هي اللغة الدولية المشتركة في الشرق الأدنى عامة وكنعان خاصة[٢].

أما التأثير المصري على كنعان فقد برهن عليه بقايا المواد المصرية العائدة إلى الألف الثالثة ق.م.، والتي اكتشفت بقاياها في مدن جبيل وأوجاريت، ومجدو وعــاي وغيــرها، وبرهــنت عليه أيضًا مواضيع النقوش الجنائزية، والرسوم الجدارية في مصر مثل رسوم مقابر بني حسن من عصر الدولة الوسطى. وقد ازدادت هذه الشواهد خلال الألف الثانية ق.م.

وكانت أهداف مصر في كنعان بالإضافة إلى الحصول على فيروز، ونحاس شــبه جزيرة سيناء من هناك جلب الأخشاب الثمينة والصوف والزيت والخمور برًا وبحرًا. ثم تصدير ورق البردي Papyrus من مصر إلى بلاد كنعان[٣].

---

(١) Gray, Op. Cit. pp. 15-17.
وظهرت المطامع الاقتصادية لبلاد الرافدين في خيرات بلاد الشام في ملحمة كلكامش الملك البطل الذي قتل حارس غابة الأرز هواوا Huwawa أو خواوا للحصول على خشب الأرز، ثم بعد ذلك امــتد نفوذ سرجون الأكادي (حوالي ٢٣٥٠ ق.م.) إلى بلاد الشام. انظر: باقر، "**ملحمة كلكامش**"، ص ص ٥١ – ٥٢؛ مقدمة في تاريخ الحضارات، ص ٣٦٥.

(٢) حــتى، تــاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ١٣٧؛ Albright, The Biblical Period, p. 14, Gray, Op. Cit., p. 38.

(٣) The Cambridge Ancient History, Op. Cit., vol. 1, Part 2 A, p. 550; Gray, Op. Cit., p. 25-26.
انظر: الشكل رقم (٢٧).

ويرجح مشاركة أهل مدين في هذا النشاط الاقتصادي بين مصر وبلاد كنعان خاصـــة الفعاليات والأنشطة التي كانت تمر عبر سيناء. ونستنتج ذلك من واقع المشاركة المديانية في أعمال التعدين في سيناء.

أما إطلاق اسم فلسطين على جنوب كنعان نتج عن إغارة أقوام شعوب البحر Sea People عـــلى مصــــر وبلاد كنعان[١]. وكان من بينهم الفيلستر Philister الذين جاءوا من جزيرة كريت[٢].

وبعـــد استقرار شعوب البحر هناك كونوا اتحاد المدن الخمس وهي : غزة، وعســقلون، وعكـــرون، وأشدود، وجات في السهل الساحلي. وكان بالتالي اسم فلسطين يقتصر على هذه المنطقة في بادئ الأمر ثم عم استعماله على الأجزاء الأخرى من البلاد.

نشـــب بيـــن الفلســطينيين وبيـــن بني إسرائيل صراع طويل، ودمروا لبني إسرائيل مدينتهم شيلوه المقدسة. أما القدس «أورشليم» فكانت المركز والقلب في جنوب بلاد كنعان – فلسطين[٣]. ومن شعوب المنطقة :

الفرزيون - הפרזי **The Perizzites-**[٤].

الجشـــوريون – הגשורי Geshurite مـــن جشـــور Geshur. وهـــي مملكة آرامية[٥].

---

(١) وشـــعوب البحر هم : البلست (الفلستر) ومنهم اشتق اسم فلسطين، والشردان من سردينيا. والثكر أو الشاكاروشـــا أو سيســـل من صقلية. والمشوش أو الوشاش. والداينونا، انظر: فخري. مصر الفرعونية، ص ص ٣٧٢، ٣٧٤.

The Cambridge Ancient History, Op. Cit., vol. 2, Part 2 A, p. 366.

(٢) عيـــاد، محمد كامل، "تاريخ اليونان"، دمشق ١٤٠٠هـــ، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٨٠؛ فخري. مصر الفرعونية، ص ٣٧٤. Gray, Op. Cit., p. 37.

(٣) Heaton, E.,"**Everyday Life In Old Testament Times**", London, 1956, P.33; HB., Dic., Op. Cit., pp 463, 943.

ويعتـــبر جالوت גלית Goliath- وأخوه من أهل مدينة جات Gath- أي من الجاتيين وكان خصمًا لداود (عليه السلام)، انظر : HB., Dic. Op. Cit., p. 348 - 349.

(٤) تكوين، ١٣ : ٧؛ خروج، ٣: ٨، ١٧ ؛ ٢٣ : ٢٣ ؛ ٣٣ : ٢؛ ٣٤ : ١١؛ تثنية ٧ : ١؛ ٢٠ : ١٧ يشوع، ٣: ١٠؛ ٩ : ١؛ ١١ : ٣؛ قضاة، ٣ : ٥ ؛ HB., Dic., Op. Cit., p. 772.

(٥) الآراميـــون شعب سامي استقر في بلاد الشام منذ حوالي ١٤٠٠ ق.م.، وذكرت رسائل العمارنة أخبـــار الأخلام (أحلامـــو) أي الآراميين، وذكروا سابقا بنفس الاسم في المصادر الأكادية ،==

المعكيون : המעכתי The Maacathite-[١].

القنزيون : הקנזי The Kenzzites-[٢].

٣ – القدمونيون הקדמוני Kadmonites- .

يرتـــبطون بالقنزيين والقينيين، واسمهم يعني «الشرقيون» بالنسبة إلى فلسطين، لأن القدمونيين يسكنون غرب نهر الفرات أي شرق فلسطين[٣].

الرفائيون : הרפאים The Rephaites "Rephaim"-.

ويدعون زمزميون وإيميون[٤].

الجرجاشيون – הגרגשי The Girgashites -

وبنو عمون בני עמון Sons of Ammon, Ammonites.[٥]

== أســس الآراميون دويلات مدن متعددة في بلاد الشام كان من أهمها مملكة آرام النهرين، وآرام صوبا، وآرام معكة، وجشور ودمشق، وبيت رحوب، وبيت أديني، وبيت زماني، كما أسسوا لهم ممالك في بلاد بـابل. وكـان لهـم نشـاط تجاري بري واسع جدًا، وسارت قوافلهم التجارية فانتشرت لغتهم « اللغة الآراميــة» بل أصبحت لغة رسمية في أكثر بلاد الشرق الأدنى ماعدا مصر، وآسيا الصغرى، وقام اتحـادهم في نهاية فترة الأموريين. انظر : دوبونت، سومير، "الآراميون"، تر. الأب ألبير أبونا، حولية سومر، بغداد، ١٩٦٣م، عـ ١٩، ٢٠١، ص ٩٦ وما بعدها. الخازن، المرجع السابق، ص ص ٩٤ – ٩٦.

Moscati, S., "The Aramean Ahlamu", Journal of Semitic Studies, Rome, Oct. 1959, vol.4, no. 4, p. 303, Gray, Op. Cit., pp. 25, 30, 102.

(١) تكوين، ٢٢ : ٢٤، يشوع، ١٣ : ١٢ – ١٣؛ HB. Dic., Op. Cit., p. 588.

(٢) تكوين، ٣٦ : ١١، ١٦، ٤٢؛ Jewish Ency., Op. Cit., vol. 7, p. 466, HB. Dic., Op. Cit., p. 523, Odelain and Seguineau, p. 233.

(٣) تكوين، ١٥ : ١٩؛ Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 231, p. 466; HB. Dic., Op. Cit., p.522

(٤) تكوين، ١٤ : ٥؛ ٥١ : ٢٠؛ تثنية ٢ : ٢، ١٠ – ١١، ٢١؛ HB. Dic., Op. Cit., pp. 863, 1155, Odelain and Seguineau, Op. Cit., pp. 317-318, 392, 403, 116.

التســميات بمعانيهـــا المختلفة و ربما أنهم كانوا يمارسون الطبابة فيخاف منهم البعض. وسكن الرفائيون في وادي الرفائيين. انظر يشوع ١٥ : ٨.

(٥) « فلـم يرد الرجل أن يبيت بل قام وذهب وجاء إلى مقابل يبوس هي أورشليم ومعه حماران ==

٤ – اليبوسيون הַיְבוּסִי The Jebusite[١].

جــاء في التوراة ذكر اليبوسيين في مواضع عدة. وأشارت إليهم بكونهم أمة من الأمم القاطنة في منطقة بلاد الشام.

ويــبوس قرية كنعانية في وسط فلسطين، لأن اليبوسيين من نسل كنعان[٢]. «وكنعان ولد صيدون بكره وحثا واليبوسي والآموري والجرجاشي... وبعد ذلك تفــرقت قبائل كنعان»[٣]. وتعرف التوراة أن يبوس هي مدينة أورشليم (القدس) فــي نصــين مــن سفر يشوع «إلى جانب اليبوسي من الجنوب هي أورشليم» «وصــيلع وآلف واليبوسي هي أورشليم»[٤] وفي سفر القضاة «وجاء إلى مقابل

== مشــدودان وسريته معه وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جدًا قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا. نعبر إلى جبعة» «ونزل التخم إلى طرف الجبل مقابل وادي ابن هنوم الذي في وادي الرفائيين شــمالاً ونــزل إلى وادي هنوم إلى جانب اليبوسيين من الجنوب»، انظر : تكوين ١٠ : ١٦؛ HB. Dic., Op. Cit., p. 348; Odelain and Sguineau, Op. Cit., p. 139.
قضــاة، ١٩ : ١٠ – ١٢. وأصــل القصة عن رجل لاوي عاش في فترة القضاة قبل قيام ملك في إســرائيل، انظــر: قضاة ١٩ : ١، ويُبس : بالضم نقيض الرطوبة وهو مصدر، واليبس : اليابس وشــيء يبوس: كيابس. وأرض يبس قد يبس ماؤها وكلؤها، ويبس صلبة شديدة. والتيبس بالتحريك المكان يكون رطبًا ثم ييبس، منه قوله تعالى : ﴿... فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسا ...﴾ سورة طــه، الآيــة : ٧٧؛ ويقــال أيبست الأرض : يبس بقلها وأيبس القوم. انظر : ابن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ١٠٠٣. يشوع، ١٨ : ١٦، وادي هنوم– Hinnom –.

(١) تكوين ١٩ : ٣٠ – ٣٨؛ أبو طالب، محمود، " آثار الأردن وفلسطين القديمة"، ط١، ١٩٧٨م، ص ٨٠. HB. Dic., Op. Cit., p. 26; Baly, D., "**The Geography of the Bible**", New York, 1957, p. 232.

(٢) ظاظا، حسن، "أبحاث في الفكر اليهودي"، دمشق، ١٤٠٧هـــ، ١٩٨٧م، ص ١٩.
HB. Dic., Ibid, p. 449.

(٣) تكوين ، ١٠ : ١٥ – ١٦، ١٨.

(٤) يشوع، ١٥ : ٨، ١٨ : ٢٨.

يبوس هي أورشليم»[١] وكذلك الأمر في أسفار أخرى[٢]. ويكون بذلك يبوس اسما لأورشليم أو القدس قبل عهد النبي داود (عليه السلام) وقد ذكر ذلك في نصوص تل العمارنة أيضًا، ولكن لم يذكر اسم يبوس في نصوص الشرق الأدنى القديم الأخرى وكان اليبوسيون قوة حربية كبرى في البلاد المرتفعة في الفترة السابقة لتأسيس مملكة إسرائيل وما بعدها أيضًا أي قبل القرن الثاني عشر ق.م. إلى فيما بعد القرن العاشر ق.م. ثم خبا ذكر يبوس ولم تعد تذكر في فترة ما بعد السبي إلى بابل (٥٨٦ ق.م.) وبقي اسم أورشليم مستعملاً فقط[٣]. رغم استمرار وجود اليبوسيين فيها كما ذكرته التوراة «وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم، فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم»[٤]. ونرى في هذا النص تأكيدًا مكررًا مرتين أنه لا بني يهوذا ولا بني إسرائيل استطاعوا طرد اليبوسيين من مدينتهم أورشليم (يبوس أو القدس). وقد استمر ذلك إلى يوم تدوين هذا السفر من التوراة، فهي ليست رواية معاصرة، وقيل إن التوراة دونت في القرن السادس ق.م.، أي في فترة السبي البابلي. أي أنهم سكنوا معًا إلى يوم كتابة هذا النص المنقول عن رواية يشوع[٥].

٥ – بنو عناق – בני ענקים - ענקים Anak –Anakims

جاء عنهم «فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين إلى رحوب في مدخل حماة صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون وكان هناك أخيمان وشيشاي وتلماي بنو عناق». وقال الجواسيس «غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز

---

(١) القضاة، ١٩ : ١٠.

(٢) صموئيل الثاني، ٥ : ٦ – ٩ ؛ ٢٤ : ١٨ – ٢٥.

Mazar, A., "**Archaeology of The Land of The Bible, 1000-586 B.C.**", New York, 1990, p.369.

(٣) صموئيل الثاني، ٢٤ : ١٨ – ٢٥؛ HB. Dic., Op. Cit., p. 449.

(٤) يشوع، ١٥ : ٦٣. ورد في نصوص اللعن أن القدس كان يحكمها زعيمان أو ملكان هما يقرعامو Yakirammu وشيزانو Shayzanu، انظر : Gray, Op. Cit., p. 20.

(٥) قضاة، ٨ : ٨، ١ : ٢١، أورشليم – ירושלם -Jerusalem ؛ ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، ص ص ١٩ – ٢٠؛ يشوع، ١٠ : ٣، ٥؛ انظر الخريطة رقم (١٠).

والمدن حصينة عظيمة جدًا وأيضًا قد رأينا بني عناق هناك». «رأينا فيها أناسًا طوال القامة. وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة»(١).

هذا توضيح كامل لمنطقة كان يسكنها بنو عناق، ووصف لضخامة أجسامهم فهم قوم عظام وطوال، وتأكيد لحصانة مدنهم(٢).

كان هؤلاء العناقيون قبيلة كنعانية، أهلها عمالقة من نسل عناق(٣).

وأمـــا اشتقاق اسمهم فيأتي من العَنَق بالفتح، طول العنق وغلظه، ومنها عنق عـنقًا فهـو أعنق والأنثى عنقاء. والعنق والعنيق من السير، وعنق جذعة هي الأنـثى من أولاد الماعز. والعناق أيضًا من دواب الأرض كالفهد طويلة الظهر تصيد كل شيء حتى الطير(٤).

وقـد حاربهم يشوع وأخرجهم من الجبل من حبرون ومن دبير ومن عناب وقضى عليهم هناك، ولكنهم بقوا في غزة وجت وأشدود. ثم طرد كالب العناقيين الـثلاث شيشاي وأخيمان وتلماي (ويبدو أنهم كانوا حكام مقاطعات). ويبدو أن مديـنة حـبرون (الخـليل) كان يحكمها «أربع أبي عناق» وكانت تعرف باسم «قرية أربع»(٥). Kerioth Arbaa(٦).

---

(١) عدد، ١٣ : ٢١ – ٢٢، ٢٨، ٣٣. وذكر أخيمان وشيشاي وتلماي أيضًا في سفر القضاة ١ : ١٠.

(٢) تثنية، ١ : ٢٨؛ ٩ : ٢، يشوع، ١٤ : ١٢.

أخيمان – אחימן -Ahiman
شيشاي – ששי -Sheshai
تلماي – תלמי -Talmai ويبدو أن مقرهم كان في مدينة حبرون في كنعان، انظر :
HB., Dic., Op. Cit., pp. 942, 1016; Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 17.

(٣) HB., Dic., Op. Cit., pp. 28-29.

(٤) ابن منظور، المرجع السابق، ج٢، ص ص ٩٠٤ – ٩٠٥.

(٥) يشوع، ١١ : ٢١ – ٢٢؛ ١٥ : ١٤؛ ٢١ : ١١؛ قضاة، ١ : ١٠، ٢٠.

(٦) وتحـتفظ المديـنة باسمها منسوبة إلى حاكمها «أربع» الكنعاني وليس إلى اسم المعسكر اليهودي حاليًا، د. الصـفدي، مناقشـة، وهناك Hattavah –Kibroth بمعنى قبور الشهوة أو الرغبة الجنسية. انظر : Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 233; HB. Dic., Op. Cit., p. 526.

ويظن أن الإيميين - הָאֵמִים The Emites - شعب كبير، ويتصف أيضًا بـالطول كالعـناقيين، وكانوا هم سكان بلاد موآب. ويعتبر بنو عناق والإيميون «رفـائيون» أيضـًا. وأطـلق الموآبيون عليهم اسم الإيميين[1]. وربما أنهم كانوا يمارسون مهنة الطبابة أيضًا. أو أن الاسم لحق من مارس تلك المهنة منهم.

٦ - الموآبيون - موآب - מוֹאָב -Moab

هـو مـوآب بـن لوط أخو ابن عمى من الأب، وهو أبو الموآبيين. وكانت مـنطقة مـوآب الهضـبة التي تقع شرق البحر الميت. يحدها من الشمال نهر أرنون[2].

ويجـيء اشتقاق موآب في اللغة العربية من آب إلى الشيء : رجع، والأوب الرجوع، وأواب وتأوب وأيب يؤوب مآبا. وقيل : جاءوا من كل أوب : أي من كـل مآب ومستقر. والأوب : القصد والاستقامة، والنحل أيضًا سميت كذلك لأن النحل ذاهب، راجع. فإذا جنح الليل آب. ومآب : اسم موضع من أرض البلقاء، وقيل مدينة وقيل بلد[3].

بدأ التصادم بين الموآبيين وبين بني إسرائيل منذ خروج الأخيرين من مصر، فكـانت لهـم حـرب مـع ملك موآب، الذي أخذوا منه أرضه قبل محاربتهم الآموريين[4].

---

(١) تثنية، ٢ : ١٠ - ١١.

(٢) تكويـن ، ١٩ : ٣٦ - ٣٨؛ ويجري نهر أرنون إلى الضفة الشرقية من البحر الميت ويذكر دائمًا على أنه الحد الشرقي لموآب وهو أيضًا الحد الجنوبي لعمون ويعرف اليوم باسم وادي مجيب.
HB. Dic., Op. Cit., pp. 65, 643, Odelain and Seguineau, Op. Cit., pp. 37, 268-9; Noth, Op. Cit., p. 154.
انظر الخارطة رقم (١٠).

(٣) ابـن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ١٢٦ - ١٢٨، ج١، ص ٢٢٢، ١٢٧٤ واسم موآب في الـلغة العبرية مشتق من : מוֹאָב - מֵי אָב = مي - آب وتعني ماء أو بذور الأب، أو مـن : יָאַב = يـأب : أي يـرغب، وتعني الأرض المرغوبة، أو من : Immo-ab وهذا اختصـار لعبارة «أمه تكون أبيه» Jewish Ency., Op. Cit., vol. 8, p. 633 وهي معاني توافق رواية التوراة. ونلاحظ تطابق المعنى العربي المستقر مع المعنى العبري «الأرض».

(٤) عدد ، ٢١ : ٢٦.

ويبدو أن ذلك كان إدعاء ومبالغة من بني إسرائيل. فقد استمر الموآبيون في مقاومتهم ضد بني إسرائيل. وعاشوا في أرضهم إلى فترة القرنين الثامن والسابع ق.م. وقد بدأ استقرارهم منذ القرن ١٤ ق.م. أو بداية القرن ١٣ ق.م(١).

كان بالاق بن صفور ملك موآب בלק בן צפור- Balak Son of Zippor وقد عد حاكمًا إقطاعيًا لدى سيحون ملك الآموريين، ثم استولى على الحكم بعد سيحون(٢)، ولكنه خاف جدًا من بني إسرائيل لأنهم كانوا على وفاق وسلم مع بني عمون. وفعلاً قاست مملكة موآب من اعتداء بني إسرائيل كثيرًا رغم تحذير الرب لهؤلاء بعدم معاداة الموآبيين. «فقال لي الرب لا تعاد موآب ولا تثر عليهم حربًا لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثًا، لأني لبني لوط قد أعطيت عار ميراثًا»(٣).

وكان بالاق ملك موآب الخصم الرئيس في قصة بلعام، إذ أن بالاقا لما رأى قتال بني إسرائيل له وللآموريين، وغيرهم خاف منهم، وأبلغ شيوخ مدين بما فعلت إسرائيل. وكان بالاق خائفًا على الحقول الزراعية وأن بني إسرائيل سيأكلونها «الآن يلحس الجمهور كل ما حولنا كما يلحس الثور خضرة الحقل»(٤). فيتعرض شعب موآب للجوع. لذلك قرر بالاق أن يرسل وفدًا من شيوخ موآب، وشيوخ مدين، وزودهم بحلوان العرافة (مكافأة العرافة) إلى بلعام بن بعور - בלעם בן בעור -Balaam Son of Beor وكان مقيمًا في مدينة فَتُورَ פתורה - Pethor. وطلب الوفد من بلعام أن يأتي معهم إلى بلادهم ويلعن ذلك الشعب (بني إسرائيل)(٥). ويهمنا في هذه

---

(١) انظر :هذا الكتاب، ص ٥٧٦. ياسين، خير، "الموآبيون"، عمان، ١٩٩٠م، ص ٢٤.

(٢) عدد، ٢٢ : ٢.

(٣) تثنية، ٢ : ٩. ياسين، الموآبيون، ص ص ٢٧، ٣٠؛ Jewish Ency., Op. Cit., vol. 2, p. 469.

(٤) عدد، ٢٢ : ٤.

(٥) عـدد، ٢٢ : ٢ – ٨. ثبت موضوع هذه القصة أيضًا من النقوش التي عثر عليها في دير علا. وإن كان الخلاف حول تأريخها قائمًا، انظر: Mazar, Op., vol. 2, pp. 330, 542. وبلعام رائي ==

القصـــة ذكر «شيوخ مدين» ودورهم، وعلاقة موآب بمدين. فنستنتج إضافة إلى علاقـــة الجـــوار فهناك اتفاق وتحالف أي سياسة وفاق وتعاون، واتخاذ موقـــف موحـــد ضد عدو مشترك وخطر داهم. لحماية المصالح والأهداف المشـــتركة. ويـــنوب شيوخ مدين عن ملوكهم في هذه المشاورات والتدابير. ويمكـــن تفسير عدم تفاوض الملك بالاق مع ملوك مدين الخمسة المذكورين فـــي حـــرب مدين ضد بني إسرائيل أو أحدهم على الأقل؛ بأن الخطر كان محدقًـــا بمديـــن أيضًـــا. ولا يستطيع أي ملك ترك بلاده في ظروف كهذه، فـــأوفدوا شيوخ مدين نيابة عنهم في التفاوض وليكونوا مستعدين للذهاب إلى بلعام مع شيوخ موآب. وقد سبق أن قام ملوك مدين بإعانة سيحون ضد بني إسرائيل فكانوا على حذر.

ثم تأتي بقية قصة بلعام، الذي عاد مع شيوخ موآب وشيوخ مدين[1].

== ســـوري مشهور بقوة لعناته ولكنه استشار الله في أمر بني إسرائيل الذي منعه في الحلم عن لعن إســـرائيل أو تأييد موآب، انظر : المرجع السابق، ص ص ٨٣-٨٤ Woodrow, M., People From The Bible, Italy, 1987, p. 49; HB. Dic., Op. Cit., p. 90, Odelain and Seguineau, Op. Cit., pp. 56-7.

(١) مـــرتفعات بعل במות בעל -Bamoth Baal والباما أو الباموث هي المكان المرتفع أو الأمـــاكن المـــرتفعة (المعـــليات) حيـــث تمكـــن بلعام من رؤية الشعب، انظر : Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 57، عدد، الأسفار، ٢٢، ٢٤. ياسين، الموآبيون، ص ٣٦؛ Jewish Ency., Op. Cit., vol. 2, p. 470. ويمكـــن مقارنة هذا الأسلوب بما كان يمارسه الفراعنة في مصر في تسجيل اللعنات على شيوخ القبائل السامية كل منهم باسمه، واسم مدينته، ومواقعهم في فلســـطين. يدونونها على جرار فخارية يتم تحطيمها فينتقل التأثير السحري إلى أصحابها حسب أســـمائهم فيمـــا عرف باسم نصوص اللعن Execration -Texts ويدل لجوء الفراعنة لأسلوب الـــلعن عـــلى معرفـــتهم بأفكار الساميين الغيبية أي «معرفة عدوهم» والإفادة من هذه المعرفة. وعرف من تحيات الملوك لدى العرب في الجاهلية «أبيت اللعن» وقد قالها عبدالمطلب ابن هاشم رئيـــس وفـــــد قريش لسيف بن ذي يزن. ومعناه : أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه وتذم بسببه، ابن منظور، المرجع السابق، ج ١، ص ١١.

وقــد دون النص الفريق الإسرائيلي المنتصر، ولم يعثر على رواية مقابلة لــدى الطــرف الآخر، فمن الطبيعي أن يدعي المنتصر أنه حصل على التأييد الديــني المعنوي، بدليل أن بلعام كان كاهنًا كبيرًا. ويحتمل أن بني إسرائيل قد اســتمالوه مقــابــل إغــراءات أكــبر. ثم بعد ذلك قتلوه بحد السيف مع ملوك مدين[1].

وقــام اقتصـــاد موآب على زراعة القمح والحنطة وتربية قطعان المواشي، وتعــرف موآب بأنها أرض الرعاة، وكشفت التنقيبات الأثرية عن بعض المدن القديـمــة فــي مــوآب مــثل العاصــمة ديبون (ذيبان)، ومأدبا (ميدبا)، وكر (كراك)[2].

---

(١) «وبــلعام بن بعور قتلوه بالسيف»، عدد، ٣١ : ٨، قال تعالى : ﴿ وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانســلخ مــنها فاتــبعه الشــيطان فكان من الغاوين ﴾ الأعراف، الأية : ١٧٥، السيوطي، تفسير الجلاليــن، ص ٢٢٠، الطــبري، تــاريخ، ج١، ص ٢٢٦. ويدل موضوع اللجوء إلى قوة اللعن وتأثيرها على الخلفية الإثنولوجية- الدينية لدى الفريق (الموآبي والمدياني وبلعام) وجوهرها عبادة الخصب المقترنة بالإله الكنعاني «بعل». مثلما تكشف عن ضعف عسكري، عدد، ٢٥ : ١. وجاء عــن كزبى «واسم المرأة المديانية المقتولة كزبى بنت صور»، انظر عدد، ٢٥ : ١٥؛ ٣١ : ٨، انظر البحث ص ١٤٦.
HB. Dic., Op. Cit., p. 945; Jewish Ency., Op. Cit., Vol. 2, p. 470; Noth, Op. Cit., p. 155.

(٢) المــلوك الثاني، ٣ : ٤ – ٢٠؛ ٢٤ : ٢؛ Odelain and Seguineau, Op. Cit., pp. 14, 192. وجاء تأريخ آخر لفترة حكم آحاب (٨٦٩ – ٨٥٠ ق.م.) وهو مذكور في الوثائق الآشورية فقد قدم للملك الآشوري شلمنصر الثالث ٢٠٠٠ مركبة وعشرة آلاف جندي أخذهم شلمنصر أسرى فــي معركة قرقر ٨٥٣ ق.م. HB. Dic., Op. Cit., pp. 16, باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص ص ٥٠٤ – ٥٠٦؛ ياسين، الموآبيون، ص ١٨١
وجــاء ذكر موآب في الوثائق الآشورية اعتبارًا من القرن الثامن ق.م. فقد قدمت موآب ضريبة للإمــبراطورية الآشورية في عهد الملك آشور بانيبال ٦٦٨ – ٦٢٧ ق.م. ثم شنت موآب حربا ضد قبائل عربية تمردت على السيادة الآشورية – مما يدل على قيام علاقات بين الإمبراطورية الآشــورية ومملكة موآب. وجاء حكام الإمبراطورية البابلية فقضوا على مملكة موآب في عهد الملك نبوخذ نصر ٦٠٤ – ٥٦٢ ق.م HB. Dic., Op. Cit., p. 644. Jewish Enxy., Op. Cit., Vol. 8, p. 633-634; Baly, Op. Cit., pp. 235, 236, 238.
باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ص ص ٥٠٤ – ٥٤٨.
Kenyon, K., "Archaeology in The Holy Land, London", 1970. p. 244.

٧ – الإدوميون – إدوم – אדום – Edom

الإدوميون Idumea – Edomites اسم أطلقه الكتاب اليونان بعد السبي إلى بابل ٥٨٦ ق.م. واسم إدوم مشتق من جذر سامي، ويعني «أحمر». وأطلق هذا الاسم على عيسو بن يعقوب. والإدوميون من نسل عيسو هذا. (ويعني هذا أن اسمهم كان معروفًا من السابق، وقد استعمله الكتاب اليونان في كتاباتهم)، وقيل: بل هو اسم لمنطقة جنوب البحر الميت على جانبي وادي عربة، بسبب حمرة الحجر الرملي في هذه المنطقة. ويشكل الشاطئ الشمالي لخليج العقبة حد إدوم الجنوبي، وكان لإدوم ميناء إيلات وميناء عصيون جابر على خليج العقبة. أما الحدود الغربية فكانت غير ثابتة، واستقر الإدوميون عند جبل سعير بعد أن طردوا سكانه الحوريين[١].

لقد أثبتت التنقيبات الأثرية سكنى هذه المنطقة قبل خمسمائة ألف سنة. وكان فيها كثافة سكانية منذ منتصف العصر الحجري القديم (الباليوليثي)، ثم في عصر الحديد الثاني (٩٠٠ – ٦٠٠ ق.م.).

وسكنها الأنباط (٣٣٠ ق.م. – ١٠٦)، ثم البيزنطيون (٣٢٤ – ٦٤٠م) ويمر درب الملوك عبر القطاع الشرقي من إدوم[٢].

وردت أبكر إشارة إلى إدوم في رسالة مصرية تعود إلى نهاية القرن الثالث عشر ق.م. وكانت بشأن إعطاء إذن بدخول قبيلة الشاسو البدوية من إدوم إلى دلتا

---

(١) تكوين، ٢٥ : ١٩ – ٢٦؛ ٣٦ : ١ – ٨؛ ١٤: ٦. وينسب اسم سعير (شعير) שעיר - Seir إلى عيسو الذي كان كثير الشعر؛ أي مشعر، حسب رأي المؤرخ يوسيفوس، ولكن قيل أن الجبل كان معروفًا بهذا الاسم من السابق، ويشمل سعير المنطقة المحصورة بين البحر الميت وخليج العقبة، انظر: Jewish Ency., Op. Cit., vol. 5, p. 40; Mazar, A., **Archaeology of The Land of the Bible, 10,000-586, B.C.**, New York, 1992, p. 444.; HB. Dic., Op. Cit., pp. 246, 418.; Odelain and Seguineau, Op. Cit., pp. 104-105, 332; Baly, Op. Cit., p. 239. انظر: الخريطة رقم (١٠).

(٢) Odelain and Seguineau, Op. Cit., pp. 321-332.

النيل الشرقية. وكانت البتراء (سلع) عاصمة إدوم[1]، ثم أصبحت بصرى عاصمة إدوم. ويمــر بهــا درب الرومان من «نوفا تريانا - Nova Triana». أي عبر إدوم ويتجه شمالاً إلى بصرى، وجنوبًا إلى العقبة. وتتفرع من هنالك طرق أخرى إلى الشــرق والغــرب. واعتمد اقتصاد إدوم على الأنشطة الزراعية والرعوية أيضًا، خاصة في القطاع الشرقي، واشتغلوا بتعدين النحاس كذلك. وكان عماد اقتصادهم مع الزراعة، والتجارة. وتمر طرق القوافل التجارية بأرضهم[2].

ويهمــنا ذكر الملك «هداد بن بداد» خليفة الملك حوشام من بين ملوك إدوم. فقد جاء عنه أنه هزم مدين «هداد بن بداد الذي كسر مديان في بلاد موآب»[3].

وقد أشرنا إلى تحالف قام بين موآب ومدين ضد إدوم. فلابد أن ذلك التحالف تــم فــي عهد هذا الملك الإدومي، «هداد بن بداد». وقد حارب أطراف الحلف، ولكــن لا نــدري لماذا خصت التوراة مدين فقط بالكسر والهزيمة. هل انتهت الحــرب مع موآب بالصلح فتصالحا، واستمرت مدين إلى أن هزمت ربما. أو هــل استولت إدوم على أيلة ونعرف أن أيلة كانت ميناء لمدين على خليج العقبة وأن اســم الميناء ينسب إلى أيلة بنت مدين. ولربما اعتبروا هذا الاستيلاء على الميناء نصرًا لإدوم وكسرًا لمدين.

وقد قيل إن بني إسرائيل سكتت عن إدوم لمدة أربعمائة سنة ولم تحاربهم إلا

---

(١) Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 321.

(٢) بصــرى - בצרה -Bozrah وتعني قلعة. وبناء على تنقيبات C.M. Bennett اتضح أن إزدهــار بصــري كــان بين القرنين ٧- ٦ ق.م.، وربما استمرت إلى القرن الرابع ق.م. وتقع بصــري في قلب إدوم. وكانت سالع في القرن الثامن أقوى حصونهم في عهد الملك أمازيا ٨٣٨ ق.م.، تكوين، ٣٦ : ٣١ – ٣٣ – ٣٩؛ عدد، ٢٠ : ١٤ – ٢١؛ الخازن، المرجع السابق، ص ٧٠ ؛ HB. Dic., Op. Cit., pp. 141, 246, 247; Jewish Ency., Op. Cit., Vol. 5, pp. 40-41; Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 76.; Kenyon, Op. Cit., pp. 256-257; Odelain and Seguineau, Ibid, pp. 104-105. Baly, Op. Cit., p. 114.

(٣) تكوين، ٣٦ : ١٥ – ١٩، ٣٥ : ٤٠ – ٤٣ HB. Dic., Op. Cit., p. 246, Jewish Ency., Op. Cit., vol. 5, pp. 40-41.

فـــي عهـــد الملك شاؤل، وهزمهم الملك داود بعد ذلك بأربعين عامًا تقريبًا في وادي الملح، وعين حاكمًا عليهم واستعبدهم(١).

ولم تقم حرب بين أهل إدوم وبني إسرائيل إلا في عهد الملك شاؤل. حاربهم وهزمهم؛ بل أذلهم واستعبدهم. واستخدم «دواغ الإدومي» דאג האדום Doeg The Edomite- فعيـــنه رئيـــس رعاة الملك شاؤل. وكان دواغ موكلاً على عبيد شاؤل، ثم حارب دواغ مع الملك داود وقتل ٥٨ رجلاً من الكهنة(٢).

ويـــبدو أن علاقـــة إدوم بـــأهل مدين كانت قوية جدًا وثابتة. فنرى أن هدد الإدومي من الأسرة المالكة، أو ربما كان ملكًا، عندما أراد أن يهرب من الملك ســليمان، فــر عبر أرض مدين. فقد كان هدد غلامًا صغيرًا، وكان معه رجال إدوميــون من عبيد أبيه. وكانوا قاصدين أرض مصر فأتوا إلى مدين واستعدوا وخرجوا منها إلى مصر(٣).

---

(١) Jewosh Ency., Op. Cit., vol. 5, p. 41.
وســنحت فرصة بقيام الفرعون شيشق שישק Shishak (٩٤٥ ق.م.) بغزو المنطقة فاستقل الإدوميون. ثم خضعت إدوم ليهوذا في عهد الملك يهوشا فاط יהושפט Jehoshaphat (٨٧٤ – ٨٥٠ ق.م.) وثــارت عــلى يهوذا مرة أخرى واستقلت لمدة ٥٠ – ٦٠ عامًا ثم أخضع الملك أخزيا אחזיה Ahaziah إدوم مرة أخرى وهكذا دواليك إلى أن حل الأنــباط محــل إدوم مــنذ القرن الرابع ق.م.، انظر الملوك الأول، ١٤: ٢٥؛ ٢٢ : ٤٧ – ٤٩؛ وأخبار الأيام الثاني، ١٢ : ٢ – ٩؛ ٢٠ : ٣٥ – ٣٧؛ HB. Dic., Op. Cit., pp. 246, 945

(٢) صـــموئيل الأول، ١٤ : ٤٧؛ ٢١ : ٧؛ ٢٢ : ٩ ؛ ٢٢ : ١٨ ؛ صموئيل الثاني، ٨ : ١ – ٢؛ ١٠ : ١٤. المــلوك الأول، ٩ : ٢٦؛ ١١ : ١٤. وطـــال الصـــراع بين إدوم وبني إسرائيل بسبب الثروة المعدنيـــــة في منطقة إدوم والنزاع على السيطرة عليها. Kenyon, Op. Cit., p. 256. ؛ تكوين، ٣٦ : ٣٥؛ Noth, Op. Cit., p. 155.

(٣) الملوك الأول، ١١ : ١٤ – ١٨؛ المزامير، ١٣٧ : ٧؛ عوبديا ١ : ١، ٨؛ Jewish Ency., OP. Cit., vol. 5, p. 40.
وقد عثر على الختم الرسمي لقوس عنال – Qaws-^{c}Anal – الذي كان خادمًا للملك إضافة إلى الفخار المذكور.

Mazar, Op. Cit., pp. 444, 450, 542; Baly, Op. Cit. p. 239.

وقد عثر على بقايا فخار إدومي في شمال صحراء النقب مما يدل على أنه كان لهم وجود في هذه المنطقة.

٨ – القينيون : הקיני Kenites-

يكتب اسمهم بصيغ مختلفة Kayn-Kain-Qayin-Cain سكن القينيون بلاد كنعان أيضًا، وهم قبيلة احترفت التعدين متجولة أحيانًا، ومرتبطة بصلة قرابة مع أهل مدين، ومع بني إسرائيل أيضًا. عملوا بالتجارة أثناء استقرارهم وترحالهم في إقليم عربة شمال سيناء – أي عبر الصحراء الممتدة من بحر الجليل إلى خليج العقبة، في الفترة من القرن الثالث عشر إلى القرن التاسع ق.م[(١)].

قيل إنهم من نسل ابن آدم وحواء «قاين» – קין -Cain (قابيل) ويعني اسمه «حداد»، وقيل إن ابن لامك توبال قايين كان يشتغل بأعمال النحاس والحديد. وبنى قايين أول مدينة وأطلق عليها اسم ابنه «حنوك»، ومن مواقع القينيين «خربة ياقين» معروفة حديثًا تقع جنوب شرق حبرون (الخليل) على بعد سبعة أميال تقريبًا[(٢)].

وربطت التوراة « يثرون » الكاهن أو الرئيس المدياني حمو النبي موسى (عليه السلام) وصهره بهؤلاء القينيين، بوصفه رئيس القبيلة التي دعاها إلى عبادة الإله الواحد. وحمل النبي موسى (عليه السلام) الدعوة بعد ذلك إلى بني إسرائيل، وقادهم في الخروج من مصر حوالي القرن الثالث عشر ق.م.

---

(١) تكوين، ١٥ : ١٩؛ ٤ : ١، ٢١، ١٧؛ Noth, Op. Cit., p. 57.

(٢) Ency. Brit, Mic., Op. Cit., vol. 5, p. 758; Noth, Op. Cit., p. 57.

علمًا بأن توبال قايين من الجيل الثامن بعد آدم، انظر HB. Dic., Op. Cit., pp. 149, 522, 524, 960 وحاول ج. مندن هول ربطهم بأصل غير سامي مثل ما فعل مع أهل مدين كما تقدم وكان معتمدًا على معاني الأسماء فقط مع أنه ذكر أن Kan في اللغة الفارسية تعني حفار المنجم أي Miner. انظر : Mendenhall, The Tenth Generation, p. 89.

كان نشاط القينيين معاصرًا لعصر قضاة بني إسرائيل في القرنين ١٢ – ١١ ق.م. بل كانوا متعاونين معهم، عندما قامت ياعيل – יעל -Jael زوجة حابر القيني – אשת חבר הקיני -Heber the Kenite بقتل سيسرا סיסרא Sesiera رئيس جيش يابين ملك كنعان، وكان مقر هذا الملك (يابين) مدينة حاصور. وكان ليابين (٩٠٠) مركبة حديد يقودها الجيش برئاسة سيسرا[١].

ويتضح أن ياعيل وزوجها حابر كانا ضد يابين ملك كنعان، لخلاف نشب بينهم. فقامت لذلك هذه المرأة بمساعدة جيش بني إسرائيل، الذي كان يقوده باراق بن أبينو عم ברק בן אבינעם Barak Son of Abinoam من قادش نفتالي، رغم أنه كان قد تم الصلح بين يابين ملك حاصور وبين بيت حابر القيني[٢].

قصة هذه العلاقات غامضة وتحفها المبالغة. ونتساءل لماذا غدرت ياعيل بسيسرا الذي لجأ إليها فأمنته، بل وأطعمته وسقته ؟ وكيف تمت هذه الخيانة بعد أن تصالح الملك يابين مع بيت حابر القيني ؟ وما هي المكافأة التي نالتها ياعيل لقاء فعلتها ؟ وما هي مكانة بيت حابر ؟

الجواب المحتمل أن هذه المرأة آمنت بالدين الجديد فهي مؤمنة موحدة انضمت إلى أتباع النبي موسى (عليه السلام).

---

(١) قضاة، ٤ : ١ – ٣.

(٢) قضاة، ٤ : ١١، ١٧؛ ٥ : ٢٤ – ٢٧؛ Jewish Ency, Op. Cit., vol. 7, p. 466.; Fosdick Op.Cit., p.3 Pixley, Op. Cit., p. 12-13. ونلاحظ أن اسم قيني في عدة لغات سامية، وعربية يعني «حداد» خاصة وكل صانع. ولذلك نرجح أن يكون اللقب لحق القوم من الحرفة التي اشتغلوا بها وليس اسم أب أو عرق. ويفسر وجودهم في مناطق مختلفة في النقب مثلاً وغيرها بأنهم كانوا يشكلون «نقابة» حرفية، Pixley, Op. Cit., pp. 13 Graetz, History of the Jews, vol. 1, p. 61., ابن منظور، المرجع السابق، ج٣، ص ٢٠٣ – ٢٠٤، الرازي، مختار الصحاح، ص ٤٠٩.

ذكر أنه كان هنالك صلة بين أهل مدين والقينيين وكون «يثرون» دعا هؤلاء القينيين لدينه الجديد لا يجعله قينيا. وأشرنا إلى أن الاسم منسوب للحرفة وليس نسبا[١].

ويـــبدو أن مجموعة من القينيين من أقرباء إسرائيل (مجموعة أسر أو عوائل) قـــد رافقــت بني إسرائيـــل إلى سهل موآب. وقيل إنهم على التحديد من نسل «يثرون» صـهـــــر النبي موسى (عليه السلام). خرجوا معهم من «مدينة النخل» أريحا مـــع رجـــال يهوذا ليعيشوا في النقب قرب عراد. ثم انفردت إحدى هذه الأســـر القينــــية عــن مجــتمع النقب واستقرت شمالاً في صعنايم צעננים صعننيم Zaanannim- قــرب قادش (ربما شمال غرب جبل تابور). وكان جزء من صحراء النقــب وعلـــى التحديد في منطقة عراد يعرف باسم القينيين وذلك في عهد الملك شاؤل في آخر القرن الحادي عشر ق.م[٢].

وذكـــرنا أن شاؤلاً عندما أراد محاربة العماليق حذر القينيين من المشاركة، وأنه سيتحاشاهم ولن يحاربهم مكافأة لهم على عملهم الطيب وذلك بعدم محاربة بني إسرائيل في عصر الخروج من مصر.

كـــان القينيون مستقرين في مدن تقع جنوب بني يهوذا وقد أرسل الملك داود هدايـــا كثيرة إلى شيوخ يهوذا الساكنين في مدن القينيين ومدن أخرى أيضًا[٣]، بمناسبة انتصاره على عماليق.

وجـــاء في التوراة «بنو القيني أحماء موسى صعدوا من مدينة النخل مع بني يهوذا إلى برية يهوذا التي في جنوب عراد وذهبوا وسكنوا مع الشعب»[٤].

---

(١) انظر : هذا الكتاب ، ص ١٥٧.

(٢) يشـــوع، ١٩ : ٣٣؛ قضاة، ١ : ١٦، ٤ : ١١، HB. Dic., Op. Cit., p. 524. وتعرف صعنايم اليوم باسم خان التجار على بعد خمسة أميال غرب الجليل (بحيرة طبرية) HB. Dic., Op. Cit., p. 1154.

(٣) صموئيل الأول، ١٥ : ٥ – ٦؛ ٢٧ : ١٠، ٣٠ : ٢٩. Pixley, Op. Cit., pp. 12-13.

(٤) قضاة، ١ : ١٦.

ويجدر هنا التساؤل عن كيف سكن شيوخ يهوذا في وسط مدن القينيين أو غيرها من المدن الأخرى ؟ وهل تم الاستيطان سلمًا أم أن هؤلاء القينيين قدموا هدايا (إتاوات) كان من بينها التنازل عن جانب من أرضهم ومدنهم. أم أن يهوذا فرض على القينيين إسكان بعض قومهم في هذه المدن، وربما أن بني إسرائيل اصطحبوا مجموعة الأسر القينية وسكنوا بين القينيين ليتعلموا منهم أصول حرفتهم «الحدادة».

وقد ورد ذكر مدينة باسم «قينة» وتقع في صحراء النقب. فهل هي من مدن القينيين حسب الاسم والموقع أيضًا ؟ ربما نعم، وهناك منطقة من النقب تعرف باسم نقب القينيين(١).

ويمكن الاستنتاج أن القينيين كانوا مستقرين بين الكنعانيين والعمالقة. وجاء بنو إسرائيل وحلوا في وسطهم. ثم حدث الاختلاط والتمازج مع قبيلة يهوذا. وكان هنالك مجموعة محافظة من القينيين حافظت على أسلوب حياتها الرعوي، ومعتقداتها، وعرفت باسم «الركابيين» وهم سكان الخيام(٢).

لماذا امتزج القينيون بيهوذا، وذابوا فيهم ؟ ولماذا لم يحدث ذلك مع العمالقة أو الكنعانيين ؟ وما هو عدد أفراد هذا الفرع القيني ؟ وما هي نسبته لبني القين الآخرين.

وامتهن القينيون «الرعي» بالإضافة إلى «الحدادة» أو التعدين. وكانوا يخيمون قرب الجليل لرعي قطعانهم وربما أنهم قسموا أنفسهم إلى مجموعات سكنت مناطق مختلفة، بعضهم في جنوب شرق حبرون «الخليل»، وآخرون في

---

(١) قينة -קינה- Kinah تبعد حوالي ٣٥ كم عن بيرشيبا (بئر سبع)، انظر يشوع، ١٥ : ٢٢؛ Odelain and Seguineau, Ibid, pp. 234, 281 ورد اسم جدول مائي «قنا -Qina» في حوليات تحوتمس الثالث. انظر : Noth, Op. Cit., p. 57; Albright, The Biblical Period, p. 40.

(٢) Ency. Brit., Mic., Op. Cit., vol. 5, p. 758. HB. Dic., Op. Cit., p. 524.

أمـــاكن الرعي على السفوح، وفي البرية في وسط المناطق الحضرية، وسكنوا ضواحي سيناء. ويرى القينيون أنفسهم أقرباء للعمالقة أيضًا(١).

ويتأكد اشتغالهم بالتعدين إضافة إلى الاسم، مواقع سكناهم في مناطق التعدين، حيث تتوافر مناجم النحاس، إضافة إلى ظهور بقايا أوانيهم الفخارية في النقب. وتقــع مســـاكنهم هكذا في أرض مدين أيضًا مما يدل على أنهم جماعة من أهل مديــن احترفت «الحدادة» أو التعدين فشاع بينهم اسم «القينيين» كلقب يدل على الحــرفة والمهــنة الـــتي زاولوهـــا فغلب هذا الاسم على غيره. أي أن القينيين «مديـــانيون حـــدادون» مارسوا التعدين والحدادة. وتعلم منهم بنو إسرائيل هذه الحرفة. لأنهم كانوا متقدمين في حرف التعدين مع أنه كان بعضهم رعاة(٢).

وذكـــرت الـــتوراة أن النبي موسى (عليه السلام) عرض على حوباب بن رعوئيل مرافقـــته «وقال موسى لحوباب بن رعوئيل المدياني حمي موسى إننا راحلون إلى المكـــان الذي قال الرب أعطيكم إياه. اذهب معنا فنحسن إليك لأن الرب قد تكلم عن إسرائيل بالإحسان. فقال له لا أذهب بل إلى أرضي وعشيرتي أمضي. فقال لا تتركنا لأنه بما أنك تعرف منازلنا في البرية تكون لنا كعيون وإن ذهبت معنا فبنفس الإحسان الذي يحسن الرب إلينا نحسن نحن إليك»(٣).

وينتهي النص إلى هنا، مما لا يسمح للباحث التعرف هل بالتأكيد قبل حوباب ذلك العـــرض واقتـــنع أم اســـتمر على رفضه ولم يذهب معهم ؟ ومن المعلوم أن النبي موسى (عليه السلام) توفي قبل دخول بني إسرائيل إلى بلاد كنعان وقبل استقرارهم.

---

(١) Noth, Op. Cit., pp. 57, 67.

(٢) Jewish Ency., Op. Cit., vol. 1. 7, p. 466.; Rothenberg, Timna, p. 183; Baly, Op. Cit., p. 213;

جواد علي، **المفصل**، ج١، ص ٤٥٤، ج٤، ص ص ٥٥٤ – ٥٥٦، ومن المرجح حمل اسم المهنة فنجد نظير ذلك في أصول وشيوع اسم الفينيقيين أيضًا وغيرهم من أرباب المهن والحرف.

(٣) عدد، ١٠ : ٢٩ – ٣٢.

وذكر النص «بنو القيني حمي موسى صعدوا من مدينة النخل مع بني يهوذا إلى برية يهوذا التي في جنوبي عراد وذهبوا وسكنوا مع الشعب»[١].

وقد ورد أن «يثرون» هاجر مع أسرته إلى جوار أريحا «مدينة النخل» ثم صعدوا منها[٢]. وتبدو هذه مغالطة واضحة فالنص لم يذكر اسم يثرون صراحة. وجاء ذكر «بنو القيني أحماء موسى». ولم يحدد النص أن حما موسى هو الذي هاجر بل حدد بنيه فقط وإذا كان « حمو موسى هو حوباب بن رعوئيل في التراث اليهودي»[٣]. فلا ندري إذن من هو «يثرون» وإذا اعتبرنا أن اسم «يثرون» كان لقبًا. واسمه الحقيقي رعوئيل بصريح نص التوراة[٤].

فنجد أن النبي موسى (ﷺ) عرض على حوباب بن رعوئيل مرافقتهم. ويبدو أن حوباب بن رعوئيل كان قينا أي يشتغل بالتعدين وكان صهرًا للنبي موسى أيضًا فهو أخو زوجته. ثم قام بنو هذا القيني حمي النبي موسى «حوباب ابن رعوئيل» بالذهاب إلى أريحا ثم صعدوا منها. ويلاحظ أن النص ورد في سفر القضاة أي في عصر تال للنبي موسى ويثرون، وليس معاصرًا لهم.

وتدل قصة حابر القيني وزوجته ياعيل أن هنالك فرعًا قينيًا آخر هاجر فعلاً إلى الشمال وكان منفصلاً أوسابقًا لقيني يهوذا. وعبرت ياعيل في حرب باراق عن ولائها لبني إسرائيل[٥].

ولابد أن القينيين أطاعوا قيادة النبي شعيب، ولبوا دعوته إلى التوحيد، ولربما تكرر ذلك بشكل مشابه لفئة أخرى منهم مع النبي موسى (ﷺ)، فأطاعوا قيادته وآمنوا بدعوته.

---

(١) قضاة، ١ : ١٦.

(٢) Jewish Ency., Op. Cit., vol. 7, p. 467.

(٣) Odelain and Seguineau, Op. Cit., pp. 208-209.

(٤) خروج، ٢ : ١٦ – ١٨.

(٥) إرميا، ٣٥ : ٢ – ٦.

Abramsky, S., "On The Kenite-Midianite Background of Moses Leadership" **Eretz Israel**, Jerusalem, 1975, vol. 12, pp. 118-119- (Eng. Summaries, R. Grafman).

وكـــانت صــــلة بــني القين ببني إسرائيل صلة نسب وقرابة لأن بني القين مديـــانيون. نشـــأت عبر صلات مصاهرة وزواج خاصة بعد الجوار والتلاحم بالسكن في أرض واحدة، ثم الارتباط العقائدي (الديني) مع سبطي كالب وأوثنيل أيضًا(١).

ويـــرد بين أسماء القبائل العربية اسم قبيلة «بلقين» أي بني القين من سكان وادي القرى. فجاء ذكرهم كقبيلة في المنطقة وذكر اسم «بلاد بلقين» في سرية القائد المسلم عمرو بن العاص إلى «ذات السلاسل»(٢).

وجـــاء ذكر «أسد القيون» وهم أيضًا جماعة كانت تعمل في الحدادة. وتؤكد هذه الشواهد افتراض أن اسم «القين» كان لقب مهنة أكثر منه نسبًا(٣).

ب – علاقات أهل مدين بالمصريين والكنعانيين :

١ – لمحة موجزة عن تاريخ مصر :

لـــن نخـــوض في موضوعات التاريخ المصري ولا تفاصيله. ونكتفي بأن نوجـــز نـــبذة مختصرة جدًا عن ثلاث فترات تاريخية عاشتها مصر في عهود أســـراتها الحاكمـــة – ثلاثون أسرة – كما قسمها المؤرخ المصري مانيتون – Manetho. وســـنهتم بعهد المملكة الحديثة لأنها الفترة التاريخية المعاصرة لفترة موضوع هذه ا لرسالة.

بدأ التاريخ المصري بفترة العصر العتيق أو عصر الأسرات المبكر. وشمل الأســـــرتين الأولى (٣٢٠٠ – ٢٩٨٠ ق.م.)، والـــــثانية (٢٩٨٠ – ٢٧٨٠ ق.م.)(٤). ثم قامت الدولة القديمة (٢٧٨٠ – ٢١٣٣ ق.م.)(٥).

---

(١) Noth, Op. Cit., p. 76; Mazar, Op. Cit., pp. 396, 496; Glueck, N., "**Deities and Dolphins**", New York, 1965, p. 5.

(٢) ابن سعد، المرجع السابق، ج٢، ص ١٣١.

(٣) جواد علي، **المفصل**، ج٧، ص ٥٥٦.

(٤) فخري، مصر الفرعونية، ص ص ١٧، ٧٣ وما بعدها.

(٥) ولســـون، جون، "**الحضارة المصرية**"، تر. أحمد فخري، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٣٤؛ السيد، رمضان عبده، "**معالم تاريخ مصر القديم**"ـــ القاهرة ، ١٩٨٦م، ص ١٥٨ وما بعدها. فخري، مصر الفرعونية ، ==

وأخيرًا قامت الدولة الحديثــة بعد طرد الهكسوس من مصر منذ (١٥٧٠ –

== ص ص ١٨ – ٢٥، ١٨٣ ٨٩ – ٩٩. Talec, Op. Cit., Para. 22. Albright, Archaeology of Palestine, pp. 86-87; Talec, Op. Cit., Para. 33, HB. Dic., Op. Cit., pp. 248-250, 443.

وتعــد فـترة حكم الهكسوس غامضة جدًا. ويشتمل تاريخهم على معلومات متناقضة. حتى أثبات الأسرات المصرية لا تدل على الهكسوس. والوثيقة الوحيدة التي دلت عليهم هي «بردية تورين» وقــد تهشــمت أثناء نقلها من مصر. وأصبح بها بعض الثغرات. ويضاف إليها «بردية ساليه» وأخيــرًا حجـر كارنارفون والذي اكتشف في مصر العليا ١٩١٠م ثم ثبت الكرنك (المحفوظ في مــتحف اللوفر). وتحدثت هذه الوثائق عن طرد الهكسوس بأسلوب المتحيز المبالغ. وتحقق عالم المصــريات «بييــر مونتييه» من أن تانيس هي أفاريس عاصمة الهكسوس. وزيادة في غموض تــاريخهم فإن الرواية العبرية تنقل طرد الهكسوس من عهد أحمس الأول إلى سيتي الأول. وأما اســمهم فله عدة تفسيرات مثل «حقاوخاسوت» أو هيكا شيساوت – وتعني سادة البلاد الأجنبية – وكــان المــؤرخ المصــري (الكاهن مانيتون) أول من أطلق عليهم اسم هيكسوس» وهي كلمة مركــبة مــن : «هيك» وتعني ملك و«سوسي» وتعني راع أو رعاة أي الملوك الرعاة. وهذا ما رواه يوســيفوس نقــلاً عن مانيتون. وعسكر الهكسوس في بعض المواقع في بلاد الشام إلى أن إنــتهوا إلى تل اليهودي وهليوبوليس في مصر. وكان الهكسوس معدنيين ممتازين أدخلوا أدوات البرونز إلى مصر. وتركوا خلفهم الكثير من الحلي، لأنهم كانوا صياغًا مهرة. أدخلوا إلى مصر بعض الأسلحة وتركوا الكثير من الأختام (الجعارين) وثبت بعد الاكتشافات الأثرية (خلال نصف القرن الأخير) أن الهجرات الآسيوية الكبرى كانت دائمة الهجمات على حدود مصر الشرقية منذ عهد السلالة الثينية القديمة ٣٣١٥ – ٢٨٩٥ ق.م. مما اضطر مصر أن تدافع دائمًا عن حدودها الشــرقية. وبــنى أمــنمحات الأول ســور الأمير في عهد الأسرة الثانية عشرة وهي مجموعة تحصــينات عــلى الحدود الشرقية. وعانت مصر من ضغط المهاجمين من الشرق مثل الغوتيين الذين قضوا على سلالة أكاد. ثم اللوفيين والحثيين والكاشيين والمديانيين. وقد قام الفرعون أحمس الأول بطرد الهكسوس من مصر. وطاردهم خليفته الفرعون تحوتمس الأول إلى أن أخرجهم من البلاد واطلع على بلاد الشام وخيراتها. وقد ورد اسم يعقوب من أسماء رؤساء ونبلاء الهكسوس. ويلاحــظ أن ثــراء فلســطين الهكسوسية في فترة الهكسوس (العصر الفاصل الثاني) يعزى إلى ازدهــار التجارة في هذه المنطقة، وفي هذه الفترة التي هي عصر البرونز الوسيط الثاني. وترك هــذا الــثراء في ظل ازدهار التجارة أثرًا واضحًا على مدين أيضًا فقد عرفنا عن ثرائهم نتيجة لاشتغالهم بالتجارة أيضًا.

انظــر : بالتا، بول، «الهكسوس»، تر. عدنان البني، مجلة المعرفة، السنة ٦، سوريا، العدد ٦٣، ١٩٦٧، ص ١٠٩ ومــا بعدهــا. Albright, The Biblical Peroid, pp. 10-11, 25. The Archaeology of Palestine, p. 87. Pritchard, Gibeon, p. 156; Dimont, Op. Cit., p. 34. فخري. **مصر الفرعونية**، ص ص ٢١٢، ٢٤٦؛ لوبون. **حضارة العرب**، ص ٩٠؛ ولسون، المرجع السابق، ص ص ٢٦٢، ٢٧٨، السيد، المرجع السابق، ص ٣٠٣.

١٠٨٠ ق.م.) وشـــملت الأســـرات (١٨- ١٩-٢٠) ثـــم جاء العصر المتأخر (١٠٨٥ - ٣٣٢ ق.م.) وشمل الأسرات ٢١ - ٣٠)[١].

ونـــبين مـــن خلال اهتمامنا بتاريخ مصر في الفترة المعنية بالبحث علاقات مصـــر وصلتها السياسية، والتجارية، والدينية، والاجتماعية بالشعوب المجاورة لها في بلاد غرب آسيا. خاصة وأنه قد حدث تمازج بين المصريين، والشعوب الآســـيوية فظهرت نتائج ذلك التمازج وتأثيره على الحضارة المصرية، وعلى حضارات بلاد غرب آسيا. واشتملت الحضارة المصرية على تأثيرات آسيوية، وأخرى من حضارات شعوب البحر الأبيض المتوسط ومؤثرات إفريقية أيضًا. وكـــان هـــنالك أصل مشترك لبعض النواحي الثقافية. وأعطت مصر الكثير من حضارتها مقابل ذلك (انطلاقًا من مبدأ التأثير والتأثر المتبادل)[٢].

قام فراعنة الأسرة ١٨ بحكم البلاد واستعادة أمجاد مصر. وتطلعوا إلى البناء والتعمير، فبدأوا بإصلاح ما أفسده الهكسوس.

نجـــد أن الفـــرعون أحمـــس الأول (١٥٧٠ - ١٥٤٦ ق.م.) بعـــد هزيمته للهكســـوس ومطـــاردتهم إلى فلسطين قام بحملة على الجنوب ونشر الأمن في البلاد ويلاحظ بروز دور النساء من هذه الأسرة وتبعه خلفاؤه في شن الحملات

---

(١) فخري. مصر الفرعونية، ص ص ٢٥ - ٢٧، ٦٠ وما بعدها.

(٢) ولســـون، المرجع السابق، ص ص ٤٩ - ٥٠. ونجد بين أيدينا وثائق مهمة هي نصوص اللعنة Execration Texts. وكـــان الفرعون يستخدمها عند قيامه بمراسيم دينية وسحرية ليصب اللعنة عـــلى أعدائـــه أو من يتوقع عداءهم. وكانت على نوعين، هما : جرار من فخار أحمر، أو دمى بشـــرية صغيرة مصنوعة بإتقان من الطين الأحمر أيضاً. وكتب عليها نصوص مملوءة باللعنات عـــلى الحكام كل منهم باسمه. ثم يتم تحطيمها في احتفال خاص. وعرفنا من نصوص اللعنة هذه أسماء عدد من الحكام والمدن في فلسطين كانوا أعداء لمصر في عهد الدولة الوسطى في القرن ١٨ ق.م.

انظـــر : Gray, Op. Cit., pp. 24,28, 119, 225, 231 ولسون، المرجع نفسه، ص ص ٢٦٠- ٢٦٢، انظر : الشكل رقم ٢٧ أ - ب.

وتأمين حدود البلاد شرقًا وغربًا وجنوبًا. وكان منهم الملكة الطموح حتشبسوت والملك تحوتمس الثالث (١٤٩٠ – ١٤٣٦ ق.م.) ورغم الصراع الذي دار بينهما إلا أنهما عملا على سياسة البناء والإصلاح نفسها وشن الحملات. وكانت أبرزها «معركة مجدو» (١٤٦٨ ق.م.) التي قادها تحوتمس الثالث على بلاد الشام (ضد تحالف ضم ٣٣٠ زعيمًا بقيادة أمير قادش) عبر سيناء أيضًا(١).

واستمتع أمنحوتب الثاني (١٤٣٦ – ١٤١١ ق.م.) بما حققه أبوه تحوتمس الثالث من انتصارات، وثروات في الخزائن، وأمن، ولكنه انتبه إلى كل تمرد أو عصيان ولذلك قام ببعض الحملات التي حفظت له أملاكه وعززت سيطرته وكذلك فعل تحوتمس الرابع (١٤١١ – ١٣٩٧ ق.م) الذي يعد آخر ملوك مصر المحاربين. فجاء أمنحوتب الثالث وابنه أمنحوتب الرابع (١٣٧٠ – ١٣٤٩ ق.م.) اللذان مالا إلى حياة الدعة والفن والمتعة والجمال. وكانت الخزائن في مصر تفيض بالذهب والفضة. وقام أمنحوتب الرابع بدعوته الدينية الجديدة. وانشغل بها جدًا. وكان أيضًا مفتونًا بزوجته الجميلة «نفرتيتي» ويظن أنها من أصل سوري (ميتاني) وأمعن في الانشغال بدينه الجديد الذي اختار له أحد مظاهر الشمس وهو «أتون» وغير اسمه من أمنحوتب الرابع إلى «إخناتون» «أخ – إن – أتون» وتعني «المفيد لأتون» وبنى مدينة جديدة «أخت أتون» أي «مشرق أتون». وتقع قرب تل العمارنة. واتخذها عاصمة بدلاً من «طيبة».

وقام الصراع بين «كهنة أمون» و«كهنة أتون» وحدث اضطراب داخل البلاد في ظل هذه الظروف، وتغيرات في الإدارة. واستغل هذه الفرصة أعداء

---

(١) فخري. **مصر الفرعونية**، ص ص ٢٦٠ – ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٧. ولسون، المرجع السابق، ص ص ٢٧٢، ٢٨٧، ٢٩١ وما بعدها. وحقق تحوتمس الثالث نصرًا على بلاد الشام حتى وصل إلى نهر الفرات وجمع غنائم كثيرة. وأخذ رهائن من أمراء البلاد. وفرض عليهم إتاوات. وعين مستشارين وحكامًا مصريين. وتكشف قوائم الغنائم عن درجة ثراء المدن في فلسطين وتحضرها. ولسون. المرجع السابق، ص ص ٢٩٢ – ٣٠٠.

مصـــر في آسيا. وأخذت مملكة خيتا تغير على سوريا وتضم المدن. واستقل عـدد مـن المـدن فـي فينيقيا وفلسطين. وقام الحكام المصريون أو الأمراء الآسـيويون المخلصـون بتنبيه إخناتون إلى سوء الأوضاع في آسيا. وكتبوا الرسـائل إليـه. وأرسلوا العديد من الرسل. ورفض الملك إخناتون أن يفعل شـيئًا، رغـم لجوئهـم إلى والدته في طيبة. وعرفت مجموعة الرسائل باسم رسـائل العمارنــة (٣٣٧ رسـالة). مكتوبة باللغة البابلية والآرامية الدارجة وبالخط المسماري.

ووضـحَّتْ هـذه الرسائل الحالة السياسية في بلاد سورية وفلسطين. وبلاد الـرافدين (بابل وآشور) وميتاني وخيتا في تلك الحقبة الزمنية. وبينت الرسائل الصـلات والعلاقـات بيـن مصـر وتلك البلاد وكانت هنالك صلات سياسية واقتصـادية واجـتماعية أي صـلات صـداقة ومصـاهرة. وأظهرت أساليب المراسـلات الدوليـة في ذلك العصر. وأثبتت وجود المؤامرات والصراع ين ولايات سورية(١).

وحـاول تـوت عـنخ آمـون (١٣٤٨ – ١٣٣٧ ق.م.) استعادة الوضع بمساعدة القائد العظيم «حور محب» فعقد معاهدات وقام بإصلاح داخلي. ثم في عهد الأسرة ١٩ استعـادت مصر بلاد كنعان وسـوريا وأخضعتها لمدة (٤٠٠) عام.

ونـبدأ بذكر الفرعون رمسيس الثاني (١٢٩٠ – ١٢٢٣ ق.م). الذي ناضل ضـد الحثيين، وشن معركة قادش (١٢٨٦ ق.م.) في السنة الخامسة من حكمه. ثم عقد الاتفاقية معهم لتثبيت نفوذ مصر في جنوب سوريا. وأقام رمسيس الثاني

---

(١) فخري. **مصر الفرعونية**، ص ص ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣١٩، ميديكو. المرجع السابق، ص ٣١، ولسـون، المرجع السابق، ص ص ٣٤١، ٣٤٦ – ٣٥٢؛ حتى، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ص ص ١٣٩ – ١٤٣. HB. Dic., Op. Cit., p. 25, Pritchard, J., "**Archaeology and The Old" Testament**, Princeton, 1958, p. 75.

بعـد ذلـك في مدينة تانيس (أفاريس عاصمة الهكسوس، وتقع إلى الشرق من الدلتا) وبنى مدينة جديدة دعاها «بيت رمسيس» أو «بر رمسيس»[١].

ونلاحـظ هنا عبور رمسيس الثاني بجيوش معركة قادش شبه جزيرة سيناء، ولكـن لا نعرف شيئًا عن دور شعب هذه المنطقة وأهمهم أهل مدين والقينيون. لقد صمتت الوثائق المصرية ولم تذكر شيئًا عنهم، ونفترض أنه كان لسكان هذه المناطق دور بارز في منطقتهم التي عبرتها الجيوش.

وحـافظ رمسيس الثالث (١١٩٢ – ١١٦٠ ق.م.) على سيطرته على سوريا وفلسـطين ولم يتدخل في الصراع الذي دار بين بني إسرائيل والكنعانيين غير الخاضـعين له. واكتفى بأخذ الضرائب منهم، ولكن سرعان ما ضعفت السيطرة المصـرية عـلى سوريا وفلسطين. وتحررت فينيقيا أيضًا. وقد كانت العلاقات غالبًا سلمية قبل عهد الدولة الحديثة[٢].

ذكـرت التوراة مصر والمصريين في عدة أسفار وبصيغ مختلفة – Mizraim «مصرايم» وذكرت أن المصريين من بني حام[٣].

ومصـرايم اصطلاح أطلقه أهل كنعان على المراعي الجنوبية، وعلى مصر نفسها حسب موقع مصر بالنسبة لبلاد كنعان فيما وراء الصحراء. وأطلق

---

(١) ولسـون. المـرجع السـابق، ص ٣٩٣؛ Talec, Op. Cit., Para. 33, 34, فخـري. **مصر الفرعونية**، ص ص ٣٣٠ – ٣٣٤، ٣٤٦ وما بعدها. وتذكر التوراة أن بني إسرائيل بنوا مدينتين لرمسـيس «فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسـيس». انظـر خـروج، ١ : ١١. ويظن أن النبي يوسف (عليه السلام) أسكن والده في أرض رعمسيس، انظر: تكوين، ٤٧ : ١١؛ Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 314.

(٢) Margolis, M., and Marx, A., "A History of The Jewish People, Philadelphia", 1953. p. 23. حتى، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ص ١٣٦.

(٣) تكوين، ١٠ : ٦. وذكرت التوراة أن المديانيين باعوا يوسف في مصر. انظر: تكوين، ٣٧:٣٦. ثـم ذكر سفر الخروج أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر مع يعقوب. وذكر عددهم. ثم قيـام مـلك جديـد على مصـر ثم تسخـير بني إسرائيل في أعمال بناء مدينتي الفرعون: فيثوم פתם Pithom ورعمسيس – רעמסס -Ramses انظر : خروج، ١ : ١ – ١١. ويـرجح أن فـرعون الاضطهاد هو رمسيس الثاني ويظن أيضًا أن رعمسيس هو قطفير، انظر : Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 314.

الاسم على وادٍ قرب مدينة غزة. «نهر مصرايم» رغم بعده عن الحدود بمسيرة ثلاثة أيام[1].

٢ – العلاقات بالمصريين :

تحتل أرض مدين شمال الحجاز من شبه جزيرة العرب. ويتضح من ذلك أنها تقع إلى الجنوب من بلاد الشام – سوريا ولبنان وفلسطين، ومتصلة بمنطقة شرق الأردن. وجعل هذا الموقع منطقة مدين على اتصال مباشر ودائم مع بلاد الشام بشعوبها عبر مراحل التاريخ. وأن مدين ربما اتصلت بمناطق أخرى مثل بلاد الرافدين، وآسيا الصغرى (الأناضول) عبر بلاد الشام.

وكان الأمر كذلك بالنسبة لمصر حيث تقع أرض مدين بقسميها – الحجازي والسينائي[٢] – إلى الغرب من مصر. وكان لمصر صلات وثيقة بأهل هذه المناطق. فكان لها مصالح مباشرة في شبه جزيرة سيناء أهمها الحصول على خامات النحاس والفيروز، ومرور التجارة. وكان لمصر بالمثل مصالح مع مناطق شبه الجزيرة العربية «بلاد العرب»، للحصول أيضًا على أهم السلع التجارية «البخور» عبر درب البخور الممتد من جنوب بلاد العرب إلى شمالها ثم عبر سيناء إلى مصر. وكان لمصر كذلك مصالح كبيرة مع بلاد الشام خاصة الحصول على الأخشاب، وزيت الزيتون، والخمور، الأصباغ ونحو ذلك. وكانت صلة مصر دائمة مع سكان منطقة سيناء. فكان الاتصال بشعوب بلاد الشام وبلاد العرب يتم برًا عبر سيناء أيضًا. وقام تعاون بين مصر وسكان منطقة سيناء في أعمال التعدين وكان من أهم القبائل التي شاركت المصريين أهل مدين وعماليق[٣]، وربما أنه وصل إلى مستوى الشراكة.

---

(١) السيد. المرجع السابق، ص ص ٤٨٧ – ٤٩٠.
(٢) انظر : هذا الكتاب، ص ١٠٣ .
(٣) انظر : هذا الكتاب، ص ٢٤٨ .

فرضـــت مصر نفوذها السياسي على هذا الجزء من غرب آسيا عبر سيناء، وعـــبر الـــبحر الأبيض المتوسط إلى الساحل الفينيقي أيضًا، ولكن سيناء كانت المنفذ الرئيس من مصر وإليها – باتجاه غرب آسيا – وتقوم العلاقات بين الدول عامـــة عبر قنوات المصالح المشتركة بينها، وتصطبغ عندئذ بصبغة سياسية – اجتماعية – اقتصادية تشتمل على التبادلات التجارية بين بلدين أو أكثر.

وكمـــا تقـــدم فـــإن أرض مدين تتصل ببلاد كنعان مباشرة أي بينهما علاقة جوار، وأراضٍ أو حدود مشتركة، أما بمصطلح العصر القديم فليس بينهما حدود سياســـية كالمعروفة لدينا اليوم. وكان هنالك اتفاقات على الأرض التابعة لسيادة الدولة أو القبيلة. أما بالنسبة لمدين مع مصر، فرغم امتداد أرض مدين في شبه جزيـــرة سيناء إلا أننا لا ندري إلى أي مدى كانت مدين في سيناء، ولذلك تبقى سيناء الجسر الذي تم عبره الاتصال الدائم بين أهل مدين ومصر.

ولقـــد سبق أن أشرنا إلى بداية العلاقات الاقتصادية بين مصر وبلاد كنعان (بـــلاد الشـــام) منذ عهد الدولة القديمة في مصر أي منذ الألف الثالثة ق.م. وتم ذلـــك الاتصـــال برًا وبحرًا. ويظن أن العلاقات الاقتصادية ربما بدأت قبل ذلك التاريخ نظرًا لأننا نجد الطلب المصري الدائم للأخشاب، وبخاصة أخشاب الأرز من لبنان لاستخدامه في بناء السفن، وتسقيف المعابد والقصور. واستخدم لصنع توابيـــت الموتى، والأثاث أيضًا، أي لتجهيز بيوت الدنيا، وبيوت الآخرة ، فقـــد استورد الفرعون سنـــفرو (٢٦٨٠ – ٢٦٥٦ ق.م.) أخشاب أرز بمقدار حمولة أربعيـــن ســـفينة[١]. وكان هذا أقدم اتصال أثبتته الوثائق المكتوبة. ولم يقتصر الأمـــر على خشب الأرز بل شمل الخمور، والزيوت من جبيل. واستورد أهل بـــلاد الشـــام مـــن مصر الذهب وبعض المعادن وأهم سلعة مصرية أي «ورق البردي». ولم يقتصر الأمر على التجارة وتبادل السلع، بل عقدوا صداقة ومودة

---

(١) فخري. مصر الفرعونية، ص ١٠٠.

وتبادلوا الهدايا. فقد قام الفرعون خوفو (٢٦٥٦-٢٦٣٣ ق.م.) من الأسرة الرابعة وصاحب الهرم الأكبر بإهداء آنية من الألباستر إلى سيدة جبيل. وقد نقش خوفو اسمه على الآنية. وعثر في مقبرة الفرعون ساحو – رع (٢٥٥٣-٢٥٣٩ ق.م.) من الأسرة الخامسة في «أبو صير» على رسم يمثل حملة على البلاد الأجنبية مع غنائم الحرب. وكان من ضمنها زيت الزيتون في جرار كنعانية. وبقيت مع ذلك العلاقة الطيبة، وفرض السيطرة فقد حافظ آخر ملوك هذه الأسرة على جبيل كمستعمرة[١].

ونقرأ نقوشًا كثيرة من عهد الأسرة السادسة تتحدث عن مراكب جبلة Gubla في البحر الأبيض المتوسط إضافة إلى الوصف التفصيلي للحملات البرية في فلسطين وسوريا بقيادة « أوني » قائد الملك « بيبي الأول » (٢٤٠٢ – ٢٣٧٧ ق.م.) وانتصر على سكان الرمال الآسيويين حتى وصل إلى الشمال وتوغل فيه[٢].

وكانت الأسرة الثانية عشرة من أقوى الأسرات الحاكمة في مصر. فبسطت نفوذها على الساحل الفينيقي وفلسطين، وقسم كبير من سوريا فوصلوا إلى قطنا.

---

(١) حتي، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، ص ص ١٣٦ – ١٣٧؛ فخري. **مصر الفرعونية**، ص ١٠٧، ١٣١.

(٢) حتي، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ص ١٣٧، ولسون، المرجع السابق، ص ١٨١. وقصة المغامر المصري «النبيل سنوحي Sinuhe التي وقعت أحداثها في عهد الأسرة ١٢، من أبرز موضوعات الأدب المصري. وقد كان سنوحي هذا في رحلة مع ولي العهد سنوسرت الأول. وعندما علموا بوفاة أمنمحات الأول (١٩٩١ – ١٩٦٢ ق.م.) فعاد ولي العهد إلى مصر ليتولى العرش. وخاف سنوحي من الاضطرابات والمشاكل فهرب إلى بلاد الشام. وربما أنه كان محبًا للمغامرة فاجتاز سنوحي «سور الأمير» أي التحصينات التي أقامها أمنمحات على حدود الدلتا من الشرق لتأمينها من هجمات البدو الآسيويين. فوصل سنوحي إلى لبنان وأقام في جبيل ثم انتقل إلى الشمال وتزوج من إبنة شيخ قبيلة آمورية فورث عنه مشيخة القبيلة. ثم عاد إلى بلاده ووصف بلاد الشام وخيراتها. انظر : فخري، مصر الفرعونية، ص ص ٢١٥ – ٢١٦.

وقــد عــثر عــلى شواهد أثرية أثبتت ذلك في أوجاريت، ومجدو، وتل مرسيم وغيرها[١].

ويهمنا في المقام الأول هذه الصلات الدائمة بين مصر وبلاد الشام، وخاصة الاتصالات التي تتم برًا عبر شبه جزيرة سيناء. وكان من أبكر الصلات دخول النــبي إبــراهيم الخليل (عليه السلام) إلى مصر مع زوجته سارة، ثم عودته منها عبر ســيناء[٢]. ثــم انــتقال الثقافات والأفكار، والمعتقدات الدينية بين مصر وبلاد كنعان[٣].

وتلاهــا بعــد ذلــك دخــول النبي يوسف بن النبي يعقوب (عليه السلام) مع قافلة الإسماعيليين، والتجار المديانيين كما يفهم من النص[٤].

ونلاحــظ مــن النص الخلط بين الإسماعيليين والمديانيين أولاً. ثم اختلاف الــرواية عــن بيع يوسف. فجاء أولاً أن المديانيين أخرجوه من البئر، وباعوه للإســماعيليين ثــم ورد في آخر السفر آية مختلفة أكدت أن المديانيين هم الذين بــاعوه لفوطيفــار فــي مصر. وقد جاءت آي الذكر الحكيم مؤكدة القصة وأن السيارة أخرجت يوسف[٥].

---

(١) Albright, Archaeology of Palestine, p. 85. حتي. **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ص ص ١٣٨ – ١٣٩، فخري. **مصر الفرعونية**، ص ٢١٢ – ٢١٣، ٢١٥.

(٢) تكوين، ١٢ : ١٠، ١٤؛ ١٣ : ١. انظر الشكل رقم ٢٧ أ – ب.

(٣) Mendenhall, The Tenth Generation, p. 23.

(٤) تكوين، ٣٧ : ٢٥ – ٣٦.

(٥) سورة يوسف، الآيتان: ١٩ – ٢٠.

وتفســير الآيــة أن الســيارة أخرجــته من البئر. والسيارة هم «السائرون أو المارون» وقال بعض المفســرين إن الســيارة تجــار مديــانيون. وتم البيع في مصر. وذكر مفسرون آخرون أن السيارة مســافرون مــن مدين إلى مصر. وشروه من إخوته أنفسهم. ولم تذكر تفاسير أخرى شيئًا عن هوية أولــئك السيارة. انظر، السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٣٠٥؛ التجيبي، أبو يحيى محمد بن صمادح، **"مختصر تفسير الإمام الطبري مع القرآن الكريم"** .ــ دمشق، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م، ص٢٣٧« تفسير ==

وجـــاء اسم الإسماعيليين كاسم مرادف لتجار يعملون بين جلعاد ومصر ووصـــفهم أو دعاهم بأنهم مديانيون أيضًا[1]. وتحليل هذا الترادف أنه كان هناك شراكة مديانية إسماعيلية في هذه القافلة التجارية. وأن هؤلاء الإسماعيليين أقــاموا في جلعاد كجالية تجارية. وسكنوا قرب إخوتهم المديانيين أو ربما معهم أيضًا. فنظن أنه كانت هنالك في جلعاد جالية تجار مديانيين، خاصة وأن جلعاد إقــليم أو مـــنطقة تقع في شرق الأردن ممتدة من أرنون إلى نهر اليرموك بين باشــان وموآب. ويعني اسم جلعاد في اللغة العبرية «وعر»، مما يدل على أنها منطقة جبلية وكثيفة الغابات. ويمر عبر جلعاد طريق التجارة الرئيس في شرق الأردن و«درب المـــلك» مـــن خـــليج العقبة مرورًا بجلعاد وإلى دمشق. وبذلك ســـيطر سكان جلعاد على هذا الطريق المهم. وكان جنوب جلعاد من أرنون إلى يبوك (الزرقاء – حديثًا –) تحت سيادة سيحون ملك الآموريين في عصر النبي

== ســـورة يوسف». ويظن أن بين دخول يوسف إلى مصر، ومجيء يعقوب أبيه حوالي ٢٢ عامًا.

انظـــر : الجويـــني، ركن الدين أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف (ت ٤٧٨هـــ)، "**شفاء الغـــليل فـــي بيـــان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل**"، تح. أحمد حجازي السقا، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٦٥.

وذكـــر نـــص التوراة الإسماعيليين، والمديانيين. والإسماعيليون هم من نسل إسماعيل بن إبراهيم الخـــليل (س)، وأمه السيدة هاجر. وأقام بنو إسماعيل في مكة. أما المديانيون فهم من نسل مدين ابـــن إبراهيم الخليل (س) وأمه قطورة ومساكنهم في شمال الحجاز. وقيل إن الاختلاف الذي جاء فـــي نص التوراة يعود إلى الدمج بين السياق «اليهوي» الذي ذكر الإسماعيليين بينما ذكر السياق «الألوهيمـــي» المديـــانيين. وذكر النص «اليهوي» أن أبناء يعقوب هم الذين باعوا يوسف. بينما الـــنص الألوهيمـــي ذكـــر أنهم ألقوه في الجب. والتقطه المديانيون، ومهما كان الاختلاف فتتفق الروايـــتان فـــي المضـــمون الجوهري أو الأساس. وتختلفان في التفاصيل، انظر : ظاظا، **الفكر الديني اليهودي**، ص ٣١.

ونلاحـــظ أن القرآن الكريم قد أكد رواية إلقاء يوسف في الجب قال تعالى : (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب). سورة يوسف،الآية : ١٥.

(١) HB. Dic., Op. Cit., pp. 432-433.

موســى (حوالي القرن الثالث عشر ق.م.) وكان هنالك العمونيون أو بنو عمون وعاصمتهم ربة عمون (عمان – حديثًا)[١].

ونســتخلص مــن ذلــك أنها كانت قافلة تجارية كبيرة وتحمل بضائع ثمينة (بخور ومواد عطرية) في طريقها إلى مصر.

وكــان تجــار مدين يجوبون طرق التجارة (العالمية حينذاك) فنقلوا البضائع عــلى قوافلهم التجارية، وتنقلوا بين البلاد المختلفة داخل منطقتهم وخارجها إلى بــلاد العرب وبلاد كنعان ومصر. أي شاركوا في هذه التجارة الواسعة. وكان لهم علاقات تجارية (اقتصادية) بهؤلاء وأولئك، وكانت قوافل المديانيين معروفة فــي تلك المناطق، وأنها كانت من القوافل التي ارتادت (درب الملك). وهذا ما يستحق الاهتمام في ضوء العلاقات المديانية مع مصر وغيرها.

وإذا كــان ذكر الإسماعيليين مع المديانيين من باب الخلط وعدم التفريق بين الشــعوب، فيعتبر هذا مشكلة خاصة بتاريخ الأدب العبري القديم أكثر من كونها مشــكلة مــن مشــكلات تاريخ شمال بلاد العرب في فترة آخر عصر البرونز وأوائل عصر الحديد. ويعزى سبب الخلط في المعلومات التوراتية إلى التحريف الذي طرأ عليها في مرحلة التدوين والجمع.

وكان ذلك بسبب عدم وضوح أوجه الاختلاف بين الإسماعيليين والمديانيين. ورغــم أنهم إخوة إلا أنه كان لكل منهم منطقة سكن معروفة جغرافيًا. وأسلوب حياة متميز وعصر ازدهار لكل منهما[٢]. وربما أن الشيء الوحيد الذي جمعهما في قافلة واحدة كانت الشراكة التجارية التي رجحناها.

وكــان دخول النبي يوسف بن يعقوب (عليه السلام) إلى مصر مع المديانيين الذين

---

(١) HB. Dic., Op. Cit., pp. 348-349, Odelain and Seguineau, Op. Cit., 131, 138-139., 173-174, 265.

(٢) Knauf, "E., "Mdianites and Ishmaelites" Midian, Moab and Edom, **Journal For Study of Old Testament**, Sheffield, 1983, Series, 24, p. 152.

بـاعوه إلى رئيـس الشرط في مصر « فوطيفار ». واستقر يوسف فيها ونعلم قصة معاناته إلى أن أصبـح واليًا على خـزائن مصر وجلـب أهله من البدو « يعقوب (عليه السلام) وبنيه» وأسكنهم في أرض «جاسان» גּשֶׁן Goshen- التي تقـع عـلى الدلتا الشرقية لنهر النيل. وهي «وادي طميلات» ومنطقة خصبة. وتعـرف أيضًا باسم «أرض رعمسيس» وكانت منطقة رعي جيدة كما ثبت من الشـواهد الـتوراتية والوثائق المصرية عن المنطقة(١). وربما أنها كانت أرض صـيد للمصـريين. واستمرت إقامة بني إسرائيل في مصر إلى وقت الخروج فقادهم النبي موسى (عليه السلام) من مصر(٢).

ونوجز عن قصة دخول بني إسرائيل إلى مصر. ويرجح أن الأحداث وقعت فـي فترة حكم الهكسوس. ويظن كثير من المؤرخين أن الهكسوس أو «الملوك الرعاة» غزوا مصر وغلبوها فحكموها كسادة عليها. ووقعت قصة النبي يوسف ابن يعقوب (عليه السلام) في عهدهم ويفترض أن مكوث بني إسرائيل في مصر استمر حوالـي أربعمائة سنة كما ذكره النص : «وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة»(٣).

وقـد تـبوأ النبي يوسف (عليه السلام) منصبًا عاليًا في منزل عزيز مصر، ثم في قصـر الفرعون نفسه بعد معاناة السجن. وتثبت هذه الأحداث من النصوص في الـتوراة والقرآن الكريم(٤). وعندما استقر يوسف في مصر، وتمكن منها ومن

---

(١) تكوين، ٤٥ : ١٠؛ ٤٧ : ١١. Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 141.

(٢) HB. Dic., Op. Cit., pp. 353-354.

(٣) خروج، ١٢ : ٤٠؛ Talec, Op. Cit., Para 37.

(٤) سورة يوسف، آية ٥٤ – ٥٦. وجاء في التوراة «ثم قال فرعون ليوسف انظر قد جعلتك على كـل أرض مصر وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف»، انظر تكوين، ٤١:٤١ – ٤٢، יוֹסֵף-Joseph ثـم جـاء «ودعا فرعون اسم يوسف صَفْنَات فعنيحَ وأعطاه أسنات بنت فوطـي فارع كاهن أون زوجة. فخرج يوسف على أرض مصر. وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف قدام فرعون ملك مصر فخرج يوسف من لدن فرعون واجتاز في كل أرض مصر». انظـر تكويـن، ٤١ : ٤٥ – ٤٦. ومعـنى يوسـف فـي اللغة العربية «يزيد»، انظر غنيم، عبدالرحمن محمد روان؛ "سر الأسرار" ، دمشق، ١٩٩١م، ص ١٣٦.

أهـــلها نادى بدعوة التوحيد وعبادة الله وحده في قصر الفرعون وجاء اعتراف بذلـــك عـــلى لســـان الرجل المؤمن من آل فرعون، وكان يكتم إيمانه كما بينه القرآن الكريم[١].

ولقـــد سردت نصوص اللعن Execration Texts [٢] أسماء بعض المدن وأسماء الحكـــام فـــي القـــرن الـــثامن عشر ق.م.، في فلسطين وسوريا. وإذا فحصنا النصوص نجد أنها تحتوي على أسماء حكام ساميين وغير ساميين كما نتعرف عـــلى أسماء الآلهة السامية (شمش وهدد وإيل وعمو بالإضافة إلى أسماء ثمانية من المصريين، وبلغ عدد البلاد المذكورة في نصوص اللعن ٢٠ بلدًا) وكان من أهـــم القوى الخارجية في عهد الدولة الوسطى والتي ذكرتها النصوص أيضًا بلد «كوشـــو» Kwsw وعـــلى رأسها رجال قبائل عظماء. ومما يدل على شكل من أشـــكال التـــنظيمات البدوية. وذكر أن «كوشو» تقابل مدين أي أنها هي مدين. وجاء في قصة النبيل المصري سنوحي إشارة إلى اصطدام عسكري في المنطقة حيـــث نصـــب رئيـــس جبيل نفسه حاكمًا باسم «حاكم الحكام» Ruler of Rulers. وسبقت قصة النبيل سنوحي نصوص اللعن هذه بحوالي قرن واحد[٣].

ونحسب أنه كان لأهل مدين مع مصر علاقات مباشرة، أو غير مباشرة خلال هذه الحقبة بأحداثها. فأهل مدين هم التجار الذين باعوا يوسف لفوطيفار في مصر. ويحـــتمل أن صلاتهم التجارية كانت مستمرة قبل وبعد تلك الحادثة، أي في عهد الهكسوس، وهل نتوقع أنه كان لهم اتصال مباشر بفوطيفار وقصره ولذلك آثروه ببضـــاعتهم هـــذه ؟ وهل استمرت صلتهم بيوسف (عليه السلام) نفسه فيما بعد في قصر فرعون مصر ؟ وتساؤل أخير يفرض نفسه من واقع تلك الأحداث، عن دور أهل مدين مع الملوك الرعاة «الهكسوس». ونجيب بنعم. فلابد أنه كان لأهل مدين دور

---

(١) ســـورة غافـــر، الآيـــة ٣٤؛ حسن، محمد محمد أحمد محمود، "مصـــر والعرب وإسرائيل في الكتب المقدسة"، القاهرة، ١٩٨٠/ ، ص ص ٨ – ٩.

(٢) انظر: هذا الكتاب، ص ٤٨٥، هامش ٢.

(٣) وقد ورد في نصوص سقارد ، عدد ٦٢ بلدًا. انظر : The Cambridge Ancient History, Op. Cit., vol. 1, Part 2 A, pp. 554 -555.

مـا فـي هذه الحقبة التاريخية بجميع أحداثها بناء على وجودهم في المنطقة على الأقـل منذ بداية الفترة. وكانوا هم شهود الحدث الأول منذ إنقاذ يوسف من البئر. وكـان عملهم هذا بتقدير إلهي لإنقاذ النبي يوسف (عليه السلام). وكان عملاً نافعًا لذات الشخص يوسف ولأبيه يعقوب وبنيه من بعده.

ولو تساءلنا عن حجم الدور المزعوم لأهل مدين في هذه الأحداث وما تلاها. فنـتوقع أن دور أهـل مديـن إن لـم يكن دورًا سياسيًا فالأرجح أنه كان دورًا اقتصـاديًا واضـحًا. أكدته صلة أرض مدين بمصر. واستشارة فرعون مصر للنبي شعيب (عليه السلام)، ثم لجوء النبي موسى (عليه السلام) عندما فر من مصر إلى مدين. وأثبتته تجارة أهل مدين المشهورة.

ونفترض أيضًا أن كيان أهل مدين مستمر ولم ينته بنهاية فترة الهكسوس، بل استمر دورهم التجاري. واستمرت كذلك علاقاتهم وصلاتهم بمصر وببلاد الشام خـلال فـترة تاريخيـة وهل يمكننا الافتراض بأن أهل مدين كانوا مع أولئك المهدديـن لحـدود مصر الشرقية بهجماتهم الدائمة والمتكررة. أو هل كانوا مع أولـئك المتسـللين جماعات ووحدانا بهدف الاستقرار أو الرعي على أطراف حدود الدلتا الشرقية (المنفتحة على سيناء) حيث المراعي وإمكانات العيش.

وإذا قلـنا إن مجتمع أهل مدين كان مستقرًا ويمتهن أفراده الزراعة، وأعمال الـتعدين، ويمارسون التجارة ولكن هنالك فئة كانت تمارس الرعي أيضًا. وكان هـؤلاء الـرعاة بـدوًا جوالين. ولابد أن هؤلاء البدو المديانيين قد جابوا تخوم مصـر بقطعانهم بحثًا عن المراعي الجيدة، ومصادر المياه(١). ونفترض أيضًا حدوث الشيء نفسه حول تخوم فلسطين وجنوب بلاد كنعان عامة.

ونسـتخلص مـن كل تلك التساؤلات والفرضيات دور أهل مدين في الحقب الـتاريخية المختلفة خاصة عندما بدأ الفرعون سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشرة استعادة نفوذ مصر على بلاد الشام بعد أن قيل إن فلسطين استقلت تمامًا

---

(١) Mendenhall, Qurrgyya and Midianites, vol. 2, pp. 142-143.

عـــن مصـــر. فاهتم بإرسال حملات مختلفة للحصول على الذهب كما ورد في بـــردية مناجم الذهب المحفوظة في متحف تورين بإيطاليا، والتي تعد أقدم وثيقة جغرافية. وأقام الكثير من المشاريع على طريق المناجم خاصة في منطقة «بير عـــبادي» - أم الفواخيـــر - وأقام في وادي حمامات على طريق قنا - القصير «معـــبد الرديســـية» وهزم بدو سيناء وجنوبي فلسطين، والشاسو. وعقد معاهدة صداقة مع مملكة خيتا(١).

ثـــم تـــابع رمســـيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٣ ق.م.) أعمال والده وفكر في اســـتغلال مـــناجم الصحراء. وقام بزيارة لتفقد أحوال أطرف مملكته في آسيا. فاصطدم مع مملكة خيتا وشن معركة قادش ضد ملك خيتا وأمير قادش وحلفائه. وأحكـــم رمسيس السيطرة على فلسطين ولبنان وجزء من سوريا وعقد معاهدة صداقة مع مملكة جيتا ومع بلاد الرافدين(٢).

ونهتم بهذا الموضوع بقدر ما يبين دوام الصلات بين مصر وبلاد الشام عبر المـــنفذ الـــبري أي شـــبه جزيرة سيناء وطرقها البرية. ونهتم بدور سكان هذه المـــناطق مـــن القـــبائل العـــربية، ونفترض أن دورهم كان مستمرًا خلال هذه الأحداث كلها لمعاصرتهم لها، ورغم أن سوريا خضعت لمصر منذ ذلك الحين حوالي منتصف القرن السادس عشر إلا أنها استقلت في القرن الثاني عشر ق.م. وبـــدأ الـــنفوذ الحـــثي يتوطد في شمال سوريا. وسيطر الآراميون على سوريا الداخلية(٣).

---

(١) فخري. **مصر الفرعونية**، ص ص ٣٤٠ - ٣٤٣؛ حتي. **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ص ١٤٤. ممـــلكة خيـــتا (حاتي) امتدت إلى شمال مدينة قادش. أسسها الحثيون في بلاد الأناضول. وكانت عاصـــمتها بوغـــاز كـــوي التي تقع قرب أنقرة. وكانت منافسة لمصر ومن ملوكها المعاصرين (للأسرة ١٩) موتلى (مواتلى) ثم خاتو سيلي الثالث. انظر: السيد، المرجع السابق، ص ٤٦٩ وما بعدها؛ فخري. **مصر الفرعونية**، ص ٣٤٦.

(٢) فخري. **مصر الفرعونية**، ص ٣٤٤ وما بعدها؛ السيد، المرجع السابق، ص ٤٦٩ وما بعدها.

(٣) حتي. **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ص ١٤٥.

وكـــان لكـــل تـــلك الأحداث السياسية في ذلك العصر أهمية بالغة في تاريخ منطقة الشرق الأدنى. ولم يكشف التاريخ عن جميع حقائق العصور القديمة. ولا نجد بين أيدينا وثائق أو شواهد تبين شيئًا عن أهل مدين رغم وجودهم في موقع متوسط بين مصر وبلاد الشام. وبناء على ذلك يمكننا أن نستشف بعض الفاعلية لدور أهل مدين ضمن تلك الأحداث والحروب، والعلاقات والروابط الاجتماعية (مصاهرة – صداقة) والصلات الثقافية وتشمل الأفكار والمعتقدات بالإضافة إلى دور التجارة.

وكان الدور البارز لأهل مدين وعلاقتهم بأهل مصر والكنعانيين عامة يعتمد عـــلى أن مديـــن كانت تشكل كيانات سياسية متميزة أو ممالك إقطاعية يحكمها خمســـة مـــلوك حكـــم كل منهم مقاطعة أو «دولة – مدينة» انضوت تحت اسم «مملكة مدين». وكان لهذا الكيان المدياني علاقات حسنة بجيرانه الذين اعترفوا به «كيانًا سياسيًا مستقلاً».

فـــنجد آيـــات ذلك الاعتراف تتمثل في اشتهار شيوخ مدين بالسمعة الحسنة لـــرجاحة آرائهـــم كمـــا شهدت نصوص التوراة وشروحها. فذكرت أولاً : أن فـــرعون مصر كان راغبًا في القضاء على بني إسرائيل، ولكنه رغب أولاً في استشارة بعض الشيوخ والكبراء فيما عساه يفعل ببني إسرائيل. ولذلك فقد أرسل في طلب كل من يثرون وبلعام والنبي أيوب (عليه السلام)، وقيل إن الفرعون استشار يثرون وعماليق فقط[1].

ونهـــتم في المقام الأول بمكانة «يثرون» وسيرته الحسنة لدى الفرعون، بل اعـــتداد الأخير برأي «يثرون» مما يدل على ثقة الفرعون في تلك الشخصيات وأولهـــا الشخصية المديانية القديرة. ونتساءل «ما هو البعد السياسي وراء هذه

---

(١) Jewish. Ency., Op. Cit., vol. 7, p. 174. انظـــر: هذا الكتاب، ص ١٥٧. وذكرت شروح التوراة أن «يثرون» أسف، وحزن على المصريين إخوته في الدين. انظر المرجع نفسه، والجزء والصفحة.

الشخصــية المديانيــة، والمكانــة الــتي كان يتبوؤها يثرون»؟ وهل كانت هذه الاستشــارة حادثــة فــردية أم كان هنالك استشارات مستمرة وعلاقات سياسية واتفاقــات ونحوها بين مصر ومدين؟ باعتبار أن أهل مدين كانوا كيانًا قويًا في المــنطقة. وربما تولوا حماية حدود مصر الشرقية، أو رعاية مصالح مصر في مشاريع التعدين في سيناء.

وتهمــنا مشاريع التعدين وحملاته التي وجهتها مصر في عصورها المختلفة إلى سيناء للحصول على النحاس والفيروز، والذهب والفضة وغير ذلك.

ونخــص بالتوضيح هنا موضوع التعاون المدياني مع المصريين في منطقة وادي عربة (تمنع Timna)[١] ولانشك مطلقًا في مشاركة المديانيين في العمل في مشــاريع الــتعدين. هم ومن جاورهم من القبائل الأخرى المتصلة بهم، وأهمهم عمــاليق وبــنو القين (القينيون)، وقد اشتغل أهل مدين في تمنع وعاشوا فيها. ومارسوا طقوس عبادتهم في معابد أنشئت لهذا الغرض[٢].

ورغم أن البحث الأثري لم يكشف في أبكر طور من أطوار معبد تمنع وجود معــثورات فخــار مدياني، فإنه من البدهي أن نستنتج عدم مشاركة أهل مدين للمصــريين في أعمال تعدين النحاس في تمنع في تلك الفترة الباكرة. وكان ذلك بســبب احتمال وجود عمال من قبيلة عماليق سكان صحراء النقب. ويفسر هذا الاختلافات الواضحة بين الموقعين رقم (٣٠) ورقم (٣٤) – انظر الخريطة[٣]. وكانــا مقابلين للمعبد في وادي نحشتان. ونجد أن الموقع رقم ٣٤ محمي بجدار دفــاعي (سور). ولم توجد أوانٍ مديانية في الموقع رقم (٣٠) الذي وجدت فيه مرحــلة باكرة للتعدين بين القرنين ١٥ – ١٤ ق.م. تشهد على فعاليات العمال المصريين في بئر نصيب في سيناء.

---

(١) انظر: هذا الكتاب، ص ٢٣٧.

(٢) انظر: هذا الكتاب، ص ٢٠٥.

(٣) الخريطة رقم (٧).

وقـد عثر على القليل من الفخار المدياني في الموقع رقم (٣٤) وتوجد كمية ضخمـة من الأواني المديانية في مواقع غير مسورة في تمنع، وفي موقع رقم (٢). وظهرت الأواني من البداية تمامًا في كل سويات مقر الصهر. ويدل وجود الأسوار حول بعض المواقع على قيام نوع من الخصومات والعدوان في بدايات فعاليـات الـتعدين وأعماله، خاصة في وادي مغرة حيث ترتفع الأسوار حول مستوطنات التعدين.

ويـرجح أنـه بعـد هزائم وتراجع، قام المصريون بعقد اتفاقات مع سكان المـنطقة المحـليين. وكـان أبرز أولئك السكان أهل مدين وعماليق، بل ربما أصبحوا يمثلون نوعًا من الشركاء في العمل والسكن والعبادة أيضًا وخاصة في معبد «حتحور»[١].

ورأيـنا أن أهل مدين قد انفردوا بعد ذلك بأعمال التعدين في فترات انسحاب المصـريين، أو انشغالهم بأمورهم الداخلية في فترات الضعف مثلاً. ورأينا أن أهل مدين في تلك الفترات قد انفردوا بأعمال التعدين، والعبادة في معبد حتحور، بل إنهم حولوه إلى معبد مدياني.

٣ - العلاقات بالكنعانيين :

أما علاقات مدين ببلاد الشام (آمورو - كنعان) فنفترض أنها كانت علاقات مباشـرة ومستمرة وعلى جميع الأصعدة. فنجد أولاً علاقة جوار مباشر، نتج عنه اتصال دائم. ونفترض قيام علاقة تجارية جيدة عبر الدرب المباشر الذي يخـترق أرض مدين في شمال الحجاز من بلاد العرب متوغلاً في بلاد الشام، وتسلكه قوافل التجارة المحملة بالبخور، وبضائع جنوب بلاد العرب. ثم تعود القوافـل مـن بلاد الشام محملة ببضائع هذه البلاد وتحتاجها بلاد العرب على المنوال نفسه.

---

(١) Rothenberg, Timna, p. 182; Mazar, Op. Cit., p. 286.

ويمكننا هنا اعتبار تجار مدين وسطاء العمليات التجارية. وربما أنه كان بعضهم أدلاء وحراسًا يسيرون مع القوافل لحمايتها من أخطار الطريق وهجمات اللصوص وقطاع الطرق. إضافة إلى وجود واحات على مسافات متقاربة في أرض مدين. وكانت تلك الواحات محطات جيدة للقوافل. تتوقف فيها للراحة والتزود بالماء والمؤن الغذائية لأهل القافلة، والعلف للدواب وتبديل الرواحل إذا اقتضى الأمر، ناهيك عن الأسواق التجارية في مدين التي كان يتم فيها عمليات بيع وشراء المواد والبضائع وخاصة ما يلبي احتياج أهل مدين أنفسهم. ويفترض هنا وجود تجار من أهل مدين تولوا عمليات تجارية خاصة بهم ولحسابهم. ومارسوا أعمال البيع والشراء بما فيها الغش التجاري في الكيل والوزن[١].

ونتلمس من خلال العلاقة التجارية الوثيقة والتبادلات المادية مع بلاد الشام أو بلاد كنعان ما رافقها من علاقات ثقافية كان أبرزها تبادل الأفكار والمعتقدات، والعادات والتقاليد. واقتبس أهل مدين أساليب حضارية في شتى المجالات، خاصة وأن أهل مدين أهل ثراء وغنى فنفترض أنهم أخذوا بأسباب الرفاه والترف في حياتهم. ويكفي أن نستشهد على ذلك المستوى المترف باتخاذ رجال مدين لأنواع من الحلي الذهبية (الأهلة الذهبية) زينة لهم، إضافة إلى ارتداء فاخر الثياب من أثواب الأرجوان[٢] ونحوها. ونرجح أن هذه الثياب الأرجوانية مستوردة من بلاد منشئها في مدن الشاطىء السوري.

وذكر في شروح التوراة ما يدل على أن «يثرون» شعيبًا « عليه السلام » كتب إلى النبي موسى (عليه السلام) ليبلغه أنه قادم إليه وبصحبته صفورة (زوج موسى) وابناها وذلك عندما كان النبي موسى مقيمًا في مقره في البرية بعد الخروج من مصر[٣]. ونتساءل بأي لغة تم التفاهم بين الرجلين منذ لجوء النبي موسى إلى أرض مدين.

---

(١) انظر: هذا الكتاب، عن تجارة مدين.

(٢) عدد، ٣١ : ٥٠ – ٥٣؛ قضاة، ٨ : ٢٦ – ٢٧.

(٣) انظر: هذا الكتاب ، ص ٥٤٠ .

وبأي كتابة حررت هذه الرسالة ؟ هل كانت مكتوبة بالأبجدية الفينيقية مثلاً. ومن الــذي كــتب هذه الرسالة. هل كان كاتبًا مديانيًا، أم كاتبًا كنعانيًا؟ وهل كانت هذه الكــتابة شــائعة بيــن أهــل مدين؟ ويمكن افتراض أن أهل مدين اقتبسوا الكتابة الأبجدية وتعلموها من أهل كنعان. أو أنها كانت كتابة أخرى مصرية مثلاً، مع أن شواهد استعمال الهيروغليفية في فلسطين ضئيلة مقابل سيادة الكتابة المسمارية ثم الأبجدية الفينيقية منذ منتصف الألف الثانية ق.م. وتلاها انتشار الأبجدية الآرامية. وتقود هذه الاحتمالات إلى التساؤل فيما إذا كان لأهل مدين كتابة خاصة بهم ولن نــتمكن اليــوم من إعطاء إجابات، لكن توافر مزيد من المعلومات قد يحقق ذلك مستقبلاً.

ومهما كانت الاحتمالات فإن إرسال «يثرون» رسالة خطية إلى النبي موسى (عليه السلام) دليل على وجود كتابة في مدين كان النبي موسى يفهم محتواها اللغوي، ونعــود للتساؤل هل تعلمها موسى في مصر أم في مدين خلال فترة إقامته بين أهلها؟ وما هي تلك الكتابة وبأي لغة ؟ هل كانت لغة مشتركة بين تلك الشعوب الــتي أطلق عليها في العصر الحديث اسم «السامية»، أو «السامية الأم»[١]. أم كــانت هــناك كتابة رسمية يفهمها الجميع، وكان لكل منهم لغته الخاصة. إنها مجرد تساؤلات!. وذكرت التوراة أن الأرض كلها تكلمت بلسان واحد[٢].

لــم توضـــح نصــوص التوراة اسم تلك اللغة الواحدة التي كان يتكلم بها أهل الأرض. ولم تحدد أيضًا تلك الأرض، هل كانت منطقة مقصودة بالذكر أم منطقة عامــة. وهــل يدل ذكر اسم «مدينة بابل» على ما كانت عليه الكتابة المسمارية بالــلغة البابلية من الانتشار في منطقة الشرق الأدنى. وأنها كانت واسطة للتفاهم

---

(١) عــن السامية، انظر: الخازن، نسيب وهيبة، "**من الساميين إلى العرب**"، بيروت، ١٩٦٢م، ص ٩. وضــع شلوترز مصطلح «السامية» و«الساميون» عام ١٧٨١م. انظر ، ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، ص ١٠٣.

(٢) تكوين، ١٠ : ٣٢؛ ١١ : ١ – ٩.

الدولـــي وبخاصة في عصر البرونز الحديث واستمرارها إلى أن أخذت الأبجدية والمســمارية والخطية الكنعانية تحل مكانها بسهولة كتابتها. وكانت مراسلات تل العمارنة أبلغ برهان على عالمية المسمارية البابلية Lingua Franca [(١)].

ج – العلاقة بسكان مناطق شبه الجزيرة العربية :

تشـغل مدين الركن الشمالي الغربي من شبه جزيرة العرب، وبالتحديد شمال مـنطقة الحجـاز. وكمـا هو معروف فإن أقسام شبه الجزيرة العربية متعددة، ومناطقها مختلفة. ونخص بالدراسة : أولاً : القبائل المجاورة لأهل مدين أي في مـناطق مـتاخمة لأرض مدين، وقبائل متصلة بمدين بصلات مباشرة كرابطة نسـب أو دم، أو لها علاقات تجارية ونحو ذلك. وكانت كلها قبائل معروفة في شـمال بلاد العرب. ثانيًا : سكان المناطق الأخرى وإن بعدت مساكنها، مثل : سـكان بقيـة الحجاز، وتهامة، وسكان الجنوب العربي أي جنوب بلاد العرب، وقلب وشرق شبه الجزيرة العربية، حسب وجود تلك العلاقات والصلات وتبعًا لما هو متوافر من معلومات عن ذلك.

أولاً – القبائل المجاورة لأهل مدين :

١ – عماليـق – العمالقة ، وعلاقتهـم بأهـل مديـن وبنـي إسـرائيـل

The Amalek עמלק

ورد فـي الـتوراة : « واجتمع جميع المديانيين والعمالقة وبني المشرق معًا وعبروا ونزلوا وادي يزرعيل »[(٢)].

يـبدأ الاهـتمام بالعمالقة أو عماليق ودراسة أوضاعهم من هنا، على ضوء علاقـتهم كأحلاف لبني مدين كما ذكره النص. ونهتم بمنطقة سكناهم المجاورة

---

(١) انظـر : هذا الكتاب ، ص٤٨٧ عن مراسلات تل العمارنة، ولسون، المرجع السابق، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧؛ فخري. **مصر الفرعونية**، ص ص ٣١٩، ٣٢٠.

(٢) قضاة، ٦ : ٣٣، عن وادي يزرعيل، انظر : هذا الكتاب، ص ٥٧٥ هامش رقم ٤.

لأرض مديـــن. أمـــا نسبهم وتاريخهم فلا مجال للتعرض إليه فاهتمامنا بهم من خلال علاقتهم بمدين فقط(١).

وســكن العمالقـــة في مناطق فلسطينية. احتلها بنو إسرائيل وبنو يهوذا، بالإضافة إلى أن العماليق سكنوا مناطق شرق الأردن وغيرها. وكانوا على السواء مستقرين وجوالين، أي يحتمل أنهم كانوا ذوي ثنائية اجتماعية تتألف مــن بــدو، وحضر. وذكر عنهم أنهم سكنوا حيناً ضواحي وأطراف المدن والمســتوطنات الحضـــرية، وحينا التحقوا بمناطق صحراوية(٢). وإن كان

---

(١) نســبت التوراة العمالقة إلى عيسو، فهم أبناؤه ومن نسله، هو عماليق بن أليفاز بن عيسو وأم عماليق هي تمناع سرية اليفاز. انظر: تكوين، ٣٦ : ١٢ – وعرف عيسو بأنه أخو يعقوب فهما ابنا إسحاق. انظــر تكوين، ٢٥ : ٢٧. ويتناقض هذا النسب مع ما ذكره المؤرخون العرب الذين جعلوا العمالقة من سكان مكة قبل جرهم الثانية، علمًا بأن جرهمًا الثانية سكنت حول وادي مكة قبل النبي إسماعيل (عليه السلام). ونســبوهم إلى عمليق بن لوذ بن إرم. فنزل بعضهم الحرم وذهب الآخرون إلى بلاد الشام. وعــرفوا بالعماليق. وقيل إنهم سكنوا صنعاء، وهم من العرب العاربة، انظر الطبري، **تاريخ**، ج١، ص ص ١٠٥ – ١٠٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص ٥٣. وقاتلوا قوم هود. وكان السميدع ابــن هوبر أول من ملك من الجبابرة ولد عمليق، وسار من أرض تهامة إلى الشام. انظر اليعقوبي، أحمــد بــن أبي يعقوب بن جعفر، "تاريخ اليعقوبي"، بيروت، ١٣٧٩هـــ، ١٩٦٠ م، ج١، ص ٤٦. وقيل إن الجبارين منهم الذين قاتلهم النبي موسى (عليه السلام). وقضى عليهم يشوع. وقيل أن «السميدع» صـــار لقبًا لهم. وكان لهم حروب مع جرهم، وملكوا أيلة على خليج العقبة. وينحدر بنو عبيل منهم أيضًا، وهم الذين بنوا «يثرب» وكان ملكهم فيها يدعى «يثرب ابن عبيل» فعرفت به. ونزل «خيبر بــن قانية» من العماليق في خيبر أيضًا. وتوالى ملكه في ولده إلى أن أخذها اليهود واستقروا فيها. انظر الأندلسي، ابن سعيد أبو الحسن علي، **"نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب"**، عمان، ١٩٨٢/، ج ١، ص ص ٥٤ – ٥٩، الســـهيلي، أبـــو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله. **"الروض الأنف"**، القاهرة، ١٩٧٢م ، جـــ٢، ص ٢٥١.

(٢) HB. Dic., Op. Cit., p. 25.

وذكــرت الــتوراة أن العمالقـــة كانوا بجوار الكنعانيين في الوادي «وإذ العمالقة والكنعانيون ساكنون في الوادي فانصرفوا غدا وارتحلوا إلى القفر في طريق بحر سوف»، انظر: عدد ١٤: ٣٥، ٤٣ – ٤٥ حيث تؤكــد تجـــاورهم في مناطق جبلية أيضًا. وجاء ذكر العمالقة مع بعض أمم أخرى يوم الثورة على ملك عيـــلام «كدرلعومر»، الذي تحالف مع «تدعال» ملك جوييم «وأمرافل» ملك شنعار، وأريوك ملك ألاسار، وحـــارب بارع ملك سدوم، وبرشاع ملك عمورة، وشنآب ملك أدمة، وشمئيبر ملك صبويم، وملك بالغ إلى صوغر وكان معهم حلفاؤهم الرفائيون في عشتاروت قرنايم والزوزيون في هام والإيميون في شوى قريتايم، والحوريـــون في جبلهم سعير إلى بطمة فاران والعمالقة والآموريون، وذلك منذ عهد إبراهيم الخليل (عليه السلام) ومعـــه ابـــن أخيـــه لوط الذي أخذوه من سدوم ثم أنقذه إبراهيم (عليه السلام)، كدر لعومر Chedor Laomer – Kedorlaomr انظر : تكوين ١٤ : ١ – ١٦؛ Anati, E., "**Palestiine; Befor Hebrews**", London, 1963, pp. 384-385.

الجبابـــرة الذين قاتلهم النبي موسى (ﷺ) منهم، فهم سكان مدن بلاد كنعان أيضًا.

ونســـتخلص من ذلك أن أرضهم كانت بجوار أو قرب أرض مدين. ونشأت مـــن هنا علاقات الجوار، والتحالف والاتفاق، والهدف المشترك بين أهل مدين والعمالقة وهذا الحلف الكبير ضد الخطر الخارجي. وكان معهم غيرهم من بني المشرق. فتتضح العلاقة السياسية هنا، والتي ربما كانت اقتصادية الجوهر. ولا نســـتبعد قيـــام الصلات والروابط الأخرى التي تنشأ بين الجيران. ومن أهمها العلاقة الاجتماعية من مصاهرة وصداقة وتحالف... إلخ.

وإذا كـــان العمـــاليق من نسل عيسو بن إسحاق (ﷺ) فهم أيضًا أحفاد النبي إبـــراهيم الخـــليل (ﷺ) أي أبناء عم لبني مدين وبني إسرائيل. وينحدرون من الجد نفسه (الأرومة). وبعد خروج بني إسرائيل من مصر اصطدموا بالعمالقة.

فمـــنذ أن وصل النبي موسى (ﷺ) وقومه إلى رفيديم (انظر الخريطة رقم ١١) برز إليهم العمالقة وحاربوهم واقتتلوا طوال النهار «وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم فقال موسى ليشوع انتخب لنا رجالاً واخرج حارب عماليق وغـــدًا أقف أنا على رأس التلة وعصا الله في يدي. ففعل يشوع كما قال موسى ليحـــارب عماليق، أما موسى وهارون وحور فصعدوا على رأس التلة وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب وإذا خفض يده أن عماليق يغلب. فلما صارت يـــدا موسى ثقيلتين أخذا حجرًا ووضعاه تحته فجلس عليه. ودعم هارون وحور يديـــه الواحد من هنا والآخر من هناك فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس. فهـــزم يشـــوع عماليق وقومه بحد السيف». وأشار النص إلى استمرار الحرب «للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور»(١).

---

(١) خـــروج، ١٧ : ١٨ – ١٣، ١٦، تقـــع رفيديـــم רפידים -Rephidim في صحراء النقب. أقام بنو إسرائيل معسكرهم فيها. وهنالك ضرب النبي موسى الصخرة ليفجر الماء فيوفـــره لبني إسرائيل ، =

ويتضح من النص طول زمن المعركة بين الفريقين وتكافؤ القوتين المتحاربتين.

ولا يتضح من النص أسباب هذه الحرب، ولكن يمكن الاستنتاج أن منطقة رفيديم كانت تابعة للعمالقة.

وإذا كان لابد لكل حرب أو نزاع من دوافع وأهداف فأغلب الظن أن ذلك الاستنتاج كان صحيحًا وأن هدف بني إسرائيل كان الاستيلاء على منطقة رفيديم. ولربما كان هنالك سبب آخر حرك العمالقة ودفعهم لمحاربة دعوة موسى (س) ودينه الجديد، فأصبح كلا السببين "الاقتصادي والديني" محتملاً.

واستمر العمالقة في الإغارة على بني إسرائيل في كل مناطق بلاد الشام ومن أرض الحجاز أيضًا من يثرب والجحفة حيث كانوا مستقرين هناك أيضًا. وانتشروا إلى مكة[١] وقد شكا بنو إسرائيل من إغارات العمالقة المتكررة عليهم. فوجه النبي موسى (عليه السلام) إلى العمالقة جيشًا وأمر بقتلهم عن دابرهم (إبادة) فانصاع الجيش لأوامر النبي موسى وقاتلوا العمالقة وملكهم «الأرقم». واستحيوا ابنًا للأرقم، أي ابن الملك وكان يدعى الهَرِم بن الأرقم. وكان شابًا جميلاً فأشفق عليه الجيش من القتل وعاد به إلى موسى. وعندما عاد هذا الجيش وجد أن النبي موسى (عليه السلام) قد مات. ووبخهم الناس لأنهم خالفوا أمر النبي موسى، واستبقوا هذا العمليقي على قيد الحياة. فشعر الجيش بالخوف وقدروا سوء عاقبة مخالفتهم تلك فعادوا بالشاب (الهرم بن الأرقم) من حيث جاءوا، خوفًا على أنفسهم وفرارًا من العقاب[٢].

== ومعنى اسمها «مكان الراحة» أي استراحة، وتعرف مع مسة ومريبة. انظر : خروج ١٧: ١ – ٧،
HB. Dic., Op. Cit., p. 862;Cambridge Ancient History Op. Cit., vol.8, part 2A,p. 326., Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 318.

(١) الأندلسي. نشوة الطرب، ج١، ص ٥٧.

(٢) الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. "**كتاب الأغاني**"، بيروت، د.ت.، ج ٢٢، ص ١٠٧؛ السهيلي. **الروض الأنف**، ج٢، ص ٢٥٠. الأندلسي. **نشوة الطرب**، ج١، ص ٥٧ وما بعدها؛ Newby, G.,"**A History of the Jews of Arabia**", Carolina, 1988, pp. 14 -15.

ويظن أن مدينة تيماء كانت عاصمة من عواصم العمالقة ومستقراتهم، وقيل بل إنهـم مؤسسوها. وكان يحكمها ملك من العمالقة يدعى الأرقم بن أبي الأرقم الذي حاربـه جيش النبي موسى (عليه السلام). وقد عرف العمالقة بعدائهم لبني إسرائيل. وأن حروبًا متعددة دارت بينهم في النقب و(في رفيديم)، وفي تيماء وغيرها[١].

والأرجح أن اسم الأرقم متكرر بين ملوك العمالقة، مما دعا إلى الظن بوصول جيش النبي موسى إلى تيماء حيث كانت تابعة للعمالقة. ونفترض أن الأرقم الذي حاربه جيش النبي موسى (عليه السلام) كان زعيمًا لبعض العمالقة الساكنين في ضواحي مستوطنات العمالقة وكان أحد ملوك مدين يدعى راقم أيضًا.

وقد ورد ذكر ملك من طسم، كان ظالمًا غاشمًا يقال له عملوق[٢]. وربما أن هـذا الملـك هو الجد الذي انتسب إليه عمالقة اليمامة. واشتهر من العمالقة في ريـف العـراق «أبـاغ بن قطورة بن هوبر العمليقي». وتنسب إليه عين أباغ المشهورة التي كانت تنزلها قبيلة إياد.

وممـن اشـتهر من العمالقة في بلاد الشام «عمرو بن الظرب بن حسان بن أذيـنة بن السميدع بن هوبر». وقيل إن السميدع كان حاكم أيلة، وقد قتله يشوع وأخذهـا مـنه أي أن أيـلةً كانت تابعة للعمالقة، وأن بقايا العمالقة استمروا في المنطقة إلى عهد «الزباء» وكان بعض جنودها من بقايا العمالقة[٣].

وذكـرت الـتوراة من ملوك العمالقة «الملك أجاج» وهو الذي حارب شاؤل ملك بني إسرائيل.

---

(١) Beaulieu, p., "**The Reign of Nabonidus**", New Haven, 1989, p. 149; Oleary, Op. Cit., p. 53.

الجاسـر، حمـد. "**في شمال غرب الجزيرة**"، ـــ ط٢ـــ الرياض، ١٤١٠هـ، ص ٣٢٨؛ القثامي، حمود بن ضاوي. " **شمال الحجاز**"، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ج١، Newby, Op. Cit., p. 16, Cambridge Ancient History, Op. Cit., vol. 2, Part 2A, p. 327.

مـع ملاحظـة أن أحـد أبناء إسماعيل بن إبراهيم يدعى تيما Tema وقيل إنه سكن تيماء وهو مؤسسها. انظر تكوين، ٢٥ : ١٥.

(٢) الطبري. **تاريخ**، ج٢، ص ٣٨.

(٣) الأندلسي. **نشوة الطرب**، ج١، ص ص ٥٨ – ٥٩. المسعودي. **مروج الذهب**، ج١، ص ٦٤.

وكـان العمالقة مشتغلين بالتعدين أيضًا في وسط صحراء النقب خاصة، من نهاية القرن الرابع عشر إلى منتصف القرن الثاني عشر ق.م.، وبخاصة خلال فترة مشاريع التعدين المصرية في تمنع(١).

ويبدو أن عداء العمالقة لبني إسرائيل مستمر فنرى أنهم عقدوا حلفًا ضد بني إسـرائيل مـع عجلون ملك موآب، ومع بني عمون إضافة إلى حلفهم مع أهل مديـن وبـني المشـرق. وتمكنوا من هزيمة بني إسرائيل واستولوا على مدينة الـنخل. ويـبدو بعـد ذلك أن عجلونًا حكم إسرائيل لمدة ١٨ عامًا، ولكن بني إسـرائيل تخلصـوا بعـد ذلـك من عجلون حيث قتله غدرًا رجل منهم يدعى «إهود»(٢). وهو أول قضاتهم.

ويسـتمرعداء وصـراع العمالقة لبني إسرائيل طوال فترة عصر القضاة في إسرائيل، والتي امتدت حوالي قرنين من الزمن. ثم يستمر ذلك التطاحن في عهد المـلك شـاؤل والملك داود، أي في عصر مملكة بني إسرائيل أيضًا. ثم يخفت ذلك الصراع وتخف حدته، ولم يعد يرد ذكر العمالقة في التوراة.

كـانت حـروب العمالقة ضد بني إسرائيل للدفاع عن الأرض التي يملكونها ويقطنون فيها، مع أن بعض المصادر تغض البصر عن هذه الحقيقة. وتشير إلى العمالقـة بأنهم رعاة متوحشون وغزاة محترفون. يهاجمون القرى والمجتمعات الـزراعية المجاورة لهم(٣). وذلك زعم باطل كما يتضح من نص التوراة نفسها «في الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا لكي تمتلكها تمحو ذكر عماليق من تحت السماء لا تنسى»(٤).

---

(١) أجاج – Agag – ومعنى أجاج : شديد الملوحة والمرارة، والشديد الحرارة، وأج : أسرع. صموئيل الأول، ١٤ : ٤٧ – ٤٨؛ ١٥ : ٢٠؛ ابن منظور، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٣، قال تعالى : ﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملحٌ أُجاج ﴾، سورة الفرقان، الآية ٥٣.
Newby, Op. Cit., p. 16, Rothenberg, Timna, p. 124, HB. Dic., Op. Cit., p. 14.

(٢) قضاة، ٣ : ١٢ – ٢١. انظر : هذا الكتاب، ص ٤٧٠.

(٣) Albright, The Biblical Period, p. 40; HB. D.c., Op, Cit., p. 25; Baly, Op. Cit., p. 159.

(٤) تثنية، ٢٥ : ١٩.

إذن يتضح أن الهدف كان الاستيلاء على الأرض والتخلص من سكانها بإبادتهم وطردهم. وكان العمالقة قد حققوا نصرًا في غزو الجنوب وصقلغ التي أحرقوها بالنار، وسبوا النساء، ولكنهم لم يقتلوا أحدًا[١]. وكان مع النساء السبايا أخينوعم اليزرعيلية، وأبيجايل – وكانت إمرأة نابال الكرملي – وهما من أزواج داود (عليه السلام). وكان الذي أخبر النبي داود عن الحادثة رجل مصري كان عبدا لرجل عماليقي. ثم استعاد النبي داود الأسرى، وأنقذ زوجتيه. ولم ينج من العمالقة إلا أربعمائة غلام فروا هاربين على الجمال[٢].

استمر العمالقة في مواقع حصينة ولهم جيش قوي صامد طوال فترة عصر قضاة بني إسرائيل بل إلى عهد الملك داود فتمكنوا من مهاجمة الجنوب ومدينة صقلغ بل حققوا النصر، وسبوا النساء وبينهن نساء الملك داود نفسه.

ثم ورد ذكر حرب أخرى قامت بين العمالقة وبني إسرائيل قبل ذلك في عهد الملك شاؤل ضد أجاج ملك العمالقة. وقد حذر شاؤل القينيين من المشاركة، وطلب منهم الابتعاد والتخلي عن العمالقة لأنه لا يرغب في محاربة القينيين؛ إذ إنهم لم يشتركوا في السابق مع العمالقة في حرب ضد بني إسرائيل منذ بداية الخروج من مصر[٣]. وقد تجنب الملك شاؤل محاربة القينيين لمعروفهم السابق بعدم محاربة بني إسرائيل، وأنهم كانوا على صلة طيبة معهم. ولم يتصرفوا مثل أهل مدين مثلاً.

وأرسل الملك داود (عليه السلام) هدايا مما غنمه من العمالقة إلى جميع شيوخ قبيلة يهوذا. وكان أولئك الشيوخ نازلين في مدن غير مدنهم. وجميعها مدن معروفة بأسمائها القديمة بأنها مدن كنعانية – فلسطينية، نورد منها مثلاً : بيت إيل،

---

(١) صموئيل الأول، ٣٠ : ١ – ٢.

(٢) صموئيل الأول، ٣٠ : ٥، ١٣، ١٧؛ صموئيل الثاني، ١ : ١، ٨، ١٤.

(٣) صموئيل الأول، ١٥ : ٥ – ٧. وأزعج عماليق صموئيل بأصوات أغنامهم وأبقارهم. السفر نفسه، ١٥ : ١٤.

ورامــوت الجــنوب، ويتير، وعروعير، وسفموث، وأشتموع، وراخال، ومدن اليرحمئيليين، ومدن القينيين، وحرمة، وكورعاشان، عتاك، وحبرون(١).

وتشــجع السمات الحضارية الفريدة المكتشفة في تل ماسوس على الظن بأن الموقــع كــان مستوطنة للعمالقة أو مستوطنة كنعانية – فلسطينية، وذلك مؤكد بالاســتناد إلى طــراز المباني والفترة الزمنية التي عاشها السكان خلال عصر الـبرونز الأخير، وعصر الحديد الأول. وكان اقتراح م. كوشافي -M. Kochavi بأن سكان تل ماسوس كانوا من العمالقة(٢).

ورغــم كــل إدعاءات القوة والسيطرة التي أكدتها نصوص التوراة بقي قسم كــبير من فلسطين خارجًا عن سيطرة بني إسرائيل إلى قيام مملكتهم وإلى نهاية حكم الملك شاؤل (أصبح ملكًا في الربع الأخير من القرن ١١ ق.م.).

وشــمل ذلــك ســاحل فلسطين، وبلاد كنعان في الأودية والسهول الشمالية، ومعظم شرق الأردن. ونتج ذلك عن الحرب المستمرة التي خاضها بنو إسرائيل ضد تلك الشعوب (أي من الفلسطينيين والكنعانيين والعمالقة في النقب)(٣). وأهل مديــن. وبسبب قوة الصمود والمقاومة المستمرة التي أبدتها شعوب المنطقة في كل مكان سواء في الشمال أو الجنوب أو الغرب.

---

(١) صــموئيل الأول، ٣٠ : ٢٦ – ٣٠، Cambridge, Ancient, History, Op, Cit., vol. 2, Part 2B, pp. 552-554. اليرحمئيليون – ירחמאלי – The Jerahmeelites، اسم جماعة مركب من كلمتين (يرحم – ايل). وهم كنعانيون أصحاب البلاد كانوا يسكنون في أقصى الجنوب مــن الأرض الــتي سكنتها يهوذا، اتصل بهم النبي داود (عليه السلام) بعد أن هرب من شاؤل، انظر : صــموئيل الأول، ١٠:٢٧، ســكنوا في منطقة من النقب نسبت إليهم «نقب اليرحمئيليين» HB. Dic., Op, Cit., p. 455, Odelain and Seguineau, Op, Cit., pp. 194, 281.

(٢) تل ماسوس Tell Masos هو خربة المشاش Khirbet el Meshash يقع شمال صحراء النقب مع بــئر ســبع أو تــل ســبع وتــل مــلحات، وتتوج هذه التلال بالغابات، انظر : Aharoni, Y., "Forerunners of The Limes, Iron Age Fortresses In the Negev.", **Israel Exploration Journal Reader**, New York, 1981, vol. 1, p. 305.

(٣) Mazar, Op, Cit., pp. 353, 344, 366 n. 52, 369.

ويـــدور نقـــاش طويـــل حول مستوطنات النقب بين مؤيد لكونها عماليقية، ومعـــترض، غير أن المؤيدين أمثال : ي. أهاروني Y. Aaroni يناقضون الحقائق التاريخية(١). ويحاولون اختلاق إقامة مستوطنات بني إسرائيل حتى قبل الوجود الفعـــلي لبني إسرائيل، وبشكل يناقض التتابع الزمني للأحداث والوقائع. أي قبل الخـــروج وما تبعه من أحداث والذي يعد بداية تاريخهم الفعلي. فقبل الخروج لم يكن لبني إسرائيل تاريخ واضح.

ويرجح أنه بنهاية القرن الحادي عشر ق.م. حلت كارثة في شمال صحراء النقب (منطقة عراد – بير السبع) حيث شهدت المنطقة تدميرًا كبيرًا، ثم هجرًا لمســتوطنة تــل ماسوس. وربما كانت تلك كارثة طبيعية (كزلزال) أو كانت الكارثـــة مرتـــبطة بالحروب ضد العمالقة ومن معهم لإخراجهم وطردهم من المنطقة(٢).

وكـــان لـــلعمالقة مستوطنات أيضًا في شمال سيناء كما في النقب. وكان من جيـــرانهم الجشوريون(٣) والجرزيون(٤). وتقع مناطقهم إلى جنوب اليرحمئيليين والقينيين(٥).

---

(١) Mazar, Op. Cit. pp. 394-395.

(٢) Mazar, Op, Cit., p. 396.

(٣) الجشوريون – הגשורי – Geshur مملكة قديمة وصغيرة تقع جنوب الجولان في آرم إلى شرق بحر الجليل. حاربت بني إسرائيل خلال القرنين ١٣ – ١٢ ق.م.. وظلت مملكة مستقلة كممـــلكة آراميـــة إلى عهـــد النبي داود (عليه السلام) الذي تزوج منهم، انظر : يشوع، ١٢:٥، ١٣:١؛ صموئيل الثاني ١٥: ٨؛ HB. Dic. Op, Cit., p. 341; Odelain and Seguineau, Op, Cit., p. 136.

(٤) الجـــرزيون – הגרזי – Girzites إحـــدى قـــبائل النقب الذين حاربهم داود (عليه السلام) مـــع ملاحظة أنهم ذكروا في التوراة مرة واحدة Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 139. فقط، صموئيل الأول، ٢٧ : ٨.

(٥) يشوع، ١٣ : ١١، ١٣، صموئيل الأول، ٢٧ : ٨ – ١٠. HB. Dic., Op, Cit., p. 524.

٢ – الإسماعيليون - Ishmaelites

قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيًا ﴾[١].

وجاء عنه في التوراة «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره جدًا إثني عشر رئيسًا يلد وأجعله أمة كبيرة»[٢].

وقد سكن بنو إسماعيل المناطق الصحراوية الممتدة من داخل بلاد العرب، إلى بلاد الرافدين والشام. وهي المنطقة نفسها التي سكنتها مجموعة القبائل العربية وملوكهم وكهانهم، المذكورون في النقوش المسمارية الآشورية، مثل : جنديبو وملكة العرب شمسي وزبيبي وغيرهما. وكان جنديبو شيخاً عربيًا أو ملكًا للعرب.

وكان أحد أعضاء الأحلاف الشمالية، وشارك في حلف معركة قرقر بألف جمل[٣].

وورد أن من ابني إسماعيل وهما نابت وقيدار انتشر العرب. وبعث الله إسماعيل إلى العمالقة وقبائل اليمن[٤].

وأبناء إسماعيل هم : «نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة هؤلاء هم بنو إسماعيل. وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم إثنا عشر رئيسًا حسب قبائلهم». وجاء عن مساكنهم

---

(١) سورة مريم، الآية ٥٤.

(٢) تكوين، ١٧ : ٢٠؛ ٢١ : ٢٠.

(٣) جواد علي. **المفصل**، ج١، ص ٥٧٥؛ Seters, Op, Cit., p. 37. واسم إسماعيل مركب من كلمتين «سمع – إيل» أي سمع الإله، وهو إسماعيل بن إبراهيم الخليل (عليه السلام) من زوجه هاجر (رض)، انظر تكوين، ١٧ : ٢٠؛ ٢١ : ٩، ١٧، ابن دريد، المرجع السابق، ج١، ص ٥.

(٤) الطبري. تاريخ، ج١، ص ص ١٦١–١٦٢. ونابت هو نبايوت נביות – Nebaiot وقيدار קדר – Kedar، تكوين، ٢٥ : ١٣.

مـــا يلي : «وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو شور أمام جميع إخوته نزل»[١].

ويتضح أن هؤلاء الأبناء الإثني عشر من نسل إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام). وأنهـــم أصــــبحوا قبائل وشعوبًا كبيرة. وكان على رأس كل منها جدها الأعلى رئيسًا (أميرًا).

وتـــرد أســـماء بعضهم بصيغ مختلفة[٢]. وللبعض منها معانٍ واضحة وذات دلالــــة فمـــثلاً «قيدار» يعني الغامق أو القاتم (المسود).و يعني «مبسام» العطر (المعطـــر). وجاء اسم «حدار» بمعنى العنف. وكان «تيما» هو الذي استقر في تيمـــاء. و«يطـــور» بمعنى أسوار حجرية و«نافيش» بمعنى ثري جدًا، أو ثمين (نفيس). و«قدمة» أي الذي يسافر باتجاه الشرق.

وذكــــرت الـــتوراة أن الإســـماعيليين اسم مرادف لتجار مدين الذين إبتاعوا يوسف (عليه السلام)[٣].

ويعـــد الإدوميـــون أنسباء وأصهار للإسماعيليين عن طريق المصاهرة التي تمـــت مـــن جهة عيسو (أدوم) الذي تزوج من ابنة إسماعيل بن إبراهيم وتدعى محلة أو بسمة أونسمة أخت نبايوت.

وبنو إسماعيل هم أبناء عم لبني إبراهيم (عليه السلام) من زوجه قطورة[٤]. أي بني

---

(١) تكوين، ٢٥ : ١٨.

(٢) وكمـــثل عـــلى اختلاف صيغ الأسماء نجد «قيدار» أو قيدر، و«أدبئيل» أو أدبال، ولكن «حدار» تحـــرف اسمه إلى أدد وحداد. واسم « قدمة » إلى قيـــدمان قادمن. انظر الطبري. **تاريخ**، ج١، ص ص ١٦٠– ١٦٢، السهيلي. **الروض الأنف**، ج١، ص ١٥. وكانت أم بني إسماعيل هي السيدة مضاض بنت عمرو الجرهمي. السهيلي، المرجع نفسه، ج١، ص ص ١٥، ١٧.

(٣) انظر: هذا الكتاب، ص ٢٦٨.

(٤) تكوين ، ٢٨: ٩؛ ٣٦ : ٣ ، HB. Dic.; Op, Cit., p. 432 ذكــرت التـــوراة أن عيـــسو تـــزوج « محلة » ، تكوين ٢٨ : ٩ وفي نص آخـــر قـــيل بسمة أو نسمة، تكوين ٣٦ : ٣؛ السهيلي ، ==

مديـــن ابن إبراهيم (وجميع إخوته)، وهم بنو عم لبني إسحاق بن إبراهيم أيضًا. وهم أقرباء لبني عمون وموآب ابني لوط (ﷺ)[1].

وتتضح هنا صلة أهل مدين ببني المشرق – قيدار وقدم وبقية الإسماعيليين. وأنهـــا صـــلة دم وقـــرابة وثيقة، ومصاهرة أيضًا نتج عنها أحلاف، واتفاقيات سياسية، وعلاقات اجتماعية وتجارية، وتبادل أفكار ومعتقدات، وتأثيرات ثقافية حضارية، إضافة إلى الجوار والمصالح المشتركة في مختلف العصور.

ويفســـر ذلك بأن هنالك روابط قوية ثقافية واقتصادية دائمة منذ بداية تاريخ أهـــل مديـــن والإسماعيليين وغيرهم. وقد نشطت تلك العلاقات وازدهرت على المـــدى البعيد وجاءتنا أخبار ذلك منذ القرن الثامن ق.م. مدونة. وكان ذلك في نصـــوص من عصر الإمبراطوريتين الآشورية والبابلية الحديثة، والتي ربطت بين آرامي حران وشمال بلاد العرب. وعرفنا صلة إبراهيم الخليل (ﷺ) بمدينة حران، وآرام النهرين، ونستمد من ذلك أنها تتضمن صلة قوية وقديمة مع عرب شمال بلاد العرب وغيرهم[2].

ويعـــد بـــنو إســـماعيل بـــن إبراهيم أي الإسماعيليون عربًا مستعربة لأنهم استعربوا وتعلموا من أخوالهم قبيلة جرهم بن قحطان، الذين هم العرب العاربة وقد نشأ إسماعيل بينهم وتزوج منهم[3].

يستنتج من هذه المقولة أن إسماعيل بن إبراهيم وبنيه الإسماعيليين هم الذين اســـتعربوا أي العـــرب المستعربة. علمًا بأن إبراهيم الخليل لم يستعرب أي أنه

= الـــروض الأنـــف، ج۱، ص ١٥، ويلاحظ على التوراة وكتب المؤرخين العرب عدم ذكر أسماء البنات في النسل والاكتفاء بذكر الأبناء الذكور فقط.

(١) Anati, Palestine Befor the Hebrews, p. 436.

(٢) Seter, Op, Cit., p. 37.

(٣) الأندلسي. نشوة الطرب، ج١، ص ٣٠٧.

ليس من المستعربة. ويعد إسماعيل بن إبراهيم من الأنبياء العرب الخمسة وهم : هود وشعيب وصالح وإسماعيل ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام[١]. أي أن إسماعيل خالط أهل بلاد العرب، وامتزج بهم وبنوه كذلك. ثم عاشرهم، ونهج نهجهم. وتعلم منهم وسكن معهم في بلادهم، أي «بلاد العرب» وكان ناطقًا بلغة الضاد؛ اللغة العربية. ويبدو أن الإسماعيليين كانوا تجارًا لهم قوافل تجارية بدليل ذكرهم مع قوافل أهل مدين أيضًا[٢]. وربما كانت هنالك شراكة تجارية بين الطرفين أي الإسماعيليين والمديانيين. وكانت منازل الإسماعيليين مشرفة على طرق القوافل بحكم منطقة وجودهم وانتشارهم. ومما تجدر ملاحظته أنه لم تقم حرب بين الإسماعيليين وبني إسرائيل وذلك لبعد منازلهم عن درب الخروج.

٣ – بنو المشرق : בְּנֵי - קֶדֶם People of East

The Easterners - Kadmonites.

جاء في نص التوراة اسم «بنو المشرق»[٣] ويقصد بالاسم جماعة منتسبة إلى الموقع الجغرافي لسكناها. وليس باسمها الصحيح بنسب إلى أب معروف. فهؤلاء بنو المشرق هم من سكان الجهة الشرقية بالنسبة إلى فلسطين أي، هم قبائل قطنت في الجهات الواقعة إلى الشرق من فلسطين في منطقة ممتدة من شرق فلسطين إلى حدود نهر الفرات[٤]. يظهر أصل التسمية لأول مرة في نص

---

(١) وتعني كلمة استعرب أي سكن في بلاد العرب وتكلم بلسانهم وتزوج منهم. ونشأ أولاده معه بينهم أي بين أخواله من العرب العاربة فتعربوا أو استعربوا معهم. انظر ابن الجوزي: تلقيح فهوم الأثر، ص ص ٣ – ٤ حاشية ٢؛ ابن منظور، المرجع السابق، ج٢، ص ٧٢٣.

(٢) تكوين، ٣٧ : ٢٥ – ٢٨؛ OLeary, Op, Cit., p. 180.

(٣) قضاة، ٦ : ٣؛ ٧ : ١٢. ويلاحظ ظهور الاسم في عصر قضاة بني إسرائيل.

(٤) يقابل هذه التسمية «بنو المشرق» وهم سكان شرق فلسطين وشرق نهر النيل التسمية الأخرى التي أطلقها السومريون على أهل الغرب وهم سكان المناطق التي تقع غربي نهر الفرات. «آمورو»، ويتضح هنا أنها منطقة واحدة بسكانها أنفسهم وحملت اسمين أو أصبحت ذات مسميين حسب الموقع الجغرافي بالنسبة لمن أطلق الاسم Odelain and Seguineau, Op, Cit., pp. 231-232.

قصـــة النـــبيل المصري سنوحي، وتمتد مساكنهم جنوبًا إلى داخل بلاد العرب. وهـــي المنطقة التي تمتد بجوار وسط الفرات، وتقع إلى الغرب منه، أي غرب نهر الفرات.

وإذا تساءلنا من هم بنو المشرق ؟ فنظن أنهم اتحاد قبلي عربي كبير تكون من بني قدم Kadmonites وقيدار Kedar. وجاء في نص التوراة أسماء أبناء إسماعيل ابن إبراهيم الخليل (عليه السلام) وحدد النص مناطق سكناهم أيضًا. فهي تمتد من حويلة إلى شور، أمام مصر، وفي الطريق إلى آشور[١]. ويجدر بنا ملاحظة موقع مساكنهم كما ذكرها نص التوراة فيتبين أنها على الطرق التجارية الممتدة عبر هذه المنطقة بطرقها التجارية الممتدة من مصر إلى آشور في بلاد الرافدين.

فيتـــبين لنا انتشار بني المشرق في هذه المنطقة، وربما لا يقصد ببني المشرق جميع أبناء إسماعيل الاثني عشر بقبائلهم. وإنما فقط يشمل الاسم بني قدم (وتعني في اللغة العبرية شرق)[٢]. وربما يجوز أن نضيف إليهم بني أدمة وبني تيما وهما مـــن أبـــناء إسماعيل أيضًا ومساكنهم في المنطقة المذكورة نفسها ولكنها تقع في شـــمال بلاد العرب وأعنى مدينتي تيماء، ودومة. وهم الذين سكنوا أراضـي وسط الفـــرات. وانتشر الآخرون من بني إسماعيل على امتداد الطرق التجارية، وربما أن الابن «تيما» كان هو صاحب مدينة تيماء ومؤسسها. قد يبدو ذلك مقبولاً نظرًا لتطابق الاسم وموقع المدينة في المنطقة نفسها المشار إليها في شمال بلاد العرب، ولأن نسبة المكان إلى ساكنه أو مؤسسه كانت من سمات ذلك العصر.

---

(١) تكويـــن، ٢٥ : ١٨. Odelain and Seguineau, Ibid, p. 232, Eph^c al, Op, Cit., p. 224 ff.
حويلة – חוילה – Havilah اسم أطلق على أكثر من منطقة في شرق فلسطين، شور – שור – Shur وتعـــني سور وتقع شرق مصر قرب قادش في سيناء، هربت منها السيدة هاجر بابنها إسماعيل وتشتهر حويلة بثرائها في الذهب والأحجار الكريمة.
HB. Dic., Op, Cit., pp. 375-523; Odelain and Seguineau, Op, Cit., pp. 153, 350.

(٢) تكوين، ١٥ : ١٩؛ ٢٥ : ١٥؛ صموئيل الأول ١ : ٣١.

وبــنو المشـــرق إذن مصطلح يدل على قوم حسب موقعهم بالنسبة لمطلقي الاســـم. ومشتق من كلمة «شرق» في اللغة العبرية קדם من هذا الجذر «قـــدم» الـــذي يدل على جهة الشرق أو الشرقي. وتعني الكلمة أيضًا مقدمة أو بدايـــة اليـــوم، والذي يبدأ من الشرق أو بشروق الشمس. وذكرنا اسم أحد أبناء إسماعيل وهو قدمة קדמה - Kedemah[1] ومنها «القدمونيون» Kadmonites. وذكـــرنا أن «قدمة» تعني الذي يسافر إلى الشرق أيضًا. ويظن أنهم الشرقيون، وهم قبيلة عاشت في غرب الفرات. وكانوا مقترنين مع القينيين والقنزيين الذين أعطيت أرضهم وعدًا لنسل إبراهيم (عليه السلام). ويعكس الاسم ببساطة وقع منطقتهم بالنســـبة لكـــتاب التوراة في فلسطين، وكان «بنو قدم» تعبيرًا شائعًا يطلق على رعـــاة الإبـــل عامة. وكان مربو الجمال (الإبل) يدعون «الجمالة»، ولهم أهمية ومكانة بارزة في التجارة ولدى الحكام منذ القرن ١٢ ق.م.[2].

أمـــا قيـــدار : - קדר - Keder يـــرجح أنه اتحاد قبلي أيضًا في شمال صحراء بلاد العرب وبلاد الشام. وقيدار أحد أبناء إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام)، ولكـــن يـــبدو أن فترة قوة هذه القبيلة أو هذا التحـالف، وازدهاره كانا في القرن الثامن ق.م. وإن كان في فترة لاحقة لعصر أهل مدين، ولكن قيدار موجودة في المـــنطقة. فظهـــر أبكـــر ذكر لقيدار في النصوص الآشورية من عصر تغلاث بـــلازر الثاني في (مسلة إيران) بشكل Kur-Qid فذكر اسم ملك العرب ملك بلاد قيدار حزائيل. والملك قينو بن جشمو Qaynu Ben Gashmu أيضًا.

ويعـــني اســـم «قيـــدار» المعتم أو الغامق (القاتم) والمعنى الآخر «صاحب الإبل». لأنه كان صاحب إبل إسماعيل أبيه[3].

---

(١) موســـل، المـــرجع الســـابق، ص ٧٩، HB. Dic., Op. Cit., pp. 522-523; Odelain and Seguineau, Op. Cit., 231.

(٢) ياسين، الجمل، ص ص ٩٣ – ٩٤.

(٣) السهيلي. الروض الأنف، ج١، ص ١٥؛ الفاسي، المرجع السابق، ص ص ٦٤ – ٦٥. Pritchard, The Ancient Near. Eastern Texts, p. 398; HB. Dic., Op, Cit., pp. 522-523.

وقيــل إن قيدار بن إسماعيل كان الملك في زمانه. ونستمد تأكيد ذلك من نص الـتوراة الذي جاء فيه أن أبناء إسماعيل كانوا رؤساء[1]، (أمراء أو ملوكًا) على قبائلهم، وقيل إن معنى كلمة قيدار «ملك». وذكر أن حكم الحجاز (سلطنة الحجاز) كــانت بيــد قبيلة جرهم وكان مفتاح الكعبة وسدانتها بيد أبناء النبي إسماعيل بن إبــراهيم (ﷺ). وقيــل إن قبيلة جرهم (أخوال بني إسماعيل) توجت قيدار ملكًا عليها جميعًا وقيل بل أصلح قيدار بين جرهم والعمالقة بعد أن تحاربوا فدانوا له، وورث بــنو إســماعيل المــلك مــنذ هــذه الحادثة وحكم منهم «نبت بن قيدر»، و«الهميسع بن نبت». وقيل أن وباءً أهلك جرهمًا والعمالقة فسادت قيدار.

ثم ملك من نسل النبي إسماعيل أيضًا أدد (أد) بن الهميسع، ثم عدنان بن أدد، ومعــد ابن عدنان وقنص بن معد بن عدنان، ونزار بن معد. ثم تفرق بنو نزار من الحرم بسبب توالي سنوات القحط والجدب[2].

وكــانوا أهل ثراء (مواشٍ) فذكرت التوراة قطعان هذه القبيلة «كل غنم قيدار تجــتمع إليــك – كباش نبايوت تخدمك»[3]. وجاء ذكرهم كتجار أيضًا «العرب وكل رؤساء قيدارهم تجار يدك بالخرفان والكباش والأعتدة»[4].

نســتنتج مما تقدم أن قيدارًا كانت قبيلة كبيرة ذات ثنائية اجتماعية تتألف من حضــر وبــدو. وكانت قطعان مواشيهم كبيرة ومشهورة، أي أنهم كانوا يربون الماشــية ويتاجرون بها. وكان منهم تجار من نوع آخر يتاجرون بالبخور الذي قدمــوه للفرس، ويتاجرون بالأعتدة وقيل أن العتاد هو وعاء الطيب، أو السلاح وقيــل كــل شــيء معد ومحضر[5]. (أي مصنوع). وقامت شراكة كبيرة بين رؤساء قيدار وبقية القبائل العربية المشتغلة بالتجارة.

---

(١) تكوين، ٢٥ : ١٢ – ١٦؛ ١٧ : ٢٠.
(٢) الأندلسي. نشوة الطرب، ج١، ص ٣٠٧ وما بعدها.
(٣) إشعيا، ٦٠ : ٧.
(٤) حزقيال، ٢٧ : ١٢.
(٥) ابن منظور، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٧٦.

وذكرت المصادر الآشورية والبابلية بأن قيدار غزوا الأراضي وسلبوها. وقد عثر على زبدية من الفضة مؤرخة بالقرن الخامس ق.م. في تل المسخوطة في الدلتا الشرقية لنهر النيل بينت آخر امتداد أو فترة لقيدار. وكانت تلك الزبدية مقدمة للإلهة من ملك قيدار قينو بن جشمو (قين بن جشم).

اشتهر أهل قيدار بقوتهم الحربية فبرز منهم المحاربون وضاربو السهام (القواسون). وقد سيطروا على طريق التجارة الشرقي من بلاد العرب إلى الهلال الخصيب. وقام أهل قيدار بحماية حدود مصر الشرقية خلال العصر الإخميني في مصر[1].

حاول الملك نابونيد (٥٥٣ – ٥٣٩ ق.م.) أثناء إقامته (لمدة عشر سنوات في مدينة تيماء في شمال بلاد العرب) أن يفرض سيطرته على الطرق التجارية والمواقع المهمة حولها.

ثم بعد سقوط بابل (٥٣٩ ق.م.) على يد قورش كما ذكر الفرس متباهين في إسطوانة قورش. فقد ساعد أهل قيدار كسرى الفرس «قمبيز» في حملته ضد مصر (٥٢٥ ق.م.)، حيث أمدوه بالماء والمؤن عبر الطريق من فلسطين إلى مصر لأن القيداريين يومئذ كانوا يسكنون تلك المنطقة أيضًا إلى أقصى شمال غزة. ونتيجة لمساعدتهم هذه للفرس استطاعوا التوغل بقدر كبير في الدلتا الشرقية، بل ربما سيطروا عليها لأنهم تولوا حمايتها بعد ذلك، ولكن أيًا كان وضعهم فإنهم تقربوا للفرس، وقدموا ألف تالنت (١٠٠٠) من البخور كهدية سنوية (إتاوة) للسلطات الفارسية. مما يشير إلى خضوعهم للفرس. ويوضح

---

(١) وقيل إن الملك نبوخذ نصر حارب القيداريين من بني إسماعيل، انظر تكوين، ٢٥ : ١٣؛ أخبار الأيام الأول، ١ : ٢٩؛ إشعيا، ٢١ : ١٦ – ١٧؛ الهمداني، الأكليل، ج ١٠، ص ٩٩؛ HB. Dic., Op. Cit., p. 523.; Odelain and Seguinean, Op. Cit., p. 232.

وجاء عن إسماعيل في التوراة «وسكن في البرية وكان بنوه رامي قوس»، انظر : تكوين ٢١ : ٢٠؛ Eph^{c}al, Op. Cit., p. 226.

مــدى ثــرائهم، وقوة نفوذهم في المنطقة، واشتغالهم بتجارة البخور خلال هذه الحقــبة الزمــنية وعبر دروب التجارة من بلاد العرب إلى بلاد الشام ومصر. واســتمر نشاط قيدار خلال العصر الفارسي وإلى قيام دولة الأنباط الذين حلوا محلهم وسيطروا على المنطقة نفسها(١).

وكمـــا اتضـــح أن فترة نشاط قيدار وازدهارهم تالية بعد عصر أهل مدين. ونــرجح أن تكون علاقتهم مع قبيلة عيفة وإخوته بني مدين لتزامنهما في الفترة التاريخية في القرنين التاسع والثامن ق.م. حسب ما ذكرته النصوص المسمارية الآشورية عن عيفة وقيدار. واشترك كلاهما في حرب مع ملوك بلاد الرافدين. وتعد قيدار قبيلة عظيمة بين قبائل الإسماعيليين.

وكـــان دومة : דומה Dumah بن إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام) وقد نسبت إليـــه مديـــنة أدومو – دومة الجندل (الجوف)، التي تقع في شمال بلاد العرب (المملكة العربية السعودية)(٢).

ونختم موضوعنا بمن حل في منطقة مدين وجاور فيها، وهم :

قبيلة جذام :

عاش على أرض مدين شعوب وقبائل كثيرة بعد أهل مدين. وشغلوا تاريخها

---

(١) Seter, Op. Cit., p. 36.

ويــرى أ. إفعال I. Ephcal أن قبيلة إسماعيل كانت مركز اتحاد قبلي تركز في جنوب فلسطين قــبل منتصف القرن العاشر ق.م. وافترض أن «قادش برنيع» كانت مركز الاتحاد بينما يرى أ. كناوف E.Knauf أن «دومة» كانت مركز ذلك التحالف القبلي، انظر : Eph^cal, Op. Cit., pp. 234, 239. الفاسي، المرجع السابق، ص ٦٤. بينما أرجح دومة وتيماء في الفترة الباكرة، وربما أن قـــادش برنيع أصبحت في فترة تالية في عصر الفرس مثلاً مقرّا لقيدار حسب تتابع الحوادث ومساعدتهم للفرس وحمايتهم للحدود الشرقية لمصر.

(٢) السهيلي. **الروض الأنف**، ج١، ص ١٥، Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 100 HB. Dic., Op. Cit., p. 229.

بـــأحداث حياتهم فيها. وتجمع فيها أخلاط مجموعات من المؤابيين، والإدوميين وغيرهم[١].

وكـــانت قبيلة جذام من أصل مدياني من حديث النبي ﷺ فبعد ظهور الإسلام وانتشــاره في شبه الجزيرة العربية. وعند استقبال الرسول للوفود القادمة إلى المدينة المنورة، قدم عليه ﷺ وفد قبيلة جذام فقال لهم ﷺ : «مرحبًا بقوم شعيب وأصهار موسى لا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له»[٢].

وأرســـل الرســـول إلى مدينة مدين سرية بقيادة زيد بن حارثة وجلب منهم أســرى وســبايا، بيعوا متفرقين وقد أشفق الرسول ﷺ عليهم ولذا قال ﷺ : «لا تبيعوهم إلا جميعًا»[٣].

وكتب الرسول ﷺ إلى جذام، وإلى سعد هذيم من قضاعة كتابًا واحدًا. يعلمهم فــروض الصـــدقة. وكتب إلى أهل مقنا أيضًا. وأخبرهم أنهم آمنون بأمان الله وأمـــان محمـــد ﷺ وأن عليهم ربع غزولهم، وربع ثمارهم. وكان أهل مقنا من اليهود[٤].

فهـــل لهذا السبب جعل المفسرون والمؤرخون العرب حدود أرض مدين إلى معان حيث أنها كانت ضمن أرض مدين منذ عصر أهل مدين وتوارثتها جذام. وكان لجذام هذا الدور مع الروم.

وقبيـــلة جذام هي بطن من كهلان، وأخو لخم، وعم كندة، والجذام في أصل الـــلغة اســـم لداء معروف هو «مرض الجذام»[٥]. والاحتمال أن اسم جد القبيلة

---

(١) Bosworh, Madyan Shu^{c}ayb, p. 229.

(٢) المقريزي، الخطط المقريزية، ج١ ص ص ١٨٧ – ١٨٨؛ البغدادي، سبائك الذهب، ص ٤٢.

(٣) ابن سعد، محمد (توفي ٢٣٠هـ)، **الطبقات الكبرى – السيرة الشريفة**، بيروت، د.ت. ج ٢، ص ٨٨.

(٤) ابن سعد، المرجع السابق، ج١، ص ص ٢٧٠، ٢٩٠، ٣٥٤.

(٥) ابن منظـــور، المرجع السابق ، ج ١، ص ٤٢٦؛ ابن دريد، المرجع السابق، ج ٢، ص ص ٣٧٥ =

نسبة إلى المرض أو إلى الجذم وهو القطع. وأن هذا المرض يؤدي إلى بتر العضو المصاب أو تآكله بالمرض نفسه. ويزعم النسابون أن جذامًا من مضر وأنهم انتقلوا إلى اليمن وسكنوها فترة. ويفترض آخرون أنهم من ولد يعفر (عفر) بن مدين بن إبراهيم الخليل (س). وقد استشهد من أورد هذا النسب المدياني بقول الرسول ﷺ المذكور أعلاه[١]. وروى محمد بن جنادة بن خشرم الجذامي أبياتًا شعرية[٢] :

والجدير بالذكر أن قبيلة جذام في عصر الإسلام كانت قبيلة ذات شأن، وأنهم من نسل عمرو الذي هو جذام ومن بنيه «بنو حرم» و«بنو حشم» وتفرعت جذام منهما. وكان منهم «زنباع بن روح بن سلامة بن حُداد بن حديدة»، ودعي باسم «زنباع الجذامي»، وناتل بن قيس كان سيد جذام بالشام[٣].

وعاش في منطقة مدين قبيلة عربية معروفة من القبائل المعاصرة هي قبيلة الحويطات. وتسكن شمال الحجاز في مدن حقل، والبدع، والعقبة، ومقنا، وضبا، وحسمة، ومعان، ووادي موسى، وفي الشراة، والكرك، وجنوب الأردن عامة[٤].

= ٣٥٦. أما بالنسبة لقبيلة جذام وارتباط اسمهم أو عدم ذلك بمرض الجذام فحقيقة يصعب البت في ذلك. علمًا بأن هذا المرض أو الوباء قد تفشى بين بني إسرائيل وفتك بهم، وكان معهم بعض أهل مدين وموآب نتيجة للإباحية الجنسية، وبلغ عدد الذين ماتوا ٢٤ ألفًا منهم، انظر عدد، ٢٥ : ٦ – ٩.

(١) انظر: هذا الكتاب، ص ٥٢٢.

(٢) البغدادي. **سبائك الذهب**، ص ٤٢؛ حسن، إبراهيم. "**تاريخ الإسلام**"، ط٧، القاهرة، ١٩٦٤م، ج ١، ص ٢٦١؛ الجاسر، حمد، "**الإيناس ومختلف القبائل ومؤتلفها**"، الرياض، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص ص ٢٧٢، ٢٧٣، ٣١٦، ٣٥٨.

(٣) وحشم الرجل : أي المطيفون به، واحتشمت : استحييت، انظر ابن دريد، المرجع السابق، جـ١، ص ص ٣٧٥-٣٧٦؛ القثامي، معجم، ص ص ١٧٥-١٧٦، ١٧٩.

(٤) وكان لجذام مكانة وسيادة وانتشروا في أراضي كثيرة. فقد أرسل الرسول ﷺ السرايا والبعوث إلى حسمة وراء وادي القرى. فأرسل زيد بن حارثة إلى حسمة ولقي الهنيد بن عارض وابنه عارض ومعه ناس من جذام في حسمة فقتلوا الهنيد وابنه وأخذوا ألف بعير، وخمسة آلاف من = =

ويــدل هــذا عـــلى استمرارية تاريخية طويلة لمصطلح أرض مدين وبعض ســكانها. وثراء المنطقة أيضًا أي قيام الزراعة، وتوافر المياه وجميع الثروات الطــبيعية فـــي هذه الأرض. وتتأكد أهمية الموقع وحيويته بل إستراتيجيته عبر الحقب التاريخية العديدة التي مرت على المنطقة وعلى بلاد العرب.

ثانيًا - قبائل عربية أخرى ومدن :

ذكــرت نصـــوص الـــتوراة أسماء الكثير من القبائل والأمم، وخاصة أهل الـــتجارة. «تغطيـــك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهــبًا ولـــبانًا وتبشـــر بتسابيح الرب، كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك»[١].

يتضـــح مـــن النص التركيز على ذكر تجارة المواد الثمينة والبخور (ذهب ولـــبان) ومصدر هذه المواد الثمينة أي مركز الإنتاج هو شبا - Sheba 𐩪𐩨𐩱 (ســبأ) وجـــاء في نص آخر «لماذا يأتي لي اللبان من شبا وقصب الذريرة من أرض بعيـــدة»[٢]. تأكيد على ذكر مركز الإنتاج، وربما في السؤال حنق وغيظ من ذلك الاحتكار الذي كانت تفرضه سبأ على اللبان وبقية أنواع البخور.

== الشـــياه، ومئة أسير من النساء والصبيان. فذهب زيد بن رفاعة الجذامي إلى الرسول ص وطلب منه الأمان فكتب له الرسول وأمنه. كما كتب إلى شخصيات مماثلة من جذام وهم بنو جفال بن ربيعة بن زيد الجذاميين، وسعد هذيم، وبنو الضبيب من جذام، ومالك بن أحمر الجذامي العوفي.

وشـــارك بعض بني جذام تحت قيادة قائد غساني في معركة اليرموك ثم أسلموا، وشاركوا مع جيش المســـلمين فـــي فتح بلاد الشام (عام ١٥هـــ، ٦٣٦م) واستقر بعضهم فيها في عصر بني أمية وقد برزوا في ذلك الوقت وكان لهم دور. وشارك الجذاميون في جيش هرقل ضد المسلمين في معركة مؤتـــة. ابن سعد، المرجع السابق، ج٣، ص ١٢٨؛ حميد الله، محمد، **"الوثائق السياسية"**.ـــ ط٤.ـــ بيـــروت، (دار الـــنفائس)، ١٤٠٣هـــ، ١٩٨٣م، ص ص ٢٧٩-٢٨١؛ القثامي. **معجم**، ص ٢٤٦؛ Bosworth, Madyan Shu^c^ayb, pp. 56-57.

(١) إشـــعيا، ٦٠ : ٦ - ٧؛ Ephcal, Op. Cit., p. 217. نلاحـــظ تخصـــيص مدين وعيفة بالذكر في النص.

(٢) إرميا، ٦ : ٢٠.

وجاء في نص آخر ذكر التجار العرب والسلع التجارية «العرب وكل رؤساء قيدار هم تجارك، تجار شبا ورعمة هم تجارك بأفخر أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك. حران وكنه وعدن تجار شبا وأشور وكلمد تجارك. هؤلاء تجارك بنفائس بأردية اسما نجونية ومطرزة وأصونة مبرم معكومة بالحبال مصنوعة من الأرزبين بضائعك»(١).

وضح النص هنا أسواق الاستهلاك أيضًا. ويهمنا من تلك النصوص التوراتية الشعوب المذكورة فيها بأسمائها وبأنهم تجار يتاجرون في بضائع مطلوبة ومرغوبة أيضًا. وذكرت النصوص في المقدمة قبيلتي مدين وعيفة. وكان تجار هاتين القبيلتين يحملون البضائع المطلوبة – ذهبًا وبخورًا – من شبا مركز الإنتاج إلى أسواق الاستهلاك.

١ – سبأ : – שבא – Sheba

ذكرت التوراة أن شبا (سبأ) من أبناء يقشان بن إبراهيم الخليل (عليه السلام). وأخو شبا ددان דדן – Deban أي أن شبا وددان أبناء يقشان أخو مدين بن إبراهيم (عليه السلام) ويقشان أسبق في الترتيب من مدين في النص التوراتي. وقد ورد أيضًا

---

(١) حزقيال، ٢٧ : ٢١ – ٢٤.

رعمه – רעמה – Raamah قبيلة عربية ذات مركز تجاري مشهور كمصدر لتجارة التوابل ويفترض أن زعمة تقع في جنوب بلاد العرب قرب معين. انظر : HB. Dic., OP. Cit., p. 848, Odelain And Seguneau, Op. Cit., pp. 313 - 314.

حران – חרן – Haran مدينة القوافل تقع شمال بلاد الرافدين وهي مدينة إبراهيم (عليه السلام). Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 150.

كنة – כנה – Canneh ربما أنها موقع أكادي مرتبطة بحران وعدن تجاريًا. وتقع في منتصف نهر الفرات. مع ملاحظة أن هنالك مدينة قنا في الجنوب العربي.
Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 80.

كلمد – כלמד – Kilmad موقع مجهول ولكن نفترض وجودها في المنطقة نفسها لأنها مذكورة مع بلاد آشور فربما أنها تقع في بلاد الرافدين.

أن بـــني حـــام؛ كوش ومصرايم وفوط وكنعان. وبنو كوش سبأ وحويلة وسبتة ورعمه وسبتكا وبنو رعمة شبا وددان[1].

ونستنتج مما تقدم أن سبأ بن يقشان بن إبراهيم (عليه السلام) من زوجه قطورة من المحتمل أنه مؤسس مملكـــة السبئيين في الجنـــوب العربي، وسبأ حفيد إبراهيم (عليه السلام) من زوجه قطورة. وبنو عم أهل مدين.

ونلاحـــظ تكـــرار اســـم «شبا» مرة أنه ابن يقشان أولاً، وابن رعمة ثانيًا، بالإضـــافة إلى وجود ابن كوش الذي هو سبأ סבא. ويتضح من ذلك أن شبا (ســـبأ) بـــن يقشـــان من الساميين، أما سبأ الآخر بن رعمه وسبأ بن كوش من الحـــاميين[2]. «ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمه ملوك شبا وسبا يقدمون هدية»[3].

ويـــبدو أن ســـبأ كـــانت تعـــتمد في نقل بضائعها وخاصة البخور، والذهب والأحجار الكريمة – أي ما خف حمله وغلا ثمنه – على قوافل مدين وعيفة كما ذكر النص التوراتي ولأسباب اقتصادية وسياسية واضحة.

---

(١) تكويـــن : ٢٥: ١ – ٣؛ ١٠ : ٦ – ٧؛ إشعيا ٦٠:٦؛ أيوب ١:١٥؛ إرميا ٦:٢٠؛ حزقيال، ٢٧: ٢١ – ٢٤؛ مزاميـــر، ٧٢: ١٠ وشـــبا هي سبأ في اللغة العربية والمقصودة هنا منطقة سبأ وهي ذات ثروة كبيرة، تقع في جنوب بلاد العرب.و تنسب تسميتها إلى سبأ بن يشجب بن يعرب وقيل سمي كذلك لأنه أول من سبى السبايا وأسر الذراري. مصدر السبي هو تجارة جنوب شبه الجزيرة العربية مع فينيقيا وفلسطين، حيث تبادل البضائع بقيمة بشرية هي العبيد : السبي أحيانًا وفق مبدأ المقايضة، فالعبيد كانوا Currency أي عملة يدفع بها ثمن بضائع العرب الثمينة وهناك منطقة سبأ -סבא- Seba. وعاش سكانها بين النيل وفرعه عطبرة على ساحل البحر الأحمر.
إشـــعيا، ٤٣ : ٣؛ ٤٥ : ١٤؛ HB. Dic., Op. Cit., pp. 920, 935; Dic. Of the Bible, Op. Cit., p. 527.
ابـــن مـــنظـــور، المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٧؛ ابن دريد، المرجع السابق، ج١، ص ١٥٥، ج٢، ص ص ٣٦١، ٣٦٢.

(٢) HB. Dic., Op. Cit., pp. 920, 935, Dic. Of the Bible, Op. Cit., pp. 527, 534. قـــال تعالى : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان ﴾ ، سورة سبأ، الآية: ١٥.

(٣) مزامير، ٧٢ : ١٠.

ثم بعد ازدهار مملكة سبأ، الذي حدث بعد اندحار مدين وعيفة وانهيارهما حوالي منتصف القرن الحادي عشر ق.م. تهتم مملكة سبأ في أوج ازدهارها (بين القرنين الحادي عشر والعاشر ق. م.) بالتجارة. ونرى أنها احتلت مكانة اقتصادية بارزة، وقضت على ما سواها بدليل ما تضمنته قصة ملكة سبأ مع الملك سليمان من مدلولات اقتصادية وتاريخية ذكرتها أسفار التوراة[١] والإنجيل[٢] وآيات القرآن الكريم[٣].

وكان البخور بالتأكيد أهم سلعة تجارية تجلب من جنوب بلاد العرب وخاصة اللبان وقصب الذريرة، ثم المواد الثمينة وأهمها معدن الذهب النفيس. وقامت هناك تجارة الرقيق[٤].

ويبدو أن بني يهوذا اشتغلوا بتجارة الرقيق. وكان لهم شأن كبير في هذه التجارة إما باحتكارهم لها أو لتخصصهم في إدارة شؤون هذه التجارة بالذات. وكانت التجارة تتم بالمقايضة، ودفع التجار الرقيق ثمنًا لتجارة البخور. وكان الرقيق متوافرًا عن طريق الحروب حيث يتم أخذ الأسرى والمتاجرة بهم كرقيق. وقد دفع الفينيقيون رقيقًا من بني إسرائيل ثمنًا للبخور[٥].

٢ – عدن : – עדן – Eden

ورد عنها أنها مدينة تقع في وسط أرض نهر الفرات تابعة لبيت

---

(١) الملوك الأول، ١٠ : ١ – ١٠؛ أخبار الأيام الثاني، ٩ : ١ – ١٢.

(٢) إنجيل متى، ١٢ : ٤٢؛ إنجيل لوقا، ١١ : ٣١.

(٣) سورة النمل، الآيات ٢٢ – ٤٤. وترد لكتابة اسم سبأ صيغتان عربية وعبرية «سبأ» بالسين في اللغة العربية، و«شبا» بالشين في اللغة العبرية، ولكن في اللغة الانجليزية تكتب «شبا» هكذا Sheba نقلاً عن نص التوراة، واسم «سبع» يكتب باللغة الانجليزية Sheba وخاصة بير شيبا (بير سبع). وأرى لتلافي الالتباس بين الكلمات أن تكتب شبا Sheba وتكتب سبا Saba هكذا.

(٤) «وأبيع بناتكم بيد بني يهوذا يبيعوهم للسبأيين لأمة بعيدة»، انظر : يوئيل، ٣ :٨.

(٥) جواد علي، **المفصل**، ج ٧، ص ٢٣٣.

أديـــني (عديني) استولى عليها الآشوريون وكان لها تجارة مع مدينة صور[1].

إذن عـــدن هـــذه شـــمالية وليس المقصود بها عدن التي تقع في جنوب بلاد العرب وتطل على البحر العربي قرب مضيق باب المندب.

ويلاحـــظ أن اســـم عدن يكتب باللغة الإنجليزية بصيغة Eden رغم وضوح حـــركة الفتح على حرفي العين والدال عَدَن وتعني أقام في المكان «استوطن» والعدان سبع سنوات. وعدان البحر ساحله. وعَدْن صفة الجنة «جنة عَدْن! تكتب بالـــلغة العـــربية بعين مفتوحة ودال ساكنة، وكذلك في اللغة العبرية وقد تكسر العين مع سكون الدال أي «عِدْن» ويتضح اختلاف اللفظ والمعنى أيضًا. وعدنت الإبـــل، أي أقامت في المرعى، لزمت المكان فألفته لا تبرحه. ويأتي اسم عدن أبين مدينة باليمن نسبة إلى أبين رجل من حمير وعدنان بن أد بن معد[2].

عرضنا فيما تقدم تاريخ شعوب جنوب بلاد كنعان بإيجاز شديد. وذكرنا منهم الشـــعوب الكبيرة مثل : الآموريين، والكنعانيين واليبوسيين، وبني عمون، وبني عناق، والموآبيين، والإدوميين. وكان معهم شعوب كانت مجاورة ومرتبطة بهم مـــثل : الفرزيين، والجشوريين، والمعكيين، والقنزيين والقدمونيين والرفائيين، والقيـــنيين. وعرفـــنا عن تلك الشعوب بأنها كانت مجتمعات زراعية متحضرة، مستقرة لها أفكارها وعقائدها ودورها الأساس في المنطقة، مارست حرفًا عديدة منها التعدين.

وذكـــرنا عقد صلات وعلاقات متبادلة فيما بين هذه الشعوب من جهة، وعقد صـــلات وعلاقات مع أهل مدين من جهة أخرى. وتنوعت طبيعة تلك العلاقات

---

(١) المـــلوك الثاني، ١٩ : ١٢؛ إشعيا، ٣٧ : ١٢؛ حزقيال، ٢٧ : ٢٣؛ Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 104; HB. Dic., Op. Cit., p. 138.

(٢) ابـــن مـــنظـــور، المرجع السابق، ج٢، ص ص ٧١١ – ٧١٢؛ ابن دريد، المرجع السابق، ج١، ص ص ٥، ٣١-٣٢، ٤٣.

مـن علاقــات الجوار المباشرة، والعلاقات التجارية من تبادل السلع والبضائع، والعلاقات السياسية بعقد محالفات، أو قيام حروب بين طرف والآخر. ورجحنا قيــام أهــل مدين بدور تجاري كبير في المنطقة وخاصة بين بلاد العرب وبلاد كـنعان، وبيــن بلاد كنعان ومصر. وارتبط أهل مدين ببعض الشعوب بصلات قرابة ونسب مثل : بني عمون، والقينيين.

وعقــد أهل مدين محالفات مع سيحون الآموري ملك حشبون ضد موآب. ثم نــرى هــذه الشعوب متحدة ضد العدوان الخارجي، وللدفاع عن الأرض. وقد ذكرنا بعض الحروب التي خاضها بنو إسرائيل منذ خروجهم من مصر ضد هذه الشعوب مجتمعة حيناً ومنفردة أحايين أخرى. وكان بالاق ملك موآب بطل قصة بلعام بعد أن اتفق مع شيوخ مدين على استدعاء بلعام ليلعن بني إسرائيل بعد أن رأى الحرب التي خاضها بنو إسرائيل ضد الآموريين، ثم بعد ذلك تمكنت بعض تلك الشعوب من إخضاع بني إسرائيل وحكموهم فذكر أن الملك عجلون الموآبي قــام بتكوين حلف مع بني عمون وعماليق وحارب بني إسرائيل وسيطر عليهم فحكمهم لمدة ١٨ عامًا. وفعل أهل مدين الشيء نفسه فحكموا بني إسرائيل لمدة سبع سنوات أيضًا.

وحــدث انشــقاق عن تلك المحالفات فذكرنا أن بيت حابر القيني انشق عن المجموع وانضم إلى بني إسرائيل فكان حابر القيني وزوجته ياعيل من مؤيدي بني إسرائيل وانحازوا إليهم. فكانت حادثة فردية قام بها هذا البيت فقط.

ثم انتقلنا إلى الجهة الغربية من منطقة مدين، إلى مصر فتحدثنا عن تاريخها باختصار شديد وسريع. وذكرنا أن علاقة أهل مدين بدأت مع مصر منذ حوالي القــرن الســادس عشر ق.م. منذ حادثة بيع النبي يوسف (عليه السلام) في مصر على أيدي تجار أهل مدين. مما يؤكد قيام العلاقة التجارية بين مدين ومصر.

ثــم أشــرنا إلى استشــارة فرعون مصر ليثرون في إطار علاقات الصداقة

والتعاون. وذكرنا اعتراف مصر بكيان أهل مدين المستقل على الصعيد السياسي. وتجلى ذلك من مضمون حادثة لجوء النبي موسى (عليه السلام) إلى أرض مدين، وبأنها الأرض التي لا تطولها سلطة الفرعون، ولا يبلغها نفوذه.

وقامت علاقات بين أهل مدين وبين شعوب بلاد العرب ضمن إطار شبه الجزيرة العربية. وقد ذكرنا من أبرز هذه الشعوب عماليق، والإسماعيليين، وبنو المشرق، ثم ذكرنا قبائل عربية أيضًا ومدنًا أخرى لأن التوراة خصت أولئك بالذكر دون غيرهم. وفصلنا عن بني المشرق، وجاء في مقدمتهم قبائل؛ بنو قدم وقيدار ودومة، وكانت مستقرة في شمال بلاد العرب.

وكان لأهل مدين صلات قرابة معهم، ومارسوا دورهم مع جيرانهم فعقدوا صلات تجارية. وعقد أهل مدين محالفات واتفاقيات مع عماليق ومع بني المشرق عامة ضد بني إسرائيل.

كان العمالقة أمة كبيرة انتشروا في شمال بلاد العرب وفي داخلها حتى بلغوا مكة. اشتغلوا بالتعدين أيضًا. اصطدم بنو إسرائيل معهم منذ الخروج من مصر، واستمر صراع بني إسرائيل مع عماليق طوال عصر القضاة. وقام أجاج ملك عماليق بمحاربة شاؤل أول ملوك بني إسرائيل مما يدلنا على استمرار وجودهم في المنطقة.

وعقد عماليق محالفات منها تحالفهم مع عجلون ملك موآب ومعهم بنو عمون.

وتردد ذكر قوافل أهل مدين ضمن علاقات تجارية قامت بينهم وبين أقربائهم الإسماعيليين منذ حادثة بيع النبي يوسف (عليه السلام). واستمر دورهم التجاري في المنطقة كتجار ووسطاء، واشتهر أهل مدين بهذه التجارة. وقد ذكرهم القرآن مقترنين بعمليات الغش التجاري. وذكر ثراءهم المادي وكثرتهم العددية واقترن ذكرهم في التوراة بالتجارة أيضًا «بكران مديان وعيفة...» مما يدل على شهرة عيفة بن مدين بالتجارة أيضًا واستمروا كتجار إلى عهد سبأ فذكرتهم نصوص التوراة مع بعضهم بالإضافة إلى ذكر مدن أخرى ومنها عدن.

الفصل السادس

علاقة أهل مدين ببني إسرائيل

أ – العلاقات الباكرة :

١ – عبرانيون – بنو إسرائيل – يهود.

٢ – لجوء النبي موسى (عليه السلام) إلى مدين.

٣ – خروج النبي موسى (عليه السلام) ببني إسرائيل من مصر.

ب – العلاقات في الفترة التالية للخروج :

١– دور النبي شعيب (عليه السلام) مع النبي موسى (عليه السلام).

٢– محاربة أهل مدين في عصر النبي موسى (عليه السلام).

٣ – حكم أهل مدين لبني إسرائيل.

٤ – محاربة أهل مدين في عصر القضاة.

ج – أسباب ونتائج الحروب :

١– أسباب الحرب الأولى في عصر النبي موسى (عليه السلام).

٢– أسباب الحرب الثانية في عصر القضاة.

٣ – نتائج العلاقات.

علاقة أهل مدين ببني إسرائيل

أ – العلاقات الباكرة :

أشــرنا إلى قيــام علاقــات قويــة بين مصر ومدين كانت أهمها العلاقات الاقتصادية، وقد ذكرنا ارتياد تجار مدين لأرض مصر لبيع بضائعهم فيها، وبيع يوسف (ﷺ)، واستيراد بضائع ومواد من مصر. بالإضافة إلى مجاورة أرض مديــن لمصر والتي ربما نشأت عنها علاقات اجتماعية (من صداقة ومصاهرة ونحــو ذلــك) بالإضــافة إلى التبادلات الثقافية. وربما نستشف قيام روابط أو صلات سياسية كاتفاقيات، وتمثل ذلك في استشارة فرعون مصر لشعيب (ﷺ) بشــأن بني إسرائيل أثناء إقامتهم في مصر، بل ربما بشأن استفحال أمرهم في شــرق الدلــتا في منطقة «جاسان» وممارسة الرعي هناك. مما يكون له دلالة واضــحة عــلى حسن صلات الجوار بين مصر كدولة كبرى في ذلك العصر، وبين كيان سياسي مثل ممالك دويلات مدين.

ويتضـــح من ذلك أن مدين كانت بلدًا معروفًا، وذات سيادة اعترف جيرانها بها. وبناء على هذا الواقع عمد النبي موسى (ﷺ) إلى الهرب من مصر لاجئًا إلى مديـــن، فـــرارًا مـــن وجه فرعون مصر، خشية توقيع العقوبة عليه؛ نتيجة إقدامه على قتل الرجل المصري.

١ – عبرانيون – بنو إسرائيل – يهود :

نقـــدم هنا دراسة موجزة عن الجماعة التي كان لها علاقات بأهل مدين. فقد ذكـــرت بعـــض الوثـــائق الهيروغليفية وجود مجموعة من العمال دعتهم باسم (آبيـــروس) أو (هابيرو) أو الهابيري،. ثم افترض الباحثون تحديد هويتهم بأنهم اليهـــود. وسواء كان ذلك التعريف صائبًا أم خاطئًا. فقد قيل أيضًا إنهم (قاطفو العنب).و يصفهم الأب دوفو بأنهم مواطنون محليون من سكان مصر. وذكرتهم

كـــتابة في بردية من عهد تحوتمس الثالث (١٤٩٠ – ١٤٣٦ ق.م.) بأنهم عمال إسطبل[١].

ويكـــتب اسم (عابيرو) ^{c}Abiru – Apiru هكذا، ويكتب أيضًا بصيغة Hebrew ^{c}Ibri، وتعـــني قائد الحمار أو بائعًا متجولاً. وتعني أيضًا «مغبر» أي تبدو عليه غــبرة الــتراب. وظهــرت هـــذه الجماعة كأهل قوافل، وكمحاربين احترفوا اللصوصـــية، وقطـــع الطرق[٢]. وانتشروا في منطقة تمتد من بلاد عيلام إلى مصر. وأثـــاروا بعض المتاعب في مصر. فعاقبهـــم الفرعون أمنحوتب الثاني (١٤٣٩ – ١٤٠٦ ق.م.) وأخـــذ منهم ٣٦٠٠ أسير كمساجين من أرض كنعان وتكررت إثارة الآبيروس (هابيرو) للقلاقل.

ثـــم فـــي عهد الفرعون رمسيس الثاني (١٢٩٠ – ١٢٢٣ ق.م.) استعملهم كعمـــال فـــي مقالع الحجارة (المحاجر)، ونقل الأوتاد إلى مقر أعمال الفرعون. وذكـــرت الـــتوراة استخدامهم في بناء مدينة رمسيس وفيثوم بالسخرة. ولم يرد ذكـــره فـــي المصادر المصرية المتوافرة حاليًا. وتكرر ذكر الآبيرو في القرن الـــثاني عشـــر من عهد الفرعون رمسيس الثالث (١١٩٢ – ١١٦٠ ق.م). وقد ذكر هؤلاء الآبيرو في غير مصر. وربما أن كلمة آبيرو تعني «عمالاً مسخرين دون معرفة أصلهم»[٣].

---

(١) بوكـــاي، موريس. "**التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**"، تر. الشيخ حسن خالد.ــ ط٢.ــ بيروت، ١٤٠٧ هــ، ص ٢٦٥؛ فخري، مصر الفرعونية، ص ٢٧٧.

(٢) Albright, The Biblical Period, pp. 5, 35.

(٣) ولسون، جون. **الحضارة المصرية**، تر. أحمد فخري. **مصر**، ١٩٥٥م، ص ٣٢٨– ٣٢٩؛ بوكاي، المـــرجع السابق، ص ص ٢٦٥–٢٦٦، ص ٢٧٥؛ فخري. **مصر الفرعونية**، ص ص ٢٦– ٢٧ عـــن تواريخ حكم الفراعنة. Albright, The Biblical Period, p.5, Finegan, Op. Cit, p. 194.
« ثـــم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا. هلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصـــعدون من الأرض. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس»، خروج ١ : ٨ – ١٢.

وأطلق على بني إسرائيل أسماء مختلفة منها عبري – عبريون – عبرانيون - עברי - העברים Hebrew–Hebrews وإسرائيل ישראל Israel وهم بـنو إســرائيل – Children of Israel ويهودي – يهود Jewish, Jews. ولكل تسمية دلالـتها الخاصـــة وتستخدم تسمية عبري بناء على أنها مدلول يطلق على اللغة والأدب «الــلغة العبرية -העברית.[1] وجاء ذكر الهابيرو Hebrew في بعض رسائل العمارنة رقم (EA ٢٨٦) وهي الرسائل التي عثر عليها بين أطلال مدينة العمارنـــة مـــن عهـــد الفرعون أمنحوتب الرابع (إخناتون) (١٣٧٠ – ١٣٤٩ ق.م.)[2].

وتـــرد تحليلات لغوية لمعنى اسم عبري) فقيل إنها مشتقة من عبور نهر أو بحر، أو تفسير الأحلام وتعبيرها، ويظن أنهم قبائل مثل قبائل الغجر[3].

وقيــل إن العــبر : هـــم جماعة من الناس، وبتحديد أكثر من الناس الغلف. وغـــلام معـــبر : أي كـــاد يحتــلم ولم يختن. والعبر قبيلة. وعبر كثير الأهل. والعبرانية والعبري والعبراني لغةً : اليهود[4].

وإذا قلـــنا أن اســـم عـــبري نسبة إلى «عابر» فلا يصح؛ لأن ذلك يعني أن الآراميـــن يجـــب أن يحملوا اسم عبري أو عابر، فهم من نسله. وقد استعملت التوراة اسم عبري وعبراني – وعبرانيون وعبرية وعبرانيات העברי-העברים، העבריה-העבריות كـــثيرًا فـــي سفري التكوين والخروج، ولم يرد هذا

---

(١) أحمد، محمد خليفة حسن، "دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة".ــ القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٤٦، طـنطاوي، محمد سيد، "بـنو إسرائيل في القرآن والسنة".ــ ط١.ــ القاهرة، ١٤٠٧هــ، ١٩٨٧، ص ١٧. HB. Dic., Op. Cit., pp. 378, 434-489 .

(٢) فخري، أحمد، "دراسات في تاريخ الشرق القديم".ــ ط٤.ــ مصر، ١٩٨٤م، ص ٢٤٢.
Freud, S., Moses and Monotheism, New York, 1939, p. 41, Noth, Op. Cit., p. 33.

(٣) غنيم، عبدالرحمن محمد، "روان سر الأسرار".ــ دمشق، ١٩٩١م، ص ١٩٨٤م، ص ٢٤٢.

(٤) ابن منظور، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٦٨.

الاسم بعد ذلك إلا في سفري التثنية ويشوع، ثم في سفر صموئيل الأول وأخيرًا في سفر يونان[١].

ومما تجدر ملاحظته أن اسم عبريين كان مستعملاً كثيرًا في قصة يوسف (عليه السلام) وفي مبدأ أمر الخروج، مما يقوي الحدس بأنه «اسم مصري» أطلقه المصريون على هؤلاء القوم. ومما يؤكد حدسنا هذا، غضب بني إسرائيل من هذه التسمية وكراهيتهم لها، فهي تذكرهم بعهد العبودية[٢]. كما يقولون.

وهنالك من يرفض تمامًا أن العبريين، أو الهابيرو (الخابيرو) هم اليهود. ويرى باحثون آخرون أن اسم العبري والعابيرو (الخبيرو) أسماء عربية تطلق على القبائل السامية[٣].

وتشير التسمية « يهودي » – Jewish إلى من يدين بالدين اليهودي، وانحصر في هذا المعنى. ولم يظهر اسم يهود Jews، ولم يستعمل إلا بعد سبي بابل (٥٨٦ ق.م.) وظهر اسمًا لبني إسرائيل في الإنجيل (العهد الجديد)[٤].

وقد ذكر القرآن الكريم اسم «يهودي» و«يهود» في عدة مواضع[٥]. ووردت خمس آيات في سورة البقرة تقرر إثباتًا واحدًا مفاده أن أنبياء الله كلهم مسلمون وخاصة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب[٦].

---

(١) تكوين، ١٤ : ١٣، ٣٩ : ١٤، ١٧؛ ٤٠ : ١٥؛ ٤١ : ١٢؛ ٤٣ : ٣٢، خروج ١ : ١٦، ١٥ – ١٦، ١٩؛ ٢ : ٦ – ٧، ١١، ١٣؛ ٢١ : ٢؛ تثنية ١٥ : ١٢، يشوع، ٢٤ : ٢ – ٣؛ صموئيل الأول، ٤ : ٦؛ ١٤ : ٢١؛ يونان، ١ : ٩. ؛ HB. Dic., Op. Cit., pp. 378-380.

(٢) Moscati, S., **The Face of The Ancient Orient**, New York, 1962, p. 212.
ديورانت، ول، "قصة الحضارة"، تر. زكي نجيب محمود.ـ القاهرة، ١٩٥٧م، م٢، ج٢، ص ٣٢٣؛ تثنية ١٥ : ١٢ – ١٥.

(٣) الخليلي، جعفر، "**الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ**"، بغداد، ١٣٧٩هـ، ١٩٧٧م، ص ١٢٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٧؛ يوحنا، ١ : ١٩، ١١ : ٥٥؛ تكوين ٢٩ : ٣٥؛ HB. Dic., Op. Cit., p. 489.; HB Dic., Op. Cit., Op. Cit., p. 512.

(٥) سورة البقرة، الآيات : ١١١، ١١٣، ١٢٠، ١٣٥، ١٤٠؛ سورة آل عمران، الآية: ٦٧؛ سورة المائدة، الآيات : ١٨، ٥١، ٦٤، سورة التوبة، الآية: ٣٠؛ أحمد. دراسات، ص ٤٦.

(٦) سورة البقرة، الآيات : ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٠.

وتستخدم التسمية «إسرائيلي» (إسرائيليون) كمدلول سياسي حديث، علمًا على من ينتمي إلى الكيان الصهيوني في فلسطين[1]. وهو مصطلح محرف عن اسم قديم ورد في التوراة والقرآن الكريم. فأطلقت التوراة اسم إسرائيل على يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام)[2] ישראל - Israel وأطلق القرآن اسم إسرائيل على يعقوب أيضًا، قال تعالى : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِى إِسْرٰءِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرٰءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ [3] ﴾.

واستعمل القرآن الكريم اسم «إسرائيل» للدلالة على يعقوب (إسرائيل) وعلى بنيه (بني إسرائيل). وقد وردت هذه التسمية في القرآن الكريم ٤٣ مرة في مختلف السور القرآنية سواء في السور المكية أو المدنية[4]. وبناء على ذلك فالمصطلح الذي سيرد في البحث هو اسم «بنو إسرائيل» أو «اليهود» لأنهما الاسمان المستعملان في القرآن الكريم. كان بنو إسرائيل اتحادًا قبليًّا تكون من اتحاد قبائل الأسباط الاثني عشر[5].

ويلاحظ أن كل (قبائل بني إسرائيل) شاركت في عملية الخروج وعاصرته[6].

وكما تقدم أقام بنو إسرائيل في مصر فترة قدرت بحوالي ٤٣٠ سنة. عاشوا خلالها في منطقة «جاسان» الواقعة في شرق الدلتا، حيث زاولوا

---

(١) أحمد. دراسات، ص ٤٦.

(٢) تكوين، ٣٢ : ٢٨؛ ٣٥ : ٩ – ١٠؛ طنطاوي. **بنو إسرائيل**، ص ص ١٨ – ١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٣؛ وإسرائيل هو يعقوب، انظر: السيوطي. تفسير الجلالين، ص ٧٩.

(٤) عبدالباقي، محمد فؤاد. "**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**".ــ بيروت، د.ت، ص ٣٢.

(٥) خروج، ٢ : ١ – ٣.

(٦) Pixley, Op. Cit., p. 77; Albright, The Biblical Period, p. 35.

لوبون، غوستاف، "**اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**"، تر. عادل زعيتر.ــ القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٣٣.

مهـــنة الـــرعي[1]. ولكـــن يبدو أن شغبهم زاد مما دفع «الكاتب الإسكندري إيبون» إلى أن يرميهم بكل شائنة ونقيصة وحاول بالمقابل المؤرخ اليهودي يوســـيفوس أن يرد التهم عنهم، ويمجدهم، فقال إن الهكســـوس هم اليهود أو بـــنو إســـرائيل. وحـــاول تأييد حجته بالاستعانة بكتابات المؤرخ المصري «مانيتون» Manetho[2].

ونظـــرًا لاخـــتلاف الآراء حول خروج بني إسرائيل وحول أي فرعون قام باضـــطهادهم[3]، وكيف أنجى الله النبي موسى (عليه السلام) بقدرته تعالى[4]. ورجَّح بعض الباحثين أن النبي موسى (عليه السلام) كان حاكمًا في «جاسان» ، حيث يفترض أن استقرار قبائل سامية هناك تم منذ عهد الهكسوس[5]. فمن المعلوم أنه نشأ في قصر فرعون مصر، ولكنه كان يعرف قومه[6]، سواء سرًا أو علنًا.

٢ – لجوء النبي موسى (عليه السلام) إلى مدين :

حدثـــت قصة النبي موسى (عليه السلام) في منف، حيث دخل موسى المدينة فوجد رجـــلين يقتتلان، ويتشاجران أحدهما من بني إسرائيل، والآخر مصري قبطي، فاستغاث الإسرائيلي بالنبي موسى (عليه السلام). فتدخل النبي موسى (عليه السلام) راغبًا في فـــض الاشتباك بينهما. وكان أن لكز الرجل القبطي، أو لكمه، وهو قوي شديد،

---

(١) أحمـــد. دراسات، ص ص ٣٥، ١٩٢ – ١٩٤؛ ويؤكد ذلك ما روي عن ابن عباس (رض) قال : كـــل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة، نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإســـماعيل ومحمـــد، وربما أيوب عاشرهم. انظر: أحمد. دراسات، حاشية ص ٤٥؛ الصابوني، محمـــد عـــلي، "**مختصر تفسير ابن كثير**".ــ ط٣.ــ بيروت، ١٣٩٩هــ، ج١، ص ١٣٣، ظاظا، الفكر الديني، ص ٤٨.

(٢) Keller, W., **The Bible As History**, Trans. W. Neil, London, 1965, p. 122.
فخري. **مصر الفرعونية**، ص ٦٥.

(٣) فخـــري. **مصر الفرعونية**، ص ٦٥، ٦٥٩؛ السقاف، أحمد، "**العنصرية الصهيونية في التوراة**"، الكويت، ١٩٨٤م، ص ٧، ٢٦.

(٤) أنظر: سورة البقرة، الآية: ٤٩ وما بعدها، سورة طه، الآيتان: ٣٩ – ٤٠.

(٥) Freud, Op. Cit., p. 40.

(٦) أنظر: سورة القصص، الآيتان : ٣ – ٢٠، ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٩٨.

فقضى على الرجل. فندم النبي موسى (عليه السلام) على فعلته، واستغفر ربه على ذلك الإثم (قتل الرجل) وتعاهد مع نفسه ألا يستعمل نعمة قوته في غير الحق.

وتكرر الحدث في اليوم التالي، فتشاجر الإسرائيلي مع مصري آخر، وكاد أن يتكرر الحدث، لولا أن الرجل نبه النبي موسى (عليه السلام) فذكره بفعلته بالأمس. ولذلك امتنع النبي موسى (عليه السلام) عن التدخل في الأمر. وجاء النذير (مؤمن آل فرعون) فأخبره بأن القوم يأتمرون على قتله قصاصًا للمصري المقتول. فخرج النبي موسى (عليه السلام) من مصر خائفًا نادمًا، طالبًا النجاة لنفسه. وتوجه تلقاء مدين، ورجى ربه الهداية إلى الطريق الوسط إلى مدين المجاورة لمصر، والتي تبعد عنها مسيرة ثمانية أيام. وبعد معاناة الهروب، والخوف، أثناء هذا السفر وصل النبي موسى (عليه السلام) إلى أرض مدين[1].

وأتم النبي موسى (عليه السلام) الاتفاق أو العقد، وأوفى الأجل أي عشر سنوات. قال ابن عباس (رض) «كان موسى أحق بالوفاء»[2] وبدأت من هنا علاقة أهل مدين بالنبي موسى (عليه السلام) وبقومه بني إسرائيل. أولا بداية الاتصال منذ لجوء

---

(١) خروج، ٢ : ١١ – ٢٢؛ ابن الأثير. **الكامل**، ج١، ص ٩٩؛ الطبري، **تاريخ**، ج١، ص ص ٢٠٢ – ٢٠٥، إبراهيم. **قصص الأنبياء**، ص ٩١، بهجت، المرجع السابق، ص ١٩٢ وما بعدها. انظر: سورة القصص، الآيات: ١٥ – ٢٨، السيوطي. **تفسير الجلالين**، ص ص ٥٠٨ – ٥١٠، الطبري، **تاريخ**، ج١، ص ٢٠١ وما بعدها؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج١، ص ٩٥.
مع ملاحظة أن عمر موسى (عليه السلام) حينذاك كان ٨٠ عامًا. انظر الخروج، ٧ : ٧، الطبري، تاريخ، ج١، ص ٢٠٦. ابن الأثير، المرجع نفسه، ج١، ص ٩٥، خروج، السفر الثاني؛ انظر هذا الكتاب، ص ١٣٩؛ بوكاي، المرجع السابق، ص ٢٦٠ والله أعلم.
Everyday Life in Bible Times, p. 143.
السيوطي. **تفسير الجلالين**، ص ٥١١، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٣٤٥هـ)، "**أخبار الزمان**". بيروت، د.ت.، ص ٧٢– ٧٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ٩٩ – ١٠٠؛ خروج، ٤ : ٢ – ٤؛ «ودعا ابنه جرشوم لأنه كان نزيلاً في أرض غريبة والآخر أليعازر لأنه قال إله أبي كان عوني وأنقذني من سيف فرعون». انظر: خروج ٢: ٢٢، ١٨، ٤، وتعني جرشوم أنه كان نزيلاً هناك، وأليعازر أن الله ساعد وآزر؛ HB. Dic., Op. Cit., pp. 341, 254.
(٢) الصابوني. **مختصر تفسير ابن كثير**، ج٢، ص ٤٧٧، الطبري. **تاريخ**، ج١، ص ٢٠٦.

النبي موسى (عليه السلام) إلى أرض مدين، وطلب حماية أهلها، ثم صلة المصاهرة بزواجه من ابنة النبي شعيب (عليه السلام). فتأكد الارتباط الاجتماعي وتوثق بهذه المصاهرة، وبوجود الأبناء جرشوم، وأليعازر من الأب النبي موسى (عليه السلام)، والمرأة المديانية صفورة أمهما، ثم الارتباط العملي بين موسى وشعيب (عليه السلام)، وما نتج عن هذه العلاقات المتداخلة من روابط دعمت بولاء، ومحبة وإخلاص.

فأصبح الارتباط وشيجًا بين أهل مدين ونقصد منهم رهط شعيب الذين آمنوا به، وبين النبي موسى (عليه السلام) زوج ابنتهم. يضاف إلى ذلك العشرة والمخالطة على مدى السنوات العشر، إذن فعلاقات أهل مدين الباكرة نسجت أواصرها مع النبي موسى (عليه السلام) بداية. وشعر النبي موسى (عليه السلام) بالحنين إلى قومه، لذلك قرر العودة إلى مصر ولأسباب أخرى أيضًا، ولكن قبل ذلك نود التوقف عند شخصية النبي موسى (عليه السلام) وتوضيح بعض سماته وخصائصه :

أولاً : معرفة النبي موسى (عليه السلام) الأكيدة لهويته الإسرائيلية وأنه غير مصري؛ بدليل اتصاله بقومه رغم أنه تربى في قصر فرعون مصر.

ثانيًا : حب النبي موسى (عليه السلام) للعدل بدليل اشتعال غضبه لرؤية الخطأ، وللظلم الذي وقع على أحد رجاله وشيعته، ثم تدخله لحل المشكل.

ثالثًا : تمثلت قوة النبي موسى (عليه السلام) في يده القوية الثقيلة، بل دليل على قوته الجسدية، والتي ظهرت بوادرها مرة أخرى عندما رفع الحجر من فوق البئر في أرض مدين.

رابعًا : اندفاعه إلى الفصل في النزاع والخلاف الذي نشب بين الرجلين(١).

وأشرنا إلى قرار العودة الذي اتخذه النبي موسى (عليه السلام) رغم طيب الإقامة في أرض مدين، إلا أن الحنين إلى أهله في مصر غلبه بعد أن أدى ما عليه، وأكمل شروط عقد الزواج ومدته. فلاشك أن مدة عشر سنوات متواصلة في أرض الغربة كان لها تأثير قوي في زيادة حدة الشوق والحنين إلى لقيا الأهل.

---

(١) James F., "**Personalities of The Old Testament**", New York, 1955, p. 7.

ومما شجع النبي موسى (عليه السلام) على التفكير الجاد في العودة إلى أهله في مصر، رغم أنهم في أرض غربة أيضًا، أنه أوفى الأجل، وأكمل العمل. يضاف إلى ذلك ما تناهى إليه عن موت الفرعون الذي أراد معاقبة النبي موسى (عليه السلام) وتولى فرعون جديد حكم مصر.

أخذ النبي موسى من النبي شعيب (عليه السلام) الإذن بالرحيل إلى مصر، والعودة إلى الأهل. ورغب النبي موسى (عليه السلام) في اصطحاب زوجه صفورة، وابنيه جرشوم وأليعازر.

وسار النبي موسى (عليه السلام) بأهله، وأثناء المسير أظلم الليل عليهم وضلوا الطريق. ويبدو أنها كانت ليلة شتاء باردة مطيرة، فأخذهم الهلع كل مأخذ وخاصة عندما تعرض النبي موسى (عليه السلام) لحادثة غامضة تمثلت في مجابهة خطيرة، فقامت صفورة بتخليصه من ذلك الخطر بافتدائه بواسطة قطع غرلة ابنها جرشوم بالصوانة. وأخذت دم الختان ومست قدمي النبي موسى (عليه السلام) بذلك الدم. فدفعت عنه الخطر أو الامتحان الخطير الذي تعرض له[١].

وقبل الاستطراد في الموضوع نتوقف عند بعض المظاهر المديانية التي وردت في مجرى هذه الأحداث.

١ - عصا النبوة التي أعطاها النبي شعيب للنبي موسى (عليه السلام).

٢ - الحجج «ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك» الآية، مما يدل على معرفة أهل مدين بالحج إلى الأرض المقدسة. فالحج مفروض منذ دعوة النبي إبراهيم (عليه السلام)[٢].

٣ - معرفة أهل مدين للختان، بدليل ما قامت به صفورة. فقد كان الختان معروفًا لدى أهل مدين منذ عهد النبي إبراهيم (عليه السلام). وعرفه المصريون أيضًا[٣].

---

(١) خروج، ٤ : ١٨ - ٢٦؛ Jewish Ency., Op. Cit., vol. 9, p. 49.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٧.

(٣) تكوين، ١٧ : ٩ - ١٤؛ HB. Dic., Op. Cit., p. 170 ابن الجوزي. **تلقيح فهوم الأثر**، ص ٤٦٤.

وبعد أن انتهى الموقف العصيب الذي تعرض له النبي موسى (عليه السلام)، وعملية الختان، آنس من جانب الطور نارًا، فحسبها من نيران البدو، التي توقد لهداية الضال في الطرق، ولوفادة الضيف، فطلب من أهله البقاء حتى يتبين جلية الأمر. وذهب النبي موسى (عليه السلام) باتجاه النار، وتلقى النداء الأعظم. فقد نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة عند الشجرة أن ياموسى أني أنا الله رب العالمين، وبدأ تكليفه بحمل الرسالة السماوية، والدعوة إلى توحيد الله وعبادته، ودار الحوار بين الله تعالى وكليمه النبي موسى (عليه السلام)[١]. وتم عرض المعجزات، حتى يرى النبي موسى قدرة الله. ويتعرف على ما أنعم الله عليه به من المعجزات. وتم التكليف بالبعث، والتشريف بها والاختصاص الذي ينعم به الله سبحانه وتعالى على أنبيائه ورسله[٢].

وأخذ النبي موسى الروع من هول الموقف. وامتثل لأمر ربه فواصل المسيرة إلى مصر. وقد اصطحب النبي موسى أهله للذهاب إلى قومه في مصر وذلك قبل التكليف. أما بعده فقد ترك أهله نظرًا للأخطار المصاحبة للمهمة. فعاد أهله – زوجته صفورة وابناهما جرشوم وأليعازر – إلى شعيب[٣].

وذهب النبي موسى (عليه السلام) إلى مصر. ليبشر بدعوة الإله الواحد وينشر ديانة التوحيد. وعرف إله موسى باسم «يهوه» وهنالك فرضيات حول إله موسى؛ منها أن «يهوه» إله مدياني. والأخرى أن «يهوه» إله قيني[٤]. وإذا كان «يهوه» قينيا أو مديانيًا فالأمر سيان. فالقينيون يعود أصلهم إلى مدين أيضًا.

---

(١) بهجت. **المرجع السابق**، ص ١٩٦.

(٢) سورة القصص، الآيات: ٢٩ – ٣٥. ويلاحظ من النص أن النبي موسى أرسل بمهمة الهداية إلى فرعون وقومه، وكانت تلك المعجزات لإقناع الفرعون.

(٣) ابن الأثير. **الكامل**، ج١، ص ١٠١.، انظر: هذا الكتاب، ص ١٤.

(٤) خروج، ٣ : ١٤ – ١٥، و«يهوه» اسم الله تعالى باللغة العبرية، ومعناه يكون أو الكائن. انظر البستاني، المعلم بطرس. "**محيط المحيط**".ـ بيروت، ١٩٧٧م، ص ٩٩٤؛ Jewish Ency., Op. Cit., vol. 7, p. 467.; Fosdick, H., **Guide To Understand The Bible**, New York, 1938, p. 3; Pixley, Op. Cit., pp. 69-71.

والأكثر أهمية أن الإله واحد فهو رب العالمين، وليس له جنسية معينة. وهو إله واحد عام ليس قصرًا على شعب دون آخر.

٣ - خروج النبي موسى ببني إسرائيل من مصر :

قام النبي موسى (عليه السلام) في مصر بدعوة قومه إلى دين التوحيد الصحيح، واستجابت بنو إسرائيل لدعوته وآمنت، ثم نشر الدعوة وتوجه إلى فرعون مصر. وخاطبه مواجهة ودعاه إلى عبادة الله، وكان أخوه هارون معه إلى آخر أحداث تلك المواجهة وما دار بين النبيين موسى وهارون. وتكذيب فرعون وعناده وإصراره على الكفر.

ولكن كان قوم النبي موسى يئنون تحت وطأة اضطهاد هذا الفرعون الطاغية. وتحديده تكاثرهم، وأعدادهم وذبح ذكورهم، واستحياء إناثهم، ثم تسخيرهم في أعمال البناء وما إلى ذلك من أحداث قصتهم المعروفة معه[١]. وقد جاء في التوراة ما يوضح ذلك. «تقول لابنك كنا عبيدًا لفرعون في مصر فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة»[٢]. وكما يتضح فقد وصلت حالتهم إلى الاستعباد، والمعاناة الشديدة.

وأقام النبي موسى (عليه السلام) في مصر ناشرًا دينه بين أتباعه، وأسس بيوت عبادة، واستمر في الدعوة لفترة زمنية يصعب تحديدها. ولما عاند فرعون وقومه وأصروا على الكفر عاقبهم الله بالعذاب الشديد الذي تمثل في أنواع الابتلاءات التسع التي سلطها عليهم[٣]. مما اضطر النبي موسى (عليه السلام) بأمر من الله بالخروج مع قومه من مصر ومغادرتها.

---

(١) وهو ما يعرف بحديث الفتون حيث اتفق فرعون وجلساؤه على قتل ذكور بني إسرائيل. انظر الصابوني، محمد علي، "**مختصر تفسير ابن كثير**".ــ بيروت، ١٣٩٩هـ، ج٢، ص ٤٧٥؛ ابن الأثير. **الكامل**، ج١، ص ص ٩٦ - ٩٧؛ خروج، ١ : ١٣ - ١٤، ١٥ - ٢٢، ٢ : ١ - ٤.

(٢) تثنية، ٦ : ٢١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٨٧؛ سورة الأعراف، الآية ١٣٣؛ خروج، السفر السابع، والثامن، والتاسع؛ ابن الأثير. **الكامل**، ج١، ص ١٠٥ وما بعدها.

واختــلفت الآراء كثيرًا حول تحديد زمن خروج بني إسرائيل وحول تحديد هوية الفرعون حاكم مصر في زمن هذا الخروج(١).

وجاء اسم بني إسرائيل في مسلة الفرعون منفتاح (مرنبتاح ١٢٢٢-١٢١٣ أو ١٢٢٤ – ١٢٠٤ ق.م.). وقــد أقام المسلة في السنة الخامسة من حكمه. وأبان فيها أنه وضع نظام الحدود بعد موت والده، وتعرف المسلة باسم «لوحة إسرائيل». وقد قــام مرنبــتاح بذلـك العمــل لأن الفترة الأخيرة من عهد رمسيس الثاني شهدت اضـــطرابات وفوضى في مصر بسبب هرم رمسيس وطول فترة حكمه التي بلغت حوالـــي ٦٧ عامًـــا، بالإضافة إلى هجرة شعوب البحر Sea People. وذكرت التوراة موت الفرعون، بينما كان النبي موسى (عليه السلام) مقيمًا في أرض مدين. ويدل اسم بني إســرائيل فـــي اللوحة على مجموعة أفراد أكثر ضآلة من غيرها. وقد استعمل اسم الجد الذي أصبح نواة الكيان السياسي(٢).

---

١ – فرضية ج. دوميسيلي J. de Miceli
٢ – فرضية دانيل روبس D. Robs
٣ – فرضية المؤرخ ماسبيرو Maspero
٤ – فرضية الأب دوفو De Veaux
انظــر: بوكاي، المرجع السابق، ص ص ٢٦٨ – ٢٦٩؛ فخري. **مصر الفرعونية**، ص ٢٦، عــن تواريــخ حكــم الفراعنة ثم بناء مدينة فيثوم على أيدي بني إسرائيل وتعني فيثوم بيت الـــرب، وصــعب تحديد موقعها وعرف موقع بر رمسيس قرب مدينة بور سعيد الحالية، انظر: Keller, Op. Cit., pp. 119 -120.
٥ – فرضية و. ف. ألبرايت و W.F. Albright
انظر: The Biblical Period, p. 14.
ويرى الباحث ف. بتري F. Petrie أن دخول بني إسرائيل إلى مصر كان حوالي ١٦٥٠ ق.م.، وأن تــاريخ خــروجهم يكون ١٦٥٠ – ٤٣٠ سنة (مدة بقائهم في مصر) = ١٢٢٠ ق.م. انظر ديورانــت، المــرجع السابق، م١، ج٢، ص ص ٣٢٤ – ٣٢٥. ونص التوراة «وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة. وكان عند نهاية أربع مئة وثلاثين ســنة في ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر». خروج ١٢ : ٤٠ – ٤١؛ وهــنالك مــن يــرى أن تاريخ الخروج بين القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م. أي حوالي ١٣٢٠ ق.م.، انظر هاردنج، المرجع السابق، ص ٣٥.

(١) بوكاي، المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٢) وجاء في نص المسلة أو لوحة إسرائيل : ==

وتحـــدد الـــتوراة الموسم أو الفصل الذي تم فيه الخروج، وصعب على المؤرخيـــن تحديد التاريخ. وقد خرج بنو إسرائيل من مصر في شهر أبيب أي في فصل الربيع : «اليوم أنتم خارجون في شهر أبيب» أي بدأ في فصل الـــربيع وهـــو موســـم هجرة الطيور ويناسب ذلك لنزول المن والسلوى(١). ونشـــير إلى أن الذين خرجوا مع النبي موسى (ﷺ) كانوا مجموعة مؤمنة، أي الذيـــن آمنوا بدعوة النبي موسى (ﷺ) وتشمل العبريين وغيرهم أي أن

== «لقد غلب الملوك وقالوا «سلاما».

وخربت تحينو

وهدئت أرض الحثيين

وانتهت كنعان، وحلت بها كل الشرور،

وخرجت إسرائيل، ولم يعد لأبنائها وجود ؛

وأضحت فلسطين أرملة لمصر، وضمت كل البلاد. وهدئت.

وكل من كان ثائرًا قيده الملك منفتاح».

انظر: ديورانت، المرجع السابق، م١، ج٢، ص ٣٢٤، بوكاي، المرجع السابق، ص ص ٢٦٩-٢٧١.

Pritchard, Ancient, Near Eastern Texts, pp. 376-378.

وكـــانت لوحـــة إسرائيل في معبد مرنبتاح الجنائزي. وقد كانت سابقًا في معبد أمنحوتب الثالث. انتزعها مرنبتاح وكتب عليها النص الذي ترجمه Spiegelberg منذ ١٨٩٦م وترجمه Breasted وأخيـــرًا Pritchard وأشـــار فيها إلى حملته على ليبيا وانتصاره على آسيا، وذكر إسرائيل لأول مـــرة. فخـــري. **مصر الفرعونية**، ص ٣٥٨، بوكاي، المرجع السابق، ص ٢٧٤؛ السيد، رمضان عـــبده علي. "**معالم تاريخ مصر**".ـــ القاهرة ١٩٨٦م، ص ٤٨٦، عن لوحة إسرائيل ص ص ٤٨٧ – ٤٨٨. وقد عثر لوريت عام ١٨٩٨م على مومياء منفتاح في مقابر طيبة، انظر : بوكاي، المرجع الســـابق، ص ص ٢٧٨ – ٢٨٠؛ وقيـــل أن روح الفرعون هلكت وبعد الغرق نجا بدنه أي انتشلوا جثته، قال تعالى : ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾ ، سورة يونس، الآية: ٩٢. واسم اليم الذي غرق فيه الفرعون وجنوده «إساف»، ابن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ٦١.

(١) خـــروج، ١٣ : ٤؛ ١٦ : ١٣ – ١٦؛ «وأما المن فكان كبزر الكزبرة ومنظره كمنظر المقل كان الشـــعب يطوفون ليلتقطوه ثم يطحنونه بالرحى ويدقونه في الهاون ويطبخونه في القدور». انظر عدد ١١ : ٧ – ٨؛ سورة البقرة، الآية: ٥٧، سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.

Keller, Op. Cit., p. 129.

المـــن : هـــو الترنـجـــبين أو خبز الرقاق وقيل عسل أو حلوى، والسلوى : طائر يشبه السماني. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ص ١١٠ – ١١١؛ السيوطي. **تفسير الجلالين**، ص ١٢.

الخـــارجين من مصر مع النبي موسى (ﷺ) كانوا (شيئًا آخر) ولم يقتصر الأمر على أسرة يعقوب ومجموعته[1].

وتـــتفق روايـــتا القرآن والتوراة حول خروج بني إسرائيل وبعض الحقائق الأخرى، وإن لم يتم ذكر اسم «فرعون موسى» وإن اختلفت الروايتان في بعض التفصـــيلات الأخـــرى. ولكن الرواية التوراتية ذات مدلول تاريخي أقدم زمنيًا. وجـــاء التـــبيان القـــرآني مكمـــلاً للخبر أو الحدث. فسهل بذلك عملية دراسة واستقصـــاء موضـــوع الخروج من أغلب جوانبه. مما يرجح أن الخروج تم في عهـــد الفرعون رمسيس الثاني، وذلك بالاستناد على بعض الحقائق وأهمها بناء مدينة رمسيس «بررميس» وترجح الباحثة أيضًا أن تكون فرضية البرايت أقرب إلى أحـــداث هـــذه الفـــترة. ويتناســـب عهـــد رمسيس مع أحداث بني إسرائيل وتواريخهـــا وذلك بحساب فترة التيه (٤٠ عامًا)، ثم عصر القضاة (٢٣٠ عامًا تقريـــبًا)، لأنه دام مدة تنوف على قرنين من الزمن. وكان قيام مملكة إسرائيل حوالي ١٠٢٠ ق.م. وتدل إشارة مرنبتاح في لوحة إسرائيل على أنهم مذكورون بعـــد بـــلاد كـــنعان، ممـــا يدل على تسلسل جغرافي، وأنهم كانوا في عداد أمم وشعوب تلك البلاد وبعد ذلك جاء ذكر فلسطين. ونستخلص مما تقدم تحديد فترة مديانية أيضًا.

---

(١) ظاظا. أبحاث في الفكر اليهودي، ص ١٠٤؛ Albright, The Biblical Period, p. 35.

ب - العلاقات في الفترة التالية للخروج :

اتسمت علاقات بني إسرائيل بشعوب المنطقة بالعدوانية الشديدة، سواء من أجل احتلال الأرض أو غيرها من المكاسب الاقتصادية والسياسية. وبدأ بنو إسرائيل تلك العداوات منذ خروجهم من مصر بسبب احتلال واستيطان أراضي ومدن أصحاب البلاد، وأثناء فترة التيه في الصحارى، والتي استمرت لمدة أربعين عامًا. وقد وقع الكثير من الأحداث أثناء تلك الفترات منذ أن وصل النبي موسى (عليه السلام) بقومه إلى سيناء وأقام معسكره في قادش[١].

وقد ورد عن تيه بني إسرائيل قصص تشبه الأسطورة بما أثقلت عليه من مبالغات لا يقبلها المنطق السليم[٢]. ولا مجال لذكرها هنا.

وما أن علم (يثرون) بخبر قدوم صهره وقومه حتى سارع بإعلام النبي موسى (عليه السلام) بأنه قادم إليه لزيارته ومعه ابنته صفورة وابناها؛ ولدا النبي موسى. فأعد النبي موسى (عليه السلام) استقبالاً كبيرًا للشيخ الجليل (يثرون) ومن معه. وقد دعي إليه كبار القوم وشيوخهم ومن بينهم أخوه هارون. وخرج النبي موسى (عليه السلام) لاستقبال (يثرون) وأكرم وفادة القادمين. وروى لهم قصته في مصر وجملة الأحداث التي وقعت له مع الفرعون، ثم الهروب من مصر، والرحلة والطريق الذي سلكوه. وهلاك الفرعون أثناء مطاردتهم إلى وصولهم إلى معسكرهم هذا... إلخ.

---

(١) عدد، ١٤ : ٣٣ - ٣٥، عدد، ١٩ : ١، تثنية ٢٩ : ٥ تقع قادش برنيع على مسافة من البتراء وتحف بها برية صين وتقع قريبًا من خط تقسيم المياه بين البحرين الأحمر والميت. انظر موسل، المرجع السابق، ص ٤٢. ويرجح أن بني إسرائيل قد اتحدوا مع بعض أقربائهم في قادش تحت النفوذ المدياني العربي ومارسوا هناك عبادة يهوه. ثم استعدوا وحاربوا الكنعانيين. انظر: حسن. **مصر والعرب وإسرائيل**، ص ص ١٠ - ١١؛ الطبري. **المرجع السابق**، ج١، ص ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

FREUD, Op. Cit., p. 94, ALBRIGHT, THE BIBILCAL PERIOD, p. 20.

(٢) أبو شهبة، محمد بن محمد. "**الإسرائيليات والموضوعات**".ـ ط٤.ـ القاهرة، ١٤٠٨هـ، ص ١٨٧.

ثـــم عـــاد النبي موسى (عليه السلام) إلى ممارسة أعماله، ومهامه على مرأى من حميـــه (يـــثرون)، لأن الأخير أقام معهم، كما يبدو، فترة من الزمن فاطلع على أعمـــال موســـى وتعرف عليها وعلى علاقاته بقومه. وبدأ (يثرون) في العطاء وإكمال الدور مع صهره. وقام بتدريبه على تصريف أمور الجماعة. ونقل إليه التراث الفكري والعقائدي، والقانوني والاجتماعي المدياني وما توافر لشيخ مدين من خبرات ومعارف[1].

١ – دور النبي شعيب (عليه السلام) مع النبي موسى (عليه السلام) :

كان لشعيب (عليه السلام) دور مهم مع النبي موسى (عليه السلام). منذ أن لجأ إلى أرض مدين، واتصل بالشيخ المدياني فيها[2].

ولا يمكـــن إهمال دور الزوج وتأثيرها على زوجها. والزوج حريصة عادة عـــلى زوجهـــا، بدافـــع أنها تريد به خيرًا. ونتساءل هل أكملت صفورة ما بدأه أبوها.

ولاشـــك أنها بقيت فعلاً مع زوجها على مبادئ الإيمان والتوحيد، رغم أن الـــتوراة لم تشر إلى دور صفورة مع زوجها النبي موسى (عليه السلام) ولا إلى دور النبي شعيب (عليه السلام) نفسه والمعروف أن صفورة حدثت أباها عن الرجل الغريب (المصـــري)، الذي ساعدها هي وأختها عند البئر، ثم ربما أنها هي التي ذهبت إليه لتطلب منه الحضور إلى أبيها. وأخيرًا ربما أنها هي التي أشارت على أبيها

---

(١) قـــال تعالى : ﴿ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾. سورة القصص، الآية: ٢٧. السيوطي. **تفسير الجلالين**، ص ٥١١؛ قطب. **في ظلال القرآن**، ج ٥، ص ٢٦٨٨.

(٢) قـــال تعالى : ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾، سورة طه؛ وقـــال تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾، سورة القصص.

أن يستأجره. وقد رغبت أباها في ذلك بأنها وصفت قوة الشاب وأمانته[١]. وهي بعــد ذلـــك التي أعطته العصا «عصا موسى» وكانت هذه العصا إحدى عصي أبيها النبي شعيب (عليه السلام) وقيل «كان عند شعيب عصي الأنبياء السابقين». وهي العصـــا الـــتي استعملها النبي موسى (عليه السلام) لرعي أغنام شعيب. وتوكأ عليها، واســتعملها لحمــل المـــزود، والسقاء عندما كان يدليها في البئر ليجلب الماء. واســتعملها لقطـــف الثمار من الأشجار، وهي ذات العصا التي أصبحت إحدى معجزات النبي موسى (عليه السلام) أمام فرعون مصر وسحرته[٢].

ثـــم إن صفورة قامت بدورها مع زوجها النبي موسى (عليه السلام) بل أدت دورًا جــليلاً وخطيرًا، عندما صاحبت زوجها، وخرجت معه إلى البرية. وقد تعرض النبي موسى (عليه السلام) لامتحان خطير من الرب، فما كان من صفورة كامرأة ذكية إلا أن درأت الخطـــر عن زوجها، وعن ابنها ونفسها بأن ختنت ابنها أي قطعت غرلـــته بقطعـــة الصوان. وأخذت دم الختان ومست به قدمي زوجها موسى[٣]. واعتـــبر ذلك الختان فداء. ويبدو أن هذا الفداء حل محل ذبح الابن البكر. لأنهم كانوا يقدمون البكر كقربان للإله وذلك قبل نزول الأمر بذبح كبش الفداء. ولكن صــفورة أظهرت دراية، ومعرفة بتلك العملية. وكانت تعرف أن عملية الختان فـــداء وطهـــارة وكان مفروضًا في الشرائع السماوية. ومما لاشك فيه أن عادة

---

(١) قال تعالى : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلأمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة القصص، قطب، **" في ظلال القرآن "**، ج٥، ص ٢٦٨٩ – ٢٦٩٠.

(٢) ابن الأثير. **الكامل**، ج١، ص ص ٩٩ – ١٠٠، السيوطي. **تفسير الجلالين**، ص ٥١١؛ خروج ٢:٤ – ٤؛ ســورة طـــه، الآيات: ١٧ – ٢٠، ٦٩، واستخدمت عصا الراعي لدى حكام بلاد الشرق الأدنى القديـــم حسب مدلولها المادي والمجازي. فحاكم الجماعة كان راعيها. وكان حمله للعصا دلالة على تسلمه السلطة من الآلهة. وكانت رمزًا لصولجان الحكم، الذي حمله عدد من الفراعنة فـــي مصـــر، والمـــلوك البابـــليون والآشـــوريون ومنهم المشرع الملك البابلي حمورابي. انظر مورتكات، أنطون، **"الفن في العراق القديم"**، بغداد، ١٩٧٥م، ص ص ٢٢٦، ٢٦٥.

(٣) خروج، ٤ : ٢٥. Jewish Ency., Op. Cit., vol. 9, p. 49.

الختان كانت تمارس لدى أهل مدين من عصور تسبق عصر النبي موسى (عليه السلام)، منذ عهد النبي إبراهيم (عليه السلام).

وكانت مدة العشر سنوات التي قضاها النبي موسى مع زوجه صفورة[1] بين ظهراني أهل مدين كافية فقد آمن وتاب إلى الله فغفر له سبحانه وتعالى ذلك الخطأ (قتل الرجل المصري) وبعثه نبيًا إلى بني إسرائيل وإلى فرعون مصر[2].

وعزم النبي موسى (عليه السلام) على الذهاب إلى أهله في مصر، فعندما خرج قاصدًا العودة، تلقى الوحي، وكلمه الله، وأمره بحمل الرسالة[3].

وذهب النبي موسى (عليه السلام) إلى مصر مطمئنًا لأنه علم بموت فرعون مصر، الذي كان حاكمًا عندما قتل النبي موسى الرجل. وفرَّ إلى مدين خوفًا من العقاب. وقام بالحكم فرعون جديد فعاد النبي موسى (عليه السلام) إلى مصر[4]. وبدأ بالدعوة التي كلفه الله بها وبلغها إلى قومه بني إسرائيل، وبلغها إلى أهل مصر وفرعونها. ودعاهم إلى عبادة رب العالمين، وحده لا شريك له.

---

(١) لأن تأثير الزوج على زوجها كبير فهي تؤثر عليه وتتأثر به أيضًا نتيجة المعاشرة والألفة. وتؤثر على الأبناء. فهي الأم التي يلتصق بها الأولاد والزوج، ولذلك ورد في التوراة نهي صريح لجميع اليهود عن اتخاذ زوجات غريبات، أي أجنبيات من أمم أخرى مع التأكيد على سبب النهي لأن الزوجات يملن قلوب أزواجهن إلى آلهتهن، ولأسباب أخرى أيضًا. وقد ثبت ذلك في أكثر من حالة سابقة ولاحقة فمثلاً تأثير إيزابل بنت إثبعل ملك صيدا على زوجها آحاب بن عمري ملك إسرائيل فقد مال معها إلى دينها وانحرف عن دين بني إسرائيل. فعبد آحاب البعل وأقام له مذبحًا. انظر: ملوك الأول، ١١ : ٢، ملوك الثاني، ١٦ : ٢٩ – ٣٣. ولا يقل دور صفورة ابنة شعيب عن دور مثيلاتها من الزوجات، خاصة أنها كانت زوجة مؤمنة بعقيدة راسخة.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥١؛ سورة طه، الآية: ٢٤، سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة القصص، الآيات : ٢٩ – ٣٥. والطور تعني الجبل في اللغة الآرامية والسريانية. انظر أحمد، محمود عبدالحميد، "**الهجرات العربية القديمة**"، ط١، دمشق، ١٩٨٨م، ص ٤٧.

(٤) «وقال الرب لموسى في مديان اذهب ارجع إلى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى مصر وأخذ موسى عصا الله في يده ، خروج ٤ : ١٩ – ٢٠.

آمن برب آبائه وأجداده[١]. وقد جاء التأكيد سابقًا في التوراة أيضًا[٢].

وتختلف أسماء الله من لغة إلى أخرى لفظًا وكتابة، ولكن المعنى لا يتغير لأن المدلول واحد وكلها تدل على رب واحد. وهو الله رب شعيب وموسى وعيسى ومحمد ومن سبقهم من الأنبياء والرسل. ويسمى في اللغة العبرانية يهوه - יהוה - Yahweh Jehova God.[٣]

وقد آمن موسى بالله رب العالمين، وحمل الرسالة. ونشر الدعوة في مصر بين قومه بني إسرائيل، وأهل مصر عامة وفرعونها خاصة. ويحتمل أنه كان يعرف لغة أهله ولغة أهل مصر حتى يفهموا الدعوة[٤]. وعرفهم على الرب باسمه يهوه، وبصفاته. ودعاهم لعبادته فهو ربه وربهم، ورب أهل مدين ورب العالمين أجمعين[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٣٣، ١٣٥ – ١٣٦؛ سورة آل عمران، الآية: ٦٧؛ خروج، ٣ : ١٥.

(٢) خروج، ٣ : ٦، ١٥ – ١٦؛ ٤ : ٥.

Fosdick, H., **"Guide To Understand The Bible"** , New York, 1938. p. 4.

سعد الدين، المرجع السابق، ص ١٥١، إن من شروط الإيمان بالله وتوحيده في دين الإسلام الإيمان بأسماء الله الحسنى وله ٩٩ اسمًا. وعلينا جميعًا الإيمان بها بلا تحريف ولا تغيير ولا تبديل مع اليقين الكامل بأنها كلها أسماء وصفات لذات الله سبحانه وتعالى.

(٣) Ency. Brit., Mic., vol. 6, p. 876, Pixley Op. Cit., pp. 69-71, James, F. **"Personalities of Old Testament"**, New York, 1955, pp. 8-12, Freud, S, Moses and The Monotheism, Trans. By K. Jones, New York, 1939, pp. 92-9. Dic. Of The Bible, Op. Cit., pp. 685-7.

ومن أسمائه أدون אדון أي سيد، وبعل وملك בעל-מלך MIK, Bcl, Lord,

Gordon, C., Ugaritic. Textbook-Glossary, 1947, pp. 86, 352.

ميديكو، المرجع السابق، ص ١٧٤؛ حتي، فيليب، **"تاريخ العرب"**، تر. محمد مبروك نافع، ط٣، ص القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٤٨.

(٤) وإذا تساءلنا عن لغة قومه (بني إسرائيل فلا نستطيع أن نجزم بشيء عنها هل كانت سامية عامة تطورت عنها اللغة العبرية فيما بعد. يحتمل أن يكون ذلك صحيحًا خاصة وأن موسى حادث الفتاتين عند البئر في أرض مدين وقص على شعيب أيضًا قصته في مصر. فلابد أن وسيلة التفاهم هذه هي لغة عامة كانت شائعة في المنطقة.

(٥) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥.

وجــاء ضمير الغائب للدلالة على الله في سورة النجم عشر مرات[1]. وفي ســورة الحديد تسع مرات[2]، وفي سورة الحشر ثماني مرات[3]. ويأتي ضمير الغــائب مقــترنًا بــلفظ الجلالة، أو بأحد أسماء الله الحسنى، أو لتأكيد الأفعال الخاصــة بالله رب العالمين. فهو الذي بيده الإحياء والإماتة، والخلق والرزق، ونحــو ذلــك من الأفعال التي تليق بجلاله تعالى. وقد وردت في السور المشار إليها سابقًا على ذلك النحو.

وخلاصــة القول : إن النبي شعيب (ﷺ) آمن بالله ودعا قومه لعبادة الله، الــذي هو رب نوح وإبراهيم ولوط وهود وصالح. ورب كل الأنبياء والرسل. وآمن موسى بذات الإله وحمل الدعوة.

واتضــح الــتعاون الكبير بين النبيين الكريمين شعيب (س) وموسى (س)، وكانــا صهرين أيضًا. وهما النبيان اللذان التقيا في عصر واحد، وأرض واحدة أيضًــا. وتعاونــا عــلى الدعوة إلى توحيد الله – ويظهر تعاونهما دائمًا، بل إن موسى اعتز بذلك، وبقي ذلك مذكورًا في التوراة تلك المصاهرة، وذلك التعاون والارتباط ويشار إليها دائمًا في كل مناسبة، مما يدل على أهمية شيخ مدين، بل ومديــن نفســها. وتعززت صلة النسب وتقوت بالوحدة الدينية. وقد دعا النبي شــعيب ،س) فــي التوراة باسم «يثرون» «كاهن مدين». وجاء الاسم مرتكزًا على فكرتين أساسيتين، أو في سياق موضوعين تكررا دائمًا :

أولاً : أن يثرون هو كاهن مدين.

ثانيًا : أن يثرون هو حمو النبي موسى[4].

---

(١) الآيات، ٤، ٧، ٣٠ (مرتان)، ٣٢ (مرتان)، ٤٣، ٤٤، ٤٨ – ٤٩.

(٢) الآيات، ١، ٢، ٣ (مرتان)، ٤ (مرتان)، ٦، ٩، ٢٤.

(٣) الآيات، ١، ٢، ٢٢ (٣ مرات)، ٢٣ (مرتان)، ٢٤ (مرتان).

(٤) خروج، ٢ : ١٦؛ ٣ : ٨٩، ١٨ : ١ وما بعدها.

وأقام النبي موسى في مصر فترة زمنية لا نعلم مداها ويصعب تحديدها، واتخذوا بيوتًا للعبادة قال تعالى :﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾[١].

وترك النبي موسى زوجه صفورة مع ابنيها في رعاية حميه كاهن مدين، أي النبي شعيب (عليه السلام). وقد استمر الاتصال بين (يثرون وموسى) طوال مدة إقامة النبي موسى في مصر، رغم طول المدة وبُعد المسافة بين البلدين. وكما اتضح من الآية الكريمة فقد مكث موسى في مصر فترة زمنية ليست بالقصيرة. وقد انجز مهمة نشر دعوة التوحيد بين بني إسرائيل والمصريين والفرعون وأنشأ بيوت العبادة للصلاة وجعلها قبلة للمؤمنين. ولكن مقاومة فرعون مصر كانت على أشدها. وتلقى النبي موسى أمر الخروج بقومه من مصر للخلاص من الفرعون. ونتوقع دوام الاتصال بين موسى ويثرون لتبادل الأخبار ولتطمئن موسى على أهله (الزوجة والأبناء). وأخيرًا عزم النبي موسى (عليه السلام) على الخروج مع قومه من مصر فرارًا بقومه، وبدينه من بطش الفرعون. وعرف يثرون بوصول النبي موسى (عليه السلام) مع بني إسرائيل إلى البرية التي عسكر النبي موسى (عليه السلام) فيها. ويستفاد من نص التوراة أن يثرون عرف بوصول موسى، وبمكان معسكره. فخرج للقاء النبي موسى (عليه السلام)، وللاطلاع على مجريات الأمور. ثم اصطحب معه ابنته صفورة وابنيها، لإيصالهما إلى النبي موسى «فقال لموسى أنا حموك يثرون آت إليك وامرأتك وابناها معها»[٢].

وقيل : إن يثرون قد أرسل رسولاً إلى موسى ليخبره بمجيئه. وقيل بل كتب يثرون رسالة إلى النبي موسى وربطها على سهم فأطلقه إلى داخل معسكر النبي موسى[٣]. ونتساءل هنا عن هذه الكتابة ما هي وبأي لغة ؟ وبأي خط ؟ وهل كان يثرون نفسه كاتب الرسالة ؟ أم كان له كاتب مثلاً ؟.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٨٧.
(٢) خروج، ١٨ : ٦.
(٣) Jewish Ency., Op. Cit., vol. 7, p. 174.

ونتساءل هل أقام النبي موسى معسكره بالقرب من موقع مدياني في سيناء ؟ أم أن شعيبًا أطلق السهم الذي يحمل الرسالة بعد أن اقترب من معسكر النبي موسى بمسافة مقدارها «مرمى السهم» فأطلق سهمه برسالته. فوصلت إلى النبي موسى، الذي قام بإعداد استقبال رسمي لحميه «فخرج موسى لاستقبال حميه وسجد وقبله وسأل كل واحد صاحبه عن سلامته ثم دخلا الخيمة»[١].

وتعد الخيمة مكانًا مقدسًا إذا كانت هي خيمة الاجتماع. ولماذا سجد النبي موسى؟ كان ذلك سجود شكر وعرفان لله تعالى. لأن النهي عن السجود لغير الله قد ورد صريحًا في التوراة[٢].

وقد قص النبي موسى (عليه السلام) على حميه تفاصيل الأحداث التي وقعت مع الفرعون والمصريين، والمصاعب والمشاق التي جابهته. وبيَّن له كيفية إنقاذ الرب لهم، وإخراجهم سالمين من مصر فتخلصوا من يد المصريين. ولم يخرج النبي موسى (عليه السلام) بمفرده في الاستقبال الذي أعده لحميه بل اصطحب معه أخاه هارون وجميع شيوخ بني إسرائيل، أي كان استقبالاً رسميًا. وأقاموا وليمة كبيرة فأكلوا الطعام معًا. «وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعامًا مع حمي موسى أمام الله»[٣]. ويعبر نص التوراة بوضوح عن المدلولات الاجتماعية والدينية المناسبة، والتي كانت معروفة حينذاك لمثل هذا اللقاء بين النبي موسى ويثرون.

وقيل : إنه كان مع النبيين موسى وهارون في استقبال يثرون ناداب وأبيهو[٤]، والسبعون شيخًا من بني إسرائيل بل قيل إن السكينة نفسها كانت معهم

(١) خروج، ١٨ : ٧.
(٢) خروج ، ٢٣ : ٢٤.
(٣) خروج، ١٨ : ١٢.
(٤) ناداب وأبيهو : هما ابنا هارون. خروج، ٦ : ٢٣.

في هذا الاستقبال الرسمي[١]. ويدل ذكر هذه السكينة على جلال الاستقبال ومهابته. فقد كان فعلاً استقبالاً رسميًا، وحفلاً مهيبًا.

ولاشك أنه كان حدثًا عظيمًا استحق كل هذه الحفاوة والمهابة اللتين ظهرتا في هذا الاستقبال، الذي أقامه النبي موسى تكريمًا لحميه وأهله. «ففرح يثرون بجميع الخير الذي صنعه إلى إسرائيل الرب الذي أنقذه من يد المصريين»[٢].

ولكن طرأ بعض التحريف على فرح يثرون، فحرفه أو أوله المفسرون في كتاب التلمود بمعانٍ بعيدة، وحملوا الكلمات أكثر مما تعني. فأضافوا معنى جديدًا غير المعنى الأصلي. وفسروا عبارة فرح يثرون فقالوا أنه «حد نفسه» أي اختتن. وقيل إنه أي تهود حيث قلبوا حرف الحاء إلى هاء ח = ה [٣].

ونرد على هذا التحريف الواضح بأنه لا مجال للخلط بين فرح – وحد – وهاد، ومن جهة أخرى كيف يكون يثرون غير مختتن. وقد عرف أهل مدين «الختان» وعرفته ابنة يثرون صفورة بل قامت بنفسها بتختين ابنها البكر. وعرَّفت زوجها النبي موسى بتلك العملية[٤].

أما تهود يثرون، أي اعتناقه اليهودية. فهي إضافة قام بها كاتب التوراة. (فيثرون) النبي شعيب (عليه السلام) مؤمن ونجد جذور دعوة النبي موسى متمثلة في دعوة النبي شعيب (عليه السلام)، بل إنها امتداد لها، وأما التهود فقد وضعه الكتاب حديثًا، وغير وارد قبل ذلك استنادًا إلى ما قدمناه عن عقيدة التوحيد لدى كل الرسل. بل إنه من الواضح أن النبي شعيب (عليه السلام) هو من أهل الدعوة إلى التوحيد، والتي آمن النبي موسى بها. وحملها ونشرها في مصر لأن النبي موسى أصبح نبيًا رسولاً.

---

(١) Jewish Ency., Op. Cit., vol. 7, p. 174.

(٢) خروج، ١٨ : ٩.

(٣) Jewish Ency., Op. Cit., vol. 7, p. 174.

(٤) خروج، ٤ : ٢٤ – ٢٦.

وكـــان للنبي شعيب (عليه السلام) دور جليل مع النبي موسى (عليه السلام) أداه إبان فترة خروج بني إسرائيل. وقد أسدى إلى النبي موسى (عليه السلام) فضلاً كبيرًا من السابق أيضًـــا. ويتمـــثل دور يثرون فيما قام به من إرشاد النبي موسى (عليه السلام) بتنظيم إدارة شـــؤون بني إسرائيل. فقد نقل إليهم بذلك جزءاً مهمًّا من التراث المدياني فـــي مجالات العقائد والتشريع والاجتماع. حيث قام يثرون بتعليم موسى التنظيم القضائي والإداري، حسب ما كان سائدًا في المجتمع المدياني. علمه أولاً أساليب القضـــاء بيـــن الناس، والنظر في شؤون الجماعة، وذلك من واقع نظم وقواعد عمـــلية سبق انتهاجها وتطويرها في مجتمع مدين. وتعد هذه البادرة التي قدمها يـــثرون بدايـــة لعمليات الاقتباس الحضاري والثقافي والمادي. والتي تمت على الصعيدين، ولربما بلغت ذروتها بانتصار بني إسرائيل على مدين.

وقـــد أقـــدم يـــثرون على إرشاد النبي موسى بدافع من حرصه على نجاح صهره في مهمته. وحدث ذلك عندما رأى النبي موسى جالسًا للقضاء بين الناس يعـــلمهم أمور دينهم ودنياهم من الصباح إلى المساء «فقال حمو موسى له ليس جيـــدًا هذا الأمر الذي أنت صانع. إنك تكلُّ أنت وهذا الشعب الذي معك جميعًا. لأن الأمـــر أعظـــم مـــنك. لا تســـتطيع أن تصنعه وحدك. الآن اسمع لصوتي فأنصـــحك فـــليكن الله معـــك. كن أنت للشعب أمام الله. وقدم أنت الدعاوى إلى الله... وعلمهم الفرائض والشرائع وعرفهم الطريق الذي يسلكونه والعمل الذي يعمـــلونه. وأنـــت تنتظر من جميع الشعب ذوي قدرة خائفين الله أمناء مبغضين الرشـــوة وتقيـــم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشـــرات فيقضون للشعب كل حين. ويكون أن كل الدعاوى الكبيرة يجيئون بها إليـــك. وكل الدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها، وخفف عن نفسك فهم يحملون معـــك إن فعـــلت هذا الأمر وأوصاك الله تستطيع القيام. وكل هذا الشعب أيضًا يأتي إلى مكانه بالسلام فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قاله»(١).

---

(١) خـــروج، ١٨ : ١٧ – ٢٤. بالإضـــافة إلى أنه علمهم طريقة تقديم القرابين بذبح الذبائح وحرق الـــبخور. انظر: خروج، ١٨ : ١٢. ولا ضير في ذلك فقد استشار الرسول محمد (ﷺ) أصحابه وعمل بمشورة سلمان الفارسي في حفر الخندق في معركة الخندق (الأحزاب).

ونظـــرًا للأهمية البالغة التي تضمنتها تلك التعاليم المذكورة أعلاه، فالنص يحـــتاج إلى تحـــليل دقيـــق لاستخلاص عناصر الإرشاد والتنظيم والإدارة التي توافــرت لدى الشيخ المدياني المحنك. يضاف إليها اتصاف يثرون بالجرأة في الحـــق حيث صارح النبي موسى بالنقد القويم لأسلوبه في القضاء. وأن الطريقة الـــتي اتبعها النبي موسى غير مجدية، لأن المسؤول عن الجماعة سيكل ويتعب مـــن المجهـــود المبذول للقضاء بين أفراد الشعب. يضاف إلى ذلك أن عمله لم يقتصـــر عـــلى القضاء بل شمل تعليمهم أمور الدين والعقيدة. وقد نصح يثرون النـــبي موســـى بأن يقصر دوره على الناحية الدينية، أي تعليمهم شؤون دينهم، وبالـــتالي يـــتفرغ النبي موسى لتلقي أوامر الله وإبلاغها وتوضيحها للناس على النحو التالي :

١ – اهـــتمام النـــبي موســـى بالجـــانب الديني أي تعليم الناس «الفرائض والشرائع» :

أ – تعليم الفرائض. ب – تعليم الشرائع.

٢ – الجـــانب الإداري : ويشتمل على التعريف بالنظام الإداري الذي يقوم عـــلى توزيـــع المسؤوليات وأسلوب العمل وفق خطة تنظيمية إدارية، محددة الخصائص والمهام :

أ – يقـــوم النبي موسى بتطبيق النظام الإداري الذي تعلمه من يثرون، حيث يجب أن يقسم الناس إلى مجموعات منتظمة الأعداد تتدرج مـــن المجموعـــات الكـــبيرة إلى المجموعـــات الصغيرة. وتتكون المجموعـــات مـــن مجموعة الألوف برؤسائها، ومجموعة المئات برؤسائها، والخماسين والعشرات... إلخ.

ب – يقـــوم النبي موسى بتعيين رؤساء لكل مجموعة من المجموعات المذكـــورة أعـــلاه، ويحـــرص على توفير شروط خاصة لأولئك الرؤساء.

ج - أسلوب العمل وتطبيقه : يختار النبي موسى أشخاصًا من الشعب يتولون هذه المناصب، ويشترط فيهم بعض الشروط فيما يتعلق بتوفر معايير خلقية عالية تؤهلهم للقيام بهذه المناصب. وليصبحوا أولي الأمر بين قومهم. وينفذ كل ذلك وفق مفاهيم ومبادئ شيخ مدين كما مارسها في مجتمعه، كما تنبثق من العقيدة الصحيحة. فالأديان السماوية تحض على مكارم الأخلاق كالتالي :

١ - أن يكون الرؤساء ذوي مقدرة على قيادة الجماعة ورئاستها.

٢ - أن يخاف هؤلاء الرؤساء ربهم في السر والعلن.

٣ - أن يكونوا أمناء يجتنبون الرشوة ولا يقبلونها. وتعد الرشوة من أسوأ المفاسد الاجتماعية. وهكذا يقوم هؤلاء الرؤساء بتولي أمور الناس، وحل المشكلات، وفض الخلافات بين الناس في الدعاوى العامة الواضحة والبسيطة. بما يكفل إحلال العدل بين أفراد الجماعة، والعدل أساس الملك. أما الدعاوى الكبيرة، والقضايا المعقدة، وكذلك أمور العقيدة فيجب الرجوع فيها إلى الذروة أي إلى القائد والمرشد الأكبر.

وأخيرًا طلب يثرون من النبي موسى (عليه السلام) أن يخفف عن نفسه أعباء الحكم. وأن يقرب الرجال ذوي القدرة. ويكلفهم بالمهام والمسؤوليات، ويمنحهم الثقة؛ حتى يشاركوه في إدارة أمور الشعب. وتنظيم أحوالهم عامة. فيكون كل شخص مسؤولاً عن مهمته في مجال اختصاصه، وفي مكانه، دون حاجة إلى التجمهر والتكتل في مكان واحد، بل يلتقي كل مسؤول بجماعته في مكانه لتجنب الفوضى، وربما حرصًا على السرية الشخصية لكل قضية، ولتنسيق العمل.

هل نستنتج من نصيحة النبي شعيب (عليه السلام) هذه، إيحاءً إلى النبي موسى بأن يجعل نفسه رئيسًا أو زعيمًا على قومه، فيضيف إلى الزعامة الدينية، زعامة قيادية إدارية، ونستنتج بالمثل من العلاقة الآنفة الذكر بين النبي شعيب (عليه السلام)

والنبي موسى (عليه السلام) حقائق مهمة تتصل بالنبي شعيب (عليه السلام) نفسه. وتدل على دوره في المجتمع المدياني، ومكانته الدينية، وخصاله الشخصية، وبالاستناد إلى لقب شعيب الذي ورد في التوراة «كاهن مدين»[1]. وقد تكرر بهذه الصيغة مما يؤكد الاستنتاج. وأن شعيبًا كان (عليه السلام) فعلاً يتولى سلطة دينية ودنيوية في مدين[2].

وتؤكد معرفته بأمور القضاء والإدارة أنه مارس السلطة الدينية نفسها بين أهل مدين. وبما أن المجتمع المدياني كان ذا ثنائية اجتماعية تعبر عن ثنائية جغرافية أيضًا. فقد كانوا ينقسمون إلى حضر مستقرين، وبدو رحُلٍ. ونتوقع قيام العديد من المدن في أرض مدين وفق ما ذكره المقريزي عن عدد مدن مدين وأنه بلغ أربعين مدينة.

ويمكننا أن نستنتج أن النبي شعيبًا (عليه السلام) جمع السلطتين الدينية والزمنية في رحاب إحدى المدن المديانية، التي كانت تقوم على نظام دولة المدينة كما يظن. ويرجح غالبًا أنه كان يقيم في مركز سياسي كبير أو عاصمة مدين، أي في مستقر حضري متمدن. وقد مارس سلطاته على عشيرته وجميع من آمن به. ولم يقتصر الأمر على مجتمع قبلي فقط. وربما أن شيخ مدين «كاهن مدين» أي النبي شعيب (عليه السلام) كان مكربًا، أي على غرار نظام المكربين الذي عرف في جنوب بلاد العرب فيما بعد.

أما نصائح النبي شعيب (عليه السلام) للنبي موسى (عليه السلام)، والتنظيم الدقيق الذي أوصى به؛ فإن ذلك يوضح المستوى الاجتماعي الحضاري الذي كان عليه أهل مدين، والذي قام النبي شعيب (عليه السلام) بنقل جانب كبير منه إلى بني إسرائيل. فاقتبسوه وعملوا به، علاوة على أفكاره المتصلة بجوهر عقيدة الوحدانية.

---

(١) خروج، ٢ : ١٦؛ ٣ : ٨٩؛ ١٨ : ١.
(٢) وذلك مقارنة بدور وسلطة المكرب في مجتمعات جنوب الجزيرة العربية قبل التحول إلى العهد الملكي في القرن السادس ق.م.

خلاصة القول يمكن إيجاز الصورة التاريخية التي سبقت الصلات بين النبي شعيب (عليه السلام) والنبي موسى (عليه السلام)، أو نتجت عنها بما يلي :

أولاً : التعاليم التي نقلها النبي شعيب (عليه السلام) إلى النبي موسى (عليه السلام)، وأوصاه بها تعبر عن المستوى الحضاري، والتنظيم الاجتماعي المتوافرين لدى أهل مدين منذ حقبة زمنية تسبق عصر موسى بكثير.

ثانيًا : أن النبي شعيبًا (عليه السلام) كان يتولى تطبيق هذه الأساليب وكل تلك القواعد الأساسية في مجتمعه أو على أقل تقدير، طبقها على الذين آمنوا به وأطاعوه.

ثالثًا : معرفة النبي شعيب (عليه السلام) الدقيقة بمثالب ومناقب المجتمعات البشرية مثل : (الرشوة – الأمانة – مخالفة الله، وغير ذلك).

رابعًا: أظهر نص التوراة السابق[1] ما يثبت أن بني إسرائيل كانوا آنذاك على حال من البداوة، والجهل بأصول المدينة، وتنظيماتها الإدارية، رغم أنهم قدموا من مصر البلد المتحضر، عريق التطور في مجالات الحكم والاجتماع. وربما يمكن أن نستنتج من ذلك الواقع عزلة بني إسرائيل عن المجتمع المصري رغم وجودهم بين ظهرانيهم أثناء فترة إقامتهم الطويلة في أرض جاسان في وادي النيل، منذ عهد النبي يوسف (عليه السلام) وإلى خروجهم مع النبي موسى (عليه السلام)، وقدرت تلك الفترة بحوالي ٤٣٠ سنة[2].

خامسًا : معرفة النبي شعيب (عليه السلام) بمبادئ الحساب والعمليات المتطورة بدليل معرفته للعشرات ومضاعفاتها. وليس ذلك بغريب على مجتمع تجاري مثل مجتمع أهل مدين. ونتوقع أن ذلك نتج عن خبرته

---

(١) خروج، ١٨ : ١٧ – ٢٤؛ انظر : هذا الكتاب، ص ٥٥٦.
(٢) خروج، ١٢ : ٤٠ – ٤١.

بإحصاء أفراد الجماعة وتقدير الضرائب (سواء العشر على البضائع التجارية أو قطعان المواشي والمحاصيل الزراعية. وربما شمل ذلك تحديد الإسهامات في السلم وأعداد الثروة الحيوانية للرعاة).

سادسًا: مدى تعاون النبي شعيب (عليه السلام)، الذي فطرت نفسه على المنح والعطاء وحمله لواء الهداية والرشاد لكل الناس. وكان منطلق النبي شعيب (عليه السلام) في تقديم النصائح تعبيرًا عن موقف إنساني جليل، يتسم بالود والمسالمة، وبرغبة مخلصة في تحقيق الخير والنجاح لكل من يتصل بهم. ولاشك أن عقيدة الوحدانية كانت الدافع المحرك لهذا السلوك القويم. يضاف إلى ذلك الروابط الحميمة (أي رابطة المصاهرة وصلة الرحم) التي ربطت النبي شعيب (عليه السلام) بقائد هذه الجماعة أي النبي موسى (عليه السلام). وعلى ما يبدو لم يكن هدف شعيب تحقيق امتيازات أو مكاسب مادية.

سابعًا : استجاب النبي موسى لمشورة النبي شعيب (عليه السلام) فأخذ بكل نصائح حميه وعمل بها، لأنه النبي المؤمن بوحدة الهدف وإعلاء عقيدة التوحيد. فهما نبيان مرسلان لإرساء شريعة السماء.

ومما تجدر ملاحظته والتعليق عليه أن بني إسرائيل ثابروا على اتباع هذا التنظيم، الذي طبقه «قضاة بني إسرائيل» أثناء فترة حكمهم التي اختلفت الروايات حول مدتها فقيل : إنها بلغت أربعمائة سنة وقيل : أنها مائتان أو مئة سنة[1]، ولكن حسب المعطيات التاريخية فالأرجح أنها دامت لمدة ٢٣٠ سنة تقريبًا. وسار القضاة على النظام نفسه الذي أرساه النبي شعيب (عليه السلام) وأشار به على النبي موسى (عليه السلام) فطبقه عليهم. وتركه باقيًا فيهم أثناء عصر القضاة الذين حكموهم. وبلغ عدد قضاتهم ١٥ قاضيًا. وطلبوا بعد ذلك من صموئيل تعيين ملكٍ لهم حوالي

---

(١) طنطاوي، المرجع السابق، ص ٣٢.

ق.م[1]. واختار لهم صموئيل بأمر من الله شاؤل ملكًا عليهم. وهو الذي ذكره القــرآن باسم طالوت قال تعالى : ﴿ ... وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا... ﴾[2]. ولكن النبي داود هو الذي قتل جالوت الفلسطيني[3].

٢ – محاربة أهل مدين في عصر النبي موسى (ﷺ) :

خــاض بنو إسرائيل حروبًا كثيرة ضد الكنعانيين والفلسطينيين والعمونيين والموآبيين والمديانيين والإدوميين[4] وحارب بنو إسرائيل أهل مدين بأمر النبي موسى (ﷺ) وذلك لعدة أسباب منها ما جاء في التوراة[5].

وأمــا الســبب المباشـــر لـــلحرب فكـــان بســـبب أن زمـــرى بـــن سالو זמרי בן סלוא Zimri Son of Salu وهـــو رئيـــس شمعوني[6]، قد أحضر امرأة مديانية تدعى كزبى بنت صور כזבי בת צור Cozbi daughter of Zur. ويعرف صور والد الفتاة بأنه رئيس قبائل في مدين. ويرد ذكره فيما بعد ضمن ملوك مدين. وقدم زمرى المرأة المديانية إلى إخوته، ثم دخل بها

---

(١) طنطاوي، المرجع السابق، ص ص ٢٠، ٣٢؛ The World, Book Ency., Op. Cit., vol. 17, p. 135.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٤٧، صموئيل الأول ٩ : ١٥.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٥١، صموئيل الأول، ١٧ : ٤٩.

(٤) أبو طالب، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٥) عـــدد ٢٥ : ١ – ٣، وشـــطيم – שטים – Shittim تعـــني سنط أو أكاسيا، وتقع في إقليم مـــؤاب شـــمال جبل «نبو»، وحشبون عبر الحدود إلى أريحا وحديثًا هي تل الحمان في الأردن. وهـــنا ارتكب الإسرائيليون الخطيئة مع بنات مؤاب ومع المرأة المديانية. وقيل : إن خمس قبائل مديانيـــة كـــانت في شطيم (ربما حسب الملوك الخمسة). وقد فوض موسى يشوع بن نون ليكون خليفته، عدد ٢٧ : ٢٢ – ٢٣. وانطلق منها الجواسيس وكانت آخر محطة عبر منها بنو إسرائيل نهر الأردن.

HB. Dic., Op. Cit., p. 945-6, Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 349. Dic. Of The Bible, pp. 543-4.

(٦) ويعـــني اســـم زمرى «قوة» وهو من الشمعونيين الذين كانوا في كنعان قبل مجيء بني إسرائيل وكان قائدًا. HB. Dic., Op. Cit., p. 1165, Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 401.

خـيمة أمام النبي موسى (عليه السلام) وجماعة بني إسرائيل، فغضب الكل منه، وقام فينحاس ابن العازار بن هارون פינחס בן אלעזר בן אהרן Phinehas Son of Eleazar Son of Aaron مــن وسط الجمع وأخذ رمحًا وقتل زمرى وكزبى معًــا داخل خيمتهما، لحماسه بدافع من حماسه الديني ونقمته على أعمال بني إســرائيــل، حيــث انتشــر بينهم وباء فاتك قضى على أربعة وعشرين ألفًا منهم(١).

ولكــن ذكر في بداية سفر الخروج أن الخطيئة وقعت مع بنات مؤاب ولذلك انتشر الوباء. فما هي خطيئة الأميرة المديانية، والقائد الشمعوني؟ لا يعرف سبب ذلــك. ولا يقــبل المــنطق أن يقوم الرجل الشمعوني وهو رئيس قومه بارتكاب المعصــية علــى مــرأى من النبي موسى (عليه السلام) والكهان وجموع بني إسرائيل. ويــرجح أنه كان زواجًا حقيقيًا بين الأميرة المديانية والقائد الشمعوني، ولكن يبدو أن غضبة بني إسرائيل كانت معلنة حتى على الزواج الرسمي. وقد تم تنفيذ القتل بوحشية وعنف، حيث قتل فينحاس ذلك الرجل الإسرائيلي وطعن المرأة المديانية في بطنها. علمًا بأن الرجل الشمعوني وهذه المرأة المديانية، ليسا من عامة الناس، بل من علية القوم. ويفترض أن مقاومة بني إسرائيل للزواج (وعدم الاعتراف به بل تسميته زنًا) مرده إلى الخوف من الزواج من الأجنبيات، ومن أن يصبح رباط الــدم والمصـــاهرة نموذجًا يحتذيه الأفراد الآخرون، فتختل بذلك النسبة السكانية وهذا ربما أنه المبرر الرئيس لمبدأ التحريم(٢).

---

(١) عــدد ٢٥ : ٦ – ١٥؛ وجاء اسم زمرى لدى الطبري هكذا : «زمرى بن شلوم»، وفينحاس هو فينحاس بن العيزار بن هارون. انظر، تاريخ الطبري، ج ١، ص ٢٢٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ١١٤؛ Fosdick, Op. Cit., p. 141؛ ابــن خلــدون، تــاريخ، ج ٢، ص ٨٦. وقد وصف فينحاس بأنه كاهن أي رجل دين وله صفة رسمية وليس فردًا عاديًا من عامة الناس بل يمثل الفئة المتشددة في الدين، عدد، ٢٥ : ٧.

(٢) «وحــرموا كــل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف» انظر: يشوع، ٦ : ٢١ أي قتل الجميع الناس والحيوانات وإبادتهم. والإبادة حرب وقائية لبني إسرائيل لخوفهم الذوبان في مجتمع مدين أو غيرهم من شعوب المنطقة.

وبـــرر فينحاس عمله ذلك بأنه كان كفارة عن الذنب وتطهيرًا من الخطايا، ولكـــن إذا كـــانت الصلة بين زمرى وكزبى زواجًا شرعيًا، وهو ما يبدو أنه تم حقيقة بدليل عدم اعتراض النبي موسى (عليه السلام) على الأمر. فإن اللجوء إلى قتل الـــزوجين جـــريمة مدبـــرة. كان ظاهرها الحفاظ على نقاء العقيدة، والأخلاق العامـــة. وحقيقتها حماية المجتمع الناشيء من الذوبان ضمن الأكثرية السكانية من أصحاب البلاد الأصليين فيفقد تفوقه وامتيازاته، وهو «الشعب المختار».

وهكذا أُنزلت لعنة بني إسرائيل على أهل مدين، وثارت ثائرتهم على ذوي الأرحام، وذوي الأيدي البيضاء عليهم(١).

ثـــم أوردت الـــتوراة مـــبررًا للحرب «ثم كلم الرب موسى قائلاً «ضايقوا المديـــانيين واضربوهم لأنهم ضايقوكم بمكايدهم التي كادوكم بها في أمر فغور وأمـــر كزبى أختهم بنت رئيس لمديان، التي قتلت يوم الوباء بسبب فغور»(٢). وهكـــذا ظهـــر السبب أنه أمر من الرب إلى موسى أي تعبير عن قرار، وأمر رسمي توج بمبرر ديني لا من مبدأ «الاصطفاء الديني»، ولكن يلاحظ أنه ربما بسبب عصيان أهل مدين لدعوة النبي موسى أو نحو ذلك.

والمعروف أن بني إسرائيل أقاموا بين أهل مدين أرحامهم، وجيرانهم أثناء خروجهم وبعده. وقد وقع بنو إسرائيل في الخطيئة بناء على مشورة بلعام(٣).

---

(١) وسبق أن تحدثت مريم مع هارون معلنة اعتراضها على زواج موسى نفسه من المرأة الكوشية، انظر: عدد، ١٢ : ١ – ٢.

James, Op. Cit., p. 38; Woodrow, M., "People From The Bible", Italy, 1987, p. 41.

وهـــل هذه المرأة الكوشية هي نفسها صفورة ابنة يثرون أم سواها، ولكن سبق أن أشرنا إلى أن اســـم كوش أطلق على مدين أيضًا. ولكن الرب غضب من مريم وهارون ولامهما على كلامهما الذي قالاه عن موسى، عدد ١٢ : ٩ – ١١.

(٢) عدد، ٢٤٥ : ١٦ – ١٨.

(٣) فقد دعا المديانيون والمؤابيون بني إسرائيل إلى المشاركة في احتفال، أو عيد وثني في معبد بعل فغـــور. وتتضـــمن طقوس الاحتفال ممارسة البغاء المقدس. فتضحي النساء بفضيلتهن في الخيام تعبيرًا عن عبادة الخصب -Fertility Cult. وكانت هذه المكافأة غير الشريفة تقدم كالتزام للآلهة الوثنية. انظر: عدد، ٢٥ : ١ – ٥.

Graetz, Op. Cit., vol. 1, p. 28; Jewish Ency., Op. Cit., vol. 2, p. 467.

فوقع بنو إسرائيل في الخطيئة بممارسة الزنا مع الفتيات ثم اقترفوا الخطيئة الدينية بالسجود لبعل فغور فوقعوا في الشرك أيضًا.

وتجدر الملاحظة أن الأمر مختلف جدًا في قضية زمرى وكزبى، لأن النبي موسى (عليه السلام) لم يعترض على الزواج ولم يأمر بالقتل. ونرى في النص أمرًا بالمضايقة بسبب ما ذكر فقط. فهل كان بعل فغور[1]، معبودًا مديانيًا ؟ وهل كانت هذه المنطقة من مؤاب خاضعة للنفوذ المدياني ؟ أم هو الامتزاج بين الشعوب الذي نستنتجه من النصوص. ولكنها لا تقدم إيضاحًا لتطور الأمور بعد حادث القتل، ولا كيف انتقلت العلاقة الإسرائيلية المديانية من المضايقة إلى شن الحرب، بل تكتفي بسرد تفاصيل الاستعداد للحرب وحشد القوى لضرب أهل مدين[2]، كما جاء في سفر العدد.

أوضح نص سفر العدد ٣١ نشوب معركة بين قوات إسرائيلية، وقوات مديانية متحالفة يقودها خمسة ملوك مديانيون، أو رؤساء كيانات سياسية سواء كانوا تنظيمات قبلية أم تنظيمات سياسية في هيئة دول مدن City States فيكون كل ملك منهم حاكمًا على مدينة مستقلة داخليًا أو ذاتيًا. ومنضوية تحت سلطان الهوية المديانية، والقوة الحربية.

عزف النص التوراتي عن إيضاح قوة الخصم وسير القتال وزمانه، وإمكانياته. واقتصر على إعطاء معلومات موجزة عن نتيجة المعركة. فيذكر

---

(١) بعل إله كنعاني يمثل قوة المطر وأهميتها لعملية الإخصاب. يصور دائمًا بشكل شاب قوي ذي لحية وضفائر. ويحمل هراوة يضرب بها السحب لتمطر فتحول العود اليابس إلى أخضر ريان. انظر: بوب، روليم، "قاموس الميثولوجيا والأساطير"، تر. وحيد خياطة، ١٩٨٥م، ص ٨٧. Keller, Op. Cit., p. 152، مقدسي، فايز، **بعل وموت**.ـ ط١.ـ أبجدية المعرفة.ـ **دمشق**، ١٩٩٠م، فقرة ٢٣ – ٢٤. وذكرت التوراة «بعل صفون»، انظر: عدد ٣٣ : ٧، أي بعل الشمال (جبل كاسيوس).

(٢) عدد، ٣١ : ١ – ١٢. Keller, Op. Cit., p. 152.

أســماء الملوك المديانيين فقط، وأنه تم قتلهم ومعهم بلعام. وأحرقت مدنهم، دون ذكر عددها ولا أسمائها أو مواقعها. وتم قتل جميع الذكور، وأسر النساء. «لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات»[١].

ويلاحظ أن بني إسرائيل استعملوا مع أهل مدين أساليب متطورة عن سياسة فــرعون مصـــر الـــتي مارسها سابقًا ضد بني إسرائيل، مع الفارق أن فرعون مصــر أمر بقتل الأولاد الذكور فقط واستحيي النساء عامة. أما في العلاقة بين الإســرائيليين والمديــانيين فالأمر كان أشد عنفًا وضراوة، حيث شملت الإبادة الذكور والنساء ما عدا الفتيات العذروات فقط.

ونــرى المــبرر الحقيقي لحرب إبادة المديانيين وغيرهم لم يكن بدافع نشر العقيــدة ولا الغيــرة عليها، بل كان بدافع امتلاك الأرض والثروات (أي أسباب مادية لا روحية) كما جاء في النص « وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكًا في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم عــلى الأرض الــتي أنتم ساكنون فيها فيكون أنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم»[٢].

وكـــانت مديـــن مكـــان لجوء للنبي موسى. ورغم ذلك حارب بنو إسرائيل مديـــن. ونرى في النص السابق «ثم تضم إلى قومك»[٣]. ويمكن تفسير التحول فـــي العلاقة من التعايش السلمي إلى الحرب والإفناء بأن فئة أو عشيرة من أهل مديـــن ومعها قينيون قاموا بالاتفاق مع بني إسرائيل على معاهدة حماية، وربما اتفاقية دفاع مشتركة، إلا أن الملوك المديانيين الخمسة بما لهم من دعم عسكري

---

(١) عدد، ٣١ : ١٨.

(٢) عـــدد، ٣٣ : ٥٥، ويلاحـــظ هنا التناقض بين النص السابق عدد ٣١: ١ – ١٢ وهذا النص، بين إبقـــاء الفتيات وهنا أمر بالقتل. فهل جاء الأمر بعد ظهور نتائج غير جيدة لما حدث في السابق. أو هو التناقض المعتاد نتيجة التأليف والتحريف.

(٣) عدد، ٣١ : ١.

وقوات نظامية انفردوا بخوض المعركة الضارية[١]، التي أمر النبي موسى (عليه السلام) بشنها ضد أهل مدين وكانت فعلاً مذبحة[٢]. وخرج الرؤساء مع موسى لاستقبال الجيش العائد من المعركة وجاء الأمر بالتالي : «فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها. لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات»[٣].

وأقر العازار الكاهن أن يتطهر الجميع كما أمر النبي موسى (عليه السلام). ويكون التطهير بأن يبقوا خارج المحلة لمدة سبعة أيام. ويشمل التطهير الثياب وأمتعة الجلد أو المصنوعات من شعر الماعز ومصنوعات الخشب أيضًا، ويكون هنا التطهير بواسطة الماء، أما المعادن من ذهب وفضة ونحاس وحديد وقصدير ورصاص يطهرونه بإدخاله في النار[٤]. أي بصهره.

وقد أوردت التوراة أعدادًا ضخمة جدًا لزيادة المبالغة وإضفاء طابع القوة على قوات بني إسرائيل علمًا بأنها تنظيمات قبلية بدوية. حاربت ضد قوات نظامية، ومع ذلك فالتقرير التوراتي ذكر أن الغزاة أحصوا قواتهم بعد المعركة فلم يفقدوا أحدًا من مقاتليهم[٥]. وتمكنوا من أن يلحقوا هزيمة ساحقة بقوات مدين بلغت حد الإبادة وتأكيدًا لهذا المعنى نستعرض الأعداد الضخمة للغنائم والأسلاب كما أوردتها التوراة كالتالي :

٦٧٥ ألفًا من الغنم.

٧٢ ألفًا من البقر.

---

(١) Pixley, Op. Cit., p. 11.

(٢) بدران، محمد بدران، "التوراة.. العقل.. العلم.. التاريخ".ـ ط١.ـ مصر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص ص ٧٣ - ٧٤ .

(٣) عدد، ٣١ : ١٧ - ١٨.

(٤) عدد، ٣١ : ١٩ - ٢٤.

(٥) «وقالوا لموسى عبيدك قد أخذوا عدد رجال الحرب الذين في أيدينا فلم يفقد منا إنسان » ، عدد ٣١ : ٤٩.

٦١ ألفًا من الحمير[١].

أمـــا عدد السبايا من الفتيات العذراوات فقد بلغ ٣٢ ألفًا[٢]. وتم توزيع هذه الغـــنائم عـــلى الـــنحو التالي : النصف للنبي موسى وألعازار، والنصف الآخر للمحاربين، ثم يدفع رجال الحرب زكاة للرب نفسًا من كل خمسمائة (١ : ٥٠٠) من الناس والبقر والحمير والغنم[٣]. أي أن الزكاة تؤخذ من النصف الذي وزعه الـــنبي موســـى على المحاربين ويدفع لألعازار الكاهن، وبلغت الزكاة ٦٧٥ من الغـــنم، و٧٢ من البقر، و٦١ من الحمير، و٣٢ نفسًا من النساء[٤]. وبلغ نصاب زكـــاة الحـــلي الذهبية – من حجول وأساور وخواتم وأقراط وقلائد – ١٦٧٥٠ شاقلاً. وذلك ما دفعه رؤساء الألوف ورؤساء المئات[٥].

كانت هذه أهم نتائج المعركة كما ذكرتها التوراة دون شروحات أو تعليقات. ومـــا ذكـــره نـــص التوراة أن تلك الفئة من أهل مدين قد أبيدت عن بكرة أبيها وقضـــى على كيانها وعمرانها نهائيًا. وأنه لن تقوم لها قائمة بعد هذه الإبادة أو الـــتحريم؛ وذلك بقتل جميع الذكور شبابًا وشيبانًا[٦]. وقتل كل النساء ماعدا ٣٢ ألـــف فتاة عذراء استحيوهن. وأخذوهن سبايا ربما للزواج منهن. وقد اشترطوا استبقاء العذراوات فقط، لذلك الهدف[٧].

---

(١) عدد، ٣١ : ٣٢ – ٣٤.

(٢) عدد، ٣١ : ٣٥.

(٣) «ونصـــف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين إلى الحرب وبين كل الجماعة. وارفع زكوة لـــلرب مـــن رجال الحرب الخارجين إلى القتال واحدة. نفسًا من كل خمس مئة من الناس والبقر والحمير والغنم من نصفهم تأخذونها وتعطونها لألعازار الكاهن رفيعة للرب». عدد، ٣١ : ٢٧ – ٢٩.

(٤) عدد، ٣١ : ٣٧ – ٤١.

(٥) عدد، ٣١ : ٥٠ – ٥٣.

(٦) هـــذا مـــا ذكـــره النص ولكن يبدو أن الحقيقة غير ذلك تمامًا بدليل استمرارية أهل مدين وتجدد نشاطهم وحربهم ضد بني إسرائيل.

(٧) تصور قصة روائية مشهد الأسرى. وتصور عملية رحيلهن من مدين إلى أرض السادة الجدد =

ويلاحظ في الرواية السابقة ضخامة أعداد إحصائيات الغنائم والأسلاب وحجم المبالغة الواضحة فيها. ويشكل ذلك أسلوبًا يبتعد عن العرض التاريخي الموضوعي، وهو شائع في النصوص التوراتية[1].

وهنا في هذه المحطة «شطيم» وقعت آخر مراحل الخروج بعد صراع دامٍ مع شعوب عديدة من سكان المنطقة : مديانيين، ومؤابيين، وآموريين، وكنعانيين، وقام صراع داخل صفوف بني إسرائيل أنفسهم. فقد ارتدوا عن دينهم وسجدوا لآلهة الشعوب الأخرى[2]، ثم عبدوا (العجل الذهبي)[3]. وتاهوا في الصحارى والقفار لمدة ٤٠ عامًا. تخللها ارتحال دائم من منطقة إلى أخرى[4]. ودام ذلك حتى قبض النبيان هارون ثم موسى (عليه السلام)[5]. فلم يدخلا

== (أي الإنضمام إلى بني إسرائيل). وتوصي امرأة؛ وهي فتاة ناضجة أخواتها من الفتيات الصغيرات بالطاعة، وهنالك تصوير لمشهد آخر لأسيرة تأمل العطف من حاكم بني إسرائيل (موسى – س –) لأن بني إسرائيل سبق أن ذاقوا مرارة العبودية والرق في مصر على يد فرعونها. وينبثق أمل آخر من صلة الرحم حيث أن زوجة النبي موسى هي ابنة يثرون؛ أي أنها إمرأة مديانية. ولعلها تساعد بنات جنسها، ثم ذكرت القصة كنزًا من الذهب مكرسًا أو مخصصًا للإله. انظر : Maid of Midian, Op. Cit., pp. 8-9.

(١) انتقد ابن خلدون في مقدمته أعداد قبائل إسرائيل والمبالغة فيها. انظر مقدمة ابن خلدون، ص ٩، انظر: هذا الكتاب، ص ١١٣.

(٢) وجعلوا لهم كاهنين يتنبآن لهم وهما ألداد وميداد، انظر عدد ١١ : ٢٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٨، سورة طه، الآية: ٨٨؛ خروج ٣٢ : ٤. James, Op. Cit., p. 32

(٤) سورة المائدة، الآية ٢٦؛ عدد، ١٤ : ٣٣ – ٣٤. وقد تعرض بنو إسرائيل للتيه كعقاب إلهي على تمردهم ثم تعرضوا للسبي الآشوري والبابلي ٥٨٦ ق.م. وأخيرًا السبي الروماني عام ٧٠م ثم عاشوا في «الشتات» وهو مصطلح يستخدم للتعبير عن الحياة خارج فلسطين كنتيجة من نتائج السبي. ويستخدم للدلالة على غربة اليهود في العالم، أحمد، دراسات، ص ١٨٨.

قيل إن النبي هارون مات قبل النبي موسى (عليه السلام) بحوالي ثلاث سنوات. انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص ٦٢.

(٥) عدد ٢٠ : ٢٨، تثنية، ٤ : ٢١ – ٢٢، ١٠ : ٦، ٣٤ : ٥ – ٧.

الأرض، أي أرض كنعان أو بلاد فلسطين. ودخل بنو إسرائيل بقيادة يشوع بن نون Joshua Son of Nun وكالب بن يفنة[1] Caleb Son of Jephunneh.

وتــولى أمر بني إسرائيل بعد النبي موسى (عليه السلام) فتاه، أو وكيله يشوع بن نـــون. فأرســـل الجواسيس، وعبر ببني إسرائيل نهر الأردن إلى أرض كنعان (فلســطين). واســتمروا في حروبهم وتدميرهم للمدن، وإبادة أو تحريم السكان. واســتخدموا أســلوب حرق المدن بالنار. وكان ذلك حوالي نهاية القرن الثالث عشر (١٢٣٠ ق.م)[2].

ولقـــي يشوع بن نون مقاومة شديدة من جميع الملوك في عبر الأردن إلى ســاحل الــبحر جهــة لبــنان. فقــام إليه الحثيون، والأموريون، والكنعانيون، والفرزيون والحويون، واليبوسيون، بل إنهم اجتمعوا لمحاربته حيناً[3].

وهكــذا اســتمر الصراع في الفترة التالية للخروج أيضًا وبضراوة شديدة، واســتمر يشوع بن نون بعد النبي موسى حوالي ٢٧ سنة يقود بني إسرائيل في حــروبهم، ويــنظم شــؤونهم. وجــاء بعده كالب بن يفنة[4]. وتوالى زعماؤهم يحكمونهــم، والذيــن عرفوا باسم القضاة واستمر بنو إسرائيل في صراعهم مع جيــرانهم، واســتمر عصــيانهم وخــروجهم عن الطاعة فتوالى إرسال الرسل والأنبياء إليهم طوال فترة عصر القضاة[5]، وما بعدها أيضًا.

---

(١) عدد، ١٤ : ٥ – ٧، ٣٠، ٣٨، يشوع، ٢ : ١؛ ٤ : ١ – ٣، ابن الأثير. **الكامل**، ج١، ص ١١٢.

(٢) يشوع، ١ : ١ – ٥؛ ٢ : ١ – ٢؛ ٦ : ٢١ – ٢٦، حسن، مصر والعرب وإسرائيل، ص ٣٧.

(٣) يشوع، ٩ : ١ – ٢.

(٤) يشوع، ١٣ : ١ – ١٢، ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١١٢.

(٥) قضــاة، ٢ : ١٦ – ١٩. وامــتد عصر القضاة حوالي ٢٣٠ عامًا من موت يشوع بن نون إلى تعيين شــاؤل مــلكًا عــلى إســرائيل حوالي ١٠٢٠ ق.م.، وكان أول قضاتهم إهود بن جيرا، ومن أشهرهم جدعون، وآخرهم صموئيل، انظر: قضاة ٣ : ١٥، ٦ : ١١؛ صموئيل الأول ٣ : ٢٠، ١٥ : ١. وسفر القضـــاة في التوراة عبارة عن قصة تسرد سلسلة محزنة من الهزائم والارتداد، انظر : ولز، هـــ. ج.، "**معالم تاريخ الإنسانية**"؛ تر. عبد العزيز توفيق جاويد.ــ ط٣.ــ القاهرة، ١٩٦٧م، ج١، ص ٢٨٨.

وتعرضـــوا لهزائم عديدة على أيدي الكنعانيين، والشعوب الأخرى من أهل المنطقة ومنهم العمالقة وأهل مدين، وبنو المشرق(١).

واســتقر كالب بن يفنة في حبرون التي كانت تسمى قرية أربع. ولكن نرى يهــوذا يطمـــع فيها، ويسير إليها لمحاربة الكنعانيين الساكنين في حبرون؛ لأنه أراد إخراجهم منها(٢).

ثــم تسـلطت الشعوب الأخرى على بني إسرائيل، وكان أولهم كوشان بن رشــعتايم مــلك آرام النهرين (الجزيرة الفراتية) وأخضعهم لمدة ثماني سنوات. وذكــرت الــتوراة أيضًا خضوع بني إسرائيل لحكم عجلون ملك مؤاب حوالي ثمانيــة عشر عامًا. وقد تحالف عجلون مع بني عمون وعمليق وسار إلى بني إســرائيل وحــاربهم. وهزمهم وأخذ مدينة النخل (أريحا). وحكمهم طوال المدة المذكورة.

ويــؤرخ عصر القضاة بالفترة السابقة للقرنين الثاني والحادي عشر ق.م.، وذلــك مــن واقع المعثورات الأثرية التي دلت على بساطة وأقدمية زمنية في أسلوب التنفيذ(٣).

---

(١) قضاة، ٣ : ١ – ٤؛ ٦ : ١ – ٢.

(٢) يشوع، ١٤ : ١٣؛ قضاة، ١ : ١٠.

(٣) قضــاة، ٣ : ١٢ – ١٥. وكــان القاضي يعد «رائي» أيDiviner أو أنه حكم Shophet وكلمة شــوفيط مــن أصل كنعاني بمعنى أمير يفصل بين العشائر والقبائل. وهكذا يقوم القضاة بدورهم إبــان الأزمــات والطوارىء. ويعد عصر القضاة اتحاد قبائل يشبه الأمفكتيون Amphictyony الأغــريقي، أي اتحاد قبلي حول مركز مقدس. ويمارس سلطة قوية لتوحيد القبائل دينيًا وسياسيًا. بالإضــافة إلى وحدة اللغة والعادات. وأضاف إليه بنو إسرائيل «العهد بين الإله والشعب»، وقيل أن عصــر القضــاة يشــمل قــرنين من الزمن بعد دخولهم إلى فلسطين واستمر إلى قيام مملكة إسرائيل. موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ص ص ١٤٠ – ١٤١.

Albright, The Biblical Period, pp. 36, 40, 44; Archaeology of Palestine, p. 119.

==

الطبري، تاريخ، ج١، ص ٢٤١.

وخلاصة القول إن النبي موسى (عليه السلام) أمر بشن حرب الإبادة هذه على أهل مدين كغيرهم من الأمم والشعوب الأخرى من سكان المنطقة. وأن بني إسرائيل اصطدموا بشعوب المنطقة لتحقيق أغراض مادية، ومكاسب تشمل الأموال والثروات والأرض. لقد كان الهدف الأول من كل حروب بني إسرائيل الإستيلاء على الأرض ودخول بلاد كنعان. ومما تجدر ملاحظته أن أكثر المؤرخين من المهتمين بالتاريخ التوراتي لا يعطون حروب إسرائيل أية أهمية وخاصة المعارك التي وقعت في عصر النبي موسى (عليه السلام) وإنما تذكر ذكرًا عابرًا فقط[1]. ويلاحظ أيضًا أن الحروب كانت غير نظامية وأنها عبارة عن غارات، وغزوات متقطعة.

٣ – حكم أهل مدين لبني إسرائيل :

تعرضت إسرائيل للهزائم المرة تلو الأخرى وخضعت لحكم أمم عديدة من سكان بلاد كنعان وما جاورها. وحكمهم أهل مدين[2].

== وقد بولغ في طول عصر القضاة فقيل إنه دام حوالي ٥٧٢ عامًا، وقيل ٤٦٠ عامًا، وكان القضاة زعماء محاربين تولوا أمور بني إسرائيل. وكانت فترات حكمهم متقطعة نظرًا لخضوع بني إسرائيل لحكم أجنبي مثل حكم عجلون ملك مؤاب ويابين ملك كنعان لمدة ٢٠ عامًا. وخلصهم منه باراق، الذي حكمهم أربعين عامًا ثم حكمتهم الكاهنة دبورة. انظر: قضاة، ٤ : ١، ٤ – ١٠، ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ١٢٠، المسعودي، **مروج الذهب**، ج١، ص ص ٦٦ – ٦٧، وكان القاضي يحكم منفردًا حينًا، ويحكم اثنان معًا حينًا آخر في فترة واحدة في منطقتين مختلفتين وحينًا لا يتولى أحد منهم، إما بسبب الحكم الأجنبي، أو للاختلاف فيشغر مكان القاضي، ويظل شاغرًا.
Ency. Brit., Op. Cit., Mic., vol. 5, p. 626; Dic. Of The Bible, Op. Cit., p. 320.

(١) عن الحرب في عصر القضاة فقط، Noth, Op. Cit., p. 161; James, Op. Cit, p. 65.

(٢) «وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين. فاعتزت يد مديان على إسرائيل بسبب المديانيين عمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف التي في الجبال والمغاير والحصون. وإذا زرع إسرائيل بسبب المديانيين والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم. وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة ولا يتركون لإسرائيل قوت الحيوة ولا غنمًا ==

وهكذا يفيدنا التقرير الموجز في سفر القضاة، أنه بسبب شرور بني إسرائيل وآثامهم التي ارتكبوها وخاصة «الردة عن الدين» حلت بهم عقوبات كثيرة. فنرى هنا تسلط أهل مدين على بني إسرائيل، وانتصارهم عليهم، فحكموهم لمدة سبع سنوات كما جاء في النص[1]. وقيل : بل كانت تسع سنوات وثلاثة أشهر. وحكمهم رؤساء مديانيون هم : عريب، وربيب، وبرسونا، ودارع، وصلنا[2]. وحدثت هزيمة إسرائيل على يد أهل مدين وخضعوا لحكمهم حوالي ١١٥٠ ق.م[3] وذكرت رواية أخرى أن الذين حكموا إسرائيل من بني لوط، الذين كانوا بتخوم الحجاز. وأن ملكي مدين رابح وصلمناع ساعدا في الحرب التي قادها غوديف وزديف[4]. هذا ما ذكره الطبري وابن خلدون ولا يعرف المصدر الذي أخذا عنه ولا من أين جاء قوم لوط، مع أن نص التوراة ذكر المديانيين صراحة، وذكر نص آخر أسماء ملوكهم بوضوح. ولا نعرف تفاصيل عن ذلك الحكم ولا كيفية تحقيقه.

= ولا بقرًا ولا حميرًا لأنهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيئون كالجراد في الكثرة وليس لهم ولجمالهم عدد ودخلوا الأرض لكي يخربوها فذل إسرائيل جدًا من قبل المديانيين وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب». قضاة، ٦ : ١ – ٦؛ ابن لأثير، الكامل، ج١، ص ١٢١، وقد وصف ألبرايت هذا التحالف باسم «الجموع أو القبائل العربية المتوحشة التي تدفقت على فلسطين مجبرة الإسرائيليين إلى اللجوء إلى الجبال والغابات وسرقة محاصيلهم، وأنهم قبائل متوحشة من بلاد العرب تعلمت ركوب الجمل.

Albright, The Biblical Period, p. 41; Noth, Op. Cit., pp. 160-162.

وهذا وصف بشع لأهل مدين وحلفائهم، الذين يحتمل أنهم قبائل تستعمل الجمل في الحرب ولأول مرة في التاريخ. والأجدر أن يعترف لأهل مدين بتلك الأسبقية.

(١) قضاة، ٦ : ١؛ Jewish, Ency., Op. Cit., vol. 8, p. 548; Triumph Over Midian, Op. Cit., p. 41.

(٢) المسعودي. مروج الذهب، ج١، ص ٦٦.

(٣) Cambridge Ancient History, Op. Cit., vol. 2, Part 2, A, p. 515; Albright, The Biblical Period, p. 40.

(٤) الطبري. تاريخ، ج١، ص ٢٤١، ابن خلدون. تاريخ، ج٢، ص ٩٠.

وقد أخرج المديانيون بني إسرائيل من مناطق سكناهم واضطروهم إلى ترك منازلهم واللجوء إلى الكهوف والمغاير في الجبال، تحصنوا فيها خوفًا من المديانيين أي أنهم تخلوا عن السهول الخصبة والتجأوا إلى الجبال لحماية أنفسهم من الأعداء. وخضع بنو إسرائيل لحكم أهل مدين أثناء الفترة المذكورة(١)، والتي نظن أنه مبالغ في تفصيلها جدًا.

ويبدو أن مقاومة بني إسرائيل اشتدت فكون أهل مدين حلفًا من العماليق وبني المشرق ضد بني إسرائيل وحاصروهم في منطقة فلسطين من كل جانب، وإلى غزة، وسيطروا على أراضيهم الزراعية في السهول. فكان أهل مدين والعمالقة يشنون الغارة تلو الأخرى على ظهور الجمال، وفرق المشاة أيضًا «ويجيئون كالجراد في الكثرة وليس لهم ولجمالهم عدد»(٢)، وانتشروا مع إبلهم في الوادي بأعداد كبيرة وكثرة عظيمة. وربما أنه مبالغ في وصف كثرتهم، أو أن ضخامة الجمل وهيبته أرعبت بني إسرائيل، وربما أن ارتفاع الجمل وعلو المحارب من فوق ظهره أعطى المعركة رهبة فانتشر الخوف والذعر. وأصبح جنود الحلف المدياني فوق ظهور الجمال فوق مستوى الجند مع كثرة عددهم مما برر وصفهم بالجراد؛ أي كسرب الجراد عندما ينتشر فوق الحقل. ويظهر الجمل في الحرب لأول مرة في التاريخ ويخوض المحاربون المعركة فوق ظهور الجمال(٣).

ويتضح أن بني إسرائيل قد لجأوا إلى المرتفعات هربًا من أهل مدين؛ لأنهم

---

(١) قضاة، ٦ : ١ – ٢.

(٢) قضاة، ٦ : ٥، ويقرر النص التوراتي أن أهل مدين فقط هم الذين حكموا بني إسرائيل في هذه الفترة، قضاة، ٦ : ١، وتكون الحلف المدياني ومعهم عماليق وبنو المشرق في مرحلة الغزو أولاً ثم في مرحلة المقاومة والحرب. قضاة ٦ : ٣، ٧ : ١٢.

(٣) Cambridge Ancient History, Op. Cit., vol. 2, Part, 2A, p. 515.; Margolis, M., And Marx, A., **"History of The Jewish People"**, Philadelphia, 1953, pp. 25-26; Noth, Op. Cit., p. 161., James, Op. Cit., p. 65.

لـم يتمكـنوا مـن محاربـتهم. ولم يقدر الإسرائيليون على النزول إلى سهل يزرعيل[١].

وكان ذلك دليلاً واضحًا على أن قوات بني إسرائيل كانت محدودة ولم تكن قـادرة على احتلال مناطق كبيرة من فلسطين ومدنها ولم يقدروا على انتزاعها مـن أصحابها، فاضطروا لتركهم بين ظهرانيهم، وسكنوا معهم. وهذا دليل آخر على قوة المقاومة، وطول المدة الزمنية التي احتاجها بنو إسرائيل للسيطرة على فلسطين[٢].

وجاء في سفر القضاة رواية عن بناء مذبح فوق رأس الحصن[٣]. ونجد في ذلـك تشبهاً بالكنعانيين. وقد فعلت قبيلة يوسف الشيء نفسه (وتشمل نسل أفرايم ومنسـي ابني النبي يوسف – عليه السلام –). فقد كانوا أيضًا متحصنين في الجبل ولم يتمكنوا من النزول إلى سهل يزرعيل[٤].

وجـاء كـل ذلك أدلة واضحة على عدم استقرار بني إسرائيل، واستمرار الصـراع والحـروب. وقـد وصـف بعض الكتاب المديانيين بأنهم قادة قبائل المتاعب بالنسبة لبني إسرائيل. فقد جلبوا عليهم البؤس لأنهم كانوا في نظر بني إسـرائيل مـبددين ومخـربين لأنهم طردوهم وألجأوهم إلى الجبال والحصون

---

(١) يشوع، ١٧ : ١٦ – ١٨.

(٢) تثنيه، ٧ : ٢١ – ٢٣. تقول نبوءة بابلية «أن القادم من السهوب سوف يتوغل وابن المدينة سوف يجـبر على الرحيل». د. الصفدي، وتوضح النبوءة الصراع بين البدو والحضر. وجاء في سفر العدد «ويتسلط الذي من يعقوب ويهلك الشارد من مدينة»، ٢٤ : ١٩، ونرى أن العملية استغرقت أكثر من قرنين في النموذج الإسرائيلي.

(٣) قضاة، ٦ : ٢٦؛ يشوع، ١٧ : ١٦ – ١٨؛ Payne, Midianite Arch, Op. Cit., p. 167.

(٤) يقـع سـهل يزرعيل יזרעאל -Jezreel في قلب إسدرلون أو مجدو. وتحده جبال الجليل من الشـمال، والسامرة من الجنوب حيث يجري نهر قيشون. ويعني اسمه يزرع – إيل أي يبذر الإله إيل. وكانت مجدو تحت حكم ملك. انظر : يشوع ١٢ : ١٢.

HB. Dic., Op. Cit., pp. 489-90; Triumph Over Midian, Op. Cit., p. 128. Every day Life in Bible Times, p. 214, Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 210.

والكهــوف. وكان المديانيون أداة عقاب لبني إسرائيل وأن أهل مدين دمروا بني إسرائيل في هـــذه الحروب، مع أن كلا الطرفين من نســـل النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) كما يزعم بنو إسرائيل[١].

ولا تـــتوافر تفاصيل أخرى عن فترة السبع أو التسع سنوات التي حكم فيها أهـــل مدين بني إسرائيل، وأخضعوهم فيها. ونتساءل كيف لم يتمكن هذا الحلف المدياني الكبير أن يحافظ على هذه السيادة على بني إسرائيل؟ وكيف تمكن بنو إسرائيل بعد ذلك من محاربة هذا التحالف رغم هروبهم، واختبائهم في الكهوف والمغاير كما ذكر النص ؟ وسنرى أن بنـي إسرائيل يقومون فجأة لمحاربة مدين وكسرها بقيادة قاضيهم جدعون.

٤ – محاربة أهل مدين في عصر القضاة :

وبـــدأت حـــركة الـــتمرد على حكم أهل مدين. نتيجة للمعاناة التي لقيها بنو إســـرائيل أثناء فترة الحكم المدياني. فقام بنو إسرائيل بتعيين جدعون[٢] قاضيًا،

---

(١) Triumph Over Midian, Op. Cit., pp. 42-4.

(٢) «وكان لما صرخ بنو إسرائيل إلى الرب بسبب المديانيين أن الرب أرسل رجلاً نبيًا إلى بني إسرائيل». قضاة، ٦ : ٧ – ٨. «وأتى ملاك الرب وجلس تحت البطمة التي في عفرة التي ليوآش الأبيعزري وابنه جدعـــون كـــان يخـــبط حـــنطة فـــي المعصـــرة لكـــي يهـــربها مـــن المديانيين». قضاة، ٦ : ١١. גדעון בן יואש אבי־העזרי Gideon Son of Joash Abiezrite ويعني اسمه القاطع – أو الذي يقطع بيده – أبو سيف (سياف البحر). وقد حطم مذبح البعل، فدعي يربعل ירבעל Jeru- baal (انظر : قضاة، ٦ : ٣٢) وتعني يربعل (دع بعل مطمئن). وهو من مدينة عفرة التي تقع قرب بحيرة الجليل والتي أصبحت منطقة قبيلة منسى. وأصبح القاضي الخامس لبني إسرائيل بعد أن أرسل إليهم كنبي وأنه ذو مآثر عليهم. أخذ الأمر من الملاك. وتشبه قصة نبوءته قصة النبي موسى (س). ونكر تشـــابه آخـــر عند مصارعة الملاك. كما حدث ليعقوب (س). وقام جدعون بأول عمل وهو الثورة الديـــنية وتحطيم مذبح البعل، وبنى مذبحًا للرب. ثم قام بالإعداد لمحاربة أهل مدين. وكان يعمل في دراسة الذرة قرب معصرة النبيذ. انظر : قضاة السفر ٦؛ خروج السفر ٣ – ٤. ويظن جدعون نفسه مديانـي، انظر : Odelain and Seguineau, Op. Cit., pp. 137-138, 290; Woodrow, Op. Cit., p. 53-4; HB. Dic., Op. Cit., p. 346; Dic. Of The Bible, Op. Cit., p. 195; Albright, The Biblical Period, p. 42; Payne, The Midianite Arc, pp. 165-166 .

ونتساءل هل يوجد تشابه بين اسم جدعون والجدعنة أو الفتوة بالمصرية العامية.

وقائدًا للمعركة. وأصبح نبيًا؛ بل اعتبروه بطلاً إسرائيليًا فذًا. علمًا أن هنالك عدم اتفاق بين الباحثين فيما يتعلق بمصادر قصة جدعون (يربعل) وتأريخها.

ونستنتج من النص التوراتي أسباب هذه الحرب وهي :

١ - أسباب مباشرة (دينية) :

كان هدم جدعون (ومعه بنو إسرائيل) لمذبح بعل وساريته في المدينة. وبناء مذبح يهوه على رأس الحصن[١]، إشارة للتحدي وبدء الصراع.

٢ - أسباب غير مباشرة (اقتصادية - سياسية) :

دار الصراع حول امتلاك الأراضي الزراعية، وحرمان العدو من مصادر العيش. وتخليص بني إسرائيل من قبضة مدين[٢].

ويبدو أن مجيء جدعون إلى القيادة أو القضاء بعد الكاهنة دبورة - דבורה Deborah [٣] ويحتمل أن انتصار دبورة على الكنعانيين قد فتح الطريق لبني إسرائيل وقوى عزائمهم. بعد أن تعرضوا للغزو عدة مرات. وكان هذا الغزو شائعًا في تلك العصور، وخاصة أن الكثير من الأمم والقبائل كانت تتحين فرص الضعف العسكري والسياسي للشعوب المجاورة فتغير عليها لتحقيق النصر، ونيل الغنائم، واحتلال الأرض للاستيطان والاستقرار. وهذا ما فعله بنو إسرائيل

---

(١) «دعاه يهوه شلوم» قضاة، ٦ : ٢٤ - ٢٦. قضاة ٦ : ٣٠؛ «والآن قد رفضنا الرب وجعلنا في كف مديان» قضاة، ٦ : ١٣. ونزل الأمر «اذهب وخلص إسرائيل من كف مديان»، قضاة ٦ : ١٤.

(٢) «وكان لما صرخ بنو إسرائيل إلى الرب بسبب المديانيين أن الرب أرسل رجلاً نبيًا إلى بني إسرائيل فقال لهم هكذا قال الرب إله إسرائيل إني قد أصعدتكم من مصر وأخرجتكم من بيت العبودية وأنقذتكم من يد المصريين ومن يد جميع مضايقيكم وطردتهم من أمامكم وأعطيتكم أرضهم. وقلت لكم أنا الرب إلهكم لا تخافوا آلهة الآموريين الذين أنتم ساكنون أرضهم. ولم تسمعوا لصوتي»، قضاة، ٦ : ٧ - ١٠ «وكان جيش المديانيين شماليهم عند تل مورة في الوادي» ٧ : ١. «وكانت محلة المديانيين تحته في الوادي» ٧ : ٨ أي وادي يزرعيل، قضاة ٦ : ٣٣.

(٣) قضاة، ٤ : ٤ - ٩ ؛ Woodrow, Op. Cit., p. 53.

عـندما خـــرجوا من مصر وشنوا الحروب للاستيلاء على الأرض والاستقرار فيها. وجابهتهم شعوب المنطقة بمقاومة عنيفة. فدامت الحروب واستمرت على مـــدى قرنيـــن ونصـــف أو حوالـــي ثلاثة قرون منذ الخروج وإلى قيام مملكة إسرائيل.

ويمهـــد لقصة جدعون بذكر الغزاة راكبي الجمال من المديانيين والعماليق وبنـــي المشرق[١]، الذين نهبوا محاصيل وحيوانات بني إسرائيل[٢]. وهكذا بعد نجـــاح جدعـــون وجمعه الأنصار حوله بدأ في الإعداد للمعركة ضد أهل مدين وحلفائهم[٣].

وهكـــذا بيَّن جدعون ذل عشيرته، وحداثة سنه نظرًا لكونه الأصغر، وربما قلـــة تجربـــته وتضاؤل مكانته باعترافه في النص[٤]، ورغم ذلك فقد تقرر أنه ســـيقود المعـــركة، وأن النصر مضمون له، رغم المبالغة الواضحة في تضخيم صورة العدو، أي الطرف المدياني وحلفائه. "واجتمع جميع المديانيين والعمالقة وبني المشرق معًا وعبروا ونزلوا في وادي يزرعيل" [٥].

وكان جدعون غير واثق من نفسه، ولذلك قام بإجراء اختبار ليتأكد من تأييد الرب له وعدم وجود خدعة في الموضوع كله[٦].

ونـــزل جدعـــون (يربعل) ومن معه في عين حرود وكان جيش المديانيين شماليهم عند تل مورة في الوادي[٧].

---

(١) قضاة ٦ : ٣٣و ٧ : ١٢.
(٢) «ودخلوا الأرض لكي يخربوها»، قضاة ٦ : ٥.
(٣) قضاة، ٦ : ١٤ – ١٦؛ HB. Dic., Op. Cit., pp. 346-7.
(٤) قضاة ٦ : ١٤ – ١٦. Triumph Over Midian Op. Cit., pp. 84-5;
(٥) قضاة ٦ : ٣٣ – ٣٥.
(٦) قضاة ٦ : ٣٦ – ٤٠.
(٧) قضاة، ٧ : ١، وعين حرود חרדה Haradah أو En-Harod وهي بلهجة محلية، وتعني إندفاع وهي نبع مائي (عين جلود حديثًا). وتقع شمال غرب جبل جلبوع حيث يضيق سهل يزرعيل ==

وهكـــذا أخـــذ كـــل مـــن الجيشين أو الفريقين مكانه أمام بعضهما البعض متقابـــلين، اســـتعداداً للقـــتال. وقـــد بلغ عدد رجال جدعون اثنين وثلاثين ألفًا، ولإضـــفاء روح البطولة الأسطورية، فقد جاء الأمر بصرف اثنين وعشرين ألفًا مـــن الرجال، وإبقاء عشرة آلاف، ثم يتقلص هذا العدد أيضًا ويبقى مع جدعون ثلاثمائـــة رجـــل فقط[١]. ويبدو أن الرجال انفضوا من حول جدعون فرارًا من الـــزحف، وبســـبب الخـــوف، والجفاف والعطش. فسار جدعون ومعه الرجال يحملون الأبواق. «وادفع المديانيين ليدك»[٢].

وخـــرج جدعون مصطحبًا غلامه فورة פורה -Purah لأنه كان خائفًا. ونزلا إلى محلة المديانيين ليتجسس عليهم[٣]، ولكن رأى ما هاله، ورغم التأكيد مـــن النصـــر والمـــؤازرة من الرب نفسه، واسترق السمع فعرف حكاية الحلم (الـــرؤيا) الذي كان يحكيه أحد المديانيين لصديقه. وكان تفسير الحلم أن سيف جدعـــون، الـــذي سيضرب المديانيين وكل الجيش[٤]، ومع ذلك فتصوير مشهد الجيـــش المديـــاني أثار الرعب. ولما سمع جدعون ذلك سجد شكرًا، وبشر بني إسرائيل بالنصر وتحفز لإنفاذ خطة الحرب. وبدأوا بالحرب النفسية بواسطة بث الرعب والذعر عن طريق النفخ بالأبواق وكسر الجرار[٥].

== إلى بيت شان والأردن. ويعد موقعًا عسكريًا مهمًا. وتل مورة גבעת המורה Hill of The Moreh- تـــل بركاني مقابل جبل جلبوع إلى أقصى الشرق من سهل يزرعيل في معسكر موآب. انظر :

HB. Dic., Op. Cit., pp. 374, 654; Odelain and Seguneau, Op. Cit., pp. 151, 270.

(١) قضاة، ٧ : ٣ – ٦. وربما أن جدعون لم يجد أنصارًا ماعدا الـــ ٣٠٠ رجل.

(٢) قضـــاة، ٧ : ٧ – ٨. وذلك حتى لا يتفاخروا على الإله بأنهم خلصوا أنفسهم بأيديهم، أي تبريرًا لقلة عددهم فيكون انتصارهم كمعجزة. انظر بدران، المرجع السابق، ص ٩٢.

James, Op. Cit., p. 64 ff.; Triumph Over Midian, Op. Cit., pp. 162-164.

(٣) قضاة، ٧ : ٩ – ١١.

(٤) قضاة، ٧ : ١٣ – ١٤.

(٥) قضاة، ٧ : ١٥ – ١٨، ويعتبر البوق رمز التبشير والإعلان الواضح للحقيقة المنتصرة. انظر :

== Triumph Over Midian, Op. Cit., p. 164.

ويتضـــح مـــن النص أن الصراع كان حول الأراضي الزراعية ومصادر الميـــاه. صـــراع بين ساكني السهول وبين المعتصمين في قمم الجبال، أي بين الحضر من الكنعانيين والمديانيين وبين اليهود البدو[١].

وحقـــق هـــؤلاء القـــوم «القلة القليلة»، أو العدد الضئيل من جيش جدعون انتصـــارًا كـــبيرًا عـــلى جموع أهل مدين وحلفائهم الذين بلغ عددهم ١٣٥ ألف مقـــاتل[٢]. «وأمسكوا أميري المديانيين غرابا وذئبًا. وقتلوا غرابًا على صخرة غراب، وأما ذئب فقتلوه في معصرة ذئب وتبعوا المديانيين. وأتوا برأسي غراب وذئب إلى جدعون من عبر الأردن»[٣].

وهكذا تم قتل أميري مدين. وكان ذلك بشرى وترضية لرجال أفرايم، الذين أعلـــنوا الـــثورة ضد جدعون، رغم اعترافه بأفضليتهم، وعلو مكانتهم (شرفهم) وربمـــا ثـــرائهم أيضًا وذلك بالنسبة لقبيلة أبيعزر أهل جدعون. وكان ذلك النبأ

== مـــع ملاحظة أن البوق كان أداة مستعملة في هذه الحرب وكل حروب بني إسرائيل لبث الرعب والذعر. والنذير لأهل المدينة التي سيشنون الحرب عليها. وكان سلاحًا مدويًا للتخويف والترهيب بالصـــوت المزعج، انظر : عدد، ٣١ : ٦؛ وكان نموذج حصار يشوع لمدينة أريحا مثالاً آخر. يشوع ٦ : ٤؛ ٦ : ٩.

(١) قضاة، ٧ : ٢٢ - ٢٤. ١ - بيت شطة - בית השטה The Beth Shittah وتعني بيت السنطة. وشطة جمعها شطيم. مدينة بين يزرعيل وبيت شان، لجأ المديانيون إليها بعد هروبهم.
٢ - صردة צררתה - Zarethan أو Zarethan مدينة في وادي الأردن جنوب بيت شان وآبل محولة. وهي موقع قديم من عصر البرونز الباكر. وقد عثر على كسر فخارية وأدوات.
٣ - آبل محوله אבל מחולה Abel Meholah وتعني ساحة الرقص، وهي مدينة في وادي الأردن هرب المديانيون إليها من جدعون. ٤ - طباة טבת - Tabbath مدينة على الضفة اليسرى للأردن قرب آبل محولة، فر المديانيون إليها أيضًا. ٥ - بيت بارة בית ברה - Beth Barah ربما تقع جنوب بيت شان حيث المياه قرب نهر الأردن הירדן Jordan
HB. Dic., Op. Cit., pp. 945, 1156, 4, 105; Odelain and Seguineau, Op. Cit., pp. 72 - 3, 392-3, 3, 63. 69.

(٢) قضاة، ٨ : ١٠.

(٣) قضاة، ٧ : ٢٥

الســـار عـــن قتل الأميرين (غراب وذئب) هي الترضية التي هدأت ثورة قبيلة أفرايم[1].

لـــم يكـــن ذلك كافيًا فقد بقي الزعماء الكبار من أهل مدين أي الملكين زبح وصـــلمناع. فواصل جدعون مع رجاله الثلاثمائة، مع ملاحظة أنه لم يقتل منهم أحـــد وكـــأن ذلـــك قاعدة حروب بني إسرائيل. ودخلوا إلى وسط حشود جيش الحـــلف المدياني، لإدراك الملكين المديانيين الهاربين. وكان ذلك الهدف الأكبر وليس هنالك أي ذكر لقادة آخرين من العمالقة مثلاً أو من بني المشرق.

وهكذا رفض أهل سكوت مساعدة هذا الجيش الجائع، الذي ليس معه مؤن غذائيـــة ولا أســـلحة كافيـــة. وهـــزأوا من جدعون قائد هذا الجيش المعدم فقام بـــتهديدهم وتوعدهم بالعقاب الشديد بعد أن يفرغ من مهمته. وأنه سيدرس بيديه لحمهم مع أشواك البرية بالنوارج[2].

«وكـــان زبح وصلمناع في قرقر وجيشهما معهما نحو خمسة عشر ألفًا كل الـــباقين مـــن جميع بني المشرق والذين سقطوا في الحرب مائة وعشرون ألف رجـــل مخترطي السيف. وصعد جدعون في طريق ساكني الخيام شرقي نوبح ويجـــبهه وضـــرب الجيش. وكان الجيش مطمئنًا فهرب زبح وصلمناع فتبعهما وأمسك ملكي مديان زبح وصلمناع وأزعج كل الجيش»[3].

---

(1) قضاة، ٨ : ١ – ٣. James, Op. Cit., p. 69.

(2) قضـــاة، ٨ : ٤ – ٩. ســـكوت – סכות -Succoth وتعني أكواخًا من الأغصان، أو خيامـــاً أي مسكن مؤقت وهي مدينة في وادي الأردن على الطريق إلى السهل مع صردة وبيلا. وقـــد رفض أهلها تقديم الغذاء أو الخبز لجيش جدعون، هذا الجيش الجائع. وسخروا من جدعون وازدروه، ولذلك بعد انتصاره عاقبهم عقابًا وحشيًا قاسيًا، انظر :
Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 361.; HB. Dic., Op. Cit., p. 996, James, Op. Cit., p. 70.

(3) قضـــاة، ٨ – ١٠ – ١٢، ١ – قرقـــر – קרקר -Karkor وهي أرض في شرق الأردن حيـــث عســـكر جنود زبح وصلمناع. ٢ – نوبح – נבח -Nobah مدينة جنوب يبوك وتوجد مواقع أخرى بنفس الاسم منها مدينة في جلعاد. ٣ – يجبهة – יגבהה =

ولما فرغ جدعون من المهمة العظمى، وقبض على ملكي مدين. وقبل إنهاء أمــر الملكين وجيشهما، عاد إلى سكوت، للانتقام وإنزال العقاب على أهلها كما توعدهــم. وتقصى عن عدد رؤساء وشيوخ سكوت (٧٧ شيخاً)[١]، ودخل على أهلها ومعه زبح وصلمناع ليراهما أهل سكوت، الذين عيروه بعدم مقدرته على القــبض عــلى مــلكي مدين. وامتنعوا عن تموين جيشه بالمواد الغذائية. ووقع العقوبة على شيوخ المدينة وقطعهم مع أشواك البرية بالنوارج وهدم برج فنوئيل في سكوت. ولم يكتف بذلك بل قتل رجال سكوت[٢].

وقــام بعــد ذلــك جدعــون بتــنفيذ انتقام آخر من الملكين المديانيين زبح وصــلمناع، لأنهما كما يبدو قاما بقتل رجال في معركة سابقة في تابور. فسألهم أولاً عــن صفات أولئك الرجال. أخبروه بأنهم مثله، وهيئتهم كهيئة الملوك فقال جدعون بأن أولئك الرجال إخوته. ويبدو هنا التناقض الواضح. فقد سبق أن قال جدعــون أن قبيلــته بني أبيعزر كانوا من أذل وأفقر قبائل بني إسرائيل. فكيف أصبحت هيئة إخوته كهيئة الملوك وهذا نموذج للتناقضات العديدة.

«وقــال لــزبح وصلمناع كيف الرجال الذين قتلتماهم في تابور فقالا مثلهم

= Jogbehah- وتعــني عــلو وارتفاع، مدينة بناها الجاديون في نفس هذا الموقع الذي شهد انتصار جدعــون على المديانيين شمال غرب عمان على بعد ١٣ كم. Odelain, and Seguineau, Op. Cit., pp. 232, 285,213 وهــو طريق معروف من الطرق التي تدعى باسم «طرق البدو» قرب نهــر يــبوك، ويعرف اليوم باسم «نهر الزرقاء». انظر ياقوت، المرجع السابق، ج١، ص ١٣٧، موسل، المرجع السابق ص ٧٩.

(١) قضاة، ٨ : ١٣ – ١٤.

(٢) قضاة، ٨ : ١٧. برج فينوئيل – מגדל פנואל Tower of Penuel وتعني وجه الإله إيــل. موقع في سكوت، حيث تلقى النبي يعقوب (ﷺ) أمر تبديل اسمه إلى إسرائيل بعد أن نال بــركة الإله. تكوين، ٣٢:٣١، وهو البرج الذي حطمه جدعون عقاباً لأهل سكوت بسبب رفضهم تقديــم المؤن للجيش. Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 298. وكان هذا البرج رمزاً لعبادة إيــل في سكوت. لم يرضاها جدعون (يربعل) الذي سبق أن قام بتحطيم مذبح بعل، أي قام بثورة دينية ضد بعل، وإيل. وربما بتحطيم مذبح بعل. وربما لتخليص بني إسرائيل من الردة عن الدين. وقد تفشت بينهم منذ عصر النبي موسى (ﷺ) وبدءاً بعبادة العجل الذهبي.

مثــلك كل واحد كصورة أولاد ملك. فقال هم إخوتي بنو أمي حي هو الرب لو استحييتماهم لمــا قتلتكما وقال ليثربكْرَه قم اقتلهما فلم يخترط الغلام سيفه لأنه خــاف بمــا أنه فتى بعد فقال زبح وصلمناع قم أنت وقع علينا لأنه مثل الرجل بطشــه فقــام جدعــون وقــتل زبــح وصــلمناع وأخذ الأهلة التي في أعناق جمالهما»[1].

ويكشف الحوار بين جدعون والملكين في النص عن صدام أو معركة سابقة انتصــر فيها المديانيون وحكموا بني إسرائيل وأغفل كتاب سفر القضاة إيرادها للتقليل من انتصارات أعدائهم وعدم الاعتراف بأن حكم مدين لبني إسرائيل لابد أنه تم بعد انتصارات، وغالبًا كانت خسائرها دافعًا قويًا لانتقام جدعون؛ أي ربما بدافــع الــثأر الشخصــي لإخوته من أمه أكثر من الوازع والغيرة على العقيدة والدين. ويتأكد هذا من نتائج حرب جدعون، وحرصه على الغنائم.

وجاءت تكملة قصة المعركة، فقد حقق جدعون انتصاره على أهل مدين[2]. واعتــبره بــنو إسرائيل نصرًا مبينًا، حيث بثلاثمائة رجل مقاتل فقط هزم حلفًا

---

(١) قضــاة، ٨ : ١٨ – ٢١. تابور – תבור -Tabor جبل يبلغ ارتفاعه حوالي ١٨٤٣ قدمًا. يقع في الجزء الشمالي الشرقي من سهل يزرعيل (اسدرلون) يشرف على الوادي وعلى مرتفعات الكــرمل فــي الغرب. ويمر عند سفحه الطريق الشمالي الجنوبي من حاصور ودمشق إلى ممر مجدو والسهول الساحلية. ويمر الطريق الشرقي المتجه غربًا من سهل مجدو بين جبل تابور وتل مورة إلى بحر الجليل (طبرية)، وهنا قتل المديانيون إخوة جدعون.

HB. Dic., Op. Cit., p. 1014; Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 363, James, Op. Cit., p. 70.

(٢) قضاة، ٨ : ٢٢ – ٢٨، إفود – אפוד -Ephod هو نطاق يتمنطق به على الخاصرة. ويصــنع عــادة من كتان. ويبدو أن جدعون ارتكب خطيئة وإثمًا بصنعه إفود من الذهب الذي غــنمه. انظر خروج، ٢٨ : ٣٩، وكان الإفود من أهم قطع رداء هارون. «وكان داود متمنطقًا بــأفود مــن كتان». صموئيل الثاني، ٦ : ١٤؛ ويلبسه الكهنة فقط، صموئيل الأول، ٢٢ : ١٨؛

HB. Dic., Op. Cit., p. 237.

Cambridge Ancient History, Op. Cit., vol. 2., Part 2A. pp. 554-6.

جــواد علي، **المفصل**، ج١، ص ٤٥٥، ويبدو أن الإفود كان شيئًا ممنوحًا لبعل أو أنه استعمل في عبادة يهوه بصورة مشابهة لما كان عليه لبعل أيضًا. James, Op. Cit., p. 72.

كبيرًا من ثلاثة شعوب أو قبائل هم : أهل مدين والعمالقة وبنو المشرق بملوكهم، وأمرائهم، ورجالهم المحاربين. فقد حاربهم جدعون وأخرجهم من الأرض التي يريدونها وكانت هذه المعركة أسطورة غيرعادية؛ بل مجنحة في عالم الخيال[١]. واتضح ذلك منذ البداية كيف تناقص عدد رجال جدعون من ٣٢ ألفاً إلى عشرة آلاف إلى ثلاثمائة رجل. وقد بينا احتمال عدم مقدرة جدعون على جمع رجال للقتال أكثر من ذلك العدد الذي حارب معه فعلاً وكانوا غالبًا من رجال قبيلته خاصة إذا كان الدافع الانتقام الشخصي لإخواته من أمه كما ذكره النص. وهذا أسلوب كتاب التوراة الذين يبالغون فيما يخصهم، ولذلك دعي جدعون المخلص أو المنقذ[٢].

ونلاحظ أيضًا أن كتاب التوراة يكتبون بعض العبارات غير الواقعية وذلك عندما كتبوا عن إبادة مدين إبادة تامة. وبعد ذلك نرى أهل مدين يستمرون في العيش في مواطنهم السابقة؛ بل وتقوى شوكتهم فيحكمون بني إسرائيل ويقومون بتكوين الحلف الكبير مع العمالقة وبني المشرق. ويخوضون معارك مع بني إسرائيل في تابور، ومعركة جدعون هذه[٣]. وغير ذلك، ثم نلاحظ في آخر النص تحديد فترة «استراحت الأرض أربعين سنة في أيام جدعون»[٤]. ويظهر في النص بوضوح أن الهدنة أو فترة الهدوء والسلم استمرت لمدة ٤٠ عامًا فقط مما يوحي بتجدد القتال، مع أن بني إسرائيل ادعوا أنهم قضوا على جيش التحالف وأنهم قتلوا منهم ١٢٠ ألف رجل وقتلوا الأميرين (غراب وذئب)، والملكين زبح وصلمناع، وفر بقية الرجال (١٥ ألفاً). وكان ذلك مبالغة وادعاء واضحين. وكان الهدف من المعركة الانتقام والثأر والحصول على غنيمة

---

(١) James, Op. Cit., p. 73.

(٢) Ibid, p. 66 ff.

(٣) وتذكر نصوص التوراة تجند بني إسرائيل على مدين، ثم بعد ذلك اعتزت يد مديان، وذل إسرائيل، ثم ذل مديان، عدد، ٣١ : ٧؛ قضاة، ٦ : ٣ – ٦؛ ٨ : ٢٨.

(٤) قضاة، ٨ : ٢٨.

الذهب من الحلي المختلفة مثل الأهلة والأقراط والحلق، والقلائد التي في أعناق جمـالهم[1]، بالإضـافة إلى أثـواب الأرجوان. وكانت هذه الثياب ميزة خاصة لمـلوك مدين. يحتمل أنها مقتبسة من الكنعانيين الذين صنعوا صبغة الأرجوان، فأصـبحت ميزة خاصة بهم صناعة وصباغة ولباسًا، (ومن الأرجوان Phoenix اشتق اسم الكنعانيين والفينيقيين منذ ثلاثة آلاف سنة)[2].

كمـا نلاحظ أن هنالك فرقًا بين حروب بني إسرائيل السابقة وهذه المعركة فـلا نجد هنا أمرًا بتحريم الرجال أو إبادتهم، ولا الذكور من أطفال مدين، كما نلاحـظ عدم ذكر المواشي مع أن النص ذكر أن رجال الحلف «كانوا يصعدون بمواشـيهم»[3]. ولا يذكر النص «الجمل» في عداد مواشي أهل مدين وحلفائهم رغم الوصف السابق بأنهم مع جمالهم كالجراد في الكثرة فلا يرد ذكر الجمل مع الغـنائم ولا خصوه بتحريم أو إبادة فهل يدل هذا الإغفال على إهمال أو تجاهل لـلجمل الـذي كان وسيلة الانتقال في السلم وأصبح مستخدمًا في الحرب هنا. ورأس المـال أو ثروة الأثرياء في ذلك العصر فهل يدل ذلك على أن المعركة كانت غارة، أو غزوة عابرة.

أما تحديد أسماء ملكين وأميرين فقط من مدين يفرض أن الذين شاركوا في هـذه الحرب ربما كانوا فريقين أو قبيلتين من مدين[4]. والمعروف أن القبيلة لا يحكمهـا مـلك وإنمـا يـتزعمها شيخ، مما يسمح أن نستنتج أن هذين الملكين والأميرين من حكام دويلات المدن، التي نظن أنها كانت نظامًا سياسيًا موجودًا فـي مديـن بدليـل شيوع هذا النظام السياسي في بلاد كنعان عامة. وقد ذكرنا

---

(١) كـررت رواية جدعون ما كان النبي موسى (عليه السلام) طلبه. فكانت الغنيمة ١٦٧٥٠ شاقلاً أصبحت هنا ١٧٠٠ شاقل . وترتبط الأهلة الذهبية بعبادة إله القمر (سين) أنظر : فصل الديانة.

(٢) انظر : هذا الكتاب، ص ٢٧٠.

(٣) قضاة، ٦ : ٥.

(٤) Jewish Ency., Op. Cit., vol. 8, p. 548.

خمسة ملوك من مدين منذ عصر النبي موسى (عليه السلام). وكان هذان الملكان زبح وصلمناع من الحكام المديانيين الذين سيطروا على بني إسرائيل وحكموهم في فترة انتصار مدين. وكان معهما الأميران غراب وذئب ربما نائبين على منطقتين أو نائبين في قيادة المعركة. ولم يعرف على وجه التحديد من الذي حكم بني إسرائيل من أهل مدين أولئك المذكورون أم سبقهم أحد من الحكام غيرهم ؟.

ويعد هذا الانتصار الثاني من نوعه على مدين[1]، أما انتصارات مدين على بني إسرائيل عندما حازت السيطرة عليهم وحكمتهم، وفي معركة تابور فلا نعلم عن ذلك شيئًا، وربما كان هنالك خفايا أخرى لم نعلمها أيضًا.

عاش بنو إسرائيل على تلك الانتصارات الحقيقية أو الوهمية يتفاخرون، ويتباهون بذكريات تلك الانتصارات وخاصة على أهل مدين، فأخذت هذه الأمجاد تخطر على بالهم في المناسبات كذكريات عزيزة، ولكنها تأتي متقطعة كما ذكرتها النصوص أيضًا. «لأن نير ثقله وعصا كتفه وقضيب مسخره كسرتهن كما في يوم مديان». وجاء أيضًا «ويقيم عليه رب الجنود سوطًا كضربة مديان عند صخرة غراب»[2]. وأخيرًا «إفعل بهم كما بمديان كما بسيسرا كما بيابين في وادي قيشون. بادوا في عين دور. صاروا دمنًا للأرض اجعلهم شرفاء هم مثل غراب ومثل ذئب ومثل زبح ومثل صلمناع كل أمرائهم»[3].

ويلاحظ هنا ضم الملكين زبح وصلمناع إلى الأميرين، وعدم ذكرهما كملوك، ويحتمل أن ذلك عائد إلى طول الفترة بين الأحداث التي استعرضتها الذاكرة وبين تدوين المزامير، أو لسبب نجهله.

---

(١) Keller, Op. Cit., p. 168.

(٢) إشعيا، ٩ : ٤؛ ١٠ : ٢٦.

(٣) مزامير، ٨٣ : ٩ – ١١.

وقد رأينا عدم صدق التفاخر والتباهي، وإضافة هالة التبجيل على جدعون، وأن بـــني إسرائيل طلبوا إليه أن يحكمهم ولكنه رفض ذلك، واكتفى بالغنائم[١]. وكان موقف جدعون معاكسًا لموقف ابنه أبيمالك אבימלך – Abimelech حيث قام أبيمالك فيما بعد «وقتل إخوته بني يربعل سبعين رجلاً على حجر واحد»[٢] فقـد استأجر رجالاً لهذه المذبحة. وسبق أن طلب جدعون من ابنه البكر «يثر» وكان غلامًا حدثًا أن يقتل ملكي مدين زبح وصلمناع، ولكن يثر خاف ورفض. المـلكان ذلك أيضًا وطلبا من جدعون أن يقوم بنفسه بقتلهما. كيف كان ذلك. لا يتضـــح أبدًا، واكتفى النص بالتفصيل عن الغنائم وأخذ الذهب من أعناق الرجال والجمال.

ويقـــرن اســـتعمال الجمل في هذه الحرب بتأريخ استئناسه وأن الجمل دجن واســـتعمل فـــي الحـــرب في هذا العصر أي حوالي القرن الحادي عشر ق.م. ويوافق ذلك تأريخ حرب أهل مدين مع جدعون[٣]. ويفضل أن يكون هنالك مدة زمنية بين بداية استئناس الجمل وبين بداية استعماله في الحروب، والكر والفر. وكـــان الجمـــل معـــروفًا منذ الألف الثالثة ق.م. وكان حيوانًا بريًا موجودًا في الطـــبيعة غيـــر مستأنس، وبدأ استئناسه ربما حوالي الألف الثانية ق.م. وتطور استعمال الجمل وتدرج من مرحلة إلى أخرى. وصاحب ذلك تطور شداد الجمل. فبدأ استخدامه كدابة حمل ثم في الحرب والغزو. ونتوقع أن هذه الفرضية أقرب إلى الصواب[٤].

---

(١) قضاة، ٨ : ٢٢ – ٢٧.

(٢) قضـــاة، ٩ : ٥، Triumph Over Midian, Op. Cit., pp. 319-324 وقـــد حـــاول أبيمالك استمالة الـــناس إليه بتذكيرهم بمآثر أبيه عليهم. وهكذا حاز على تأييدهم. وأغراهم ضد إخوته. فجمع سبعين شاقلاً فضة استأجر بها الفتوات (رجالاً عاطلين طائشين) وساعدوه على قتل إخوته ما عدا أصغرهم «يوثام» الذي نجا بنفسه وهرب. فتولى أبيمالك على بني إسرائيل، انظر قضاة، السفر ٩.

(٣) Keller, Op. Cit., p. 168.

(٤) Bulliet, Op. Cit., pp. 47, 56; Knauf, Midianites and Ishmaelites, p. 149.
انظر : هذا الكتاب، ص ٢٩٦ .

وهكـــذا رأيـــنا انتصار جدعون وجيشه مع قلتهم العددية (٣٠٠ رجل) فقط مقـــابل (١٣٥ ألف رجل) جيش التحالف، رغم أن قلة عددهم تجعلهم كغنم بين ذئـــاب لـــو جاســـوا خـــلال معسكر الحلف (٣٠٠ أمام ١٣٥ ألف)[١]. ويزعم التوراتيون إبادة أهل مدين إبادة تامة في الحربين الأولى والثانية.

ثم تكشف الحقائق التاريخية، والوثائق والنصوص عكس ذلك سواء بالنسبة لأهل مدين أو غيرهم. ونجد مثلاً أن التوراة تذكر أن جَعَلاً بن عابد געל בן עבד Gaal Son of Ebed- الكنعاني يثور على أبيمالك بن جدعون وتنشب الحرب بينهما. ولا تذكـــر التوراة شيئًا عن منصب جَعَل بن عابد، ولا تذكر هويته الكنعانية[٢]. وهـــذا مـــثال واحـــد، ويعد نموذجًا للتعامل مع بعض الحقائق وذلك غيض من فيض.

واعتـــبر الغرض من انتصار جدعون على مدين علامة بارزة في التاريخ التوراتـــي، ونهاية حاسمة لأهل مدين. ورغم ذلك نرى استمرار أهل مدين إلى القـــرن الثامـــن ق.م. وكانـــت أبـــرز القـــبائل المديانـــية الموجـــودة قبـــيلة عـــيفة עיפה Ephah-، التي ذكرتها التوراة والوثائق الآشورية[٣]. مما يشير إلـــى بقائهـــا ومحافظـــتها علـــى كيانها اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا إلى القرن الثامن ق.م.، بل ظل مصطلح أرض مدين موجودًا ومعروفًا إلى ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي[٤].

---

(١) Triumph Over Midian, Op. Cit., pp. 260-261.

(٢) قضاة ٩ : ٢٦ Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 129.; Noth, Op. Cit., p. 161.

(٣) Pritchard, The Ancient Near Eastern Texts, pp. 284, 286.

(٤) انظر : هذا الكتاب، ص ص ٤٤، ١٣٦ عن عيفة .

ج - أسباب ونتائج الحروب :

١ - أسباب الحرب الأولى في عصر النبي موسى (عليه السلام) :

وقع أول صدام بين أهل مدين وبني إسرائيل في عصر النبي موسى (عليه السلام). وقامت الحرب بين الطرفين لسبب واحد ذي شقين كما جاء في نص التوراة(١).

ومن تحليل النص نجد أن السبب الديني هو الدافع إلى الحرب. وانبثق أولاً من الغواية الدينية أو الردة عن الدين، التي قام بها بنو إسرائيل. فقد تقربوا إلى بعل فغور، بل عبدوه وأحبوه فقدموا له قرابين وتقدمات. وتمثل الشق الثاني في ارتكاب الخطايا. وبعل فغور - בעל פעור - Baal of Peor تعني سيد فغور، وهو رب أو معبود محلي في جبل فغور في شطيم. ويبدو أنه كان معبودًا لأهل موآب، وأهل مدين. وقد اقترن بموآب وبالمرأة المديانية كزبى(٢).

وارتد بنو إسرائيل عن الدين. وانحرفوا عن عقيدتهم، وإن لم يتخلوا عنها كلية إلا أنهم أظهروا عدم الاستقامة وعدم الإخلاص في الدين؛ لضعف إيمانهم،

---

(١) « ثم كلم الرب موسى قائلاً ضايقوا المديانيين واضربوهم لأنهم ضايقوكم بمكايدهم التي كادوكم بها في أمر فغور وأمر كزبى أختهم بنت رئيس لمديان التي قتلت يوم الوباء بسبب فغور». عدد ٢٥: ١٦. وإن كانت عبارة «بسبب فغور» غامضة. فهل كانت كزبى من كاهنات فغور ؟

(٢) Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 53.

وكان لبعل صفات كثيرة حسب المناطق والشعوب التي عبدته، المهم أنه كان له خصائص أساسية كإله للخصب والماء (المطر) عند الكنعانيين. وهو بعل راكب السحب في أوجاريت. وبعل فغور في مدين وموآب، وبعل حمون في قرطاجة، «وبعل صفون». وتعددت البعول فلكل منطقة بعلها. مقدسي، المرجع السابق، فقرة ٢٣ – ٢٥؛ عدد، ٣٣ : ٧ Gray, Op. Cit., pp. 119-126.

ولطبيعة نفوسهم وتمردهم الدائم. فشاركوا في عبادة وثنية وارتكبوا خطيئة الزنا مع فتيات مؤاب ومدين.

وذكرت التوراة المرأة المديانية (كزبى) إما أنها كانت حالة فردية، أو حالة خاصـــة ذات وقـــع متميز بين جميع الأحداث. والأرجح أنها كانت حالة زواج، ولكن فينحاس اعتبرها حالة زنا وخطأ فاحش. إلا أن اللوم عمم على أهل مدين. ومـــع أن المـــرتدين هم بنو إسرائيل أنفسهم إلا أن العقوبة والقصاص حلا على أهـــل مدين. فشن بنو إسرائيل حرب الإبادة والتحريم. فوقعت الحرب بين أهل مدين وبني إسرائيل وخاضوا غمارها[1].

ونرى أن هنالك أسبابًا أخرى غير مباشرة تضاف إلى السبب الرئيس لقيام تلك الحرب :

أولاً : نـــرجح أن النـــبي موسى (ﷺ) حاول نشر دعوة التوحيد بين أهل مديـــن، الذيـــن لم يؤمنوا بدعوة النبي شعيب (ﷺ)، واستنتجنا ذلك من الأمر الصـــريح، والتصريح بقتال أهل مدين. ونزل الأمر في النص السابق بمضايقة أهل مدين وضربهم[2]. أما في النص التالي فالأمر صريح بالقتال للانتقام «وكلم الـــرب موســـى قائلاً انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك. فكـــلم موســـى الشـــعب قائلاً جردوا منكـــم رجالاً للجند فيكونـــوا على مديان ليجعلوا نقمة الرب على مديان»[3].

وجاء الأمر صريحًا بالانتقام. ولا يكون الانتقام إلا لعدوان سابق. فلابد أن أهل مدين بدأوا بإعلان التمرد، والعصيان. أو مبادءة بني إسرائيل بالحرب، أو جـــزاء على تورط هؤلاء المديانيين في غواية بني إسرائيل. ثم نلمح أمرًا إلى النبي موسى (ﷺ) بالانفصال عن مدين والانضمام إلى قومه.

---

(١) انظر : هذا الكتاب، ص ٥٦٢ .
(٢) عدد، ٢٥ : ١٦ .
(٣) عدد، ٣١ : ١ – ٣.

ثانيًـــا : عقد ملك موآب «بالاق بن صفور» حلفًا مع شيوخ مدين ضد النبي موسى (عليه السلام) وبني إسرائيل[١]. ويفترض أن شيوخ مدين أولئك كانوا ممثلين أو نوابًا عن ملوك مدين، ونقصد الملوك الخمسة أوى وراقم وصور وحور ورابع. وكـــان واضــحًا أن هـــذا الـــتحالف ضد بني إسرائيل، ولحماية مصالح أمنية واقتصادية في موآب وفي مدين.

ثالـــثًا : كانت رغبة بني إسرائيل الأكيدة الحصول على المؤن الغذاية أثناء ارتحـــالهم وتـــنقلاتهم مـــنذ خروجهم من مصر. وكان بنو إسرائيل غرباء في أراضٍ غريـــبة، وليس لهم وسائل للحصول على غذائهم وشرابهم إلا بمهاجمة الأراضـــي الـــزراعية ومقاتـــلة أهلها. ولم يكتفوا بذلك، بل كانوا يستقرون في المنطقة ويستولون عليها بدليل رفض بعض الملوك والأمراء من حكام المناطق السماح لبني إسرائيل حتى بالمرور عبر أراضيهم[٢].

رابعًـــا : وأخيـــرًا فقد كان هدف بني إسرائيل الاستقرار وامتلاك الأرض لتصبح أرضًا ومستقـــرًا لهم. والأرجح أن الفئـــة التي ثارت على النبي موسى (عليه السلام) مـــن بني إسرائيل ورفضت الدخول إلى أرض كنعان لأنها كانت خائفة مـــن أهلها الجبارين، كانت هي نفسها الفئة التي كان همها الحصول على أرض يســـتقرون فيها. وأينما كانت هذه الأرض حتى يلقوا عصا الارتحال ويستقروا فيها، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك على لسانهم صراحة[٣].

---

(١) «ولمـــا رأى بالاق بن صفور جميع ما فعل إسرائيل بالآموريين، فزع موآب من الشعب جدًا لأنه كـــثير وضجر موآب من قبل بني إسرائيل فقال موآب لشيوخ مديان الآن يلحس الجمهور كل ما حولنا كما يلحس الثور خضرة الحقل. وكان بالاق بن صفور ملكًا لموآب في ذلك الزمان فأرسل رســـلاً إلى بلعام بن بعور إلى فتور التي على النهر في أرض بني شعبه ليدعوه... فأنطلق شيوخ موآب وشيوخ مديان وحلوان العرافة في أيديهم وأتوا إلى بلعام»، انظر عدد، ٢٢ : ٢ – ٧.

(٢) كما رفض سيحون ملك الآموريين مرور بني إسرائيل من أرضه فتحاربوا، عدد ٢١ : ٢١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٤؛ عدد ١٣ : ٣١ – ٣٣.

وكـــانوا هنا يخاطبون النبي موسى (عليه السلام). فنظن أن هذه الفئة الثائرة على النـــبي موســـى لخوفها من الكنعانيين هي التي كانت تريد الحصول على أرض تســتقر فيها أينما كانت هذه الأرض في سيناء أو في مدين أو في موآب، أو في إدوم. وكان همها الأكبر أن تستقر وتمتلك الأرض. وليذهب من شاء إلى كنعان إلى الأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً.

وربما يمكننا استنتاج أن أهداف النبي موسى (عليه السلام) وقومه – وهم مجموعة مختــلفة – كـــانت أهدافهم أيضًا مختلفة عن بعضها، فنجد مثلاً أن هدف النبي موســـى (عليه السلام) والذيـــن آمنوا معه كان إبلاغ رسالة التوحيد ونشرها بإخلاص وصدق. كانت هنالك فئة من بني إسرائيل قد خرجت من مصر على أمل تحقيق الـــثراء بالحصول على غنائم الحروب عن طريق السلب والنهب فتجمع الثروة وكان ذلك هو هدفها.

ونظـــن أيضًـــا أنـــه كانت توجد فئة ثالثة من بني إسرائيل خرجت فرارًا من العبودية وأعمال السخرة. وكانت بمثابة أعمال شاقة ألقيت على عواتقها مما أجهدها فجـــاءت مـــنهكة، خائرة القوى تريد امتلاك أرض والاستقرار فيها بأقصر الطرق وبأية وسائل. ومنذ بداية الخروج من مصر أعلن الجميع عن هذه الرغبات.

وأعلن البعض رغبته في البقاء في المكان نفسه، وأطلقوا مقولتهم.

وممـــا يدعـــم هـــذا الرأي حول اختلاف بني إسرائيل فيما بينهم، واختلاف أهدافهـــم الـــتي يـــرمون إليهـــا منذ خروجهم من مصر ويأملون تحقيقها، أنهم اســـتمروا عـــلى الاختلاف وعدم الائتلاف على مر عصورهم التاريخية. فرأينا انقسام مملكة إسرائيل (مبكرًا بعد حكم ثلاثة ملوك فقط شاؤل وداود وسليمان). إلى ممـــلكة إســـرائيل في الشمال حكمها يربعام ירבעם -Jeroboam ومملكة يهوذا في الجنوب وحكمها رحبعام רחבעם -Rehoboam حوالي ٩٢٠ ق.م[١].

---

(١) موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٤.

وبعد ذلك في فترات لاحقة في عهد الرسول محمد ﷺ كانوا على ما كان أجدادهم عليه من الانشقاق والاختلاف حتى وصموا في القرآن الكريم بذلك[1].

٢ – أسباب الحرب الثانية في عصر القضاة :

يُستخلص من نتائِج الحرب السابقة أو من نتائج حروب بني إسرائيل المتعددة ضد أهل مدين والعمالقة والمؤابيين والإدوميين والآموريين والكنعانيين وغيرهم من الشعوب يستنتج أولاً : حب بني إسرائيل للحرب. ثانيًا : أصبحت الحروب سمة مميزة في علاقات بني إسرائيل بسكان المنطقة عمومًا. ثالثًا : حب سفك الدماء وإراقتها بلغ حد الإبادة والتحريم[2].

ونتيجة لذلك الصراع الدامي، والمستمر نشأت عداوات وخصومات بين بني إسرائيل وجميع سكان وشعوب المنطقة.

وتعد هجمات أهل مدين وحربهم ضد بني إسرائيل نتيجة طبيعية ورد فعل للحرب التي شنها بنو إسرائيل في عصر النبي موسى (عليه السلام)، خاصة بعد مقتل الملوك المديانيين الخمسة ونهب كل تلك الغنائم من الأسرى، وكميات الذهب والبهائم والمواشي وكل ما حصل عليه بنو إسرائيل من المديانيين، فقام أهل مدين بعد ذلك بتكوين ذلك التحالف بزعامة مدين، وانضم إليهم كل من العماليق، وبنو المشرق (عامة بدون تحديد دقيق لهوية معينة).

وكان هذا الحلف قوة مساعدة لنفوذ أهل مدين، الذين كانوا يحكمون بني إسرائيل في ذلك الوقت، وحتى يتمكن القوم بالإحاطة ببني إسرائيل من جهات مختلفة شرق وغرب وجنوب. ويتضح ذلك من هروب بني إسرائيل ولجوئهم

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٤.

(٢) «أكثركم قتلاً أكثركم قدرة على البقاء». (مقولة).

إلى الجبال والكهوف ليتحصنوا في المناطق الجبلية الداخلية من سهل يزرعيل. ويجدر أن ننوه إلى أن تفاصيل هذه الحرب، التي قادها جدعون ضد أهل مدين اشـــتملت عـــلى الكثير من المبالغات والزخارف، حتى يسهل اعتبارها في عداد الأساطير التي تحفل بالخيال والخوارق أحيانًا.

وشـــمل ذلك تعداد الجيشين (جيش بني إسرائيل ٣٠٠ رجل بقيادة جدعون مقـــابل جيـــش التحالف ١٣٥ ألف رجل بقيادة ملكين (زبح وصلمناع) وأميرين (غراب وذئب) وتتضح المبالغة وعدم تناسب الرقمين أو القوتين.

ولـــم تتضـــح أســـباب هنا كما في الحرب الأولى ولكن يمكننا استنتاج أهم الأسباب :

أولاً : إخضـــاع أهـــل مدين لبني إسرائيل، والسيطرة عليهم وحكمهم لفترة قصيرة من الزمن، ولكنها كانت حكمًا فعليًا بشهادة نص التوراة[1]. وقد نشك في مـــدة الحكم (سبع أو تسع سنوات) لأنها فترة يسيرة في عمر الزمن، ولن يكون لها أهمية تاريخية أو تأثير يستدعي الاعتراف بها.

ثانيًا : السبب الديني. فقد جاء ذكر هذا السبب متأخرًا في نص أحد المزامير «افعـــل بهم كما بمديان كما بسيسرا كما بيابين في وادي قيشون، بادوا في عين دور، صاروا دمنا للأرض. اجعلهم شرفاءهم مثل غراب ومثل ذئب، ومثل زبح ومثل صلمناع كل أمرائهم. الذين قالوا لنمتلك لأنفسنا مساكن الله»[2].

نستنتج من النص أن سبب محاربة هذين الملكين مع الأميرين وجيش التحالف المدياني لأنهم حولوا بعض دور العبادة إلى مساكن لهم، أو لأنهم حاولوا امتلاكها. فـــلم يحافظوا على المعابد أو لأنهم فضلوا بناء مساكن لهم بدلاً من إنشاء المعابد.

---

(١) انظر : هذا الكتاب، ص ٥٧٢ ، والهامش ٢.

(٢) مزامير، ٨٣ : ٩ – ١٢.

ولابـد أن ذلـك حدث أثناء فترة حكم أهل مدين لبني إسرائيل. مما أثار حفيظة جدعون وأتباعه فكان ذلك سببًا للثورة الدينية وقيام الحرب. قد يكون هذا التحويل معنويًا : أي تغيير دور العبادة الإسرائيلية إلى دور عبادة مديانية حتى ولو كانت خيامًا أما إذا كانت دور العبادة مبنية فيقدم ذلك مبررًا لنقد النص بأنه يتحدث عن فترة زمنية تالية لعصر سليمان علمًا بأن بني إسرائيل لم يؤثر عنهم إنشاء أو بناء معبد قبل عصر الملك سليمان (عليه السلام). فمن المعروف أن سليمان بنى لهم أول معبد والذي اشتهر باسم «هيكل سليمان». وأن دور عبادتهم كانت مقصورة على معبد الخيمة منذ عصر النبي موسى (عليه السلام) وطوال عصر القضاة.

ثالـثًا : تكويـن الحلف الكبير (من أهل مدين وعماليق وبني المشرق) أثار ذعر بني إسرائيل. فخشوا تفاقم الأمور. وأحسوا بخطر حقيقي. فقاموا بالمجابهة وشـن الحـرب لـلحد من نفوذ مدين. وربما خشية أن يتمكن هذا التحالف من إخراج بني إسرائيل والقضاء عليهم.

رابعًـا : سمع الرب شكوى بني إسرائيل وصراخهم من هؤلاء المديانيين، الذين أذاقوهم العذاب وأخافوهم بهجماتهم المتكررة عبر البلاد كلها؛ بل وصلوا إلى غزة. وأخذوا كل المحاصيل الزراعية والحيوانات من الغنم والبقر والحمير. ويحدد النص أن الذين قاموا بتلك الهجمات الشرسة أهل مدين[١].

وأذاق هـؤلاء الرعاة بني إسرائيل طعم الذل والهوان وأرهبوهم «ودخلوا الأرض لكي يخربوها، فذل إسرائيل جدًا من قبل المديانيين وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب»[٢].

خامسًـا : سـلط الرب أهل مدين على بني إسرائيل عقابًا لهم على الذنوب والآثام، التي اقترفوها، وجانفوها وخاصة في العقيدة وحقوق الرب. فقد ارتدوا

---

(١) قضاة، ٦ : ٥.

(٢) قضاة، ٦ : ٥ – ٦.

مـــرات عديـــدة، وأشـــركوا بالله، وعبدوا آلهة كثيرة حتى انتشرت عبادة البعل وعشـــتاروت بينهم[1]. وتاب البعض منهم عن ذلك، ولهذا السبب استجاب الرب للتائبين منهم، وأراد تخليصهم من ذلك العذاب، بعد أن نالوا عقابًا صارمًا على أيدي أهل مدين وحلفائهم.

سادسًا : قامت الحرب بسبب الأمر أو التكليف لجدعون أن يقوم بهذه المهمة بأمـــر الـــرب. ولـــم يكن ذلك برغبة صادقة من بني إسرائيل بدليل انفضاض الـــرجال من حول جدعون وقد بلغ عدد الذين انفضوا أولاً ٢٢ ألف رجل وبقي معه عشرة آلاف فقط، ثم انفضوا وبقي معه ٣٠٠ رجل فقط[2]. فإما أنهم فروا مـــنه أو رفضوا الاشتـــراك في الحرب، أو أنه لم يجـــد من الرجال سوى هذا العدد (٣٠٠ رجل).

ســـابعًا : شـــن جدعون حربه على أهل مدين انتقامًا للهزيمة الفادحة التي ألحقها أهل مدين ببني إسرائيل في تابور يوم أن قتلوا إخوته لأمه[3].

كـــانت تلك أهم الأسباب التي أدت إلى قيام الحرب بين بني إسرائيل بقيادة جدعون وبين أهل مدين في عصر القضاة.

٣ – نتائج العلاقات :

أ – بنو إسرائيل :

١ – قضـــى بـــنو إسرائيل عدة قرون في صراع وحروب مستمرة مع كل شـــعوب وســـكان منطقة بلاد كنعان وما جاورها، وفي منطقة سيناء، ومع أهل

---

(١) «تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت»، قضاة، ٢ : ١٣. وجانف الإثم أي مال إليه، انظر ابن منظور، المرجع السابق، ج١، ص ٥١٤.

(٢) فقـد دعا سبط أشير وزبولون ونفتالي وأفرايم ومنسي بمجرد أن قال لهم جدعون من كان خائفًا مـرتعدًا فـليذهب فتفرقوا أو فروا؛ ولكن عادوا بعد أن اقتحم جدعون معسكر المديانيين، انظر: قضاة ٧ : ٣، ٦، ٢٣ – ٢٤.

(٣) قضاة، ٨ : ١٨ – ١٩.

شمال بلاد العرب. وعاشوا تلك الفترة غير مستقرين، وغير آمنين، ولم يستتب لهم أمن، ولم يقم لهم حكم طوال الفترة التي بدأت منذ خروجهم من مصر وإلى قيام مملكتهم. وبلغت حوالي ثلاثة قرون[١].

٢ – قام الصراع فيما بينهم في عصر مملكة إسرائيل وانقسامها إلى مملكتين بعد وفاة الملك سليمان حوالي ٩٢٠ ق.م. ورغم طول فترة الحروب وكثرتها في حياة بني إسرائيل، ضد الشعوب الأخرى وممارستهم الطويلة للحرب والقتال، إلا أنهم لم يتقنوا فن الحرب. ولم تصبح الحرب لديهم علمًا؛ بل أنهم لم يتمكنوا من الإستفادة من علوم الحرب وتقنيتها ولم يضيفوا إلى حروبهم أي جديد ولم يطوروها، وذلك لعوزهم إلى التعبئة الجيدة، ولأنهم جبناء بطبعهم، فلا يقدمون على خوض الحرب إلا تحت ضغوط قادتهم وأمرائهم[٢]. وإن لم ينفضوا من حول القائد مثل ما فعل جيش جدعون. فإنهم يفرون من الحرب[٣].

٣ – لم يبتدعوا خططًا ولا مبادئ حربية، وما أقروا من مبادئ الحرب طيلة حروبهم سوى مبدأ التحريم والإبادة[٤]. وقد وضعوه نصب أعينهم وطبقوا هذا المبدأ على البشر وحتى على البهائم والمواشي. وكانوا يبيدون سكان المدن بحد السيف، وبالحرق بالنار، وتدمير المدن. ونفترض تعليل هذا العنف، وتلك القسوة بأنهم سبق أن عوملوا بقسوة بالغة من فرعون مصر. إلا أن بني إسرائيل أضافوا مبدأ تحريم الجميع ذكورًا وإناثًا (خاصة أن الفرعون قتل الذكور منهم

---

(١) «حين أقام إسرائيل في حشبون وقراها وعرو عير وقراها وكل المدن التي على جانب أرنون ثلاث مئة سنة..». انظر: قضاة ١١ : ٢٦. وإن كان بعض المؤرخين ذكروا أن بين خروج النبي موسى وقيام طالوت (شاؤل) بالملك حوالي ستة قرون (٥٧٢ سنة) انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص ٦٧. وهي مدة طويلة قياسًا بالمدة المذكورة بعاليه والتي اتفق عليها تقريبًا. فترة التيه لمدة ٤٠ سنة + عصر القضاة حوالي ٢٣٠ سنة.

(٢) لوبون، غوستاف، "**اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**". تر. عادل زعيتر، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٤٧.

(٣) وقال تعالى : ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم ..﴾، سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.

(٤) ميديكو، المرجع السابق، ص ١٠٣.

واســتحيا النساء) أما بنو إسرائيل فقد قتلوا النساء أيضًا وخاصة المتزوجات أي قتل كل امرأة (متزوجة) عرفت رجلاً واستحياء الفتيات فقط[1]. وأدى ذلك إلى إثـــارة العداوات ضد بني إسرائيل لدى جميع الشعوب التي حاربها بنو إسرائيل وتركت لديهم الأحقاد والكراهية.

٤ – لـــم يظهر اسم يهود كاسم علم على بني إسرائيل إلا بعد حوالي سبعة قـــرون منذ تاريخ خروجهم[2]. وإن كان اسم اليهود دالاً على معتنقي هذا الدين إلا أنهـــم حولـــوه إلى مفهوم آخر واعتبروه دالاً على قومية أو جنسية. وأخذوا ينعزلون، وينغلقون على أنفسهم في فترة لاحقة. مع أن الديانة ليست جنسية ولا قومية وليست وطنًا.

٥ – عـــاش بنو إسرائيل منذ خروجهم من مصر بلا تنظيم سياسي واضح، وحـــتى بعـــد هـــزيمة مديـــن على يد بني إسرائيل في عصر القضاة، وبداية اســتقرارهم، إلا أنهـــم استمروا في حالة الفوضى والإضطرابات تحت زعامة قضـــاتهم. وظلوا كذلك إلى عهد صموئيل آخر قضاتهم وكان أيضًا نبيًا مرسلاً إليهم لتجديد دعوة النبي موسى (عليه السلام) وتثبيت أمور العقيدة[3]. ودام حالهم كذلك إلى أن تم تعيين طالوت ملكًا[4].

---

(١) يعد خروجهم من مصر بداية لتاريخهم. Noth, Op. Cit., p. 116, Pixley, Op. Cit., p. 77.

(٢) انظر: هذا الكتاب، ص ٥٤٣ .

(٣) حسن، مصر والعرب وإسرائيل، ص٣٩ .

صـــموئيل – שמואל -Samuel واسمه مركب من اسم الإله إيل. وهو من قبيلة أفرايم من رامة. وقد كرسته أمه لخدمة حرم شيلوه، ثم نبيء، صموئيل الأول ١ : ١٩ – ٢٨.

HB. Dic., Op. Cit., pp. 901-2, Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 327.

ومـــن أنـــبيائهم الذين لا عدد لهم النبي إلياس بن ياسين أيضًا وقد أرسل إليهم نظرًا لأنهم عبدوا صنمًا يرمز للمعبود «بعل». انظر ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ١١٨.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ٢٤٦– ٢٤٧. الطبري. **تاريخ**، ج١، ص ص ٢٤٢ – ٢٤٤. وكان آية ملكه ==

٦ – قبــلوا تنصيب ملك عليهم بعد طول اللجاج والجدل بينهم وبين نبيهم. وتــولى الملك شاؤل – שאול -Saul وهو طالوت في القرآن الكريم. وكان أول حــاكم سياســي حمــل لقب ملك حوالي عام ١٠٢٠ ق.م. وبدأ ظهورهم السياســي باسم مملكة إسرائيل. ولم تكن شخصية ملكهم شاؤل (طالوت) مختلفة عــن شخصيات قضاتهم السابقين. فكان شاؤل ذو شخصية متهورة طاغية. ولا يتمتع بأية دبلوماسية. فحارب عماليق وأسر ملكهم «أجاج» ولم يقتله، ولكنه أباد الــناس والمواشي أيضًا. ويظن أن عدم قتل أجاج ملك عماليق كان سببًا لثورة بني إسرائيل عليه وخلعه من الملك(١).

٧ – إذن كــانت أهم النتائج بعد صراع طويل استمر ثلاثة قرون، وحرب شــنها بنو إسرائيل ضد سكان بلاد كنعان وأهل مدين وعماليق. ظهور التكوين السياســي بعد أن استولوا على المدن والاستقرار فيها، وكذلك المواقع المختلفة فــي بلاد كنعان. ولم تتوقف الحروب بعد الاستقرار لأن المقاومة من أصحاب البلاد الأصليين سكان المدن كانت عنيفة ودائمة، ولأن بني إسرائيل استمروا في الاستيلاء على المدن والاستقرار فيها الواحدة تلو الأخرى واستمر ذلك في عهد

== تــابوت العهد Ark وهو صندوق يستعمل لأغراض دينية. انظر الملوك الثاني، ١٢ : ٩. وكان على أنــه تابوت أو كفن، يصنع من خشب السنط. ويقصد به فلك نوح أو سفينته، انظر تكوين ٦ : ١٤. وحفظ النبي موسى (عليه السلام) في التابوت الألواح التي أنزلها الله عليه ويسمى تابوت الشهادة، عدد ٤ : ٥. وكان معروفًا لدى المصريين والكنعانيين وأهل بلاد الرافدين وفي بلاد العرب، انظر :

HB. Op. Cit., pp. 63-4.

(١) موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٢، حسن، المرجع السابق، ص ٣٩. وكان شاؤل من سبط بنيامين من القرية الجبلية جبعة. أصبح أول ملك لبني إسرائيل بأمر نزل إلى صموئيل، بناء على طــلب الشــعب. ولأنه كان متمردًا، وغير مطيع فلم يلبث في الحكم، وبدأ صراعه مع النبي داود خصوصًــا وأن الفلسطينيين ضايقوهم بقيادة زعيمهم جوليات (جالوت)، إلى أن قتل داود جالوت، انظر : سورة البقرة، الآية : ٢٥١؛ صموئيل الأول، ١٧ : ٤٨ – ٤٩.

HB. Dic., Op. Cit., pp. 909-10.

شـــاؤل، وفـــي عهد داود كذلك. ولم ينعم بنو إسرائيل بهدوء نسبي إلا في عهد الملك داود والملك سليمان حوالي مطلع القرن العاشر ق.م.[(١)] מלך דוד - מלך שלמה

٨ – انقســم بـــنو إســرائيل على أنفسهم، مما أدى إلى انقسام المملكة إلى قسمين :

١ – مملكة إسرائيل.

٢ – مملكة يهوذا.

ولا يظن أن هذه المملكة بلغت شأواً عظيمًا من الامتداد المكاني أو الزماني، وحـــتى بعـــد الانقســـام فقد كانت رقعة أرضها محدودة، فتمثل مكانيًا رقعة من الأرض تمـــتد من «دان» في الشمال إلى بئر سبع في الجنوب[(٢)]. ويبلغ طولها حوالـــي ١٥٠ ميلاً فقط. ويتراوح عرضها بين مساكن الفلسطينيين في الغرب والفيـــنيقيين، والآراميـــن والعمونيـــن والمؤابيين والإدوميين في الشرق، أي يتراوح بين ٢٥ – ٨٠ ميلاً كأقصى اتساع[(٣)].

---

(١) ويعـــزى سبب الهـــدوء النسبي إلـــى الإمكانـــات التي سخرت لداود وسليمان والثروات الطائلة الـــتي حصـــلا عـــليها وخاصة الملك سليمان بتسخير الإنس والجن لخدمته، وما قدمه حيرام ملك صور من مساعدات بشرية وموارد مادية. والحصول على الذهب والمعادن وإنشاء أسطول أوفير - אופיר - Ophir. انظـــر ســـورتي النمل، الآية ١٤ وما بعدها. سبأ، الآية :٩ وما بعدها. الملوك مزامير ٤٥ : ٩ إشعيا، ١٣ : ١٢؛ موسكاتي، الحضارات السامية، ص ١٤٣.

Albright, The Biblical Period, p. 54, HB. Dic., Op. Cit., pp. 731-2, 1018, Odelain and Seguineau, Op. Cit., pp. 290, 365, Dic. Of the Bible, Op. Cit., pp. 429, 581.

(٢) دان – Dan- ومعنى اسمها يحاكم أو يقاضي، وهي مدينة تقع غرب بانياس وكانت تسمى بئر سبع – באר שבע - Beersheba موقع العهد بين النبي إبراهيم وأبي مالك. وتقع في النقب، انظر تكوين، ٢١ : ٢٥ – ٣٢.

Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 62. HB. Dic., Op. Cit., p. 101.

(٣) ديورانت، المرجع السابق، م١، ج٢، ص ٣٢١.

٩ – اقتـــبس بـــنو إســـرائيل موروثـــات دينية سامية مختلفة[١]، من واقع احـــتكاكهم بسكان المنطقة. مما ساعد على ذلك ميل بني إسرائيل إلى الردة عن الدين، وعدم الثبات. وقد بدأت ردتهم منذ عهد الخروج أي في حياة نبيهم موسى (عليه السلام) وأثـــناء وجوده بينهم. ونذكر مثالاً على الردة الباكرة «عبادة العجل». ثم أقاموا الأنصاب الإثني عشر على عدد الأسباط الإثني عشر[٢].

١٠ – انحـــرف بـــنو إسرائيل، واتخذوا عبادة الحية «الأفعى»، التي عملها النـــبي موســـى (عليه السلام) – نحشتان – لاتقاء شر الحيات والأفاعي في الصحراء، اقتباسًـــا من أهل مدين. وقد صنعها موسى لهم، لأنهم كانوا شديدي الخوف من تلك الحيات، ثم انحرفوا إلى عبادتها[٣]. وعبدوا البعليم والعشتاروت، وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين[٤].

١١ – تأثـــر بنو إسرائيل بآداب وثقافات الأمم، التي سكنوا بينها. واقتبسوا أساطير وملاحم، وقصص كانت شائعة، وكذلك في مجال الشعر والنثر. فاطلعوا عـــلى كل ذلك في بلاد الرافدين، وبلاد الشام، وبلاد مصر. وتعلموا من ملاحم أوغاريت وقصائدها الشعرية الكثيرة من النصف الأول من الألف الثانية ق.م.، ومـــن فـــنيقيا، وظهيـــرها البري، أي بلاد الآراميين (سوريا). فنجد لديهم تلك الـــتأثيرات محفوظـــة فـــي أنشـــودة مريم، التي تعد أبكر شعر عبري باق إلى

---

(١) Fosdick, Op. Cit., p. 16.

(٢) يشوع، ٤ : ٣ – ٩، دوبونت، المرجع السابق، ع ١٩، ص ٢٠١.

(٣) عـــدد، ٢١ : ٦ – ٩؛ الملوك الثاني ١٨ : ٤، Albright, The Biblical Period, pp. 17, 38. علمًا بأن حية النحاس كانت ضمن المعثورات المديانية في معبد حتحور مما يجعلنا نميل إلى أن أهل مدين قد عبدوا الحية أيضًا. وشاركهم بنو إسرائيل في عبادة الحية. انظر: هذا الكتاب، ص ٣٩٨ .
Rothenberg, Timna, p. 173.

(٤) قضاة، ١٠ : ٦.

اليوم[1]. وأنشـــودة دبورة من حوالـــي منتصف، أو أواخر القرن الثاني عشر (١١٢٥) ق.م[2].

ويوجـــد تشابه كبير بين المزمور رقم (١٠٤)، وأنشودة إخناتون (أمنحوتب الـــرابع – ١٣٧٠ – ١٣٤٩ ق.م.–). وقد دعا إخناتون إلى عبادة «آتون» ولم يعترف بمعبود آخر غيره. وأهمل المعبودات الأخرى القديمة، ولكنه لم يحاربها أو يقـــض عليها[3]. وكانت دعوة إخناتون ذات صبغة سياسية، دينية. أولاً للحد من نفوذ كهنة آمون فبدأ بنفسه واعتنق عبادة آتون، وفرضها فرضًا على الشعب وحكـــام الأقـــاليم بقوة سلطة الملك وكان هذا سبب إنهيارها والقضاء عليها بعد موت إخناتون مباشرة. وربما اطلع بنو إسرائيل على مراحل هذه الأحداث أثناء وجودهـــم فـــي جاســـان في مصر. وحفظ في التراث الآسيوي إلى فترة تدوين التوراة فظهر التأثير على المزمور[4].

---

(١) Albright, The Biblical Period, pp. 21-23.

خروج، السفر ١٥، ومريم – מרים -Miriam أخت النبيين موسى وهارون، ظهرت يوم انتشـــال موســـى من النهر على يد ابنة فرعون مريم وكانت مريم تراقبها ثم عرضت عليهم في قصر الفرعون أن تجلب لهم مرضعة عبرانية. وفعلاً أحضرت أم موسى (س) وكان لها دور في أحـــداث الخروج عندما تزعمت النساء. وأنشدت قصيدتها أنشودة النصر بعد عبور البحر وغرق الفـــرعون، وضـــربن بالدفوف. وحملت لقب كاهنة فاعتبرت نفسها مساوية لموسى. واعترضت عـــلى زواج موسى من امرأة كوشية وأصيبت بمرض الجذام ثم شفيت بدعاء موسى لها. وماتت فدفنت في قادش.

HB. Dic., Op. Cit., p. 641; Odelain and Seguineuau, Op. Cit., pp. 253-4.

(٢) دبورة – דבורה -Deborah واسمها يعني نحلة. وكانت قاضية دينية لبني إسرائيل – قادتهم ضد قوات القائد الكنعاني سيسرا.

HB. Dic., Op. Cit., p. 214; Odelain and Seguineau, Op. Cit., p. 96.

(٣) فخـــري، مصر الفرعونية، ص ص ٣٠٢، ٣٠٨ – ٣٠٩؛ عصفور، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ١٧٨.

(٤) فخري . مصر الفرعوينة ، ٣٠٨ .

١٢ – كـان مـن أهـم النتائج المباشرة على بني إسرائيل تأثرهم بالعرب بصـورة خاصـة نـتيجة لاتصـالهم الوثيق بأهل مدين. فنقلوا الإرث الديني والقضائـي والتنظيمي والاجتماعي حسب تعليمـات يثرون إلى النبي موسـى (عليه السلام). واقتبسـوا الكثير من العادات الاجتماعية، ومنها لبس أقراط الذهب في آذانهم رجالاً ونساء. وكانت تلك عادة معروفة لدى أهل مدين والإسماعيليين(١)، ونجـد أن لغـة بـني إسرائيل (العبرانية) تحمل فعليًا تأثيرات عربية. وتتشابه العـبرانية مـع اللغة الحبشية. وقد أخذت اللغة الحبشية من العبرية مصطلحات لغوية كنسية معينة، لأن أساس لغتهم مأخوذ عن لسان كنعان، أي سامية غربية، واللغة العربية من السامية الغربية أيضًا(٢). وباختصار فإن لغتهم العبرية مقتبسة من الآرامية والعربية الساميتين وهما من الكنعانية المبكرة(٣).

ويلاحـظ أن تقنية الشعر العبري وبعض صناعته كما جاء في التوراة مثلاً تـبدو كأثـر باق لكل ما نهله بنو إسرائيل من الأدب الكنعاني في أوجاريت في القرن ١٤ ق.م. وظهرت بعض القصائد العبرية بأنها ترجمة لقصائد عربية فيما عدا الوزن والقافية، وتم ذلك في فترة متأخرة بعد اختلاط بني إسرائيل بالعرب فيمـا قبل الإسلام؛ أي في العصر الميلادي. ويضاف إلى الشعر أن قواعد اللغة العبرية تقوم أساسًا على نظم قواعد اللغة العربية(٤).

---

(١) خروج، ٣٢ : ٣؛ قضاة ٨ : ٢٤.

(٢) Margoliouth, D, "**The Relations Between Arabs and Israelites Prior To the Rise of Islam**" , London, 1924, pp. 8-10.

وكـانت من التهم الموجهة إلى اليهود عندما هاجم إيبون الكاتب يوسيفوس بأن ثقافتهم منقولة من الغير. انظر : تارن، الحضارة الهيلنستية، ص ٢٤٧.

(٣) وكـتب بـنو إسرائيل «بالخط المربع»، وهو مقتبس من الآرامية. ويسمى الآن الخط الآشوري المربع، ودونوا التوراة به، وكذلك التلمود البابلي في فترة أسرهم في مدينة بابل منذ ٥٨٦ ق.م. إلى أن سـمح لهـم الفـرس بالخروج من بابل بعد سقوطها بيدهم عام ٥٣٩ ق.م. وكان هؤلاء الأسرى من بقايا مملكة يهوذا، ولذلك بدأ استخدام اسم يهود علما عليهم. انظر : سوسة، المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٤) == Margoliouth, Op. Cit., pp. 43-45.

وقد لفت انتباه كتاب يهود العصور الوسطى هذا التشابه بين اللغة العربية ولغتهم المقدسة لأنه رسخ في أذهانهم أن لغتهم العبرية القديمة هي الأصل؛ بل ادعوا أنها أصل لغات البشر عامة[١].

١٣ – اعتاد بنو إسرائيل على الحياة الرعوية والتنقل منذ أن كانوا في جاسان بأرض مصر، وعندما استقروا بين أمم بلغت شأوًا رفيعًا من التحضر والتطور، بدأوا يأخذون وينقلون ثقافات وتراث جيرانهم. واعتمدوا في مبدأ الأمر على الغير في إنشاء المباني وتعمير معابدهم وقصورهم (هيكل سليمان وقصره) كانا خير مثال على ذلك. وكان بنو إسرائيل عطلون من الذوق الفني، ولم يتقنوا حِرَفًا ولا حدادة أو تعديناً لأنهم مبدئيًا لم يكن لديهم معادن، وبعد ذلك برعوا في أشغال الذهب؛ المعدن الذي جمعوه بكثرة وأحبوه. وبرعوا في صناعة الأسلحة والدروع منذ عهد النبي داود (عليه السلام)[٢] ثم تعلموا أعمال البناء فبنوا المنازل والصهاريج لخزن الماء[٣].

١٤ – قام النبي موسى (عليه السلام) بدور كبير كمعلم لهم. فأعطاهم الكثير من التعاليم، التي أنزلها الله عليه. ولقنهم بعض المعارف، وعلمهم العادات الحسنة

== ونجد كمثال على ذلك أسماء كثيرة، وكلمات مشتركة، ليس هنا مجال لحصرها لكننا نجد اسم يهو ياداع – יהוידע – Jehoiada الذي ورد في التوراة. انظر الملوك الأول، ١ : ٨؛ ونلاحظ أن الاسم مركب من اسم الإله – يهوه واللاحقة يداع. ويشابه اسم أصغر أبناء مدين بن إبراهيم إلدعة אלדעה -Elda^{c}ah ، إل – دعة – دعا. وقد ورد هذا الاسم لأحد ملوك حضرموت (الجنوب العربي) إل يدع. ويلاحظ أن أقدمهم وأسبقهم زمنيًا هو إلدعة بن مدين. وقياسًا على ذلك هناك أسماء كثيرة، بالإضافة إلى أسماء نساء ومنها شفرة وفوعة، وهي عمومًا منتشرة بين الساميين الشماليين الغربيين. خروج، ١ : ١٥.
Albright, The Biblical Period, pp. 22-23.

(١) Margoliouth, Op. Cit., p. 7.

(٢) سورة سبأ، الآيتان ١٠ – ١١.

(٣) لوبون، المرجع السابق، ص ص ١٥، ٤٣ – ٤٥؛ Albright, The Biblical Period, p. 46.

مـثل عـادة الختان وغيرها[1]. وعلمهم تفاصيل دقيقة في شتى مناحي الحياة، فـنجده مـثلاً يشرح لهم عن قطع الثياب المختلفة ومما تتكون «صدرة ورداء، وجـبة وقميص مخرم، وعمامة ومنطقة»، و«تصنع لهم سراويل»[2]. وقد تعلم النـبي موسـى (عليه السلام) كل ذلك بواسطة الوحي، وممن خالطهم سواء في قصر الفرعون أو في أرض مدين.

ب – أهل مدين : وأما أهم النتائج التي انعكس تأثيرها على أهل مدين، فهو تعرفهم على هذا الدين الجديد. ويفترض أنه نتيجة لنشر الدعوة مبدئيًا أن يكون هـنالك بعض المتهودين، أي الذين دخلوا في الدين الجديد، واعتنقوه. ونجد من هـذه الفئة ياعيل زوجة حابر القيني وجماعتها، أو عشيرتها. فيعدون من أبكر الـناس الذين تهودوا، وهم من بني القين (القينيين)[3]. ويحتمل تهود بعض أهل مديـن وبعـض الإدوميين. وقد توقفت الدعوة بموت النبي موسى وسليمان وغيـرهما مـن أنبياء بني إسرائيل (عليهم السلام) وانقطع التبشيَر بالدين لعدة أسباب مـنها : اعتـبار أن هذا الدين مقصورعليهم وخاص بهم؛ بالإضافة إلى عزلة اليهـود وانغلاقهـم على أنفسهم، ولعدم ثباتهم على الدين وكثرة ارتدادهم عنه، وربما لانشغالهم الدائم بتحقيق أهداف عديدة ومصالح خاصة ليس من بينها نشر الدين[4].

٢ – أما بالنسبة لأهل مدين، فإن الحرب الأولى في عصر موسى، والحرب الـثانية في عصر القضاة مع بني إسرائيل قد دمرت كياناتهم السياسية. وقضت الحـَرب الأولى عـلى ملوكهم الخمسة (أوى وراقم وصور وحور ورابع) في

---

(١) Freud, Op. Cit., p. 367.

(٢) خروج، ٢٨ : ٤، ٤٢.

(٣) قضاة، ٤ : ١٧ – ٢٤.

(٤) باقـر، مقدمـة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص ص ٥٤٩ – ٥٥٠؛ ظاظا. **الفكر الديني لدى اليهود**، ص ٨٣، تارن، المرجع السابق، ص ٢٤٧ "إرميا ٥٢ : ١ – ٨؛ دانيال، ١ : ١ – ٣.

ممـــالكهم، ويبدو أن ممالك دويلات مدين كانت أكثر من ذلك. فنهض أهل مدين من كبوتهم ونفضوا آثار الهزيمة وحكموا بني إسرائيل في عصر القضاة؛ ولذلك نشـــبت الحرب الثانية وقضي فيها على مجموعة أخرى من أهل مدين بزعامة (الملكين زبح وصلمناع ومعهما الأميران غراب وذئب) وحلفاؤهم من العماليق وبـــنو المشـــرق. وتدمـــرت مدن مدين، ونهبت ثروة أهلها، وهجرت أرضها، وطمست معالم حضارتها. فتشتت أهل مدين وتفرقوا حتى ذابوا ثم بادوا.

فكـــان لتـــلك الحـــرب الطاحنة أسوأ النتائج على أهل مدين، وخاصة على كيانـــات مديـــن السياســـية، إلا أنه لم تتم إبادتهم والقضاء عليهم كما زعم بنو إســـرائيل. فـــنرى أن بعـــض قبائل من مدين تستمر مثل قبيلة عيفة بن مدين، وحـــنوك بـــن مدين. وكانوا مشهورين كتجار لهم نشاطاتهم التجارية، وحياتهم الاقتصـــادية العالية، ولازال أفرادها مذكورين بقوافلهم وتجاراتهم المعروفة كما ذكرت ذلك النصوص الآشورية، بل وإلى العصر الميلادي وظهور الإسلام[١].

قدمنا لمحة تاريخية موجزة عن بني إسرائيل الذين عرفوا باسم العبريين أو العـــبرانيين، ثـــم بعد أن تغير اسم يعقوب (عليه السلام) إلى إسرائيل عرف نسله باسم «بـــني إســـرائيل». أما اسم «يهود» أو «اليهود» فقد عرفوا به بعد أن غزاهم المـــلك البابلي نبوخذ نصر (بختنصر) وسباهم إلى بابل عام ٥٨٦ ق.م. فعرفوا بهذا الاسم نسبة إلى ديانتهم.

وبعـــد خـــروج النبي موسى (عليه السلام) بقومه من مصر التقى بأهل مدين مرة أخـــرى. وقامت في البداية علاقة هادئة مبنية على علاقة المصاهرة بين النبي موسى (عليه السلام) ويثرون. وأقام النبي موسى (عليه السلام) لحميه حفل الاستقبال الرسمي. وقام يثرون بدوره برد التحية فقدم قرابين الذبائح والبخور. وقدم الإرث المدياني في مجال الإدارة والحكم للنبي موسى (عليه السلام). وعلم يثرون النبي موسى (عليه السلام) أسلوباً عمليّاً في حكم الجماعة وتعليمها الفرائض والشرائع، وفض منازعاتها.

---

(١) ظلت عيفة مذكورة إلى عصر إشعيا عندما كان يخاطب مدينة صهيون. انظر : إشعيا ٦٠ : ٦.

وتطـورت بعد ذلك الأمور بينهم بعد حادثة قتل المرأة المديانية كزبى بنت صـور، مع زمرى بن سالو. ونفذ فينحاس بن العازار بن هارون عقوبة القتل فيهما ولم يشر نص التوراة إلى رد الفعل لدى أهل مدين. وذكرت النصوص بعد ذلك أن النبي موسى (ﷺ) أمر بمحاربة أهل مدين انتقامًا منهم. فوقعت الحرب الأولى فـي عصـر النبي موسى (ﷺ) بين بني إسرائيل وأهل مدين. وكانت نتائج هذه الحرب بالغة التأثير فقد انتصر بنو إسرائيل انتصارًا كاملاً قتلوا ملوك مديـن ودمـروا مدنهـم وحصونهم وأحرقوها. وأخذ بنو إسرائيل غنائم مادية، وأسرى من نساء وأطفال مدين. ولم يخسروا بالمقابل قتيلاً واحدًا!!.

واسـتمر أهـل مدين رغم انتصار عدوهم عليهم واستعادوا نفوذهم. حتى تمكنوا في فترة لاحقة في عصر قضاة بني إسرائيل من فرض نفوذهم على بني إسرائيل، بل حكموهم حكمًا مباشرًا. وطردوهم من المدن وألجأوهم إلى كهوف ومغايـر الجـبال. وكـان أهل مدين قد عقدوا حلفًا مع عماليق وبني المشرق، لمجابهـة ومقاومة بني إسرائيل. وقام بعد ذلك أحد قضاة بني إسرائيل (جدعون ابـن يـوآش) بمـناداة بني إسرائيل وجمعهم لمقاتلة أهل مدين وعماليق وبني المشـرق، ولكـن تخـلى عنه بنو إسرائيل ولم يجبه ويتأهب معه للقتال سوى ثلاثمائـة رجل. وقام جدعون مع هذه المجموعة من الرجال بالهجوم على ذلك الحـلف المدياني الكبير وحقق نصرًا باهرًا وقتل ملكين وأميرين من أهل مدين، دون ذكـر لأسـماء أخرى من أهل الحلف – عماليق وبني المشرق – وقضى جدعون بجيشه الصغير على جموع المديانيين، وعماليق وبني المشرق. وأخذوا مـنهم الغـنائم، وخاصة الحلي الذهبية بأنواعها، وأهمها الأهلة الذهبية. ورغم الإدعـاء بأن الهزيمة كانت ساحقة لأهل مدين وأنهم لم يعودوا إلى رفع رأسهم مـرة أخرى، إلا أن النص حدد فترة استراحت الأرض فيها لمدة ٤٠ سنة. مما يدل على أن الهدوء دام لفترة محدودة، ولكن تصمت النصوص ولا توضح شيئًا عن ذلك.

ويظهـــر الجمل في هذه الحرب بصورة صريحة وواضحة، وبكثرة عددية هائـــلة. ويعـــد هذا أول وأقدم إشارة عن استعمال أهل مدين للجمل في الحرب ويجب إثبات هذه الحقيقة ونسبتها إلى أهل مدين، وعدها أهم منجزات المديانيين في مجال تقنية الحرب وتطوير وسائلها.

واستخلصـــنا من كل تلك العلاقات بين أهل مدين وبني إسرائيل نتائج مهمة حازها بنو إسرائيل وهي :

اســتمرار علاقتهم العدائية مع سكان المنطقة ووسمهم بالعدوانية، وجلب لهــم الكــره والأحقــاد. واتســم نظــامهم في عصر القضاة بالفوضى وعدم الاســتقرار. اقتبســوا الــنظم السياسية من المنطقة، وطلبوا تعيين ملك لهم. وأقــاموا مملكــتهم الــتي انقسمت بعد فترة بسيطة من بدايتها. واستولوا على المدن. واستقروا فيها مع استمرار مقاومة أهلها. واقتبسوا تراث سكان المنطقة الأدبـــي والعقائدي أيضًا. وظهر ارتدادهم عن دينهم مرات عديدة ومنذ عصر النــبي موسى (عليه السلام). واقتبسوا عادات اجتماعية كانت شائعة بين أهل المنطقة ومنهم أهل مدين.

ولـــم يحـــرز أهل مدين من علاقتهم ببني إسرائيل، إلا اطلاعهم على الدين اليهــودي وتعــرفهم عــليه. وأدت الحروب إلى تخريب مدنهم، والقضاء على كيانـــاتهم، والاستيلاء على ثرواتهم حتى تجرد القوم مما كان لهم. وذوى نفوذ مدين وانتهى.

الخاتمة

تقويم خصائص مدين وأهلها ودورهم التاريخي الحضاري

توصلنا في كتابنا في تاريخ مدين وأهلها إلى نتائج ندرج موجزها كما يلي:

أولاً : كانت أرض مدين ولازالت موقعًا جغرافيًا مهمًا في شمال الحجاز، في شمال غرب بلاد العرب (شبه الجزيرة العربية). ويرجع ذلك لاعتبارات عديدة منها : أن مدينَ كانت مركزًا اقتصاديًا كبيرًا، بالنظر للموقع الذي عبره تتصل بلاد العرب ببلاد الشام، وما جاورها وبمصر أيضًا. يضاف إلى الموقع الموارد الطبيعية المتوافرة في أرض مدين، فقد كان لمدين وأهلها دور تاريخي مهم خاصة في الناحية الروحية، لأن دعوة نبيهم شعيب (عليه السلام) إلى التوحيد كانت باكرة زمنيًا من جهة؛ ولأن دعوته كان لها أهداف اجتماعية تتمثل في الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، وإرساء مبادئ الأخلاق من جهة ثانية. وقد حظيت منطقة مدين بالذكر في كتابات الجغرافيين الكلاسيكيين؛ لأن أهمية موقعها الجغرافي سهلت عليهم الاحتكاك بها والتعرف على معالمها. وتحدث عن مدين أيضًا المهتمون بالدراسات التوراتية، ومن بعدهم الكتاب العرب.

ثانيًا : ظهر اسم مدين في القواميس العربية بأنه ذو معانٍ، وله اشتقاقات. يضاف إلى ذلك أسماء إخوة مدين (أبناء النبي إبراهيم « عليه السلام »)، وأسماء أبناء مدين أيضًا، ثم أسماء ملوك وأمراء مدين فيما بعد.

وتبين أن أسماء الأعلام المديانية تعود إلى أصول عربية، وتخالف هذه النتيجة ما افترضه الباحث ج. مندن هول، أن بعض أسماء الأعلام المديانية تعود إلى أصول أناضولية. ولا ننفي وجود بعض الأسماء الأناضولية الشائعة

فـــي بلاد كنعان، وفي بلاد مدين أيضًا. واتضح من قائمة مندن هول أن جميع أسماء المجموعة الثانية التي أوردها لها أصول في اللغة العربية أيضًا، وقد أكد هـــذه الحقيقة في قائمته، ولكن هناك أسماء ترك مندن هول دراستها مثل أسماء المـــلك زبـــح والملك صلمناع، والأمير غراب والأمير ذئب، لأن هؤلاء ليسوا معاصرين للنبي موسى (عليه السلام).

ثالثًا : بروز اسم مدين في الجغرافيا التاريخية :

١ – لكونها مركزًا تجاريًا، وكيانًا سياسيًا منذ منتصف الألف الثانية ق.م.، خلال الفترة الممتدة من ١٥٠٠ ق.م. إلى مطلع القرن السابع الميلادي تقريبًا.

٢ – كونهـــا محطة على درب الحج الشامي والمصري منذ ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي إلى القرن العشرين الميلادي. وهكذا اكتسبت مديـــن أهميـــتها عـــلى مدى الأربعة عشر قرنًا الهجرية وفق ما ثبته المؤرخون والجغرافيون العرب والمسلمون.

كانت حدود أرض مدين غير ثابتة تتعرض للامتداد أو التراجع حسب القوة الحاكمـــة المســـيطرة، ولكـــن الثابت أن أرض مدين شغلت الجزء الشمالي من الحجـــاز أي الجـــزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية، ومن أهم مدن مديـــن فـــي هذه المنطقة «قرية» و«مقنا»، و«البدع»، وغيرها. وامتدت أرض مديـــن لتشـــمل جزءاً من أرض شبه جزيرة سيناء. وقد اتسعت هذه الرقعة من أرض مديـــن لتبلغ خليج السويس حيث ذكرت مدينة «القلزم» إحدى مدن مدين. والقـــلزم هـــي مدينة «السويس» الحالية. وذكرت مدينة «الطور» في سيناء من المدن المديانية أيضًا، بالإضافة إلى مدينة السنيطة؛ ولأن هذه المدينة كانت مقلع الحجـــارة لمدينة «غزة». ويحتمل أنها تقع قريبًا منها حتى يسهل نقل أحجارها إلى «غـــزة». ومديـــنة «فـــاران» مديانيـــة كذلك وتقع في سيناء، وقد سكنها

الإسماعيليون. ومدينة «مقهيلوت» مدينة مديانية تقع في سيناء أيضًا. يضاف إليها مدينة «تمنع» الواقعة في وادي عربة.

رابعًا : كانت مدين كيانًا اجتماعيًا «قَبَلِي التنظيم» منذ بداية تاريخها، وظهورها كقبيلة عربية من واقع أنها ذكرت في عداد القبائل العربية البائدة وأن هذه القبائل البائدة هم العرب الصرحاء. اتصلت قبيلة مدين بالعروبة لعدة عوامل:

أولاً : لسكنى أهل مدين بلاد العرب. وقد استعرب النبي إسماعيل بن النبي إبراهيم (عليه السلام) بسكناه بلاد العرب.

ثانيًا: اعتبر أغلب المؤرخين العرب «مدين» قبيلة عربية لتنظيمها القبلي العربي، ولرجوع نسبها وأسماء الأعلام فيها إلى أصول عربية مما أكد عروبتها.

خامسًا : انتقلت مدين من الطور القبلي إلى نظام سياسي ملكي. قام على أساس «نظام دولة المدينة» السياسي، بدليل ظهور خمسة ملوك من أهل مدين في عصر النبي موسى (عليه السلام) هم : الملك أوى، والملك راقم، والملك صور، والملك حور، والملك رابع. ثم ظهر ملكان آخران من أهل مدين هما : الملك زبح والملك صلمناع، بالإضافة إلى الأمير غراب، والأمير ذئب. وذكر المقريزي أسماء ملوك آخرين من أهل مدين هم : أبجد، وهوز، وحطي، وكلمن، وسعفص، وقرشت. وأشار إلى مناطق حكمهم في شبه جزيرة العرب ومنها أرض مدين، واليمن، وبلاد وج (الطائف) ومكة، بالإضافة إلى مصر والعراق. ولا تتوافر بين أيدينا وثائق تؤيد أو تنفي كلام المقريزي، ولكن ما يهمنا من الموضوع هو تطابق أسماء هؤلاء الملوك مع الأبجدية العربية الأولى، والمستخدمة حتى اليوم. فلعل هذا التطابق يقدم شواهد تاريخية جديدة عن مدين، وعن الأبجدية العربية، وماهية العلاقة ؟ وجاء ذكر شيوخ مدين في التوراة مما

دلـــنا عـــلى أنـــه كان لأهل مدين مجلس شيوخ، وهو من خصائص نظام دولة المدينة.

سادسًـــا : ويبدو أن انتشار أهل مدين، وامتداد منطقتهم كان واسعًا جدًا، كما ظهر من بين ثنايا البحث؛ لأن مدين تزعم إخوته بني النبي إبراهيم (ﷺ) وهم : زمــران، ويقشان، ومدان، ويشباق، وشوحًا. وأنجب مدين نفسه خمسة أبناء هم : عيفــة، وعيفر، وحنوك، وأبيداع، وإلدعة. وابنة واحدة هي : أيلة. انتشروا في أرض مديــن وفيمــا حولها. واستقر أبناء مدين في أرض مدين، بل إن مساكن بعضهم امتدت شرقًا وجنوبًا داخل بلاد العرب (شبه جزيرة العرب)، وغربًا في شبه جزيرة سيناء، بالإضافة إلى بعض بني إسماعيل بن إبراهيم مثل : نبايوت، وقيــدار، وتيماو وانضوت كل هذه القبائل تحت اسم مدين مع وجود عدة أسماء مرادفة للاسم نفسه كاسم «القطوريون» أو «اتحاد القبائل الإبراهيمية».

سابعًا : كان أهل مدين يدينون بدين جدهم النبي إبراهيم (ﷺ) ولم يلبثوا أن انحــرفوا عن العقيدة الصحيحة فخرجوا عن عبادة التوحيد، وعن مبادئ الأخلاق القويمــة. ومارســوا الانحرافات الدينية والسلوكية في مجال التجارة ونحو ذلك. ويــبدو أن هذا الانحراف قد شاع، وأصبح في مرحلة متأخرة ظاهرة مميزة لأهل مديــن، مما استوجب التقويم، فأرسل الله إليهم النبي شعيبًا (ﷺ)، النبي العربي، والــذي أسمته التوراة بعدة أسماء أو ألقاب أخرى غير هذا الاسم فهو في التوراة «يثرون»، «رعويل»، و«كاهن مدين»، و«فوطئيل»، و«حوباب» و«حابر». وقد بيــنا أن بعض الأسماء كانت ألقابًا له. واتضح أن بعض الأسماء الأخرى نتجت عن خلط بين شخصيات مختلفة. وقد سعى البحث ليثبت أن النبي شعيبًا (ﷺ) هو كــاهن مديــن، وأن النبي موسى (ﷺ) تزوج «صفورة» ابنة الشيخ الكبير في مدين.

ثامنًا : وقام النبي شعيب (ﷺ) بدور ديني – دنيوي شمل السياسة والإدارة أيضًــا. كمــا اتضح من تعليمه لبني إسرائيل بعض الطقوس مثل تقديم محرقة

وذبـــائح، ومـــن مشورته الإدارية التي قدمها للنبي موسى (عليه السلام). ويتجلى في شـــخص النبي شعيب نموذج باكر لدور المكرب (الكاهن – الحاكم) الذي ظهر في بلاد العرب الجنوبية.

ظهرت عقائد مختلفة بين أهل مدين من شرك وعبادات وثنية، كانت شائعة فـــي المـــنطقة وذكـــرنا أنه كان من أهم معبوداتهم القمر، بدليل استخدام شكله "الهـــلال" شعارًا لهم في حربهم وسلمهم، وكثرة وروده في رسوماتهم وحليهم. كانت «الأهلة الذهبية» شعارًا يعلقونه في رقابهم تبركًا. وكان شائعًا بينهم بعض طقـــوس وثـــنية، ومارســـوها في أماكن خاصة للعبادة. وقد استعمل أهل مدين «معبد الخيمة» منذ باكورة عهدهم، ونقلوه معهم في حلهم وترحالهم. واقتبس بنو إســـرائيل «معـــبد الخيمة» من أهل مدين. واستمروا يستعملونه على مدى ثلاثة قـــرون قـــبل أن يبني الملك سليمان (عليه السلام) لبني إسرائيل المعبد المعروف باسم «هيكـــل سليمان». وعرف أهل مدين أيضًا دور العبادة الثابتة (المعابد المبنية) حيـــث عثر على بقايا تلك المعابد. وكان إحراق البخور في مقدمة الطقوس التي تقـــرب أهـــل مديـــن بها إلى معبوداتهم يضاف إلى ذلك تقديم الذبائح أي تقديم القرابين والتقدمات.

أدى النـــبي شعيب (عليه السلام) رسالته التي تضمنت، أولاً : الدعوة إلى التوحيد، ثانيًا : تحقيق العدل، ثالثًا : الإصلاح الاجتماعي.

وكـــان رد أهـــل مدين عنيفًا وقاسيًا على هذا النبي وكذلك أصحاب الأيكة، فقاوموا دعوة النبي شعيب (س) لأسباب دينية واقتصادية، لأن أوضاعهم السابقة كانت تحقق لهم مكاسب كبيرة، وثراءً ذكره القرآن الكريم.

تاســـعًا : ثـــبت أن أرض مدين كانت مركزًا من مراكز استخراج المعادن، وتصـــنيعها كما ذكرته الرواية التوراتية. واستمرت عمليات التعدين على مدى ألفي سنة. وكان من أهم المعادن : النحاس، والذهب ثم من أهم الأحجار الكريمة

حجـــر الفيـــروز (المفكات)، بالإضافة إلى أحجار المرو (الكوارتز)، والصوان والجرانيت، وكذلك من المعادن الأخرى الفضة والحديد والقصدير والرصاص.

وقامت صناعات وحرف أخرى في مدين أهمها :

المصـــنوعات الفخاريـــة، والـــتي اشتهرت باسم «فخار مدين». وكان لهذا الفخار أهمية بالغة في تحديد عصر مدين منذ ١٥٠٠ ق.م. وحتى ١٠٠٠ ق.م. وكـــانت «قرية» أهم مراكز صناعة الفخار. وقد عثر على أدوات متنوعة لكل صـــناعة وحرفة. مثل أفران صهر المعادن، وقوالب صبها، ومنافيخ، وبواتق، وأنابيب بالإضافة إلى خبث المعادن. دلتنا كلها على توافر تقنيات متطورة لدى أهـــل مدين. وقام استغلال مناجم المعادن واستثمار ثرواتها في سيناء على أيدي المصـــريين. وبـــلغ نشاط التعدين أوجه في عصر الرعامسة وكشفت حفريات وتنقيـــبات وادي عربة قيام تعاون بين المصريين المستثمرين، وسكان المنطقة وهـــم أهل مدين والعمالقة والقينيين. ثم ظهر أن أهل مدين قد انفردوا بفعاليات التعدين في سيناء في فترة أرخت بين القرنين ١٤ – ١٢ ق.م. من واقع تأريخ الفخار المدياني في «تمنع».

عاشـــرًا : مارس أهل مدين التجارة بكل أنواعها منذ حوالي منتصف الألف الـــثانية ق.م. وعرفنا أقدم تاجر مدياني «مالك بن دعر». وكانت تجارة قوافل كـــبيرة. تاجروا في سلع ذلك العصر، وأهمها تجارة البخور والعطور، وتجارة الرقيق، وتجارة الذهب والفضة والمواد الغذائية. وأدى أهل مدين دورًا مهمًا في تجارة المرور (الترانزيت)، وخاصة بين جنوب بلاد العرب وبلاد الشام ومصر عـــبر أرض مدين. كما عرفوا أدوات التجارة من مكاييل وموازين مثلما عرفوا انحـــرافات هذه المهنة. وأشرف أهل مدين على الطرق التجارية، التي تمر عبر أراضـــيهم ســـواء فـــي شبه جزيرة العرب، أو في شبه جزيرة سيناء، وأنشأوا محطـــات لـــلقوافل في واحاتهم المنتشرة على مسار هذه الطرق، بالإضافة إلى

المـوانئ المهمـة مثل : «مقنا» و«المويلح – الحوراء». ونقلوا بضائعهم على ظهـور دواب الحمل – الحمير والجمال – وقد اعتنى أهل مدين بتربية الإبل، كمـا ظهـر فيهـم تجار الإبل، ويعود الفضل إليهم بأنهم استخدموا الجمل في الحـرب لأول مرة، عندما استخدموه في حربهم ضد بني إسرائيل. وقد وصفت نصـوص الـتوراة رجـال أهـل مدين في الحرب بأنهم مع جمالهم كالجراد، وكالـرمل تعبيرًا عن الكثرة. وتعزى إمكانية استخدام الجمل في الحرب والسلم إلى تطور في صناعة «شداد الجمل».

حـادي عشـر : كـانت الزراعة ضمن فعاليات أهل مدين وحرفهم، التي مارسـوها فـي مـناطق الواحات العديدة المنتشرة في أرضهم. واعتمدوا في زراعتهم على النمط الواحي (البستاني). وكانت زراعتهم على نوعين :

١ – «بعلية» تسقى بمياه الأمطار.

٢ – ري منتظم يعتمد على مياه الآبار وغيرها.

وكان من أهم محاصيلهم التمور، وشجر المقل (الدوم)، والكروم (الأعناب)، والحـبوب والـبقول والخضر والفواكه وغيرها. واشتهر شمال الحجاز بوجود المـراعي الجيدة أيضًا. فمارس أهل مدين حرفة الرعي وتربية قطعان المواشي بمختلف أنواعها.

ثاني عشر : أشرنا إلى فخار مدين الذي يعود الفضل إليه في تحديد عصر مدين. وقد عثر على كسر فخارية كثيرة، وبعض الأواني السليمة. وكانت أغلب الفخاريات على نوعين : أواني مزخرفة، وأخرى عادية بدون زخارف، ولكنها مغطـاة بطـلاء طيـني أغمـق من طين الوعاء. وكانت أكثر السمات تميزًا «الـزخارف المدهونـة» عموماً بألوان متدرجة ومختلفة، وبأشكال هندسية أو طـبيعية. وتميـز فخـار مدين بصلابته، وبصلصاله ذي الطبيعة الواحدة. وقد ظهـرت هذه الخاصية لفخار مدين المميزة أينما وجد هذا الفخار، مما دل على

الموطــن الواحــد أيضـًــا، وهـــو مديـــنة قرية (انظر الخريطتين رقمي «٥» و«٩»)، حيــث ظهـــر أن «قـــرية» كـــانت مركزًا كبيرًا لصناعة هذا الفخار المدياني، فصلصاله من أرضها. وعثر على أفران حرق الفخار.

وانتشر الفخار المدياني في شمال غرب بلاد العرب في «قرية» و«تيماء» و«الـــبدع» و«الحـــوراء» و«العلا وخريبة» و«المآبيات» و«الحجر». وانتشر خـــارج بلاد العرب في جنوب الأردن وفلسطين، ومواقع غرب فلسطين، وفي سيناء على طول الشريط الساحلي، الذي يصل بين فلسطين ومصر، وفي شرق فلسطين.

وقـــد أجـــرت الباحـــثة دراســـة لـــبعض كسر الفخار المدياني المعروضة والمحفوظة في متحف الآثار التابع لوزارة المعارف. وكان فخار مدين مصنوعًا عـــلى عجلة الفخاري، أما الفخار الخشن (البدائي) المسمى «بفخار النقب» فهو يدوي الصنع ومنسوب للعماليق والقينيين.

ثـــالث عشـــر : كانت بقايا المباني من أهم الآثار المديانية وإن كانت قليلة ومدمرة إلا أنها أعطت فكرة عن البناء والتعمير المتمثل في المساكن والمعابد، والمنشـــآت الدفاعيـــة مـــثل : الأسوار والأبراج والحصون، وتمديدات الري، والمدافن، والمرافق العامة الأخرى. وتميز نظام القنوات في مدين بأنه مشابه لما كـــان شائعًا في مناطق مجاورة. وظهر نظير مشابه لهذا النظام في جنوب بلاد العرب. ورجحنا اقتباسه من أهل مدين. وكانت مادة البناء الأساسية هي الحجر بأنواعـــه. وظهرت هذه البقايا المعمارية في مدن مدين ومعها الفخار. وتميزت بعض المواقع بوجود أفران الصهر والمشاغل الحرفية. قامت حرف متنوعة في هـــذه المشـــاغل. كـــان من أهمها أدوات الاستعمال اليومي في المنزل والحقل والمشـــغل، وصناعة حلي متنوعة، وأسلحة، يضاف إلى ذلك أعمال فنية عبارة عن مشخصات متنوعة حيوانية وبشرية، ودمى طينية تمثل إبلاً، وفنونٍ أخرى.

رابع عشر : تهيأ لأهل مدين من خلال موقع بلادهم الجغرافي عقد صلات اجتماعية، واقتصادية مع المجتمعات المجاورة. وكان يحيط بهم من جميع جهات بلادهم أقوام وشعوب متحضرة. وقامت مع البعض الآخر من الشعوب صلات غير مباشرة.

فنجد أن أهل مدين عقدوا اتفاقًا مع الملك الآموري «سيحون» في مدينة «حشبون». واتصلوا ببلاد كنعان اتصال جوار مباشر في مناطق عديدة. ورجحنا إسهام أهل مدين في النشاط الاقتصادي الكبير الذي قام بين بلاد كنعان ومصر، وخاصة في فعاليات الأنشطة التي تتم برًا عبر دروب سيناء، استنادًا على التعاون الذي قام في أعمال التعدين بين المديانيين والمصريين. واتصل أهل مدين بأرض كنعان (فلسطين) وسكانها وارتبط أهل مدين بصلات القرابة والدم ببعض الشعوب الأخرى مثل : بني عمون، والموآبيين والقينيين الذين انتشروا في بلاد كنعان والنقب وفي بلاد العرب أيضًا.

وكان لأهل مدين حرب مع ملك إدوم «هداد بن بداد» وعلاقات أخرى تتأرجح بين الحرب والسلم.

خامس عشر : أما شعوب مناطق شبه الجزيرة العربية فكان لها صلات مباشرة مع أهل مدين. فرضتها وشائج القربى والدم، والجوار. فقامت بينهم علاقات اقتصادية وسياسية أيضًا وعقدوا تحالفات واتفاقيات. وكان من أهم تلك الشعوب : العمالقة، الإسماعيليون (وهم بنو عمومتهم)، وبنو المشرق (بنو قدم وقيدار ودومة). وجاء في التوراة ذكر قبائل عربية أخرى كان لها نشاط تجاري، مما أتاح فرصة اتصالها بمدين أيضًا مثل : شبا ورعمة، وسبأ وددان أبناء يقشان بن إبراهيم (وهم بنو عم أيضًا).

سادس عشر : وكما عقد أهل مدين علاقات صداقة، وتحالف مع الشعوب والأمم المجاورة لهم عقدوا صلات مصاهرة، وصلات حربية مع أمم أخرى

مـــثل : بني إسرائيل. فقد تزوج النبي موسى (عليه السلام) «صفورة» المديانية. وأقام في أرض مدين، ثم خرج منها إلى قومه في مصر. وعاد فخرج بهم من مصر. والـــتقى مـــرة أخـــرى بأهل مدين ويثرون. وأخذ منه التراث الإداري وبعض الطقـــوس الديـــنية. ووقعت بينهم بالمقابل حرب كبيرة في أواخر القرن الثالث عشـــر ق.م. تقريـــبًا. وكان جيش مدين بقيادة خمسة ملوك تم قتلهم جميعهم مع جيوشهم. وتدمرت مدنهم وحصونهم، بسبب عوامل عديدة دينية ذكرتها التوراة، واقتصــــادية لـــم تفصح عنها النصوص.. ولكن تحليل النصوص كشف دوافعها التي تستند إلى الأسباب التالية :

١ – أهمية الموقع الجغرافي لأرض مدين.

٢ – الثروات الطبيعية.

٣ – الـــتجارة وبخاصة تجارة البخور، وكانت هي السلعة الأولى في العالم القديم.

٤ – الطمع بثروات أهل مدين فقد كانوا أهل ثراء وغنى.

والـــتقى بنو إسرائيل في حرب ثانية مع أهل مدين أيضًا، وللأسباب نفسها تقريـــبًا، وإن فصل بين الحربين قرنان من الزمن تقريبًا. فقد وقعت هذه الحرب حوالـــي القرن الحادي عشر ق.م.، مما أدى إلى القضاء على أهل مدين قضاءً تامًـــا كما زعم بنو إسرائيل. غير أن استمرار وجود قبيلة كبيرة من نسل مدين تـــزعمت ذويهـــا وهـــي قبيلة «عيفة» المذكورة في نص التوراة، وفي النص الآشوري ما يدحض ذلك الزعم.

وكم تمنت الباحثة لو أن بين يديها وثائق تاريخية كاملة، وخاصة في مجال العلاقـــات لـــو توافرت وثائق مديانية لاتضحت الحقائق، وعن طريق الدراسة المقارنـــة يمكـــن تحري الدقة، وسبر المعلومات حتى تظهر الصورة التاريخية

الكامــلة، ولكــن مصـــادرنا هنا وحيدة الجانب في أغلبها. والأمل معقود على استكمال التنقيبات الأثرية، والحفريات؛ بل نطمع في الاستزادة منها في مناطق شمال وشمال غرب بلاد العرب، ومناطق مدين في شبه جزيرة سيناء حتى يتم اســتنطاق المعــثورات الأثرية وتحليل الوثائق الكتابية المأمول الحصول عليها حــتى يكــتب أكــثر عن هذا الشعب المدياني العربي العريق فتتضح الصورة التاريخية الباكرة.

كمـــا نعقد الأمل على إخضاع جميع المعثورات الأثرية من نتائج الحفريات والتنقيبات السابقة للدراسة التاريخية الدقيقة، والموضوعية، بالنسبة لأهل مدين، وكذلــك جميع شعوب بلاد العرب حتى نستوفي المعلومات التاريخية عن ثقافة وحضـــارة بـــلاد العـــرب في هذه الفتر الباكرة من تاريخ العرب عامة ومدين خاصة. فيجدر بنا الاهتمام بالمنطقة كلها، بشعوبها حتى نكشف صفحات مطوية من تاريخ بلاد العرب.

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

أولاً – المصادر العربية:

الكتب المقدسة :

١ – **القرآن الكريم**.

٢ – **كتاب العهد القديم** (التوراة).

٣ – **كتاب العهد الجديد** (التوراة).

٤ – إبراهيم، محمد إسماعيل. **قصص الأنبياء والرسل**.ــ القاهرة، ١٣٩٧هــ، ١٩٧٧م.

٥ – البراهيم، محمد وضيف الله الطلحي. «تقرير مبدئي عن نتائج حفرية الحجر، ١٤٠٦هــ، ١٩٨٦/»، **حولية أطلال**.ــ الرياض، ١٤٠٩هــ، ١٩٨٨م، العدد ١١.

٦ – ابن الأثير، أبو الحسن علي الملقب بعز الدين. **الكامل في التاريخ**.ــ بيروت، ١٣٨٧ هــ، ١٩٦٧م.

٧ – أحمد، محمد خليفة حسن. **دراسات في تاريخ حضارة الشعوب السامية القديمة**.ــ القاهرة، ١٩٨٥م.

٨ – أحمد، محمود عبدالحميد. **الهجرات العربية القديمة**.ــ دمشق، ١٩٨٨م.

٩ – الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. **كتاب الأغاني**.ــ بيروت، د.ت، ج٢٢.

١٠ – الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الفاسي. **مسالك الممالك**.ــ ليدن، ١٩٢٧م.

١١ – الأصفهاني، الحسن بن عبدالله. **بلاد العرب**؛ تح. حمد الجاسر، صالح العلي.ــ ط١.ــ ١٣٨٨هــ، ١٩٦٨م.

١٢ – ألدريد، سيريل. **مجوهرات الفراعنة**؛ تر. مختار السويفي؛ مراجعة أحمد قدري.ــ ط١.ــ القاهرة، ١٤١٠هــ، ١٩٩٠م.

١٣ – الألوسي، محمد شكري. **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**؛ تصح. محمد بهجت الأثري.ــ ط١.ــ بيروت، د.ت.

١٤ – إلياس، أ.أ. **القاموس العصري**.ـــ القاهرة، ١٩٦٢م.

١٥ – إم هرو، برت **كتاب الموتى الفرعوني**، عن بردية لآني؛ الترجمة عن الهيروغليفية السيروالس بدج؛ الترجمة العربية فيليب عطية.ـــ القاهرة، ١٩٨٨م.

١٦ – إنجراهام، م.، تيودور جونسون، بسيم الريحاني، إبراهيم الشتلة. «برنامج المسح الأثــري الشــامل لأراضـــي المملكة العربية السعودية، التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الغربية»، **حولية أطلال**.ـــ الرياض، ١٤٠١هــ، ١٩٨١م. عدد (٥).

١٧ – الأندلســـي، ابـــن سعيد أبو الحسن علي. **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**.ـــ عمان ١٩٨٢م.

١٨ – الأنصاري، عبدالرحمن الطيب. **قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية**.ـــ الرياض ١٤٠٢هــ.

١٩ – الأنصـــاري، عـــبدالرحمن الطيب، أحمد حسن غزال، جفري كنج. **مواقـــع أثرية وصور من حضارة العرب**.ـــ الرياض ١٤٠٤هــ، ١٩٨٤م.

٢٠ – أوبنهايم، ليو. **بلاد ما بين النهرين**؛ تر. سعد فيفي عبدالرزاق.ـــ بغداد، ١٩٨٦م.

٢١ – بـــار، بيـــتر، وآخـــرون. «الـــتقرير المبدئي عن المرحلة الثانية لمسح المنطقة الشمالية»، **حولية أطلال**.ـــ الرياض ١٣٩٧هــ، ١٩٧٧م عدد (٢).

٢٢ – بـــارو، أندرو. **سومر وفنونها وحضارتها**؛ تر. عيسى سليمان، وسليم التكريتي.ـــ بغداد، ١٩٧٩م.

٢٣ – باقر، طه. **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**.ـــ ط٢.ـــ بغداد، ١٩٨٦م.

٢٤ – باقر، طه. – **ملحمة كلكامش**.ـــ العراق، د.ت.

٢٥ – بالتا، بول. الهكسوس؛ تر. عدنان البني، **مجلة المعرفة**.ـــ سوريا، السنة (٦)، عدد (٦٣)، ١٩٦٧م.

٢٦ – بـــاودن، جارث، روبرت ميللر، وكريستوفر إيدنز. «التنقيبات الأولية في تيماء، ١٣٩٩هــ، ١٩٧٩»، **حولية أطلال**.ـــ الرياض ١٤٠١هــو ١٩٨١م، عدد (٥).

٢٧ – الـــبدر، سليمان سعدون. **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى، منطقة الخليج**.ـــ ط٢.ـــ الكويت، ١٩٧٨م.

٢٨ – بدران، محمد، **التوراة.. العقل.. العلم.. التاريخ**.ـــ ط١.ـــ مصر، ١٣٩٨هــ- ١٩٧٩م.

٢٩ – برستد، جيمس هنري. **فجر الضمير**؛ تر. سليم حسن، مصر، ١٩٥٦م.

٣٠ – البستاني، المعلم بطرس. **محيط المحيط**.ـــ بيروت، ١٩٧٧م.

٣١ – بعلبكي، منير. **المورد**.ـــ بيروت، ١٩٨٥م.

٣٢ – البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالق. **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت تح. علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط. مختلفة ١٣٧٣، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٤، ١٩٥٥م.

٣٣ – البغدادي، محمد أمين. **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**.ـــ بيروت، د.ت.

٣٤ – البكري، عبدالله بن عبدالعزيز. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**.ـــ ط٣.ـــ تح. مصطفى السقا.ـــ بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣٥ – البلادي، عاتق. **رحلة في بلاد العرب**، مكة المكرمة، ١٩٧٥م.

٣٦ – بندقجي، حسين حمزة. **أطلس المملكة العربية السعودية**، إنجلترا، ١٤٠٠هـ.

٣٧ – بهجت، أحمد. **أنبياء الله**.ـــ ط١٢.ـــ القاهرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٣٨ – بورتر، هارفي. **موسوعة مختصر التاريخ القديم**.ـــ ط١.ـــ القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٣٩ – بوكاي، موريس. **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**؛ تر. الشيخ حسن خالد.ـــ ط٢.ـــ بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٤٠ – تارن و.و. **الحضارة الهيلنستية**؛ تر. عبدالعزيز جاويد، راجعه زكي علي.ـــ القاهرة، ١٩٦٦م.

٤١ – التجيبي، أبو يحيى محمد بن صمادح. **مختصر تفسير الطبري**.ـــ ط١.ـــ دمشق ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٤٢ – الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. **صحيح الترمذي**، بشرح الإمام بن العربي المالكي.ـــ بيروت، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٤٣ – التل، صفوان خلف. **تطور المسكوكات في الأردن عبر التاريخ**.ـــ عمان، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٤٤ – التيمائي، محمد حمد. **تيماء هذه بلادنا**، رقم ٣٠.ـــ الرياض، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٤٥ – الجاحظ، عمرو بن بحر. **البيان والتبيين**.ـــ مصر، ١٩٧٥م.

٤٦ – الجاسر، حمد. **الإيناس ومختلف القبائل ومؤتلفها**.ـــ الرياض، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٤٧ – ــــــــــــ. **في شمال غرب الجزيرة**.ـــ ط٢.ـــ الرياض، ١٤٠١، ١٩٨١م.

٤٨ – ـــــــــ ، الجاسـر، حمد، **المعجـم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة**. الرياض، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٤٩ – ـــــــــ ، **ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي**.ــ ط٢.ــ الرياض، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٥٠ – الجزيـري، عبدالقادر بن محمد (ت في القرن ١٠)، **الدرر الفرائد المنظمة**؛ أعده حمد الجاسر.ــ الرياض، د.ت.

٥١ – ابـن الجـوزي، الإمام عبدالرحمن. **تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير**.ــ القاهرة، ١٩٧٥م.

٥٢ – الجويني، ركن الدين أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف، (ت ٤٧٨هـ)، **شـفاء الغـليل فـي بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل**؛ تح. أحمد حجازي السقا.ــ ط١.ــ القاهرة، ١٩٧٨م.

٥٣ – ابـن حبيب، أبو جعفر محمد، **المحبر**، رواية أبي سعيد الحسن العسكري، صح. إيلزة ليختن شتيتر.ــ بيروت، د.ت.

٥٤ – حـتي، فيـليب. **تـاريخ سـوريا ولبنان وفلسطين**؛ تر. جورج حداد، وعبدالمنعم رافق.ــ بيروت، ١٩٥٨م.

٥٥ – حتي، فيليب. **تاريخ العرب**؛ تر. مبروك نافع.ــ ط٣.ــ القاهرة، ١٩٥٣م.

٥٦ – ابـن حـزم، أبـو محمد علي بن أحمد بن سعيد. **جمهرة أنساب العرب**.ــ ط٤.ــ مصر، ١٩٧٧م.

٥٧ – حسن، حسن إبراهيم. **تاريخ الإسلام**.ــ ط٧.ــ القاهرة، ١٩٦٤م.

٥٨ – حسـن، محمد أحمد محمود. **مصر والعرب وإسرائيل في الكتب المقدسة**.ــ القاهرة، ١٩٨٠م.

٥٩ – الحليسـي، نـواف بـن صالح. **المنهج الاقتصادي في المكاييل والموازين لنبي الله شعيب**.ــ ط٢.ــ الرياض ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٦٠ – الحليسي نواف بن صالح.ــ **المنهج الاقتصادي لنبي الله يوسف**.ــ ط٣.ــ الرياض، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٦١ – الحموي، ياقوت. **معجم البلدان**.ــ بيروت، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٦٢ – حميد الله، محمد، **الوثائق السياسية**.ــ ط٤.ــ بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٦٣ – الحميـري، محمـد بن عبدالمنعم.ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار**؛ تح. إحسان عباس.ـ بيروت، ١٩٧٥م.

٦٤ – الخازن، نسيب وهيبة، **من الساميين إلى العرب**.ـ بيروت، ١٩٦٢م.

٦٥ – خـان، مجيـد، «مشـكلة الاتصالات الحضارية بين المناطق في عصور ما قبل التاريخ». **حولية أطلال**.ـ الرياض، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، العدد (١٣).

٦٦ – خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله. **المسالك والممالك**.ـ ليدن، ١٩٦٧م.

٦٧ – ابـن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبـتدأ والخـبر فـي أيـام العـرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**.ـ بيروت، ١٩٧١م.

٦٨ – ابن خلدون. **مقدمة ابن خلدون**.ـ بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٦٩ – الخليـلي، جعفر. **الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ**.ـ بغداد، ١٣٧٩هـ، ١٩٧٩م.

٧٠ – خياط، يوسف. **معجم المصطلحات العلمية والفنية**.ـ بيروت، د.ت.

٧١ – داداه، محمـد ولد. **جزيرة العرب مصير أرض وأمة قبل الإسلام**.ـ ط١.ـ الرياض ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٧٢ – أبو درك، حامد. **مقدمة عن آثار تيماء**.ـ الرياض، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٧٣ – أبـو درك، حامد، وعبد الجواد مراد، «تقرير مبدئي عن حفريات وتنقيبات قصر الحمراء في تيماء (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)». **حوليـة أطلال**.ـ الرياض، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، العدد (١١).

٧٤ – ابـن دريد، أبو بكر بن الحسن. **الإشتقاق**؛ تح. عبدالسلام محمد هارون.ـ بغداد، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٧٥ – دوبونـت، « الآراميون »؛ تر. ألبير أبونا. **مجلة سومر**.ـ بغداد، ١٩٦٣م، العدد ١٩ / ٢٠١

٧٦ – دي جيسـيس، برينتس، أحمد كنساوي، بسيم الريحاني، «تقرير مبدئي عن مسح مـناطق الـتعدين القديمة شمال غرب الحجاز». **حولية أطلال**.ـ الرياض، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣م، العدد (٧).

٧٧ – ديورانت، ول. **قصة الحضارة**؛ تر. زكي نجيب محمود.ـ القاهرة، ١٩٥٧م.

٧٨ – الدينوري، أحمد بن داود. **الأخبار الطوال**؛ تح. عبدالمنعم عامر.ــ بغداد، د.ت.

٧٩ – الرازي، محمد بن أبي بكر عبدالقادر. **تفسير الرازي**؛ تح. محمد رضوان الداية.ــ بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٨٠ – الرازي، محمد. **مختار الصحاح**، مصحح سميرة خلف المواكي، بيروت، د.ت.

٨١ – الراشد، سعد. **الربذة**، جامعة الملك سعود.ــ الرياض ١٤٠٥هـ.

٨٢ – ابن رستة، أبو علي بن عمر. **الأعلاق النفيسة**.ــ ليدن، ١٩٨١م.

٨٣ – الرشيد، عبدالله بن محمد، الرس. **هذه بلادنا**، (١١/ط٢).ــ الرياض، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٨٤ – رضا، محمد. **تاريخ الإنسانية وأبطالها من بدء الخليقة إلى خاتم المرسلين**.ــ ببيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٨٥ – رياض، محمد. **الإنسان، دراسة في النوع والحضارة**.ــ ط٢.ــ بيروت، ١٩٧٤.

٨٦ – زارينس، يوريس وآخرون. «برنامج المسح الأثري عن المنطقة الجنوبية الغربية». **حولية أطلال**.ــ الرياض، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.، العدد (٥).

٨٧ – الزبيدي، محمد مرتضى. **تاج العروس من جواهر القاموس**.ــ بيروت، د.ت.

٨٨ – سابق، السيد. **فقه السنة**.ــ ط١.ــ بيروت، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

٨٩ – ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠هـ). **الطبقات الكبرى، السيرة الشريفة**.ــ بيروت، د.ت.

٩٠ – سعد الدين، ليلى حسن. **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا** : دراسة مقارنة.ــ عمان، ١٩٨٤م.

٩١ – السقاف، أحمد، **العنصرية الصهيونية في التوراة**.ــ الكويت، ١٩٨٤م.

٩٢ – سلامة، عواطف أديب. **قريش قبل الإسلام : دورها السياسي والاقتصادي والديني**.ــ الرياض، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٩٣ – سلطان، نايفة عبدالحميد. **تجارة البخور والمواد العطرية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود.ــ الرياض، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٩٤ – السناني ، معتاد بن عبيد، العيص. **هذه بلادنا**، رقم ٣٦.ــ ط١.ــ الرياض، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٩٥ – السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله. **الروض الأنف**.ــ القاهرة، ١٩٧٢م.

٩٦ – السيد، رمضان عبده. **معالم تاريخ مصر القديم**.ــ القاهرة، ١٩٨٦م.

٩٧ – سيد، عبدالمنعم عبدالحليم. **البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة**.ــ الإسكندرية، ١٩٩٣م.
٩٨ – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، وجلال الدين محمد بن أحمد المحلي. **تفسير الإمامين الجلالين**. ــ بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٩٩ – أبو شهبة، محمد بن محمد. **الإسرائيليات والموضوعات** .ــ ط٤.ــ القاهرة، ١٤٠٨هـ.
١٠٠ – الصابوني، محمد علي. **صفوة التفاسير**.ــ ط٣.ــ بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م.
١٠١ ــــــــــــــــ. **مختصر تفسير الطبري**.ــ بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
١٠٢ – ــــــــــــــــ. **مختصر تفسير ابن كثير**.ــ ط١.ــ بيروت، ١٣٩٩هـ.
١٠٣ – صالح، عبدالعزيز. **الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق**.ــ القاهرة، ١٩٨٤م.
١٠٤ – الصفدي، هشام، محمد صالح قزدر، سعدون مصطفى الحسن، توفيق سلطان اليوزبكي، صفوان خلف التل. **الدليل الأثري الحضاري لمنطقة الخليج العربي**.ــ بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
١٠٥ – الصفدي، هشام. **الوجيز في تاريخ حضارات آسيا الغربية**.ــ دمشق، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
١٠٦ – أبو طالب، محمود. **آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة**.ــ ط١، ١٩٧٨م.
١٠٧ – الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الأمم والملوك**.ــ بيروت، د.ت.
١٠٨ – طنطاوي، محمد سيد. **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**.ــ ط١.ــ القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٠٩ – ظاظا، حسن. **أبحاث في الفكر اليهودي**.ــ دمشق، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١١٠ – ـــــــــــــــ . **الفكر الديني اليهودي**.ــ ط٢.ــ دمشق، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١١١ – عاشور، سعيد عبدالفتاح. **الحركة الصليبية**.ــ ط١.ــ مصر، ١٩٦٣م.
١١٢ – عاشور، عبداللطيف. **التداوي بالأعشاب والنباتات**.ــ القاهرة، ١٩٨٥م.
١١٣ – عباس، إحسان. **تاريخ دولة الأنباط** .ــ عمان ١٩٨٧م.
١١٤ – عبدالباقي، محمد فؤاد. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**.ــ بيروت، د.ت.
١١٥ – ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ). **العقد الفريد**؛ تح. محمد سعيد العريان. بيروت، د.ت.

١١٦ – العثيمين، عبدالله صالح. من **حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية**.ـ ط١.ـ الرياض، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١١٧ – أبـو العلاء، محمود طه. **جغرافية شبه جزيرة العرب**.ـ ط٥.ـ القاهرة، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.

١١٨ – العلامات، محمود جلال. **السبئيون وسد مأرب**.ـ ط١.ـ جدة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١١٩ – علي، جواد. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**.ـ ط٢.ـ بيروت، ١٩٧٦م.

١٢٠ – عنان، زيد بن علي. **حضارة اليمن القديم**.ـ ط١.ـ مصر، ١٣٩٦هـ.

١٢١ – عياد، محمد كامل. **تاريخ اليونان**.ـ دمشق، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

١٢٢ – غـبـان ، عـلـي بن إبراهيـم. **بحـوث في التاريخ والآثار**.ـ ط١.ـ الرياض، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٢٣ – غنيم، عبدالرحمن محمد. روان **سر الأسرار**.ـ دمشق، ١٩٩١م.

١٢٤ – الفاســي، هـتون أجواد. **الحيـاة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية**، في الفترة ما بين القرن ٦ ق.م. والقرن ٢م.ـ الرياض، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٢٥ – الفـاكهي، أبـو عـبيد الله بـن إسحاق. **كتاب المنتقى من أخبار أم القرى**، وهي منتخـبات، الجـزء ٣ مـنه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. تأليف قطب الدين النهروالي، غتنغة، ١٢٧٤هـ.

١٢٦ – فخري، أحمد، **دراسات في تاريخ الشرق القديم**، ط٤، مصر، ١٩٨٤م.

١٢٧ – فخري، أحمد. **مصر الفرعونية**.ـ القاهرة، ١٩٨٣م.

١٢٨ – فخـري، أحمـد، حسان محمد عوض، محمد السيد غلاب وآخرون. **موسوعة سيناء**، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٢م.

١٢٩ – أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل. **تقويم البلدان**.ـ باريس، ١٨١٥م.

١٣٠ – فرانـزا رولي، بيليو، **من القاموس الإيبلائي**؛ تعر. قاسم طوير.ـ ط١.ـ دمشق ١٩٨٩م.

١٣١ – بافقيه، محمد عبدالقادر. **تاريخ اليمن القديم**.ـ بيروت، ١٩٨٥م.

١٣٢ – الفيروز آبادي، مجد الدين بن محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**.ـ دار الجيل، د.ت.

١٣٣ – القثامي، حمود بن ضاوي. **شمال الحجاز الآثار**.ـ بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

١٣٤ – قطب، سيد. **في ظلال القرآن**.ـ بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٣٥ – القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي. **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**؛ تح. إبراهيم الأنباري.ــ القاهرة : بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٣٦ – الكباوي، عبدالرحمن، مجيد خان، عبدالرحمن الزهراني، «تقرير مبدئي عن المرحلة الثانية عن المسح الشامل للنقوش والرسوم الصخرية في المنطقة الشمالية للعام ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م». **حولية أطلال**.ــ الرياض، العدد (١٠).

١٣٧ – ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب. **الأصنام**؛ تح. أحمد زكي باشا.ــ القاهرة، ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م.

١٣٨ – كونتينو، جورج. **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**؛ تر. سليم طه التكريتي.ــ بغداد، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٣٩ – كونيك، جان، **هل طور سيناء في شبه جزيرة سيناء أم في شبه جزيرة العرب**، أضواء جديدة على تاريخ بلاد الشام؛ تر. قاسم طوير.ــ دمشق، ١٩٨٩م.

١٤٠ – لوبون، غوستاف. **حضارة العرب**؛ تر. عادل زعيتر.ــ مصر، ١٩٦٩م.

١٤١ – ــــــــــ . غوستاف، **اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**، تر. عادل زعيتر، القاهرة، ١٩٠٥م.

١٤٢ – ليفنحستون، أ. مجيد خان، عبدالرحمن الزهراني، محمد السلوك، سليمان الشامان، «حصر وتسجيل النقوش الصخرية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م».ــ **حولية أطلال**.ــ الرياض، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.، العدد (٩).

١٤٣ – الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. **الأحكام السلطانية**.ــ ط٢.ــ مصر، ١٩٨٦م، ١٩٦٦م.

١٤٤ – مباشر، عبده، وإسلام توفيق. **سيناء الموقع والتاريخ**.ــ القاهرة، ١٩٧٨م.

١٤٥ – مسعود، جمال عبدالهادي، وفاء محمد رفعت جمعة. **ذرية إبراهيم عليهم السلام والمسجد الأقصى**.ــ ط١.ــ مصر، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

١٤٦ – المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٣٤٥هـ أو ٣٤٦)، **أخبار الزمان**.ــ بيروت، د.ت.

١٤٧ – المسعودي، أبو الحسن. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**.ــ بيروت، ١٩٨٥م، ١٩٦٥.

١٤٨ – مقدسي، فايز. **بعل وموت**.ــ ط١.ــ أبجدية المعرفة.ــ دمشق، ١٩٩٠م.

١٤٩ – المقدسي، مطهر بن طاهر. (ت ٥٠٧هـ)، **البدء والتاريخ**.ــ مصر، د.ت.

١٥٠ – مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية. إدارة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٧هـ، ١٩٨٧م.

١٥١ – المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. **الخطط المقريزية**، المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.ـ القاهرة، د.ت.

١٥٢ – ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري. **لسان العرب**؛ إعداد يوسف خياط.ـ بيروت، د.ت.

١٥٣ – مهران، محمد بيومي. **تاريخ العرب القديم**.ـ إسكندرية، ١٩٨٩م.

١٥٤ – مورتكات، أنطون. **تاريخ الشرق الأدنى القديم**؛ تعر. توفيق سليمان، د.ن، د.ت.

١٥٥ – موسكاتي، سباتينو. **الحضارات السامية القديمة**؛ تر. السيد يعقوب بكر.ـ بيروت ١٩٨٦م.

١٥٦ – موسل، أ. **شمال الحجاز**؛ تر. عبدالمحسن الحسيني.ـ الإسكندرية، ١٩٥٢م.

١٥٧ – **الموسوعة العربية الميسرة**. بإشراف محمد شفيق غربال.ـ ط٢.ـ القاهرة، ١٩٧٢م.

١٥٨ – مونرو، إليزابيث. الجزيرة العربية بين البخور والبترول. **مجلة الدارة**.ـ الرياض، ١٣٩٦هـ، ١٩٨٦م، العدد الأول.

١٥٩ – ميديكو، هـ.ي. ديل. **اللآليء**؛ تعر. مفيد عرنوق.ـ ط١.ـ لبنان، ١٩٨٠م.

١٦٠ – الناضوري، رشيد سالم. «**تحديد أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر**»، ندوة تاريخ الجزيرة.ـ الرياض، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، الكتاب الثاني.

١٦١ – النعيم، نورة عبدالله علي. **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن ٣ ق.م.- ٣م**.ـ الرياض، ١٤١٢هـ.

١٦٢ – هاردنج، لانكستر. آثار الأردن؛ تعر. سليمان موسى؛ ط٢، الأردن، ١٩٧١م.

١٦٣ – هالدار، إلفرد. **العموريون من هم، وما هي مواطنهم**.ـ ط١.ـ تعر. شوقي شعث، أبجدية المعرفة.ـ دمشق، ١٩٩٣م.

١٦٤ – هستر، ج، روبرت هاميلتون، عبدالعزيز رهبيني، خالد محمد أسكوبي، مجيد خان، تقرير مبدئي عن مسح مناطق التعدين القديمة بجنوب غرب المملكة السعودية.ـ **حولية أطلال**.ـ الرياض، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، عدد (٨).

١٦٥ – ابـــن هشام، أبو محمد عبد الملك. **السيرة النبوية**، تح. طه عبدالرؤوف سعد.ـــ القاهرة، ١٩٧٤م.

١٦٦ – الهمدانـــي، الحسن بن أحمد بن يعقوب. **الإكليل**؛ تح. نبيه أمين فارس.ـــ بيروت د.ت.

١٦٧ – الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـــ)، **كتاب المغازي**؛ تح. مارسدن جونس.ـــ القاهرة، ١٩٦٦م.

١٦٨ – ابـــن الـــوردي، زيـــن الديـــن عمر. **تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)**؛ تح. أحمد رفعت البدراوي.ـــ ط١.ـــ بيروت، ١٣٨٩هـــ، ١٩٧٠م.

١٦٩ – الوهيـــبي، عبدالله. «الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب»، **مجلة كلية الآداب**، جامعة الرياض، ١٩٧٠م، السنة الأولى، م١.

١٧٠ – ولـــز، هـــ. ج.. **معـــالم تاريخ الإنسانية**؛ تر. عبدالعزيز توفيق جاويد.ـــ ط٣.ـــ القاهرة، ١٩٦٧م.

١٧١ – ولسون، جون. **الحضارة المصرية**، تر. أحمد فخري.ـــ القاهرة، ١٩٩٣م.

١٧٢ – ياســـين، خيـــر نمـــر. **الجمل، ثورة في عالم المواصلات في تاريخ العرب القديم**، (معرب).ـــ عمان، ١٩٩٢م.

١٧٣ – ———— . **جنوبي بلاد الشام وتاريخه وآثاره**.ـــ عمان، ١٩٩١م.

١٧٤ – ———— . **المؤابيون**.ـــ عمان، ١٩٩٠م.

١٧٥ – يحيى، لطفي عبدالوهاب. **العرب في العصور القديمة**.ـــ بيروت، ١٩٧٩م.

١٧٦ – اليعقوبـــي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر. **تاريخ اليعقوبي**.ـــ بيروت، ١٣٧٩هـــ، ١٩٦٠م.

١٧٧ – اليوسف، يوسف سامي. **تاريخ فلسطين عبر العصور**.ـــ ط١.ـــ دمشق، ١٩٨٩م.

ثانيًا - المصادر الأجنبية :

١. Abramsky, S. On the Kenite-Midianite Background of Moses Leadership. English summaries, R. Grafman. *Eretz-Israel*, Jerusalem, Vol. 12 (1975).

٢. Aharoni, Y. *Beer-Sheba, 1969-1971.* Tel Aviv: University Institute of Archaeology, 1973.

٣. Aharoni, Y. Forerunners of the Limes Iron Age Fortresses in the Negev. *IEJR*, New York, Vol. 1 (1981).

٤. Albright, F. *The Archaeology of Palestine.* London: 1951.

٥. Albright, F. *The Biblical Period from Abraham to Ezra.* New York: 1963.

٦. Anati, E. *Palestine Before Hebrews.* London: 1963.

٧. Anati, E. *Rock Art in Central Arabia.* Galilee: 1974.

٨. Baly, D. *The Geography of the Bible.* New York: 1957.

٩. Bawden, G. Painted Pottery of Tayma and Problems of Cultural Chronology in North West Arabia. *JSOT*, Series 24. Sheffield (1983).

١٠. Beaulieu, G. *The Reign of Nabonidus, King of Babylon 556-539 B.C.* New Haven: 1989.

١١. Bidwell, R. *Travellers in Arabia.* London: 1967.

١٢. Bosworth, C.E. The Qur anic Prophet Shu aib and Ibn Taimiyya Epistle Concerning him. *Le Museon*, Manchester (1974).

١٣. Burckhardt, J. *Travels in Arabia.* London: 1968.

١٤. Bulliet, R. *The Camel and the Wheel.* New York: 1990.

١٥. Burton, R. *The Gold Mines of Midian and the Ruined Midianite Cities.* (New Ed) London: 1979.

١٦. Burton, R. *The Land of Midian.* London: 1879.

١٧. Burton, R. Midian and the Midianites. *Journal of the Royal Society of Arts*, London: 1878.

١٨. Burton, R. Remains of Buildings in Midian. *Transactions of the Royal Institute of British Architects,* London, Vol. 3 (1878).

١٩. Burton, R. Stone and Bones from Egypt and Midian. *Journal of the Royal Anthropological Institute*, London. Vol. 8 (1879).

٢٠. *The Cambridge Ancient History*. London: 1978.

٢١. Caskel, W. Die Alten Semitishen Gottheiten Arabian. *Le Antiche Divinita Semitiches*, Universita di Roma, Centrodi Studi Semitici (1958).

٢٢. Cohen, R. The Iron Age Fortress in the Central Negev. *BASOR*, Jerusalem (1979).

٢٣. *Corpus Inscriptionum Semiticarum*. Tomus II, Part 2. Paris: 1920.

٢٤. Dahood, M.J. Ancient Semitic Deities in Syria and Palestine. *Le Antiche Divinita Semitiche*, Universita di Roma (1958).

٢٥. Dayton, J. Midianite and Edomite Pottery. *Proceedings of Seminar for Arabian Studies*, Vol. 2, London (1972).

٢٦. Dimont, M. *Jews, God and History*. New York: 1962.

٢٧. *Dictionary of Bible*. London: Collins, 1979.

٢٨. Doe, Brain. *Monuments of South Arabia*. Naples, Italy: 1983.

٢٩. Eph al, I. *The Ancient Arabs*. Jerusalem: 1984.

٣٠. *Encyclopedia Britannica*. Mac. and Mic. London: 1974.

٣١. *Everyday Life in the Bible Times*. Melvin: National Geographic Society, 1968.

٣٢. Finegan, J. *Handbook of Biblical Chronology*. Princeton: 1964.

٣٣. Forster, C. *Historical Geography of Arabia*. London, 1984.

٣٤. Fosdick, H. *Guide to Understand the Bible*. New York: 1938.

٣٥. Freud, S. *Moses and Monotheism*. Translated by K. Jones. New York: 1939.

٣٦. Giveon, R. Lady of the Turquoise Hathor at Serabit El -Khadim and Timna. *Eretz-Israel*, Jerusalem (1975).

٣٧. Glueck, N. *Deities and Dolphins*. New York: 1965.

٣٨. Glueck, N. *Rivers in the Desert*. New York: 1959.

٣٩. Glueck, N. Some Edomite Pottery from Tell El-Kheleifeh. *BASOR*, Baghdad, No. 188 (1967).

٤٠. Gordon, C. *Ugaritic Textbook-Glossary*. Rome: 1947.

٤١. Gray, J. *The Canaanites*. London: Thames & Hudson, 1964.

٤٢. Greatz, H. *History of the Jews*. Philadelphia: 1967.

٤٣. Groom, N. *Frankincense and Myrrh*. London: 1981.

٤٤. Harden, D. *The Phoenicians*. Penguin Books, 1972.

٤٥. *Harper 's Bible Dictionary*. Edited by P. Achtemier. Cambridge: 1971.

٤٦. Heaton, E. *Everyday Life in Old Testament Times*. London: 1956.

٤٧. Henssey, J.B. Excavtion of a Late Bronze Age Temple at Amman. *PEQ* (1966).

٤٨. Herodotus. *Book 3, With an English Translation by A. Godley*. London.

٤٩. Israel, F. Arabian Trade and Sociopolitical Conditions in the Negev in the Eleventh-Twelfth Centuries B.C. *JONES*. Edited by R. Biggs. Chicago. Vol. 47 (1988).

٥٠. James, F. *Personalities of Old Testament*. New York: 1955.

٥١. *Jewish Encyclopaedia*. Leon, Italy: 1904.

٥٢. Josephus, F. *The Works*. Translated by W. Winston. London: n.d.

٥٣. Keller, W. *The Bible as History*. Translated by Neil. London: 1965.

٥٤. Kenyon, K. *Archaeology in the Holy Land*. London: 1970.

٥٥. Kitchen, K.A. *Pharoah Triumph, the Life and Times of Ramesses II.* Warminster, England: 1982.

٥٦. Knauf, E. *Midian*. Wiesband, Germany: 1988.

٥٧. Knauf, E. Midiana. *ZMDG*, Amman. Vol. 153 (1988).

٥٨. Knauf, E. Midianites and Ishmaelites. In, *Midian, Moab and Edom*. Edited by J. Sawyer. Sheffield: JSOT Press, 1983. Series 24.

Koenig, J. *Le Site de Al-Jaw Dans L ancient Pays de Madian*. Paris: 1971. .٥٩

Luvine, B. L Arabie Pre Islamique Historique et Culture. *JOAOS*. Vol. 3, No. 3. New York (1991). .٦٠

Maid of Midian, a Tragedy in Four Acts (as Recorded in the 31st Book of Numbers) Philadelphia: A.E. Armstrong, 1833. .٦١

Margolioth, D. *The Relations Between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam*. London: 1924. .٦٢

Margolis, M. and A. Marx. *A History of the Jewish People*. Philadelphia: 1953. .٦٣

Mazar, A. *Archaeology of the Land of the Bible, 10000, 586 B.C.* New York: 1990. .٦٤

Mazar, B. Ezion-Geber and Ebronah. *Eretz-Israel*, Jerusalem (1975). .٦٥

McLeod, B. The Metallurgey of King Soloman's Copper Smelters. *PEQ*, Jerusalem. Vol. 94 (1962). .٦٦

Mendenhall, G. The Bronze Age Roots of Pre Islamic Arabic. In, *Studies in History of Arabia*. Vol. 2. Riyadh: King Saud University Press, 1404 H / 1984 . .٦٧

Mendenhall, G. Qurayya and the Midianites. In, *Studies in History of Arabia*. Vol. 2. Riyadh: King Saud University Press, 1404 H / 1984. .٦٨

Mendenhall, G. *The Tenth Generation*. London: 1973. .٦٩

Meshel, Z. On the Problem of Tell El-Kheleifeh, Elath and Ezion-Geber. *Eretz-Israel*, Jerusalem (1975). .٧٠

Moscati, S. The Aramean Ahlamu. *Journal of Semitic Studies*, Rome. Vol. 4 (1959). .٧١

Moscati, S. *The Face of Ancient Orient*. New York: 1962. .٧٢

Muller, W.W. Arabian Frankincense in Antiquity According to Classical Sources. In, *Studies in History of Arabia*. Vol. 1. Riyadh: University of Riyad Press, 1399 H / 1979. .٧٣

Nagbi, M. Crescent or Legume-Shaped Ear-Rings. *Israel Exploration Journal Readers*, by Harry M. Harry M. Orlinsky. Vol. 2. Jerusalem (1981). .٧٤

Newby, G. *A History of Jews of Arabia*. University of South Carolina Press, 1988. .٧٥

Noldeke, T. Midian. *Encyclopaedia Biblical*. Edited by T.U. Cheyne & J.S. Black. London, (1906). .٧٦

Noth, M. *History of Israel*. London: 1967. .٧٧

Odelain, O., and R. Seguineau. *Dictionary of Proper Names and Places in the Bible*. Translated by Matthew J. O Connell. London: 1991. .٧٨

O Leary, D. *Arabia Before Muhammad*. New York: 1927. .٧٩

Parr, P. Aspects of the Archaeology of North-West Arabia in the First Millennium B.C. *L Arabie Pre-Islamiaque et Son Environment Historique et Culturel*. Edited by T. Fahd. Strasborg (June 1987). .٨٠

Parr, P. The Present State of Archaeological Research in the Arabian Peninsula: Achievements of the Past and Problems for the Future. In, *Studies in the History of Arabia*. Vol. 2. Riyadh: King Saud University Press, 1404 H / 1984. .٨١

Parr, P., G. Harding, and J. Dayton Preliminary Survey in N.W. Arabia, 1968. *BIA*. Vol. 8-10. London (1970-1977). .٨٢

Payne, E. Midianite Arc in Joshua and Judges. In, *Midian, Moab and Edom*. Series 24. Sheffield, JSOT Press (1983). .٨٣

Philby, H.St.J. *The Land of Midian*. London: 1957. .٨٤

Pixley, G. *On the Exodus*. New York: 1983 . .٨٥

Potts, D. Tayma and the Assyrian Empire . *Arabian Archaeology and Epigraphy*. Edited by D. Potts. Copenhagen, (1991). .٨٦

Pritchard, J. *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*. 2nd Ed. Princeton: 1955. .٨٧

Pritchard, J. *Archaeology and the Old Testament*. Princeton: 1958. .٨٨

Pritchard, J. *Gibeon*. Princeton: 1962. .٨٩

Ptolemy, C. *Geography of Claudius Ptolemy*. Translated and edited by Edward Luther Stevenson. New York: 1982. .٩٠

٩١. Rachet, G. *L Universe de L Archaeologie*. Paris, 1970.

٩٢. Rostovlzeff, M. *Caravan Cities*. Translated by D. and T. Talbot Rice. Oxford: 1932.

٩٣. Rothenberg, B. and Glass, J. *Timna*. T & H, 1972.

٩٤. Rothenberg, B. The Midianite Pottery. In, *Midian, Moab, Edom*. Series 24. Sheffield: JSOT Press (1983).

٩٥. Seter, V. *Abraham in History and Tradition*. Yale University, 1975.

٩٦. Strika, V. The Origin of the Star Motifs on the Funerary Monuments of Arabia. In, *Studies in History of Arabia*. Vol. 2. Riyadh: King Saud University Press, 1404 H / 1984.

٩٧. Talec, P. *The Patriarchs and Moses*. Minnesota: 1981.

٩٨. A.L.O.E. *Triumph Over Midian*. New York: 1870.

٩٩. Winnett, F. A Reconsideration of Some of the Inscriptions from the Tayma Area. *Studies in History of Arabia*. Vol. 1. Riyadh: University of Riyad Press, 1399 H /1989.

١٠٠. Winnett, F. and Reed, W. *Ancient Records from North Arabia*. Toronto: 1970.

١٠١. Woodrow, M. *People from the Bible*. Italy: 1987.

١٠٢. *The World Book Encyclopedia*. Chicago: 1986.

الملاحق

ثبت بأسماء أهم الأعلام

انجليزي	عبري	عربي
Abram	אברם	إبراهيم
Abraham	אברהם	
Abida	אבידע	أبيدع
Abihu	אביהוא	أبيهو
Agag	אגג	اجاج
Ahmosis	—	أحمس
AKhenaten	—	إخناتون
Ahiman	אחימן	أخيمان
Edom	אדום	إدوم
Adbeel	אדבאל	أدبئيل
Adoni Zedek	אדוני צדק	أدوني صادق
Aramaeans	בני ארם	الاراميون
Isaac	יצחק	إسحاق
Israel	ישראל	إسرائيل
Esarhaddon	—	أسرحدون
Ishmael	ישמעאל	إسماعيل
Ishmaelites	ישמעאלים	إسماعيليون
Asshur	אשור	أشور
Ashurbanibal	—	أشور بانيبال
Rulers of Philistine	סרני פלשתים	أقطاب الفلسطينيين
Akkadieans	—	الأكاديون
Eldaah	אלדעה	الدعة
Eleazar	אלעזר	العازار

انجليزي	عبري	عربي
Eliezer	אליעזר	أليعازار
Eliphaz	אליפז	اليفاز
Amorites	האמרי	الاموريون
Nabataeans	—	الأنباط
Amenhoteb III	—	أمنحوتب الثالث
Evi	אוי	أوى
Sons of Midian	—	أهل مدين
El.	אלה	إيل
Elath	—	إيلة بنت إبراهيم
Emites	האמים	الإيميون
Job	איוב	أيوب
Balak Son of Zippor	בלק בן צפור	بالاق بن صفور
Baal	בעלים	بعل
Baal peor	בעל פעור	بعل فغور
Balaam Son of Beor	בלעם בן בעור	بلعام بن بعور
Babylonean	—	البابليون
Ben Ammi	בן עמי	بن عمى
Sons of Midian	בני מדין	بنو مدين
People of east	בני קדם	بنو المشرق
Terah	תרח	تارح
Tuthmoisi I,II,III	—	تحوتمس ١.٢.٣
Tiglath- Pileser	—	تغلاث بليزر ٣
Talmai	תלמי	تلماى
Timna	תמנע	تمناع
Tutankhamun	—	توت عنخ آمون

انجليـــزي	عبـــري	عـــربي
Tema	תימא	تيما
Gadite	הגדי	الجاديون
Goliath	גלית	جالوت
Gideon Son of Joash The Abiezrite	גדעון בן יואש אבי העזרי	جدعون بن يوآش الأبيعزري
The Girgashite	הגרגשי	الجرجاشيون
Girzites	הגרזי	الجرزيون
Gershom	גרשם	جرشوم
Geshurites	הגשורי	الجشوريون
Gindibu	–	جندب (جنديبو)
Heber The Kenite	חבר הקיני	حابر القيني
Hathor	–	حتحور
Hatshepsut	–	حتشبسوت
The Hittite	החתי	الحيثيون
Hadad	חדד	حداد (حدار)
Hammurabi	–	حمورابي
Hanoch	חנך	حنوك
Hobab Son of Reuel	חבב בן רעואל	حوباب بن رعوئيل
Hur	חור	حور
Horites	החורי	الحوريون
Husham	חשם	حوشام
Hivites	החוי	الحويون
Hiram	חירם	حيرام
Khafre	–	خفرع
Khufu	–	خوفو
David	דוד	داود

انجليـــزي	عبـــري	عـــربي
Deborah	דבורה	دبورة
Debir	דביר	دبير (ملك عجلون)
Dedan	דדן	ددان
Doeg The Edomite	דאג האדמי	دواغ الإدومي
Dumah	דומה	دومة
Zeeb	זאב	ذئب
Reba	רבע	رابع
Rekem	רקם	راقم
Rehoboam	רחבעם	رحبعام
Reuel	רעואל	رعوئيل
Rephaim	רפאים	رفائيون
Raamses I,II,II	רעמסס	رمسيس ١، ٢، ٣
Romans	–	الرومان
Zebah	זבח	زبح
Zimran	זמרן	زمران
Zamzumites	זמזמי	زمزميون
Sahu- Re.	–	ساحورع
Simites	–	الساميون
Sheba	שבא - סבא	سبأ
Sargon II	סרגון	سرجون (٢)
Seir	שעיר	سعير
Solomon	שלמה	سليمان
Samlah	שמלה	سملة
Sennacherib	סנחריב	سنحريب
Sumerians	–	السومريون

انجليزي	عبري	عربي
Sety	—	سيتي
Sihon	סיחון	سيحون
Sisera	סיסרא	سيسرا
Saul	שאול	شاؤل
Sea Peoples	—	شعوب البحر
Shuah	שוח	شوحا
Sheshai	ששי	شيشاى
Shu aib	—	شعيب
Shalmaneser III	שלמנאסר	شلمناصر الثالث
Shishak	שושק	شيشق
Saleh	—	صالح
Zalmunna	צלמנע	صلمناع
Zur	צור	صور
Zipporah	צפורה	صفورة
———	—	طالوت
Hebrew	עברי	عبري
Hebrews	עברים	عبريون
Eglon	עגלון	عجلون
Arabs	ערב	عرب
Epher	עפר	عيفر (عفر)
Amalek	עמלק	عماليق
Omar Ben-El-Khattab	—	عمر بن الخطاب
Amr Ben- El-Aas	—	عمرو بن العاص
Ammon	עמון	عمون
Sons of Ammon	בני עמון	بني عمون
Anak	ענק	عناق

انجليـــزي	عبـــري	عـــربي
Anakites	הענקים	العناقيون
Og	עוג	عوج
Esau	עישו	عيسو
Ephah	עיפה	عيفة
Ghassanides	—	الغساسنة
Oreb	עורב	غراب
Piram	פראם	فرأم
Perizzites	הפרזי	الفرزيون
Persians	—	الفرس
Pharaoh	פרעה	فرعون
Peor	פעור	فغور
Philistines	פלשתים	الفلسطينيون
Potiphar	פוטיפר	فوطيفار
Phonicians	—	الفينيقيون
Cain	קין	قايين
Kedemah	קדמה	قدمة
Quraish	—	قريش
Keturah	קטורה	قطورة
Cambyses	—	قمبيز
Kenizzites	הקנזי	القنزيون
Cyrus	—	قورش
The Kenite	הקין	القيني
The Kenites	הקיני	القينيون
Descendants of Kenite Father in Law of Moses	בני קין חתן משה	بنو القيني حمو موسى
Kedar	קידר	قيدار

انجليـــزي	عبـــري	عـــربي
Caleb Son of Jephunneh	כולב בן יפנה	كالب بن يفنة
Kamose	—	كامس
Priest of Midian	כהן מדין	كاهن مدين
Cozbi Daughter of Zur	כזבי בת צור	كزبى بنت صور
Canaan	כנען	كنعان
Canaanites	כנעני	كنعانيون
Cush	כוש	كوش
Cushan Rishathaim	כושן רשעתים	كوشان رشعتايم
Cushite	כושית	كوشـية
Lot	לוט	لوط
Me Zahab	מי זהב	ماء ذهب
Malik Ben Doar	—	مالك بن دعر
Mibsam	מבשם	مبسام
Mohammed	—	محمـد
Medan	מדן	مدان
Midian	מדין	مدين
Midianites	מדינים	مديانيون
Merenptah	—	مرنبتاح
Massa	משא	مسـا
Mishma	משמע	مشماع
Matred	מטרד	مطرد
Maacah	מעכה	معكة
Maacaite	המעכי	معكيون
Manasseh	מנשה	منسى
Menkaure	—	منقرع

انجليـــزي	عبـــري	عـــربي
Nazarites., Nazarenes	—	المناذرة
Mehetebel	מהיטבאל	مهيطبئيل
Moab	מואב	موآب
Moabites	מואבים	المؤابيون
Moses	משה	موسى
Mesha	מישע	ميشع
Mabonidus	—	نابونيدوس
Nadab	נדב	ناداب
Naphish	נפיש	نافيش
Nebaioth	נביות	نبايوت
Nebuchadnezzar	נבכדנאצר	نبوخذ نصر
Noah	נח	نوح
Neferty	—	نفرتيتي
Aaron	אהרן	هارون
Hadad Son of Bedad	הדד בן בדד	هداد بن بداد
Hyksos	—	الهكسوس
Hud	—	هود
Horam	הרם	هورام
Hoham	הוהם	هوهام
Jabin	יבין	يابين
Jael	יעל	ياعيل
Japhia	יפיע	يافيع
Jebusi	יבוס	يبوسي
Jebusite	יבוסי	اليبوسيون
Jethro	יתר	يثرون

انجليزي	عبري	عربي
Jeroboam	ירבעם	يربعام
Jarmuth	ירמות	يرموث
Ishbak	ישבק	يشباق
Joshua Son of Nun	יהושע בן נון	يشوع بن نون
Jetur	יטור	يطور
Jacob	יעקב	يعقوب
Jokshan	יקשן	يقشان
Joktan	—	يقطان
Jobab Son of Zerah	יובב בן זרח	يوباب بن زارح
Joseph	יוסף	يوسف
Judah	יהודה	يهوذا
Jehoshaphat	יהושפט	يهوشافاط
Yahweh/Jehovah	יהוה	يهوه
Jehoiakim	יהויקים	يهو ياقيم
Jehoiachin	יהויכין	يهو ياكين
Greeks	—	اليونان

ثبت بأسماء أهم المواقع

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
أبار عيفه	مكر عيفة		Makar Epha	
أبار نصيف	الفحلتان			
أبل شطيم		אבל השטים	Abel- The Shittim	
الأبزيم				
إبـلا		אדום	Ebla	
إثـرة			Ithra	
الأحقاف	منازل عاد			
إدوم	أرض أدوم		Edom	
أذرح				
اذرعي		אדרעי	Edrei	
أرام	جبل أرام- إرم	ארם	Aram	في حسمة
أرجوب		ארגב	Argob	
الأردن		ירדן	Jordan	
أرض كنعان		ארץ כנען	Land O Canaan	
أرنون	وادي المجيب	ארנון	Arnon	
أريحا		ירחו	Jericho	
الأزلم			Al- azlam	
اسدرلون	تل المتسلم		Esdraelon	اسدرلون اسم هيلنستي
	سهل مجدو	מגדו	Megido	
	مرج ابن عامر			
	يزرعيل	יזרעאל	Jezreel	
الأسمر (وادي)				
أسوف (بحر)	بحر سوف	ים סוף		
أشور		אשור	Ashur, Assyria	
أشدود			Ashdod	
إصطبل عنتر				في أرض بلقين

أعفر	جبل أعفر			
الأعوج				مدينة مديانية
أفاريس	تانيس		Avaris	
الأقرع				
أكرة	أكرة النهدين عكرة			
ألوش		אלוש	Alush	
أوبوت		אבות	Oboth	
أوجاريت	رأس شمرا		Ugarit	
أوفير		אופרה	Ophir	
إيثام		אתם	Etham	
أيلة	إيلات	אלות	Elath	مدينة مديانية
	عصيون جابر	עציון גבר	Ezion Geber	
	بطمة فاران	איל פארן	El Paran	فاران هي رأس محمد
إيليم	١٢عين ماء و٧٠ نخلة (واحة)	אילמה	Elim	
أيكة	تبوك		Tabok	
	الحوراء		Houra	
	لويكة كومة		Leuka - Koma	

ب

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
بادية الشام				
بابل			Babylon	
البتراء			Petrea	
باشان		הבשן	Bashan	
البحر الأحمر	الخليج العربي		Red Sea	
	بحر القلزم		Erythraean Sea	
بحر سوف	خليج العقبة	ים סוף	Sea of Reed	٠أ موسل

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
بحر القصب	بحيرة التمساح		Sea of Reed	ملوك الأول ٩ : ٢٦
البحر الميت	بحر العربة		Dead Sea	
	بحر الملح	ים המלח		
بحيرة طبرية				
بـدا				
البدع	مغاير شعيب		Bad	
	مغارة شعيب			
برية مدين				
بصرى		בצרה	Bozrah	
بلاد الشام				
بلاد الرافدين			Mesopotamia	
بني عطية				
بني يعقان		בני יעקן	Bene Jaakan	
بيت إيل		בית אלים	Beth El	
بيت يشموت		בית הישמות	Beth The- Jeshimoth	
بئر البارود				
بئر الجديد				
بئر الزمر				
بئر السبع		באר שבע	Beersheba	
بئر العلاني				
بئر مرشة				
بئر موسى				
البئرين			El- Birain	مدينة مديانية

ت

عــربي	مــرادف	عبــري	انجليــزي	ملاحظــات
تابور		תבור	Tabor	
تاحت		תחת	Tahath	
تاران				
تارح		תרח	Terah	
تبعيرة		תבערה	Taberah	
تبوك			Tabok	
تدمر			Tadmur	
ترشيش		תרשיש	Tarshish	
تل أبيب		תל אביב	Tel- Abib,Tel-Aviv	
تل الحريري	ماري			
تل حلف				
تل الخليفة				
تل الدوير				
تل دير علا				
تل العجول				
تل العمارنة				
تل فارة				
تل ماسوس	خربة المشاش			
تل مرديخ				
تل مسخوطة				
تمنع	تمناع	الموينعية		
تيماء	تيمان	תימא	Tayma - Tema	
التيه	عجرود			

ج

عربي	مـرادف	عبـري	انجليــــزي	ملاحظـــــات
جات		גת	Gath	
جازر		גזר	Gezer	
جبعون		גבעון	Gibeon	
جبل حوريب		הר חורב	Horeb	
جبل دباغ				
جبل شار				
،، عريق اليسري				
جبل اللوز				
جبل مرشة				
جبل هور		הר ההר	Hor - Mount	مات فيه هـارون
جدور		גדור	Gedor	
الجربا				
الجرف				
جزيرة أم بور				
جزيرة برمعان				
جزيرة صنافر				
جزيرة تيران				
جلعاد		גלעד	Gilead	
الجنينة				
الجـو			Al - Jaw	
الجواء				
الجوف			Al - Jauf	

ح

عـربي	مـرادف	عبـري	انجليــــزي	ملاحظـــــات
حاصور		חצור	Hazor	
الحجر	مدائن صالح		Hegra , Egra	

حرادة		חרדה	Haradah	
حران		חרן	Haran , Harranu	
حرة تبوك				
حرة الرجلاء	في ديار بني القين			
حرة فدك				
حرة ليلى				
حرة النار				
حسمة/حسمى	في أرض جذام		Hisma	بها جبل جوريعل وماء الطوفان
حشبون		חשבון	Heshbon	
حشمونة		חשמנה	Hashmonah	
حضيروت		חצרת	Hazeroth	
حقل	وادي مبرك		Haql	
الحمض				
الحميضة				
الحنك				
الحوراء	لويكة كومة		Leuka Koma	مدينة مديانية
	ليوقة قوما			
	ليكة			
	العقبة الزرقاء			
حور الجدجاد		חר הגדגד	Hor Haggidgad	
حويلة		חוילה	Havilah	
الحيرة				
فم الحيروث		פי החירת	Hahiroth	
خلع البدر				
الخلصة			Al- Khalsah	مدينة مديانية
الخويرق			Al- Khwairik	مدينة مديانية

د

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
الدار الحمراء				
دجلة والفرات				
درب الملاح				
دفقة		דפקה	Dophkah	
دومة الجندل	دوما	דומה	Dumat- El- Gandal	من مدن لوط لدى
	دوماتا			الطبري وفي الوثائق
	دوم - شجر			الأشورية
	جندل - خشب			
ديبون	ذيبان	דיבן	Dibon	

ذ

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
ذات المنازل				
ذو مروة	أبو المرو			
ذو حشب				
ذو الرقيبة				

ر

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
راقم		רקם	Rekem	يظن أنها مدينة الملك
				المدياني راقم
رثمه		רתמה	Rithmah	
الرحبة				
الرس			Al- Rass	
رسه		רסה	Rissah	
رفيديم		רפידים	Rephidim	
الرقة				مدينة مديانية

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
الرقيبة	نو الرقبة			
رمون فارص		רמן פרץ	Rimmon Perez	
رواف				
الروافة				

ز

عـربي	مـرادف	عبـري	انجليـزي	ملاحظـات
زارد		זרד	Zered	
الزيتة	وادي الزينة			
الزينة	جبال الزينة			

س

عـربي	مـرادف	عبـري	انجليـزي	ملاحظـات
السبع				مدينة مديانية
سبمة		שבמה	Sibmah	
سبيتازفث				بقايا معبد أو مزار
سدوم		סדם	Sodom	مدينة لوط
سرغ				
سرف				
سعير	جبل - بلاد أدوم	שעיר	Seir	
سلخة		סלכה	Salechah	
سلمى				
سكوت		סכתה	Succoth	
سنير	جبل حرمون			
السنيطة			Al- Senaitah	مدينة مديانية تصغير سنطة واحدة شجر السنط والسنط المفصل بين الكف والساعد

السويداء				
سين	برية	מדבר סין	Desert of Sinai	
سيناء	صحراء سيناء	סיני	Desert of Sinai	

ش

عــربي	مــرادف	عبــري	انجليــزي	ملاحظـــات
شافر	جبل شافر	הר שפר	Shepher	
الشراة				
الشرف	شرفة بني عطية			
	الشرمة			
شرم دبة	شرم ضبا			
شرمة	وادي شرمة			
شمرا	واحة شمرا			
شرودي	جبال شرودي			
شعيب الصوير				
شعب الجان				في مقنا
شغب				
شور	برية شور	שור	Shur	
شور عفار				
الشيخ حميد				

ص

عــربي	مــرادف	عبــري	انجليــزي	ملاحظـــات
صخرة أم سرهج				
صرتان .	صردة	צרתן - צרתנה	Zarethan	
صفراء				صفورة شعيب
صفراء شعيب				صفورة
صفورية				
صفون	بعل صفون	צפון	Zephon	
صلمونة		צלמנה	Zalmonah	صلم + و ن ة

الصوير	شعيب الصوير			تصفير صور
صين	برية صين	מדבר צן	Desert of Zin	

ض

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
ضبا			Ziba Diba	

ط

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
طويلان			Tawillan	
الطور			Al- Tur	
طيب الاسم				

ظ

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
ظهر الحمار				

ع

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
عباريم	جبال عباريم	הרי העברים	Mot. The Abarim	
عبرونة		עברנה	Abronah	
عراد		ערד	Arad	
عربة	وادي عربة	ערבה	Arabah	
عربات موآب		ערבות מואב	Plains of Moab	
العربية			Arabia	
عروعير				
عسقلان		אשקלון	Ashkelon	
عصيون جابر		עציון גבר	Ezion Geber	
عفار				
عفال	وادي عفال			
عفرة		עפרה	Aphar	يظن أنها مدينة عفر/
				يشوع ١٨ : ٢٣

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
عقرون		עקרון	Ekron	
العقيق	النبط			
علمون دبلاتايم		עלמן דבלתימה	Almon Diblathaim	
عمان				
العويند				
العوجا	خرابة لوزان			
	خرابة لوسان			
عي عباريم		עיי העברים	Iye- The Abarim	
العيص				
عين أنا	عينونة – عينونا			
عيون القصب				
عييم		עיים	Iyim	
عينية				

غ

عـربي	مـرادف	عبـري	انجليـزي	ملاحظـــات
غـزة		עזה	Gaza	

ف

عـربي	مـرادف	عبـري	انجليـزي	ملاحظـــات
فـاج				
فاخرة				
فاران	رأس محمد	פארן	Paran	مدينة مديانية
				Forster, Ibid, vol. 2, p. 110.
فدك				
الفرع				
فرغ				
فلسطين		פלשת	Philistia-Palestine	
فونون		פונן	Punon	
فيد				

فيفاء مدان				نزل الجيش بها في غزوة
				زيد بن حارثة إلى جذام
				- الطبري جـ٣/١٦٤
فينيقيا			Phonicia	

ق

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
قادش		קדשה	Kadesh	
قادش برنيع			Kadesh- Bamea	
القدس		ירו שלם	Jerusalem	
قاع بني مر				
قبروث هتاوة		קברת התאוה	Kibroth- hattavah	
قبصئيل		קבצאל	Kabzeel	
قرار	قرقر		Karkar	
قُرية			Qurayya	تصغير قرية
قرى	وادي القرى			
القزاز	مشفل القزاز			
قطاع الرقبان				
قـو	وادي قو			
القلزم (مدينة)				مدينة مديانية
القلزم (بحر)	البحر الأحمر			
قهيلاته		קהלתה	Kehelathah	

ك

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
كـاف			Kaf	
الكرمل (جبل)				
الكفاف	جبل الكفاف			
كفر مدة	مدين			
كنعان		כנען	Canaan	

ل

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
لاخيش				
لطيفة				
لوز				

م

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
مأدبا	ميدبا			
المابية				
مارة		מרה	Marah	
مارى	تل الحريري		Mari	
المائن			Al- Ma'in	مدينة مديانية
متقة		מתקה	Mithcah	
المثلث	قرية المثلث			
مجدل		מגדל	Migdol	
مجدو	تل المتسلم	מגדו	Megido	
المحدثة			Al- Mohdathah	مدينة مديانية
المدرة				
مدين	مدينة مدين		Midian	مدينة مديانية فيها آثار عجيبة وعمد عظيمة
المدينة المنورة	يثرب		Al- Madinah	
				وعمد عظيمة/المقريزي
المـر	المروة – أبو المرو		El- Morwah - Abal	
	نو المـرو		Maru - Zul Marwah	
المر يسيع				
مسروت		מסרות	Moseroth	
مسى / مسا		מסא	Massa	قرية على ساحل مدين
المشرفة				

مصر		מצרים	Egypt, Misraim	
معدن البرام				في الحوراء
معدن بيش				
معدن شمام				
معدن فران				
معادن القبلية				
معدن اللقيط				
معدن ماوان				
معدن المحجة				
معدن المزيدة				
معدن منضح				
معدن النصيب				
معدن النقرة				
معدن النقيب				
المعلق			Al- Ma'lak	مدينة مديانية
المفرق				
مقنا			Makna, maqna, Macna	مدينة مديانية
مقهيلوت		מקהלת	Makheloth	مدينة مديانية
مكة المكرمة			Mecca	
المنية			A- Meniah	
موآب		מואב	Moab	
المويتعية	تمتع			
المويلح			Mowalih	

ن

عـربي	مـرادف	عبـري	انجليـزي	ملاحظـــات
النبك				
النبط				
نبو (جبل)		נבו	Nebo	
نحاس (خربة)				

عربي	مرادف	عبري	انجليزي	ملاحظات
النخيل				
النطوف (وادي)				
النُقاب				وهو جمع نقب، موضع بين المدينة ووادي القرى (وادي المياه)٠ البكري، معجم ، جـ٤ /١٣١٩٠
النقب		נגב	Negev, Negeb	بمعنى جاف

و

عـربي	مـرادف	عبـري	انجليـزي	ملاحظـات
وادي الأخضر				
وادي أظلم	وادي ظلم			
وادي الأراك				به شجر الأراك
وادي جلواخ				
وادي الذرابة				
وادي الصدر				
وادي عربة				
وادي عقال				
وادي عيثوة				
وادي القرى	ذو خشب			
وادي المدان				في بلاد قضاعة بناحية حرة الرجلاء يسيل منها شرقا٠
وادي المقر				
وادي موسى				
وادي هنوم		גי הנם	Hinnom (Valleyof)	

ي

عـربي	مـرادف	عبــري	انجليــزي	ملاحظــــات
يبوك	يبوق نهر الزرقا	יבק	Jabbok, Blue River	
يثرب	المدينة المنورة		Yathribu	
اليرموك (نهر)			Yarmok	
يطبات		יטבתה	Jotbathah	

ثبت المصطلحات

Acassia - Cassia	شجر السنط (صمغ عربي)
Agate	العقيق الملون (اليشب)
Arabian Sheild	الدرع العربي
Arches	أقواس
Atelier	مشغل
Azorite	معدن اللازورد
Bactrian	جمل ذو سنامين
Bamah, Bamoth	مرتفعات – معليات
Bichrome	ثنائي اللون
Blach Quartz (Negro)	المرو الأسود
Bowls	زبديات (طاسات)
Breccia	صخر مؤلف من شظايا
Bronze	البرونز (نحاس كما جاء في التوراة)
Cairns	أنصاب (رجوم)
Carnelain	عقيق أحمر
Chalcedony	العقيق الأبيض
Chevrons	شارات
Cinamon	قرفة
City State	دولة مدينة
Cross - Hatching	تظليلات متقاطعة
Crosses	متقاطعات
Cyma	حلية صورتها الجانبية متموجة
Decapolis	العشر مدن
Dolmen	ضريح

Dolmite Cliffs	صخور الدولمايت
Dots and Dot Centered	دوائر بها نقطة مركز الدائرة
Dormedary	الجمل ذو السنام الواحد
Ephah	إيفة (من الموازين)
Festoons	فستونات (أشرطة من زهور)
Fossils	أحافير
Frag ments	كسر
Guiess	صخر صواني (النايس)
Goblets	أقداح
Gold	ذهب
Gold Dust	غبار الذهب
Granites	صخور الجرانيت
Hematite	حجر الدم (هيماتيت)
Hyaline Quartz	كرستال صخري شفاف
Independent Motifs	عناصر زخرفية مستقلة
Ionian	أيوني
Iron	حديد
Joining Semicircles	أنصاف دوائر متصلة (أهلة)
Jugs	أباريق
Juglets	أباريق صغيرة
Kaolin	صلصال طيني أبيض
Kesita	قسيطة
Knob	مقبض
Lapis Lazuli	حجر اللازورد
Lava	حمم (مقذوفات البراكين)
Lead	رصاص
Limestons	الحجر الجيري

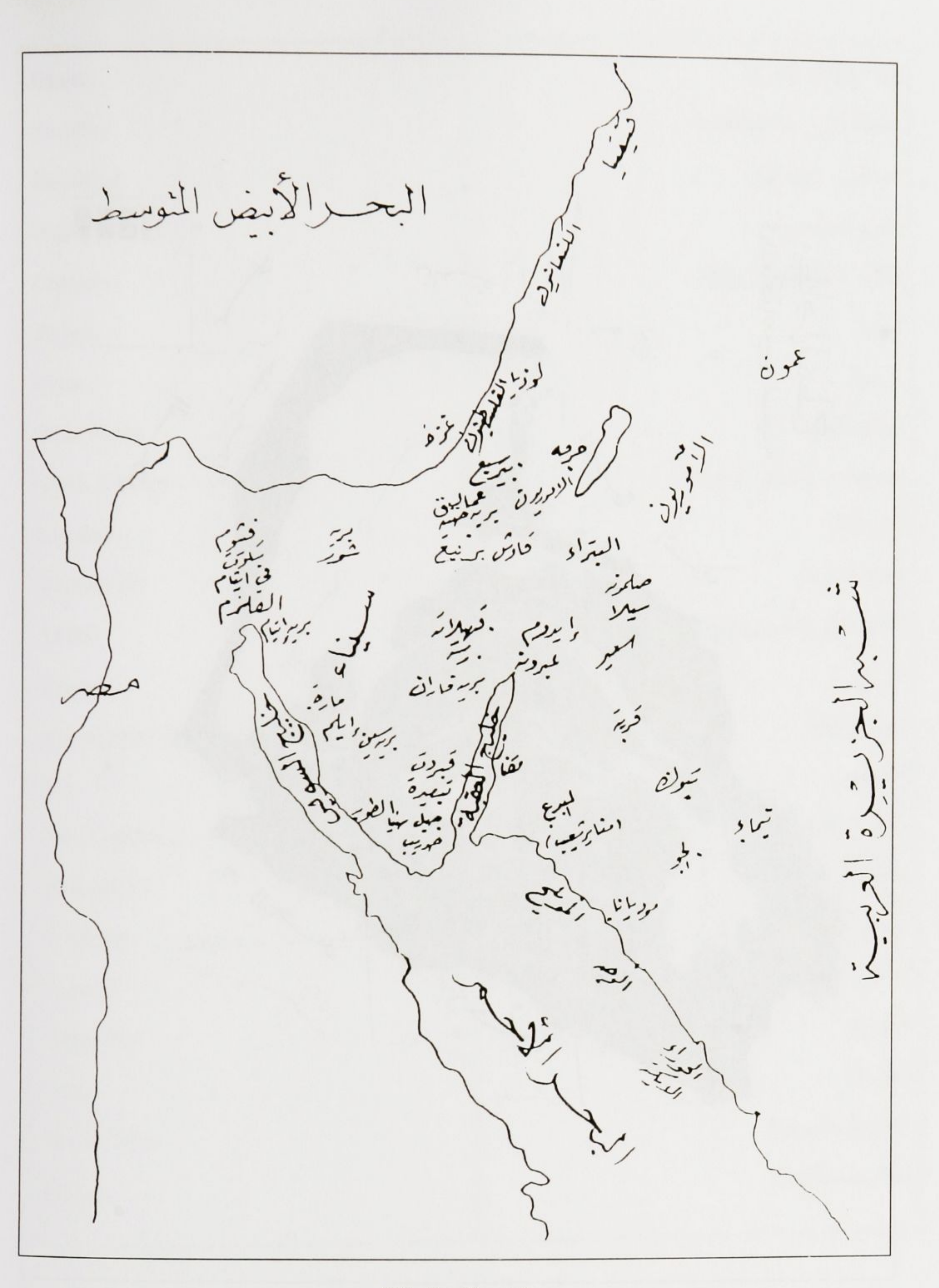
Lozenges	معينات
Luxury Wares	السلع النفيسة
Mafkat	مفكات (أي معدن النحاس أو الفيروز)
Malachite	الملاكيت (معدن)
Menhirs	مذابح (مناحر)
Metop	إطار للصورة
Mica	مادة شبه زجاجية
Middle White Horizon	الأفق الأبيض الوسيط
Mining Technology	تقنية محجرية (تعدينية)
Neolithic	العصر الحجري الحديث
Nets	شبكات
Nodules	عجر (عقد)
Nubian	نوبي
Omer	العمر (من الموازين)
Paleozoic Nubian	النوبي الباليوزي
Parallel Lines	خطوط متوازية
Patina	كمخ (غشاء)
Petrography	وصف الصخور وتصنيفها
Philister	فلستر (فلسطيني)
Piriform	إهليلجي
Plastic Art	مشخصات
Polis	مدينة
Profile	جانب
Proto–Type	نموذج باكر
Quartz	مرو
Quartz–Feldspathic	فلسباد كوارتزي
Reef	صيد بحري

Sanna	سنا (نبات السنا)
Scrolls	حلية مدروجة (لفائف)
Senonian	صخور سينونيان
Shale	طين صفحي
Shekel	شاقل (من الموازين)
Silver	فضة
State	إردواز
Stick Form	شكل العصا
Stone Circles	مسيجات (دوائر حجرية)
Syaghah	صياغة
Tabernacle	معبد الخيمة
Talent	وزنة (من الموازين)
Temper	مزاج
Terra Cota Figurines	دمى طينية
Tin	قصدير
Tree Ogham	شجرة الفبائية
Triangles	مثلثات
Triglyph	بروز مستطيل في إفريز
Tumuli	مدافن تلال
Turquoise	الفيروز
Varia	متنوعة
Wavy Lines	خطوط متموجة
Zigzag	خطوط منكسرة



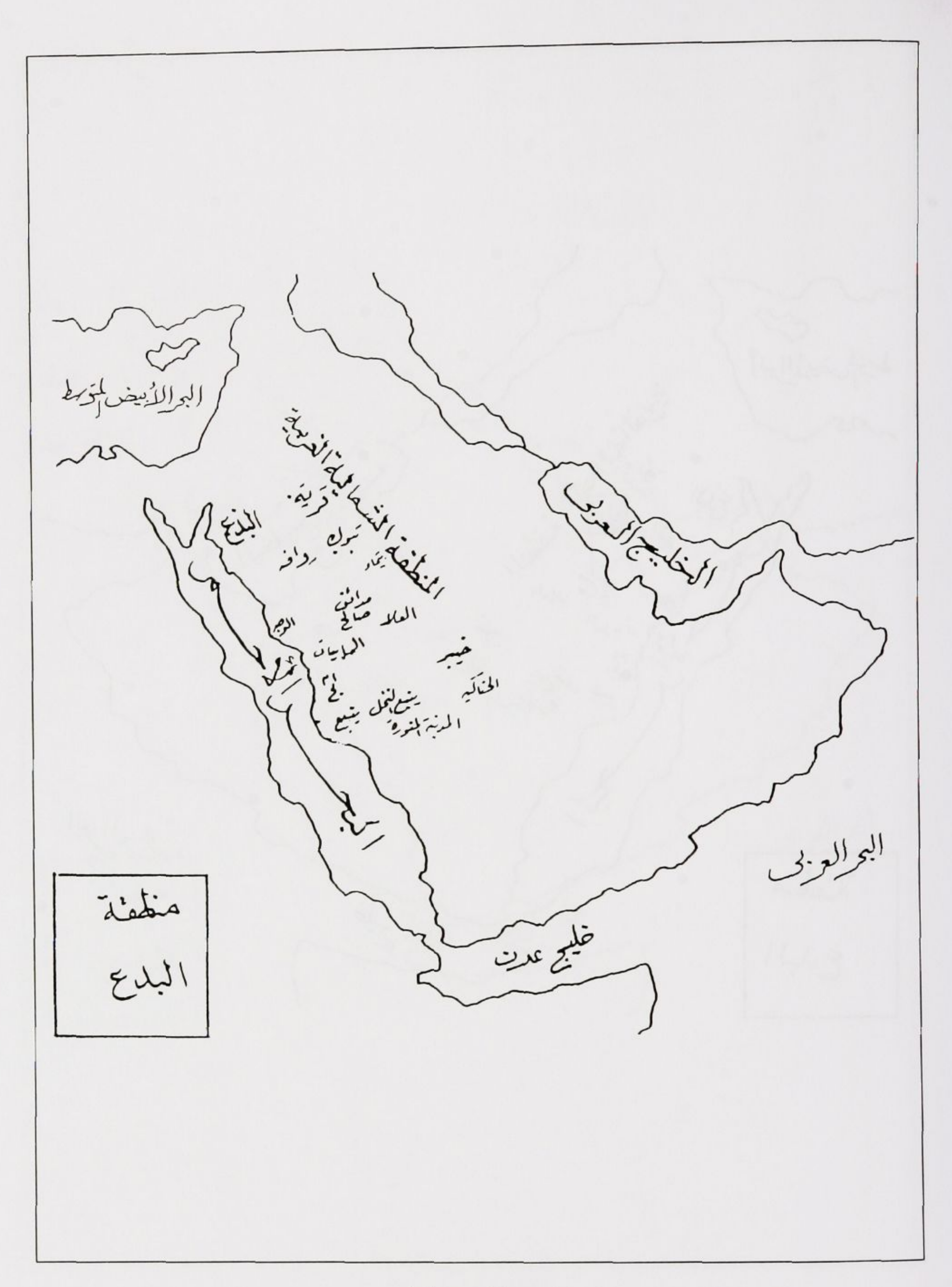
الخريطة رقم (١)

بندقجي، أطلس، خريطة رقم ١٥



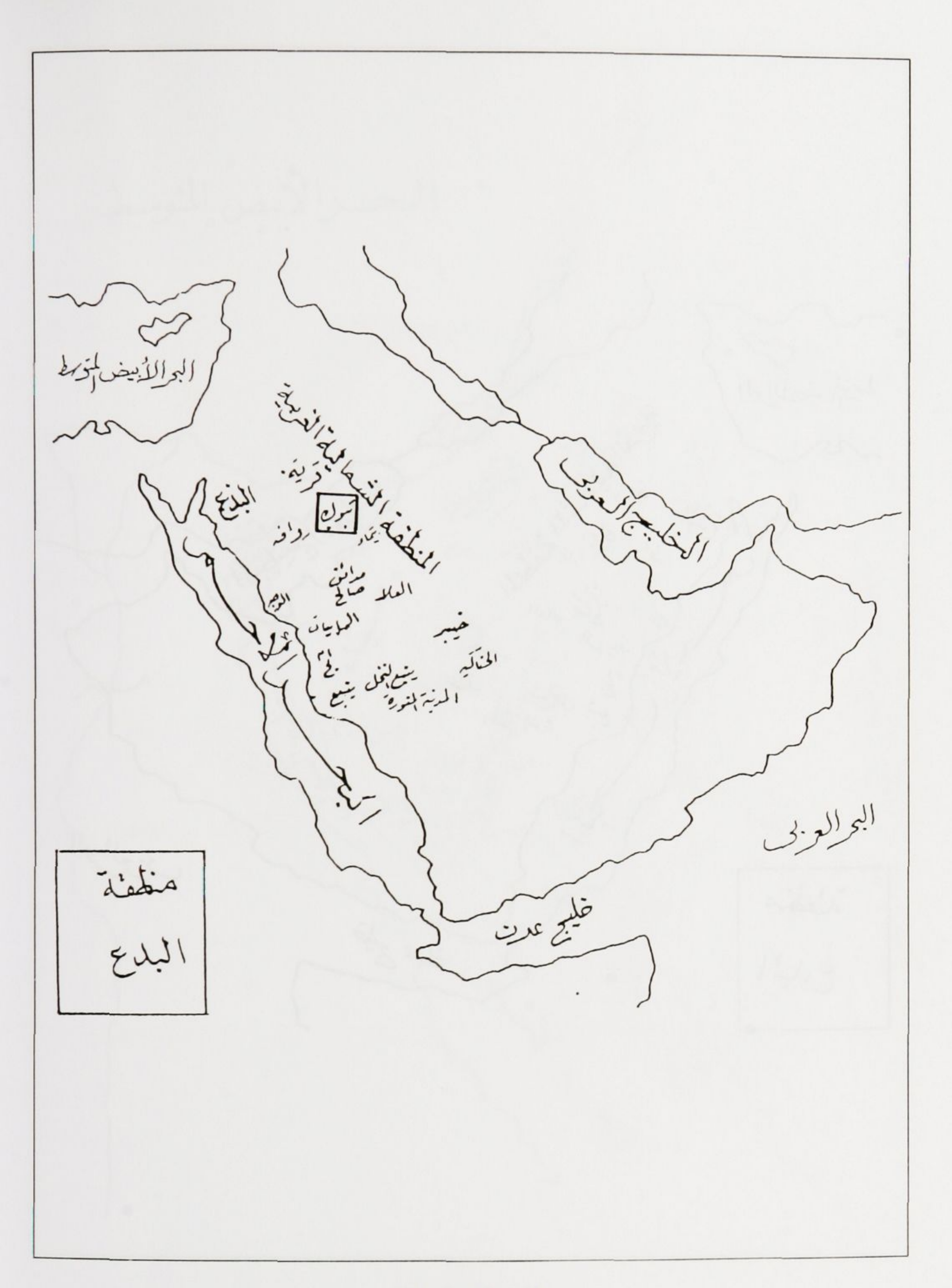
الخريطة رقم (٢)

مدن مدين في سيناء وجزيرة العرب، من خارطة كتاب التوراة بتصرف



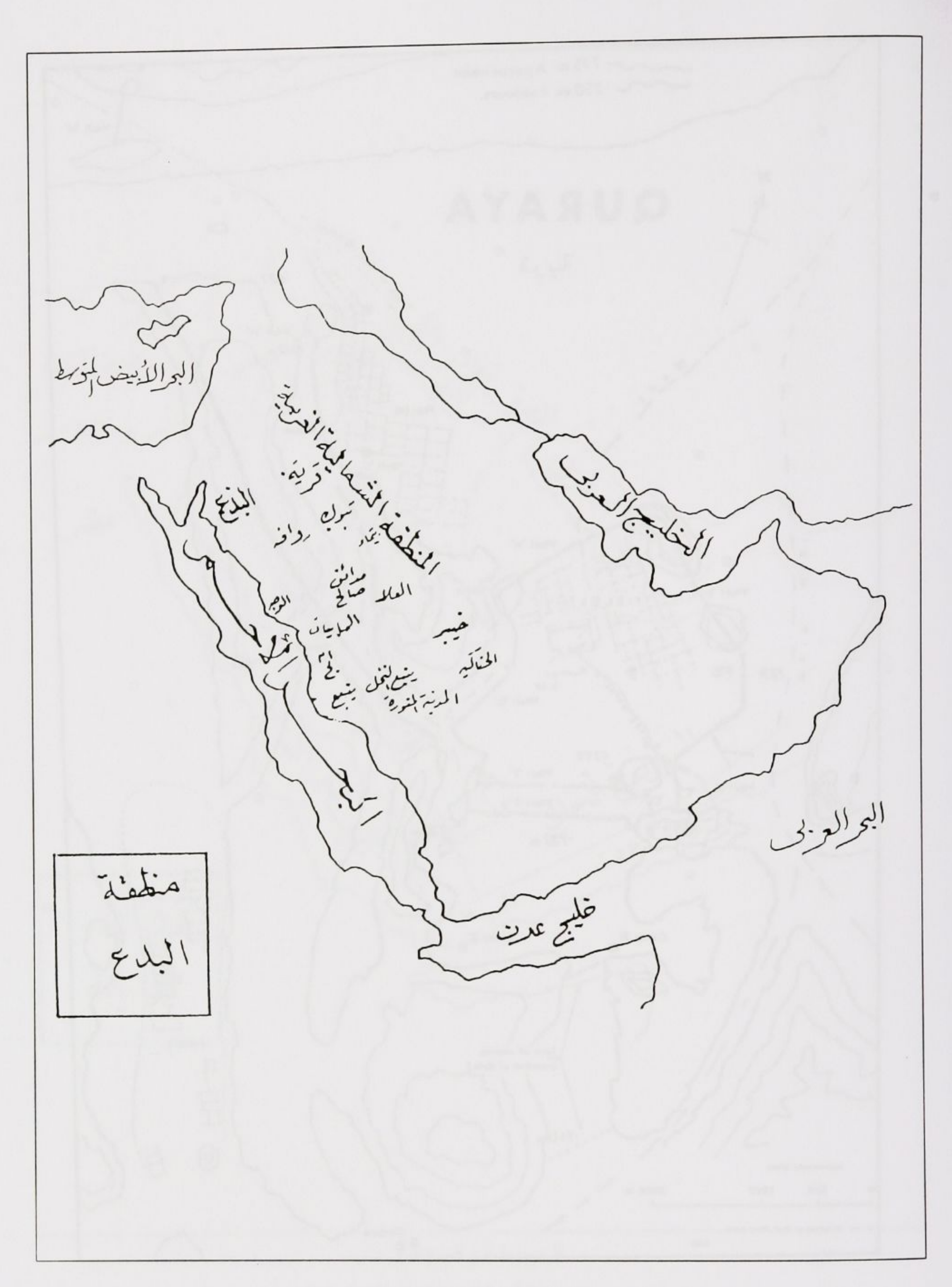
الخريطة رقم (٣)

مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ص ٩٨ بتصرف



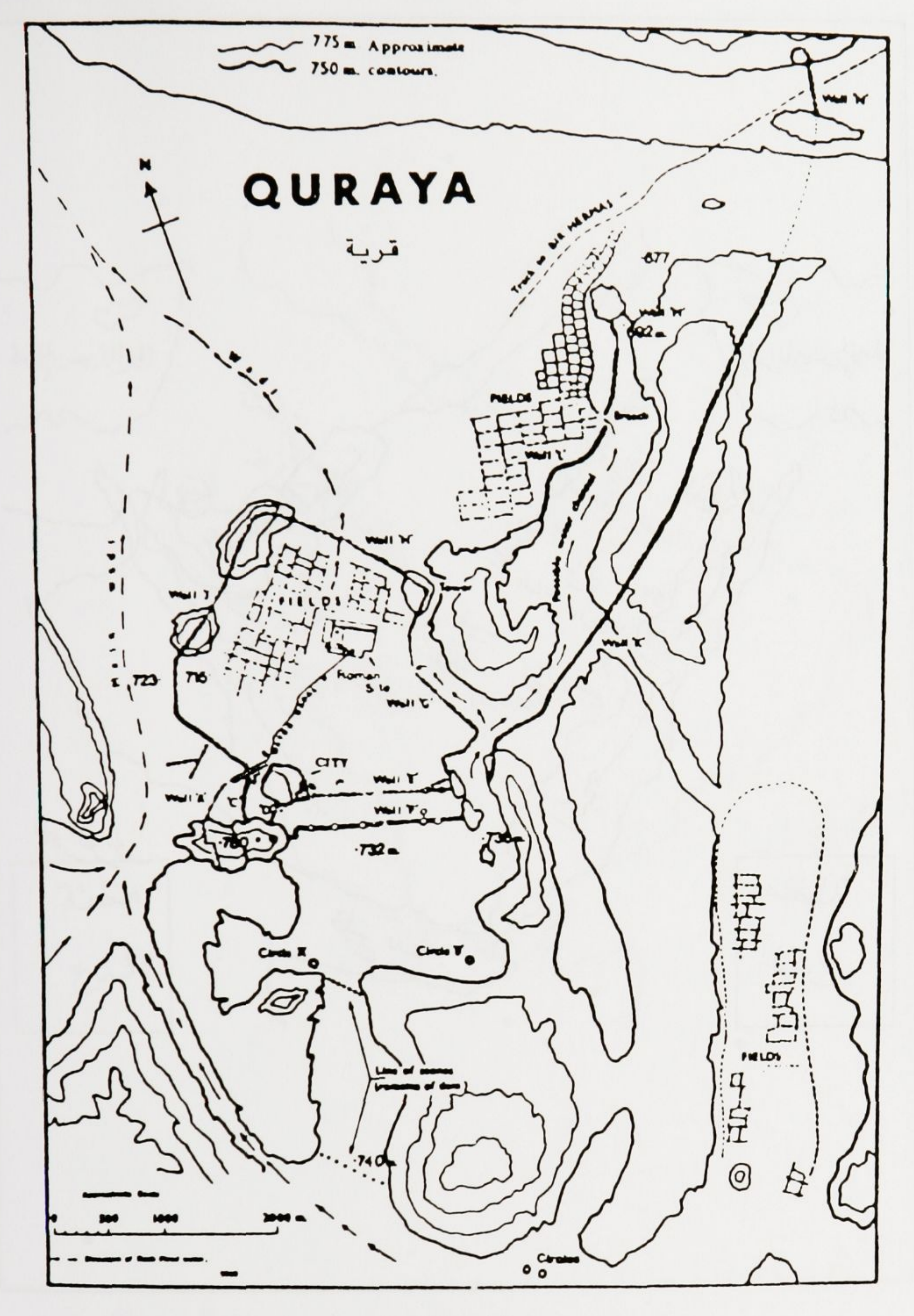
الخريطة رقم (٤)

منطقة تبوك. مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ص ٩٨ **بتصرف**



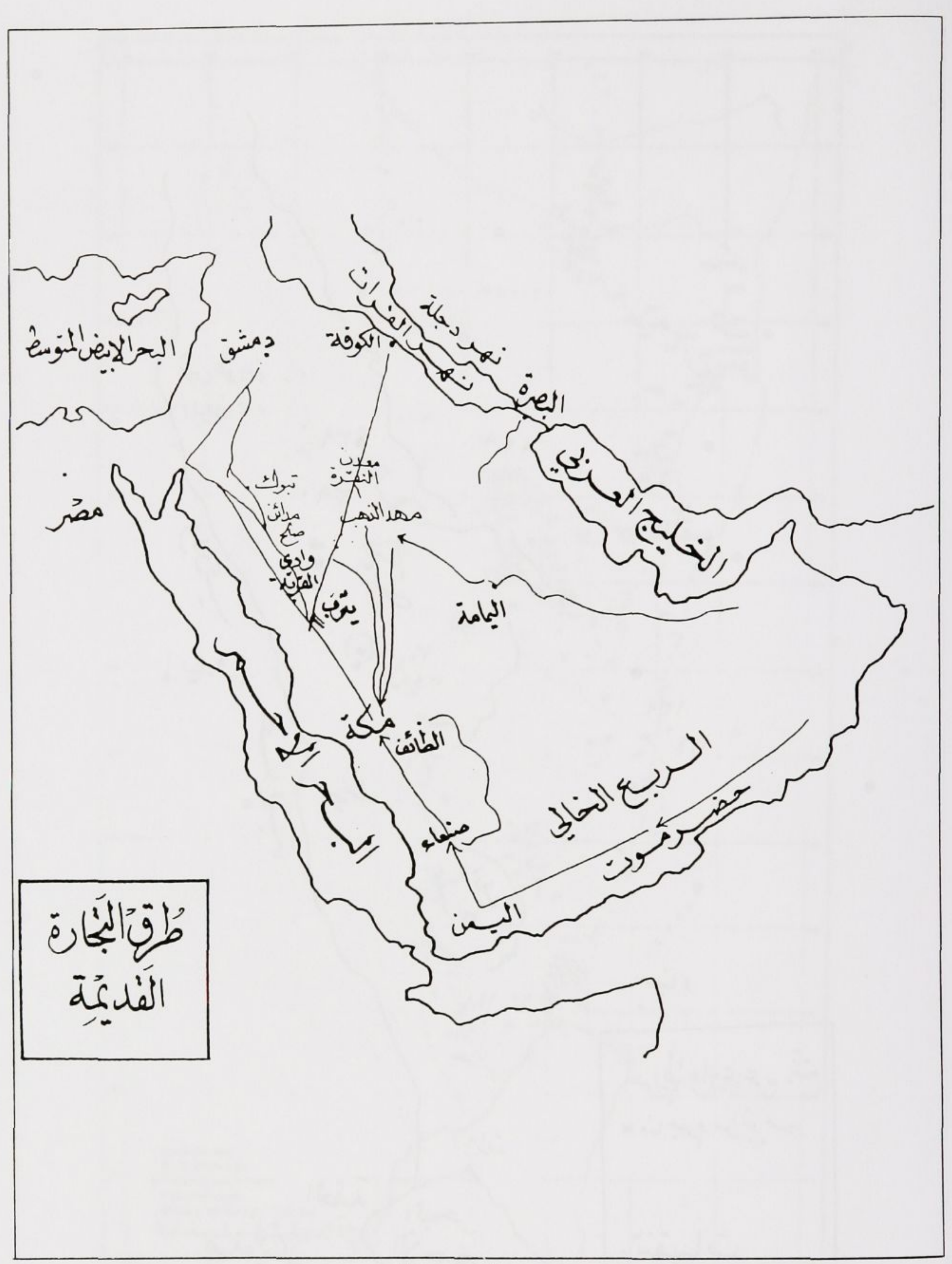
الخريطة رقم (٥)

موقع مدينة قرية. مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ص ٩٨ بتصرف



مخطط مدينة قرية

Parr, Harding and Dayton, Op. Cit. Vol. 10, p. 24

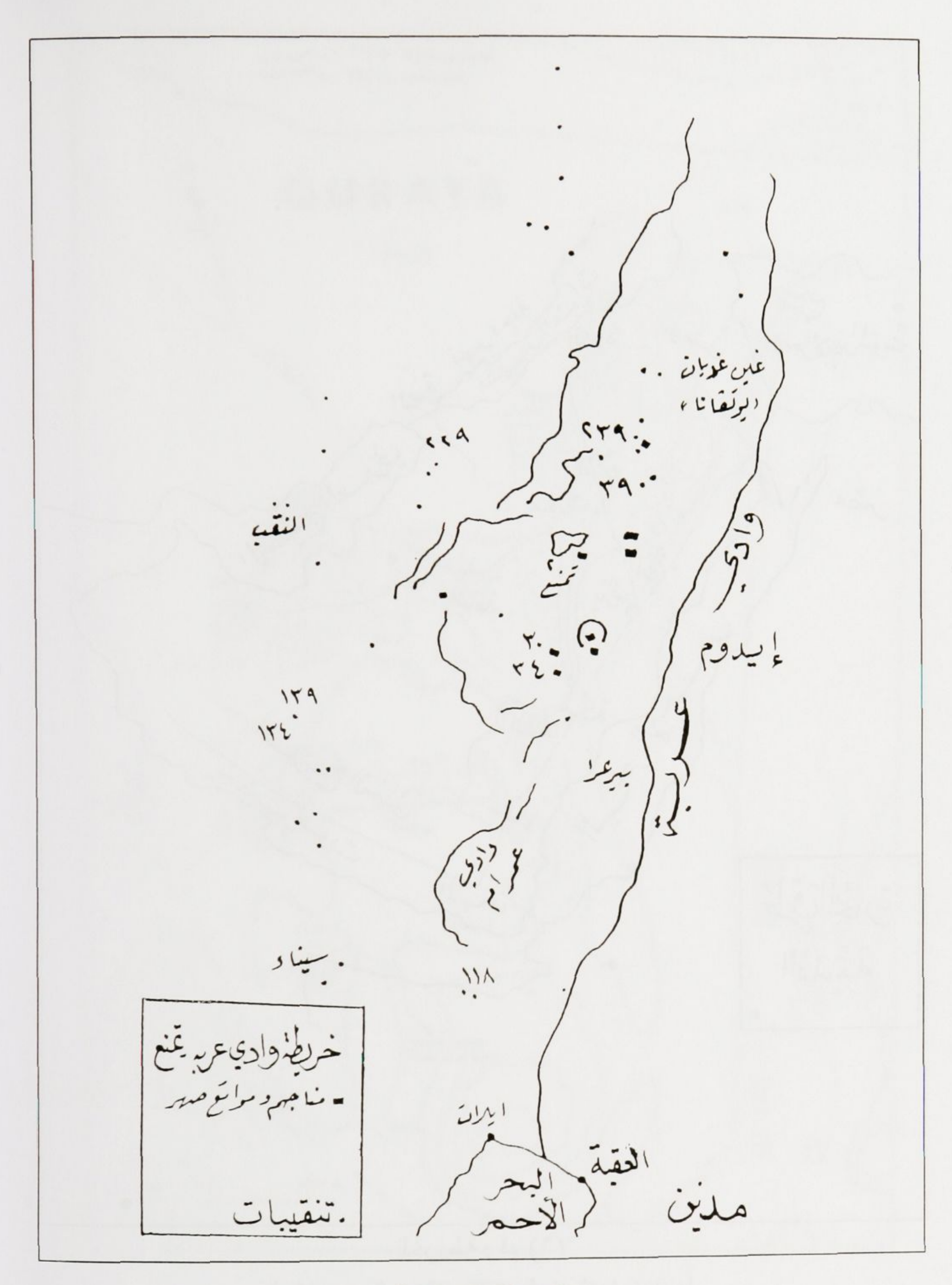


الخريطة رقم (٦)

طرق درب الحج التي كانت طرق التجارة نفسها

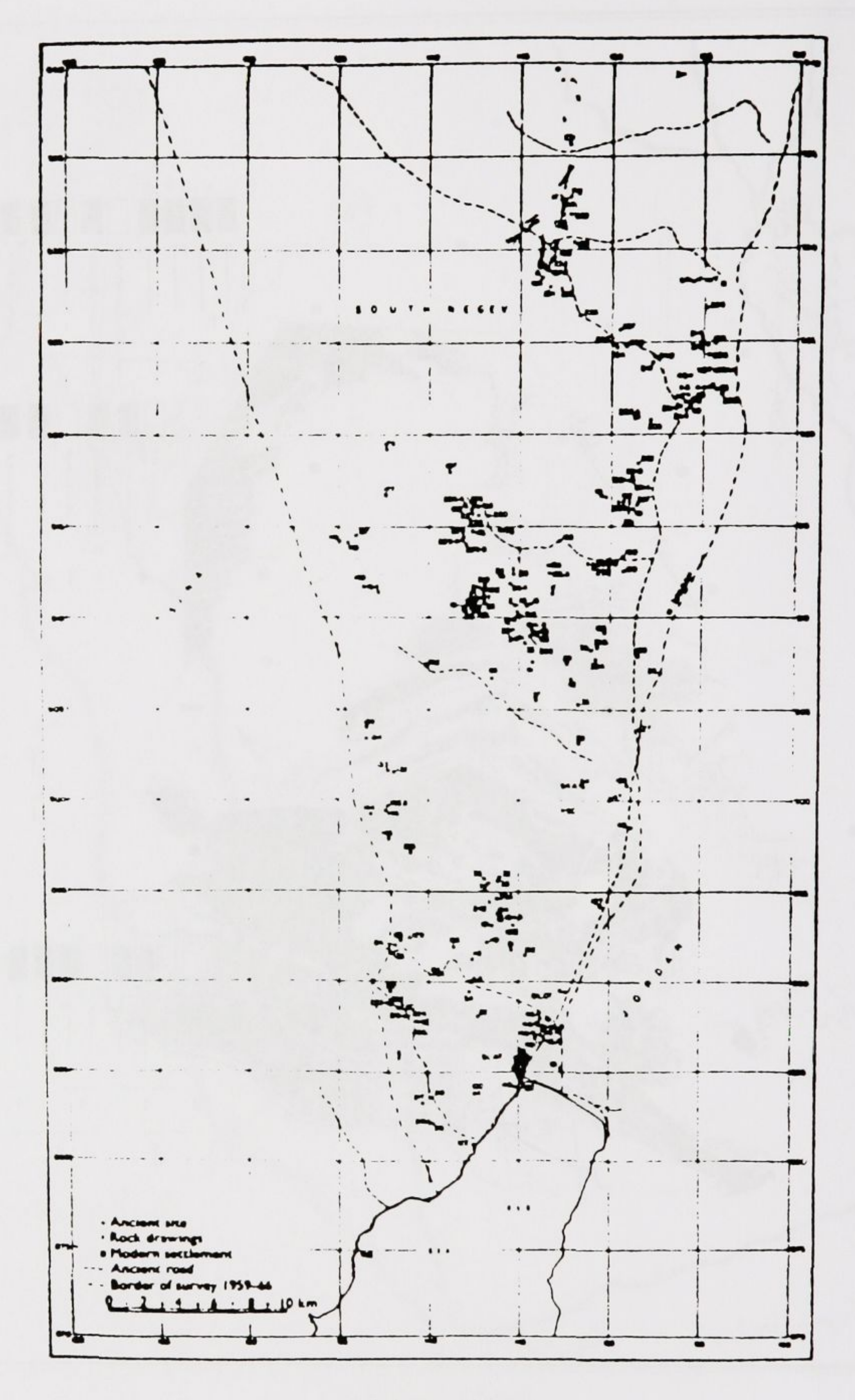
مقتبسة بتصرف

الراشد، سعد. الربذة ــ جامعة الملك سعود.ــ الرياض ١٤٠٥هــ



الخريطة رقم (٧) أ

Rothenberg, Timna, P. 11, 25



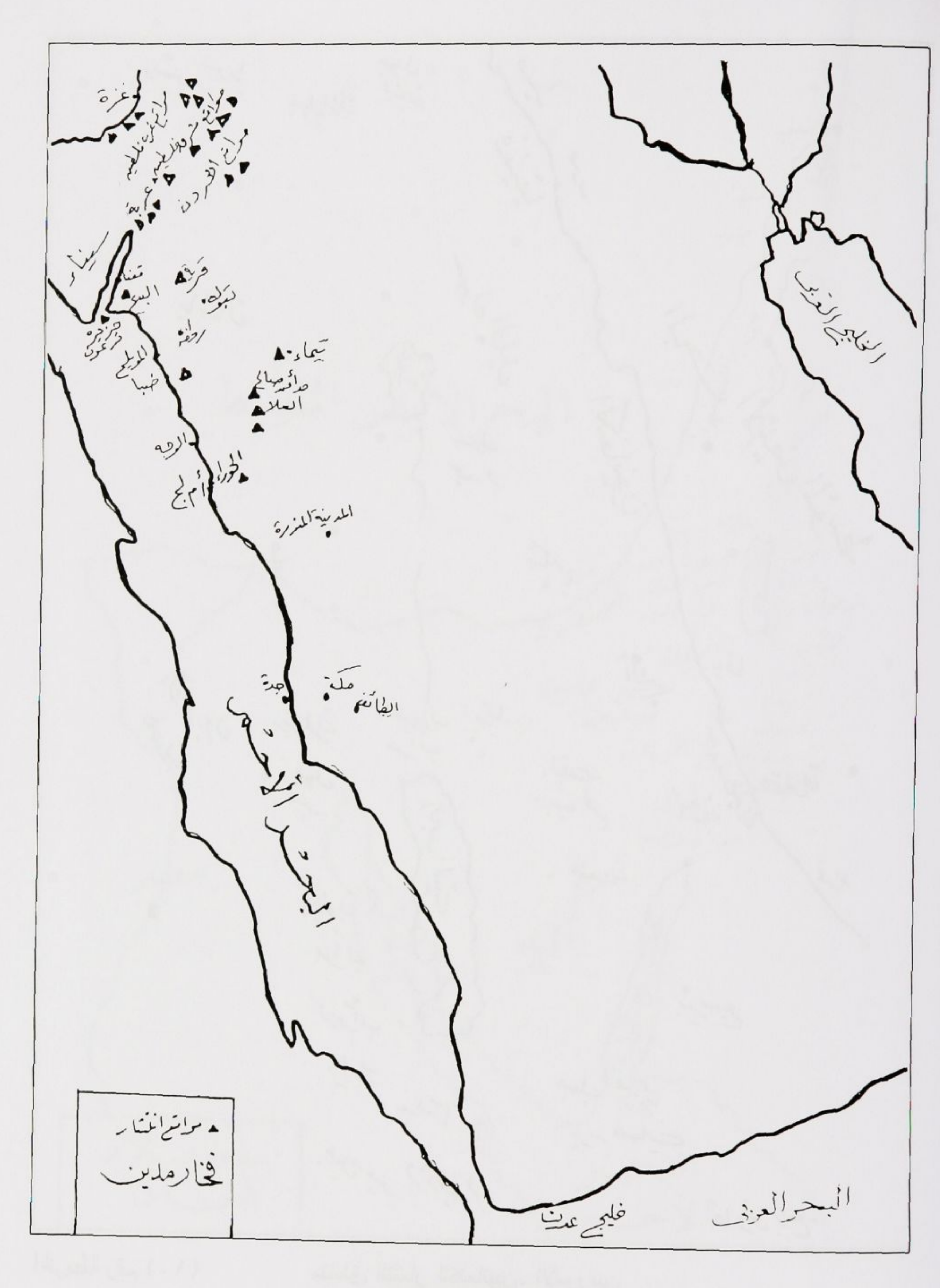
الخريطة رقم (٧) ب

المرجع نفسه والصفحة نفسها



الخريطة رقم (٨)

بندقجي، أطلس، خريطة رقم ١٣



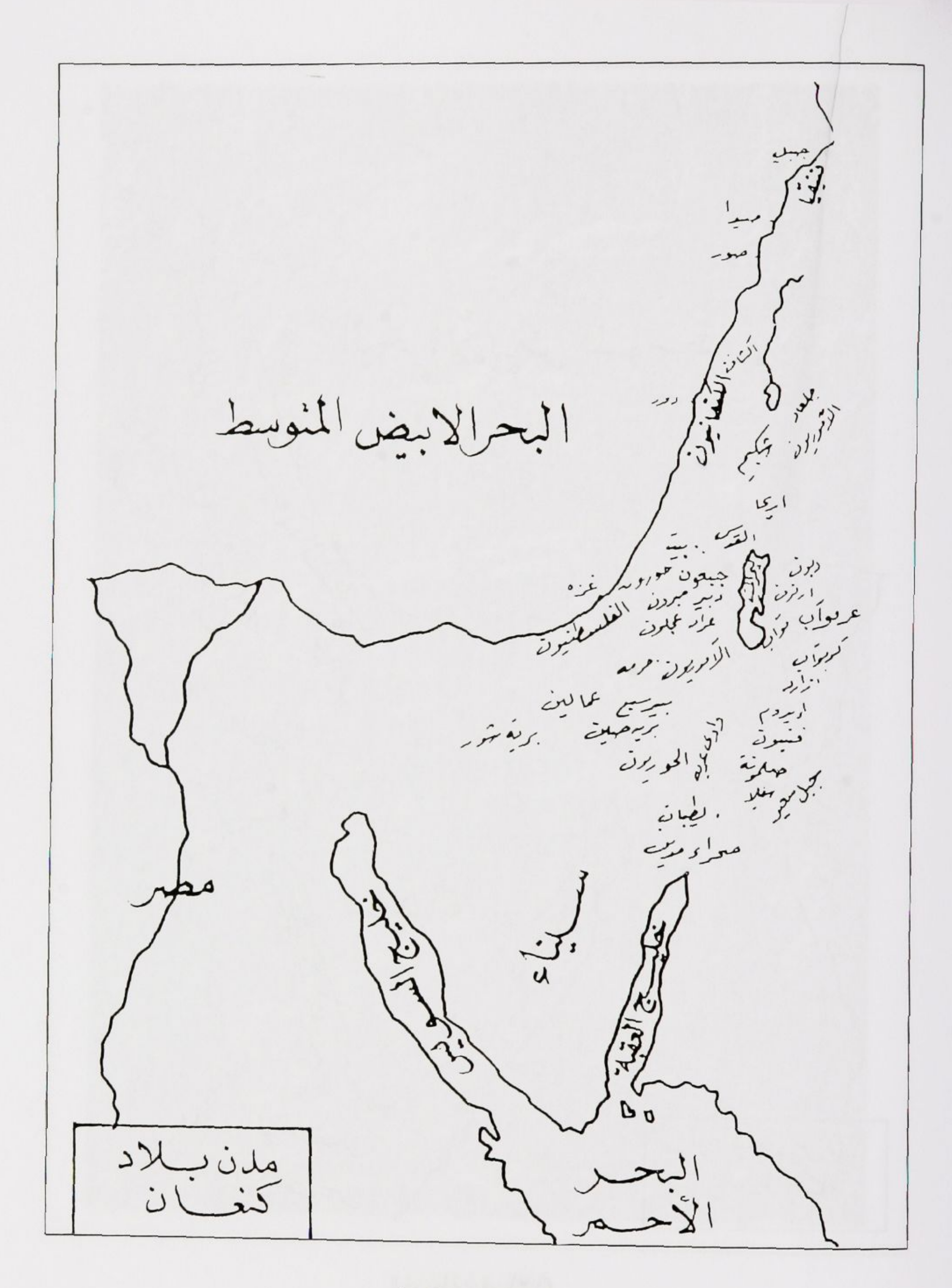
الخريطة رقم (٩)

من عمل الباحثة

الخريطة رقم (١٠) مناطق انتشار الكنعانيين. الآموريين

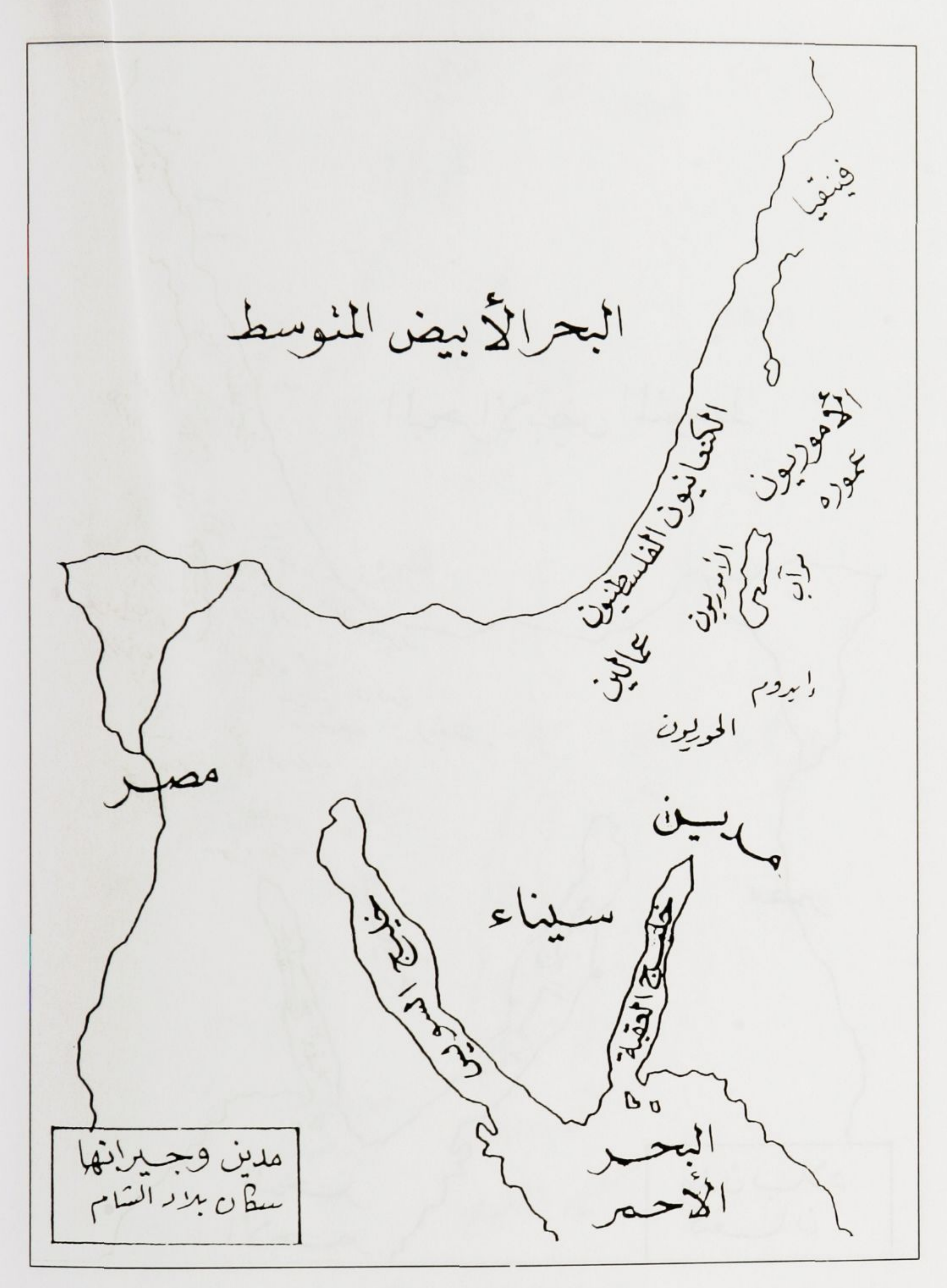
موآب – إيدوم

خريطة من كتاب التوراة بتصرف



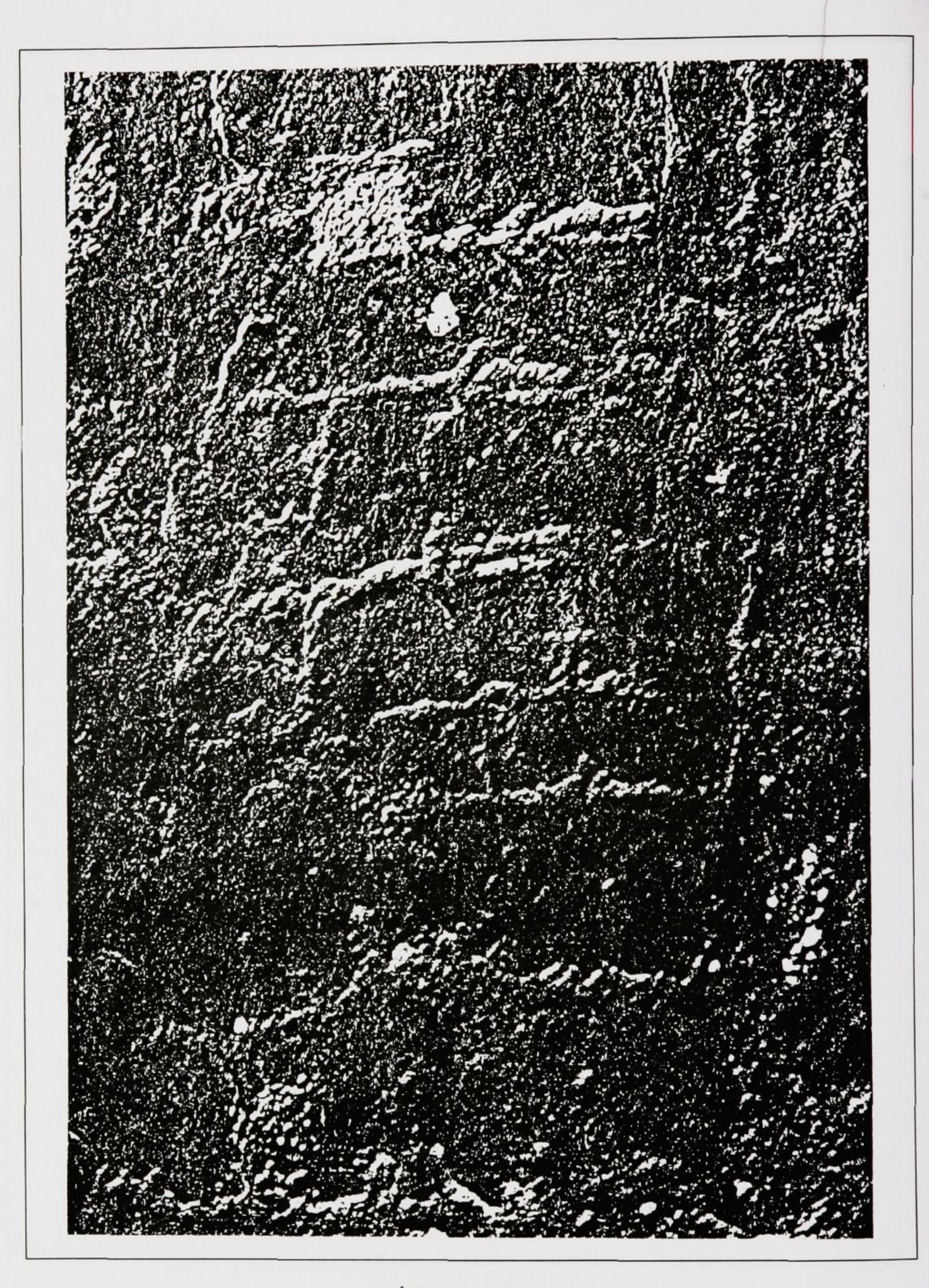
الخريطة رقم (١١)

من كتاب التوراة بتصرف



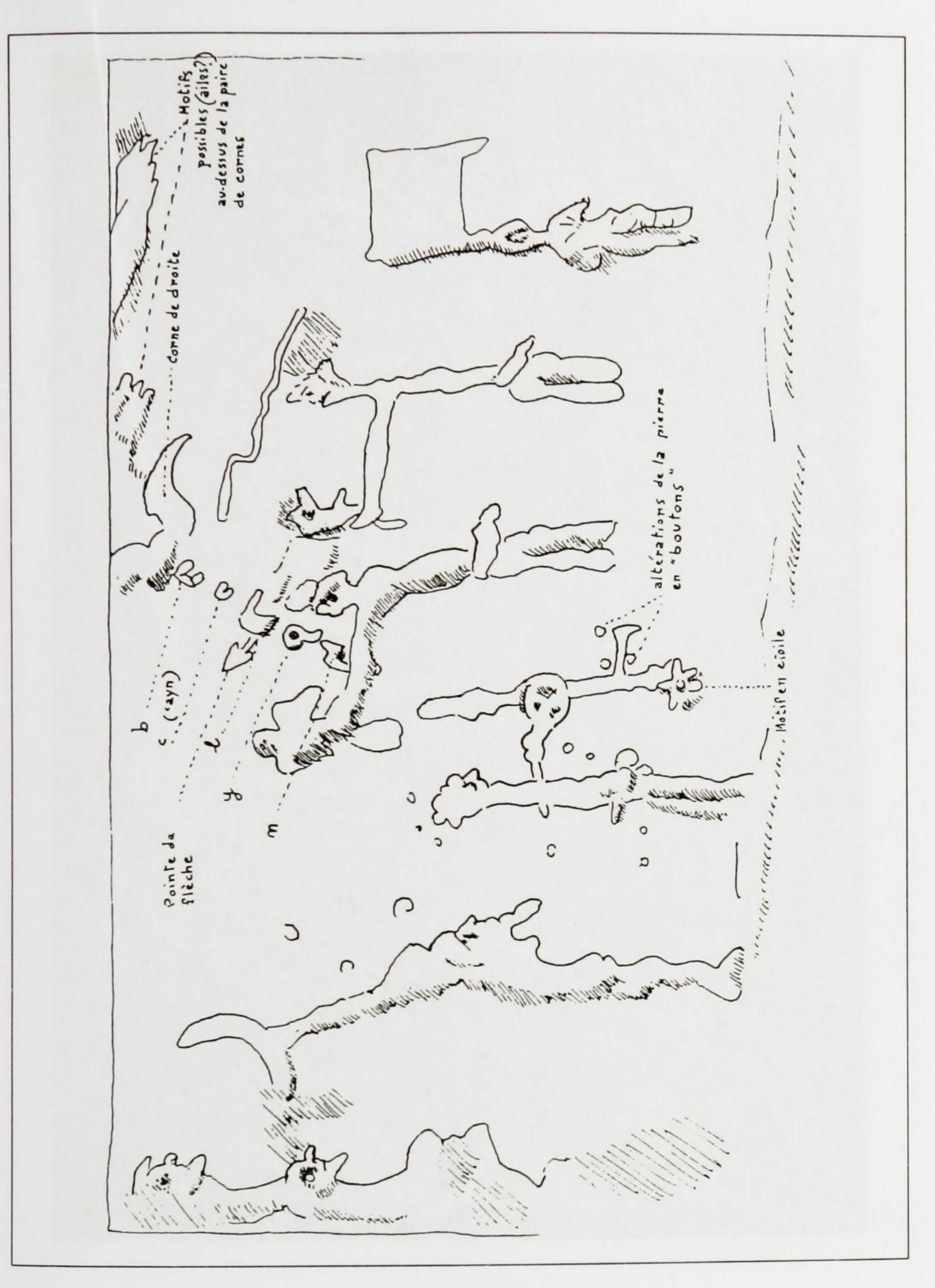
الخريطة رقم (١٢)

من كتاب التوراة بتصرف



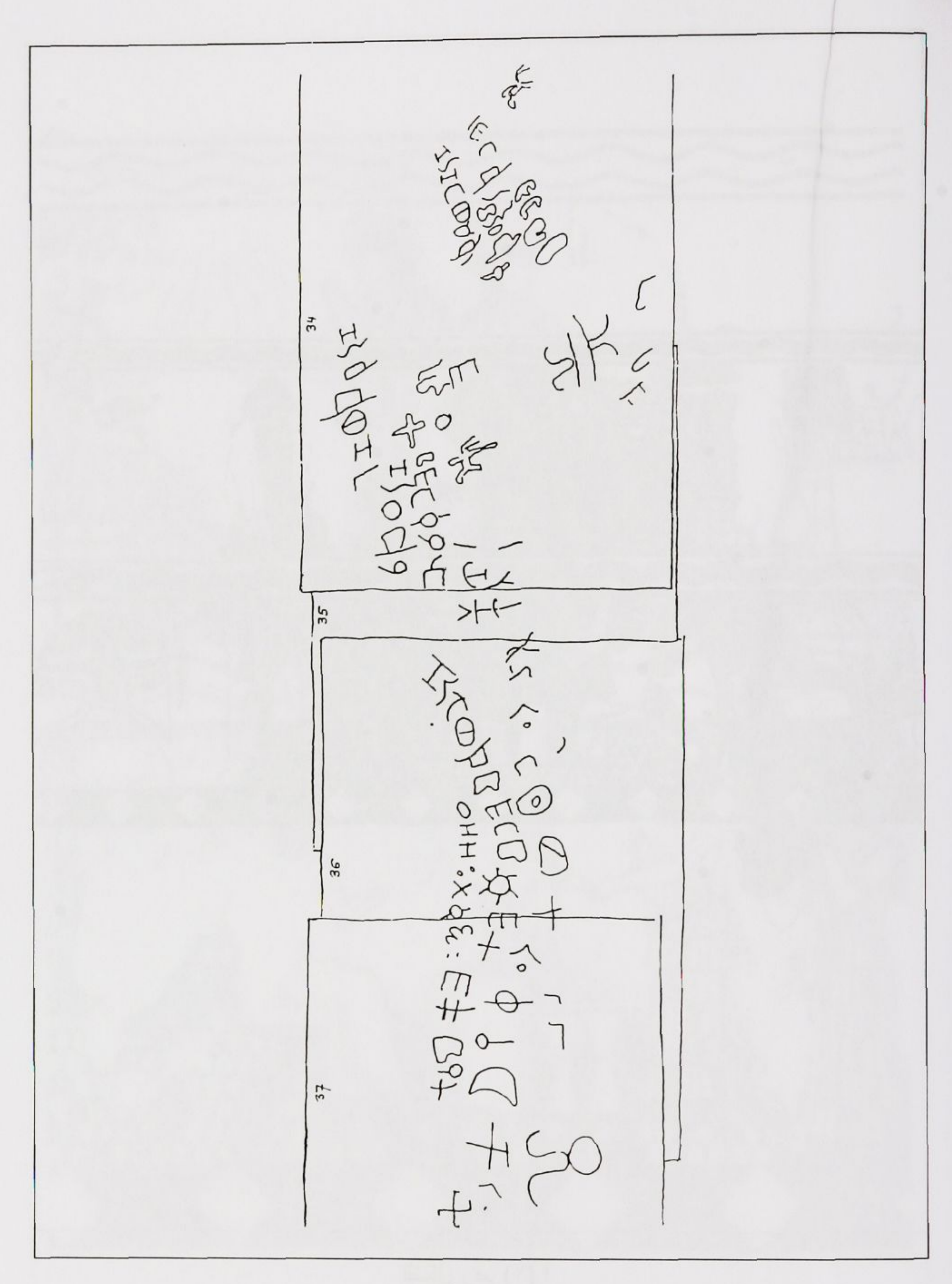
الشكل رقم (١) أ

قطعة الجو الاثرية



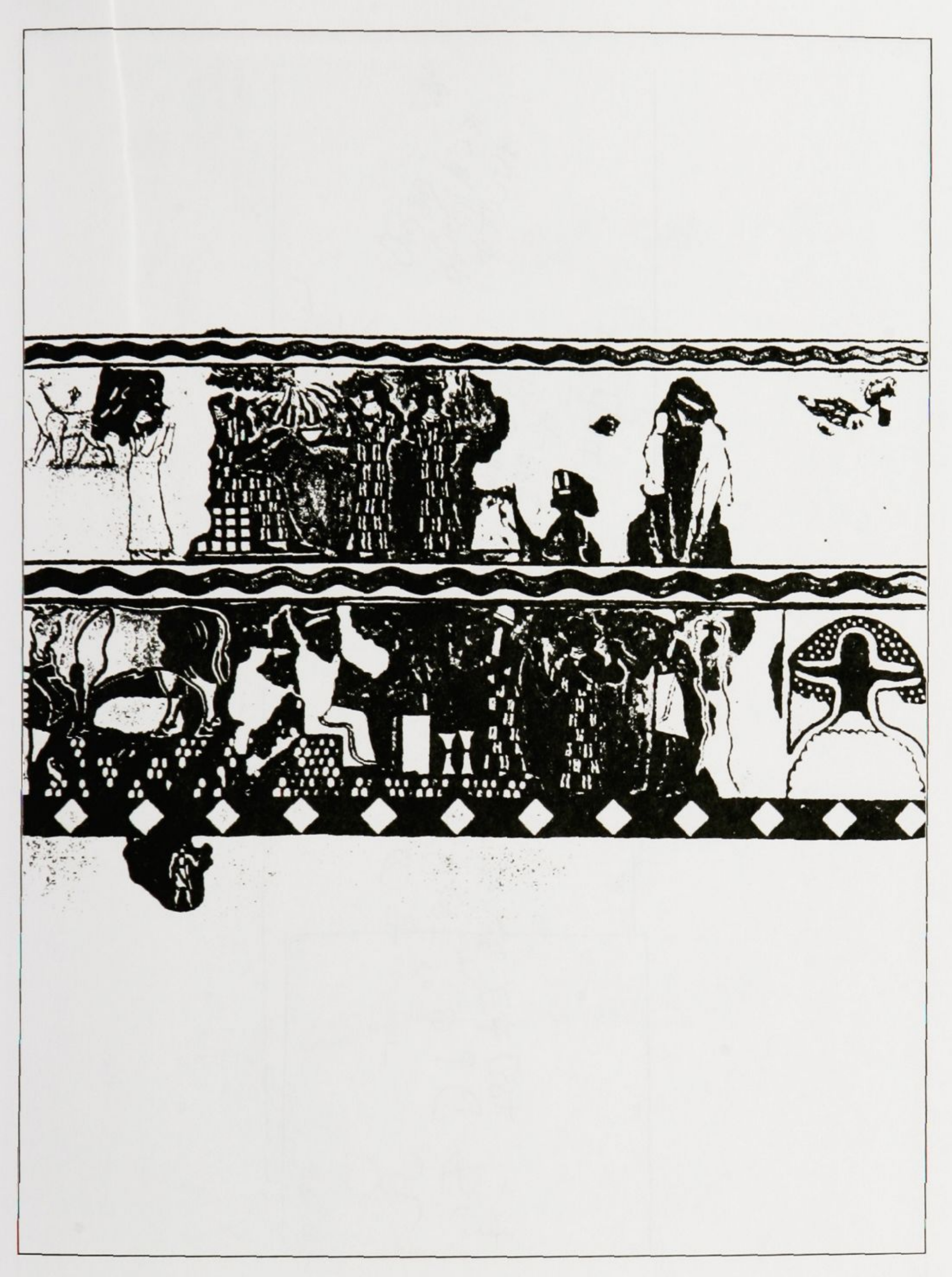
الشكل رقم (١) ب

رسم تخطيطي للقطعة نفسها



الشكل رقم (١) ج

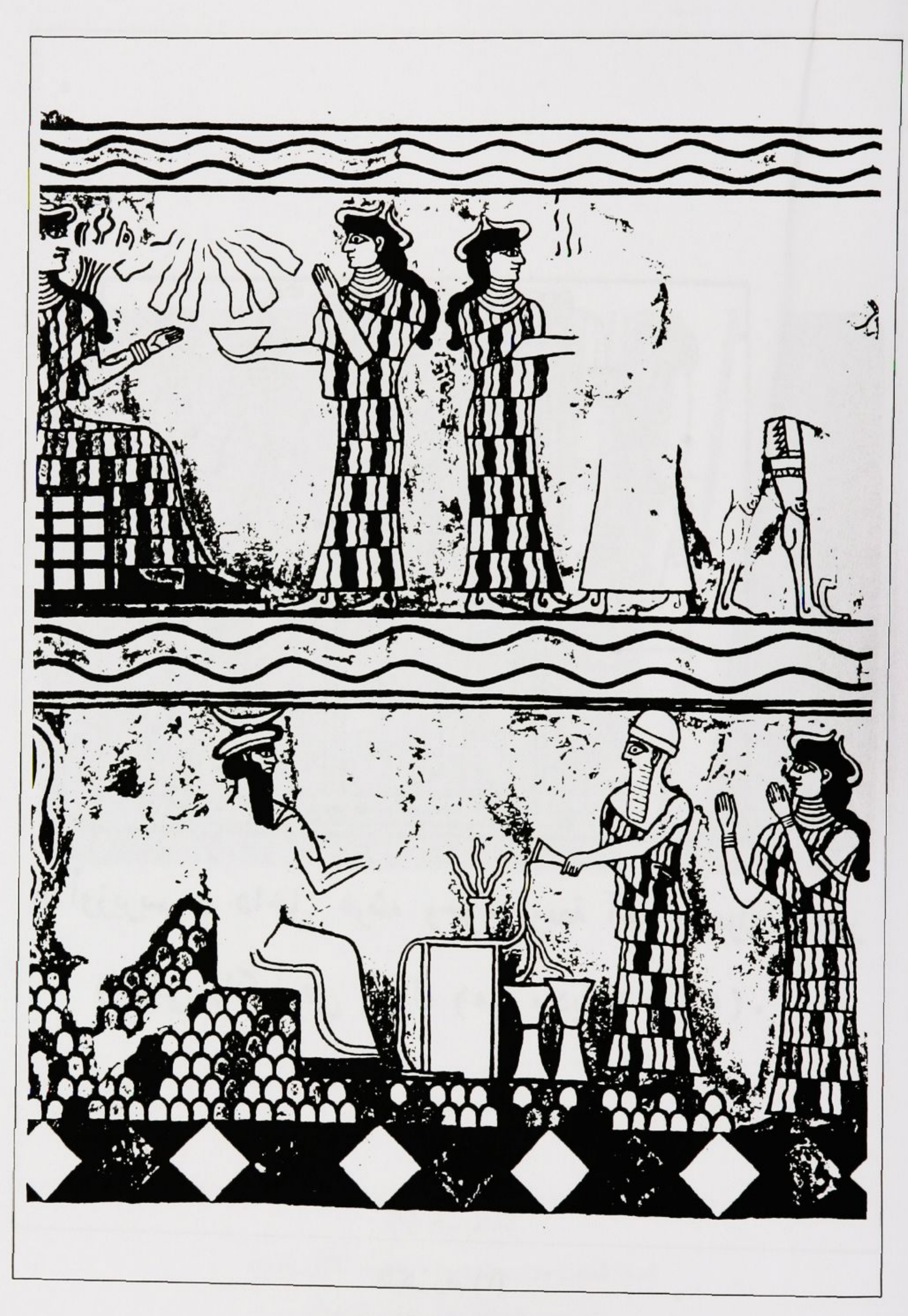
بعض الكتابات في قطعة الجو نفسها



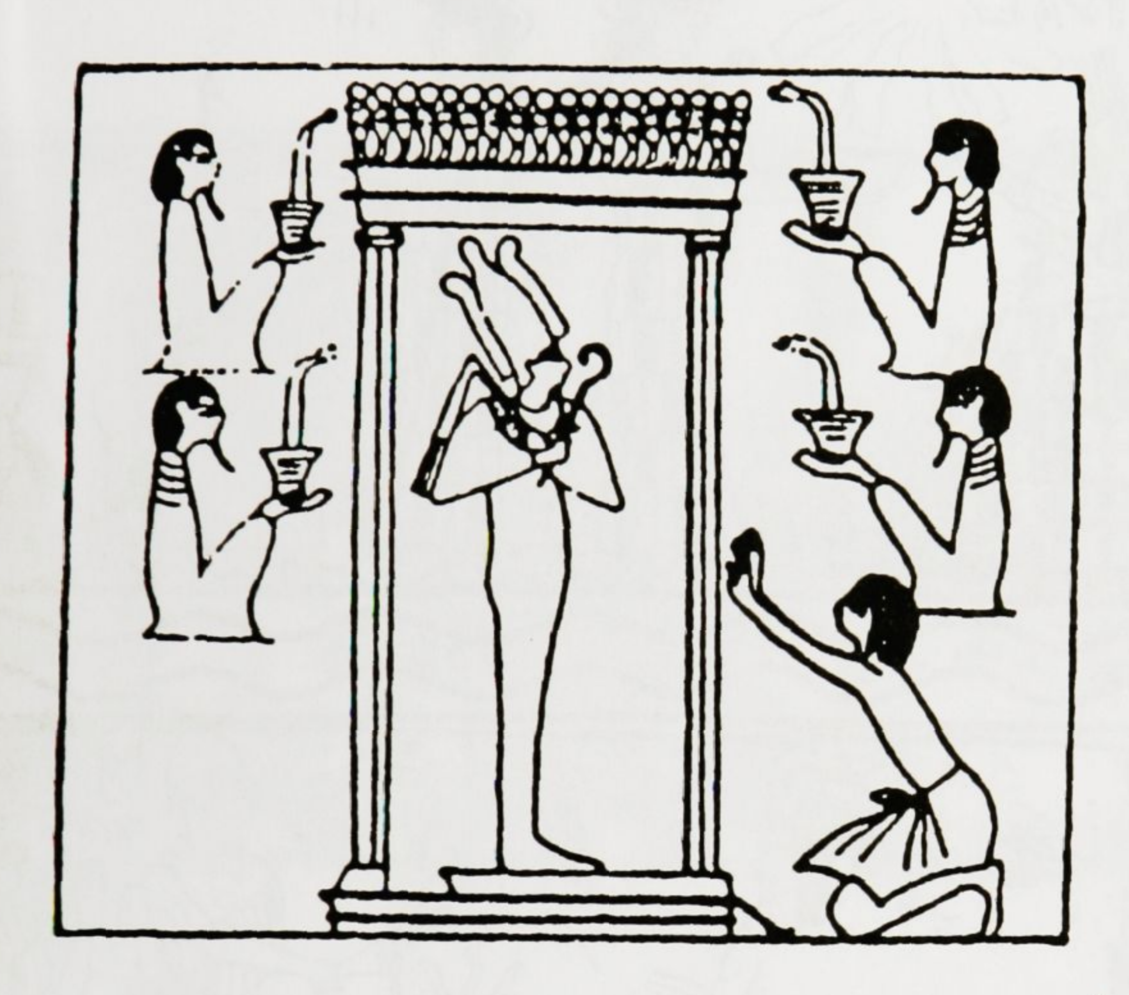
الشكل رقم (٢) أ

رسم جداري يبين الهلال فوق رأس الإله

باور، المرجع السابق ص ٣٣٨- ٣٣٩



الشكل رقم (٢) ب



« أوزيريس » داخل عرشه وحوله أربعة آلهة يرفعون البخور والمتوفى راكعاً فى إبتهال (من بردية « سوتم »).

الشكل رقم (٣)

هرو، المرجع السابق، ص ١٦٧



الشكل رقم (٤)

شداد الجمل من معروضات متحف الآثار بتيماء

تصوير الباحثة بإذن إدارة المتحف



الشكل رقم (٥)

نقش من تل حلف – أبكر صورة

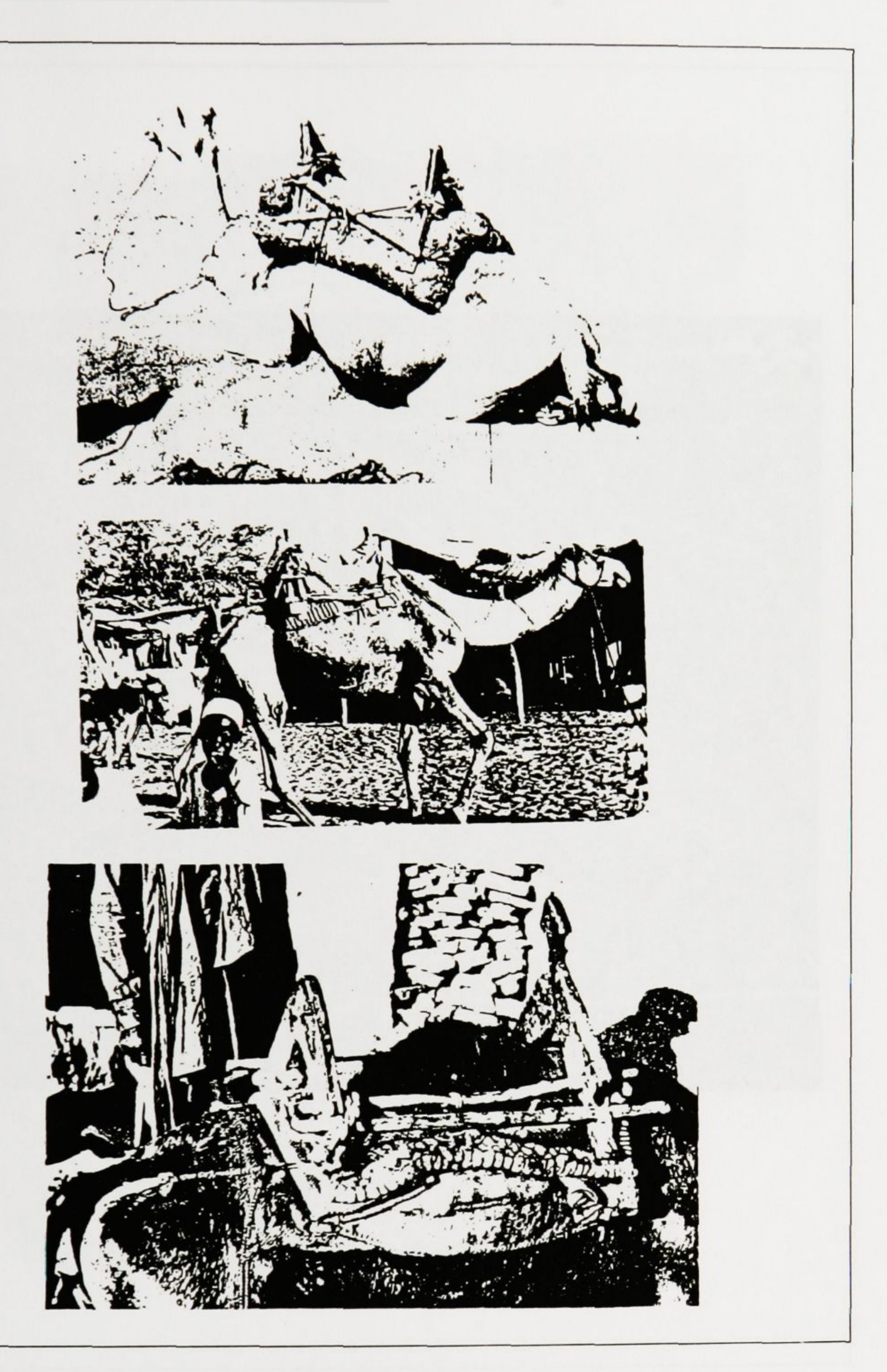
لراكب الجمل Bulliet, Op. Cit, P. 82



الشكل رقم (٦)

نقش آشوري يصور العرب وهم يحاربون من فوق ظهر الجمل

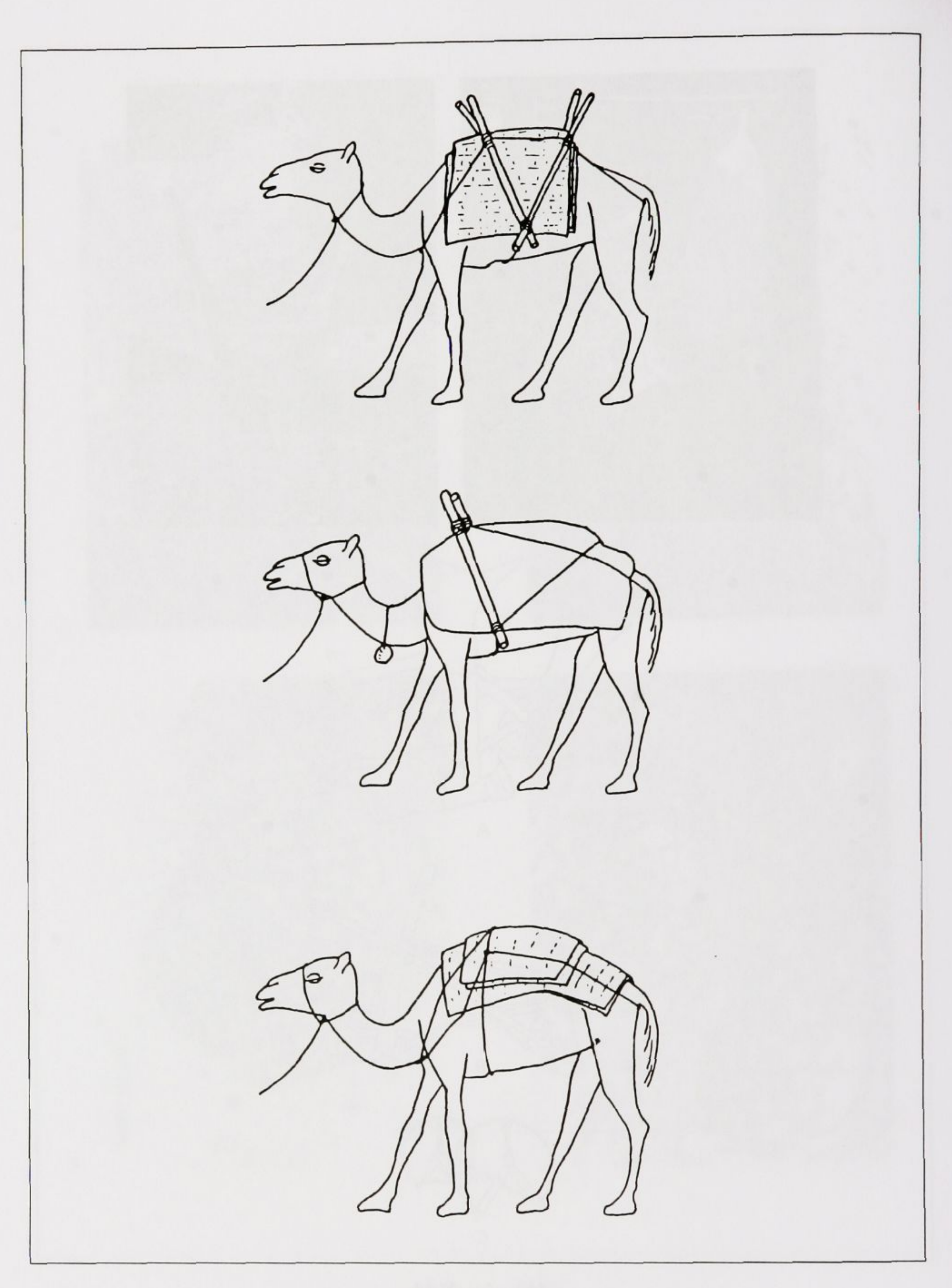
Bulliet, Op. Cit. P. 83.



الشكل رقم (٧)

شداد الجمل من شمال بلاد العرب

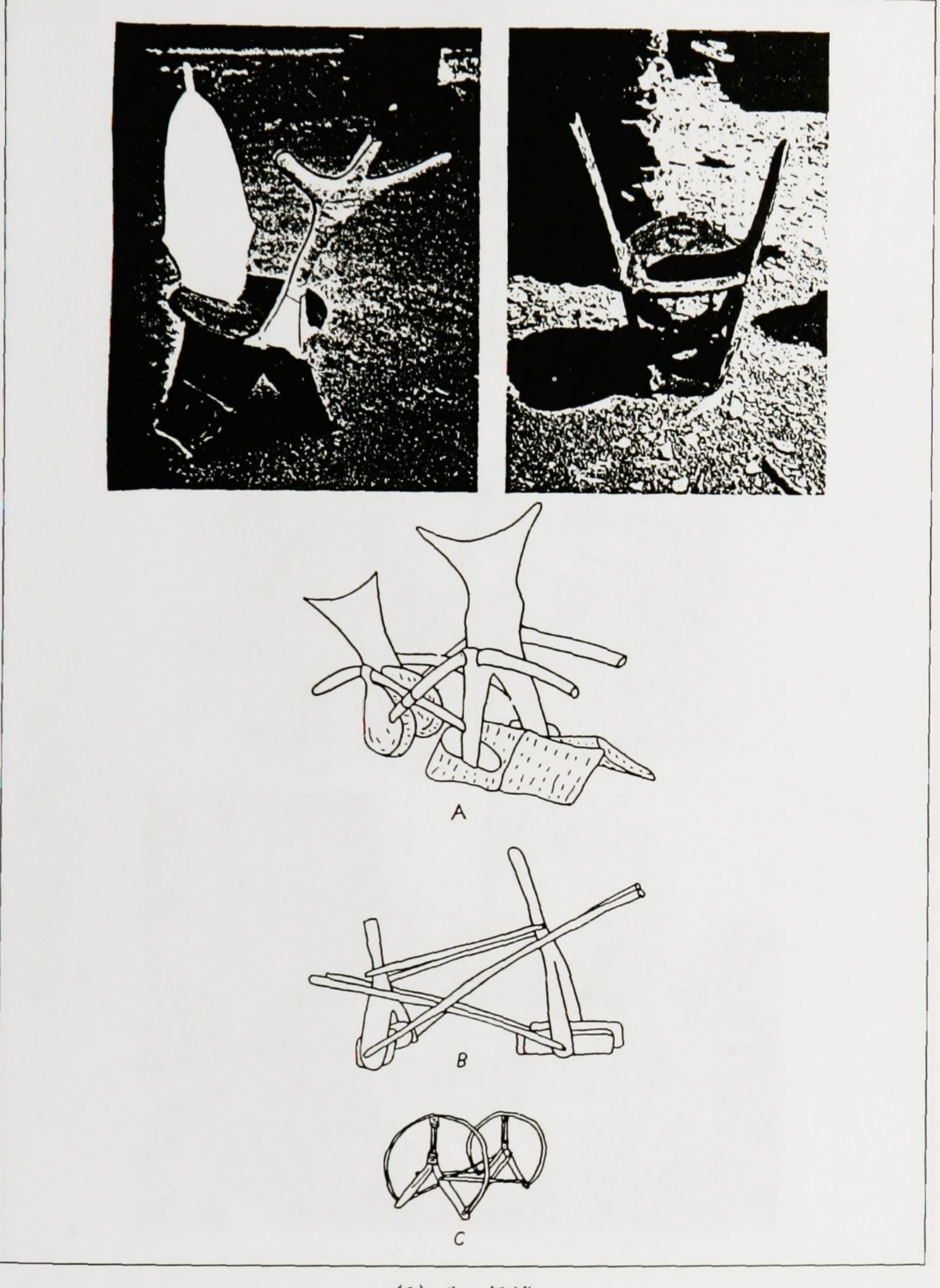
Bulliet, Op. Cit. Pp. 88, 89



الشكل رقم (٨)

شداد الجمل

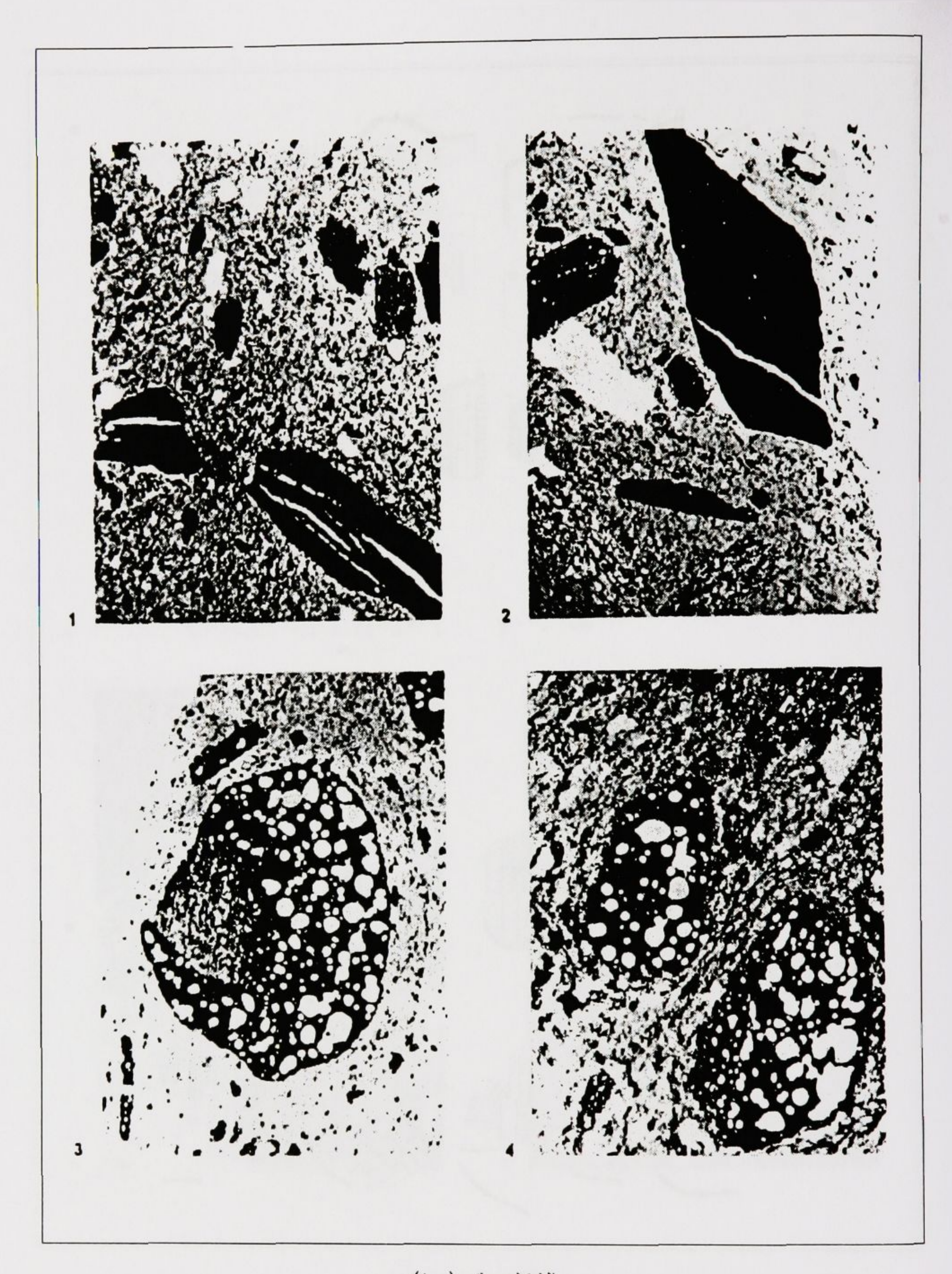
Bulliet, Op. Cit. P. 54



الشكل رقم (٩)

أنواع من شداد الجمل

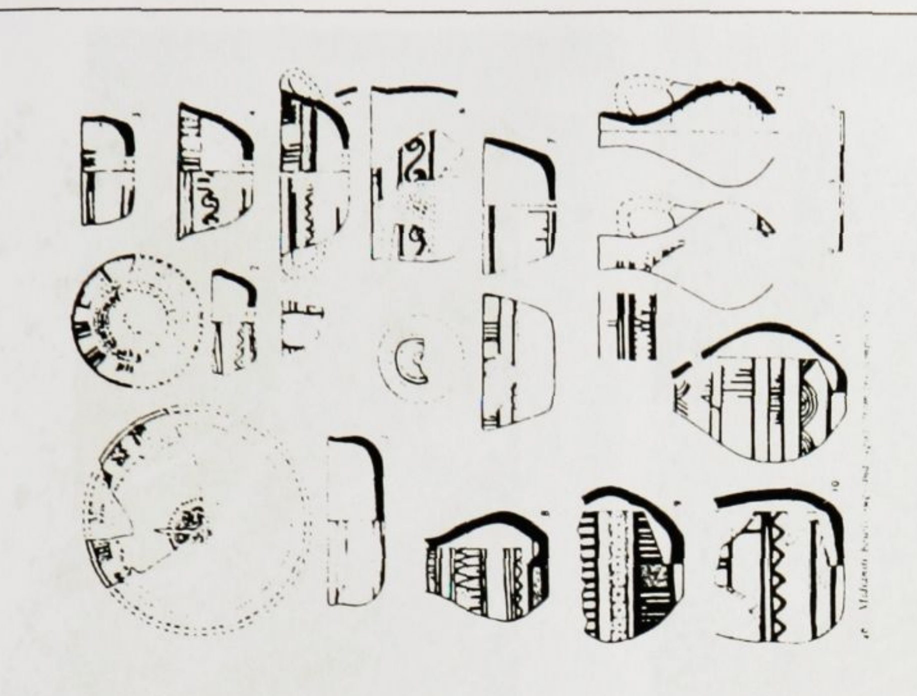
Bulliet Op. Cit. Pp. 123, 126

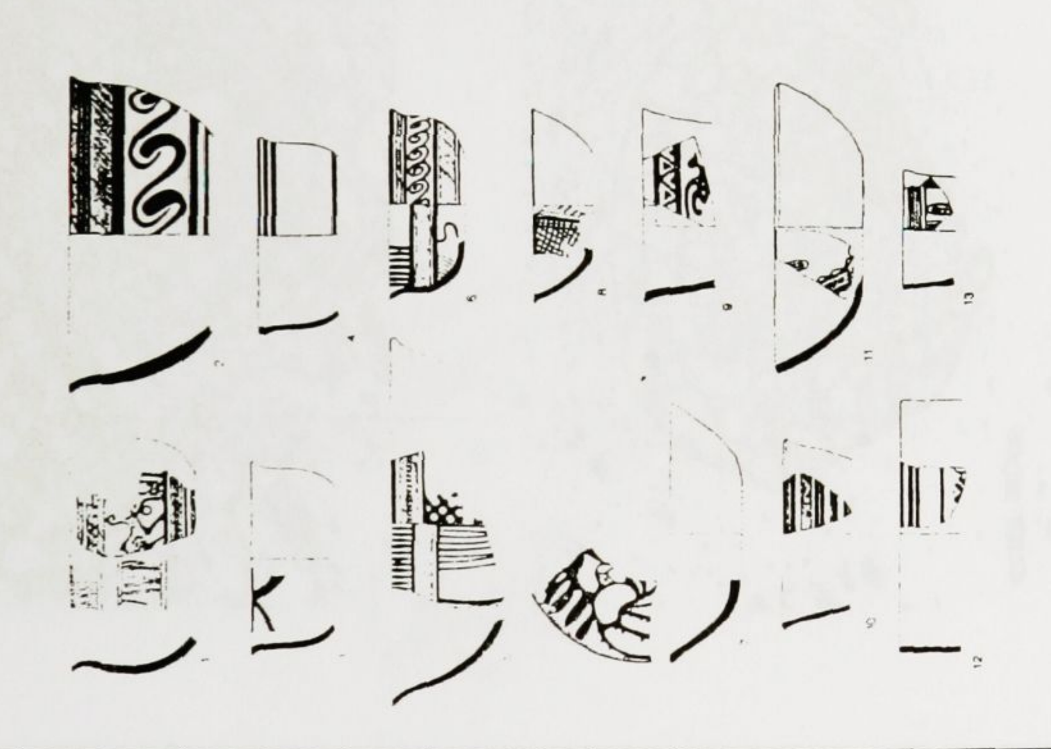


الشكل رقم (١٠)

تجانس عجينة الفخار المدياني

Rothenberg and Glass, Op. Cit. P1. I.

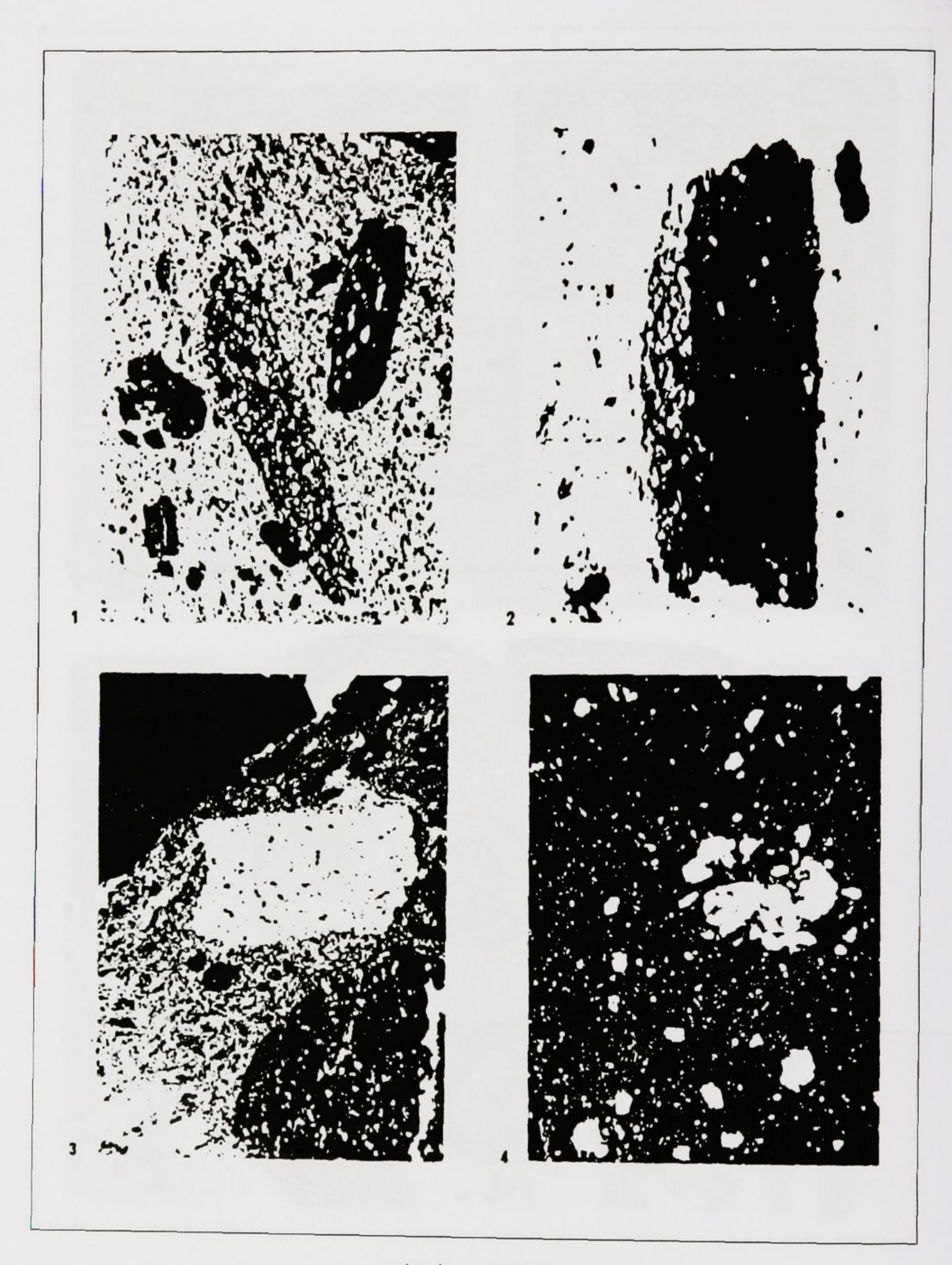




الشكل رقم (١١)

أنواع زبديات

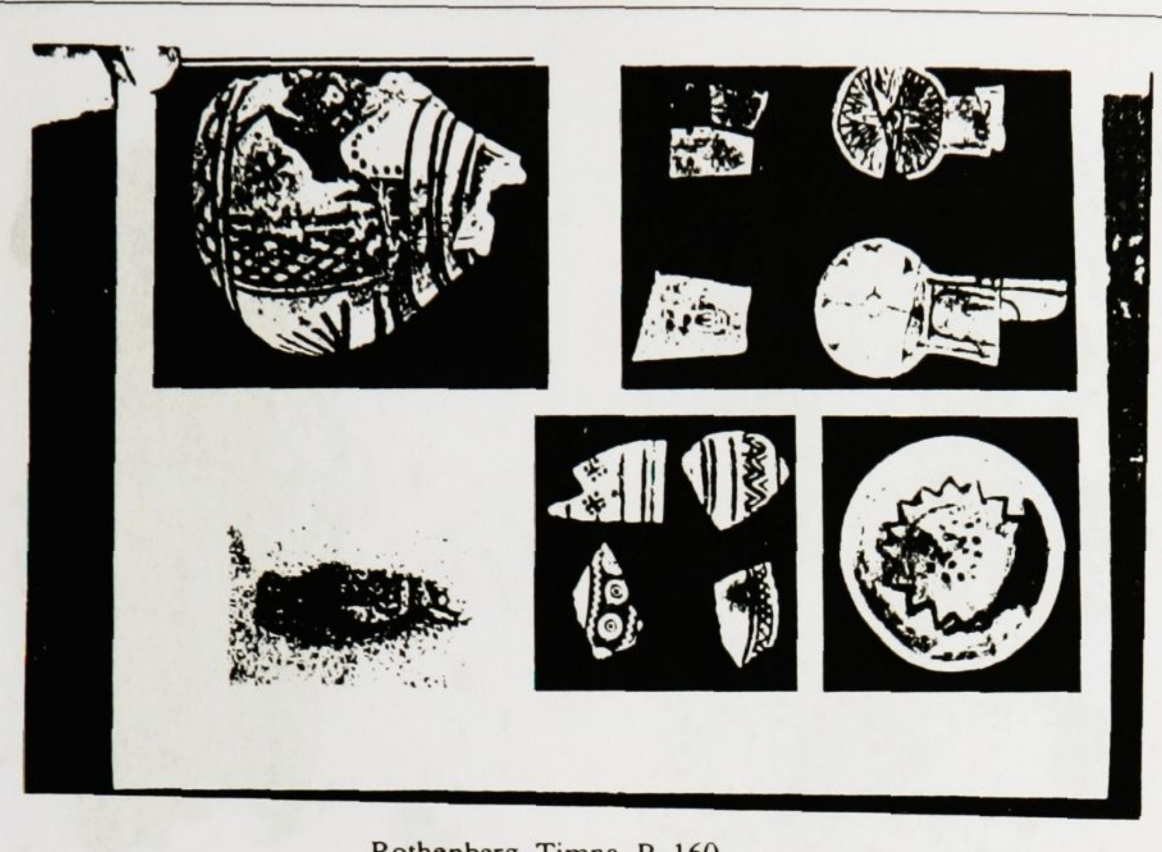
Rothenberg, Timna, P. 156



الشكل رقم (١٢)

عينات قطع غامقة

Rothenberg and Glass, Op. Cit. P1. II.



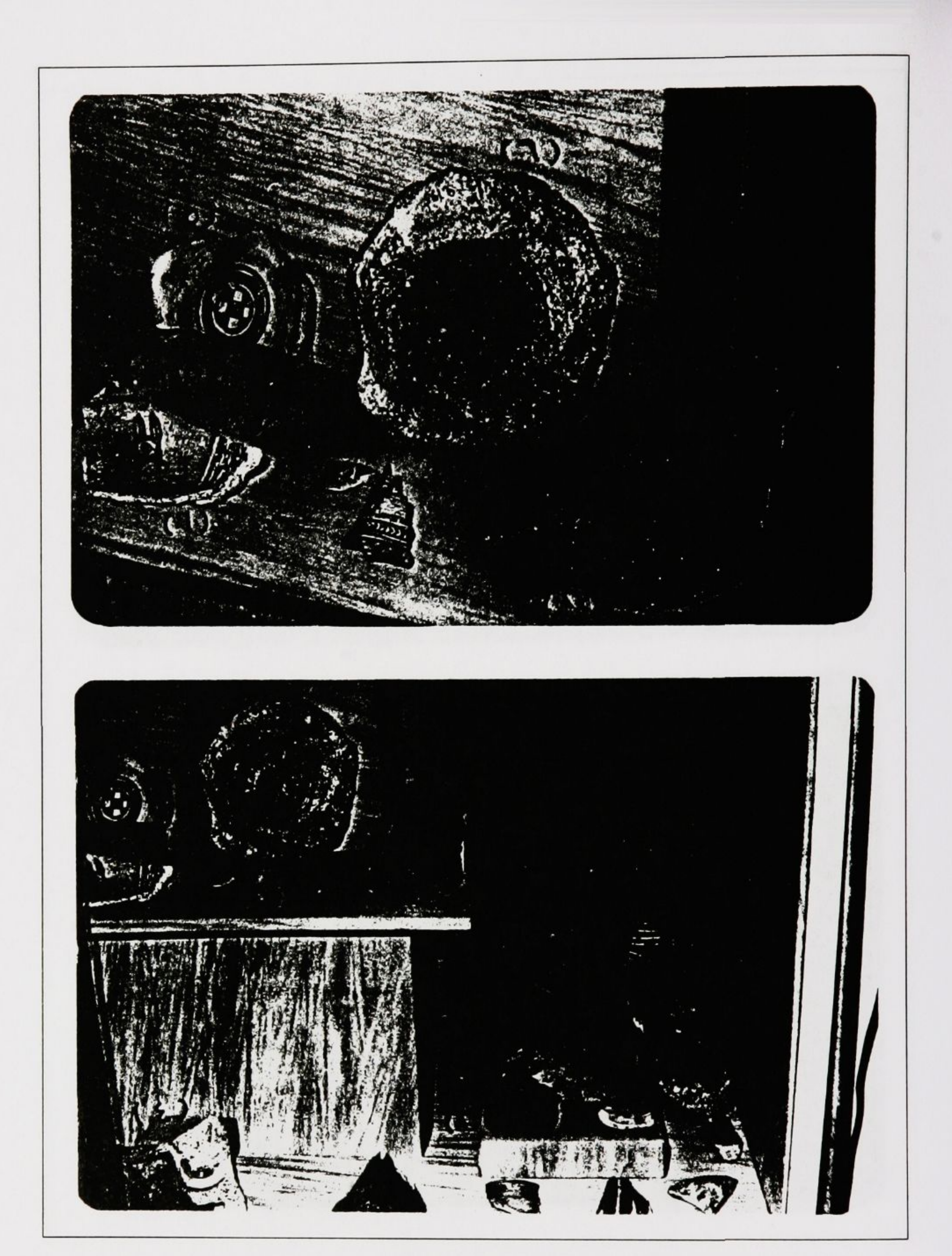
Rothenberg, Timna, P. 160.



الشكل رقم (١٣) أ

فخار مدياني من تمنع (أسطح مدهونة)

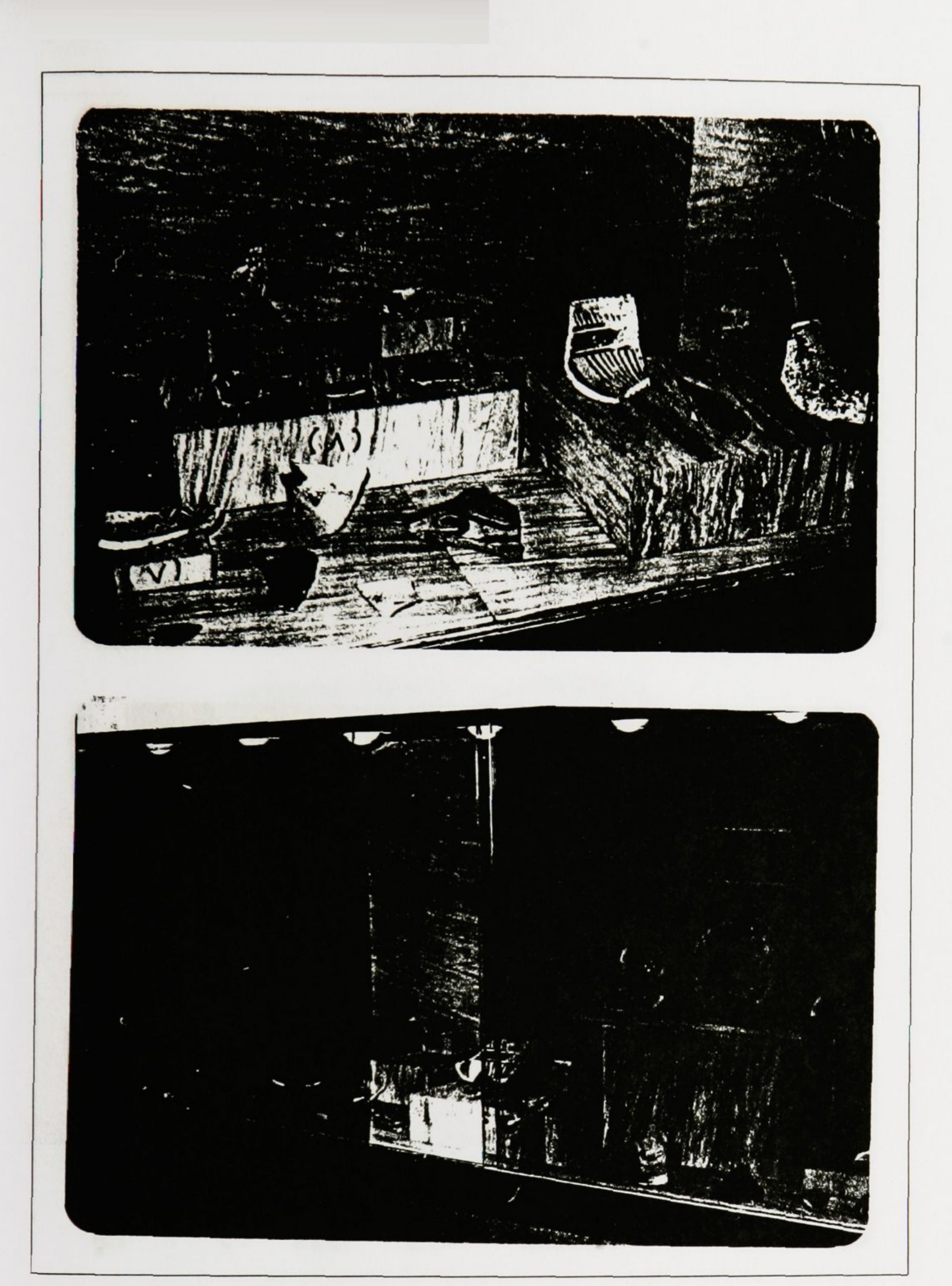
Rothenberg and Glass, Op. Cit. P1. IV



الشكل رقم (١٣) ب

كسر فخارية من شبه الجزيرة العربية. أسطح مدهونة. من معروضات متحف الآثار بالرياض

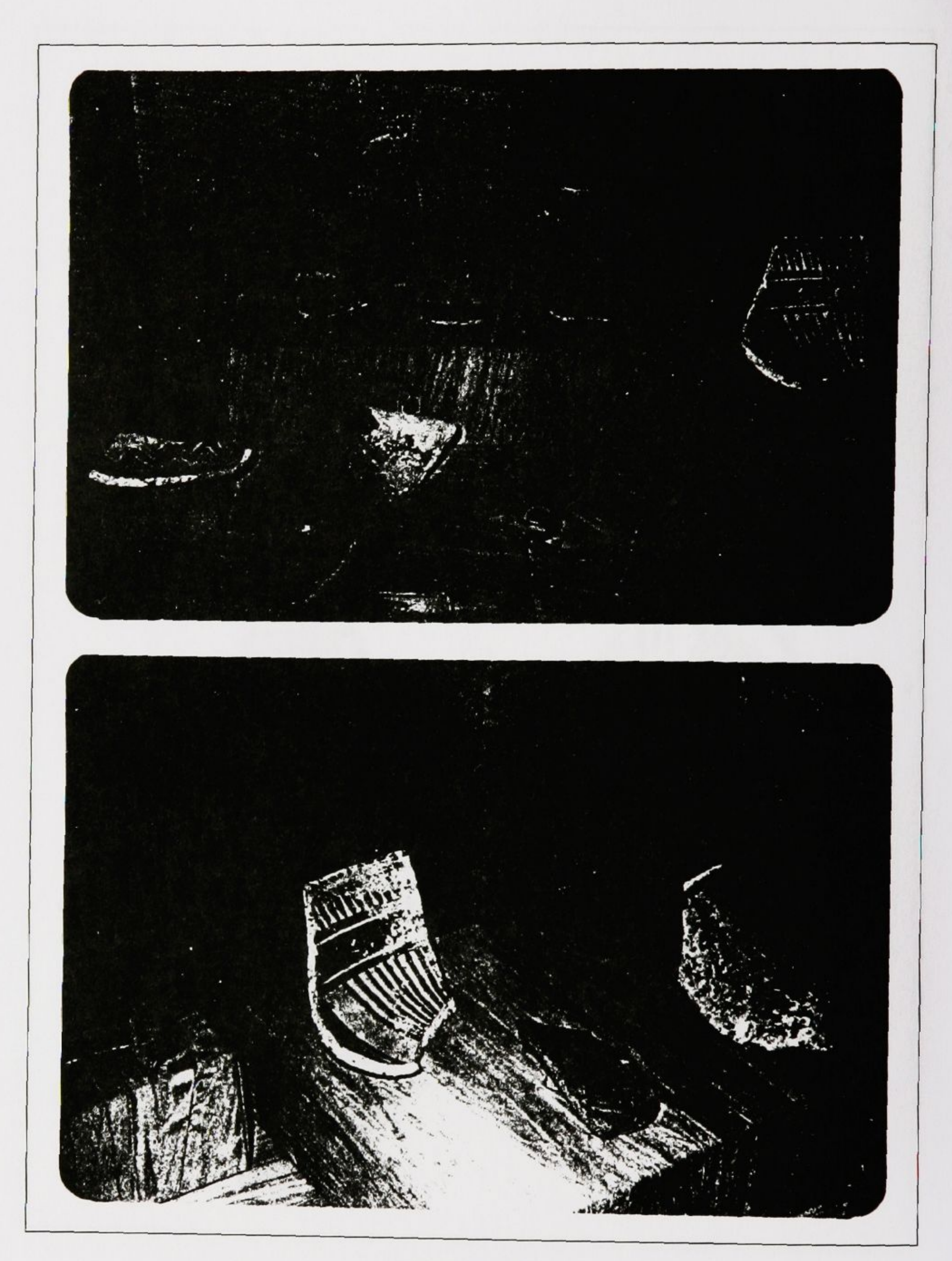
تم تصويرها بإذن إدارة المتحف



الشكل رقم (١٣) ج

كسر فخارية من شبه الجزيرة العربية. أسطح مدهونة. من معروضات متحف الآثار بالرياض

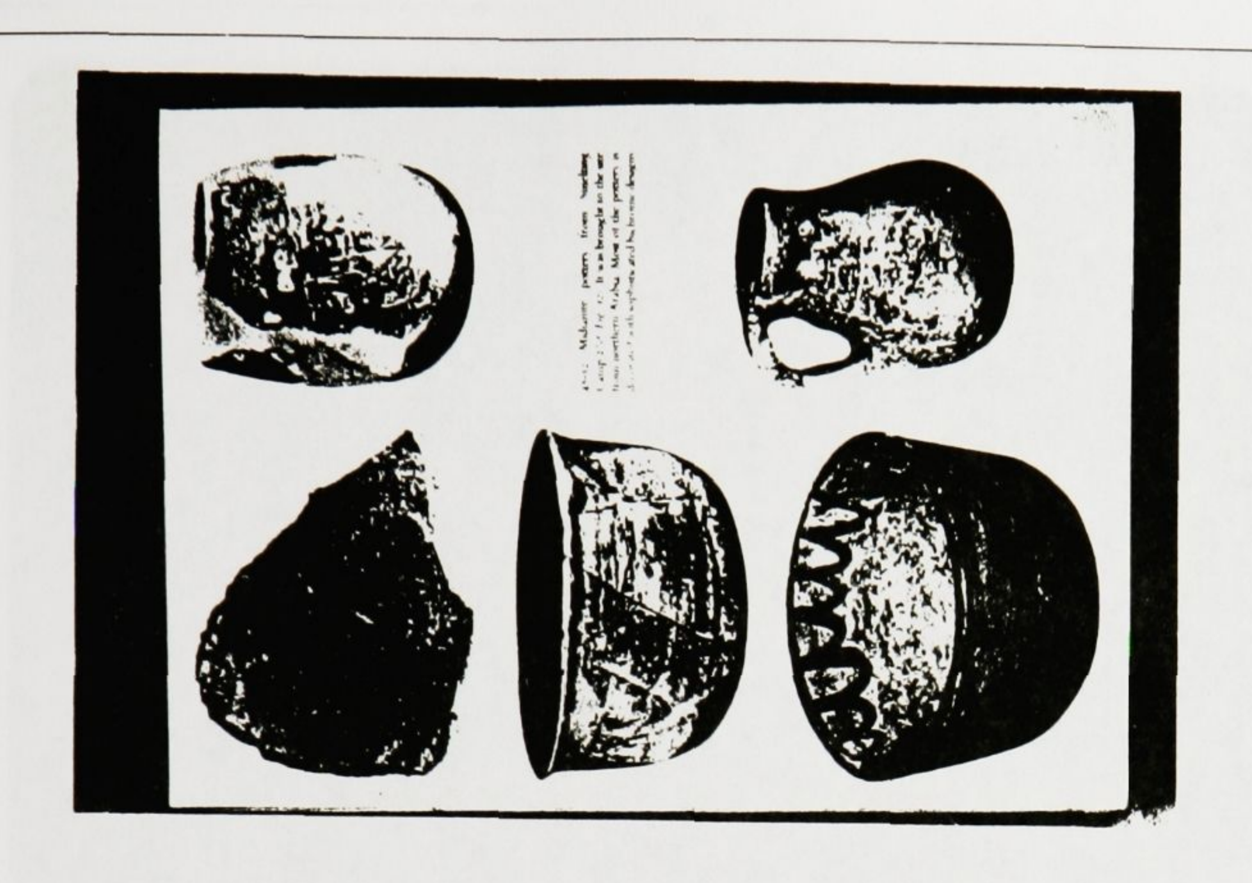
تم تصويرها بإذن إدارة المتحف

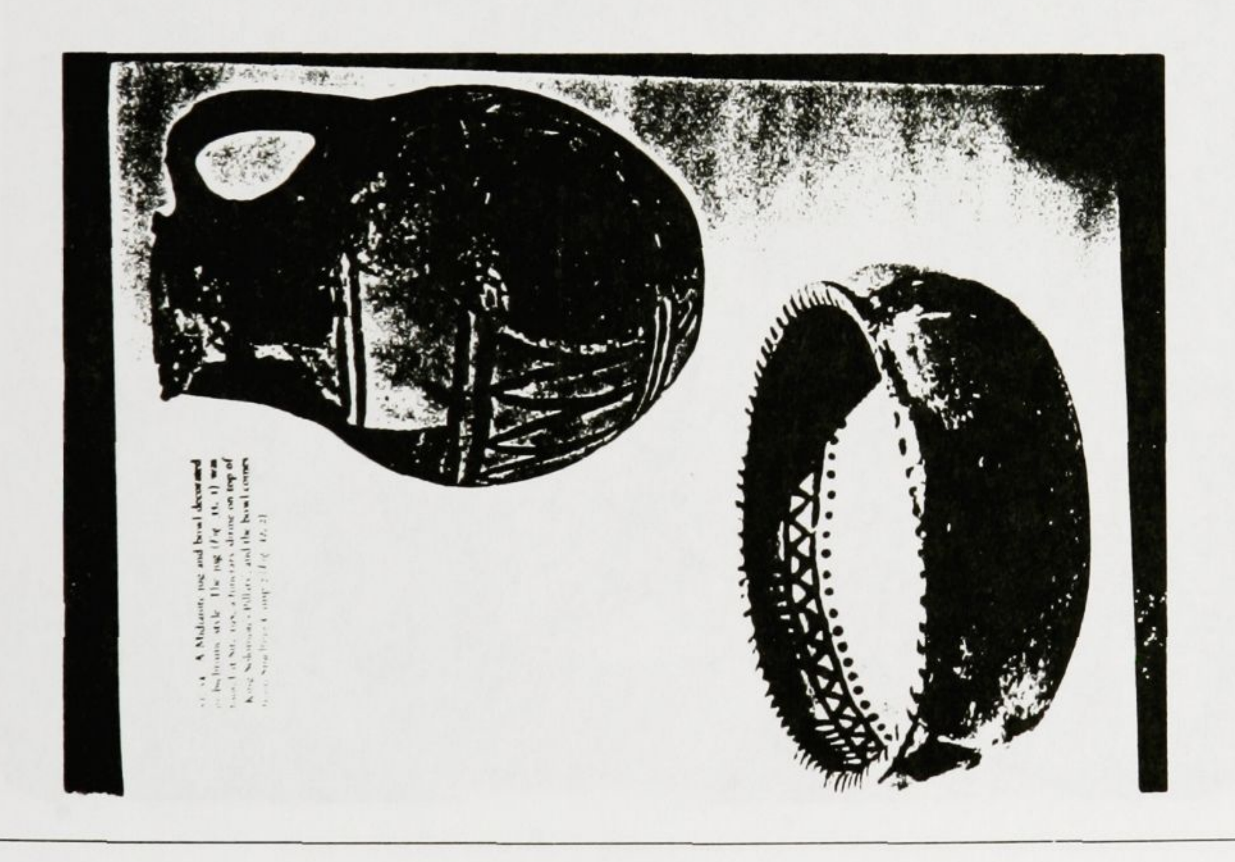


الشكل رقم (١٣) د

كسر فخارية من شبه الجزيرة العربية. أسطح مدهونة. من معروضات متحف الآثار بالرياض

تم تصويرها بإذن إدارة المتحف

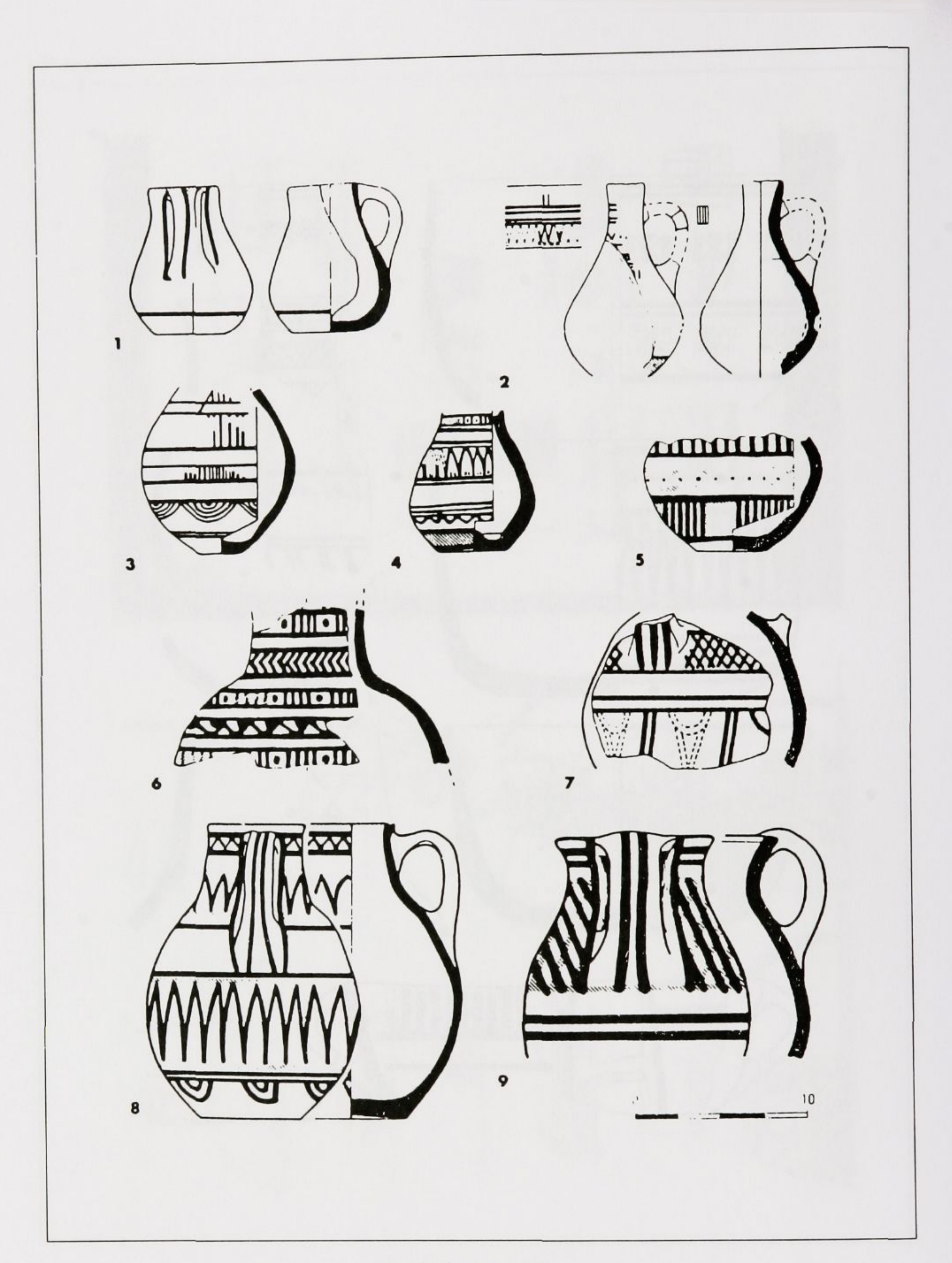




الشكل رقم (١٤)

أباريق وزبديات فخارية

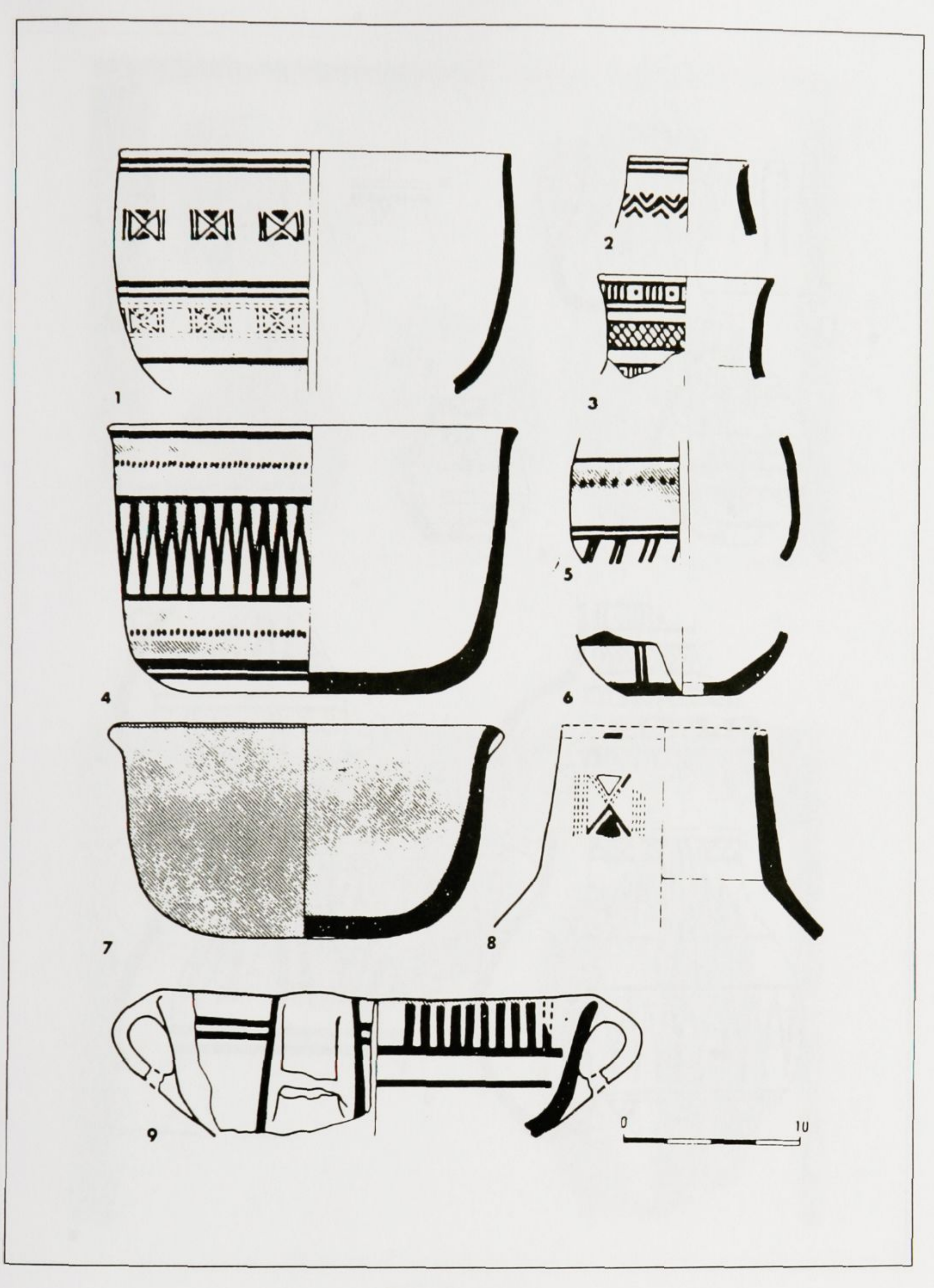
95–Rothenberg and Timna, Pp. 94 - 95



الشكل رقم (١٥)

أباريق كبيرة وصغيرة

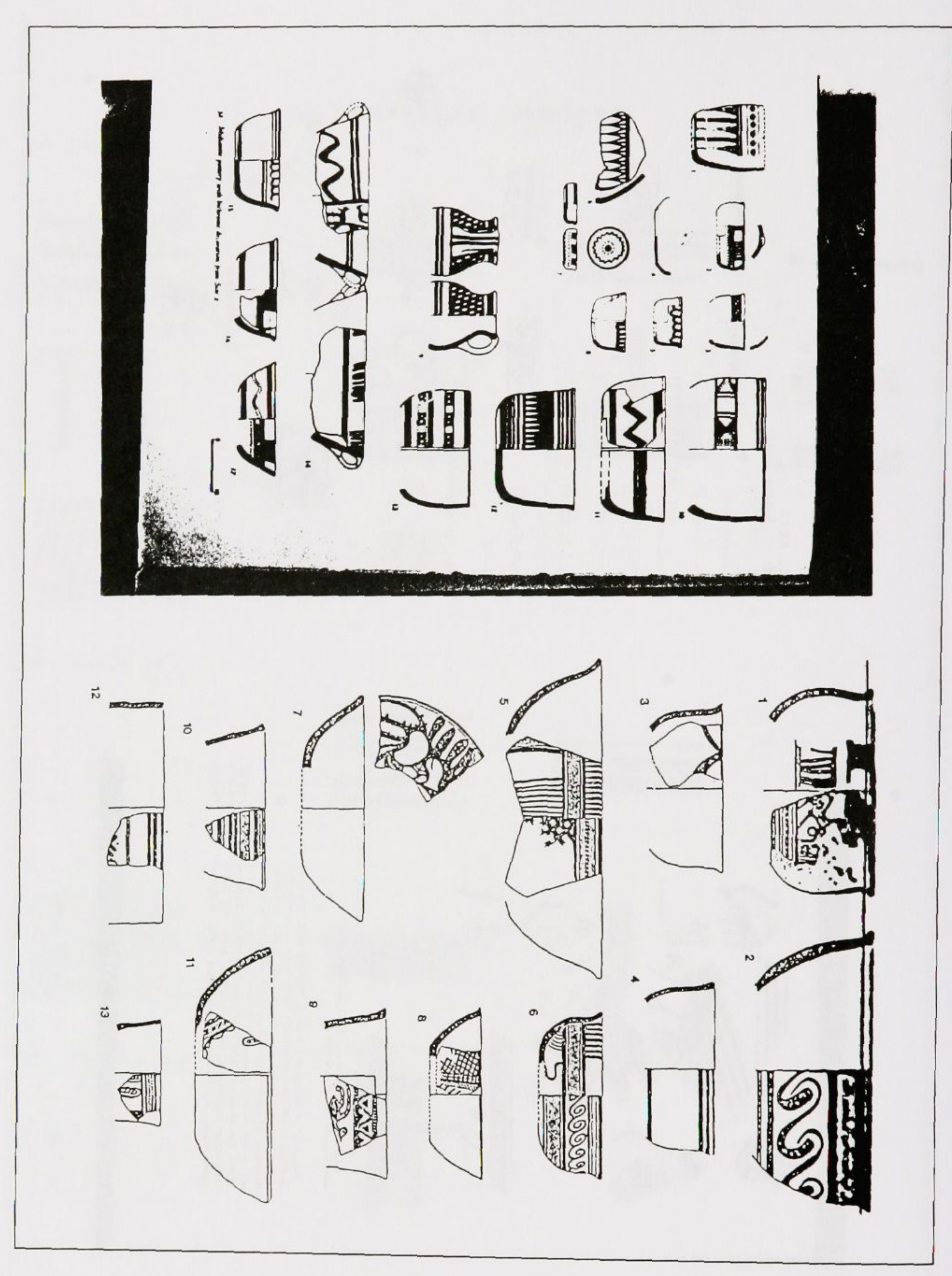
Rothenberg and Glass, Op. Cit. P. 91.



الشكل رقم (١٦)

أباريق وزبديات

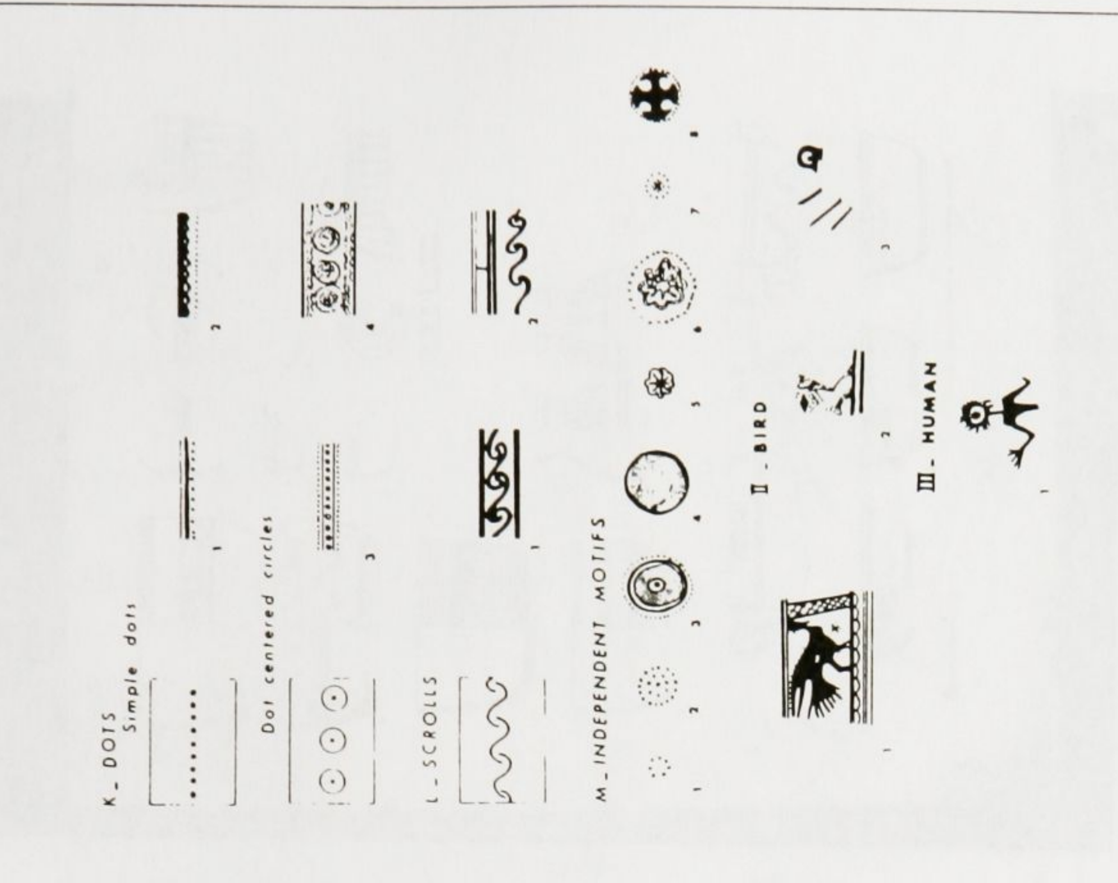
Rothenberg and Glass, Op. Cit. P. 90.

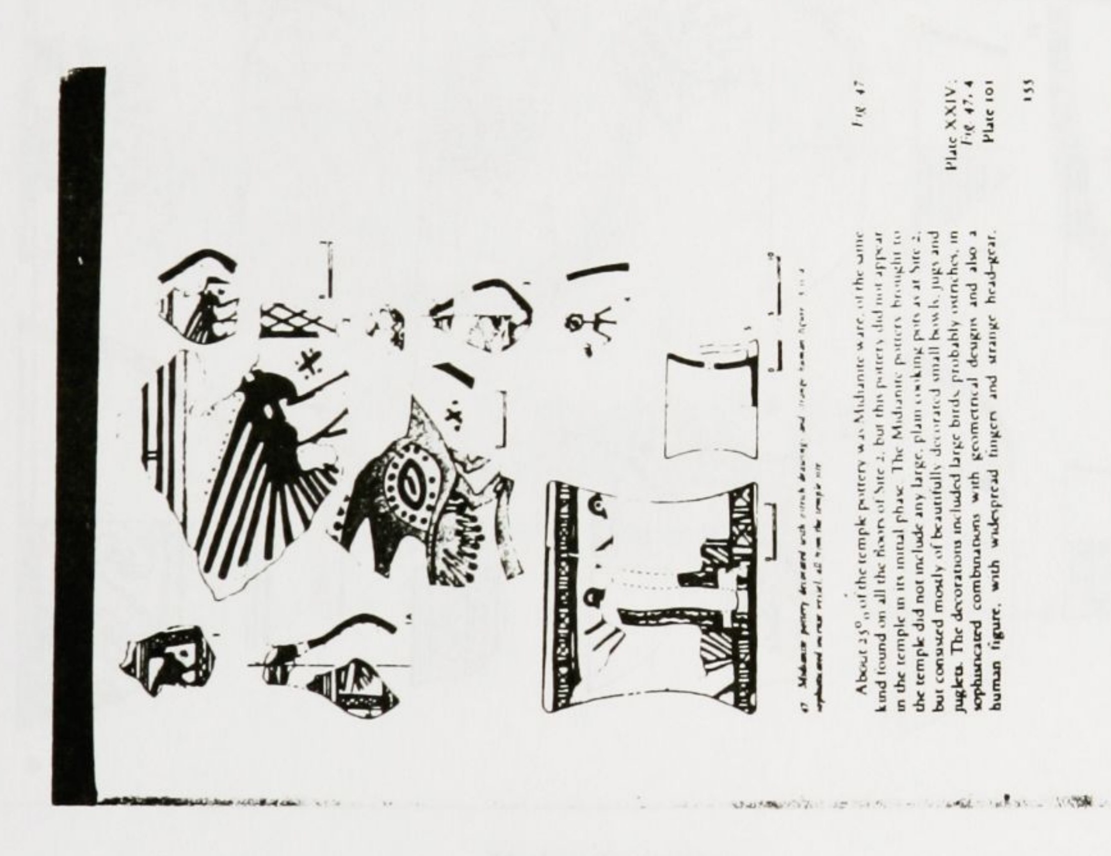


الشكل رقم (١٧)

زخارف الزبديات

Parr, Harding and Dayton, Op. Cit. Vol, 8-9, P. 230.





About 25% of the temple pottery was Midianite ware, of the same kind found on all the floors of Site 2, but this pottery did not appear in the temple in its initial phase. The Midianite pottery brought to the temple did not include any large, plain cooking pots as at Site 2, but consisted mostly of beautifully decorated small bowls, jugs and juglets. The decorations included large birds, probably ostriches, in sophisticated combinations with geometrical designs and also a human figure, with widespread fingers and strange head-gear.

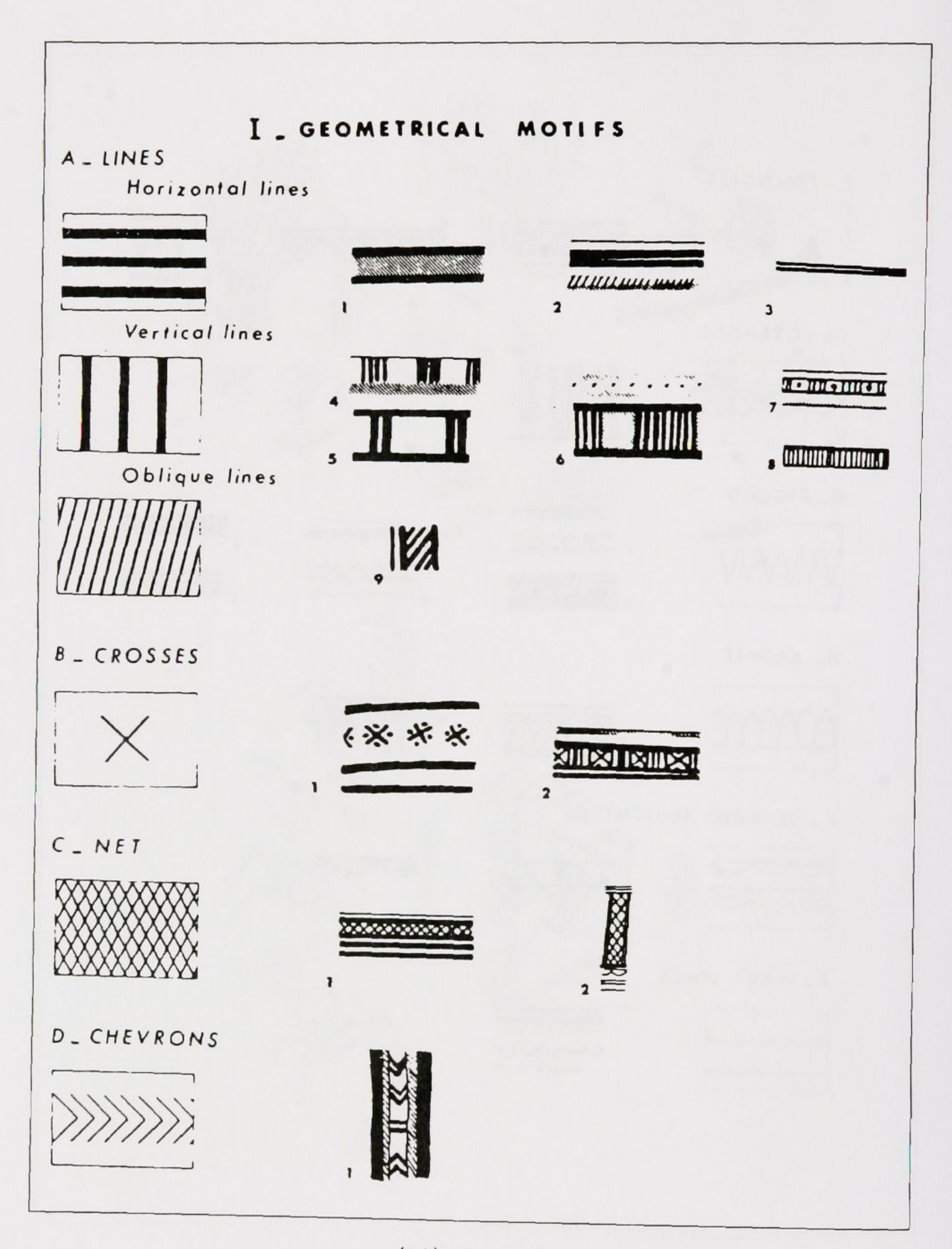
Fig. 47

Plate XXIV; Fig. 47, 4
Plate 101

155

الشكل رقم (١٨)

عناصر زخرفية مديانية



الشكل رقم (١٩)

عناصر زخرفية مديانية

Rothenberg and Glass, Op. Cit. P. 94.

E _ TRIANGLES

F _ LOZENGES

G _ ZIGZAG

H _ ARCHES

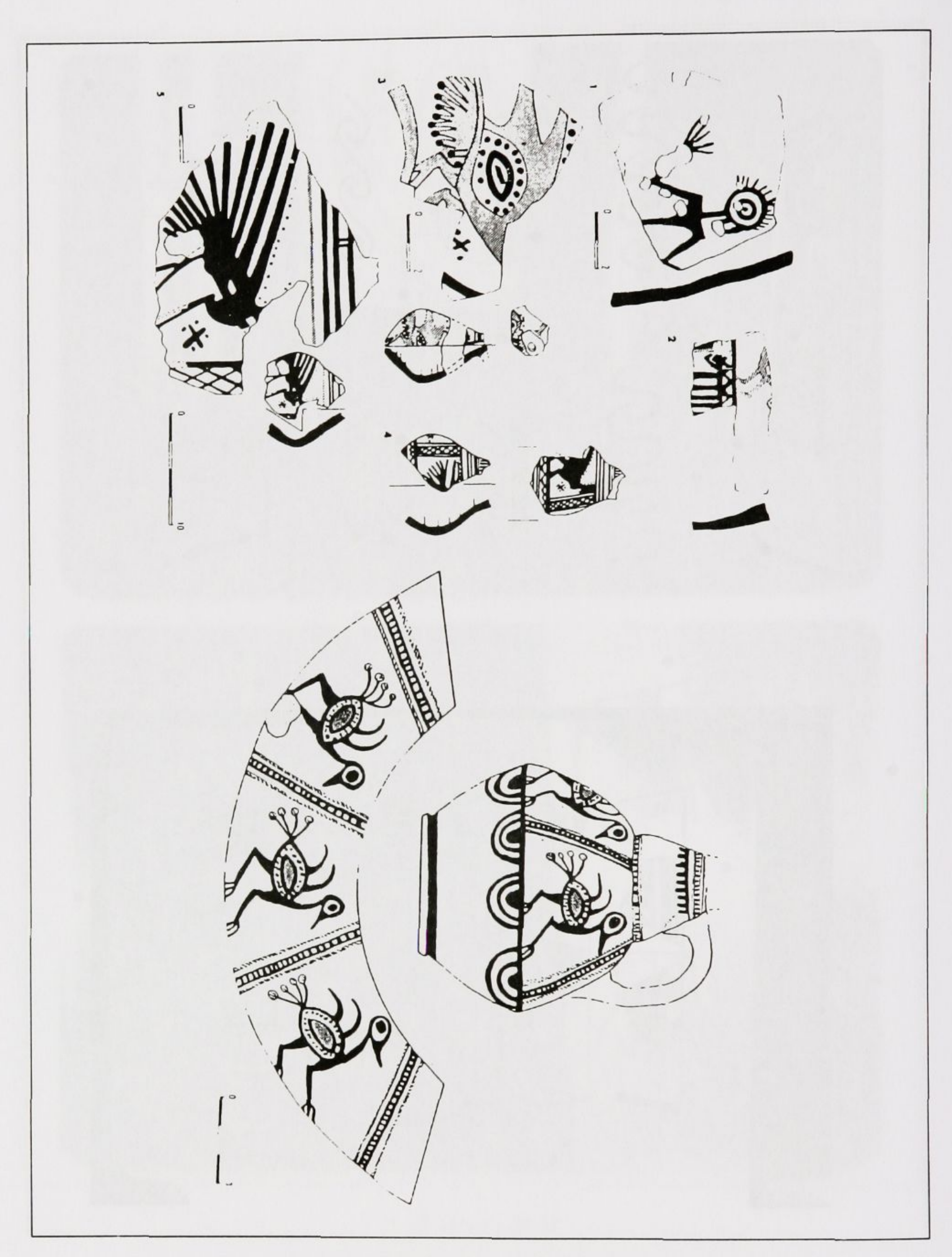
I _ JOINING SEMICIRCLES

J _ WAVY LINES

الشكل رقم (٢٠)

عناصر زخرفية مديانية

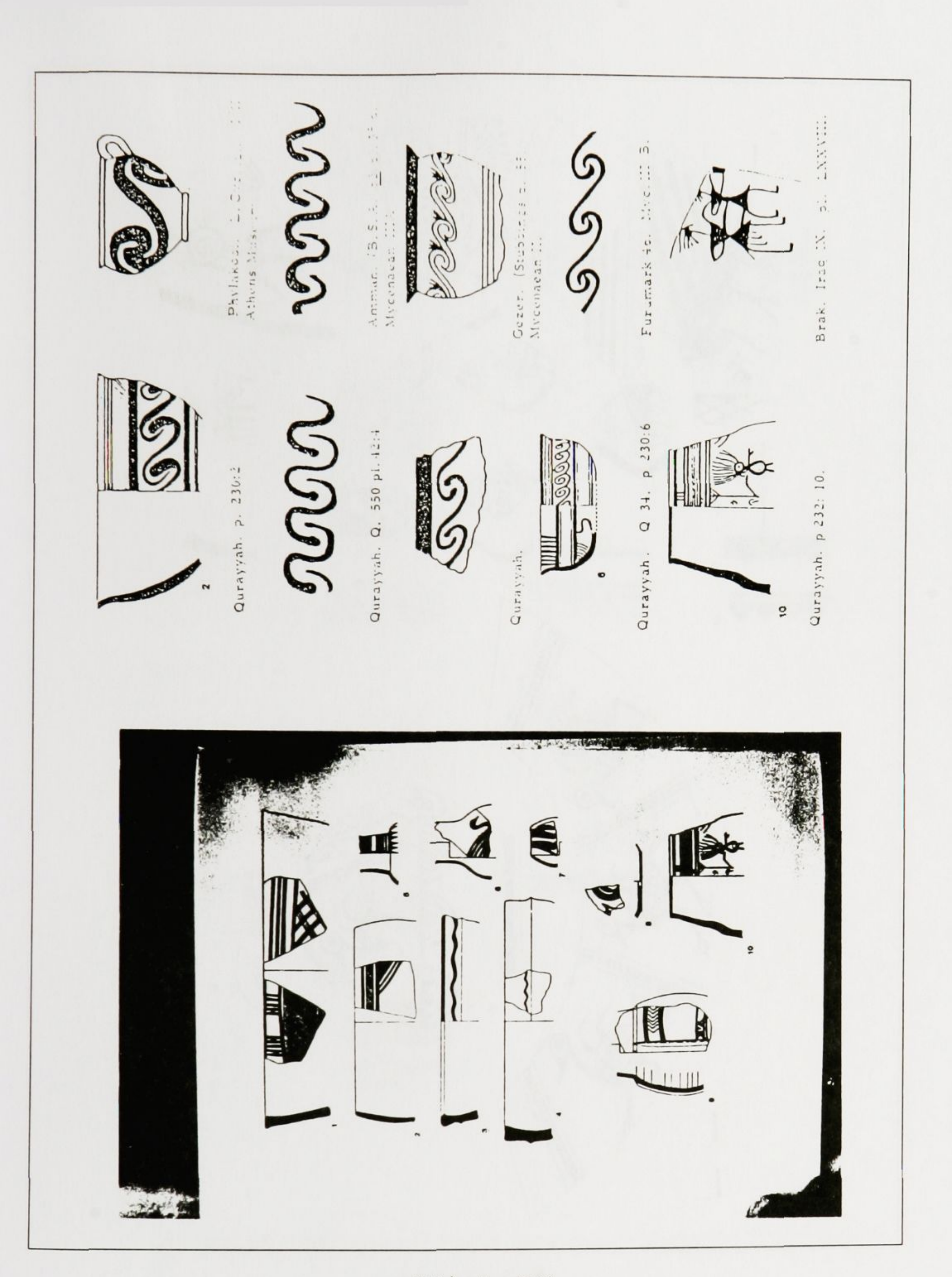
Rothenberg and Glass, Op. Cit. P. 95.



الشكل رقم (٢١) أ

عناصر زخرفية مديانية – شكل بشري وطيور

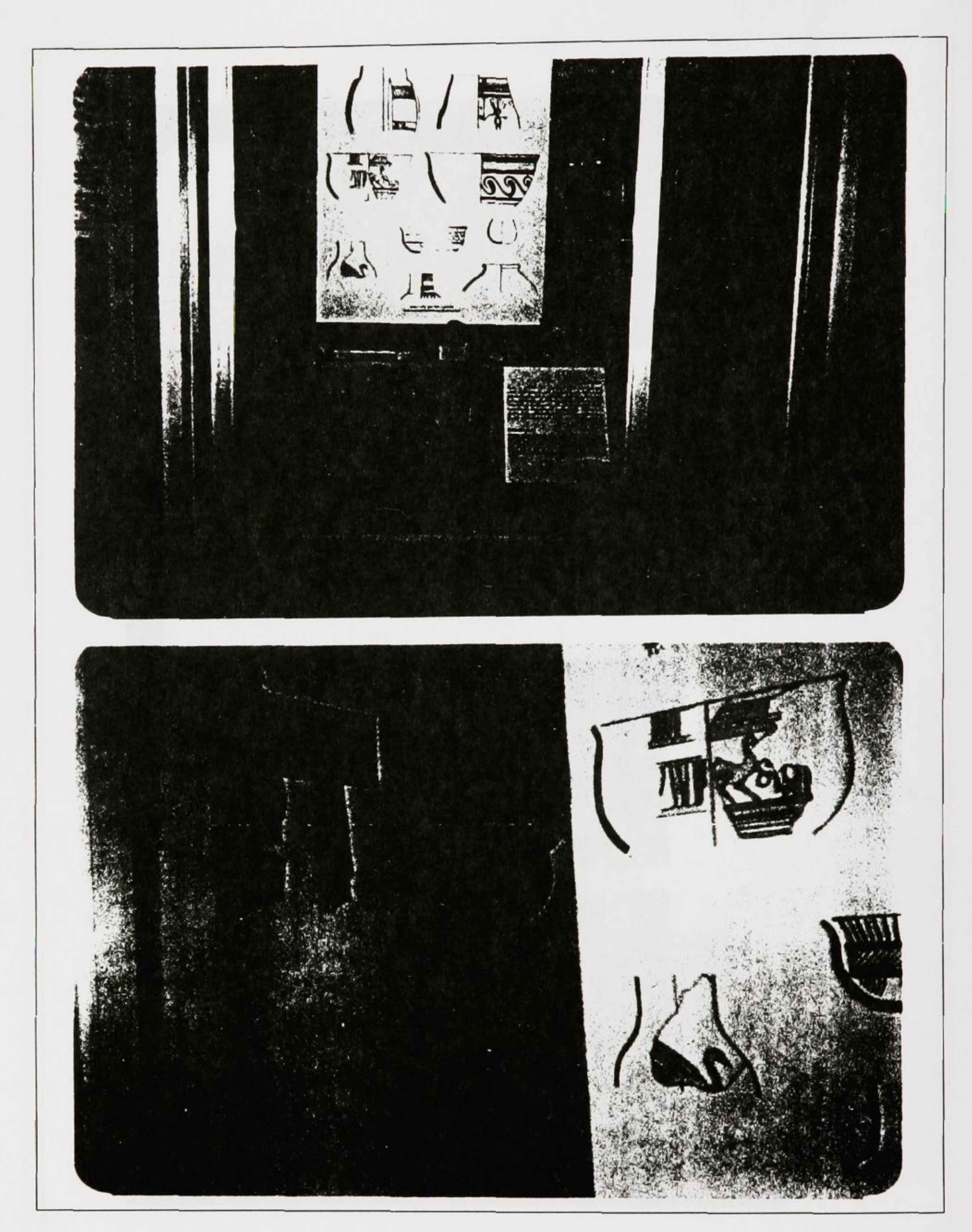
Rothenberg and Glass, Op. Cit. Pp. 92, 66.



الشكل رقم (٢١) ب

عناصر زخرفية مديانية – شكل بشري وطيور

Dayton, Op. Cit. Vol. 2, P1, IV.

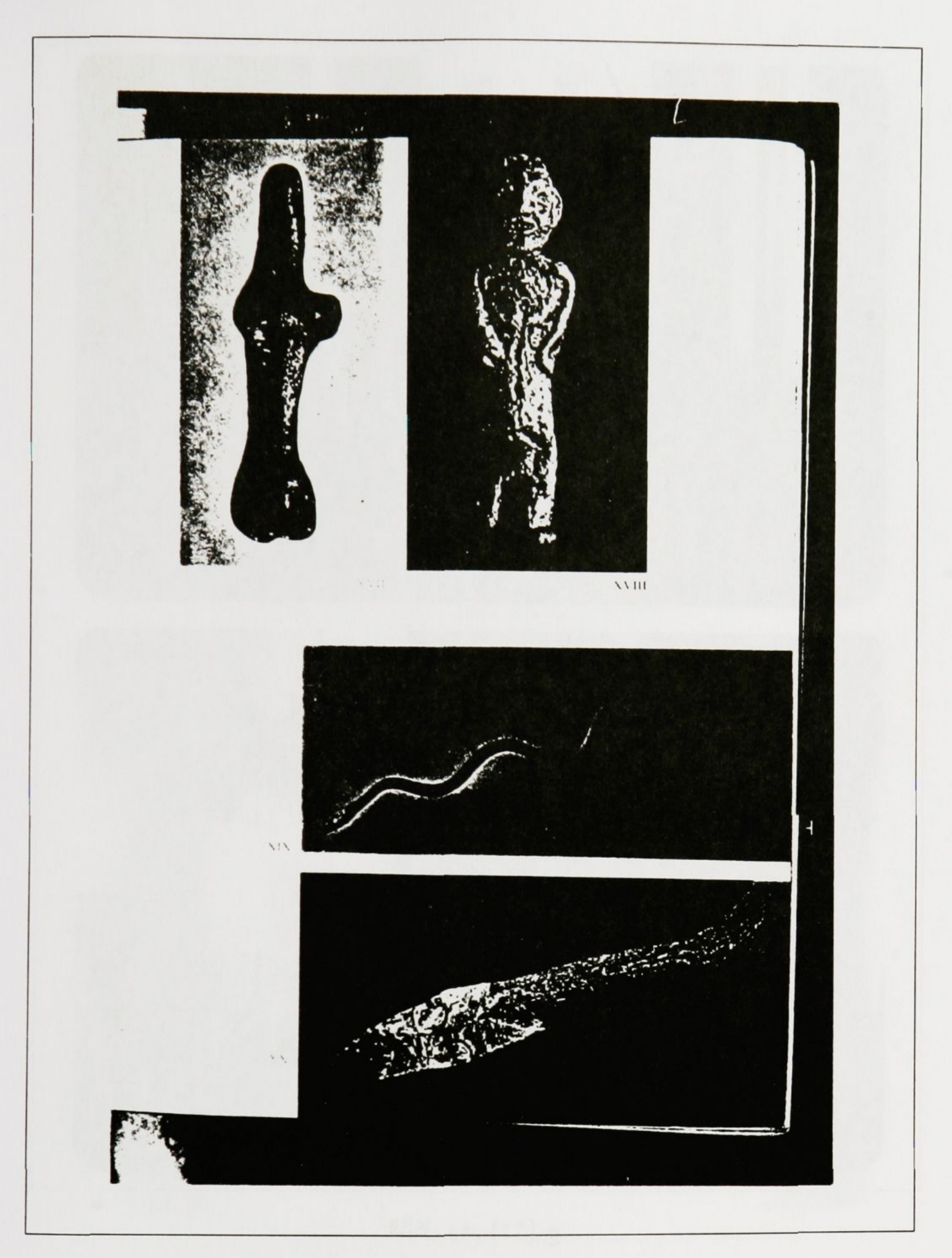


الشكل رقم (٢١) ج

كسر فخار مدياني توضح عناصر زخرفية. شكل بشري طيور

من معروضات متحف الآثار بتيماء

تصوير الباحثة



الشكل رقم (٢٢)

حية من النحاس ودمى أخرى

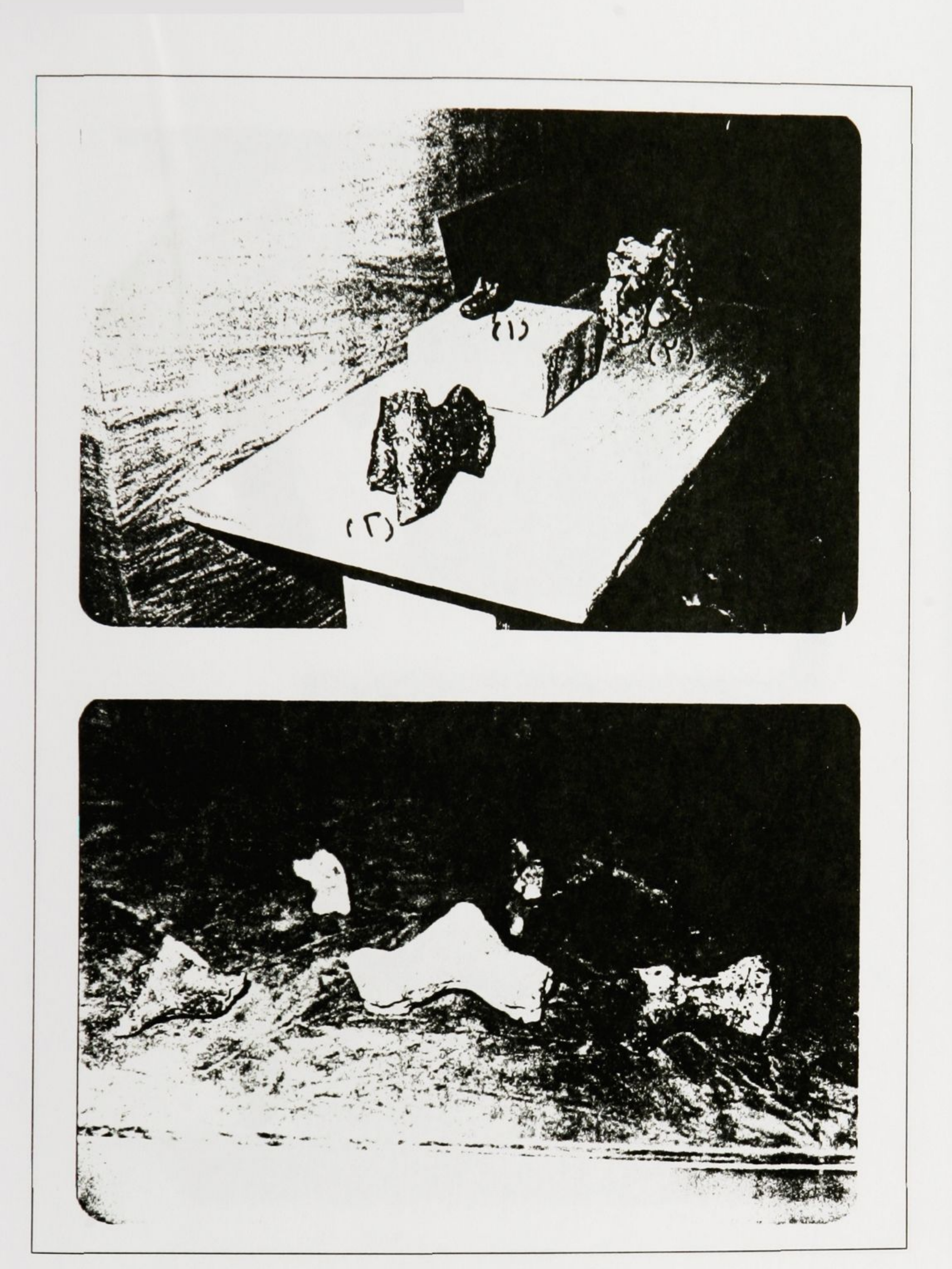
Rothenberg, Op. Cit. P159.



الشكل رقم (٢٣)

دمية من نحاس (تمنع)

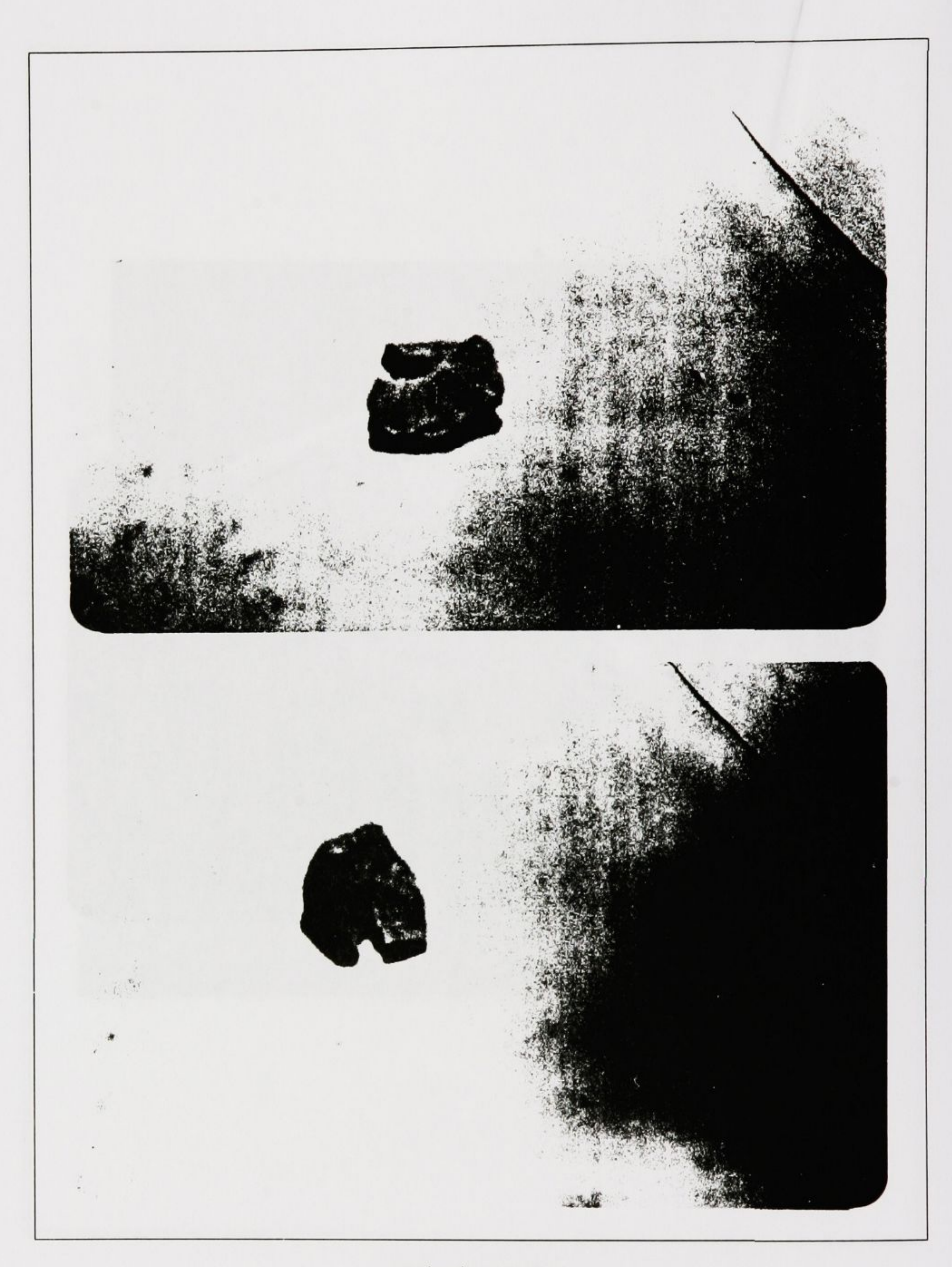
Rothenberg, Timna, P. 148.



الشكل رقم (٢٤) أ

دمى الابل من معروضات متحف الآثار بالرياض

تم تصويرها بإذن إدارة المتحف



الشكل رقم (٢٤) ب

دمى الابل من محفوظات متحف الآثار بالرياض

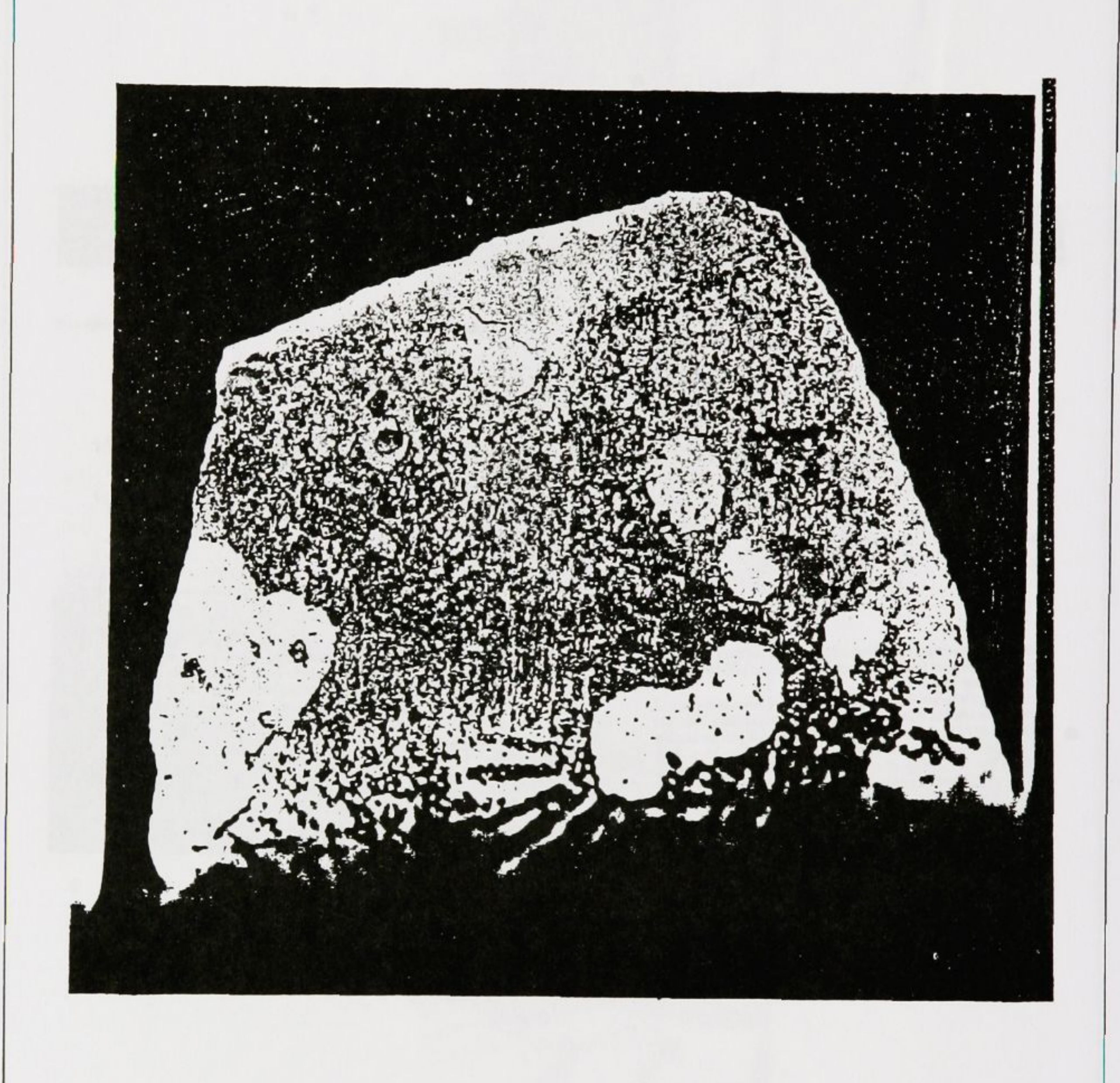
تم تصويرها بإذن إدارة المتحف



الشكل رقم (٢٤) ج

دمى الابل من محفوظات متحف الآثار بالرياض

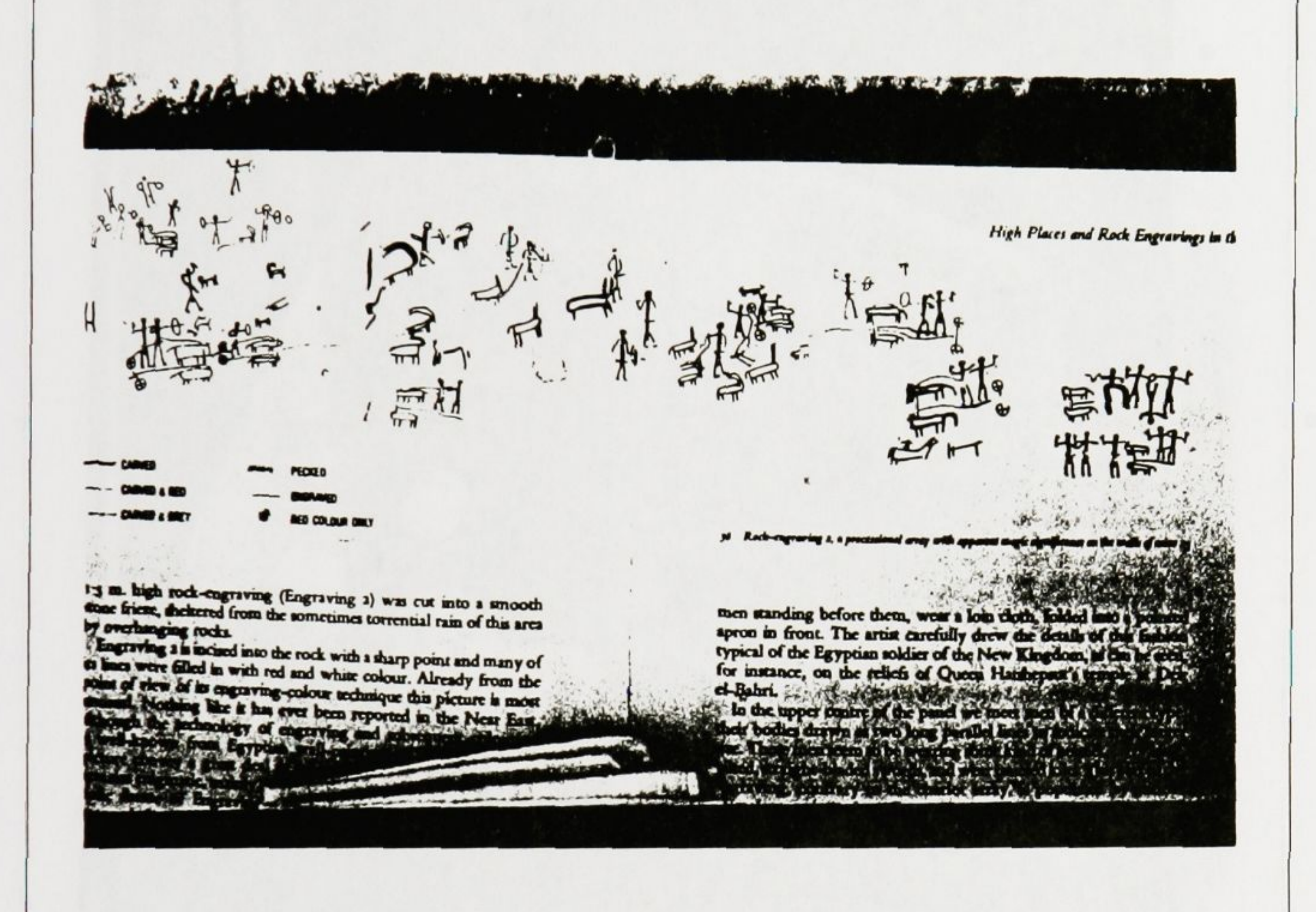
تم تصويرها بإذن إدارة المتحف



الشكل رقم (٢٥)

صور قطعة فخارية عليها طبعة أصابع منفرجة

Rothenberg, Timna, p. 148.



High Places and Rock Engravings in th

CARVED
CARVED & RED
CARVED & GREY
PECKED
ENGRAVED
RED COLOUR ONLY

1·5 m. high rock-engraving (Engraving 2) was cut into a smooth stone frieze, sheltered from the sometimes torrential rain of this area by overhanging rocks.

Engraving 2 is incised into the rock with a sharp point and many of its lines were filled in with red and white colour. Already from the point of view of its engraving-colour technique this picture is most unusual. Nothing like it has ever been reported in the Near East, although the technology of engraving and colour [illegible] well-known from Egypt [illegible]

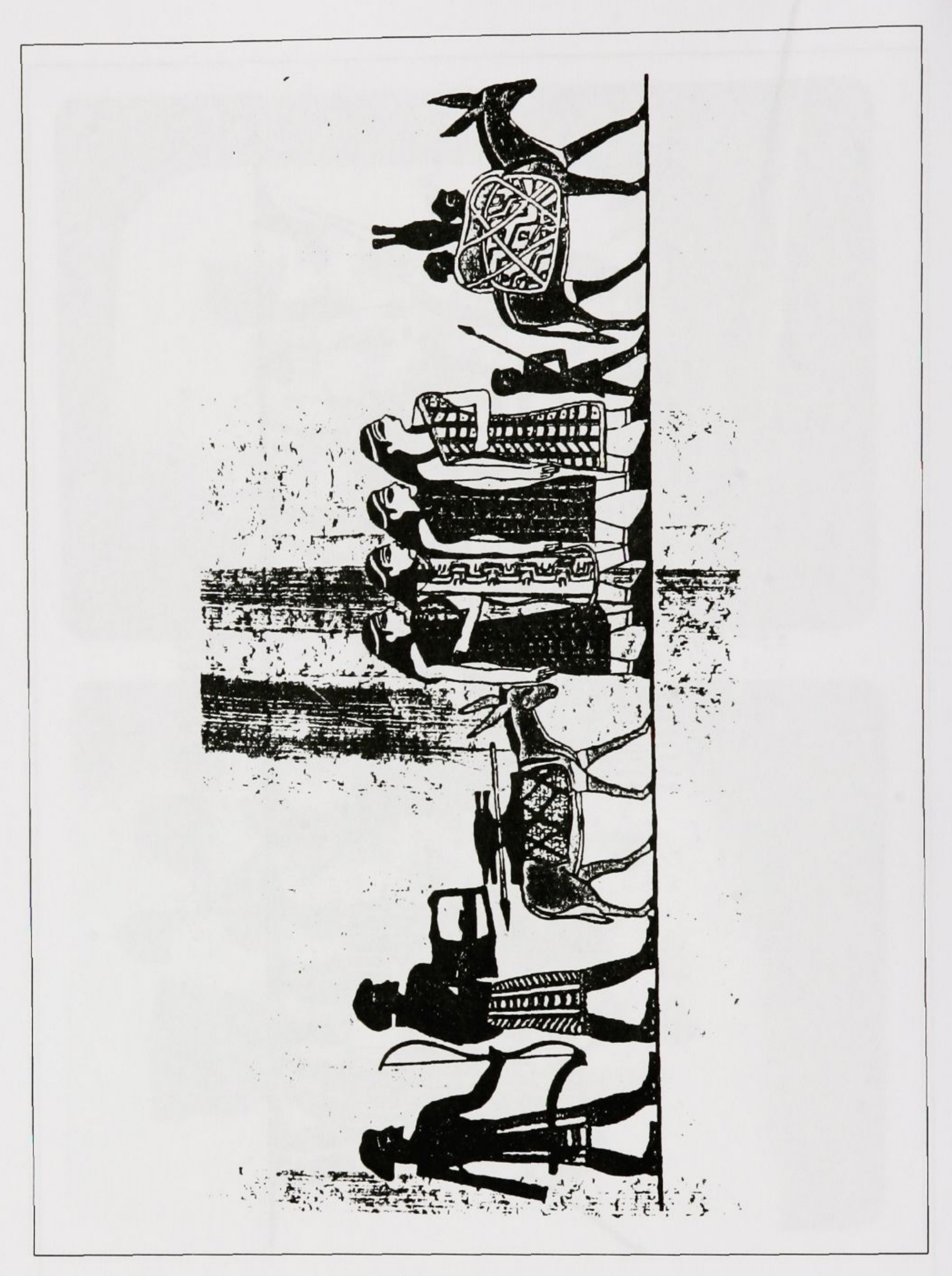
men standing before them, wear a loin cloth, folded into a pointed apron in front. The artist carefully drew the details of this fashion typical of the Egyptian soldier of the New Kingdom, as can be seen, for instance, on the reliefs of Queen Hatshepsut's temple at Deir el-Bahri.

In the upper centre of the panel we meet [illegible] their bodies drawn as two long parallel lines [illegible]

الشكل رقم (٢٦)

صور نقش تمنع

Rothenberg, Timna, Pp. 122 - 123



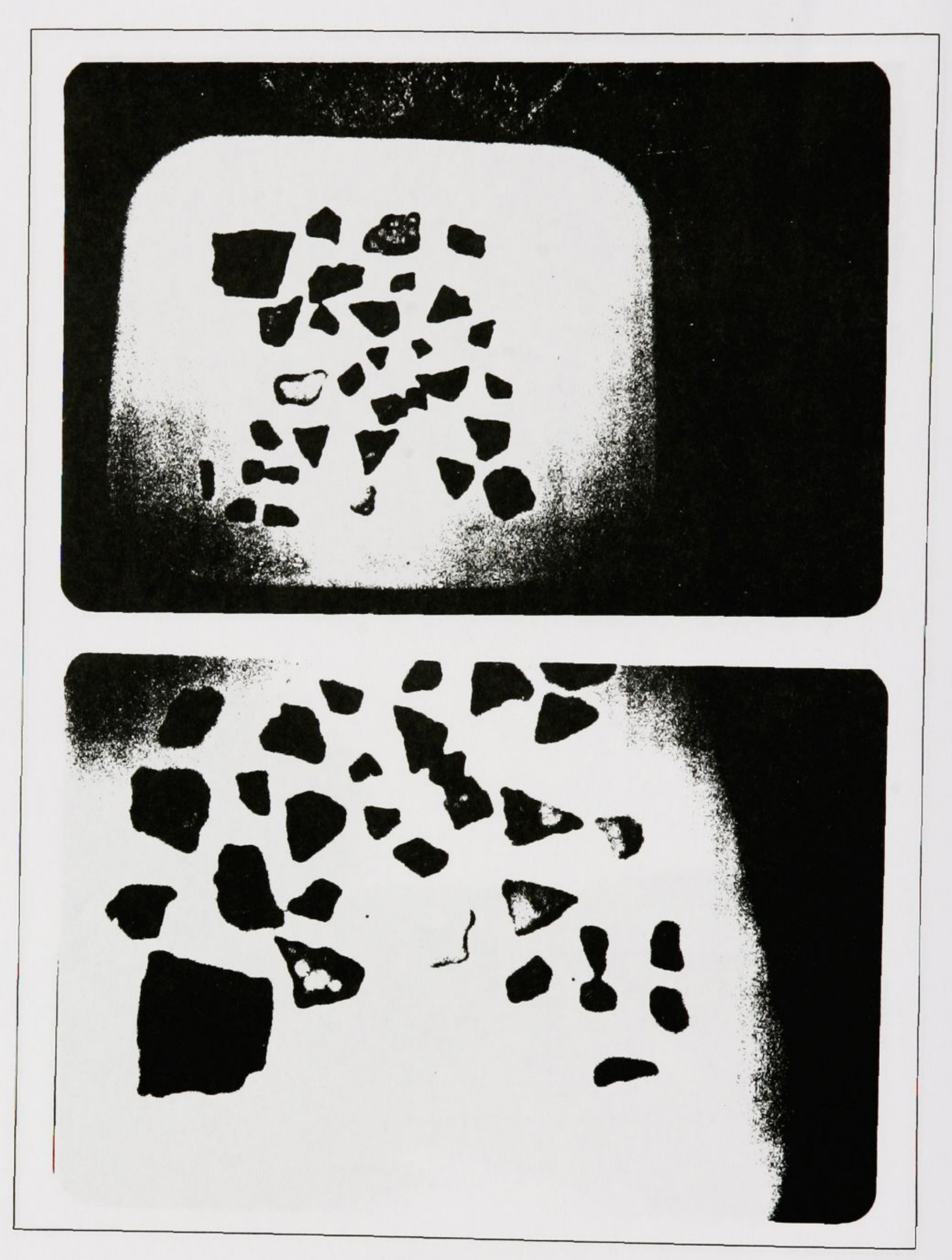
الشكل رقم (٢٧) أ

صورة رسم من مقابر بني حسن تمثل قوافل الآسيويين

لفافة من ورق البردي من معهد دكتور رجب البردي – مصر



الشكل رقم (٢٧) ب



الشكل رقم (٢٨) أ

صور كسر فخارية من قرية

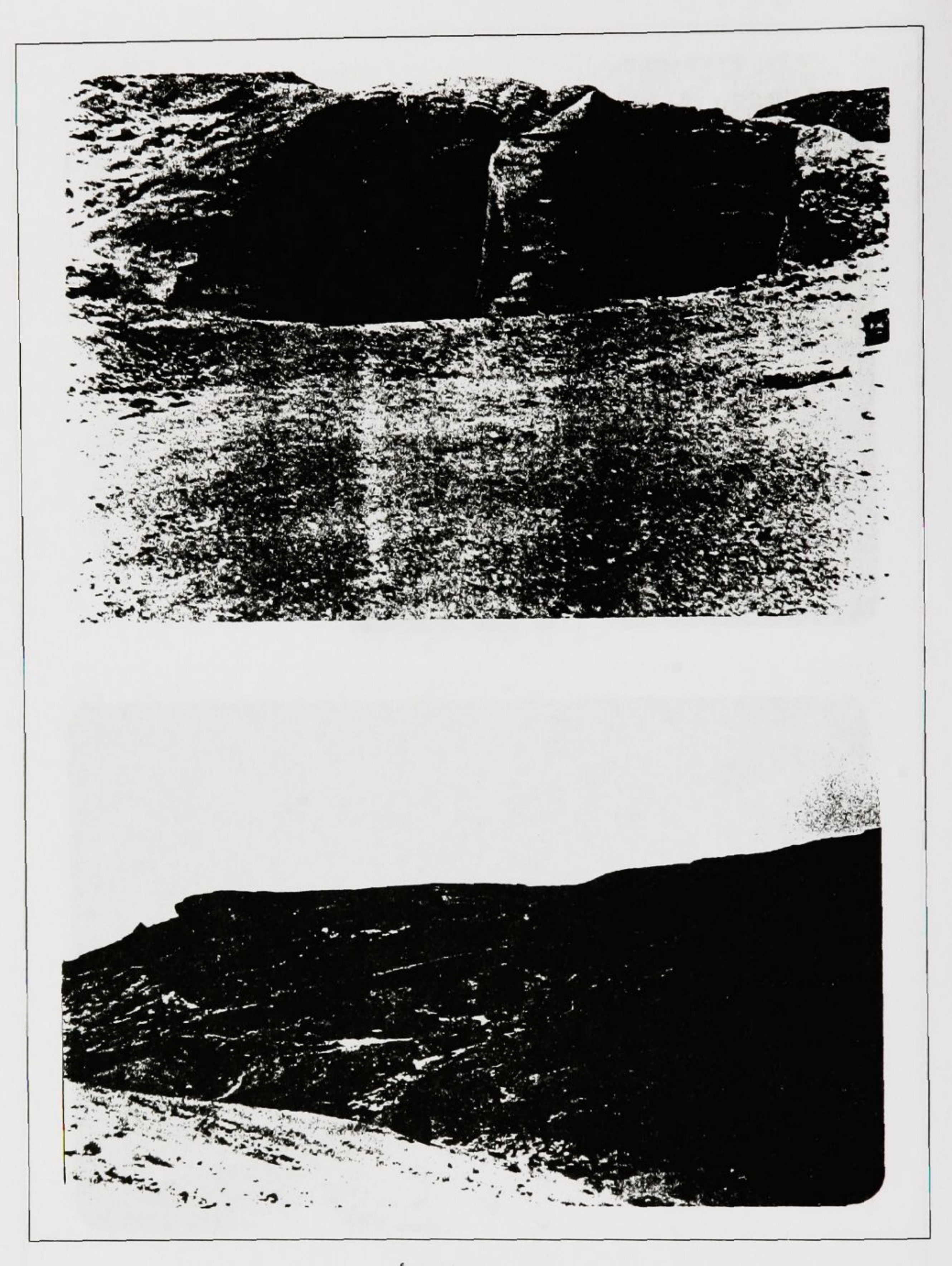
جمع وتصوير الباحثة



الشكل رقم (٢٨) ب

تلال موقع قرية – مع ظهور السياج حولها

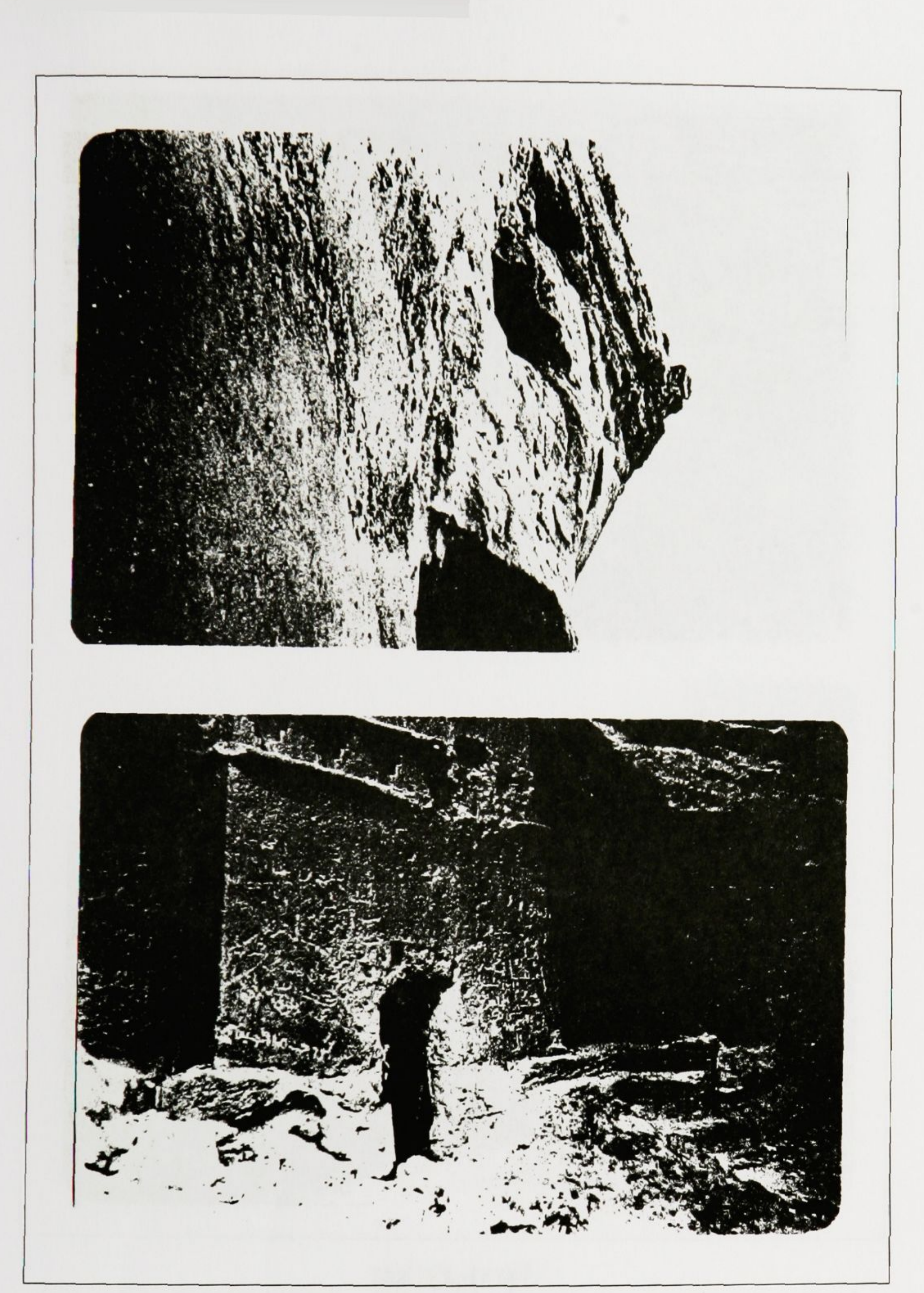
تصوير الباحثة



الشكل رقم (٢٩) أ

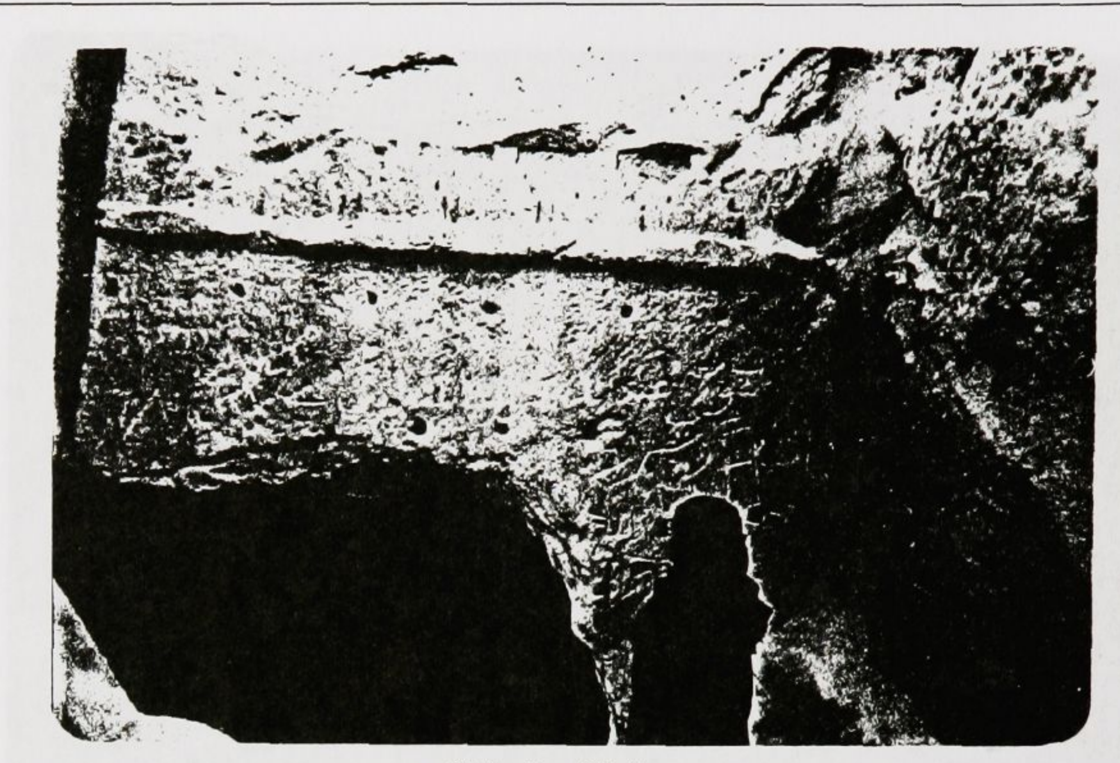
صور واجهات مغاير شعيب في منطقة البدع

تصوير الباحثة



الشكل رقم (٢٩) ب

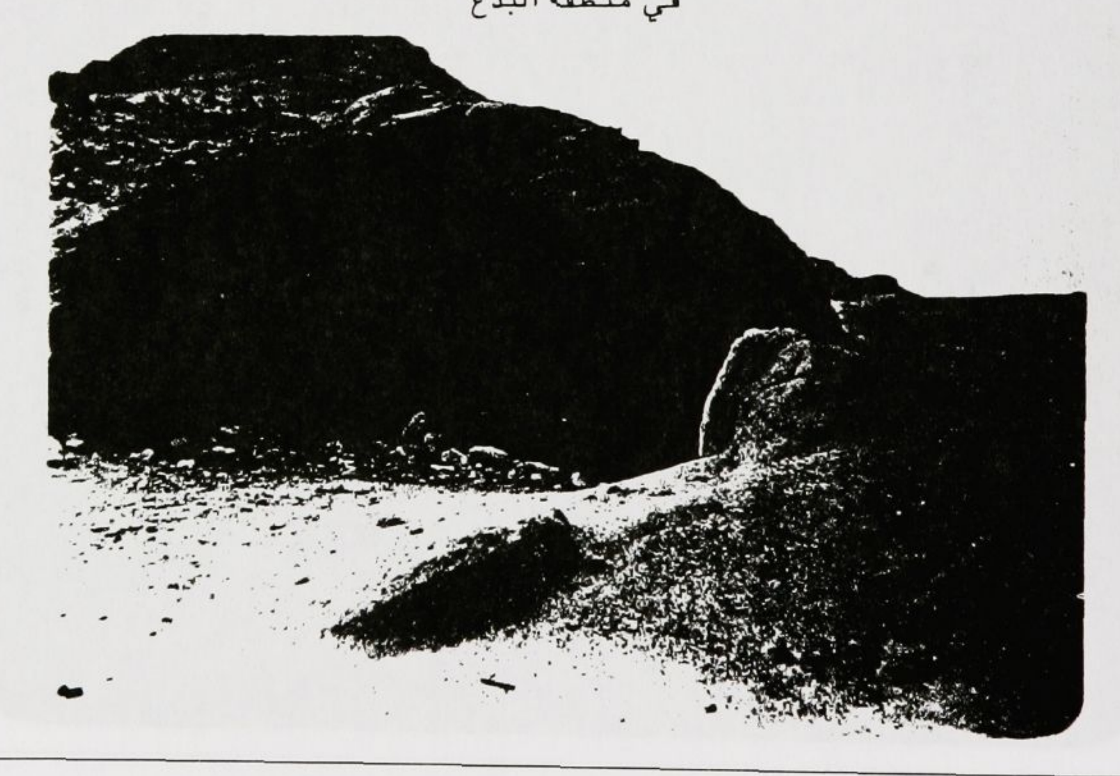
صور واجهات مغاير شعيب في منطقة البدع



الشكل رقم (٢٩) ج

صور لواجهات مغاير شعيب

في منطقة البدع



الشكل رقم (٢٩) د

صور واجهات مغاير شعيب في منطقة البدع

تصوير الباحثة



الشكل رقم (٣٠) أ

صور مغاير شعيب في البدع من ا لداخل

تصوير الباحثة



الشكل رقم (٣٠) ب

صور مغاير شعيب في البدع من الداخل

تصوير الباحثة





الشكل رقم (٣٠) ج

صور مقابر شعيب في البدع من الداخل

تصوير الباحثة



الشكل رقم (٣١)

صور تلال متنة المقابلة لمغاير شعيب في منطقة البدع

تصوير الباحثة

الكتاب

- يحتل تاريخ الجزيرة العربية القديم مكانة بارزة لدى المؤرخين والدارسين عامة. وقد تزايد الاهتمام به منذ منتصف القرن الحالي بتأثير المكتشفات في أرجاء الجزيرة ومواقعها التي تزخر بتراث مادي وكتابي مما يشكل ثروة من المعلومات تكتب فصولاً تاريخية مهمة من تاريخ وحضارة العرب، وتكمن أهمية هذا الكتاب في إبراز الحقائق التالية:
- موقع شبه الجزيرة العربية الإستراتيجي في قلب العالم القديم، حيث قامت مراكز الحضارات الإنسانية الأولى في وادي السند وبلاد الرافدين، وبلاد الشام، وبلاد وادي النيل، وبلاد الإغريق والرومان.
- دور شبه الجزيرة العربية في اقتصاد العالم القديم، فقد كانت مركزاً مهماً لطرق التجارة الدولية، برية وبحرية.
- تعد شبه الجزيرة العربية موطناً لحضارات عريقة أثبتت البحوث الحديثة والمكتشفات الآثارية غنى مخلفاتها وعمق جذورها.
- يعد أهل مدين من أوائل أقوام الجزيرة العربية الذين تكرر ورود ذكرهم وأخبارهم في الكتب المقدسة.
- كشفت الباحثة عن جوانب مهمة من تاريخ أهل مدين بوساطة تحليل المعلومات التاريخية التي توافرت لها واستكملت أجزاء الصورة التاريخية لدور هذا الشعب المدياني الذي استوطن منطقة شمال الحجاز. هذه المنطقة التي تشكل البوابة الغربية لشبه الجزيرة العربية وشريانها الاقتصادي.

المؤلفة:

عواطف بنت أديب بن علي سلامة

- ولدت في مكة المكرمة عام ١٣٦٧ هـ
- حصلت على بكالوريوس الأدب قسم التاريخ - جامعة الملك سعود عام ١٣٩٣ هـ.
- نالت درجة الماجستير في التاريخ القديم - جامعة الملك سعود، عام ١٤٠٤ هـ.
- نالت درجة الدكتوراه في التاريخ القديم - تاريخ الجزيرة العربية القديم من جامعة الملك سعود عام ١٤١٥ هـ.
- عملت مديرة مدرسة ابتدائية ومتوسطة بالرئاسة العامة لتعليم البنات من عام ١٣٨٩ - ١٣٩٤ هـ.
- لها العديد من المؤلفات والأبحاث منها: "قريش قبل الإسلام" نشر عام ١٤١٤ هـ.
- تعمل الآن أستاذاً مساعداً في قسم التاريخ جامعة الملك سعود.

SBN: 9960-00-164-4
ردمك: ٤-١٦٤-٠٠-٩٩٦٠